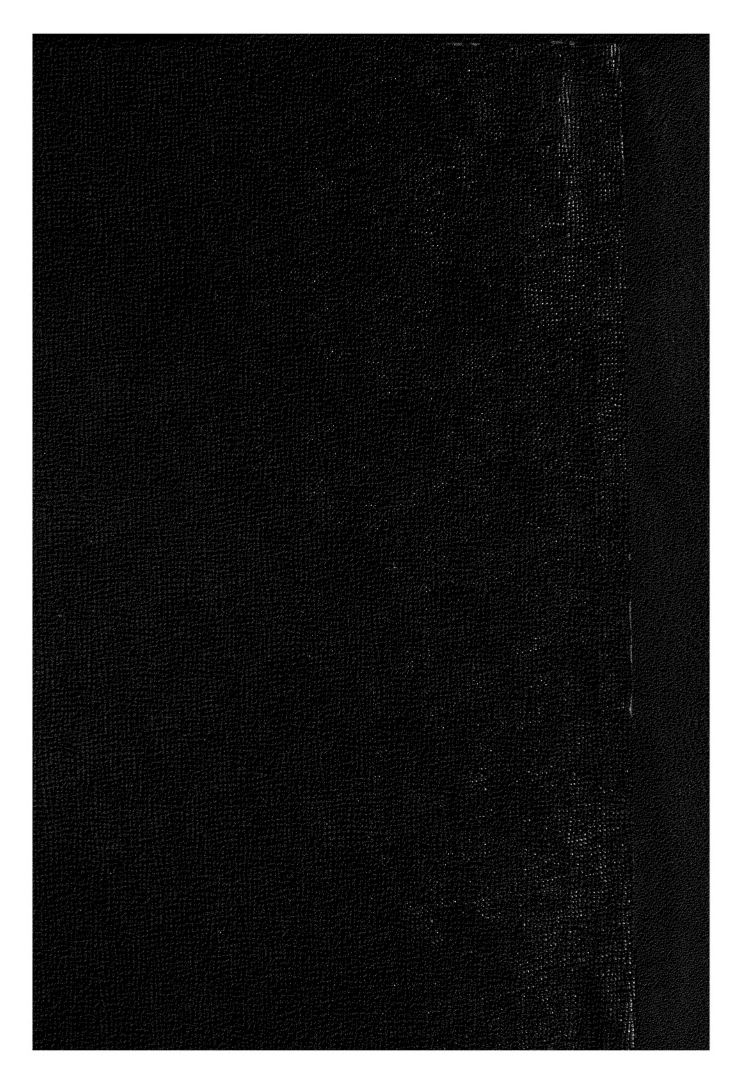


تراثنا



تأليف

أبى الفرج الأصبهانى على بن الحسين
٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء الثالث

مصور عن طبعة دار الكتب

طبعة كاملة الأجزاء معها فهرس
جامع وتصويبات واستدراكات

وزارة الثقافة والارشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر - ٤٤١١٨

تراجم هذا الجزء

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثالث

من كتاب الأغانى

ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه

نسبه

هو قَيْس بن الخَطِيم[1] بن عَدِىّ بن عمرو بن سُود[2] بن ظَفَر، ويُكنى قيس أبا يَزيد.

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا محمد بن موسى بن حَمّاد [قال حدّثنا حماد][3] بن إسحاق عن أبيه قال :

أنشد ٱبنُ أبى عَتيق قولَ قيس بن الخطيم :

بينَ شُكُولِ[4] النسـاء خِلقتُهـا ✽ حَذْواً[5] فلا جِبْلَةٌ[6] ولا قَضَفُ[7]

(١) سمى أبوه الخطيم لضربة كانت خطمت أنفه كما فى ديوانه طبع ليبزج سنة ١٩١٤ ص ١

(٢) فى أ ، م وهامش ط : «سعد» . وفى خزانة الأدب للبغدادى ج ٣ ص ١٦٨ : «سواد» .

(٣) هذه الجملة فى ط ، أ ، م ، ء . وساقطة من باقى النسخ . (٤) الشكول : الضروب .

(٥) الحذو : التقدير ، ومنـه حذو النعل بالنعل أى تقديرها على مثالها ، يريد أنها بين ضروب النساء وسط لا هى بالسمينة ولا بالمهزولة . وفى ديوانه واللسان مادتى قضف وجبل : «قصد» وسيأتى بهذه الرواية فى الأغانى غير مرة . (٦) كذا فى ديوانه واللسان مادتى قضف وجبـل ونسختى ط ، ء . والجبلة : الغليظة ، من جبل كفرح فهو جَبِل وجَبْل . وفى ب ، س : «جثلة» والجثلة : الضخمة . (٧) القضف : دقة العظم ، وهو وصف بالمصدر .

فقال : لولا أن أبا يَزيد قال : حَذُوًا ما دِرَى النَّاسُ كيف يَحْشُون(١) هذا الموضع .

أخذه بثأر أبيه وجده واستعانته فى ذلك بخداش ابن زهير

وكان أبوه الخطيم قُتِل وهو صغير، قتله رجلٌ من بنى حارِثة بن الحارث بن الخَزْرَج، فلما بلَغ قَتَل قاتلَ أبيه، ونشِبتْ لذلك حروبٌ بين قومه و بين الخزرج وكان سببَها . ٥

فأخبرنى علىّ بن سليمان الأَخْفش قال أخبرنى أحمد بن يحيى ثَعْلَب عن آبن الأعرابىّ عن المفضَّل قال :

كان سبب قتل الخَطيم أنّ رجلا من بنى حارِثة بن الحارث بن الخزرج يقال له مالك اغتاله فقتله ، وقيسٌ يومئذ صغير، وكان عدىّ أبو الخطيم أيضا قُتل[قبلَه](٢)، قتله رجل من عبد القَيْس(٣)، فلما بلَغ قيس بن الخطيم وعرَف أخبارَ قومه وموضعَ ١٠ ثأْره لم يزل يلتمس غِرّةً من قاتل أبيه وجَدّه فى المواسم حتى ظفِر بقاتل أبيه بيَثْرِبَ ١٦٠/٢ فقتله ، وظفِر بقاتل جَدّه بذى المَجَاز(٤)، فلما أصابه وجَده فى رَكْبٍ عظيم من قومه، ولم يكن معه إلا رَهْطٌ من الأَوْس، فخرج حتى أتى حُذَيفةَ بنَ بَدْر الفَزارِىّ، فآستنجده فلم يُنْجِدْه ، فأتى خِدَاشَ بن زُهَير فنهَض معه ببنى عامر حتى أتوْا قاتلَ عدىّ، فإذا هو واقفٌ على راحلته فى السُّوق، فطعَنه قيس بحَرْبة فقتله ، ثم استمرّ. فأراده رهطُ ١٥ الرجل، فحالتْ بنو عامر دونَه؛ فقال فى ذلك قيس بن الخَطيم :

(١) كذا فى ء ، ط ، أ . وهى محرفة فى سائر النسخ :

(٢) زيادة فى م ، أ . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س ، حـ « بنى عبد القيس » . (٤) ذو المجاز : موضع بعرفة ، وكانت تقام فيه فى الجاهلية سوق من أسواق العرب . ٢٠

ثأرتُ عَدِيًّا والخَطيمَ فلم أُضِعْ * وِلايةَ أشـياخٍ جُعِلتُ إزاءَها[1]

ضربتُ بذى الزِّجَّيْنِ[2] رِبْقةَ[3] مالكٍ * فأُبْتُ بنفسٍ قد أصبتُ شفاءَها

وسامَحَنى[4] فيها ابنُ عمرو بنِ عامرٍ * خِداشٌ فأدّى نعمـةً وأفاءَها

طعنتُ ابنَ عبدالقَيْسِ طعنةَ ثائرٍ * لها نَفَذٌ لولا الشُّـعاعُ[5] أضاءَها

ملكتُ[6] بها كفّى فأنهرتُ[7] فَتْقَها * يَرَى قائمٌ من دونها ما وراءَها

هذه رواية ابن الأعرابىّ عن المفضَّل . وأما ابن الكلبىّ فانه ذكر أن رجلا من قُرَيش أخبره عن أبى عبيدة أن محمـد بن عمّـار بن ياسر، وكان عالمـا بحديث الأنصار، قال :

كان من حديثِ قيس بن الخطيم أن جَدّه عدىّ بن عمرو قتـله رجل من بنى عمرو بن عامر بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة يقال له مالِك ، وقتل أباه الخَطيمَ ابن عدىّ رجل من عبـد القيس ممن يسكن هَجَرَ[8] ، وكان قيس يوم قُتل أبوه صبيا صغيرًا ، وقُتل الخَطيم قبل أن يَثْأر بأبيه عدىّ ، فخشيتْ أمّ قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجده فيَهْلِكَ ، فعمَدتْ الى كُومةٍ من تراب عند باب دارهم ، فوضعتْ عليها أحجارا وجعلتْ تقول لقيس : هذا قبر أبيك وجدّك ، فكان قيس لا يشكّ أن

---

(١) جعلت إزاءها : جعلت القيم عليها ؛ يقال : هو إزاء مال أى يقوم عليه ويتعهده .

(٢) فى ديوانه و ط ، ى : «بذى الزرين» والزر : حد السيف . والزج : الحديدة فى أسفل الرمح . وقد ذكرت فى شرح ديوانه رواية أخرى : «بذى الخرصين» وربما رجحها ما سيأتى بعدُ من حكاية قيس مع خداش وكيف كان قتله لمالك قاتل جده . (٣) الربقة : العروة ، يريد موضعها .

(٤) سامحنى : تابعنى ووافقنى . (٥) النفذ : الثقب . والشعاع : حمرة الدم . ويروى : «الشعاع» بفتح الشين وهو انتشار الدم . يريد : لولا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين .

(٦) ملكت : شددت وضبطت . (٧) أنهرت : أوسعت . (٧) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢ من هذا الجزء .

ذلك على ذلك. ونشأ أيِّدًا شديدَ الساعدين، فنازع يوما فتى من فِتيان بنى ظفَر، فقال له ذلك الفتى : والله لو جعلتَ شدّةَ ساعديْك على قاتل أبيك وجدّك لكان خيرا لك من أن تُخرجَها علىّ؛ فقال : ومن قاتلُ أبى وجَدى؟ قال : سَلْ أمَّك تخبرْك؛ فأخذ السيفَ ووضَع قائمَه على الأرض وذُبابَه[1] بين ثدييه وقال لأمه : أخبرينى مَنْ قتل أبى وجدّى؟ قالت : ماتا كما يموت النـاس وهذان قبراهمـا بالفناء؛ فقال : والله لتُخبِرِنّى[2] مَنْ قتلهما أو لأتَحامَلَنّ على هذا السيف حتى يخرجَ من ظهرى؛ فقالت : أمّا جَدُّك فقتله رجل من بنى عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك، وأما أبوك فقتله رجل من عبـد القَيس ممن يسكن هَجَرَ[3]؛ فقال : والله لا أنتهى حتى أقتلَ قاتلَ أبى وجدّى؛ فقالت : يابُنىّ إن مالكًا قاتلَ جَدِّك من قوم خِدَاش بن زُهَير، ولأبيك عند خداش نعمةٌ هو لها شاكر، فأْته فآستشِرْه فى أمرك وآستعِنْه يُعِنْك؛ فخرج قيسٌ من ساعته حتى أتى ناضِحَه[4] وهو يَسْقِى نخلَه، فضرَب الجَرِيرَ[5] بالسيف فقطعه، فسقطت الدلوُ فى البئر، وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غِرارتين من تمر، وقال : مَنْ يكفينى أمرَ هذه العجوز؟ (يعنى أمّه) فإن مِتُّ أنفق عليها من هذا الحائط[6] حتى تموت ثم هو له، وإن عشتُ فمالى عائد إلىّ وله منه ما شاء أن يأكل من تمره[7]؛ فقال رجل من قومه : أنا له، فأعطاه الحائط ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دُلَّ عليه بمَرِّ الظَّهْرانِ[8]، فصار الى خبائه فلم يجـده، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافُه، ثم نادى امرأةَ خداش : هل من طعام؟ فأَطْلَعَتْ اليه فأعجبها جمالُه، وكان من أحسن الناس وجها؛

(١) ذباب السيف : طرفه الذى يُضرب به. (٢) كذا فى الأصول : من غير توكيد وهذا الوجه يجيزه الكوفيون، والبصريون يوجبون توكيد الفعل فى مثل هذا الموضع بالنون (انظر الأشمونى ج ٢ ص ٣٧٤ طبع بولاق). (٣) أنظر الحاشية رقم ٣ ص ٢ من هذا الجزء. (٤) الناضح : البعير يستقى عليه الماء. (٥) الجرير : الحبل . (٦) الحائط : البستان . (٧) فى أ ، م ، ء : «ثمره» بالثاء المثلثة. (٨) الظهران : واد قرب مكة عنده قرية يقال لها «مر» تضاف اليه فيقال مر الظهران.

فقالت: والله ما عندنا من نُزُلٍ[1] نرضاه لك إلا تمرا؛ فقال: لا أبالى، فأخرجى ما كان عندك؛ فأرسلتْ اليه بقُبَاع[2] فيه تمر، فأخذ منه تمرة فأكل شِقَّها وردّ شِقَّها الباقىَ فى القُباع، ثم أمَر بالقُباع فأُدخِل على آمرأة خداش بن زهير، ثم ذهب لبعض حاجاته. ورجع خداش فأخبرته آمرأته خبرَ قيس، فقال: هذا رجل متحرِّم[3].

٥ وأقبل قيس راجعًا وهو مع آمرأته يأكل رُطَبا؛ فلما رأى خداش رِجْلَه وهو على بعيره قال لآمرأته: هذا ضيفكِ؟ قالت: نعمْ؛ قال: كأنَّ قدمَه قدم الخَطيم صديقِى اليَثْرِبِىّ؛ فلما دنا منه قرع طُنُبَ البيت بسنان رمحه وآستأذن، فأذن له خداش فدخل اليه، فنسَبه[4] فآنتسب[5] وأخبره بالذى جاء له، وسأله أن يُعينه وأن يشير عليه فى أمره؛ فرحّب به خداش وذكر نعمة أبيه عنده، وقال: إن هذا الأمر

١٠ ما زلتُ أتوقّعه منك منذُ حينٍ. فأمّا قاتلُ جدّك فهو آبن عم لى وأنا أُعينك عليه، فاذا آجتمعنا فى نادينا جلستُ الى جنبه وتحدّثتُ معه، فاذا ضربتُ فخذَه فثِبْ اليه فآقتله. فقال قيس: فأقبلت معه نحوَه حتى قمتُ على رأسه لمّا جالسَه خداشٌ، فحينَ ضرب فخذَه ضربت رأسه بسيف يقال له: ذو الخُرْصين، فثار الىّ القومُ ليقتلونى، فحال خداش بينهم وبينى وقال: دَعُوه فإنه والله ما قتلَ إلا قاتلَ جدّه.

١٥ ثم دعا خداشٌ بجمل من إبله فركبه، وانطلق مع قيس الى العَبْدِى الذى قتل أباه، حتى اذا كانا قريبا من هَجَرَ أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه، فاذا دُلّ عليه قال له: إن لصًّا من لصوص قومك عارضنى فأخذ متاعًا لى، فسألتُ مَنْ سيدُ قومه، فدُلِلتُ عليك، فآنطلقْ معى حتى تأخذ متاعى منه؛ فإن آتّبعكَ وحدَه فستنال

(١) النزل: ما يهيأ للضيف من قرى. (٢) القباع: المكيال الضخم. (٣) متحرم: له عندنا حرمة وذمة. (٤) نسبه: طلب اليه أن ينتسب. (٥) فى ب، س: «فانتسب اليه».

٢٠

ما تريد منـه ، وإن أخرج معه غيره فاضحك[1] ، فإن سألك مِمّ ضحكتَ فقـل : إن الشريف عندنا لا يصنع كما صنعتَ اذا دُعى الى اللص من قومه ، إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه ، فاذا رآه اللص أعطى كل شىء أخَذ هيبةً له[2] ، فإن أمر أصحابَه بالرجوع فسبيل ذلك ، وإن أبَى إلّا أن يمضوا معه فأْتنى به ، فإنى أرجو أن تقتله وتقتل أصحابَه . ونزل خداش تحت ظل شجرة ، وخرج قيس حتى أتى العَبْدىَّ فقال له ما أمره خداش فأحْفَظَه ، فأمر أصحـابَه فرجعوا ومضى مع قيس ؛ فلمـا طلع على خداش ، قال له : ٱختَرْ يا قيس إما أن أُعينـك وإما أن أَكْفِيَك ؛ قال : لا أريد واحدة منهما ، ولكن إن قتلنى فلا يُفْلِتَنَّـك ؛ ثم ثار اليـه[3] فطعنه قيس بالحَرْبة فى خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانَه ، فلما فرغ منه قال له خداش : إنا إن فرَرْنا الان طلبَنا قومُه ، ولكن ٱدخل بنـا مكانا قريبا من مقتَله ، فإن قومه لا يظنون أنك قتلته وأقمتَ قريبًا منه[4] ، ولكنهم اذا افتقَدُوه ٱقتفَوْا أثَرَه ، فاذا وجدوه قتيلا خرجوا فى طلبنا فى كل وجه ، فاذا يئسوا رجعوا . قال : فدخلا فى داراتٍ من رمال هناك ، وفقَد العَبْدىَّ قومهُ فاقتفَوْا أثرَه فوجدوه قتيلا ، فخرجوا يطلبونهما فى كل وجه ثم رجعوا ، فكان من أمرهم ما قال خداش . وأقاما مكانَهما أيامًا ثم خرجا ، فلم يتكلما حتى أتَيا منزلَ خداش ، ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع الى أهله . ففى ذلك يقول قيس :

تذكّر ليـلَى حسنَها وصـفاءَها * وبانتْ فمـا إن يسـتطيعُ لقاءَها
ومثلُكِ قـد أَصبيتُ ليست بكَنّةٍ[5] * ولا جارةٍ أَفضتْ الىّ خِبـاءَها[6]

---

(١) كذا فى ط ، ى . وفى سائر النسخ : «معك» والسياق يرجح الأول. (٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س ، حـ : «أعطاه ... أخذه» . (٣) فى ط ، حـ ، ى : «نازله» . (٤) فى أ ، م : «منهم» . (٥) الكنة : امرأة الابن أو الأخ . (٦) فى ديوانه : «حياءها» يريد أنه ليس بينه وبينها ستر .

اذا ما اصطبحتُ أربعًا خطّ مئزرى(١) * وأتبعتُ دلوى فى السَّماح رِشاءها(٢)

ثأرتُ عديًّا والخطيـمَ فلم أُضِعْ * وصيّةَ(٣) أشـياخٍ جُعِلتُ إزاءها

وهى قصيدة طويلة .

استنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره وأعجب بشباته

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا زكريا بن يحيى المِنْقَرِىّ قال حدّثنا زِياد بن بَيان(٤) العُقَيلىّ قال حدّثنا أبو خَوْلةَ الأنصارىّ عن أَنَس بن مالك قال :

جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس ليس فيه إلا خَزْرَجىّ ثم استنشدهم قصيدةَ قيس بن الخطيم، يعنى قولَه :

أتعـرِفُ رسمًا كاطّرادِ(٥) المذاهبِ * لعَمْرةَ وَحْشًا غيرَ موقفِ راكبِ

فأنشده بعضهم إياها ، فلما بلغ الى قوله :

أُجالِدُهم يومَ الحَدِيقـة(٦) حاسرًا * كأن يدى بالسيف مِخْراقُ(٧) لاعبِ

فالتفت اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «هل كان كما ذَكَر»؛ فشهد له ثابت بن قيس بن شَمّاس وقال له : والذى بعثك بالحق يا رسول الله، لقد خرج الينا يومَ سابعِ عُرْسه عليه غِلالة ومِلْحَفة مُوَرَّسة(٨) فجالدنا كما ذكر . هكذا فى هذه الرواية .

(١) يريد أنه اذا شرب أربعا اختال حتى جرّ ثوبه من الخيلاء . (٢) يريد أنه بلغ فى السماح منتهاه . يقال : أتبع الدلو رشاءها وأتبع الفرس لجامها اذا بذل آخر مجهوده .

(٣) رويت فى صفحة ٣ من هذا الجزء : «ولاية» .

(٤) فى ط ، ء : «بنان» بالنون . (٥) الاطراد : التتابع . والمذاهب : واحدها مُذهب وهو جلد تجعل فيه خطوط مذهبة بعضها فى أثر بعض . (٦) الحديقة : قرية من أعراض المدينة فى طريق مكة، كانت بها وقعة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام (كذا فى ياقوت) .

(٧) المخراق : خرقة مفتولة يلعب بها الصبيان ، وتسمى فى مصر «بالطرة» . (٨) مورّسة : مصبوغة بالورس وهو نبات أصفر تصبغ به الثياب و يتخذ منه طلاء الوجه .

وقد أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى عمّى مصعب قال :

لم تكن بينهم فى هذه الأيام حروب إلا فى يوم بُعَاث[1] فإنه كان عظيما ، وإنما كانوا يخرجون فيترامَوْن بالحجارة ويتضاربون بالخشب .

قال الزُّبير وأنشدتُ محمدَ بن فَضَالة قولَ قيس بن الخطيم : ٥

أجالدهم يوم الحديقــة حاسرا * كأن يدى بالسيف مِخراقُ لاعبِ

فضحك وقال : ما آقتتلوا يومئذ إلا بالرطائب والسَّعَف .

قال أبو الفرج : وهذه القصيدة التى آستنشدهم إياها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من جيّد شعر قيس بن الخطيم ، ومما أنْشَده نابغةَ بنى ذُبْيان فآستحسنه وفضّله وقدّمه من أجْلِه .

أنشد النابغة من شعره فآستجاده

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال قال أبو غُزَيَّة قال حسّان بن ثابت :

قدِم النابغةُ المدينــةَ فدخل السُّوقَ فنزل عن راحلتــه ، ثم جثا على ركبتيــه ، ثم آعتمد على عصاه ، ثم أنشأ يقول :

عرفتُ منازلًا بعُرَيْتِنَاتٍ[2] * فأعلَى الجِــزْع للحَىِّ المُبِنِّ[3] ١٥

(١) بعاث : موضع فى نواحى المدينة ، كانت به وقائع بين الأوس والخزرج فى الجاهلية .

(٢) عريتنات : واد ذكره ياقوت فى معجمه ، واستشهد بأبيات لداود بن شكم أولها :

معرّسنا ببطن عريتنات * ليجمعنا وفاطمة المسير

(٣) المبنّ : المقيم .

فقلت : هلك الشيخ ورأيتُه قد تبِع قافيةً مُنْكرة. قال و يقال: إنه قالها في موضعه، فما زال يُنْشِد حتى أتى على آخرها، ثم قال : ألا رجلٌ يُنْشِد؟ فتقدّم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده :

* أتعرف رَسْماً كاطِّراد المذاهب *

٥ حتى فرغ منها؛ فقال : أنت أشعرُ الناس يابن أخي . قال حسان : فدخَلَني منه، وإنّي في ذلك لأجد القوّةَ في نفسي عليهما[1]، ثم تقدّمتُ فجلست بين يديه؛ فقال : أنشِدْ فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلّم، قال: وكان يعرفني قبل ذلك، فأنشدتُه؛ فقال

١٦٣/٢ أنت أشعر الناس . قال الحسن[2] بن موسى : وقالت الأَوْس: لم يَزِدْ قيسُ بن الخطيم النابغةَ على :

١٠ * أتعرف رسماً كاطِّراد المذاهب *

ـــ نصف البيت ـــ حتى قال أنت أشعر الناس .

صفاته الجثمانية

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير قال قال سُلَيمان بن داود المُجَمِّعيّ :

كان قيس بن الخطيم مقرونَ الحاجبين أَدْعَج[3] العينين أحمر الشفتين برّاق الثّنايا

١٥ كأن بينها بَرْقاً، ما رأته حَليلةُ رجل قطُّ إلّا ذهب عقلُها .

أمر حسان الخنساء بهجوه فأبت

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المُجَمِّعيّ قال :

---

(١) كذا في أ ، م . وفي سائر النسخ : « عليهم » .

(٢) كذا في حـ . وفي سائر النسخ : « حسين » وسيأتي قريبا « الحسن » باتفاق النسخ .

٢٠ (٣) الدعج في العين : شدة سوادها مع سعتها .

قال حسّان بن ثابت لخنساء : أُهجى قيسَ بن الخطيم؛ فقالت: لا أهجو أحدا أبدا حتى أراه . قال : فجاءته يوما فوجدته فى مَشْرُقَة[1] ملتفًّا فى كساء له ، فنخَسَتْه برجلها وقالت : قم ، فقام ؛ فقالت : أدبِرْ ، فأدبر ؛ ثم قالت : أقبِلْ ، فأقبل . قال : والله لكأنها تعترض عبدا تشتريه ، ثم عاد الى حاله نائما ؛ فقالت : والله لا أهجو هذا أبدا .

عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة

قال الزُّبير وحدّثنى عمّى مصعَب قال :

كانت عند قيس بن الخطيم حَوّاء بنت يَزيد بن سِنَان بن كُرَيز بن زَعُوراء[2] فأسلمتْ ، وكانت تكتم قيسَ بن الخطيم إسلامَها ، فلما قدِم قيس مكة عرَض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فاستنظره قيس حتى يَقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ؛ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجتنب زوجته حواءَ بنت يزيد ، وأوصاه بها خيرا ، وقال له : إنها قد أسلمت ؛ ففعل قيس وحفظ وصيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « وفَى الأُدَيْعِجُ » .

قال أبو الفرج وأحسَب هذا غلطا من مصعَب ، وأن صاحبَ هذه القصة قيسُ بن شَمّاس ، وأما قيس بن الخطيم فقُتل قبل الهجرة .

قتله الخزرج بعد هدأة الحرب بينهم وبين الأوس

أخبرنى على بن سليمان الأَخْفش النحوىّ عن أبى سَعيد السُّكَّرىّ عن محمد ابن حَبيب عن ابن الأعرابىّ عن المفضّل :

(١) كذا فى ط ، ى ، حـ . والمشرقة مثلثة الراء : موضع القعود فى الشمس بالشتاء . وفى سائر النسخ : «مشربة» وهى (بفتح الراء وضمها) : الغرفة التى يشرب فيها ، وقيل : هى كالصفّة بين يدى الغرفة .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س ، ى . « زعواء » ولم نجد أنه سمى به .

أن حرب الأَوْس والخَزْرَج لما هَدأتْ ، تذكرت الخزرجُ قيسَ بن الخطيم ونكايتَه فيهم ، فتوامروا[1] وتواعدوا قتلَه ؛ فخرج عشيّةً من منزله فى مُلَاءتين يريد مالًا له بالشَّوْط[2] حتى مرّ بأُطُمِ[3] بنى حارثة ، فرُمِىَ من الأطم بثلاثة أسهم ، فوقع أحدها فى صدره ، فصاح صَيْحةً سمعها رَهْطُه ، فجاءوا فحملوه الى منزله ، فلم يَرَوْا له كُفْئًا إلا أبا صَعْصَعة يَزِيدَ بن عَوْف بن مُدْرِك النَّجّارِىَّ ، فٱندسّ اليه رجل حتى ٱغتاله فى منزله ، فضرب عُنُقَه وٱشتمل على رأسه ، فأتى به قيسًا وهو بآخر رَمَق ، فألقاه بين يديه وقال : ياقيس قد أدركتُ بثأرك ، فقال : عضَضْتَ بأيرِ أبيك إن كان غيرَ أبى صَعْصَعة ! فقال : هو أبو صعصعة ، وأراه الرأس ! فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات .

مهاجاته حسان ابن ثابت

وهذا الشعر أَغْنى :

* أجَدّ بعَمْرة غُنْيانُها *

فيما قيل يقوله قيس فى عَمْرة بنت رَوَاحة ، وقيل : بل قاله فى عَمْرةَ : ٱمرأةٍ كانت لحَسّان بن ثابت ، وهى عَمْرة بنت صامت بن خالد . وكان حسّان ذكر[4] ليلى بنت الخَطِيم فى شعره ، فكافأه قيسٌ بذلك ، وكان هذا فى حربهم التى يقال لها يوم الرَّبيع[5] .

فأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال أخبرنا الزُّبير قال حدّثنى مصعَب قال :

(١) توامروا : لغة غير فصيحة فى تآمروا بمعنى تشاوروا . وفى هامش ط : « فتذامروا » بالذال المعجمة ومعناه تحاضّوا على القتال . (٢) الشوط : بستان بالمدينة ، كذا ذكره ياقوت فى معجمه وٱستشهد بأبيات لقيس بن الخطيم منها :

وبالشوط من يثرب أعبد * ستهلك فى الخمر أثمانها

(٣) الأطم : الحصن . (٤) فى ب ، س ، حـ : «يذكر» . (٥) يوم الربيع : يوم من أيام الأوس والخزرج . والربيع موضع من نواحى المدينة .

مَرّ حَسّان بن ثابت بليلى بنت الخَطيم — وقيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحِلْفَ فى قريش — فقال لها حسان: اظْعَنِى فَالْحَقِى بالحىّ فقد ظَعَنوا، وليت شعرى ما خلَّفكِ وما شأنُك : أَقَلّ ناصرُكِ أم راث رافدُكِ[1]؟ فلم تكلّمه وشتَمه نساؤها، فذكرها فى شعره فى يوم الربيع الذى يقول فيه :

١٦٤ / ٢

لقد هاج نفسَك أَشْجانُها * وعاودها اليومَ أَدْيانُها[2]

تذكرتَ ليلَى وأنّى بها * اذا قُطِّعتْ منك أَقْرانُها[3]

وحَجَّل[4] فى الدار غِرْبانُها * وخَفّ من الدار سُكّانُها

وغيّرها مُعْصِراتُ الرِّياح * وسَحُّ الجَنُوب وتَهْتانُها

مَهاةٌ من العِينِ تَمْشى بها * وتَتْبَعُها ثَمّ غِزْلانُها

وقفتُ عليها فساءلْتُها * وقد ظَعَن الحىُّ: ماشانُها

فعَيّتْ وجاوبنى دونَها * بما راع قلبىَ أعوانُها

وهى طويلة . فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التى أوّلها :

* أَجَدّ بعَمْرة غُنْيانُها *

ونَخَر فيها بيوم الرَّبيع وكان لهم فقال :

ونحن الفوارسُ يومَ الرَّبيـ * ـع قد علِمُوا كيف فُرْسانُها

حِسانُ الوجوه حِدادُ السيو * ف يَبْتَدِرُ المجدَ شُبّانُها

وهى أيضا طويلة .

---

(١) كذا فى أ ، م . ورفده : أعانه . وفى سائر النسخ : «وافدك» بالواو. (٢) الأديان : جمع دين وهو الداء ، يريد داء حبه القديم . (٣) الأقران : جمع قرن وهو الحبل . (٤) حجل بالتشديد كحجل بالتخفيف . والحجل : أن يرفع رجلا و يقفز على الأخرى ، و يكون بالرجلين جميعا ، إلا أنه قفز وليس بمشى .

غنت عزة الميلاء النعمان بن بشير بشعره

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرنا الأصمعيّ قال حدّثنى شيخ قدم من المدينة[1]، وأخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسّان عن أبى السائب المخزومىّ، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال ذُكر لى عن جعفر بن مُحْرز[2] السَّدُوسِىّ[3]، قالوا :

٥ دخل النُّعْمان بن بَشير الأنصارىّ المدينةَ أيامَ يزيدَ بنِ معاوية وٱبنِ الزُّبير، فقال : والله لقد اخْفَقتْ أُذُنَاىَ[4] من الغناء فأَسْمِعُونى ؛ فقيل له : لو وجَّهتَ الى عَزّة فإنها من[5] قد عرفتَ! قال : إى وربِّ البيت، إنها لَمِنْ[6] يزيد النفسَ طِيبًا والعقلَ شَحْذا، ابعثوا اليها عن رسالتى، فإن أبتْ صِرْنا اليها؛ فقال له بعض القوم : إن النُّقْلة تشتدّ عليها لِثقَل بدنها وما بالمدينة دابة تحملها؛ فقال النعمان : وأين النجائب

١٠ عليها الهوادج ! فوجّه اليها بنجيب فذ كرتْ علّة، فلما عاد الرسول الى النعمان قال لجليسه أنت كنت أخبرَ بها، قوموا بنا ؛ فقام هو مع خواصّ أصحابه حتى طرَقوها، فأذنتْ وأكرمتْ وٱعتذرتْ، فقبل النعمان عُذرها وقال : غَنِّينى، فغنّته :

أجَدّ بعَمْرة غُنْيانُها * فتهجُرَ أم شأنُنا شأنُها

فأشير اليها أنها أُمّه فسكتتْ ؛ فقال : غنِّينى فوالله ماذكرتِ إلا كرما وطِيبا ! لا تغنّينى

١٥ سائرَ اليوم غيرَه ؛ فلم تزل تغنّيه هذا اللحنَ فقطْ حتى ٱنصرف .

وتذاكروا هذا الحديثَ عند الهَيْثم بن عَدِىّ، فقال : ألا أَزِيدكم فيه طريفةً[7] ! قلنا بَلَى يا أبا عبد الرحمن ؛ قال قال لَقيط : كنت عند سعيد الزُّبيرىّ قال سمعت عامرا الشعبىّ

---

(١) فى بعض النسخ : «شيخ قديم من أهل المدينة» . (٢) فى حـ ، ى : «محمد» .

(٣) فى ب ، س ، حـ : «قال» . (٤) يريد : أوحشت أذناى من الغناء لطول عهدها به .

٢٠ (٥) فى ب ، س : «ممن» . (٦) كذا فى ى ، ط . وفى سائر النسخ : «لممن» .

(٧) كذا فى ا ، ط ، ى . وفى سائر النسخ : «طريقة» بالقاف .

يقول : اشتاق النُّعمان بن بَشير الى الغناء فصار الى منزل عَزّة ، فلما انصرف اذا امرأةٌ بالباب منتظرة له ، فلما خرج شكتْ اليه كثرةَ غِشْيان زوجها إياها ؛ فقال لها النعمان بن بشير : لأَقضِينّ بينكما بقضية لا تُرَدّ علىّ ، قد أحلّ الله له من النساء مَثْنَى وثُلاث ورُباع ، فله امرأتان بالنهار وامرأتان بالليل . فهذا يدلّ على أن المعنيّة بهذا الشعر عمرة[1] بنت رواحة .

١٦٥ / ٢

٥

وأما ما ذُكر أنه عَنَى عَمْرة امرأةَ حسان بن ثابت ، فأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار عن عمه :

أن قيس بن الخطيم لما ذكر حَسّانُ أختَه ليلى فى شعره ذكر امرأته عمرةَ ، وهى التى يقول فيها حسان :

* أَزمعتْ عَمْرة صرْمًا فٱبْتكِرْ *

١٠

حسان بن ثابت وزوجه عمرة بنت الصامت وما قاله فيها من الشعر بعد طلاقها

أخبرنى الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عمّى مصعب قال :

تزوّج حَسّان بن ثابت عمرةَ بنت الصامِت بن خالد بن عطية الأَوْسيّة ثم إحدى بنى عمرو بن عَوْف ، فكان كل واحد منهما معجَبا بصاحبه ، وإن الأَوْس أجاروا مخلَّد بن الصامت الساعِدىّ فقال فى ذلك أبو قيس بن الأَسْلَت :

١٥

أجرتُ مخلَّدا ودفعتُ عنه * وعند الله صالح ما أتيتُ

فتكلم حسان فى أمره بكلام أغضب عمرةَ ، فعيّرتْه بأخواله ونَفَرتْ عليه بالأوس ؛ فغضب لهم فطلقها ، فأصابها من ذلك ندَم وشدّة ؛ وندِم هو بعدُ فقال :

---

(١) لأنها أم النعمان بن بشير (انظر طبقات ابن سعد طبع أوربا ج ٨ ص ٢٦٢ والاصابة طبع مطبعة السعادة ج ٨ ص ١٤٦) .

٢٠

صـــــوت

أزمعتْ[1] عمرةُ صرما فابتكِرْ * إنما يُدْهَنُ[2] للقلبِ الحَصِرْ[3]

لا يكن حبُّكِ حبّا ظاهرا * ليس هذا منكِ يا عَمْرِ بسِرّْ

سألتْ حَسّانَ مَن أخوالُه * إنما يَسأل بالشيء الغُمُرْ[4]

قلتُ أخوالى بنو كَعبٍ اذا * أسلمَ الأبطالُ عوراتِ الدُّبُرْ

يريد يُدْهَن القلبُ ، فأدخل اللامَ زائدةً للضرورة . عمر : ترخيم عمرة . والسر : الخالص الحَسَن . غنّت فى هذه الأبيات عَزّةُ المَيْلاءُ ثانىَ ثقيل بالبِنْصر من رواية حَبَش .

وتمام القصيدة :

رُبَّ خالٍ لىَ لو أبصرتِه * سَبِطِ المِشْية فى اليوم الخَصِرْ[5]

عند هذا الباب إذ ساكَنَه * كلُّ وجهٍ حسنِ النُّقْبةِ[6] حُرّْ

يُوقِدُ النارَ اذا ما أُطْفِئَتْ * يُعْمِل القِدْرَ بأثْبَاجِ الجُزُرْ[7]

---

(١) رواية الديوان و ط ، ى ، ا : «أجمعت» . (٢) يدهن : ينافق ويصانع .

(٣) الحصر : الضيق .

(٤) الغمر مثلثة : من لم يجرب الأمور والجاهل الأبله . (٥) الخصر : البارد . يريد أنه يسعى على الناس لا يقعد عنهم فى اليوم البارد المجدب . وفى اللسان مادة سبط : «سبط الكفين» وهو السمح الجواد . وفى هذه القصيدة سناد التوجيه وهو تغير حركة ما قبل الروىّ المقيد (أى الساكن) بفتحة مع غيرها من ضمة أو كسرة، وهو أقبح أنواع السناد عند الخليل . (٦) النقبة بالضم : اللون، وبالكسر هيئة الانتقاب . (٧) أثباج الجزر : أوساطها ، يقول : اذا أطفئت نيران الناس من الجدب أوقد ناره وأطعم .

من يغُرُّ الدهرُ أو يأمنُه * من قَبيلٍ(1) بعد عمرو وحُجُرْ(2)
ملَكا من جبلِ الثلج الى * جانبَيْ أَيْلَةَ(3) من عبدٍ وحُرّْ
ثم كانا خيرَ من نالَ النَّدَى * سبَقا الناسَ بإقساطٍ(4) وبِرّْ
فارسيْ خيلٍ اذا ما أمسكتْ * ربّةُ الخِدْرِ بأطراف السُّتُرْ
أَتَيَا فارسَ فى دارهمُ * فتناهَوْا بعد إعصارٍ(5) بقُرّْ
ثم نادَوْا يالَغَسّانَ اصبِرُوا * إنه يومُ مَصَاليتَ(6) صُبُرْ
اجعلوا مَعْقِلَها أَيمانَكم * بالصَّفيح المُصْطَفَى غيرِ الفُطُرْ(7)
بضِرابٍ تأذَنُ(8) الجِنُّ له * وطِعانٍ مثلِ أفواه الفُقُرْ(9)
ولقد يعلَمُ مَنْ حارَبنا * أننا نَنفع قِدْمًا ونضُرّْ
صُبُرٌ للموت إن حَلَّ بنا * صادقُو البأسِ غَطاريفُ فُخُرْ
وأقام العِزُّ فينا والغِنَى * فلنا فيه على الناس الكُبُرْ(10)

(١) كذا فى ء ، ط وديوان حسان بن ثابت المطبوع بليدن . وفى سائر النسخ : «من قتيل» بالتاء . (٢) عمرو هو — كما فى شرح ديوان حسان — : عمرو بن الحارث بن عمرو بن عدىّ بن حجر بن الحارث . وحجر، كما فى اللسان مادة حجر، هو حجر بن النعمان بن الحارث بن أبى شَمِر، وكلاهما من ملوك غسان .

(٣) فى شرح ديوان حسان : جبل الثلج بدمشق، وأيلة ما بين الحجاز والشام . (٤) الإقساط : العدل . (٥) الإعصار : الزوبعة . وفى ديوانه : « إعصام » وفسره بالاستمساك، والقر : الاستقرار . وفى م ، ء ، ط : «بعد ما صابت بقر» . وصابت من الصوب وهو النزول . أى نزل الأمر فى قراره فلا يستطاع له تحويل . وهو مثل يضرب للشدّة اذا نزلت بقوم . (٦) المصاليت : جمع مصلات وهو الشجاع . (٧) الفطر : جمع فطير ، والفطير من السيوف : المتثلم . (٨) تأذن : تستمع . (٩) الفقر : جمع فقير وهو مخرج الماء من فم القناة . (١٠) الكبر بضم فسكون أو كسر فسكون : الشرف ، وقد حركت الباء هنا لضرورة الشعر ، إذ للشاعر أن يحرك الساكن فيما قبل القافية بحركة ما قبله .

مِنهُمُ أَصْلِي فمن يفْخَرْ به * يَعرِفِ(١) الناسُ بفخرِ المفتخِرْ

نحن أهلُ العزِّ والمجد معا * غيرُ أنكاسٍ(٢) ولا مِيلٍ عُسُرْ

فاسألوا عنا وعن أفعالنا * كلُّ قومٍ عندهم علمُ الخَبَرْ

قال الزبير فحدّثني عمّي قال : ثم إن حسّان بن ثابت مرّ يوماً بنسوة فيهن عَمْرة بعد ما طلّقها، فأعرضتْ عنه وقالت لامرأة منهنّ : اذا حاذاكِ هذا الرجلُ فاسأليه مَنْ هو وانسُبِيه وانسُبِي أخوالَه وهى متعرِّضة له، فلما حاذاهنّ سألتْه مَنْ هو ونسبتْه فانتسب لها، فقالت : فمَنْ أخوالُك؟ فأخبرها، فبصَقتْ عن شِمالها وأعرضتْ عنه؛ فحدّد النظرَ اليها وعجِب من فعلها وجعلَ ينظر اليها، فبصُر بامرأته وهى تضحك فعرفها وعلم أن الأمر من قِبَلها أتى، فقال فى ذلك :

قالت له يوماً تخاطِبُه * رَيّا(٣) الروادفِ غادةُ الصُّلْبِ

أما المروءةُ والوَسامةُ أو * حُشُمُ(٤) الرجال فقد بدا، حَسْبِي

فوَدِدْتُ أنك لو تُخَبِّرنا * مَنْ والداكَ ومنصِبُ(٥) الشَّعْبِ(٦)

فضحكتُ ثم رفعتُ متّصِلاً(٧) * صوتى كرفعِ(٨) المنطق الشَّغِبِ(٩)

---

(١) يعرف : يقر و يعترف . (٢) النكس : الضعيف الدنىء : والميل : جمع أميل وهو الذى به ميل خلقة ، وعسر جمع أعسر وهو الذى يعمل بشماله . (٣) فى ديوانه : نفج الحقيبة ، والحقيبة : الردف . (٤) كذا فى أغلب النسخ ، والحشم كما فى اللسان : الاستحياء . وقد كتب مصححه عليه أنه هكذا بدون ضبط وذكر أنه مضبوط بالتحريك فى نسخة غير موثوق بها من التهذيب . وفى ط ، ح ، ء : « جسم الرجال » . وفى ديوانه : « رأى الرجال » . (٥) المنصب : الأصل والمحتد . (٦) قال صاحب الكشاف : الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة ، فالشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن يجمع الأفخاذ ، والفخذ تجمع الفصائل . (٧) متصلا : منتسبا ، من قولهم : اتصل الى بنى فلان : انتمى وانتسب . (٨) كذا فى هامش ط . وفى ديوانه ، ح : «أوان المنطق الشغب» . وفى سائر النسخ : «ورفع المنطق الشغب» .

جَدِّى أبو لَيْلَى ووالدُه ٭ عمْرٌو وأخوالى بنو كَعْبِ
وأنا من القوم الذين اذا ٭ أَزَمَ[1] الشتاءُ بحَلْقة الجَدْبِ
أعطَى ذوو الأموال مُعْسِرَهم ٭ والضاربين بمَوْطِن الرُّعْبِ

قال مصعب : وأبو ليلى الذى عناه حسّان : حَرام بن عمرو بن زَيْد مَنَاة .

ومما فيه صنعة من المائة المختارة من شعر قيس بن الخطيم :

صوت

حَوْراءُ مَمْكُورةٌ[2] منعَّمةٌ ٭ كأنما شَفَّ وجهَها نُزُفُ[3]
تنامُ عن كُبْرِ شأنها فإذا ٭ قامتْ رُويدًا تكاد تنقصفُ
أوحشَ من بَعْدِ خُلَّةٍ سَرِفُ[4] ٭ فالمُنْحَنَى فالعَقيقُ فالجُرُفُ

الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث . والغناء لقَفَا النَّجّار ، ولحنُه المختارُ ثانى ثقيل ، هكذا ذكر يحيى بن علىّ فى الاختيار الواثقىّ . وهو فى كتاب إسحاق لقفا النجّار ثقيل أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البِنصر ، ولعلّه غير هذا اللحن المختار .

الحرب بين مالك ابن العجلان وبنى عمرو بن عوف وسبب ذلك

وهذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم فى حربٍ كانت بينهم وبين بنى جَحْجَبَى وبنى خَطْمَةَ ، ولم يشهدها قيس ولا كانت فى عصره ، وإنما أجاب عن ذكرها شاعرا منهم يقال له : دِرْهم بن يَزيد . قال أبو المِنهال عُيَيْنةُ[5] بن المِنهال : بعث رجل من غَطَفانَ من بنى ثَعْلبة بن سعد بن ذُبيان الى يَثْرِب بفرَسٍ وحُلّةٍ مع رجل من غَطَفانَ وقال :

---

(١) أزم : اشتدّ . (٢) المكورة : المدمجة الخلق . (٣) النزف بضم فسكون وحرك هنا للضرورة : خروج الدم . وفى شرح ديوان قيس بن الخطيم : « قال العدوى : أراد أن فى لونها مع البياض صفرة ، وذلك أحسن » . (٤) سرف : موضع على ستة أميال من مكة ، وهو مصروف وبعضهم يمنع صرفه على أنه اسم للبقعة . والمنحنى والعقيق والجرف : أسماء مواضع .

(٥) كذا فى ب ، س ، ط . وفى أ ، م : « عيينة » . وفى ء : « عتبة » .

ادفعهما الى أعز أهلِ يثربَ — قال وقيل : إن الباعث بهما عَبْدُ يَالِيلَ[1] بن عمرو الثَّقفيّ. قال وقيل : بل الباعثُ بهما عَلْقمةُ بن عُلاثةَ — فجاء الرسولُ بهما حتى ورد سوقَ بنى قَيْنُقَاع فقال ما أُمِرَ به، فوثَب اليه رجلٌ من غَطَفان كان جاراً لمالك بن العَجْلان الخَزْرَجِىّ يقال له كعب الثَّعْلَبىّ ، فقال : مالك بن العَجْلان أعزّ أهل يثرب ؛ وقام رجل آخر فقال : بل أُحَيْحَةُ بن الجُلَاح أعزّ أهل يثرب ، وكثر الكلام ؛ فقَبِل الرسولُ الغطفانىّ قولَ الثعلبىّ الذى كان جاراً لمالك بن العَجْلان ودفعهما الى مالك؛ فقال كعب الثعلبىّ : ألم أقل لكم : إن حَلِيفى أعزّكم وأفضلُكم ! فغضب رجلٌ من بنى عمرو بن عَوْف يقال له سُمَيْر فرصَد الثعلبىَّ حتى قتله ، فأُخبر مالك بذلك ، فأرسل إلى بنى عَوْف بن عمرو بن مالك بن الأوس : إنكم قتلتم منّا قتيلا فأَرسلوا الينا بقاتله ؛ فلما جاءهم رسول مالك تَرَامَوْا به : فقالت بنو زيد : إنما قتلته بنو جحجبى، وقالت بنو جَحْجَبَى : إنما قتلته بنو زيد ؛ ثم أرسلوا الى مالك : إنه قد كان فى السوق التى قُتِل فيها صاحبكم ناسٌ كثير، ولا يُدْرَى أيُّهم قتَله ؛ وأمر مالكٌ أهلَ تلك السوق أن يتفرّقوا ، فلم يبق فيها غيرُ سُمَير وكعب ، فأرسل مالك الى بنى عمرو بن عوف بالذى بلَغه من ذلك وقال : إنما قتله سُمَير، فأرسلوا به الىّ أقتلْه ؛ فأرسَلوا اليه : إنه ليس لك أن تقتل سُمَيرا بغير بيّنة ؛ وكَثُرت الرسلُ بينهم فى ذلك : يسألهم مالك أن يُعطوه سُمَيرا و يأبَوْن أن يُعطوه إياه . ثم إن بنى عمرو ابن عوف كَرِهوا أن يُنْشِبوا بينهم و بين مالك حرباً ، فأرسلوا اليه يَعْرِضون عليه الدِّيَةَ فقبِلها ؛ فأرسَلوا اليه : إن صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلا نصفُ الدية ، فغضب مالك وأبى أن يأخذ فيه إلا الديةَ كاملة أو يقتلَ سُميرا ؛ فأبت بنو عمرو ابن عوف أن يعطوه إلّا ديةَ الحليف وهى نصف الدية ، ثم دعَوْه أن يَحْكُم بينهم

(١) عبد ياليل : رجل كان فى الجاهلية ، و ياليل : صنم أضيف اليه كعبد يغوث وعبد مناة وعبد ودّ وغيرها .

وبينه عمرو بن آمرئ القيس أحد بنى الحارث بن الخزرج وهو جدّ عبد الله بن رَوَاحةَ ففعل؛ فآنطلقوا حتى جاءوه فى بنى الحارث بن الخزرج، فقضى على مالك ابن العَجْلان أنه ليس له فى حليفه إلّا دية الحليف، وأبى مالكٌ أن يرضَى بذلك وآذَن بنى عمرو بن عوف بالحرب، وآستنصر قبائلَ الخزرج، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصُره غضبًا حين ردّ قضاءَ عمرو بن آمرئ القيس؛ فقال مالك بن العجلان يذكر خِذْلانَ بنى الحارث بن الخزرج له وحَدبَ بنى عمرو بن عوف على سُمَير، ويحرّض بنى النجّار على نُصْرته :

إن سُمَيرا أرَى عشــيرتَه * قد حَدِبُوا دونَه وقد أَنِفُوا
إن يكن الظنُّ صادقًا ببنى النّجّار لا يَطْعَمُـــوا الذى عُلِفُوا
لا يُسْـــلِمُونا لمعشرٍ أبدًا * ما دام منّا ببَطْنها شَرَفُ (١)
لكنْ مَوَالىَّ قــد بدا لهــمُ * رأىٌ سوى ما لدىَّ أو ضَعُفُوا

[يقال : عُلِفوا الضيمَ اذا أقرّوا به، أى ظنّى أنهم لا يقبلون الضيم] (٢) .

صــــوت

بينَ بنى جَحْجَبَى وبين بنى * زيدٍ فأنّى لجارِىَ التَّلَفُ (٣)
يمشون فى البَيْض والدروع كما * تمشى جِمالٌ مَصَاعبٌ قُطُفُ (٤)
كما تَمَشَّى الأسودُ فى رَهَجِ الـ * ـموتِ اليه وكلُّهم لَهِفُ (٥)

(١) الشرف : الشريف، يقال هو شرف قومه وكرمهم أى شريفهم وكريمهم . (٢) هذه الزيادة فى أ، م، ط وساقطة من باقى النسخ . (٣) كذا فى أ . وفى م، ط وهامش أ : «فأنى لجارك التلف» . وفى سائر النسخ : «فأنى تخاذل السلف» . (٤) البيض : جمع بيضة وهى ما يلبس على الرأس من حديد كالخوذة للوقاية فى الحرب، والمصاعب : جمع مصعب وهو الفحل الذى لم يركب ولم يمسه حبل حتى صار صعبا . والقطف : السريعة الخطو . (٥) الرهج : الغبار .

غنّى فى هـذه الأبيات مَعْبد خفيفَ ثقيلٍ عن إسحاق ، وذكر الهِشَامىّ أن فيه لحنًا من الثقيل الأوّل للغَرِيض :

وقال درهم بن يزيد بن ضُبَيْعة أخو سُمَير[1] فى ذلك :

يا قومِ لا تقتلوا سُمَيرًا فإنّ * القتلَ فيه البَوارُ والأسفُ

إن تقتُلوه تَرِنَّ[2] نِسْوتُكم * على كريمٍ ويَفْزَعِ السَّلَفُ

إنى لَعَمْرُ الذى يَحُجُّ له النّـا * سُ ومن دونِ بيتِه سَرِفَ

يمينُ بَرٍّ بالله مجتهِدٍ * يَحْلِف إن كان ينفع الحَلِفُ

لا نرفَعُ العبدَ فوقَ سُنَّتِه * ما دام منّا ببَطْنِها شَرَفُ

إنك لاقٍ غدًا غُوَاةَ بنى * عَمِّى فانظرْ ما أنت مُزْدَهِف[3]

فأَبْدِ سِيماكَ يعرفوكَ كما * يُبْدُون سِيماهُمُ فتعترفُ

معنى قوله " فأبد سيماك " : أن مالك بن العَجلان كان اذا شهد الحربَ يغيّر لباسه ويتنكّر لئلا يُعرف فيُقصَد .

وقال درهم بن زيد[1] فى ذلك :

يا مالِ لا تَبْغِيَنْ ظُلامتَنا * يا مالِ إنّا مَعاشرٌ أُنُفُ

يا مالِ والحقُّ إن قَنِعتَ به * فيه وفينا لأمرنا نَصَفُ

إنّ بُجَيرًا عبدٌ نَخُذْ ثمنًا * فالحقُّ يُوفَى به ويُعترَفُ

ثم اعلَمَنْ إن أردتَ ضَيْمَ بنى * زَيدٍ فإنّى ومَن له الحَلِفُ

---

(١) كذا تقدّم هذا الاسم فى ص ١٨ من هذا الجزء وسيذكر أخوه سمير باسم سمير بن يزيد فى ص ٤٠ من هذا الجزء . وفى ء وهامش ط : « دلهم بن زيد » . وفى باقى النسخ : « درهم بن زيد » .

(٢) ترن نسوتكم : يرفعن أصواتهن بالبكاء .

(٣) مزدهف : مقتحم ، أى انظر ما أنت مقتحمه ومقدم عليه من الشر .

لأُصْبِحَنْ دارَكم بذى لَجَبٍ * جَوْنٍ له من أمامِه عَزَفُ[1]

البَيْضُ حِصْنٌ لهم اذا فَزِعُوا * وسابِغاتٌ كأنها النُّطَفُ[2]

والبِيضُ قد ثُلِّمَت مضارِبُها * بها نفوسُ الكُماةِ تُختَطَفُ

كأنها فى الأكُفِّ إذ لَمَعَتْ * وَمِيضُ برقٍ يبدو وينكسِفُ[3]

وقال قيس بن الخطيم الظَّفَرِىّ أحد بنى النَّبيت فى ذلك، ولم يدركه وإنما قاله بعد هذه الحرب بزمان، ومن هذه القصيدة الصوت المذكور:

رَدَّ الخَلِيطُ الجِمالَ فانصرفوا * ما ذا عليهم لو أنهم وقَفُوا

لو وقَفوا ساعةً نسائلُهم * رَيْثَ يضحِّى جِمالَه السَّلَفُ[4]

فيهم لَعُوبُ العِشاءِ آنسةُ الـ * ـدَّلِّ عَرُوبٌ يَسُوءها الخُلُفُ[5]

بين شُكُولِ النساءِ خِلقَتُها * قَصْدٌ فلا جَبْلةٌ ولا قَضَفُ

تَنامُ عن كُبْرِ شأنِها فاذا * قامت رُوَيدًا تكاد تَنْغَرِفُ[6]

تَغْتَرِقُ الطَّرْفَ وهى لاهيةٌ * كأنما شَفَّ وجهَها نُزُفُ[7]

(١) كذا فى ب، س، حـ . والعزف: الصوت وحرك للضرورة . وفى سائر النسخ: «عرف» بالراء المهملة . (٢) النطف: (بالتحريك أو بضم الأول وفتح الثانى): جمع نطفة (بالتحريك أو الضم) وهى اللؤلؤة الصافية اللون أو قطرة الماء . وكلاهما تشبه بها الدروع لصفائها .

(٣) كذا فى ط، ء . وفى سائر النسخ: «وينكشف» . (٤) الريث: مقدار المهلة من الزمان . ويضحى من الضحاء وهو أن يرعى الابل ضحى، والسلف: القوم الذين يتقدمون الظعن ينفضون الطرق . (٥) لعوب العشاء: تسمر مع السمار وتلهو . والعروب: الحسناء المتحببة الى زوجها، وقيل: الضحاكة . (٦) تنغرف: تنقصف من دقة خصرها، وفى رواية مرت فى ص ١٨ «تنقصف» . (٧) يريد: من نظر اليها استغرقت طرفه وبصره وشغلته عن النظر الى غيرها وهى لاهية غير محتفلة .

حوراء[1] جيداء يُستضاء بها * كأنها خوط بانة قصف[2]

قضى لها الله حين صوّرها الـ * خالق أن لا يُكنّها سدف[3]

خود يغث الحديث ما صمتت[4] * وهو بفيها ذو لذة طرف[5]

تخزنه وهو مشتهى حسن * وهو اذا ما تكلمت أنف[6]

٥ وهى طويلة يقول فيها :

١٦٩/٢

أبلغ بنى جحجبى وإخوتهم * زيداً بأنا وراءهم أنف[7]

إنا وإن قل نصرنا لهم * أكبادنا من ورائهم تجف

لما بدت نحونا جباههم * حنت الينا الأرحام والصحف[8]

نفلى بحد الصفيح هامهم * وفليُنا هامهم بها جنف[9]

١٠ يتبع آثارها اذا اختلجت * سخن عبيط عروقه تكف[10]

إن بنى عمنا طغوا وبغوا * ولج منهم فى قومهم سرف

(١) الحوراء : ذات الحور ، وهو سعة العين ، أو شدة سواد الحدقة مع شدة بياضها . والجيداء : الطويلة الجيد . والخوط : الغصن . (٢) كذا فى أغلب النسخ . ومعناه الخوار الناعم المثنى . وفى ب ، س ، حـ : « قضف » بالضاد المعجمة . (٣) كذا فى أغلب

١٥ النسخ ، والسدف : الظلمة ، والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة . وفى ى : « شدف » وهى بمعنى السدف . وفى ب ، س : « صدف » . (٤) هذه رواية أبى عمرو كما فى شرح ديوانه . ورواية ديوانه : * ولا يغث الحديث ما نطقت * والخود : الشابة الناعمة ما لم تصر نصفا . (٥) الطرف : المستطرف المحبوب . (٦) الأنف : المستأنف الجديد .

(٧) أنف : ذوو أنفة تدفع الضيم عنهم وتنصرهم . ورواية الديوان :

٢٠ أبلغ بنى جحجبى وقومهم * خطمة أنا وراءهم أنف

(٨) الصحف : العهود . (٩) يقال : فلاه بالسيف اذا علاه . والصفيح : جمع صفيحة وهى السيف العريض . والجنف : انحراف وميل عما توجبه القربى والرحم . وفى حـ وهامش ط والديوان : « عنف » بدل « جنف » وقال فى شرحه : « يريد أن قتلنا إياهم عنف منا لأنهم قومنا وبنو عمنا » .

(١٠) اختلجت : انتزعت . وسخن عبيط : دم طرى ساخن .

فردّ عليه حسّان بن ثابت ولم يدرك ذلك :

ما بالُ عينيك دمعُها يَكِفُ(١) * من ذكر خَوْدٍ شَطَّت بها قَذَفُ(٢)

بانتْ بها غَرْبَةٌ تؤم بها * أرضًا سوانا والشكل مختلفُ

ماكنتُ أَدْرى بوَشْكِ بَيْنِهِمُ * حتى رأيتُ الحُدوجَ تَنقذفُ

دَعْ ذا وعَدِّ القَرِيضَ فى نَفَرٍ * يَرْجُون مدحى ومدحىَ الشرفُ

إن تَدْعُ قومى للمجد تُلْفِهِمُ * أهلَ فَعالٍ يبدو إذا وُصِفُوا

إن سُمَيرا عبدٌ طغَى سَفَهًا * ساعده أعبُدٌ لهم نَطَفُ(٣)

قال : ثم أرسل مالكُ بن العَجْلان الى بنى عمرو بن عوف يُؤذِنُهم بالحرب، ويَعِدُهم يوما يلتقون فيه، وأمَر قومَه فتهيَّئوا للحرب، وتحاشد الحيّان(٤) وجمع بعضهم لبعض . وكانت يَهُودُ قد حالفتْ قبائلَ الأَوْس والخَزْرج، إلّا بنى قُرَيظة وبنى النَّضير فإنهم لم يحالفوا أحدا منهم، حتى كان هذا الجمع، فأرسلت اليهم الأوسُ والخزرج، كلٌّ يدعوهم الى نفسه، فأجابوا الأوسَ وحالفوهم، والتى حالفتْ قُرَيظةُ والنَّضيرُ من الأوس أوسُ الله وهى خَطْمَةُ ووَاقِفُ وأُمَيَّةُ ووَائِلُ، فهذه قبائلُ أوس الله . ثم زحَف مالكٌ بمَن معه من الخزرج، وزحفت الأوسُ بمن معها من حلفائها من قُرَيظة والنضير، فالتقَوْا بفضاء كان بين بئر سالِمٍ(٥) وقُبَاء، وكان أوّل يوم التقَوْا فيه، فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم انصرفوا وهم متنصِفُون جميعا، ثم التقَوْا مرة أخرى عند

(١) فى ديوانه : * ما بال عيني دموعها تكف *

(٢) قذف : بعيدة، يقال : نوى قذف ونية قذف : أى بعيدة تقذف بمتويها . (٣) النطف بالتحريك : القرط، وغلام منطف ووصيفة منطفة بتشديد الطاء وفتحها أى مقرطة، قال الأعشى :

يسعى بها ذو زجاجات له نطف * مقلص أسفل السربال معتمل

(٤) فى أ، م، ى، ط : «وتحاشد الحيان بعضهم لبعض» . (٥) فى أكثر النسخ «بنى سالم» ولعلها محرفة عن بئر سالم التى أثبتناها فى الأصل وفى ط، ى : «سالم» .

أُطُمِ بنى قَيْنُقَاع، فاقتتلوا حتى حجز الليلُ بينهم، وكان الظَّفَر يومئذ للأوس على الخزرج، فقال أبو قَيْس بن الأَسْلَت فى ذلك :

لقد رأيتُ بنى عمرو فما وهَنُوا * عند اللقاء وما هَمُّوا[1] بتكذيبِ

ألَا فِدًى لهُمُ أمّى وما ولَدتْ * غداةَ يَمْشُون إرْقالَ المَصاعيبِ

٥ بكلِّ سَلْهَبةٍ[2] كالأيْمِ ماضيةٍ * وكلِّ أبيضَ ماضى الحدّ مخشوبِ

— أصل المخشوب: الحديث الطبع، ثم صار كل مصقول مخشوبا، فشبهها بالحية فى انسلالها — قال : فلبث الأوسُ والخزرج متحاربين عشرين سنة فى أمر سُمَير يتعاودون القتالَ فى تلك السنين، وكانت لهم فيها أيامٌ ومواطنُ لم تُحفظ، فلما رأت الأوسُ طولَ الشرّ وأن مالكا لا يَنْزِع[3]، قال لهم سُوَيد بن صامت الأوسىّ — وكان

١٠ يقال له الكاملُ فى الجاهلية، وكان الرجل عند العرب[4] إذا كان شاعرا شجاعا كاتبا سابحا راميا سمَّوه الكاملَ، وكان سويدٌ أحدَ الكَمَلَة — : يا قوم، أَرْضُوا هذا الرجل من حليفه، ولا تقيموا على حرب إخوتكم فيقتلَ بعضُكم بعضا ويطمعَ فيكم غيرُكم، وإن حَمَلْتم على أنفسكم بعضَ الحَمْل . فأرسلت الأوسُ الى مالك بن العَجْلان يَدْعونه الى أن يحكُم بينه وبينهم ثابتُ بن المُنْذِر بن حَرَام أبو حَسّان بن ثابت، فأجابهم الى ذلك،

١٥ فخرجوا حتى أتَوْا ثابتَ بن المنذر، وهو فى البئر التى يقال لها سُمَيْحة[5]، فقالوا : إنا قد حَكّمناك بيننا، فقال: لا حاجةَ لى فى ذلك، قالوا : ولِمَ ؟ قال: أخاف أن تردّوا حُكمى

١٧٠/٢

(١) فى أ ، م : «ولا هموا» .

(٢) السلهبة من الخيل : الطويلة على وجه الأرض . (٣) ينزع : يكف وينتهى .

(٤) كذا فى أ ، م ، ط . وفى سائر النسخ : «وكان الرجل فى الجاهلية» .

٢٠ (٥) هى بئر بالمدينة وقيل بناحية قديد، قال السكرى : يروى سميحة (بالتصغير) وسميحة (بفتح السين وكسر الميم) ومسيحة .

كما رددتم حكم عمرو بن آمرئ القيس؛ قالوا : فإنا لا نرد حكمك فاحكم بيننا؛ قال: لا أحكم بينكم حتى تعطونى موثقا وعهدا لترضون بحكمى وما قضيت به ولتسلمن له؛ فأعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم ، فحكم بأن يودى حليف مالك دية الصريح ثم تكون السنة فيهم بعده على ما كانت عليه : الصريح على ديته والحليف على ديته، وأن تعد القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض فى حربهم [ثم يكون بعض ببعض] ثم يعطوا الدية لمن كان له فضل فى القتلى من الفريقين، فرضى بذلك مالك وسلمت الأوس وتفرقوا على أن على بنى النجار نصف دية جار مالك معونة لإخوتهم، وعلى بنى عمرو بن عوف نصفها؛ فرأت بنو عمرو بن عوف أنهم لم يخرجوا إلا الذى كان عليهم، ورأى مالك أنه قد أدرك ما كان يطلب، وودى جاره دية الصريح . ويقال : بل الحاكم المنذر أبو ثابت .

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى ب، س، ح : «فى الصريح ... ...» بزيادة «فى» .

(٢) هذه الجملة ساقطة من ب، س، ح .

ذكر طويس وأخباره[1]

اسمه وكنيته

طُوَيْس لقبٌ غلَب عليه ، وٱسمه عيسى بنُ عبد الله ، وكنيته أبو عبد المُنْعِم وغيّرها المخنّثون فجعلوها أبا عبد النّعِيم ، وهو مَوْلَى بنى مَخْزوم . وقد حدّثنى جَحْظَةُ عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِدىّ عن ابن أبى الزِّنَاد : قال سعد بن أبى وَقّاص : كُنِيَ طويس أبا عبد المُنْعِم .

أوّل من غنى بالعربية فى المدينة وألقى الخنث بها

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المُسَيّبِي[2] ومحمدِ بن سَلّام الجُمَحِيّ ، وعن الواقدىّ عن ابن أبى الزِّنَاد ، وعن المدائنى عن زيد بن أَسْلَمَ عن أبيه ، وعن ابن الكلبىّ عن أبيه وعن أبى مِسكين ، قالوا :

أوّل من غنّى بالعربىّ بالمدينة طويسٌ ، وهو أوّل من ألقى الخَنَث بها ، وكان طويلا أحول يُكنى أبا عبد المنعم ، مولى بنى مخزوم ، وكان لا يضرب بالعود ، إنما كان ينقُر بالدُّف ، وكان ظريفا عالما بأمر المدينة وأنساب أهلها ، وكان يُتّقَى للسانه . قالوا[3] : وسئل عن مولده فذكر أنه وُلد يوم قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وفُطم يوم مات أبو بكر ، وخُتن يوم قتل عمر ، وزُوّج يوم قُتل عثمان ، ووُلد له يوم قُتل علىّ رضوان الله عليهم أجمعين . قال وقيل : إنه وُلد له يوم مات الحسن بن علىّ

شؤمه

---

(١) تكررت ترجمة طويس فى كتاب الأغانى ، فقد ترجم له المؤلف هنا وأعاد ترجمته فى الجزء الرابع . ولم نشأ أن نضم الترجمتين فى باب واحد لأنا وجدنا النسخ المخطوطة فى دار الكتب كالنسخ المطبوعة . ويغلب على ظننا أن ذلك من صنع أبى الفرج نفسه ، ولعل ذلك راجع الى أنه سها عن هذه الترجمة فترجم له الترجمة الثانية . وواجب الأمانة فى النقل وفى مراعاة ترتيب الكتاب أن نترك الترجمتين كما هما كل على حدة كما وضعهما مؤلفهما أو كما وردا كذلك فى نسخ الأغانى . (٢) كذا فى أ ، م وهو محمد بن إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن المخزومى المسيبى المدنى نزيل بغداد توفى سنة ٢٣٦ هـ وكان معاصرا لإسحاق الموصلى الذى توفى سنة ٢٣٥ هـ . وفى سائر النسخ : «الشعبي» وهو تحريف لأنه توفى سنة ١٠٣ هـ .
(٣) فى أكثر النسخ «قال» . وفى ب ، سـ ، حـ : «قالوا» .

عليهما السلام . قال : وكانت أمى تمشى بين نساء الأنصار بالنَّميمة . قالوا : وأوّل غناء غنّاه وهزج به[1] :

صـــوت

كيف يأتى من بعيـد * وهو يُخْفيـه القريب
نازحٌ بالشـام عنـا * وهو مِكْسالٌ هَيُوبُ
قـد برانى الحبُّ حتى * كدتُ من وَجْدى أذوبُ

١٧١/٢ الغناء لطُويس هزجٌ بالبنصر .

قال إسحاق : أخبرنى الهَيْثم بن عدىّ قال قال صالح بن حَسّان الأنصارىّ أنبأنى أبى قال :

اجتمع يومًا جماعةٌ بالمدينة يتذاكرون أمر المدينة الى أن ذكروا طويسا ، فقالوا : كان وكان ، فقال رجل منا : أَمَا لو شاهدتموه لرأيتم ما تُسَرُّون به علمًا وظَرْفًا وحسنَ غناء وجودةَ نَقْرٍ بالدفّ ، ويُضحك كلَّ ثكلى حَرَّى ، فقال بعض القوم: والله إنه على ذلك كان مشئوما ، وذكر خبر ميلاده كما قال الواقدى ، إلا أنه قال : وُلد يوم مات نبيّنا صلى الله عليه وسلم ، وفُطِم يوم مات صدِّيقُنا ، وخُتِن يوم قُتِل فاروقُنا ، وزُوّج يوم قُتل نورُنا ، وولد له يوم قُتل أخو نبينا[2] ، وكان مع هذا مخنّثا يَكيدنا ويطلُب عَثَراتنا ، وكان مُفْرطا فى طُوله مضطربًا فى خَلْقه أحولَ . فقال رجل من جِلّة أهل المجلس : لئن كان كما قلتَ لقد كان مُمْتِعا فَهِمًا يُحسن رِعايةَ من حَفِظ له حقَّ المجالسة ، ورعايةَ حُرْمة الخِدْمة ، وكان لا يحمل قولَ من لا يَرْعَى له بعضَ ما يَرْعاه له . ولقد كان مُعظِّمًا لمواليه بنى مخزوم ومَنْ والاهم من سائر قريش ، ومسالمًا لمن عاداهم دون التَّحَكُّك به ، وما يلام من قال بعلم وتكلّم على فهم ، والظالم

كان يحب قريشا ويحبونه

(١) فى أ ، م ، ء ، ط : « وهزج هزجه » . (٢) كان أبو بكر يلقب بالصديق ، وعمر بالفاروق ، وعثمان بذى النورين ، ويشير بقوله "أخو نبينا" الى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم .

المَلوم، والبادئ أظلم. فقال رجل آخر: لئن كان ما قلتَ لقد رأيتُ قريشا يَكْتَنِفُونه ويُحْدِقون به ويُحبّون مجالستَه ويُنْصِتون الى حديثه ويتَمَنَّوْن غناءه، وما وضعه شيء إلا خَنَثُه، ولولا ذلك ما بقِيَ رجلٌ من قريش والأنصار وغيرهم إلا أَدْناه .

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيمُ بن المهديّ قال حدّثني إسماعيل بن جَامِع عن سِيَاط قال:

كان أوّل من تَغَنَّى بالمدينة غناءً يدخُل في الإيقاعِ[1] طويس، وكان مولدُه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفِطامُه في اليوم الذي تُوُفِّي فيه أبو بكر، وخِتانُه في اليوم الذي قُتِل فيه عمر، وبناؤه بأهله في اليوم الذي قتل فيه عثمان، ووُلِد له يوم قتل عليّ رضوان الله عليهم أجمعين، ووُلِد وهو ذاهبُ العينِ اليمنى. وكان يلقَّب بالذائب، وإنما لُقِّب بذلك لأنه غنى:

كان يلقب بالذائب وسبب ذلك

قــد براني الحبُّ حتى * كدتُ من وَجْدِي أَذُوبُ

مروان بن الحكم والعاشي المخنث

أخبرني الحسين عن حَمّاد عن أبيه قال أخبرني ابنُ الكلبيّ عن أبي مِسْكين قال:

كان بالمدينة مخنَّث يقال له النُّغَاشِيّ، فقيل لمَرْوانَ بنِ الحَكَم: إنه لا يقرأ من كتاب الله شيئا، فبعث اليه يومئذ، وهو على المدينة، فاستقرأه أمَّ الكتاب، فقال: والله ما معي بناتُها، أَوْ ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أُمَّهنّ! فقال: أتهزأ لا أمَّ لك! فأمر به فقُتِل في موضع يقال له بَطحان[2]، وقال: من جاءني بمخنَّث فله عشرة دنانير. فأُتِيَ طويسٌ وهو في بني الحارث بن الخَزْرَج من المدينة، وهو يغنِّي بشعر حسّان ابن ثابت:

طلبه مروان في المخنثين ففر منه حتى مات

(١) الإيقاع: بناء ألحان الغناء على موقعها وميزانها.

(٢) بطحان — بفتح أوله وكسر ثانيه كما ضبطه أهل اللغة —: واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة: العقيق و بطحان وقناة. والمحدّثون ينطقونه بضم أوله وسكون ثانيه.

لقد هاج نفسَك أشجانُها * وعاودها اليومَ أديانُها
تذكَّرتَ هندًا وما ذكرها * وقد قُطِّعت منك أقرانُها
وقفتُ عليها فساءلتُها * وقد ظعَن الحىُّ ما شانُها
فصدَّتْ وجاوب من دونها * بما أوجع القلبَ أعوانُها

١٧٢/٢ فأُخبر بمقالة مَرْوان فيهم ؛ فقال : أمَا فضَّلنى الأمير عليهم بفضل حتى جعل ٥ فىَّ وفيهم أمرًا واحدا ! ثم خرج حتى نزل السُّوَيداءَ — على ليلتين من المدينة فى طريق الشأم — فلم يَزَل بها عُمرَه، وعُمِّر حتى مات فى ولاية الوَليد بن عبد الملك .

هيت المخنث وبادية بنت غيلان

قال إسحاق وأخبرنى ابن الكلبىّ قال أخبرنى خالد بن سعيد عن أبيه وعَوَانةُ قالا :

قال هِيتُ[1] المخنَّث لعبد الله بن أبى أُمَيَّة : إنْ فَتح الله عليكم الطائفَ فسَلِ ١٠ النبىَّ صلى الله عليه وسلم باديةَ بنت غَيْلان بن سَلَمة بن معتِّب، فإنها هَيْفاءُ شَمُوعٌ[2] نَجْلاء، إن تكلّمت تغنَّت، وإن قامت تثنَّت، تُقْبِل بأَربع وتُدْبِر بثَمان[3]، مع ثغر كأنه الأُقْحُوَان، وبين رجلَيها كالإناء المكْفُوء[4]، كما قال قيس بن الخطيم :

تَغْتَرِقُ الطرفَ وهى لاهيةٌ * كأنما شَفَّ وجهَها نُزُفُ
بين شُكُول النساءِ خِلقتُها * قَصْدٌ فلا جَبْلةٌ ولا قَضَفُ ١٥

(١) كذا فى ى ، ط ، سـ . وفى ب : «هنب» وقد رواه أصحاب الحديث هكذا : «هيت» وبعضهم يقول : ان هذا تصحيف من الرواة وصوابه «هنب» بالنون والباء . والأزهرى يرجح أن يكون «هيت» صوابا لأنه رواه كذلك الشافعى وغيره من كبار الأئمة (انظر القاموس وشرحه واللسان فى مادتى هنب وهيت) . (٢) الشموع : اللعوب الضحوك . (٣) يريد أن عكن بطنها اذا أقبلت أربع واذا أدبرت ثمان كما فسره ابن عبد ربه فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٨٤ فى باب صفات النساء . ٢٠
(٤) فى ب ، سـ : «وبين رجليها المكفأ كالإناء المكفوء» . وكلمة "المكفأ" هنا مقحمة مستغنى عنها فى الكلام .

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : لقد «غَلْغلتَ النظرَ يا عدوّ الله»، ثم جلّاه عن المدينة الى الحِمَى[1]. قال هشام : وأوّلُ ما ٱتُّخذت النُّعوشُ[2] من أجلها . قال : فلما فُتحت الطائف تزوّجها عبد الرحمن بن عَوْف فولدت له بُرَيهة . فلم يزل هِيتٌ بذلك المكان حتى قُبض النبيُّ صلى الله عليه وسلم؛ فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه كُلِّم فيه فأبى أن يردّه؛ فلما وَلِىَ عمر رضى الله عنه كُلِّم فيه فأبى أن يردّه وقال : إن رأيتُه لأضربنّ عنقَه؛ فلما ولى عثمانُ رضى الله عنه كُلِّم فيه فأبى أن يردّه؛ فقيل له : قد كبِر وضعُف وٱحتاج؛ فأذن له أن يدخل كلَّ جمعة فيسألَ ويرجعَ الى مكانه. وكان هيتٌ مولًى لعبدالله بن أبى أُميّة بن المُغيرة المخزوميّ، وكان طُوَيس له؛ فمن ثَمّ قيل[3] الخَنِثُ .

وجلس يوما فغنّى فى مجلس فيه ولدٌ لعبد الله بن أبى أمية :

* تغترقُ الطرفَ وهى لاهيةٌ *

الى آخر البيتين ؛ فأشير الى طُوَيس أن ٱسكتْ؛ فقال : والله ما قيل هذان البيتان فى ٱبنة غَيْلان بنِ سَلَمة و إنما هذا مَثَلٌ ضربه هيتٌ فى أمّ بُرَيهةَ ؛ ثم ٱلتفت الى ابن عبد الله فقال : يا بنَ الطاهر ، أوجَدْتَ علىّ فى نفسك؟ أُقسِم بالله قسماً حقّا لا أغنّى بهذا الشعر أبدا .

ضافه عبد الله بن جعفرفأكرمه وغناه

قال إسحاق وحدّثنا أبو الحسن الباهلىُّ الراويةُ عن بعض أهل المدينة ، وحدّثنا الهَيثمُ بنُ عَدِىّ والمدائنىُّ، قالوا :

---

(١) فى ط ، ى : «الجماء» والجماء : جبل بالمدينة على ثلاثة أميال من العقيق .

(٢) كذا صححه الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته ، وهو جمع نعش وهو شبه المحفة يحمل عليها الملك اذا مرض . وفى جميع النسخ : «النقوش» ولم يتبين لها معنى فى هذا المقام .

(٣) كذا فى ط ، ى ، ح . وفى سائر النسخ : «قيل الخنث» .

كان عبد الله بن جعفر معه إخوانٌ له فى عَشِيّة من عَشَايا الربيع، فراحت عليهم السماءُ بمطر جَوْدٍ فأسال(1) كلّ شىء؛ فقال عبد الله: هل لكم فى العَقِيق؟ — وهو متنزَّه أهل المدينة فى أيام الرَّبيع والمَطَر — فركبوا دوابَّهم ثم ٱنتهَوْا اليه فوقفوا على شاطئه وهو يَرْمِى بالزَّبَد مثلَ مَدِّ الفُرَات، فإنهم لينظرون إذ هاجت السماءُ، فقال عبدالله لأصحابه ليس معنا جُنَّةٌ نستجِنُّ بها وهذه سماءٌ خَليقة أن تَبُلّ ثيابَنا، فهل لكم فى منزل طُوَيس فإنه قريبٌ منا فنستكِنّ فيه ويحدّثنا ويُضحِكنا؟ وطُوَيس فى النَّظَّارة يسمع كلامَ عبد الله بن جعفر؛ فقال له عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت: جُعِلت فِداءَك! وما تريد من طُوَيس عليه غضبُ الله: مخنَّثٌ شائنٌ لمن عرفه؛ فقال له عبد الله: لا تقلْ ذلك، فإنه مَليح خَفيف لنا فيه أُنْس؛ فلما ٱستوفى طويسٌ كلامَهم تعجّل الى منزله فقال لٱمرأته: وَيْحَكِ! قد جاءنا عبدالله ابن جعفر سيدُ الناس، فما عندكِ؟ قالت: نذبَح هذه العَنَاق(2)، وكانت عندها عُنَيِّقةٌ قد ربَّتْها باللبن، وٱختبزَ خبزًا رُقَاقًا؛ فبادر فذبَحها وعجَنتْ هى. ثم خرج فتلقَّاه مقبِلًا اليه؛ فقال له طُوَيس: بأبى أنت وأمى، هذا المطرُ، فهل لك فى المنزل فتستكِنّ فيه الى أن تكُفَّ السماءُ؟ قال: إياكَ أُريد؛ قال: فٱمْض ياسيدى على بركة الله، وجاء يمشى بين يديه حتى نزلوا، فتحدّثوا حتى أَدرك الطعامُ، فقال: بأبى أنت وأمى، تُكْرِمنى إذ دخلتَ منزلى بأن تتعشَّى عندى؛ قال: هاتِ ما عندكَ؛ فجاءه بعَنَاقٍ سمينةٍ ورُقَاق، فأكل وأكل القومُ حتى تَمَلَّئُوا(3)، فأعجبه طِيبُ طعامه، فلما غسَلوا

(1) كذا فى أغلب النسخ. وفى ب، س، حـ: «فانسال» ولم نجد هذه الكلمة فى كتب اللغة. ولعلها محرفة عن «فانثال» بمعنى تتابع وٱنصب.

(2) العناق وزان سحاب: الأنثى من ولد المعز.

(3) تملئوا: امتلئوا من كثرة الأكل.

أيديهم قال : بأبي أنت وأمي ، أتمشّى معك وأغنّيك ؟ قال : افعلْ يا طُويس ؛ فأخذ ملحفةً فأتزر بها وأرخى لها ذَنَبَين. ثم أخذ المُرَبَّع[1] فتمشّى وأنشأ يغنّى :

يا خليليّ نابني سُهُدِى ... لم تنمْ عينى ولم تَكَدِ

كيف تَلحونى على رجلٍ[2] ... آنس تلتذّه كبدى

مثل ضوء البدر طلعتُه ... ليس بالزُّمَّيلة[3] النَّكِدِ

فطرب القومُ وقالوا أحسنتَ والله يا طويس . ثم قال : يا سيّدى ، أتدرى لمن هذا الشعر؟ قال : لا والله، ما أدرى لمن هو، إلا أنى سمعت شعرا حسنا؛ قال : هو لفارعة[4] بنت ثابت أختِ حسّان بن ثابت وهي تتعشّق عبدَ الرحمن بن الحارث ابن هشام المخزوميّ وتقول فيه هذا الشعر، فنكّس القومُ رءوسهم، وضرب عبدُالرحمن برأسه على صدره[5]، فلو شُقّت الأرضُ له لدخل فيها[6] .

عرّض بسعيد بن عبد الرحمن فى شعر غناه فأغضبه

قال وحدّثنى ابن الكلبيّ والمَدائنيّ عن جعفر بن مُحْرِز قال :

خرج عمر بن عبد العزيز، وهو على المدينة، الى السُّوَيداء، وخرج الناسُ معه، وقد أُجدبت المنازلُ. فلحق بهم يزيدُ بن بكر بن دَأْب اللَّيْثيّ وسعيدُ بن عبد الرحمن ابن حسّان بن ثابت الأنصاريّ، فلقيهما طويس فقال لهما: بأبى أنتما وأمّى! عرِّجا الى منزلى. فقال يزيد لسعيد : مِلْ بنا مع أبى عبد النعيم[7]. فقال سعد : أين تذهب

---

(1) المربع : آلة من آلات الطرب، يريد دفه لتربيعه كما سيأتى وصفه بذلك بعد فى ص ٣٧ من هذا الجزء . (2) لحاه يلحوه ويلحاه (من بابى نصر وفتح) : لامه وعذله . (3) الزميلة : الرذل الجبان الضعيف. وزمل فى بيته خوفا وجبنا . (4) كذا فى ء . وهى محرفة فى سائر النسخ .
(5) ضرب رأسه على صدره : أطرق استحياء وخجلا . وهو يريد بعبد الرحمن عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت . (6) فى ب ، س ، حـ : «فلو شقت الأرض لدخل فيها خالدا» .
(7) فى ب ، س ، حـ : «مل بنا الى المنزل مع ...» .

مع هذا المخنَّث! فقال يزيد: انما هو منزلُ ساعة فالَّا، وآحتمل طويسٌ الكلامَ على سعيد، فأتيا منزلَه فاذا هو قد نضَحه[1] ونصَّعه[2]، فأتاهما بفاكهة من فاكهة المـاء[3]، ثم قال سعيد: لو أسمعتَنا يا أبا عبدالنَّعيم! فتناول خَريطةً[4] فآستخرج منها دُفًّا ثم نقَره وقال:

ياخَليــــلى نابَنِى سُهُدِى * لم تَنَمْ عيــنى ولم تَكَدِ

فشَرابى ما أُسِــيغُ وما * أشْـتكى ما بى الى أحدِ

كيف تَلْحُونى على رجلٍ * آنِسٍ تلتذُّه كبِدى

مثلُ ضوءِ البدرِ صورتُه * ليس بالزُّمَّيْـلَةِ النَّكِدِ

من بنى آل المُغيرة لا * خامِلٍ نِكْسٍ[5] ولا جَحِـدِ

نظرتْ يوما فلا نظرتْ * بعـدَه عينى الى أحدِ

ثم ضرب بالدفّ الأرضَ، فقال سعيد: ما رأيتُ [كاليوم][6] قطُّ شعرًا أجودَ ولا غناءً أحسنَ منه، فقال له طويس: يآبنَ الحُسَام، أتدرى مَنْ يقولُه؟ قال: لا، قال: قالته عمَّتُك خَوْلَةُ بنت ثابت تُشَبِّب بعُمَارةَ بن الوَليد بن المُغيرة المَخْزومىّ، فخرج سعيد وهو يقول: ما رأيتُ كاليوم قطُّ مثلَ[7] ما آستقبلنى به هذا المخنَّثُ! والله لا يُفْلِتُنِى! فقال يزيد: دَعْ هـذا وأَمِنْه ولا ترفَع به رأسًا. قال أبو الفرج الأصْبَهانى: هـذه الأبيات، فيما ذكر الحَرَمىّ بن أبى العَلاء عن الزُّبير بن بَكّار، لآبن زُهَير المخنَّث.

---

(١) أى حفظه له وآصطنع عليه من أجله. (٢) يريد أنه رشه بالماء ونظفه. (٣) لم نعثر على معنى خاص لهذه الكلمة. وأقرب الكلمات تحريفا لها هى: «فاكهة الشتاء» وهى النار، ولكنها غير مناسبة فى هذا المقام. (٤) الخريطة: وعاء من أدم. (٥) النكس: الضعيف الدنىء الذى لا خير فيه. والجحد: القليل الخير. (٦) هذه الكلمة ساقطة من ب، س، حـ.

(٧) كذا فى ط، أ، م. وفى سائر النسخ «ما رأيت قط كاليوم ولا مثل ما استقبلنى به الخ».

مدح ابن سريج غناءه

قال إسحاق وحدّثني الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش ، وابنُ الكلبيّ عن أبي مِسْكين، قالا :

قدم ابنُ سُرَيج المدينةَ فغنّاهم ، فآستظرف الناسُ غناءَه وآثروه على كلّ مَنْ غنّى ، وطلَع عليهم طُوَيس فسمعهم وهم يقولون ذلك[1] ، فآستخرج دُفًّا من حِضْنِه ثم نقَر به وغنّاهم بشعر عُمَارةَ بن الوَليد المخزوميّ في خَوْلة بنت ثابت ، عارضَها بقصيدتها فيه :

يا خليلي نابني سُهُدي * لم تَنَمْ عيني ولم تَكَدِ

وهو :

تَناهى فيكمُ وَجْدي[2] * وصدَّع حبُّكم كِبْدي
فقلبي مُشْعَرٌ حزَنًا * بذات الخال في الخدّ
فما لاقَى أخو عشقٍ * عَشِيرَ[3] العُشْر من جَهْدي

فأقبل عليهم آبن سُرَيج فقال : والله هذا أحسنُ الناس غناء .

أخبرني وَكِيعٌ محمدُ بن خَلَف قال حدّثنا إسماعيل بن مجمِّع قال حدّثني المدائنيُّ قال :

قدِم آبنُ سُرَيج المدينةَ فجلَس يوما في جماعةٍ وهم يقولون : أنت والله أحسن الناس غناء ، إذ مرّ بهم طُوَيس فسمعهم وما يقولون ، فآستلّ دُفَّه من حِضْنه ونقَره وتغنّى :

إن الْمُجَنَّبَةَ[4] التي * مَرّتْ بنا قبل الصَّباح

---

(١) كذا في حـ ، ء . وفي سائر النسخ : « وهم يقولون ذلك له » . (٢) في هامش ط إشارة الى رواية أخرى وهي : * خويلة شفني وجدي * (٣) العشير : جزء من العشرة كالعشر . (٤) المجنبة : وصف من جنبه اذا أبعده . وفي ب ، س ، حـ « المحنة » .

فى حُلَّةٍ مَوْشِـيّةٍ * مَكِّيَّةٍ غَرْثَى الوِشَاحِ (١)
زَيْنٌ لمشهدِ فِطْرِهم * وتَزينُهم يومَ الأَضَاحِى

— الشعر لابن زُهَير المخنَّث . والغناء لطُوَيس هَزَجٌ ، أخبرنا بذلك الحَرَمىّ بن أبى العَلاء عن الزُّبير بن بكّار — فقال ابنُ سُرَيج : هذا والله أحسنُ الناس غناءً لا أنا .

تبع جارية مزحزحة ثم تغنى بشعر

قال إسحاق حدّثنى المَدَائنىّ قال : حُدّثت أنّ طويسا تبِع جاريةً فراوغتْه فلم ينقطع عنها ، فخبَّتْ (٢) فى المشى فلم ينقطع عنها ؛ فلما جازت بمجلس وقفتْ ثم قالت : يا هؤلاء ، لى صَديقٌ ولى زوجٌ ومولًى يَنْكِحنى ، فسَلُوا هذا ما يريد منّى ! فقال : أُضيِّق ما قد وسّعوه . ثم جعل يتغنّى :

أَفِقْ يا قلبُ عن جُمْلِ * وجُمْلٌ قطَّعتْ حَبْلِى
أفِق عنها فقد عُنِّيـ * ـتَ حَوْلًا فى هَوَى جُمْلِ
وكيف يُفيق محزونٌ * بجُمْلٍ هائمُ العقلِ
بَرَاه الحُبّ فى جمل * فحَسْبِى الحبُّ من ثِقْلِ (٣)
وحَسْبِى فيك ما أَلْقَى * من التَّفْنيد والعَذْلِ
وقِدْمًا لامنى فيها (٤) * فلم أَحْفِل بهم أهلى

حديث طويس والرجل المسحور

قال إسحاق وقال المدائنىّ قال مَسْلَمة بن مُحَارب حدّثنى رجل من أصحابنا قال : خرجنا فى سَفْرة ومعنا رجلٌ ، فانتهينا الى وادٍ فدعَوْنا بالغَدَاء ، فمدّ الرجل يده الى الطعام فلم يقدِرْ عليه ، وهو قبل ذلك يأكل معنا فى كلّ منزل ، فخرجنا نسأل عن حاله

(١) غرثى الوشاح : خميصة البطن دقيقة الخصر . (٢) خبت : أسرعت . (٣) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، س ، حـ : «فحسب القلب من ثقل» . (٤) فى ط : «وقد و بخنى فيها» و بهامشها ما بسائر النسخ .

١٧٥
٢

فلقِينا رجلا طويلا أحولَ مضطربَ الخَلْق فى زِىّ الأعراب، فقال لنا : مالكم؟ فأنكرنا سؤاله لنا، فأخبرناه خبرَ الرجل، فقال: ما ٱسمُ صاحبِكم؟ فقلنا : أُسَيد، فقال: هذا وادٍ قد أُخِّذَتْ(١) سِباعُه فٱرحلُوا، فلو قد جاوزتُم الوادىَ ٱستمرّ(٢) صاحبكم وأكل. قلنا فى أنفسنا : هـذا من الجنّ، ودخلتْنا فَزْعَةٌ، ففهم ذلك وقال : ليُفْرِخْ(٣) رُوعُكم فأنا طويس. قال له بعض مَنْ معنا من بنى غِفَارٍ أو من بنى عَبْس : مرحبًا بك يا أبا عبد النَّعيم، ما هذا الزِّىّ! فقال: دعانى بعضُ أَوِدّائى من الأعراب فخرجتُ اليهم وأحببت أن أتخطَّى الأحياءَ فلا يُنْكِرونى. فسألت الرجل أن يغنّينا، فٱندفع ونَقَر بدُفٍّ كان معه مربّع، فلقد تخيَّل لى أنّ الوادىَ يَنطِق معـه حسنًا، وتعجَّبْنا من علمه وما أخبرنا [به](٤) من أمر صاحبنا.

وكان الذى غَنّى به فى شـعر عُرْوة بن الوَرْد فى سَلْمى ٱمرأته الغِفَاريّة حيث رهَنها على الشراب :

سَقَوْنى الخمـرَ ثم تَكَنَّفُونى * عُـداةُ الله من كَذِبٍ وزُورِ
وقالوا لستَ بعـدَ فِداء سَلْمَى * بمُفْنٍ ما لديك ولا فقـيرِ
فلا واللهِ لو مُلِّكْتُ أمرى * ومَنْ لى بالتّـدَبُّر فى الأمـورِ
إذًا لعَصَيتُهـمْ فى حبّ سَـلْمَى * على ما كان من حَسَكِ(٥) الصدورِ
فيا لَلنّـاسِ كيف غُلِبْتُ أمرى * على شىءٍ ويكرَهُـهُ ضميـرى

(١) كذا فى ط، ى، ونهاية الأرب ج ٤ ص ٢٦٤ طبع دار الكتب، وأخذت : سحرت. وفى سائر النسخ : «أخاف سباعه». (٢) استمر : قوى واستقام أمره.
(٣) ليفرخ روعكم : ليذهب رعبكم وفزعكم. (انظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٢٦ من الجزء الأوّل).
(٤) زيادة فى أ، م، حـ. (٥) الحسك : الشوك، و يكنى به عن العداوة والحقد.

قصة عروة وامرأته سلمى الغفارية

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ قال حدّثني عبدُ الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال :

لمّا غزا النبيُّ صلى الله عليه وسلم بني النَّضير وأجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خَيْبَرَ يضربون بدُفوفٍ ويَزْمِرون بالمزامير وعلى النساء المُعَصْفَرَاتُ وحُلِيُّ الذهب مُظْهِرين لذلك تجلُّدًا، ومرّتْ في الظُّعُن[1] يومئذٍ سَلْمَى امرأةُ عُرْوةَ بن الوَرْدِ [العبسي][2]، وكان عُرْوة حليفًا في بني عمرو بن عَوْف، وكانت سَلْمَى من بني غِفَار، فسباها عروة من قومها وكانت ذاتَ جمالٍ فولدتْ له أولادًا وكان شديدَ الحب لها وكان ولدُه يعيَّرون بأمّهم ويسمَّوْن بني الأَخِيذة — أي السَّبِيّة — فقالت : ألا ترى ولدك يعيَّرون ؟ قال : فماذا تَرَيْنَ ؟ قالت : أرى أن تَرُدَّني إلى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوّجونك فأَنْعَمَ[3] لها، فأرسلتْ إلى قومها أنِ ٱلقَوْه بالخمر ثم ٱتركوه حتى يسكَرَ ويَثْمَلَ فإنه لا يُسأل حينئذ شيئًا إلا أعطاه ؛ فلَقُوه وقد نزل في بني النَّضير فسقَوْه الخمرَ، فلما سكِر سألوه سَلْمَى فردّها عليهم ثم أَنْكَحُوه بعدُ . ويقال : إنما جاء بها الى بني النَّضير، وكان صُعْلوكًا يُغير، فسقَوْه الخمرَ، فلما ٱنتشى منعوه ولا شيءَ معه إلا هي فرهنها، ولم يزل يشرب حتى غَلِقَتْ[4] ؛ فلما قال لها : انطلِقي قالت : لا سبيل الى ذلك، قد أَغْلَقْتَني . فبهذا صارتْ عند بني النَّضير . فقال في ذلك :

سَقَوْنِي الخمرَ ثم تكنَّفُوني * عُداةُ[5] اللهِ من كذبٍ وزورِ

---

(١) الظعن : جمع ظعينة وهي المرأة في هودجها، وقد يقال للمرأة ظعينة وإن كانت في بيتها لأنها تصير ظعينة أي مظعونا بها . ويسمى الهودج أيضا ظعينة سواء كانت فيه امرأة أم لا . (٢) زيادة في أ، م . (٣) أنعم لها : قال لها نعم . (٤) علق الرهن في يد المرتهن : استحقه، وذلك اذا لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط . (٥) في أ، م، ء، ط :

* ألا لله من كذب وزور * وقد تقدم هذا البيت باتفاق الأصول كما في رواية الصلب .

هذه الأبيات مشهورة بأن لطُوَيس فيها غناءً، وما وجدتُه فى شىء من الكتب مجنَّسا فتُذكَرَ طريقتُه .

كان يغرى بين الأوس والخزرج ويتغنى بالشعر الذى قيل فى حروبهم

قال إسحاق وحدّثنى المَدَائنىُّ قال : كان طويسٌ وَلِعًا بالشعر الذى قالته الأَوْسُ والخَزْرَجُ فى حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراءَ ، فقَلَّ مجلسٌ آجتمع فيه هذان الحَيَّانِ فغنَّى فيه طُوَيسٌ إلا وقع فيه شىء ؛ فنُهِىَ عن ذلك ، فقال : والله لا تركتُ الغناءَ بشعر الأنصار حتى يُوَسِّدُونى الترابَ ؛ وذلك لكثرة تولُّع القوم به ، فكان يُبْدِى السرائرَ ويُخْرِج الضغائنَ ، فكان القوم يتشاءمون به .

وكان يُستحسن غناؤه ولا يُصْبَرُ عن حديثه ويُستشهَد على معرفته ، فغنَّى يومًا بشعر قيس بن الخطيم فى حرب الأوس والخزرج وهو :

ردّ الخَليطُ الجِمالَ فآنصرفوا * ما ذا عليهم لو أنهم وقفُوا

لو وقفوا ساعةً نسائلُهم * رَيْثَ يضحّى جِمَالَه السَّلَفُ

فليت أهلِى وأهلَ أَثْلَةَ فى الـ * ـدَّار قريبٌ من حيثُ نختلِفُ

فلما بلَغ الى آخرِ بيت غنَّى فيه طويسٌ من هذه القصيدة وهو :

أبلغ بنى جَحْجَبَى وقومَهمُ * خَطْمَةَ أنّا وراءَهم أُنُفُ

تكلَّموا وآنصرفوا وجرتْ بينهم دماءٌ ، وآنصرف طويسٌ من عندهم سليماً لم يكلَّمْ ولم يُقَلْ له شىءٌ .

سبب الحرب بين الأوس والخزرج

قال إسحاق فحدّثنى الواقدىُّ وأبو البَخْتَرِىّ(١)، قالا :

قال قَيْس بن الخَطيم هذه القصيدةَ لشَغْبٍ(٢) أثاره القومُ بعد دهرٍ طويلٍ . ونذكُر سببَ أوّلِ ما جرَى بين الأَوْسِ والخَزْرجِ من الحرب :

(١) فى ب ، س : «أبو البحترى» . (٢) فى ب ، س ، حـ : «قال قيس بن الخطيم شعرا أثار القوم وهو طويل» .

قال إسحاق قال أبو عبد الله اليَزيدى [وأبو البَخْترِىّ] (١)، وحدّثنى مشايخ لنا قالوا: كانت الأوسُ والخَزْرج أهلَ عزٍّ ومَنَعةٍ وهما أخوانِ لأبٍ وأمّ وهما آبنا حارثةَ بن ثَعْلبةَ بن عمرو بن عامر، وأمُّهما قَيْلةُ بنتُ جَفْنة بن عُتْبةَ بن عمرو؛ وقُضَاعة تذكُر أنها قَيْـلة بنتُ كاهِل بن عُذْرةَ بن سعد بن زيد بن سُود بن أَسْلم بن الحاف بن قُضَاعة. وكانت أولُ حرب جرت بينهم فى مولًى كان لمالك بن العَجْلان قتله سُمَير ابنُ يَزيد بن مالك، وسُمَير رجل من الأوس ثم أحدُ بنى عمرو بن عَوْف، وكان مالك سيدَ الحيَّين (٢) فى زمانه، وهو الذى ساق تُبَّعًا الى المدينة وقتل الفِطْيون (٣) صاحب زُهْرة (٤) وأذلَّ اليهودَ للحيَّين جميعًا، فكان له بذلك الذكرُ والشرف عليهم، وكانت ديةُ المَوْلَى فيهم — وهو الحليفُ — خَمْسًا من الإبل، وديةُ الصريح عشرًا، فبعث مالك الى عمرو ابن عوف: ابعثوا إلىّ سُمَيرا حتى أقتلَه بمولاى فإنّا نكره أن تَنْشَبَ بيننا و بينكم حربٌ، فأرسلوا اليه: إنّا نُعطيك الرضا من مولاك نخذ منا عَقْلَه (٥)، فإنك قد عرفت

(١) زيادة فى ى، ط وهامش أ.
(٢) فى حـ، أ، م: «الحصر».
(٣) حدّث عنه ياقوت فى الكلام على يثرب حيث قال فى ج ٤ ص ٤٦٣: «وكان ملك بنى اسرائيل يقال له الفيطوان. وفى كتاب ابن الكلبى الفطيون بكسر الفاء والياء بعد الطاء، وكانت اليهود والأوس والخزرج يدينون له الخ». وذكره ابن الأثير فى الكامل ج ١ ص ٤٩٢ طبع ليدن سنة ١٨٦٦ م، وضبط فيه بالقلم بكسر أوله واسكان ثانيه، فقال ما ملخصه: إنه كان عظيم اليهود بالمدينة وكان رجل سوء فاجرا، وكانت اليهود تدين هذا الرجل الى أن كانت لا تزوج امرأة منهم حتى تدخل عليه قبل دخولها على زوجها، ويقال: إنه كان يفعل ذلك بنساء الأوس والخزرج، وكانت الغلبة يومئذ لليهود عليهم، حتى جاء زفاف أخت لمالك بن العجلان فأثارت فى أخيها عوامل الحمية والغيرة، فتزيا مالك بزىّ امرأة وتقلد سيفه وآندس فيمن كان معها من النساء وقتل الفطيون، ثم فر هاربا الى الشأم حتى دخل على أبى جبيلة عبيد بن سالم بن مالك الخزرجى، وكان أثيرا عند ملوك غسان، فشكا اليه حاله، فأقسم أبو جبيلة ليذلنّ اليهود وليجعلن الغلبة للأوس والخزرج عليهم. وقد فعل اهـ بتصرف فى العبارة.
(٤) زهرة: القبيلة المعروفة التى ينتسب اليها عبد الرحمن بن عوف الزهرى.
(٥) عقله: ديته.

أن الصريح لا يُقْتَل بالمَوْلَى ؛ قال : لا آخذ فى مولاى دون دية الصريح ؛ فأبوا إلا دية المولى . فلما رأى ذلك مالكُ بن العَجْلان جمع قومَه من الخزرج ، وكان فيهم مُطاعا ، وأمرهم بالتهيُّؤ للحرب . فلمّا بلغ الأوسَ استعدُّوا لهم وتهيَّئُوا للحرب واختاروا الموت على الذلّ ؛ ثم خرج بعضُ القوم الى بعض فآلتقَوْا بالصَّفينة بين
٥ بئر سالم وبين قُبَاء (قرية لبنى عمرو بن عوف)[1] فآقتتلوا قتالًا شديدا حتى نال بعضُ القوم من بعض . ثم إنّ رجلا من الأوس نادى : يا مالك، نَنْشُدك اللهَ والرَّحِمَ[2] — وكانت أمُّ مالك إحدى نساء بنى عمرو بن عوف — فاجعلْ بيننا وبينك عَدْلًا من قومك فما حَكَم علينا سلّمْنا لك ؛ فآرعَوى مالكٌ عند ذلك، وقال نعم؛ فاختاروا عمرو بن امرئ القيس أحدَ بنى الحارث بن الخزرج فرضِى القومُ به ، واستوثق
١٠ منهم، ثم قال: فإنّى أقضى بينكم : إن كان سُمَير قتل صريحا من القوم فهو به قَوَدٌ،
١٧٧/٢ وإن قبلوا العَقْلَ فلهم دية الصريح؛ وإن كان قتل مَوْلًى فلهم دية المولى بلا نقص، ولا يُعْطَى فوقَ نصف الدية، وما أصبتم منا فى هذه الحرب ففيه الديةُ مسلَّمةً الينا ، وما أصبْنا منكم فيها علينا فيه ديةٌ مسلَّمةٌ اليكم . فلما قضى بذلك عمرو بن امرئ القيس غضب مالكُ بن العَجْلان ورأى أن يُرَدّ عليه رأيَه، وقال : لا أقبل
١٥ هذا القضاء؛[3] وأمَر قومَه بالقتال. فجمع القومُ بعضُهم لبعضٍ ثم آلتقَوْا بالفضاء عند آطَامِ بنى قَيْنُقَاع ، فآقتتلوا قتالًا شديدا، ثم تداعَوْا الى الصلح فحكّموا ثابت بن حَرَام ابن المُنذر أبا حَسّانَ بن ثابت النّجّاريّ ، فقضى بينهم أن يَدُوا مَوْلَى مالك بن العَجْلان بدية الصَّريح ثم تكونَ السُّنَّةُ فيهم بعدَه على مالكٍ وعليهم كما كانت أوّلَ مرّة : المَوْلَى على ديته ؛ والصَّريح على ديته ؛ فرضى مالكٌ وسلَّم الآخرون . وكان ثابت إذ حكّموه

٢٠ (١) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : « بنى سالم » . أنظر ص ٢٤ من هذا الجزء .
(٢) فى ب ، س ، حـ : « ننشدك بالله والرحم » . (٣) كذا فى ط ، ء . والفضاء كما فى ياقوت : موضع بالمدينة ، ولم يعينه . ولعله هو المراد هنا أو أنه أراد مطلق الفضاء المتسع .

أراد إطفاءَ النائرةِ[1] فيما بينَ القومِ ولَمَّ شَعَثِهم، فأخرج خمسًا من الإبل من قبيلتــه حين أبتْ عليــه الأوسُ أن تؤدّىَ الى مالكٍ أكثرَ من خمسٍ وأبى مالكٌ أن يأخذ دونَ عَشْر . فلما أخرج ثابتٌ الخَمْسَ أَرْضَى مالكًا بذلك ورضيتِ الأوسُ، واصطلحوا بعهد وميثاقٍ ألا يُقتَلَ رجلٌ فى داره ولا مَعْقِله — والمعاقل : النخل — فاذا خرج رجل من داره أو مَعْقِله فلا دية له ولا عَقْل . ثم انظروا[2] فى القتلى فأىُّ الفريقين فَضَل على صاحبه وَدَى له صاحبُــه . فأَفْضلت الأوسُ على الخزرج بثلاثة نَفَر فودَتْهــم الأوسُ وآصطلحوا . ففى ذلك يقول حسّان بن ثابت لِمَا كان أبوه أصلح بينهم ورضاهم بقضائه فى ذلك :

وأبى فى سُمَيْــحة القــائلُ الفا * صِلُ حين التَفَتْ عليــه الخصومُ

وفى ذلك يقول قيس بن الخطيم قصيدتَه وهى طويلة :

رَدّ الخليطُ الجمالَ فانصرفوا * ماذا عليهــم لو أنّهم وقَفوا

أنشد عمر بن عبد العزيز شيئا من شعره وقال هو أنسب الناس

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عبد الرحمن ابن أبى الزِّناد عن أبيه قال :

كان عمر بن عبد العزيز يُنشِد قولَ قيس بن الخطيم :

بين شُــكول النساء خِلْقتُهــا * قَصْــدٌ فلا جَبْلةٌ ولا قَضَفُ

تنــام عن كُبْر شأنهــا فإذا * قامت رُوَيدًا تكاد تنقصفُ

تغترق الطرفَ وهى لاهيــةٌ * كأنمــا شَــفَّ وجهها نُزُفُ

ثم يقول : قائلُ هذا الشعر أنسبُ[3] الناس .

(١) كذا فى ط ، ى . والنائرة : الفتنة القائمة المنتشرة . وفى باقى الأصول : « إطفاء الثائرة » بالثاء المثلثــة . (٢) كذا فى جميع الأصول . وكان الأولى بالسياق أن يقول : « ثم قال انظروا الخ » أو « ثم أن ينظروا » على أن يكون معطوفا على معمول «فقضى» المتقدّمة . (٣) أنسب الناس : أرقهم غزلا ونسيبا بالنساء .

أصوات من المائة المختارة

ومما فى المائة المختارة من أغانى طويس

صـــــوت

يا لَقَوْمِى قد أرّقتنى الهمومُ * ففؤادى مما يُجِنُّ سقيمُ
أنْدَبَ الحبُّ فى فؤادى ففيه * لو تَرَاءى للناظرين كلومُ

٥ يُجنّ : يُخفى، والجُنّة من ذلك، والجنّ أيضا مأخوذ منه . وأندب : أبقى فيه نَدَبا وهو أثر الجرح؛ قال ذو الرُّمّة :

تُرِيكَ سُنّةَ(١) وجهٍ غيرَ مُقرِفةٍ * ملساءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ

الشعر لابن قيس الرُّقيّات فيما قيل . والغناء لطويس، ولحنه المختار خفيفُ رمل مطلق فى مجرى الوسطى، قال إسحاق : وهو أجود لحن غنّاه طويس، ووجدتُه ١٧٨/٢
١٠ فى كتاب الهشامىّ خفيفَ رمل بالوسطى منسوبًا الى ابن طُنْبورة . قال وقال ابنُ المكىّ : إنه لحَكَم، وقال عمرو بن بانة : إنه لابن عائشة أوّلُه هذان البيتان، وبعدهما :

ما لِذَا الهمِّ لا يَرِيمُ(٢) فؤادى * مثلَ ما يَلزَمُ الغريمَ الغريمُ
إنّ مَنْ فَرّق الجماعةَ منّا * بعد خَفْضٍ(٣) ونَعْمةٍ لذميمُ

١٥ اِنقضت أخبارُ طُوَيس .

(١) سنة الوجه : صورته . وغير مقرفة : غير كريهة . والمراد وصف صورة وجهها بالحسن . وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت شاهدا على أن مقرفا فى قولهم « وجه مقرف » بمعنى غير حسن . وقيل : إن « مقرفة » هنا بمعنى مدانية الهجنة ؛ يقال : أقرف الرجل اذا دنا من الهجنة ، وعلى هذا التفسير ذهب الصاغانى فقال : هو يقول : إنها كريمة الأصل لم يخالطها شىء من الهجنة .

٢٠ (٢) فى أ ، م ، ط ، ء : «لا يريم وسادى» . ولا يريم : لا يبرح .

(٣) الخفض : سعة العيش ولينه . والنعمة (بالفتح) : النعيم ورغد العيش .

صـــوت

من المـائة المختارة من صنعة قفا النجار

حُجِبَ الأُلى كنّا نُسَرّ بقربهم * ياليتَ أنّ حجابَهم لم يُقْدَرِ
حُجِبوا ولم نَقضِ اللُّبانةَ منهمُ * ولنا اليهم صَبْوةٌ لم تُقْصِرِ[1]
ويُحيط مِئزرُها بِردْفٍ كاملٍ * رَابى المَجَسّةِ[2] كالكثيب الأعفرِ
واذا مَشَتْ خلتَ الطريقَ لمشيها * وَحِلًا[3] كمشى المُرْجحِنّ[4] المُوقَرِ

لم يقع الينا قائلُ هذا الشعر. والغناء لقفا النجّار، ولحنه المختار من الثقيل الثانى بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . ويقال: إن فيه لحنا لابن سُرَيج . وذكر يحيى بن علىّ [ابن يحيى][5] فى الاختيار الواثقىّ أنّ لحن قفا النجّار المختار من الثقيل الأوّل .

صـــوت

من المـائة المختـارة

أَفِقْ يادَارِمِىُّ فقد بُلِيتَا * وإنك سوف تُوشِك أن تَمُوتَا
أراك تَزِيدُ عِشْقًا[6] كلَّ يومٍ * اذا ما قلتَ إنك قد بَرِيتَا

الشعر والغناء جميعا لسعيد الدارِمىّ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى .

(١) لم تقصر : لم تكف ولم تنته . (٢) المجسة الموضع التى تقع عليه اليد عند الجس، فمعنى رابى المجسة : أنه عظيم سمين حيث يجس . (٣) وحلا : ذا وحل . (٤) المرجحن : المائل من ثقله . والموقر: الذى يحمل حملا ثقيلا . (٥) زيادة فى ا، م . (٦) فى ا، م، ط، ء : «غشيا كل يوم» . وغشى عليه (مجهولا غشيا بالفتح والضم وغشيانا) : نابه ما غشى عقله .

ذكر الدارمىّ وخبره ونسبه

نسبه وكان من الشعراء وأرباب النوادر

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى أبو أيّوب المَدينىّ قال حدّثنى عبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمه قال :

الدارمىّ من ولد سُوَيد بن زيد الذى كان جَدّه قتل أسعد بن عمرو بن هِند ،
٥ ثم هرَبوا الى مكة لحالفوا بنى نَوْفَل بن عبد مَناف .

وكان الدارمىّ فى أيّام عمر بن عبد العزيز، وكانت له أشعار ونوادر، وكان من ظُرَفاء أهل مكّة. وله أصوات يسيرة . وهو الذى يقول :

ولما رأيتُك أوليتنى الـ * ـقبيحَ وأبعدتَ عنّى الجميلا
تركتُ وِصالَك فى جانبٍ * وصادفتُ فى الناس خِلًّا بَديلا

نسب بذات خمار أسود فنفقت الخمر السود ولم تبق فتاة إلا لبسته

١٠ أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعىّ، وأخبرنى عمّى قال حدّثنا فَضل اليَزيدىّ عن إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعىّ ، وأخبرنى عمّى قال حدّثنا أبو الفضل الرِّياشىّ عن الأصمعىّ ، قال وحدّثنى به النُّوشَجانىّ عن شيخ له من البصريّين عن الأصمعىّ عن ابن أبى الزِّناد، ولم يقل عن ابن أبى الزناد [غيره][1] :

١٧٩/٢

١٥ أنّ تاجرا من أهل الكوفة قَدِم المدينةَ بخُمُر[2] فباعها كلها وبقيت السودُ منها فلم تَنفُق[3]، وكان صديقًا للدارمىّ، فشكا ذاك اليه، وقد كان نسَك[4] وترك الغناءَ وقولَ الشعر، فقال له : لا تهتمّ بذلك فإنى سأُنفقها لك حتى تبيعَها أجمعَ ؛ ثم قال :

(١) التكلة من ط ، ى ، حـ . (٢) الخمر : جمع خمار، وهو ما تغطى به المرأة رأسها .
(٣) نفقت السلعة (وزان نصر) نفاقا : راجت ورغب فيها . وأنفقها ونفقها : روّجها .
٢٠ (٤) نسك (وزان ضرب) : تعبد وتزهد وتقشف .

صــــوت

قُلْ للمليحةِ فى الخمَارِ الأسودِ * ما ذا صَنَعتِ براهبٍ متعبِّدِ
قد كان شَمَّر للصلاة ثيـابَه * حتى وقَفتِ له بباب المسجدِ

وغنّى فيـه، وغنّى فيـه أيضا سِـنَانٌ الكاتب، وشاع فى النـاس وقالوا : قد فتك[1] الدارمىّ ورجَع عن نُسكه ؛ فلم تبقَ فى المدينة ظريفةٌ إلا آبتاعت خمارا أسود حتى نَفِد ما كان مع العراقىّ منها ؛ فلما علم بذلك الدارمىّ رجع الى نسكه ولزم المسجد .

فأما نسبة هذا الصوت فإنّ الشعر فيه للدارمىّ والغناءَ أيضا، وهو خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لسِنَانٍ الكاتبِ رملٌ بالوسطى عن حَبَش . وذكر حَبَش أن فيه لآبن سُرَيج هزَجًا بالبنصر .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنى أبو هَفّان قال : حضرتُ يوما مجلسَ بعض قوّاد الأتراك وكانت له سِتارةٌ فنُصِبتْ، فقال لها[2] : غنِّى صوتَ الخمار الأسود المليح، فلم ندرِ ما أراد حتى غنّتْ :

* قل للمليحةِ فى الخمار الأسودِ *

ثم أمسك ساعةً ثم قال لها غنِّى :

* إنى خريت وجئت أنتقله *

فضحِكتْ ثم قالت : هذا يشبهك! فلم ندر أيضا ما أراد حتى غنّتْ :

* إنّ الخليطَ أجدّ مُنتقَلَهْ *

بخله وظرفه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثنى محمد بن أخى سَلْم[3] الخُزَاعىّ قال حدّثنى الحِرْمازِىّ قال زعَم [لى[4]] ابن مَوْدود قال :

---

(١) فتك : مجن . (٢) لم يتقدم لهذا الضمير مرجع ولكنه مفهوم من سياق الكلام أنه للجارية التى أمرت بالغناء . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، سـ ، حـ : « محمد بن أبى سلمة الخزاعى » . (٤) هذه الكلمة ساقطة من ب ، سـ ، حـ .

كان الدارمىّ المكىّ شاعرا ظريفا وكانت مُتَفَتِّيَاتُ[1] أهل مكة لا يطيبُ لهن مُتَنَزَّه إلّا بالدارمىّ ، فاجتمع جماعةٌ منهنّ فى مُتنزَّه لهنّ ، وفيهنّ صديقةٌ له ، وكلُّ واحدة منهنّ قد واعدتْ هَوَاها[2] ، فخرجن حتى أتيْن الجُحْفَة[3] وهو معهنّ ؛ فقال بعضهنّ لبعض : كيف لنا أن نَخْلوَ مع هؤلاء الرجالِ من الدارمىّ ؟ فإنّا إن فعلْنا قطَّعَنَا

٥ فى الأرض[4] ! قالت لهنّ صاحبتُه : أنا أَكفيكُنّه ؛ قلن : إنا نريد ألّا يلومَنا ؛ قالت : علىّ أن ينصرف حامدًا ، وكان أبخل الناس ، فأتته فقالت : يا دارمىّ ، إنّا قد تَفِلْنا[5] فاجلُبْ لنا طِيبًا[6] ؛ قال نعم هو ذا ، آتى سوقَ الجُحْفة آتيكنّ منها بطِيبٍ ؛ فأتى المُكَارِين فاكْتَرَى حمارًا فصار عليه الى مكة وهو يقول :

أنا باللهِ ذى العِــزِّ * وبالرُّكنِ وبالصَّـخْرهْ

١٠ من اللائى يُرِدنَ الطِّيـ * ـبَ فى اليُسرِ وفى العُسْرهْ[7]

وما أقوَى على هـذا * ولو كنتُ علَى البَصْرهْ

فمكث النسوةُ ماشئن . ثم قَدِم من مكة فلقيتْه صاحبتُه ليلةً فى الطَّوَاف ، فأخرجته الى ناحية المسجد وجعلتْ تُعاتبه على ذَهَابه ويُعاتبها ، الى أن قالت له : يا دارمىّ ، ١٨٠/٢ بحقّ هذه البَنِيّة[8] أتُحبُّنى ؟ فقال نعم ، فبِربِّها أتُحِبِّينى ؟ قالت نعم ؛ قال : فيالَكِ الخيرُ

١٥ فأنتِ تحِبِّينى وأنا أُحبّك ، فما مَدْخَلُ الدراهم بيننا ! .

---

(١) متفتيات : وصف من تفتت الجارية اذا راهقت فخدّرت ومنعت من اللعب مع الصبيان .

(٢) هواها : من تهواه وتحبه . (٣) الجحفة : قرية بطريق المدينة على أربع مراحل من مكة ، وهى ميقات أهل مصر والشأم إن لم يمروا على المدينة ، فان مروا بالمدينة فيقاتهم ذو الحليفة .

(٤) يريد أنه يمزق أعراضهن وينشر ذلك فى الأرض بين الناس .

٢٠ (٥) تفل كفرح : تغيرت رائحته لطول عهده بترك الطيب . (٦) فى ط ، أ ، م : «فاحتل لنا طيبا» . (٧) فى أ ، م : «فى اليسرة والعسرة» . (٨) البنية : الكعبة .

الدارمى وعبد الصمد ابن على

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى قال:

كان الدارمىّ عند عبد الصمد بن علىّ يحدّثه، فأغفى عبد الصمد فعطَس الدارمىُّ عَطْسةً هائلة، ففزِع عبد الصمد فزعًا شديدا وغَضِب غضبًا شديدًا، ثم آستوى جالسا وقال: يا عاضّ كذا من أمه(٥) أتفزِّعنى! قال: لا والله ولكن هكذا عُطَاسى! قال: والله لأنقعنّك فى دمك(٦) أو تأتينى ببيّنة على ذلك؛ قال: فخرج ومعه حَرَسىٌّ(٧) لا يدرى أين يذهب به، فلقيه ابن الريّان(٨) المكىّ فسأله؛ فقال: أنا أشهد لك؛ فمضى حتى دخل على عبد الصمد؛ فقال له: بم تشهد لهذا؟ قال: أشهد أنى رأيتُه مرّةً عطس عطسةً فسقط(٩) ضرسه؛ فضحك عبدُ الصمد وخلّى سبيلَه.

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثنا الزبير قال:

قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارمىّ: لو صَلَحتْ عليك ثيابى لكسوتك؛ قال: فَدَيتك! إن لم تصلُح علىّ ثيابُك صَلَحتْ علىّ دنانيرُك.

الدارمى مع نسوة من الأعراب

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزبير، ونسخت من كتاب هارون بن محمد: حدّثنا الزبير قال حدّثنى يونس بن عبد الله الخيّاط قال:

---

(٥) كذا فى ط. وفى باقى الأصول: «يا عاص كذا وكذا من أمه». (٦) لأنقعنك فى دمك: لأريقن دمك حتى تغرق فيه كما يقر الشىء الجامد فى الماء ونحوه. (٧) الحرس: الأعوان. قال فى المصباح: جعل علما على الجمع لهذه الحالة المخصوصة ولا يستعمل له واحد من لفظه، ولهذا نسب الى الجمع؛ ولو جعل الحرس هنا جمع حارس لقيل حارسىّ. قالوا: ولا يقال حارسىّ إلا اذا ذهب به الى معنى الحراسة دون الجنس. (٨) ابن الريان: هو أبو حامد محمد بن عبد الرحمن ابن هشام المكىّ. وفى ط، ء: «أبو الزناد المكىّ». (٩) كذا فى حـ. وفى سائر النسخ: «سقط».

خرج الدارمىّ مع السُّعاة[1]، فصادف جماعةً منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطَوْه دراهم، فأتى بها فى ثوبه، وأحاط به أعرابيّات فجعلن يسألنه وألححْنَ عليه وهو يردّهن؛ فعرفته صبيّة منهنّ فقالت : يا أخواتى، أتدرين من تسألن منذُ اليوم؟ هذا الدارمىّ السأّل . ثم أنشدتْ :

اذا كنتَ لا بدّ مُستطعِماً * فدَعْ عنك مَنْ كان يَستطعِمُ

٥

فولّى الدارمىّ هاربا منهنّ وهنّ يتضاحكن به .

الدارمى والأوقص القاضى

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ قال أخبرنى أحمد بن أبى خَيْثَمة قال حدّثنا مصعَب الزبيرىّ قال :

أتى الدارمىُّ الأوقصَ القاضىَ بمكّة فى شىء فأبطأ عليه فيه، وحاكَمه اليه خَصْمٌ له فى حقٍّ، فحبسه به حتى أدّاه اليه. فبينا الأوقصُ يوما فى المسجد الحرام يصلّى ويدعو ويقول : يا ربّ أعتِقْ رقبتى من النار، إذ قال له الدارمىّ والناس يسمعون : أوَلك رقبةٌ تُعْتَق! لا والله ما جعل الله، وله الحمد، لك من عتق ولا رقبة! فقال له الأوقص: ويلك! ومن أنت؟ قال : أنا الدارمىّ، حبستَنى وقتلتنى؛ قال : لا تقل ذلك وأْتنى فإنى أعوّضك؛ فأتاه ففعل ذلك به .

١٠

نادرة له مع عبد الصمد بن على

١٥

أخبرنى الحرمىّ أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثنى الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى قال :

مدح الدارمىّ عبد الصمد بن علىّ بقصيدة وآستأذنه فى الإنشاد فأذن له، فلما فرغ أُدْخِل اليه رجلٌ من الشُّراة[2]؛ فقال لغلامه : أَعْطِ هذا مائةَ دينار وآضرب عنقَ

(١) السعاة : جمع ساع وهو العامل على الصدقات، يأخذها من الأغنياء ويردها على الفقراء .

٢٠

(٢) الشراة : الخوارج، سموا بذلك لقولهم : «إننا شرينا أنفسنا فى طاعة الله» أى بعناها بالجنة .

هذا، فوثب الدارمىّ فقال : بأبى أنت وأمى ! بِرُّك وعقوبتك جميعاً نَقْد ! فإن رأيتَ أن تبدأ بقتل هذا، فاذا فرغ منه أمرتَه فأعطانى ! فإنى لن أَرِيمَ من حضرتك حتى يفعل ذلك ؛ قال : ولم ويلك ؟ قال : أخشى أن يغلَطَ فيما بيننا، والغلط فى هذا لا يُستقال ؛ فضحك وأجابه الى ما سأل .

نادرة له فى مرضه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عمّى قال :

أصابت الدارمىَّ قَرْحةٌ فى صدره، فدخل اليه بعضُ أصدقائه يَعوده ، فرآه قد نَفَث من فيه نَفْثاً أخضرَ، فقال له : أَبْشِرْ، قد اخضرَّت القَرحةُ وعُوفيتَ ؛ فقال : هيهات! والله لو نفثتُ كلّ زُمُرُّدةٍ فى الدنيا ما أَفْلَتُّ منها .

١٨١ ٢

صــــوت

من المـائة المختارة

١٠

يا رَبْعَ سَلْمَى لقد هيَّجتَ لى طرَبا * زدْتَ الفؤادَ على عِلّاته وَصَبا
رَبْعٌ تبــدّل ممّن كان يسكُنه * عُفْرَ الظّبـاءِ وظُلْمـاناً به عُصَبا[1]

الشعر لِهلَال بن الأَسْعَر المـازنىّ، أخبرنى بذلك وَكيعٌ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه. وهكذا هو فى رواية عَمْرو بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ . ومن لا يعلم ينسُبه الى عمرَ ابن أبى رَبيعة والى الحارث بن خالد ونُصَيب، وليس كذلك. والغناء فى اللحن المختار لعزّور الكوفىّ[2]، ومن الناس من يقول عَزُّون بالنون وتشديد الزاى، وهو رجل من أهل الكوفة غيرُ مشهور ولا كثير الصنعة ، ولا أعلم أنّى سمعتُ له بخبرٍ ولا صنعةٍ

١٥

(١) الظلمان (بالضم والكسر) : جمع ظليم وهو ذكر النعام . والعصب : الجماعات .
(٢) كذا فى أكثر النسخ . وفى ا ، م : «عزوز» . وفى حـ : «غزون» .

غير هذا الصوت . ولحنُ هذا المختارُ ثقيلٌ أولُ بالبِنْصر فى مجراها عن إسحاق، وهكذا نَسَبه فى الاختيار الواثقىّ . وذكر عمرو بن بانةَ أنّ فيه لابن عائشةَ لحنًا من الثقيل الأول بالبِنْصر. وفى أخبار الغَرِيض عن حمّاد أنّ له فيه ثقيلاً أولَ . وقال الهِشَامىّ: فيه لعبد الله بن العَبّاس لَحْنٌ من الثقيل الثانى . وذكر حَبَش أنّ فيه لحُسَين بن مُحْرِز[1] خفيفَ رملٍ[2] بالبنصر .

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، س، ح: « لحسين بن محمد بن محرز » .

(٢) فى أ، م: « خفيف ثقيل بالبنصر » . وفى ح: « ثقيلا بالبنصر » .

أخبار هلال ونسبه

نسبه وهو شاعر أموى شجاع أكول

هو، فيما ذكر خالد بن كُلْثوم، هِلَالُ بن الأَسْعَر بن خالد بن الأَرْقَم بن قَسِيم[1] بن ناشِرةَ بن سَيَّار بن رِزَام بن مَازِن بن مالك بن عمرو بن تَمِيم . شاعرٌ إسلامىّ من شعراء الدولة الأموية، وأظنه قد أدرك الدولةَ العباسية، وكان رجلا شديدا عظيم الخَلْق أَكُولًا معدودا من الأَكَلة . قال أبو عمرو : وكان هلال فارسا شجاعا شديد البأس والبطش أكثرَ الناس أكلا وأعظمَهم فى حربٍ غَنَاءً . هذا لفظ أبى عمرو . وقال أبو عمرو : وعمّر هلال بن أَسْعَر عُمُرًا طويلا ومات بعد بَلَايَا عِظَامٍ مرّتْ على رأسه . قال : وكان رجل من قومه من بنى رِزَام بن مالك يقال له المُغيرة بن قَنْبَر يَعُوله ويُفْضِلُ عليه ويحتمل ثِقْلَه وثِقْلَ عيالِه فهلك، فقال هلال يَرْثِيه :

كان المغيرة بن قنبر يعوله فلما مات رثاه

ألا ليت المُغيرةَ كان حيًّا * وأَفْنَى قبلَه الناسَ الفَنَاءُ
لِيَبْكِ على المُغيرة كلُّ خيلٍ * اذا أَفْنَى عَرَائِكَها[2] اللِّقَاءُ
ويَبْكِ على المغيرة كُلُّ كَلٍّ * فقيرٍ كان يَنْعَشُه العَطَاءُ
ويَبْكِ على المغيرة كلُّ جيشٍ * تَمُورُ[3] لدى مَعَارِكه الدِّمَاءُ
فتى الفتيانِ فارسُ كلِّ حربٍ * اذا شالتْ[4] وقد رُفِعَ اللِّوَاءُ

---

(١) سمى بقسيم كأمير وقسيم كزبير . وقد ضبط هذا الاسم بالقلم فى ط كزبير .

(٢) العرائك : جمع عريكة . وأصل العريكة سنام البعير، وتقال على النفس، وعلى القوة والشدة، ولعل هذا المعنى هو المراد فى هذا البيت . وقد فسرت العريكة بمعنى الشدة والقوة فى قول الأخطل :

من اللواتى اذا لانت عريكتها * كان لها بعدها آل ومجهود

(أنظر اللسان مادة عرك) . (٣) تمور : تجرى وتسيل . (٤) شالت الحرب : تهيأت لأن يخوض الأبطال غمارها . وهو من شالت الناقة اذا رفعت ذنبها للقاح .

لقد وارى جديدُ الأرض منه[1] * خِصَالاً عَقْدُ عِصْمَتِها الوفاءُ

فصبرًا للنوائب إن ألَمَّتْ * اذا ما ضاق بالحَدَث الفضاءُ

هِزَبْرٌ تَنْجَلِى الغَمْراتُ عنه * نقىّ العِرْض هِمّتُه العَلاءُ

١٨٢ / ٢

اذا شهد الكَرِيهَةَ خاض منها * بُحُورًا لا تكدّرُها الدِّلاءُ

٥

جَسُورٌ لا يروَّع عند رَوْعٍ[2] * ولا يَثْنِى عزيمتَه اتّقاءُ

حَلِيمٌ فى مَشَاهده اذا ما * حُبَا الحُلَمَاء أطلقها المِراءُ[3]

حَمِيدٌ فى عشيرته فَقِيدٌ[4] * يَطِيب عليه فى الملإ الثناءُ

فإن تكن المنيةُ أقْصدتْه[5] * وحُمَّ[6] عليه بالتلف القَضَاءُ

فقد أوْدَى به كَرَمٌ وخِيرٌ[7] * وعَوْدٌ بالفضائل وابتداءُ

١٠

وجودٌ لا يَضُمّ اليه جودًا * مُرَاهِنُه اذا جَدّ الجِرَاءُ[8]

كان عادىّ الخلق صبورا على الجوع

وقال خالد بن كُلْثوم : كان هلال بن الأسعر، فيما ذكروا، يَرِد مع الإبل فيأكلُ ما وَجد عند أهله ثم يَرْجِع اليها ولا يتزوّد طعامًا ولا شرابا حتى يرجع يومَ وِرودها، لا يَذُوق فيما بين ذلك طعامًا ولا شَرابا، وكان عَادِىَّ الخَلْقِ[9] لا تُوصف صفتُه . قال

حكايات عن قوته

---

(١) يريد بجديد الأرض قبره الذى جدّ منها وحفر ليدفن فيه . (٢) فى ط :

١٥

* جسور لا يوزع منه روع * يريد أنه ثابت الجنان لا يفزع (٣) حبا : جمع حبوة وهى الثوب الذى يحتبى به ، واسم للاحتباء بالثوب أى الاشتمال به . و إطلاق الحبا يكنى به عن السفه والطيش . والمراء : المجادلة والملاجة والمخاصمة . (٤) فقيد : يفتقده العافون و يطلبونه . (٥) أقصدته : أصابته . (٦) حم : قضى وقدر . (٧) الخير : (بالكسر) الشرف . (٨) مراهنه : مسابقه . والجراء : مصدر كالمجاراة وهى المسابقة والمفاخرة .

٢٠

(٩) عادىّ الخلق : عملاق ضخم الجسم ، نسبة الى عاد . والعرب تضرب المثل بأحلام عاد لما تتصور من عظم خلقها ، وتزعم أن أحلامها على مقادير أجسامها . قال الشاعر :

كأنما ورثوا لقمان حكمته * علما كما ورثوا الأحلام من عاد

خالد بن كلثوم فحدّثنا عنهُ من أدركه : أنه كان يومًا فى إبلٍ له ، وذلك عند الظَّهيرة فى يومٍ شديدٍ وَقْعِ الشمس مُحْتَدِمِ الهاجِرة وقد عَمَد الى عصاه فطرح عليها كساءَه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس، فبينا هو كذلك إذ مرّ به رجلان أحدهما من بنى نَهْشَل والآخر من بنى فُقَيم[1]، كانا أشدّ تميميَّيْن فى ذلك الزمان بطشًا، يقال لأحدهما الهَيَّاج، وقد أقبلا من البحرين ومعهما أَنْواطٌ[2] من تمر هَجَر[3]، وكان هلالٌ بناحية الصِّعَاب[4]، فلما انتهيا الى الإبل، ولا يعرفان هلالًا بوجهه ولا يعرفان أن الإبل له، ناديا: يا راعى، أعندكَ شرابٌ تَسْقينا ؟ وهما يظُنّانه عبدًا لبعضهم ، فناداهما هلالٌ ورأسُه تحت كسائه : عليكما الناقةَ[5] التى صفتُها كذا فى موضع كذا فأَنِيخَاها[6] فإنّ عليها وَطْبين[7] من لبنٍ، فاْشربا منهما ما بدا لكما . قال فقال له أحدهما : وَيْحَكَ ! انهضْ يا غلام فأْتِ بذلك اللبن ! فقال لهما : إن تكُ لكما حاجةٌ فستأتيانها فتجدان[8] الوطبين فتشربان، قال فقال أحدهما: إنك يابن اللَّخْناء لغَليظ الكلام، قمْ فاْسقِنا، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال . وقال لهما ، حيثُ قال له أحدهما : «إنك يابنَ الخناء لغليظ الكلام» ، : أراكما والله ستَلْقَيان هَوَانًا وصَغَارًا، وسمعا ذلك منه، فدنا أحدهما فأَهْوَى له ضَرْبًا بالسَّوْط على عَجُزِه وهو مضطَجع ، فتناول هلالٌ يدَه فاجتذبه اليه ورماه تحت فَخِذه ثم ضغَطه ضَغْطةً، فنادى صاحبَه : وَيْحَك أَغِثْنى قد قتلنى! فدنا

---

(١) فى ط ، أ ، م : «بنى تيم» .

(٢) أنواط : جمع نوط ، والنوط : الجلة الصغيرة فيها التمر ونحوه . (٣) هجر : مدينة وهى قاعدة البحرين ، وقيل ناحية البحرين كلها هجر ، وهو الصواب . (٤) الصعاب : اسم جبل بين اليمامة والبحرين ، وقيل : رمال بين البصرة واليمامة صعبة المسالك . (٥) فى ب ، س ، حـ : «عليكما بالناقة» . وهو كما يتعدى بنفسه يتعدى بالباء . (٦) فى ء واحدى روايتى ط : «فاقصداها» . وفى ط : «فانحياها» . (٧) الوطب : سقاء اللبن خاصة .

(٨) فى ط ، ء ، حـ : «فتحدران» . وحدر الشىء : أنزله من علو .

صاحبُه منه، فتناوله هلالٌ أيضًا فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأخرى. ثم أخذ برقابهما فجعل يَصُكُّ برءوسهما[1] بعضًا ببعض لا يستطيعان أن يمتنعا منه؛ فقال أحدهما: كُنْ هِلالًا ولا نُبَالِى[2] ما صنعتَ؛ فقال لهما: أنا والله هلالٌ، ولا والله لا تُفْلِتَانِ منّى حتى تُعْطِيَانِى عهدًا وميثاقًا لا تَخِيسَانِ به[3]: لتأتيانّ المِرْبَدَ[4] اذا قدمتما البصرةَ، ثم لتُنَادِيَانّ بأعلى أصواتكما بما كان منّى ومنكما؛ فعاهداه وأعطياه تَوْطًا من التمر الذى معهما، وقدما البصرةَ فأتيا المِرْبَدَ فناديا بما كان منه ومنهما.

وحدّث خالد عن كُنَيْف[5] بن عبد الله المازنىّ قال: دنتُ يوما مع هلال ونحن نَبغى إبلًا لنا، فدَفَعْنا الى قوم من بكر بن وائل وقد لَغِبْنا[6] وعَطِشنا، واذا نحن بفتيةٍ شَبابٍ عند رَكِيّةٍ[7] لهم وقد وردت إبلُهم، فلما رأَوْا هلالا استَهْوَلُوا خَلْقَه وقامتَه، فقام رجلان منهم اليه فقال له أحدُهما: ياعبد الله، هل لك فى الصِّراع؟ فقال له هلال: أنا الى غير ذلك أحوجُ؛ قال: وما هو؟ قال: الى لبنٍ وماءٍ فإنّى لَغِبٌ ظَمآنُ؛ قال: ما أنتَ بذائقٍ من ذلك شيئا حتى تُعطِيَنا عهدا لَتُجيبنّنا الى الصِّراع اذا أَرَحْتَ[8] ورَوِيتَ؛ فقال لهما هلال: إنى لكم ضيفٌ، والضيفُ لا يُصَارِعُ

---

(١) الجمع فى رءوسهما دون التثنية لكراهة اجتماع تثنيتين مع ظهور المراد، وهو فى مثل ذلك أكثر استعمالا من التثنية والافراد، وفى القرآن الكريم: (فقد صغت قلوبكما). (٢) كذا فى ط، ى. وفى سائر النسخ: «ولا تبالى» بالتاء. (٣) لا تخيسان به: لا تغدران به ولا تنكثان. (٤) المربد: من أشهر محال البصرة، وكان يكون سوق الإبل فيه قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء.

(٥) كذا فى حـ. وفى سائر النسخ: «كفيف» وفى القاموس وشرحه مادة كنف أنه سمى بكنيف كزبير. ولم نعثر على أنه سمى بكفيف. (٦) لغبنا: تعبنا وأصابنا الإعياء. (٧) الركية: البئر لأنها مركوة أى محفورة. (٨) أراح الرجل: رجعت اليه نفسه بعد الإعياء.

[آهلَه و] (١) رَبَّ منزله، وأنتم مكتَفون من ذلك بما أقول لكم: اعْمِدوا الى أشدّ فحل في إبلكم وأهْيبِه صولةً والى أشــدِّ رجل منكم ذراعا ، فإن لم أقبِض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنعُ الرجلُ ولا البعيرُ حتى أُدخِلَ يدَ الرجل في فم البعير، فإن لم أفعَــلْ ذلك فقد صرَعتُموني ، و إن فعلتُه علمتم أن صِراع أحدكم أيسرُ من ذلك .

قال : فعجبوا من مَقالته تلك، وأومئُوا الى فحل في إبلهم هائج صائلٍ قَطِمٍ (٢) فأتاه هلال ومعــه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم، فأخذ بهامة الفحل ممــا فوق مِشْفَره فضغطها ضَغْطةً جَرْجَرَ الفحلُ [منها] (٣) وآستخذَى و رَغَا ، وقال : لِيُعْطِني من أحببتم يدَه أولِجْها في فم هــذا الفحل . قال فقال الشيخ : ياقوم تنكّبوا هــذا الشيطانَ ؛ فوالله ما سمعتُ فلانا (٤) (يعني الفحل) (٥) جرجر منذ بَزَل (٦) قبل اليوم ، فلا تَعرِضوا لهــذا الشيطان . وجعلوا يَتْبعونه وينظرون الى خَطْوِه ويَعْجَبُون من طول أعضائه حتى جازهم .

صارع في المدينة عبدا بأمر أميرها

قال وحدّثنا مَنْ سمع هلالا يقول: قَدِمتُ المدينةَ وعليها رجلٌ من آل مَرْوانَ، فلم أزل أضَعُ عن إبلي وعليها أحمال للتجار حتى أخذَ بيدي وقيل لي: أجب الأميرَ. قال : قلتُ لهم: وَيْلَكمْ! إبلي وأحمالي! فقيل : لا بأس على إبلك وأحمالك . قال: فآنطُلِقَ بي حتى أُدخِلتُ على الأمير، فسلّمتُ عليــه ثم قلتُ : جُعِلتُ فِداكَ ! إبلي وأمانتي ! قال فقال : نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤدّيها اليك . قال فقلت

(١) زيادة في ط ، أ ، م ، ء . والآهل : من قولهم أهل به : اذا أنس به . (٢) كذا في ط والقطم : الهائج . وفي سائر النسخ : «فطم» بالفاء، وهو تحريف . (٣) زيادة يقتضيها السياق . وجرجر : ردد صوته في حنجرته . واستخذى : خضع . (٤) كذا في جميع النسخ، ولكن الذي قاله أئمة اللغة أن فلانا وفلانة بغير أل يكنى بهما عن الآدميين، والفلان والفلانة بأل يكنى بهما عن غيرهم . (٥) كذا في أ ، م . وفي بقية الأصول : « يعني هذا الفحل » . (٦) في ط : « برك » وفي سائر النسخ : «نزل» بالنون بدل الباء، وكلتاهما محرفة عن « بزل » . و بزل البعير : فطر نابه ودخل في سنه التاسعة .

عند ذلك : فما حاجةُ الأميرِ إلىّ جعلني الله فداه؟ قال فقال لي – والى جَنْبه رجل أصفر –: لا[1] والله ما رأيت رجلا قطُّ أشدَّ خَلْقا منه ولا أغلظ عُنُقًا، ما أدرى أطولُه أكثر أم عرضُه – : إن هـذا العبد الذى تَرَى لا والله ما ترك بالمدينـة عربيًّا[2] يصارع إلا صَرَعه ، وبلغني عنك قوةٌ، فأردتُ أن يُجرِيَ الله صَرْعَ هذا العبدِ على يديك فتُدْرِكَ ما عنـده من أوتار العرب . قال فقلت : جعلنى الله فداء الأمـير، إنى لَغِبٌ نَصِبٌ جائعٌ، فإن رأى الأميرُ أن يدعَنى اليـومَ حتى أضعَ عن إبلى وأُؤَدِّيَ أمانتى وأُرِيحَ يومِى هـذا وأجيئَه غدا فليفعلْ . قال فقال لأعوانه : اِنطلقوا معـه فأعينوه على الوَضْع عن إبله وأداءِ أمانتـه وانطلقوا به الى المطبخ فأشبِعوه؛ ففعلوا جميع ما أمرهم به . قال : فظَلِلْتُ بقيـةَ يومى ذلك وبتُّ ليلتى تلك بأحسنِ حالٍ شِبَعًا وراحةً وصـلاحَ أمرٍ ، فلما كان من الغد غدوتُ عليه وعلىّ جُبَّةٌ لى صوفٌ وبَتٌّ[3] وليس علىّ إزار إلا أنى قد شَدَدتُ بعامتى وسَطى ، فسلّمتُ عليـه فردّ علىّ السلام، وقال للأصفر : قُمْ اليه، فقد أرى أنه أتاك الله بما يُخزِيك؛ فقال العبد: اتَّزِرْ يا أعرابىّ؛ فأخذت بَتِّى فاتَّزرتُ به على جُبّتى؛ فقال: هيهات! هذا لا يثبُت، اذا قبضتُ عليه جاء فى يدى؛ قال فقلت : والله ما لى من إزار؛ قال : فدعا الأميرُ بمِلْحَفة ما رأيت قبلها ولا علا جلدى مثلُها ، فشدَدْت بها على حَقْوِى[4] وخلعت الجُبّةَ؛ قال : وجعل العبد يَدُور حولى و يريد خَتْلِي وأنا منه وجِلٌ ولا أدرى كيف أصنع به ،ثم دنا منى دَنْوةً فنقَد[5] جبهتى بظُفره نَقْدَةً [حتى][6] ظننتُ أنه قد شجّنى وأوجعنى،

(١) «لا» هذه زائدة ، والعرب يزيدونها قبل القسم تمهيدا لنفى الجواب .

(٢) كذا فى ء ، ط . وفى حـ ، ب : «عبدا» . وفى سـ ، أ ، م : «عبدا عربيا» .

(٣) البت : كساء غليظ مهلهل مربع أخضر . وقيل : هو من وبر وصوف . (٤) الحقو : الخصر .

(٥) كذا فى ء ، ط . ونقد الشىء : نقره بأصبعه . وفى باقى النسخ : « فنقذ جبهتى بظفره نقذة » ونقذ الشىء الشىء : خرقه . والمقام هنا يأباه . (٦) الزيادة عن أ ، م .

فغاظنى ذلك ، بجعلتُ أنظر فى خَلْقه بِمَ أقبِضُ منه ، فما وجدتُ فى خلقه شيئا أصغرَ من رأسه ، فوضعتُ إبهامىَّ فى صُدْغيه وأصابعى الأُخَر فى أصل أُذُنيه[1] ، ثم غَمَزتُه غمزةً صاح منها : قتلتَنى! قتلتَنى! فقال الأمير: اغمِس رأسَ العبد فى التراب ؛ قال فقلت له : ذلك لك علىَّ ؛ قال : فغمَسْتُ والله رأسَه فى التراب ووقع شبيهاً بالمَغشىّ عليه ، فضحك الأميرُ حتى آستلقى وأمر لى بجائزة وكُسوةٍ[2] وآنصرفتُ .

قتل رجلا من بنى جلان استجار بمعاذ فقبض عليه للثأر منه ، ثم فرالى اليمن وشعره فى ذلك

قال أبو الفرج : ولهلالٍ أحاديثُ كثيرةٌ من أعاجيبِ شدّته . وقد ذكره حاجب بن ذبيان[3] فقال لقوم من بنى رِبابٍ من بنى حَنيفة فى شىء كان بينهم فيه أربعُ ضَرَبات بالسيف ، فقال حاجب :

وقائلةٍ وباكيةٍ بشَجْوٍ * لَبئسَ السيفُ سيفُ بنى رِباب
ولو لاقَى هلالَ بنى رِزَامٍ * لعجّله إلى يوم الحساب

وكان هلالُ بن الأسعر ضربه رجل من بنى عَنَزة ثم من بنى جَلّان يقال له عُبيد بن جرىّ[4] فى شىء كان بينهما ، فشجّه وخمَشه خُماشةً[5] ، فأتى هلالٌ بنى جَلّان فقال : إن صاحبكم قد فعل بى ما تَرَوْن فخذوا لى بحقّى ، فأوعدوه وزجروه[6] ؛ فخرج من عندهم وهو يقول : عسى أن يكون لهذا جزاءٌ حتى أتى بلادَ قومه ؛ فمضى

(١) كذا فى ط ، ء . وفى ب ، س ، حـ : « فوضعت إبهامى فى صدغه وأصابعى الأخر فى أصل أذنه الأخرى » . وفى أ ، م : « فى أصل أذنه » بدون الأخرى . (٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س : « بجائزة وصلة وكسوة » . وفى حـ « بجائزة وصلة وكسوة ومئزرة ثم انحدرت الخ » . (٣) كذا فى ء وهامش ط ، وهكذا ورد فى تاريخ ابن جرير الطبرى فى حوادث سنة ٠ ١ طبع أوربا . وفى حـ : «صاحب بن ذبيان» وفى باقى الأصول «حاجب بن دينار» (٤) كذا فى أكثر النسخ . وفى ط ، حـ : «حرى» بالحاء المهملة . (٥) الخمش : الخدش فى الوجه ، وقد يستعمل للخدش فى سائر الجسد . (٦) كذا فى أ ، م ، س . وفى باقى النسخ : « زبروه » .

لذلك زمنٌ طويل حتى درَس ذكرُه ؛ ثم إن عبيد بن جرى قَدِم الوَقَبى — وهو موضع من بلاد بنى مالك — فلما قَدِمها ذكر هلالًا وما كان بينه و بينه فتخوّفه ؛ فسأل عن أعزّ أهل الماء، فقيل له : مُعَاذ بن جَعْدة بن ثابت بن زُرارة بن ربيعة ابن سيّار بن رِزام بن مازن ؛ فأتاه فوجده غائبا عن الماء، فعقد عُبَيد بن جرى طرف ثيابه الى جانب طُنُبِ بيت معاذ — وكانت العرب اذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطُنُبِ بيته للمستجير به أن يُجيرَه وأن يطلب له بظُلَامته — وكان يومَ فعل ذلك غائبا عن الماء، فقيل : رجلٌ آستجار بآل مُعَاذ بن جَعْدة. ثم خرج عبيد بن جرى ليَستقى ، فوافق قُدومَ هلال بإبله يومَ وُرُوده، وكان إنما يقدَمُها فى الأيام، فلما نظر هلال الى ابن جرى ذكر ما كان بينه و بينه، ولم يعلم بآستجارته بمعاذ بن جعدة ، فطلب شيئا يضربه به فلم يجده، فانتزع المِحْوَر(١) من السّانية فعلاه به ضربةً على رأسه فصُرِعَ وقِيذًا(٢)، وقيل : قتل هلالُ بن الأسعر جارَ معاذ بن جعدة! فلما سمع ذلك هلال تخوّف بنى جعدة الرِّزاميّين ، وهم بنو عمه ، فأتى راحلتَه ليركَبها . قال هلال : فأتتنى خَوْلة بنت يَزيد(٣) بن ثابت أخى بنى جَعْدةَ بن ثابت(٤)، وهى جَدّةُ أبى السَّفَّاح زهيدِ(٥) بن عبد الله بن مالك أمُّ أبيه، فتعلّقتْ بثوب هلال، ثم قالت : أىْ عدوّ الله قتلتَ جارنا ! والله لا تُفارقنى حتى يأتيَكَ رجالُنا ! قال هلال: والمحورُ فى يدى لم أضَعْه ؛ قال : فهمَمتُ أن أعلوَ به رأسَ خولةَ ، ثم قلتُ فى نفسى : عجوزٌ لها سِنٌّ وقرابةٌ ! قال : فضربتُها برجلى ضربةً رميتُ بها من بعيد، ثم أتيتُ

(١) المحور الحديدة التى تجمع بين الخطاف والبكرة . والسانية : الدلو العظيمة مع أدواتها .
(٢) الوقيذ : الدنف الذى أشفى على الموت . (٣) كذا فى أ ، م ، حـ . وفى سائر النسخ : « فقال » ولا موقع لهذه الفاء . (٤) فى ط ، حـ ، ء : « زيد » .
(٥) كذا فى أكثر النسخ . وفى احدى روايتى ط : « مهند » . وفى حـ : «وهى جدة أبى السفاح وهى بنت عبد الله الخ» .

ناقتى فأركبُها[1] ثم أَضْرِبها هاربا . وجاء مُعاذُ بنُ جعدة وإخوتُه — وهم يومئذ تسعة إخوة — وعبد الله بن مالك زوج لبنت معاذ [و][2] يقال لها جُبَيلةُ، وهو مع ذلك ابنُ عمّتهم خَوْلةَ بنت يزيد بن ثابت، فهو معهم كأنه بعضُهم؛ فجاءوا من آخر النهار فسمعوا الواعيةَ[3] على الخَلّانيّ وهو دَنِفٌ لم يَمُتْ، فسألوا عن تلك الواعية فأُخبروا بما كان من ٱستجارة الخلّانيّ بمعاذ بن جعدة وضربِ هلالٍ له من بعد ذلك؛ فركب الاخوةُ التسعةُ وعبدُ الله بن مالك عاشرُهم، وكانوا أمثالَ الجبال فى شدّة خَلْقهم مع نَجْدتهم، وركبوا معهم بعشرة غِلْمةٍ لهم أشدّ منهم خَلْقًا لا يقع لأحد منهم سهم فى غير موضعٍ يريده من رَمِيَّته، حتى تبعوا هلالا؛ وقد نَسَلَ[4] هلال من الهرب يومه ذلك كلَّه وليلته، فلما أصبح أَمِنَهم وظنّ أن قد أَبْعد فى الأرض ونجا منهم؛ وتبعوه، فلما أصبحوا من تلك الليلة قصُّوا[5] أثرَه، وكان لا يَخفَى أثرُه على أحد لعِظَم قَدَمه، فلحقوه من بعد الغد، فلما أدركوه وهم عشرون ومعهم النَّبْل والقِسِيّ والسيوف والتِّرَسة[6]، ناداهم: يا بنى جَعْدة، إنى أَنْشُدكم الله! أن أكونَ قتلتُ رجلا غريبا طلبته بتِرَةٍ تقتلونى وأنا ٱبن عمّكم! وظنّ أنّ الخَلّانيّ قد مات، ولم يكن مات إلى أن تَبِعوه وأخذوه؛ فقال مُعَاذ: والله لو أيقنّا أنه قد مات ما ناظَرْنا بك القتلَ[7] من ساعتنا ولكنّا تركناه ولم يمت، ولسنا نحبّ قتلَك إلّا أن تمتنع منا، ولا نُقدم عليك حتى نعلم ما يصنع جارنا؛ فقاتلهم وٱمتنع منهم، فجعل معاذ يقول لأصحابه وغلمانه: لا تَرْمُوه

(١) فى حـ: «فركبتها».
(٢) هـذه الواو ساقطة من ب، سـ، حـ.
(٣) الواعية: الصراخ على الميت.
(٤) نسل: أسرع فى سيره.
(٥) قص أثره قصا وقصصا: تتبعه.
(٦) الترسة: جمع ترس، وهو صفيحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف.
(٧) ما ناظرنا بك القتل: ما أخرناه. ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فى كتب اللغة التى بين أيدينا.

بالنبل ولا تضربوه بالسيوف، ولكن آرموه بالحجارة وآضربوه بالعصيّ حتى تأخذوه؛ ففعلوا ذلك، فما قدَروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ومن الأخرى إصبعين، ودقّوا ضلَعين من أضلاعه وأكثروا الشِّجاج في رأسه، ثم أخذوه وما كادوا يقدِرون على أخذه، فوضعوا في رجله أَدْهَم[1]، ثم جاءوا به وهو معروض على بعير حتى آنتهَوْا به الى الوَقَبَى فدَفَعوه الى الحَلَّانى ولم يمتْ بعـدُ[2]، فقالوا: انطلقوا به معكم الى بلادكم ولا تُحدِثوا في أمره شيئا حتى تنظُروا ما يُصْنَعُ بصاحبكم، فإن مات فآقتلوه وإن حَيِيَ فأعلمونا حتى نحمِلَ لكم أَرْشَ[3] الجناية. فقال الحلّانيّون: وَفَتْ ذمّتكم يا بنى جَعْدة، وجزاكم الله أفضلَ ما يَجْزِى به خيارَ الجيران، إنّا نتخوّف أن يَنْزِعه منّا قومُكم إن خلّيتم عنّا وعنهم وهو في أيدينا، فقال لهم مُعاذ: فإنى أحمله معكم وأشيِّعكم حتى تَرِدوا بلادكم، ففعلوا ذلك، فحُمِل معروضا على بعير وركِبتْ أختُه جماء[4] بنت الأسعر معه، وجعـل يقول: قتلتْني بنو جَعْدة! وتأتيه أختـه بمَغْرة[5] فيشربها فيُقال: يُمْشِي[6] بالدّم، لأن بنى جَعْدة فرَثوا[7] كَبِدَه في جوفه. فلمّا بلَغوا أدنَى بلاد بكر آبن وائل قال الحَلّانيّون لمعاذ وأصحابه: أدام الله عزّكم، قد وفيتمُ فآنصرفوا. وجعل هلال يُريهم أنّه يُمْشِى في الليلة عشرين مرّة. فلمّا ثقُل الحَلّانيُّ وتخوّف هلال أن يموت من ليلته أو يصبحَ ميّتا، تبرّز هلال كما كان يصنع وفي رجله الأَدْهمُ كأنه يقضى حاجةً، ووضع كساءَه على عَصاه في ليلة ظَلْماء، ثم آعتمد على الأدهم فحطَمه، ثم طار تحت ليلته على رجليه، وكان أدلّ الناس فتنكّب الطّريقَ التى تُعرف ويُطلَب فيها

(١) الأدهم: القيد. (٢) كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س، ح: «فقال». (٣) الأرش: دية الجراحات. (٤) كذا في ب، س، ح. وفي ء، أ، م «حماء» بالحاء المهملة والمد وفي ط: «حما» بالحاء المهملة مقصورا.

(٥) المغرة (بالفتح وبالتحريك): طين أحمر يصبغ به.

(٦) أمشى الرجل: استطلق بطنه من دواء تناوله. (٧) فرثوا كبده: ضربوها وهو حيّ:

وجعل يَسْلك المسالكَ التى لا يُطمَع فيها ، حتّى آنتهى إلى رجل من بنى أُثاثةَ بن مازِن يقال له السِّعر بن يزيد بن طَلْق[1] بن جُبَيلة بن أُثاثةَ بن مازن، فحمَله السِّعر على ناقة له يقال لها مَلْوة ، فركبها ثم تجنّب بها الطريقَ فأخذ نحوَ بلاد قَيْس بن عَيْلان ، تخوّفًا من بنى مازن أن يتْبعوه أيضا فيأخذوه ، فسار ثلاثَ ليالٍ وأيّامَها حتى نزل اليومَ الرّابعَ ، فنحر الناقة فأكل لحمَها كلَّه إلّا فَضْلةً فضَلت منها فاحتملها ، ثم أتى بلادَ اليمن فوقع بها ، فلبث زمانًا وذلك عند مُقَام[2] الحجّاج بالعراق ، فبلغ إفلاتُه مَنْ بالبصرة من بَكْر بن وائل ، فانطلقوا الى الحجّاج فاستعدَوْه وأخبروه بقتله صاحبَهم ، فبعث الحجاج الى عبدالله ابن شُعْبة بن العَلْقم ، وهو يومئذ عَريف بنى مازن حاضرتِهم و باديتِهم ، فقال له : لَتأتِيَنّى بهلال أو لأفعلنّ بك ولأفعلن ، فقال له عبد الله بن شُعبة : إن أصحاب هلال و بنى عمّه قد صنَعوا كذا وكذا : فاقتصّ عليه ما صنعوا فى طلبه وأخذه ودفعه الى الحَلّانيّين وتشييعهم إيّاه حتّى ورَدوا بلادَ بَكْر بن وائل ، فقال له الحجّاج : ويلك ! ما تقول ؟ قال فقال بعض البَكْريّين : صدَق ، أصلحَ الله الأميرَ ، قال فقال الحجّاج : فلا يُرغِم الله إلّا أنُوفَكم[3] ، إشهدوا أنّى قد آمنتُ كلَّ قريب لهلال وحَميم وعَريف ومنعتُ من أخذِ أحدٍ به ومن طلبه حتّى يظفَرَ به البَكْريّون أو يموت قبل ذلك . فلمّا وقع هلال الى بلاد اليمن بعث الى بنى رِزام[4] بن مازن بشعر يعاتبهم فيه و يُعظِّم عليهم حقّه و يذكُر قرابته ، وذلك أنّ سائر بنى مازن قاموا ليحملوا ذلك الدّم ، فقال معاذ :

(١) فى ط ، ى : «علق» وفى أ ، م : «عل» . (٢) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى باقى الأصول : «عند مقدم الحجاج العراق» . (٣) كذا فى أكثر الأصول ، وفى س : «أنوفهم» . (٤) كذا فى ط ، حـ ، ى . وفى سائر النسخ : « مالك » ومالك جد رزام لا أبوه (راجع أول هذه الترجمة) .

لا أرضَى والله أن يُحمل لجارى دمٌ واحد حتّى يُحمَل له دمٌ ولجوارى دمٌ آخر، وإن أراد هلال الأمانَ وَسْطَنا حُمل له دم ثالث، فقال هلال فى ذلك :

بَنِى مازنٍ لا تطـرُدونى فإنّنى * أخوكم وإن جَرّتْ جرائرُها[1] يدى

ولا تُلجِئوا أ كبادَ بكر بن وائلٍ * بترك أخيكم كالخليع المُطرَّدِ

٥ ولا تجعلوا حِفظى بظَهرٍ وتحفَظوا * بعيدًا ببغضاء يروح ويغتدى[2]

فإنّ القريب حيثُ كان قريبُكم * وكيفَ بقطع الكَفّ من سائر اليدِ

وإن البعيد إن دنا فهو جارُكم * وإن شطّ عنكم فهو أبعدُ أبعدِ

وإنّى وإن أوجدتمونى[3] لحافظ * لكم حفظَ راض عنكمُ غيرِ مُوجَدِ

سيَحْمِى حِمَاكم بى وإن كنتُ غائبًا * أغرُّ اذا ما رِيع لم يتبلَّدِ

١٠ وتَعلم بكر أنّكم حيثُ كنتمُ * وكنتُ من الأرض الغريبة مَحتِدى

وأنّى ثقيلٌ حيثُ كنتُ على العِدا * وأنّى وإن أُوحِدتُ لستُ بأوحدِ

وأنهم لمّا أرادوا هَضيمتى * مُنُوا[4] بجميع القلب عَضبٍ مُهنَّدِ

حُسامٍ متى يعزِمْ على الأمر يأتِه * ولم يتوقَّف للعواقب فى غدِ

وهم بَدءوا بالبَغْى حتّى اذا جُزُوا * بأفعالهم قالوا لجازيهمُ[5] قَدِ[6]

١٥ فلم يَكُ منهم فى البَديهة[7] مُنصِفٌ * ولم يك فيهم فى العواقب مُهتدى

---

(١) الجرائر : جمع جريرة وهى الذنب والجناية . (٢) كذا فى ط ، ى . وهو الأقرب الى الصواب . وفى باقى النسخ : « تروح وتغتدى » بالتاء . (٣) كذا فى ط ، ح ، ى . وأوجدتمونى : أغضبتمونى ، من وجد يجد وجدا وجدة وموجدة اذا غضب . وتعدية الفعل بالهمزة فى مثل هذا قياسية على المختار . وفى باقى النسخ : «أوحدتمونى» بالحاء ، أى جعلتمونى وحيدا منفردا .

٢٠ (٤) منوا : ابتلوا . (٥) فى ط ، ى : «لجاريهم» بالراء ، والتحريف فيها واضح . وفى سائر النسخ : « لجارهم » وهو تحريف . (٦) قد : اسم فعل بمعنى يكفى .

(٧) البديهة : أول الشىء .

ولم يفعلوا فعلَ الحليم فيُجْمِلوا (١) * ولم يفعلوا فعلَ العزيز المؤيَّد

فإن يَسِّر لى إيعادُ (٢) بَكْرٍ فربّما * منعتُ الكَرى بالغيظ من مُتوعِّد

ورُبَّ حِمَى قومٍ أبحتُ ومَوْرِدٍ * وردتُ بفتيان الصباح وموردِ

وسَخْفٍ دَجُوجِىٍّ من الليل حالكٍ * رفعتُ بعَجْلَى الرِّجل مَوّارةِ اليد (٣)

سفينةِ خَوّاضٍ بُحورَ هُمومه * قليلِ اتّياث (٤) العزم عند التردّد

جَسورٍ على الأمر المَهيب إذا ونَى * أخو الفَتْك ركّابٍ قَرَى (٥) المتهدِّد

وقال وهو بأرض اليمن :

أقول وقد جاوزتُ نُعْمَى وناقتى * تحِنّ الى جَنْبَىْ (٦) فُلَيج (٧) مع الفَجْر

سَقَى الله يا ناقَ البلادَ التى بها * هواكِ، وإن عنّا نأتْ، سَبَلَ (٨) القَطْر

فما عن قِلًى منّا لها خَفّت النوى * بنا عن مَراعيها وكُثبانها العُفْر

ولكنّ صرفَ الدّهرِ فرّق بيننا * وبين الأدانى، والفتى غَرَضُ الدهر

فسَقْيًا لصحراء الإهالة (٩) مَرْبَعًا * وللوقَبَى من منزلٍ دَمِثٍ (١٠) مُثْرِى

وسَقْيًا ورَعْيًا حيث حلّت لمازنٍ * وأيامِها الغُرّ المحجّلة الزُّهْر

---

(١) كذا فى ط . وفى ب ، س ، حـ : « فيحلموا » . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « إبعاد » بالباء الموحدة وهو تحريف . (٣) يريد بموّارة اليد : الناقة : أى ان يدها كثيرة التردد فى عرض جنبها ؛ يعنى أنها سهلة السير سريعته . (٤) كذا فى ط ، ء . والاتياث : الإبطاء . وفى سائر النسخ : « ثبات » . (٥) القرى (بالتحريك) : الظهر ، وقيل : وسطه . (٦) فى ط ، ء : « خيفى فليج » . (٧) كذا فى ط ، ء ومعجم ياقوت . وفى باقى النسخ : « فليح » بالحاء وهو تصحيف . (٨) السبل : المطر النازل من السحاب قبل أن يصل الى الأرض . (٩) صحراء الإهالة : موضع ذكره ياقوت ولم يبينه واستشهد بهذا البيت . (١٠) دمث : سهل لين . ومثر : كثير الثرى خصب .

قال خالدُ بنُ كُلْثوم : ولمـا دُفِعَ هلالٌ الى أولياء الجَلّانىّ ليقتـلوه بصاحبهم جاء رجل يقال له : حُفيدٌ كان هلالٌ قد وتَره فقال : واللهِ لأؤَنِّبنَّه(١) ولأُصَغِّرَنَّ اليه نفسَه وهو فى القيود مَصْبورٌ(٢) للقتل، فأتاه فلم يَدعْ له شيئا ممـا يكره إلا عدّه عليه . قال: والى جنب هلالٍ حَجَرٌ يملأ الكفَّ، فأخذه هلالٌ فأهوى به للرجل فأصاب جبينَه فاجتلَف جُلْفةً(٣) من وجهه ورأسِـه ، ثم رمَى بها وقال : خذ القِصاصَ منّى الآنَ، وأنشأ يقول :

أنا ضَرَبتُ كَرِبًا وزَيْدَا * وثابِتًـا مَشَّيتُهم رُوَيْدَا

كما أقدتُ(٤) حَيْنَه عُبَيدَا * وقد ضربتُ بعده حُفَيدَا

قال : وهؤلاء كلُّهم من بنى رِزَام بن مازن، وكلُّهم كان هلالٌ قد نكَأ(٥) فيهم .

أدى عنـه ديسم الدية لبنى جلان فمدحه

قال خالدُ بن كلثـوم : ولمـا طال مُقامُ هلالٍ باليمن نَهَضتْ بنو مازنٍ بأجمعهم الى بنى رِزَام بن مازن رَهْطِ هلال و رهطِ مُعاذِ بن جَعْـدةَ جارِ الجَلّانىّ المقتولِ ، فقالوا : إنكم قد أسأتم بآبن عمّكم وجُزْتم الحدّ فى الطلب بدم جاركم، فنحن نحمِلُ الكم ما أردتم ، فحَمَل دَيْسَمُ بنُ المِنْهالِ بن خُزَيمةَ(٦) بن شِهَاب بن أثاثةَ(٧) بن ضِبَاب بن حُجَيَّة(٨) ابن كابِيَـةَ بن حُرْقُوصِ بنِ مازنٍ الذى طلَب معاذُ بن جَعْدَة أن يُحمَلَ لجاره، لفضل عزِّه وموضعِه فى عشيرته ، وكان الذى طلب ثلثمائةِ بعيرٍ، فقال هلال فى ذلك :

(١) كذا فى ط ، ء . وفى سائر النسخ : «لآتينه» . (٢) كذا فى ط ، ء والمصبور: المحبوس للقتل . وفى سائر النسخ : «مصفود» . (٣) اجتلف منه جلفة : بضع من لحمه بضعة (٤) كذا فى أ ، م . وفى ب ، س : «أفأت» . وفى ط : «أقدت» . (٥) نكأ فيهم : قتل فيهم وجرح وأثخن . (٦) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب، س : «جزيمة» بالزاى . وفى حـ : «جذيمة» بالدال . (٧) فى ط : «أمامة» . (٨) كذا فى ط ، ء . وفى سائر النسخ : «حجبة» ولم نعثر على أنه سمى به .

إن ٱبن كابيـةَ المرزَّأَ[1] دَيْسَمًا * وَارِى الزِّنادِ بعيدُ ضوءِ النارِ
مَن كان يحملُ ما تحمَّلَ دَيسمٌ * من حائلٍ فُتُقٍ[2] وأمِّ حُـوارِ
عَيِّتْ[3] بنو عمرو بحمل هنائدٍ[4] * فيها العِشارُ[5] مَلَابِئُ الأبكارِ
حتى تَلَافاها كريمٌ سـابقٌ * بالخير حلّ منازلَ الأخيـارِ
حتى إذا وردتْ جميعًا أَرْزَمتْ[6] * جَلَّانَ بعـدَ تَشَمُّسٍ ونِفَارِ
تَرعَى بصحراءِ الإهالةِ[7] رُوبةً[8] * والعُنظُوانَ[9] مَنابتَ[10] الجرجارِ[11]

أعان قمير بن سعد على بكر بن وائل وقال فى ذلك شعرا

وقال خالدُ بن كلثوم : كان قُمَيرُ بنُ سَعْد مُصَدِّقًا على بكر بن وائل، فوجد منهم رجلا قد سرق صـدقته[12]، فأخذه قُمَير ليحبسه، فوثب قومُه وأرادوا أن يَحُولوا بين قُمَير و بينـه وهلالٌ حاضرٌ، فلمـا رأى ذلك هلالٌ وثَب على البكريّين فجعـل يأخذ الرجلين منهم فيكنُفُهما[13] ويُناطِح بين رءوسهما ، فانتهى إلى قُمَيرٍ أعوانُه فقهَروا البكريّين، فقال هلال فى ذلك :

(١) المرزأ : الكريم الذى يصاب فى ماله كثيرا . (٢) الفتق بضمتين : الناقة الفتية السمينة . والحوار بالضم ويكسر : الفصيل . (٣) كذا فى ط ، ء . وفى ب ، سـ ، أ : «عنيت» . (٤) كذا فى الأصول كلها ، والظاهر أنه جمع هنيدة وهى المائة من الإبل . والذى فى اللسان وشرح القاموس : أن هنيدة مائة من الإبل معرفة لا تنصرف ولا يدخلها الألف واللام ولا تجمع ولا واحد لها من جنسها . وفى الأساس : « وأعطاه هنيدة : مائة من الابل ، وهندا : مائتين» .
(٥) العشار : جمع عشراء بضم العين وفتح الشين كنفساء ونفاس ولا ثالث لهما ، والعشراء : الناقة التى أتى عليها عشرة أشهر من نتاجها . و يقال عشار ملابئ اذا دنا نتاجها .
(٦) أرزمت الناقة : حنت الى ولدها . وفى المثـل : « لا أفعـله ما أرزمت أم حائل » .
(٧) صحراء الإهالة : اسم موضـع ذكره ياقوت ولم يعينه واستشهد بشـعر لهلال بن الأسعر .
(٨) الروبة : مكرمة من الأرض كثيرة النبات والشجر وهى أبقى الأرض كلأ . (٩) العنظوان : ضرب من النبات اذا أكثر منه البعير وجع بطنه . (١٠) كذا فى جميع الأصول ولعلها «فنابت» بفاء العطف ليستقيم المعنى . (١١) الجرجار : نبت طيب الريح . (١٢) فى ب ، سـ ، حـ : «بعض صدقته» . (١٣) يكنفهما : يضمهما .

دعانى قُمَيْرٌ دَعْوَةً فأجبتُه * فأىُّ امرئٍ فى الحرب حين دعانى
معى مِخْذَمٌ قد أخلص القَيْنُ حَدَّه * يُخَفِّضُ عند الرَّوْعِ رَوْعَ جَنَانِى
وما زِلتُ مذ شَدَّتْ يمينى حُجْزتى(١) * أُحَارِبُ أو فى ظِلّ حربٍ تَرَانى(٢)

أخبرنى محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفىّ قال حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيْلٍ العَنَزِىّ قال حدّثنا
٥ حَكِيم بن سعد عن زُفَر بن هبيرةَ قال :

حبسه بلال بن أبى بردة وافتكه ديسم

تَقَاوَمَ هلالُ بنُ أسعر المازنىّ ، وهو أحد بنى رِزام بن مازن ، ونُهَيْسٌ(٣) الجَلّانىّ من عَنَزةَ وهما يَسقِيان إبلَهما ، فخذف(٤) هلالٌ نُهَيسا بمحورٍ فى يده فأصابه فمات ، فاستعدى ولدُه(٥) بلالَ بن أبى بُرْدة على هلالٍ فحبَسه فأسلمَه قومُه بنو رِزام وعمِلَ فى أمره دَيْسَمُ ابن المنهال(٦) أحدُ بنى كابِيَةَ بنِ حُرْقُوص فافتكَّه بثلاث دِيات ، فقال هلال يمدحه :

١٠ تدارَكَ دَيْسَمٌ حسَبًا ومجــدًا * رِزَامًا بعد ما انشقَّتْ عصَاها
همو حَمَلوا المِئِينَ فألحَقُوها(٧) * بأهلِها فكانَ لهم سَنَاها

(١) الحجزة : معقد الإزار . (٢) لم يقع فى هذا البيت ما يسمى فى العروض بالاعتماد .
والاعتماد : سقوط الخامس من فعولن التى قبل القافية . وإثبات هذا الساكن فيما يكون ضربه محذوفا كما فى هذا الشعر لم يقع إلا على قبح ، ولم يأت فى الشعر إلا شاذا قليلا ، ومنه ما أنشده الخليل :
١٥ أقيموا بنى النعمان عنا صدوركم * وإلا تقيموا صاغرين الرءوسا
وقول امرئ القيس :
أعنى على برق أراه وميض * يضىء حُبيًّا فى شماريخ بيض
وتخرج منــه لامعات كأنها * أكف تلقى الفوز عند المفيض
(٣) كذا فى ط ، ء . وفى سائر النسخ : «بهيس» ولم نعثر على أنه سمى به وإنما سمى بيهس
٢٠ بتقديم الياء على الهاء . (٤) خذف بالحصاة والنواة ونحوهما : رمى بها من بين سبابتيه أو بمخذفة من خشب . ولعل المحور كان فى يد هلال لقوته أشبه بالنواة ، أو لعلها « حذف » بالحاء المهملة .
(٥) فى ب ، س : «فاستعدى ولده له بلال الخ» . (٦) كذا ورد هذا الاسم باتفاق النسخ فيما تقدم ، وورد هنا فى ب ، س ، م : «مهال» ولم ترد فى باقى النسخ . (٧) فى ب ، س ، حـ : « وألحقوها » .

وما كانت لتحملَها رِزامٌ * بأَسْتاهٍ مُعَقّصَةٍ لِحَاها

بكابيةَ بنِ حُرْقُوصٍ وجدٌّ * كريمٍ لا فتىً إلا فتَاها

الحديث عن هلال فى نهمه وكثرة أكله

أخبرنى أحمدُ بن عُبَيد الله بن عَمّار وأحمدُ بن عبد العزيز الجَوْهَرى[1] قالا حدّثنا إسماعيلُ بن إسحاقَ القاضى قال حدّثنى نصر بن علىّ الجَهْضَمىّ قال حدّثنا الأصمعىّ، وأخبرنى أبو عبيد محمد بن أحمد بن المؤمِّل الصَّيْرَفِىّ[2] قال حدّثنا فضل بن الحسن قال حدّثنا نصر بن علىّ عن الأصمعىّ قال حدّثنا المُعْتمِر بن سُلَيمان قال :

قلت لهلال بن أَسْعَر : ما أَكْلةٌ أكلتَها بلغتْنى عنك ؟ قال : جُعتُ مرّةً ومعى بعيرى فنحرتُه وأكلتُه إلا ما حَمَلتُ منه على ظهرى ، قال أبو عبيد فى حديثه عن فضل[3] : ثم أردتُ آمرأتى فلم أقدر على جماعها ؛ فقالت لى : وَيْحَكَ ! كيف تصل إلىّ و بينى وبينك بعيرٌ ! قال المعتمر : فقلتُ له : كم تكفيك هذه الأكلةُ ؟ قال : أربعةَ أيام . وحدّثنى به آبن عَمّار[4] قال حدثنى عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى أحمد بن مُعاوية عن الأصمعىّ عن مُعْتِمر بن سليمان عن أبيه قال : قلت لهلال بن الأسعر — هكذا قال آبن أبى سعد : معتمر عن أبيه وقال فى خبره : فقلت له — كم تكفيك هذه الأكلة؟ فقال : خَمْسًا .

(١) كذا فى ا ، م . وفى باقى النسخ : «قال» بدون ألف التثنية . (٢) فى ى : «أبو عبيد بن محمد» . وفى حـ : «أبو عبيد أحمد بن محمد» . (٣) فى ب ، س ، حـ : «فضل المضرى» . (٤) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، س : «وحدّثنى به ابن عمار قال قال المعتمد حدّثنى عبد الله بن أبى سعد الخ» . والظاهر أن ما جاء فى هاتين النسختين من زيادة قوله : قال المعتمد غير صحيح لأن أحمد بن عمار يروى عن عبد الله بن أبى سعد مباشرة كما سيجىء بعد أسطر، على أنا لم نجد فى رواة الأغانى من اسمه المعتمد .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى قال حدّثنا نصر بن علىّ قال حدّثنى الأصمعىّ قال حدّثنى شيخ من بنى مازن قال :

أتانا هلال بن أسعر المازنىّ فأكل جميعَ ما فى بيتنا ، فبعثنا الى الجيران نقترض الخبز فلما رأى الخبزَ قد اختلف عليه قال: كأنكم أرسلتم الى الجيران، أعندكم سَوِيقٌ؟(١) قلنا: نعم، فجئته بجراب طويل فيه سَويقٌ وبِرْنِيَّةِ(٢) نبيذٍ، فصبّ السويقَ كلّه وصبّ عليه النبيذَ حتى أتى على السَّويقِ والنبيذِ كلّه .

١٨٩/٢ أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنىّ :

أن هلالَ بنَ أسعرَ مرّ على رجل من بنى مازن بالبصرة وقد حمل من بستانه رُطَبًا فى زَوارِيقَ(٣) ، فجلس على زَوْرقٍ صغير منها وقد كُثِّبَ(٤) الرطبُ فيه وغُطِّىَ بالبوارِى(٥) ؛ قال له : يابن عمّ آكُلُ من رُطَبك هذا؟ قال : نعم، قال : ما يكفينى؟(٦) قال : ما يكفيك، فجلس على صدر الزورقِ وجعل يأكل الى أن اكتفى، ثم قام فانصرف، فكُشِفَ الزورقُ فاذا هو مملوءٌ نوًى قد أكَلَ رُطَبَه وألقَى النوَى فيه .

---

(١) السويق : دقيق الحنطة والشعير . (٢) البرنية : إناء من خزف .

(٣) زواريق : جمع زورق أشبع الكسرة فتولدت منها ياء كما جاء فى قوله :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة * نفى الدراهيم تنقاد الصياريف

ومنه للتنبى :

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها * مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

(٤) كذا فى ط ، حـ ، ى ، ومعناه جُمِع . وفى ب ، سـ : «كتب» . وفى أ ، م : «كب» وكلاهما تحريف . (٥) البوارى : الحصر المنسوجة من القصب .

(٦) كذا فى ط ، حـ ، ى . وفى سائر النسخ : «فيه ما يكفينى ؟ قال : ما يكفيك الخ» والمعنى بهذه الزيادة غير المعنى المراد .

قال المدائنىّ وحدّثنى مَنْ سأله عن أعجبِ شىء أكله ، فقال : مائتى رغيف مع مَكُّوكِ[1] ملح .

أخبرنى أحمدُ بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى الحسن بن على بن منصور الأَهْوازىّ ، وكان كَهْلا سَرِيًّا مُعَدَّلا ، قال حدّثنى شبان النِّيلِىّ[2] عن صَدَقةَ بن عُبَيدٍ المازنىّ قال :

أولم علىّ أبى[3] لما تزوّجتُ فعَمِلنا عشرَ جِفَانٍ ثَرِيدًا من جَزُورٍ . فكان أوّل من جاءنا هلال بن أسعر المازنىّ ، فقدّمنا اليه جَفنةً فأكلها ثم أخرى ثم أخرى حتى أتى على العشر ، ثم ٱستسْقَى فَأُتِىَ بقِرْبةٍ من نبيذ فوضعَ طَرَفَها فى شِدْقه ففرّغها فى جوفه ، ثم قام فخرج ؛ فاستأنفنا عملَ الطعام .

حدّث أبو عمرو ابن العلاء أنه لم ير أطول منه

أخبرنى الجوهرىّ قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدّثنا نصر بن علىّ عن الأصمعىّ قال : حدّثنى أبو عمرو بن العَلاء قال : رأيت هلال بن أسعرَ ميتًا ولم أره حيًّا ، فما رأيت أحدا على سرير[4] أطولَ منه .

غنى مخارق الرشيد فأعتقه

أخبرنى علىّ بن سليمانَ الأخفشُ قال حدّثنى محمدُ بن يزيدَ قال حدّثنى بعضُ حاشية السلطان قال :

غنّى إبراهيمُ الموصلىّ الرشيدَ يوما :

يا ربعَ سَلْمى لقد هيّجتَ لى طرَبا * زِدتَ الفؤاد على علّاته وَصَبا[5]

(١) المكوك : مكيال يسع صاعا ونصف صاع . (٢) كذا فى أكثر النسخ ، ولم نعثر على هذا الاسم ؛ وقد سمى العرب شبان كرمان وشبان كشداد . (٣) أولم علىّ أبى : عمل لى وليمة زواجى . (٤) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، س ، حـ : « سريره » .
(٥) فى ط ، ى : « نصبا » .

— قال : والصنعةُ فيه لرجل من أهل الكوفة يُقال له عَزّون[1] — فأُعجِبَ به الرشيدُ وطرِب له واستعاده مرارا ؛ فقال له الموصلىّ : يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعتَه من عبدك مُخارِق ، فإنه أخذه عنّى وهو يفضُلُ فيه الخلقَ جميعا ويَفضُلُنى ، فأمرَ بإحضار مُخارِق ، فأُحْضِر فقال له غنِّنى :

يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لى طربا * زدت الفؤاد على عِلّاته وصبا

فغنّاه إياه ، فبكى وقال : سَلْ حاجتكَ ! قال مخارق : فقلتُ : تُعتِقُنى يا أمير المؤمنين من الرقّ وتُشَرِّفنى بولائكَ ، أعتقك اللهُ من النار ، قال : أنتَ حرّ لوجه الله ، أَعِدِ الصوتَ ؛ قال : فأعدتُه ، فبكى وقال : سل حاجتك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ضَيْعةٌ تُقيمُنى غلّتُها ، فقال : قد أمرتُ لك بها ، أعِدِ الصوتَ ؛ فأعدته فبكى وقال : سل حاجتك ؛ فقلت : يأمر لى أميرُ المؤمنين بمنزلٍ وفرشِه وما يُصلِحُه وخادمٍ فيه ؛ قال : ذلك لك ، أعِدْه ؛ فأعدتُه فبكى وقال : سل حاجتك ؛ قلتُ : حاجتى يا أمير المؤمنين أن يُطيلَ الله بقاءك ويُديمَ عزّك ويجعلَنى من كل سوء فداءك ؛ قال : فكان إبراهيم الموصلىّ سببَ عتقه بهذا الصوت[2] .

أخبرنى بهذا الخبر محمد بن خَلَف وَكيعٌ قال حدّثنى هارون بن مُخَارِق ، وحدّثنى به الصُّولِىّ أيضا عن وَكيع عن هارون بن مُخَارق قال :

كان أبى اذا غنّى هذا الصوتَ :

يا ربعَ سلمى لقد هيجت لى طربا * زدت الفؤاد على عِلّاته وصبا

---

(١) فى ا ، م ، حـ : « غزون » بالغين المعجمة وقد تقدم الكلام على هذا الاسم فى الحاشية رقم ٢ ص ٥٠ من هذا الجزء .
(٢) كذا فى ط ، حـ ، ء . وفى سائر النسخ : « فكان ابراهيم الموصلىّ يقول : سبب عتقه بهذا الصوت » .

يقول : أنا مولى هذا الصوت ، فقلت له يوما : يا أبت ، وكيف ذلك ؟ فقال : غنّيتُه مولاى الرشيدَ فبكى وقال : أحسنتَ ، أعد فأعدتُ ، فبكى وقال : أحسنت ! أنتَ حرّ لوجه الله وأمر لى بخمسة آلاف دينار ، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاى ، وذكر قريبا (١) مما ذكره المبرّد (٢) من باقى الخبر .

١٩٠ / ٢

حدّثنى الحسن بن على قال حدّثنا ابن أبى الدُّنيا قال حدّثنى إسحاق النَّخَعِىّ عن حُسين بن الضَّحّاك عن مُخَارِق :

أن الرشيد أقبل يوما على المغنّين وهو مضطجع ، فقال : مَنْ منكم يغنى :

يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لى طربا * زدتَ الفؤاد على عِلّاته وصبا

قال : فقمت فقلت : أنا ، فقال : هاته ، فغنيتُه فطرب وشرب ، ثم قال : علىّ بهرثمةَ ، فقلتُ فى نفسى : ما تُراهُ يريد منه ! فجاءوا بهرثمةَ فأُدخِلَ اليه وهو يجرّ سيفَه ، فقال : يا هرثمةُ ، مخارق الشارى الذى قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته ؟ فقال : أبو المهنّا ، فقال : انصرف فانصرف ، ثم أقبل علىّ فقال : قد كنيتك أبا المهنّا لإحسانكَ ، وأمر لى بمائة ألف درهم ، فانصرفتُ بها و بالكنية .

صـــوت

من المـائة المختارة من رواية جَحْظة عن أصحابه

وخِلٍّ كنتُ عينَ الرُّشْد منه * اذا نظرتْ ومستمِعًا سَمِيعَا

أطاف بِغَيِّـه (٣) فعدلتُ عنه * وقلت له أَرَى أمرًا فظيعَا

الشـعر لعُرْوة بن الوَرْد ، والغناء فى اللحن المختار لسِيَاط ثانى ثقيل بالبِنْصَر عن عمرو بن بانة . وفيه لإبراهيمَ ماخُورِىّ بالوُسْطَى عن عمرو أيضا .

(١) فى ب ، س ، حـ : « فذكر » . (٢) المبرد هو محمد بن يزيد الذى تقدم ذكره فى أول السند . (٣) فى ط ، حـ ، ء : « بغية » .

أخبارُ عروةَ بن الوَرْد ونسبه

نسبه، شاعر جاهلى فارس جواد مشهور

عُرْوةُ بن الوَرْد بن زيد[1]، وقيل: ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم ابن لُدَيم[2] بن عوذ بن غالب بن قُطَيعةَ بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سعد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزَار، شاعرٌ من شعراء الجاهلية وفارسٌ من فُرْسانها وصُعْلوكٌ[3] من صَعَاليكها المعدودين المقدَّمين الأجواد. وكان يُلقَّبُ[4] عروةَ الصعاليك لجمْعه إيّاهم وقيامه بأمرهم اذا أَخْفقُوا فى غَزَواتهم ولم يكن لهم معاشٌ ولا مَغْزًى، وقيل: بل لُقِّبَ عُروةَ الصَّعاليك لقوله:

كان يلقب بعروة الصعاليك وسبب ذلك

لَحَى اللهُ صُعلوكًا اذا جَنّ ليلُه * مُصَافِى[5] المُشَاشِ آلِفًا كلَّ مَجْزِر

يَعُدُّ الغِنَى مِن دهرِه كلَّ ليلةٍ * أصابَ قِرَاها من صَدِيقٍ مُيَسِّرِ[6]

ولله صُعلوكٌ[7] صفيحةُ وجهِه * كضوءِ شهابِ القابِسِ المتنوِّرِ

شرف نسبه وتمنى الخلفاء أن يصاهروه أو ينتسبوا اليه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال بلغنى أن معاوية[8] قال:

لو كان لعُروةَ بنِ الوَرْدِ وَلَدٌ لأحببتُ أن أتزوّجَ اليهم.

---

(١) فى ط، ح، ى: «هرم» وضبط فى ط بتشديد الراء. (٢) كذا فى ط، ى وهو الصواب كما فى شرح القاموس. وفى سائر النسخ: «عود» بالدال المهملة. (٣) الصعلوك: الفقير الذى لا مال له، وصعاليك العرب: لصوصها وفقراؤها. (٤) يقال: لقب بكذا، وقد اعتاد أبو الفرج إسقاط هذه الباء فى أسلوبه. (٥) كذا فى ط، ى، وهو موافق لما جاء فى ديوان الحماسة. ومصافى المشاش: آلفه وملازمه والمكب عليه. وفى سائر النسخ: «مضى فى المشاش» وهو تحريف. والمشاش: كل عظم هش دسم واحدته مشاشة. ولم تظهر الفتحة على الياء هنا للضرورة. (٦) يسر الرجل: سهلت ولادة إبله وغنمه ولم يعطب منها شىء. (٧) فى ديوان الحماسة: «ولكن صعلوكا» وخبر لكن فى البيت الثانى بعده (انظر شرح التبريزى على الحماسة ص ٢١٩ ج ١ طبع بولاق). (٨) كذا فى ط، ى. وفى سائر النسخ: «ابن معاوية».

أخبرنى محمد بن خَلَف قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِرَاس قال حدّثنى العُمَرِىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ، وحدّثنا إبراهيمُ بن أَيُّوبَ عن عبد الله بن مُسْلِم قالا جميعا :

قال عبد الملك بن مَرْوان : ما يَسُرّنى أنّ أحدًا من العرب وَلَدَنى[1] مِمّن لم يَلِدْنِى إلا عُرْوةَ بن الورد لقوله :

إِنِّى[2] ٱمرُؤٌ عافِى إنائىَ شِرْكَةٌ * وأنت ٱمرُؤٌ عافى إنائك واحـدُ ٥

أتهـزأ منّى أن سمِنْتَ وأن تَرى * بجسمىَ مَسَّ[3] الحقّ والحقُّ جاهدُ

أُفرِّق[4] جِسْمِى فى جسـومٍ كثيرةٍ * وأَحْسُو قَـراحَ المـاءِ والمـاءُ باردُ

١٩١/٢

قال الحطيئة لعمر ابن الخطاب كنا نأتم فى الحرب بشعره

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال :

بلغنى أن عمرَ بن الخطّاب رضى الله عنه قال للحطيئة : كيف كنتمُ فى حربكم ؟ قال : كنّا ألفَ حازِم، قال : وكيف؟ قال : كان فينا قيسُ بن زُهير وكان حازما وكنّا لا نَعصيه، وكنّا نُقْدِم إقدامَ عَنْتَرةَ، ونأتمّ بشعر عُرْوة بن الوَرْد، وننقاد لأمر الرَّبيع ابن زِيَاد . ١٠

قال عبد الملك إنه أجود من حاتم

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال :

ويقال : إن عبد الملك قال : من زعَم أن حاتمًا أَسْمَحُ الناسِ فقد ظلَمَ عُرْوةَ ابن الوَرْد . ١٥

---

(١) فى جميع النسخ : « أن أحدا من العرب ممن ولدنى لم يلدنى » . وقد أثبتنا ما بالصلب لأنه هو الذى يؤدى المعنى المراد من التمدح بالنسب الى عروة . (٢) كذا فى أكثر النسخ، وبذا يكون قد دخله الخرم وهو حذف الأوّل من فعولن . وفى ب ، س ، حـ : « وإنى » بالواو . (٣) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، س ، حـ : « شحوب » وفى ديوان الحماسة « بوجهى شحوب » الخ . (٤) فى ديوان الحماسة « أقسّم » . ٢٠

منع عبد الله بن جعفر معلم ولده من أن يرويهم قصيدة له يحث فيها على الاغتراب

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال أخبرنا إبراهيمُ بن المُنْذر قال حدّثنا مَعْن بن عيسى قال :

سمعت أنْ[1] عبدَ الله بن جَعْفر بن أبى طالب قال لمعلّمِ ولده : لا تُرَوِّهم قصيدةَ عُرْوةَ بنِ الوَرْد التى يقول فيها :

دَعِينى للغِـنَى أَسْعَى فإنّى * رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ

ويقول : إن هذا يدعوهم الى الاْغتراب عن أوطانهم .

خبر عروة مع سلمى سبيته وفداء أهلها بها

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عبد العزيز بن عمران الزّهْرىّ عن عامر بن جابر قال :

أغار عُرْوة بن الوَرْد على مُزَينة فأصاب منهم امرأةً من كِنَانة ناكحًا ، فاستاقها ورجَع وهو يقول :

تَبَغَّ عَدِيًّا[2] حيث حَلّتْ ديارَها * وأبناءَ عَوْف فى القُرُونِ الأوائلِ

فَإلّا أَنَلْ أَوْسًا[3] فإنّى حَسْبُها * بِمُنْبَطِحِ الأدغال من ذى السلائِلِ[4]

ثم أقبل سائرا حتى نزل ببنى النَّضير، فلما رأوْها أعجبتْهم فسَقَوْه الخمر، ثم استوهبوها منه فوهبها لهم، وكان لا يَمَسُّ النساء، فلما أصبحَ وصحا نَدم فقال :

* سَقَوْنى الخمرَ ثم تكنّفونى *

الأبياتِ . قال : وجَلَاها[5] النبىُّ صلى الله عليه وسلم مع مَنْ جلا من بنى النضير .

(١) كلمة «أن» ساقطة من أ ، م . (٢) فى ب ، س ، حـ : « عداء » .
(٣) كذا فى ط ، ى . والأدغال : جمع دغل ، وله معان كثيرة أنسبها هنا الوادى أو المنخفض من الأرض . وفى سائر النسخ : « الأوغال » . (٤) كذا فى أ ، م وذو السلائل : واد بين الفرع والمدينة . وفى باقى النسخ : «الشلائل» بالشين المعجمة وهو تصحيف . (٥) كذا فى حـ . وجلا متعدّ ولازم كأجلى . وفى سائر النسخ « أجلاها » .

وذكر أبو عمرو الشَّيْبانىّ من خبر عُرْوةَ بن الوَرْد وسَلْمَى هذه أنه أصاب امرأةً من بنى كِنانةَ بِكْرًا يقال لها سَلْمَى وتُكنَى أمَّ وهب، فأعتقها واتّخذها لنفسه، فمكثتْ عنده بِضْعَ عشْرةَ سنةً وولدتْ له أولادا وهو لا يشُكّ فى أنها أرغبُ الناس فيه، وهى تقول له : لو حَجَجتَ بى فَأَمُرَّ على أهلى وأراهم! فحجّ بها، فأتى مكّةَ ثم أتى المدينةَ، وكان يخالط من أهل يَثْرِبَ بنى النَّضير فيُقْرِضُونه إن احتاج ويُبايِعُهم[1] اذا غَنِم، وكان قومُها يخالطون بنى النَّضير، فأتَوْهم وهو عندهم، فقالت لهم سَلْمَى : إنه خارجٌ بى قبل أن يخرُجَ الشهرُ الحرامُ، فتعالَوْا اليه وأخبِرُوه أنكم تستحيُون أن نكون امرأةٌ منكم معروفةُ النسب صحيحتُه سَبِيّةً، وآفتدُونى منه فإنه لايَرَى أنّى أُفارقهُ ولا أَختارُ عليه أحدا، فأتَوْه فسَقَوْه الشَّرابَ، فلمّا ثَمِل قالوا له : فَادِنَا بصاحبتنا فإنها وَسِيطةُ[2] النسب فينا معروفةٌ، وإنّ علينا سُبَّةً أن تكون سَبِيَّةً، فإذا صارتْ الينا وأردتَ معاودتَها فاخطُبْها الينا فإنّا نُنكِحُكَ، فقال لهم : ذاكَ لكم، ولكن لِيَ الشرطُ فيها أن تُخَيِّروها، فإن اختارتْنى انطلقتْ معى الى ولدها وإن اختارتكم انطلقتم بها، قالوا : ذاك لك، قال : دَعُونِى أَلْهُ بها اللّيلةَ وأُفادِها[3] غدًا، فلمّا كان الغدُ جاءوه فآمتنع من فدائها، فقالوا له : قد فاديتَنا بها منذُ البارحةِ، وشهد عليه بذلك جماعةٌ ممّن حضر، فلم يقدر على الآمتناع وفاداها، فلما فَادَوْه بها خيّروها فاختارت أهلَها، ثم أقبلتْ عليه فقالت : يا عروةُ أمَا إنّى أقول فيكَ وإن فارقتُكَ الحقَّ : والله ما أعلم آمرأةً من العرب ألقتْ سِترَها على بعلٍ خيرٍ منك وأغضَّ طرْفًا وأقلَّ فُحْشًا وأجودَ يدًا وأحْمَى لِحَقِيقَةٍ[4]، وما مرّ علىّ يومٌ منذ كنتُ عندك إلا والموتُ فيه أحبُّ الىّ من الحياة بين

---

(١) ويبايعهم : يعقد معهم البيع . (٢) وسيطة النسب : حسيبة فى قومها كريمة .

(٣) فى جميع النسخ : «وأفاديها» باثبات الياء . (٤) فى ب، س، حـ : «لحقيقته» والحقيقة : ما يجب على الرجل أن يحميه وما لزمه الدفاع عنه من أهل بيته .

قومك، لأنى لم أكن أشاء أن أسمعَ امرأةً من قومك تقول: قالت أَمَةُ عروةَ كذا وكذا إلا سمعتُه؛ وواللهِ لا أنظر فى وجهِ غَطَفَانيّةٍ أبدا، فارجِعْ راشدًا الى ولدك وأحسِنْ اليهم . فقال عروةُ فى ذلك :

* سقَوْنى الخمرَ ثم تكنّفونى *

٥ وأولها :

أرِقتُ وصُحْبتِى بمضِيقِ عُمْقٍ[1] * لبرقٍ من تِهَامةَ مُستَطِيرِ

سَقَى سَلْمَى وأين ديارُ سلْمَى * اذا كانت مُجاوِرةَ السَّرِيرِ[2]

إذا حَلّتْ بأرض بنى علىّ * وأهلِى بين إمّرةٍ[3] وكيرِ

ذكرتُ منازلًا من أمّ وهبٍ * محلَّ الحىِّ أسفلَ من نَقِيرِ[4]

١٠ وأَحْدَثُ معهدٍ[5] من أمّ وهبٍ * مُعرَّسُنا بدار بنى النَّضِيرِ

وقالوا ما تشاءُ فقلتُ أَلْهُو * الى الإصباح آثِرَ ذى أَثِيرِ[6]

بآنِسَةِ الحديثِ رُضَابُ فِيها * بُعَيدَ النومِ كالعِنَبِ العَصِيرِ

وأخبرنى علىُّ بن سُلَيمان الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابىّ بهذه الحكاية كما ذكر أبو عمرو، وقال فيها: إنّ قومَها أَغلَوْا بها الفِداء، وكان معه طَلْقٌ وجُبَار أخوه ١٥ وابن عمه، فقالا له: واللهِ لئن قبِلتَ ما أعطَوْكَ لا تفتقرُ أبدا، وأنتَ على النساء قادر

---

(١) عمق : موضع قرب المدينة من بلاد مزينة . (٢) كذا فى إحدى روايتى ط وهو الموافق لما ذكره ياقوت فى معجمه من أن السرير موضع فى بلاد بنى كنانة مستشهدا بهذا البيت . وفى سائر النسخ : « السدير » وهو تحريف . (٣) كذا فى حـ ، وهو الموافق لما فى معجم ياقوت من أن إمرة منزل فى طريق مكة من البصرة وهو منهل . وفى سائر الأصول : « زامرة » وهو ٢٠ تحريف . وكير : جبلان فى أرض غطفان . (٤) نقير : موضع بين هجر والبصرة . ورواية ياقوت «وأسفل ذى النقير» . (٥) كذا فى ط ، ء ، حـ . وفى سائر النسخ : «معهدا» . (٦) آثر ذى أثير : أول كل شىء ، يقال : افعل هذا آثرا ما وآثر ذى أثير أى قدمه على كل عمل .

متى شئتَ ، وكان قد سَكِرَ فأجاب الى فدائها ، فلما صحا ندم فشهِدُوا[1] عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع . وجاءت سَلْمَى تُثْنِي عليه فقالت : والله إنك ما علمتُ لضَحُوكٌ مُقبِلًا كَسُوبٌ مُدبِرا خفيفٌ على مَتْن الفرس[2] ثقيلٌ على العدوّ[3] طويلُ العِمَاد كثيرُ الرَّماد راضى الأهلِ والجانبِ[4] ، فاستَوْصِ ببنيك خيرا ، ثم فارقته . فتزوّجها رجلٌ من بنى عمّها ، فقال لها يوما من الأيام : يا سلمى ، أثْنِى علىّ كما أثْنيتِ على عروةَ — وقد كان قولُها فيه شُهِرَ — فقالت له : لا تُكَلِّفنى ذلك فإنى إن قلتُ الحقَّ غَضِبتَ ولا واللّاتِ والعُزَّى لا أكذِبُ ؛ فقال : عَزَمْتُ عليكِ لَتَأْتِيِنِّى فى مجلس قومى فَلَتُثْنِين علىّ بما تَعلَمِينَ ، وخرج فجلس فى نَدِىّ القوم ، وأقبلتْ فرماها القومُ بأبصارهم ، فوقفَتْ عليهم وقالت : أَنْعِمُوا صباحًا ، إنّ هذا عزَم علىّ أن أُثنِيَ عليه بما أعلمُ . ثم أقبلتْ عليه فقالت : والله إنّ شَمْلَتَك لَالْتِحاف ، وإنّ شُرْبَكَ لَاشْتِفَاف[5] ، وإنك لتنامُ ليلةَ تخافُ ، وتَشْبَعُ ليلةَ تُضافُ ، وما تُرضِى الأهلَ ولا الجانبَ ، ثم انصرفَتْ . فلامَه قومُه وقالوا : ما كان أغناكَ عن هذا القولِ منها .

كان يجمع الصعاليك ويكرمهم ويغير بهم

أخبرنى الأخفش عن ثَعْلَب عن ابن الأعرابىّ قال حدّثنى أبو فَقْعَس قال : كان عُرْوةُ بن الوَرْد اذا أصابتِ الناسَ سَنَةٌ شديدةٌ تركوا فى دارهم المريضَ والكبيرَ والضعيفَ ، وكان عروة بن الورد يجمعُ أشباهَ هؤلاءِ من دون الناس من عشيرته فى الشدّة ثم يَحْفِرُ لهم الأَسْرابَ ويَكْنُفُ عليهم الكُنُفَ[6] ويَكْسِبُهم[7] ، ومَنْ

(١) فى أ ، م « فشهدا » بألف التثنية . (٢) كذا فى ط ، ى . وفى سائر النسخ : « الفراش » . (٣) فى ب ، س ، ح : «على ظهر العدو» . (٤) الجانب : الغريب والمراد به الضيف . (٥) الاشتفاف : شرب كل ما فى الإناء . (٦) يكنف عليهم الكنف : يتخذ لهم حظائر يؤويهم اليها ، واحدها « كنيف » . (٧) كذا فى ط ، ى يقال كسب لأهله : طلب المعيشة ويتعدّى بنفسه الى مفعول ثان كما هنا . وفى سائر النسخ : « يكسيهم » بالياء المثناة وهو تحريف .

قَوِىَ منهم — إما مريضٌ يبرأ من مرضه، أو ضعيفٌ تثُوبُ قوّتُه — خرج به معه فأغار، وجعل لأصحابه الباقين فى ذلك نصيبا، حتى اذا أخصَبَ النّاسُ وألْبَنُوا وذهبتِ السَّنَةُ ألحقَ كلَّ إنسانٍ بأهله وقَسَم له نصيبَه من غنيمةٍ إن كانوا غنموها، فربما أتى الإنسانُ منهم أهلَه وقد استغنَى، فلذلك سُمّى عروةَ الصعاليك، فقال

٥ فى ذلك بعضَ السنين[1] وقد ضاقتْ حالُه :

لعلّ آرتيادِى[2] فى البلاد وبُغيَتِى ﴿ وشَدِّى حَيازِيمَ المطيَّة بالرَّحْلِ

سـيدفَعُنِى يوماً الى ربّ هَجْمَةٍ[3] ﴿ يُدَافِعُ عنها بالعُقُوقِ و بالبُخلِ

أغار مع جماعة من قومه على رجل فأخذ إبله وامرأته ثم اختلف معهم فهجاهم

فزعموا أن الله عز وجل قيَّضَ له وهو مع قوم من هُلّاكِ[4] عشيرته فى شتاءٍ شديدٍ ناقتيْن دَهْمَاوَيْنِ، فنحَر لهم إحداهما وحمَل متاعَهم وضُعفاءَهم على الأخرى، وجعل

١٠ ينتقل بهم من مكان الى مكان، وكان بين النَّقْرة[5] والرَّبَذَة[6] فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال له : مَاوَانُ[7]. ثم إن الله عز وجل قيَّضَ له رجلا صاحبَ مائةٍ من الإبل قد فرّ بها من حقوق قومه[8] — وذلك أوّل ماألبنَ الناسُ — فقتله وأخذ إبلَه وآمرأتَه، وكانت من أحسن النساء، فأتَى بالإبل أصحابَ الكَنِيف فحلبها لهم وحمَلهم عليها، حتى اذا دَنَوْا من عشيرتهم أقبل يَقْسِمُها بينهم وأخذ مثلَ نصيب أحدهم، فقالوا : لا[9] واللاتِ

١٥ (١) كذا فى ط، ى. وفى سائر النسخ : «فقال فى بعض السنين الخ».

(٢) فى ديوان الحماسة : ﴿ لعل انطلاقى فى البلاد ورحلتى ﴾ (٣) الهجمة من الإبل : أوّلها أربعون الى مازادت أو ما بين السبعين الى المائة أو الى دونها فاذا بلغت المائة فهى «هنيدة».

(٤) كذا فى أكثر النسخ والهلاك : الصعاليك. وفى ب، س، حـ : «هلال» بلامين وهو تحريف. (٥) النقرة — بفتح أوّله وسكون ثانيه أو بفتح أوّله وكسر ثانيه — : من منازل

٢٠ حاج الكوفة بين أُضاخ وماوان. (٦) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عِرْق على طريق الحجاز اذا رحلت من فَيْد تريد مكة، وبها قبر أبى ذر الغفارى. (٧) ماوان : قرية فى أودية العلاة من أرض اليمامة. (٨) فى شرح الحماسة : «عقوق» بالعين.

(٩) كذا فى ب، س، حـ بإثبات «لا» وقد سقطت من باقى النسخ.

والعُزّى لا نرضَى حتى تجعلَ المرأةَ نصيبًا فمن شاء أخذها، فجعل يَهُمُّ بأن يحمِلَ عليهم فيقتلَهم وينتزعَ الإبلَ منهم، ثم يذكُرُ أنهم صَنيعتُه وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع، فأفكر طويلا ثم أجابهم الى أن يرُدّ عليهم الإبلَ إلا راحلةً يحمِلُ عليها المرأةَ حتى يَلْحَقَ بأهله، فأبَوْا ذلك عليه، حتى آنتدبَ رَجلٌ منهم فجعل له راحلةً من نصيبه، فقال عروةُ فى ذلك قصيدتَه التى أوّلها :

ألا إن أصحابَ الكَنيف وجدتُهم ... كما النّاس لمّا أمرَعُوا وتَموّلُوا

وإنى لمدفُوعٌ إلىّ وَلاؤُهم ... بماوانَ إذ نَمْشى وإذ نَتَمَلمَلُ

وإنّى وإيّاهم كذى الأمّ أرْهنت[1] ... له ماءَ عينيْها تُفَدّى[2] وتَحمِلُ[3]

فباتت بحدّ المِرْفَقين[4] كليهما ... تُوَحوِحُ ممّا نالها وتُوَلْوِلُ[5]

تُخَيِّرُ من أمرين ليسا بغبطةٍ ... هو الثُّكل إلا أنّها قد تَجمَّلُ[6]

سبى ليلى بنت شعواء ثم اختارت أهلها فقال شعرا

وقال آبنُ الأعرابىّ فى هذه الرِّواية أيضا : كان عُرْوة قد سبَى آمرأة من بنى هِلال بن عامر بن صَعْصَعة يقال لها : لَيْلَى بنتُ شَعواء، فمكثتْ عنده زمانًا وهى مُعْجبة له تُرِيه أنّها تحبّه، ثم آستزارتْه أهلها فحمَلَها حتى أتاهم بها، فلمّا أراد الرّجوعَ أبتْ أن ترجع معه، وتوعّده قومُها بالقتل فآنصرف عنهم، وأقبل عليها فقال لها : يا ليلى، خبِّرى صواحبَك[7] عنّى كيف أنا؛ فقالت : ما أرى لك عقلا! أتُرانى قد آخترتُ عليك وتقول : خبِّرى عنّى! فقال فى ذلك :

---

(١) أرهنت : أدامت، وقد جاء فى ديوان الحماسة ص ٢٣٠ طبع أوربا شرحا لهذا البيت ما نصه : وهذا مثل، تقول المرأة لولدها ربيتك ماء عينى فصلا عن كل شيء . (٢) فى ديوان الحماسة «تجمل» أى ترفق . (٣) كذا فى ط . وفى ب، س : «تحذ» . وفى حـ : «لحذ» والمراد أنها باتت متكئة على مرفقيها . (٤) فى ديوان الحماسة «مكبة» .
(٥) بين هذا البيت والبيت الذى قبله بيت يتوقف عليه فهم الأبيات وهو :

فلما ترجت نفعه وشبابه ... أتت دونه أخرى جديد تكحل

(٦) فى حـ «أنها تجمل» وفى ء «قد تحمل» . (٧) فى أ، م، ط، ء : «صواحباتك» وهو صحيح أيضا، حكى الفارسى عن أبى الحسن : «هن صواحبات يوسف» جمعوا صواحب جمع السلامة .

تَحِنُّ الى ليلى بجوّ(١) بلادها * وأنت عليها بالمَلَا(٢) كنتَ أقدرا
وكيف تُرَجّيها وقد حِيلَ دونَها * وقد جاوزتْ حيًّا بتَيْماء مُنكَرا
لعلّك يومًا أن تُسرِّى(٣) ندامةً * علىّ بما جشّمتَنى يوم غَضْورا(٤)

١٩٤ / ٢

وهى طويلة . قال : ثمّ إن بنى عامر أخذوا آمرأة من بنى عَبْس ثم من بنى سُكَين
٥ يقال لها أسماء ، فما لبِثتْ عندهم إلّا يوما حتّى آستنقذَها قومُها ؛ فبلَغ عروةَ
أنّ عامر بن الطُّفَيْل فَخَر بذلك وذكر أَخْذَه إيّاها ، فقال عروة يعيِّرهم(٥) بأخذه ليلى
بنت شَعْواء الهلالية :

إن تأخُذوا أسماء مَوقِفَ ساعةٍ * فمأْخَذُ ليلَى وهى عَذْراءُ أعجبُ
لبِسنا زمانًا حُسنَها وشَبابَها * ورُدّت الى شَعْواء والرّأسُ أشيبُ
١٠ كمأْخذِنا حسناءَ كرهًا ودمعُها * غداةَ اللِّوى مَعصوبةً يتصبّبُ

خرج ليغير فمنعته امرأته فعصاها وقال فى ذلك شعرا

وقال ابن الأعرابىّ : أَجْدَب ناس من بنى عَبْس فى سنة أصابتْهم فأهلكت
أموالهم وأصابهم جوعٌ شديد وبؤس ، فأتوا عُرْوةَ بن الوَرْد فجلسوا أمامَ بيته ،
فلمّا بَصُروا به صرَخوا وقالوا : يا أبا الصَّعاليك، أغِثْنا ، فرَقّ لهم وخرج ليغزوَ بهم

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ى ، ط : « بحز » وحر البلاد (بضم الحاء) : وسطها ،
١٥ يقال نزل فى حرّ الدار أى فى وسطها ، وحرّ كل أرض وسطها . (٢) الملا : المتسع من الأرض .
(٣) تسرى : تكشف . (٤) غضور : مدينة فيا بين المدينة الى بلاد خزاعة وكنانة ، وبهذا
شرح ابن السكيت غضور فى قول عروة :

عفت بعدنا من أم حسان غضور * وفى الرمل منها آية لا تغير

(انظر معجم البلدان لياقوت فى اسم « غضور ») . (٥) أنكر صاحب القاموس استعمال « عير »
٢٠ متعديا بالباء وقال : وعيره الأمر ولا تقل بالأمر . وقال صاحب اللسان : والعامة تقول عيره بكذا .
ولكن المرزوقى فى شرح الحماسة صرح بأنه يتعدّى بالباء قال : والمختار تعديته بنفسه (انظر شرح القاموس
للسيد مرتضى) .

ويُصيبَ مَعاشًا، فنهتْه امرأته عن ذلك لمَا تخوّفتْ عليه من الهلاك، فعصاها وخرج غازيًا، فمرّ بمالك بن حِمَار الفَزَارىّ ثم الشَّمْخِىّ(١)؛ فسأله: أين يريد؟ فأخبره، فأمر له بجَزُور فنحرها فأكلوا منها؛ وأشار عليه مالكٌ أن يرجع، فعصاه ومضى حتّى انتهى الى بلاد بنى القَيْن، فأغار عليهم فأصاب هَجْمَةً(٢) عاد بها على نفسه وأصحابه؛ وقال فى ذلك:

أرى أمَّ حَسّانَ الغَداةَ تلومُنى * تُخوِّفنى الأعداءَ والنفسُ أخوفُ
تقول سُلَيمَى لو أقمتَ لَسَرَّنا * ولم تدرِ أنّى للمُقَام أُطَوِّفُ
لعلَّ الذى خَوّفتِنا مِنْ أمامنا * يُصادفه فى أهله المُتَخلِّفُ

وهى طويلة.

وقال فى ذلك أيضا:

أليس وَرائى أن أدِبَّ على العصا * فيَشْمَتَ(٣) أعدائى ويسأَمَنى أهلى
رَهينةَ قَعْر البيت كلَّ عَشيّةٍ * يُطيفُ بىَ(٤) الوِلْدانُ أَهْدَجَ(٥) كالرَّأْلِ
أَقيموا بنى لُبْنَى صُدورَ رِكابكم * فكلُّ(٦) مَنَايا النفس خيرٌ من الهُزْلِ(٧)
فإنكمُ لن تبلُغوا كلَّ هِمّتى * ولا أَرْبِى(٨) حتّى تَرَوْا مَنْبِتَ الأَثْلِ(٩)

(١) انظر الكلام عليه فى الحاشيتين رقم ٢، ٣ ص ٣٢٩ من الجزء الثانى من هذا الكتاب.
(٢) انظر الكلام عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ٧٩ من هذا الجزء.
(٣) فى ديوان الحماسة «فيأمن».
(٤) فى ديوان الحماسة: «يلاعبنى الولدان».
(٥) أهدج: وصف من الهَدَج أو الهَدَجان، وهو اضطراب المشى من الكبر. ولهذا سموا مشية الشيخ هدجانا. والرأل: ولد النعام أو حوليه. وشبه الشيخ به فى مشيته لأن فى مشيه ارتعاشا؛ يقال: هدج الظليم يهدج هدجانا اذا مشى وعدا فى ارتعاش.
(٦) فى ط: «فكل منايا القوم». وفى ديوان الحماسة: * فإن منايا القوم شر من الهزل * وهو لا يؤدّى المعنى المراد.
(٧) الهزل: الضعف وقلة الشحم واللحم وهو نقيض السمن.
(٨) فى ط، ء، أ، م: «أربى».
(٩) يريد بلاد بنى القين وفى ديوان الحماسة: «منبت النخل» وهو يثرب.

لعـلّ ارتيادى فى البلاد وحِيلتى[1] * وشَدِّى حيازيمَ المطيّـة بالرَّحْلِ
سـيدفعنى يَومًا الى ربّ هَجْمةٍ * يُدافِع عنهـا بالعُـقوق وبالبُخلِ

قصة مع هذلى أغار على فرسه

نسختُ من كتاب أحمـد بن القاسم بن يوسـف قال حدّثنى حُرّ[2] بن قَطَن أنّ ثُمَـامة بن الوليد دخل على المنصور، فقال : يا ثُمـامة، أتحفَـظ حديث ٱبن عمّك عُرْوةَ الصّعاليك بن الوَرْد العَبْسىّ ؟ فقال : أىَّ حديثه يا أمير المؤمنين؟ فقد كان كثيرَ الحديث حسَنه، قال : حديثه مع الهذلىّ الذى أخذ فرسَه، قال : ما يَحْضُرنى ذلك فأَرْوِيَه يا أمير المؤمنـين ؛ فقال المنصور : خرج عُرْوةُ حتّى دنا من منازل هُـذَيل فكان منهـا على نحو مِيلَيْن وقد جاع فإذا هو بأَرْنَب فرماها ثم أَوْرَى نارا فشَواها وأَكلها ودفَن النّار على مقدار ثلاث أذرُع وقد ذهب اللّيل وغارت النّجوم، ثمّ أتى سَرْحة[3] فصَعِدها وتخوّف الطّلَب، فلما تغيّب فيها إذ الخيلُ قد جاءت وتخوّفوا البَيَاتَ[4]. قال : فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتى ركَز رُمحَه فى موضع النّار وقال : لقــد رأيتُ النّارَ ها هنا ؛ فنزل رجل فحفَر قدرَ ذِراع فلم يجد شـيئا، فأكبّ القومُ على الرّجل يَعذُلونه[5] ويَعيبون أمرَه ويقولون : عنّيتَنا فى مثل هذه اللّيلة القَرّة وزعَمتَ لنا شيئا كذَبتَ فيـه ؛ فقال : ما كذبتُ، ولقد رأيت النّار فى موضع رُمْحى ؛ فقالوا : ما رأيتَ شيئا ولكن تَحذلُقَك[6] وتَدَهّيك[7] هو الذى حَملك على هـذا،

(١) الرواية فيما تقدّم ص ٧٩ : «وبغيتى» . (٢) فى ط ، ء : «جزء» . وفى أ ، م : «جز» بدون همزة . والذى فى شرح القاموس مادة : قطن «وقطن أبو حرب» وكلاهما محدّث، وورد له ذكر فى الطبرى قسم ٢ ص ١٩٨٠ طبع أوربا، فلعل ماهاهنا تحريف عن «حرب» . (٣) السرحة : واحدة السرح وهو شجر كبار عظام طوال لا ترعى وإنما يستظل به، وقيـل : السرح كل شجر طال . (٤) البيات : الإيقاع بالقوم ليلا من دون أن يعلموا، وهو اسم مصدر لبيت كالكلام من كلم، يقال : بيتنا القوم أى أوقعنا بهم ليلا وهم لا يعلمون . (٥) فى ء ، حـ ، ط : «فركب القوم الرجل يعذلونه» والمعنى علوه بعذلهم . (٦) التحذلق : إظهار الانسان الحذق، أو ادعاؤه أكثر مما عنده . (٧) كذا فى أكثر النسخ، والتدهي : أن يفعل الإنسان فعل الدهاة . وفى ب، س، حـ : «تداهيك» ولم نجد فى اللسان ولا فى القاموس «تفاعل» من هـذه المادة .

وما نعجب إلّا لأنفسنا حين أطعنا أمرك واتّبعناك ؛ ولم يزالوا بالرجل حتّى رجع عن قوله لهم . واتّبعهم عروةُ ، حتّى اذا وردوا منازلهم جاء عروة فتكمّن (١) فى كِسْر (٢) بيت ؛ وجاء الرّجل الى آمرأته وقد خالفه اليها عبد أسود، وعروة ينظُر ، فأتاها العبد بعُلْبة فيها لبن فقال : اشربى ؛ فقالت لا ، أو تبدأ ، فبدأ الأسود فشرب ؛ فقالت للرّجل حين جاء : لعنَ الله صَلَفك (٣) ! عنّيت قومك منذ اللّيلة ؛ قال : لقد رأيتُ نارا ، ثمّ دعا بالعُلبة ليشرب ، فقال حين ذهب ليكرَع : ريحُ رجلٍ وربِّ الكعبة! فقالت آمرأته : وهذه أخرى، أىّ (٤) ريحِ رجلٍ تجده فى إنائك غيرَ ريحك ! ثم صاحت ، فجاء قومها فأخبرتهم خبره ، فقالت : يتّهمنى ويظُنّ بى الظُّنون ! فأقبلوا عليه باللّوم حتّى رجَع عن قوله ؛ فقال عروة : هذه ثانية . قال ثم أوى الرجل الى فراشه ، فوثب عروة الى الفرس وهو يريد أن يذهب به ، فضرب الفرسُ بيده وتحرّك (٥)، فرجع عروة الى موضعه ، ووثب الرجل فقال : ما كنتَ لتكْذِبنى (٦) فما لكَ ؟ فأقبلت عليه امرأته لومًا وعذْلًا . قال : فصنع عروة ذلك ثلاثًا وصنعه (٧) الرجل ، ثم أوى الرجل الى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم ، فقال : لا أقوم اليكَ اللّيلةَ؛ وأتاه عُروة فجال (٨) فى متنه وخرج ركْضًا، وركب الرجلُ

(١) كذا فى أكثر الأصول . ولم نجد فى اللسان ولا فى القاموس «تفعّل» من هذه المادة، وانما يقال : «كمن» و «اكتمن» أى اختفى . وفى ط : «فتمكن» . (٢) كسر البيت : جانبه .
(٣) كذا فى أكثر النسخ، والصلف : مجاوزة الرجل قدر الظرف وادعاؤه فوق ذلك إعجابا وتكبرا . وفى ب ، س ، حـ : «صلبك» بالباء . (٤) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، س ، حـ : «وأى ريح» بزيادة الواو . (٥) كذا فى أ ، م . وفى سائر النسخ : «ونخر» .
(٦) فى ب ، س : «لتكذبينى» وهو تحريف ، والفرس يقع على الذكر والأنثى والمراد به هنا الذكر كما يدل عليه السياق فيما بعد . (٧) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، س ، حـ : «ومنعه» بالميم وهو تحريف . (٨) كذا فى أكثر النسخ . وفى اللسان : جال فى متن فرسه جؤولا اذا وثب وركب . وفى ب ، س : «فجال» بالجيم .

فرسًا عنده أنثى . قال عروة : فجعلت أسمعه خلفى يقول : الحقى فإنك من نسله .
فلما انقطع عن البيوت، قال له عُروة بن الوَرْد : أيها الرجل قف، فإنك لو عرفتنى
لم تُقْدم علىّ، أنا عروة بن الورد ، وقد رأيتُ الليلة منك عجبًا، فأخبرنى به وأردّ
اليك فرسك؛ قال : وما هو؟ قال : جئتَ مع قومك حتّى ركزتَ رُمحك فى موضع
نارٍ قد كنتُ أوقدتُها فثنَوْك عن ذلك فانثنيتَ وقد صدَقْتَ، ثم اتّبعتُك حتّى أتيتَ ٥
منزلَك و بينك و بين النار ميلان فأبصرتَها منهما ، ثم شَممتَ رائحةَ رجل فى إنائك،
وقد رأيتُ الرجلَ حين آثرتْه زوجتُك بالإناء ، وهو عبدُك الأسودُ وأظن أن بينهما
مالا تحبُّ، فقلتَ : ريحُ رجلٍ؛ فلم تزل تَثْنيكَ عن ذلك حتى انثنيتَ، ثم خرجتُ
الى فرسك فأردتُه فاضطرب وتحرّك فخرجتَ اليه، ثم خرجتَ ونحرجتَ، ثم أضربتَ
عنه، فرأيتُك فى هذه الخصالِ أكملَ الناس ولكنّك تَنْثَنِي وترجِعُ ؛ فضحك وقال : ١٠
ذلك لأخوال السَّوْء ، والذى رأيتَ من صَرَامتى فمن قِبَل أعمامى وهم هُذَيلٌ ،
وما رأيتَ من كَعَاعَتى[1] فمن قِبَل أخوالى وهم بطنٌ من خُزاعةَ ، والمرأةُ التى رأيتَ
عندى امرأةٌ منهم وأنا نازلٌ فيهم، فذلك الذى يَثْنِينِي عن أشياءَ كثيرةٍ، وأنا لاحقٌ
بقومى وخارجٌ عن أخوالى هؤلاء ومُخَلٍّ سبيلَ المرأةِ ، ولولا ما رأيتَ من كَعَاعَتي
لم يقوَ على مناوأة قومى أحدٌ من العرب . فقال عروة : خُذْ فرسَك راشدًا؛ قال : ١٥
ما كنت لآخذَه منك وعندى من نسله جماعةٌ مثلُه، فخذه مُباركًا لك فيه . قال ثُمامةُ : ١٩٦/٢
إنّ له عندنا أحاديثَ كثيرةً ما سمعنا له بحديث هو أظرفُ من هذا . قال المنصورُ :
أفَلا أُحدّثك له بحديثٍ هو أظرف من هذا؟ قال : بلى يا أميرَ المؤمنين، فإن الحديثَ
اذا جاء منك كان له فضلٌ على غيره ؛ قال : خرج عروةُ وأصحابُه حتى أتى مَاوَانَ

قصة غزوه لماوان وحديثه مع غلام تبين بعد أنه ابنه

(١) الكعاعة : الجبن والضعف . ٢٠

فنزل أصحابُه وكَنَف عليهم كَنيفا من الشجر، وهم أصحابُ الكَنيف الذى سمعتَه قال فيهم :

ألا إنّ أصحابَ الكنيف وجدتُهم * كما النـاس لمّـا أمرَعُوا وتموّلُوا

وفى هذه الغَزَاة يقول عروةُ :

أقول لقوم فى الكَنيفِ تَروّحُوا * عَشِـيّةَ قِلْنَـا حولَ ماوانَ رُزَّحِ (١) (٢)

وفى هذه القصيدة يقول :

لِيَبْلُـغَ عُـذرًا أو يُصيبَ غَنيمةً * ومُبْلِـغُ نفسٍ عُذرَها مِثْلُ مُنْجِحِ (٣) (٤)

ثم مضى يبتغى لهم شيئا وقد جُهِدُوا، فاذا هو بأبياتِ شَعَرٍ وبامرأةٍ قد خلا من سنّها وشيخٍ كبيرٍ كالحِقَاء المُلْقَى (٥)، فكمَن فى كِسْرِ بيتٍ منها، وقد أجدبَ النـاسُ وهلَكتِ المـاشيةُ، فاذا هو فى البيت بسُحُورٍ ثلاثةٍ مَشْوِيّةٍ — فقال ثُمَـامةُ : وما السُّحُور؟ قال : الحلقومُ بمـا فيـه — والبيتُ خالٍ فأكلها، وقد مكث قبـل ذلك يومين لا يأكل شيئا فأشبعتْه وقَوِىَ، فقال : لا أُبالِى مَنْ لقِيتُ بعد هذا . ونظرتِ المرأةُ فظنَّتْ أنّ الكلبَ أكلها فقالتْ للكلب : أفعلتَها يا خبيثُ! وطردَتْه . فإنه لكذلك

(١) كذا فى ح . وفى باقى الأصـول : « أقول لأصحـاب الكنيف ... » وفى ط ، ى مع ذكرهما هـذه الرواية الأخيرة ، زيادة تؤيد رواية ح وهى : « الرواية أقول لقوم فى الكنيف ، ليكون رزح محمولا عليه» . وفى ديوان الحماسة .

قلت لقوم فى الكنيف تروّحوا * عشية بتنـا عند ماوان رزح

(٢) ورزح جمع رازح، والرازح : الهالك هزالا . (٣) فى الأصل « لنبلغ ، ونصيب » والصواب ما أثبتناه لقوله قبل هذا البيت :

ومن يك مثـلى ذا عيال ومقترا * من المـال يطرح نفسه أى مطرح

(٤) فى ب ، س : « منك منجح » وهو تحريف . (٥) كذا فى أكثر النسخ . والحقاء : الإزار . وفى ب ، س ، ح : « كالخباء » .

اذا هو عند المساء بإبلٍ قد ملأتِ الأُفُقَ واذا هي تَلتفتُ فَرَقًا ، فعلم أن راعيَها جَلْدٌ شديدُ الضرب لهـا ، فلما أتتِ المُناخَ بَرَكَتْ ، ومكث الراعى قليلا ثم أتى ناقةً منها فَمَرَى أخلافَها[1] ، ثم وضع العُلبةَ على ركبتيه وحلب حتى ملأها ، ثم أتى الشيخَ فسقاه ، ثم أتى ناقةً أخرى ففعل بها ذلك[2] وسقَى العجوزَ ، ثم أتى أخرى ففعل بهـا كذلك فشرب هو ، ثم ٱلتفع بثوب واضطجَع ناحيةً ، فقال الشـيخُ للمرأة وأعجبـه ذلك : كيف ترينَ ابني؟ فقالت : ليس بابنك! قال : فابن مَنْ وَيْلك ؟ قالت : ابنُ عروةَ ابن الورد ، قال : ومنْ أينَ ؟ قالت : أتذكر يومَ مرَّ بنا يريدُ[3] سُوقَ ذي المجاز فقلتَ : هـذا عُروة بن الورد ، ووصفتَه لي بجَلَدٍ فإنى ٱستطرقته[4] . قال : فسكت ، حتى اذا نوَّم[5] وثَب عروةُ وصاح بالإبل فاقتطع منهـا نحوًا من النصف ومضى ورجا ألّا يَتْبَعه الغـلام — وهو غلام حين بدا شاربُه — فاتّبعه . قال : فاتخـذا[6] وعالجه ، قال : فضرب به الأرض فيقع قائمـا ، فتخوّفه على نفسه ، ثم واثبه فضرب به وبادره ، فقال : إني عُروة بن الورد ، وهو يريد أن يُعجِزَه عن نفسه . قال : فٱرتدعَ ، ثم قال مالكَ ويلكَ ! لستُ أشكُّ أنك قد سمعتَ ما كان من أمّي ؛ قال قلت نعم . فاذهب معي أنت وأمك وهـذه الإبلُ ودَعْ هـذا الرجلَ فإنه لا ينهاك[7] عن شيء ، قال : الذي بقي من عمر الشـيخ قليلٌ ، وأنا مقيمٌ معه ما بقي ، فإن له حقًّا وذِمامًا ، فاذا هلَك فمـا أسرعَني اليك ، وخذ من هذه الإبلِ بعيرا ؛ قلتُ : لا يكفيني ، إنّ معي

(١) مرى أخلافها : مسح ضرعها لتدرّ . (٢) كذا في أكثر الأصول . وفي ب ، س ، حـ : « كذلك » . (٣) كذا في ا ، م . وفي أكثر الأصول : « مرّ بنا ونحن نريد » . (٤) كذا في ط ، ء . واستطرقتـه : عددته طريفا . ولعلها : اسـتظرفته . وفي باقي الأصول : « استطرقته » بالقاف . (٥) نوّم : مبالغة في نام . (٦) كذا في ط ، ء . يقال اتخذ القوم اذا أخذ بعضهم بعضا في القتال . وفي حـ : « فاتّحدا » . وفي باقي الأصول : « فانحدرا » . (٧) كذا في ء وهامش ط . ومعنى لا ينهاك عن شيء أنه لا غناء فيـه فلا ينهاك عن تطلب غيره . وفي ب ، س : « لا يهتك » وفي باقي الأصول « لا ينهيك » وكلاهما تحريف .

أصحابى قد خَلَّفتَهم[1]؛ قال : فثانيًا، قلت لا؛ قال : فثالثا، والله لا زِدتُكَ على ذلك[2] .
فأخذها ومضى الى أصحابه ، ثم إنّ الغلام لَحِقَ به بعد هَلَاك الشيخ . قال :
والله يا أمير المؤمنين لقد زيَّنتَه عندنا وعظَّمتَه فى قلوبنا؛ قال : فهل أعقبَ عندكم؟
قال لا ، ولقد كنا نتشاءمُ بأبيه ، لأنه هو الذى أوقعَ الحربَ بين عَبْس وفزارة
بمراهنته حُذَيفةَ ، ولقد بلغنى أنه كان له ابن أسنّ من عروة فكان يؤثِرُه على عروة
فيما يعطيه ويُقرِّبُه، فقيل له : أتؤثِرُ الأكبرَ مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه!
قال: أتَرَوْنَ هذا الأصغرَ! لئن بقى مع ما أرى من شدّة نفسه ليَصيرنّ الأكبرُ عيالًا عليه .

صوت

من المائة المختارة

أزْرَى بنا أننا شالَتْ نَعامتُنا * فخالنِى دونه بل خِلتُه دونى
فإن تُصبكَ من الأيام جائحةٌ * لم أبكِ منك على دنيا ولا دينِ

الشعر لذى الإصبع العَدْوانىّ ، والغناء لِفيلٍ[3] مولى العَبَلات هزجٌ خفيفٌ
بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر . معنى قوله أزرَى بنا : قَصَّر بنا ، يقال : زَرَيتُ
عليه اذا عِبتَ عليه فعلَه ، وأزريتُ به اذا قَصَّرتَ به فى شىء . وشالَتْ نعامتُهم
إذا انتقلوا بكُلِّيَّتهم، يقال: شالَتْ نعامتُهم، وزَفَّ رَألُهمْ، اذا انتقلوا[4] عن الموضع فلم
يبق فيه منهم أحد ولم يبق لهم فيه شىء . وخالنى : ظننى، يقال : خِلتُ كذا وكذا
فأنا أخاله اذا ظننتَه . والجائحة : النازلة التى تجتاح ولا تُبقِى على ما نزَلَتْ به .

(١) فى حـ : «أصحابا» . (٢) كذا فى أكثر النسخ . وفى ب ، س ، حـ : «والله لا زدتك على ذلك شيئا» بزيادة كلمة شىء . (٣) كذا فى ط ، ء . وفى باقى النسخ «نقيل» بزيادة نون . وقد اضطربت فيه النسخ فيما سيأتى عند ذكر ترجمته، فذكر فى ط ، ء «فيل» وفى باقى الأصول «قيل» بالقاف . وستأتى ترجمته فى هذا الجزء . (٤) فى ط ، ء : «اذا استقلوا» .

٢/٣

ذكر ذى الإصْبَع العَدْوانىّ ونسبُه وخبره

نسبه وهو شاعر فارس جاهلى

هو حُرْثانُ بنُ الحارث بن مُحرِّث بن ثَعْلبةَ بن سَيَّار[1] بن رَبيعة بن هُبيرةَ بن ثعلبةَ ابن ظَرِب بن عمرو بن عباد بن يَشْكُر[2] بن عَدْوانَ بن عمرو بن سَعْد[3] بن قَيْس بن عَيْلانَ ابن مُضَر بن نِزَار، أحدُ بنى عَدْوانَ وهم بطنٌ من جَدِيلةَ . شاعرٌ فارسٌ من قُدَماء الشعراء فى الجاهلية وله غاراتٌ كثيرةٌ فى العرب ووقائعُ مشهورةٌ .

فنيت عدوان فرثاها

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيعٌ وٱبنُ عَمّار والأسدىّ، قالوا حدّثنا الحسنُ بن عُلَيل العَنَزِىّ قال حدّثنا أبو عثمان المـازنىّ عن الأصمعىّ قال :

نزلت عَدْوانُ على ماء فأحْصَوْا فيهـم سبعينَ ألفَ غلام أغْرَل[4] سِوَى من كان مختونًا لكثرة عددهم، ثم وقع بأسُهم بينهم فتَفَانَوْا فقال ذو الإصبع :

صـــوت

عَذِيرَ الحىّ مِن عَدْوا * نَ كانوا حَيَّةَ الأرْض[5]

بَغَى بعضهُـمُ بعضًـا * فلم يُرْعُــوا على بعض

فقـد صاروا أحاديثَ * بِرَفْع القولِ والخفض[6]

(١) كذا فى جميع النسخ . والذى جاء فى شرح ابن الأنبارى على المفضليات للضبىّ ص ٣١٣ طبع بيروت : «شباث» . وفى الخزانة للبغدادى ج ٢ ص ٤٠٨ : «شبابة» . (٢) كذا فى جميع النسخ . والذى فى شرح المفضليات والخزانة للبغدادى : «عياذ» . (٣) كذا فى أكثر النسخ وشرح المفضليات والخزانة . وفى ب ، سـ : « سـعيد » . (٤) الأغرل : الذى لم يختتن . (٥) يقول : هات عذرا فيما فعـل بعضهم ببعض من التباعد والتباغض والقتل بعد ما كانوا حية الأرض التى يحذرها كل أحد ، والعرب تقول للرجل الصعب المنيع الجانب حية الأرض . (٦) يعنى بقوله هذا : أنهم صاروا أحاديث للناس يرفعونها ويخفضونها ، ومعنى يخفضونها : يسرونها .

ومنهم كانت السّادا * تُ والمُوفُونَ بالقَرْض

ومنهم مَنْ يُجيزُ النا * سَ بالسُّنّة والفَرض

ومنهم حَكَمٌ يَقْضِى * فلا يُنقَضُ ما يَقْضِى

غنّى فى هذه الأبيات مالكٌ ثقيلًا[1] أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو .

٥

٣/٣

وأما قولُ ذى الإصبع :

* ومنهم حكمٌ يَقْضِى *

فإنه يعنى عامرَ بنَ الظَّرِب العَدْوانىّ، كان حكما للعرب تَحْتَكِم إليه .

من قرعت له العصا

حدّثنا محمدُ بن العبّاس اليَزيدىّ عن محمد بن حَبِيبَ قال :

١٠

قيسٌ تَدّعِى هذه الحكومةَ وتقول : إنّ عامرَ بنَ الظَّرِب العَدْوانىّ هو الحَكَمُ وهو الذى كانت العصا تُقرَعُ له ، وكان قد كَبِرَ فقال له الثانى من ولده : إنك ربّما أخطأتَ فى الحكم فيُحمَلُ عنك ، قال : فاجعلوا لى أَمارةً أعرِفُها فاذا زُغتُ فسمعتُها رجعتُ الى الحكم والصواب ، فكان يجلس قُدّامَ بيته ويقعدُ ٱبنُه فى البيت ومعه العصا ، فإذا زاغ[2] أو هفا قرَع له الجَفْنةَ فرجع الى الصواب . وفى ذلك يقولُ المتلمِّسُ :

١٥

لِذِى الحِلْمِ قبلَ اليومِ ما تُقرَعُ العصا * وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليَعلَمَا

قال ابنُ حَبِيبَ : وربيعةُ تدّعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همّام . واليَمَنُ تدّعيه لربيعةَ بنِ مُخَاشِنٍ، وهو ذو الأعواد، وهو أوّلُ من جلس على منبر أو سرير وتكلّم، وفيه يقول الأَسْودُ بن يَعْفُر :

ولقد علمتُ لَوَ ٱنّ علمِى نافعِى * أنّ السبيلَ سبيلُ ذِى الأعوادِ

٢٠

(١) كذا فى ب ، س ، ح . وفى باقى النسخ : « ثقيل الأول » بالإضافة .

(٢) فى ح ، ء : « زل » .

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ أبو دُلَف قال أخبرنا الرِّيَاشِىّ قال حدّثنا الأصمعىّ قال :

زعم أبو عمرو بن العلاء أنه ارتحلتْ عَدْوَانُ من منزلٍ، فعُدَّ فيهم أربعونَ ألفَ غلام أَقْلَفَ[1]. قال الرياشىّ وأخبرنى رجل عن هِشَام بن الكَلْبىّ قال : وقع على إيَادٍ البقُّ فأصاب كلَّ رجلٍ منهم بقّتانِ .

استعراض عبد الملك بن مروان أحياء العرب وسؤاله عن ذى الإصبع

أخبرنى أحمد بن عُبَيد[2] الله بن عَمّار قال حدّثنى يعقوبُ بن نُعَيم قال حدّثنا أحمدُ بن عُبَيدٍ أبو عَصِيدَة قال أخبرنى محمد بن زِيَاد الزِّيَادىّ، وأخبرنى به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قال حدّثنى عمرُ بن شبة ولم يُسنِدْه الى أحد وروايتُه أتمّ :

أنّ عبدَ الملك بنَ مَرْوانَ لما قَدِم الكوفةَ بعد قتله مُصعَبَ بنَ الزبير جلس لعرض[3] أحياء العرب — وقال عمرُ بن شبة : إنّ مصعَب بن الزبير كان صاحبَ هذه القصّة — فقام اليه مَعْبدُ بن خالد الجَدَلىّ، وكان قصيرا دميما، فتقدّمه إليه رجل منا حسنُ الهيئة ؛ قال معبدٌ : فنظر عبدُ الملك الى الرجل وقال : ممن أنتَ ؟ فسكتَ ولم يقل شيئا وكان منّا ، فقلتُ من خلفه : نحن ياأميرَ المؤمنين من جَدِيلَةَ ؛ فأقبل على الرجل وتركنى ، فقال : مِنْ أيّكم ذو الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدرى ؛ قلت : كان عَدْوانيًّا ؛ فأقبل على الرجل وتركنى وقال : لم سُمِّىَ ذا الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدرى ؛ فقلت : نهشته حيةٌ فى إصبعه فيبِسَتْ ؛ فأقبل على الرجل وتركنى ، فقال : وبِمَ كان يسمَّى قبل ذلك ؟ قال الرجل : لا أدرى ؛ قلت : كان يسمَّى حُرْثَانَ ؛ فأقبل على الرجل وتركنى ، فقال : مِنْ أىّ عَدْوانَ كان ؟ فقلت مِنْ خَلْفه : من بنى ناج الذين يقول فيهم الشاعر :

---

(١) الأقلف : الذى لم يختن . (٢) تقدم هذا الاسم غير مرة «احمد بن عبيد الله» . وقد ذكر هنا باتفاق النسخ : «احمد بن عبد الله» . (٣) فى ء ، ط : «يعترض» .

وأما بَنُــو ناجٍ فلا تَذْكُرَنَّهُــمْ * ولا تُتبِعَنْ عَينيكَ ما كان هالكا

إذا قُلتُ معروفًا لأُصلِحَ بينهــم * يقول وُهَيبٌ لا أُســالِمُ ذلكا

وروَى عمرُ بن شبة : لا أُسَلِّم .

فأضحى كظَهر الفحل جُبَّ سَنامُه * يَدِبُّ الى الأعداء أحدَبَ بارِكَا

فأقبل على الرجل وتركني وقال أَنشِدْنى قولَه : ٥

* عذيرَ الحيِّ من عَدوانَ *

قال الرجل : لستُ أَرْوِيهــا ؛ قلت : يا أميرَ المؤمنين إن شئتَ أنشدتُكَ ؛ قال : آدْنُ منّى، فإنى أَرَاكَ بقومك عالمًــا؛ فأنشدتُه :

وليس المــرءُ فى شىءٍ * من الإبرام والنقضِ

إذا أبــرم أمرًا خا * له يَقْضِى وما يَقْضِى ١٠

يقــولُ اليومَ أَمْضِــيه * ولا يَمــلِكُ ما يُمْضِى

عَذيرَ الحىِّ من عَدوا * نَ كانوا حَيَّةَ الأرضِ

بغى بعضُهــمُ بعضًــا * فلم يُبقُــوا على بعضِ

فقــد صاروا أحاديثَ * برفع القول والخفضِ

ومنهــم كانت السادا * ت والموفُونَ بالقَرضِ ١٥

ومنهـــم حَكَمٌ يَقضِى * فلا يُنقَضُ ما يَقضِى

ومنهم من يُجِــيزُ النا * سَ بالسُّــنَّةِ والفرضِ

وهم مَنْ وَلَدُوا أَشْــبَوْا(١) * بسِرِّ الحَسَبِ المَحْضِ

ومِمَّنْ(٢) ولدوا عامِـ * ـرُ ذوالطول وذوالعرضِ

وهــم بَوَّوْا(٣) ثَقِيفًا دا * رَ لا ذُلٍّ ولا خَفْضِ ٢٠

(١) يقال : أشبى فلان اذا ولد له ولد كيس . (٢) كذا فى ب ، سـ . وفى أ ، م : « وممن ولدوا عامر ذا الطول الخ » . وفى ط ، ء : « وهم من ولدوا عامر ذا الطول الخ » .

(٣) بوّوا : أنزلوا ، والأصل بوأوا ، وحذف الهمز للتخفيف .

فأقبل على الرجل وتركنى وقال : كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان، فأقبل علىّ فقال : كم عطاؤك ؟ فقلت : خمسمائة، فأقبل على كاتبه وقال : اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا، فانصرفتُ بها .

وقوله : "ومنهم من يُجيزُ الناسَ" فإنّ إجازةَ الحج كانت لخُزَاعةَ فأخذتْها منهم عَدْوانُ فصارت الى رجل منهم يقال له أبو سَيّارةَ أحدُ بنى وَابِش[1] بن زيد[2] بن عَدْوانَ . وله يقول الراجز :

خَلّوا السبيلَ عن أبى سَيّارَهْ ۞ وعن مَوَاليه بنى فَزَارَهْ

حتى يُجيزَ سالما حِمَارَهْ ۞ مستقبِلَ الكعبةِ يدعو جارَهْ

قال : وكان أبو سيارة يُجيز الناسَ فى الحج بأن يتقدّمهم على حمارٍ، ثم يَخطُبَهم فيقول : اللهم أصلحْ بين نسائنا، وعادِ بين رِعَائنا ، واجعل المالَ فى سُمَحائنا ، أَوْفُوا بعهدكم ، وأكرِموا جارَكم، واقْروا ضيفَكم، ثم يقول : أَشْرِقْ[3] ثَبِيرْ كيما نُغيرْ ، وكانت هذه إجازتَه، ثم يَنْفِرُ[4] ويتبعُه الناس . ذكر ذلك أبو عمرو الشّيْبانىّ والكلبىّ وغيرُهما .

---

(١) كذا فى ا ، ء ، ط . وقد أورد صاحب القاموس هذا الاسم فى مادة «وبش» قال : «وبنو وابش بن زيد بن عدوان بطن من قيس عيلان» . وفى باقى النسخ : « قايش » وهو تحريف .

(٢) كذا فى ط ، ء ، حـ وهو الصواب . وفى باقى النسخ : « يزيد » وهو تحريف .

(٣) هذا مثل ، ومعناه ادخل يا ثبير فى الشروق وهو ضوء الشمس كما تقول : أشمل أى دخل فى الشمال وأجنب أى دخل فى الجنوب . وكيما نغير أى كيما نسرع للنحر من قولهم أغار إغارة الثعلب أى أسرع ودفع فى عدوه . وثبير : جبل بمكة . قال عمر رضى الله عنه : كان المشركون يقولون ذلك ولا يفيضون حتى تطلع الشمس فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو يضرب فى الإسراع والعجلة .

(٤) فى ط ، ء : « ينفذ » بالذال المعجمة .

قصته مع بناته الأربع وقد أردن الزواج

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمرُ بن شبة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيْمِىّ قال حدّثنا محمد بن داودَ الهشّامىّ قال : كان لذى الإصبع أربعُ بنات وكنّ يُخطَبْنَ اليه فيَعرِضُ ذلك عليهنّ فيَستَحيِينَ ولا يزوّجهنّ، وكانت أُمّهنّ تقول : لو زوّجتَهنّ ! فلا يَفعلُ . قال : فخرج ليلةً الى مُتحدَّثٍ لهنّ فٱستمع عليهنّ وهنّ لا يعلمْنَ فقلن : تعالَيْنَ نتمنّى ولْنَصْدُقْ، فقالت الكبرى :

ألا ليتَ زوجى من أُناسٍ ذَوِى غِنًى ... حَديثُ الشباب[1] طيّبُ الريح والعِطرِ[2]
طبيبٌ بأدواء النساء كأنه ... خليفةُ جانٍ لا ينام على وِترِ

فقلن لها : أنتِ تُحبّين رجلا ليس من قومك . فقالت الثانيةُ :

ألا هل أراها ليلةً وضَجِيعُها ... أشمُّ كنصل السيف غيرُ مُبَلَّدِ
لَصُوقٌ بأكباد النساء وأصلُه ... إذا ما آنتمى من سِرِّ أهلى ومَحْتِدِى

فقلن لها : أنتِ تُحبّين رجلا من قومك . فقالت الثالثةُ :

ألَا لَيْتَه يَملَا الجِفانَ لضَيفِه[3] ... له جفنةٌ يَشْقَى بها النِّيبُ[4] والجُزْرُ[5]
له حَكَماتُ[6] الدهر من غير كَبْرة ... تَشِين ولا الفانى ولا الضَّرِعُ الغُمْرُ[7]

(١) فى ب ، س ، حـ : «حديث شباب» . (٢) فى حـ : «والنشر» .
(٣) روى هذا الشطر فى الكامل للبرد طبع أوروبا ص ٣١٧ هكذا :
* ألا ليه يعطى الجمال بديهة *
(٤) النيب جمع ناب وهى الناقة المسنة ، وقيل لها ناب لطول نابها . (٥) الجزر بضم الزاى وسكن للضرورة جمع جزور، وهى الناقة المجزورة ، وانما عطفت على النيب لأن من الابل ما يكون جزورا للنحر لا غير . (٦) كذا فى الكامل للبرد طبع أوروبا ص ٣١٧ ؛ والحكمات جمع حكمة وأصلها الحديدة فى اللجام تمنع الفرس من مخالفة راكبه . والمراد بها هنا التجارب لأنها تمنع من ارتكاب مالا يليق . وفى أكثر الأصول : «به محكات الشيب» . وفى بعضها : «له حكات الحى» وكلاهما تحريف .
(٧) الضرع : الضعيف ، والغمر مثلث الغين : من لم يجرب الأمور .

فقلن لها : أنت تُحبّين رجلا شريفا . وقلن للصُّغرى : تمنَّىْ؛ فقالت : ما أريد شيئا؛ قلن : والله لا تَبْرحينَ حتّى نعلمَ ما فى نفسك؛ قالت : زوج من عُود خيرٌ من قُعود . فلمّا سمِع ذلك أبوهنّ زوّجهنّ أربعتَهنّ . فمكَثْنَ بُرهةً ثم آجتمعن اليه ، فقال للكبرى : يا بُنيّة، ما مالُكم؟ قالت : الإبل؛ قال : فكيف تجدونها؟ قالت : خير مال ، نأكل لحومها مُزَعا(١) ، ونشرَب ألبانها جُرَعا ، وتحمِلُنا وضعيفَنا معا ؛ قالَ : فكيف تجدين زوجَك ؟ قالت : خيرُ زوج يُكرم الحَلِيلة ، ويُعطى الوَسِيلة(٢)؛ قال : مالٌ عميم وزوجٌ كريم . ثم قال للثانيــة : يا بُنيّة ما مالُكم؟ قالت : البقر؛ قال : فكيف تجدونها ؛ قالت : خير مال ، تألف الفِناء ، وتُوَدِّك(٣) السِّقاء ، وتملأ الإناء، ونِساءٌ فى نساء ؛ قال : فكيف تجــدين زوجك ؟ قالت : خير زوج يكرم أهــله ويَنْسى فضــلَه ؛ قال : حَظِيتِ ورضيتِ . ثم قال للثالثــة : ما مالُكم ؟ قالت : المِعْزَى؛ قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : لا بأسَ بها نُولِدها فُطُما(٤)، ونسلَخها أَدَما(٥)؛ قال : فكيف تجــدين زوجَك ؟ قالت : لا بأس به ليس بالبخيل الحَكِر(٦) ولا بالسَّمْح البَذِر، قال: جَدْوَى(٧) مُغْنية . ثم قال للرابعة: يا بنية، ما مالُكم؟ قالت : الضَّأن ؛ قال : وكيف تجدونهــا ؟ قالت : شرّ مال ، جُوفٌ(٨) لا يَشْــبَعن ، وهِيمٌ(٩)

---

(١) مزعا جمع مزعة بضم الميم وكسرها وهى القطعة من اللحم . (٢) الوسيلة : ما يتقرب به الى الغير . وفى الكامل للبرد : « ويقرب الوسيلة » . (٣) تودّك السقاء : تجعل فيه الودك وهو الدسم . (٤) جمع فطيم وهو ما يفصــل عن الرضاع . (٥) الأدم : اسم لجمع الأديم وهو الجــلد أو الأحمر منــه أو مدبوغه . (٦) الحكر : المستبد بالشىء . (٧) كذا فى جميع النسخ والجــدوى : الغناء والنفع . وفى الكامل للبرد طبع أوروبا ص ٣١٨ روى : « جذو مغنيــة » وقال فى تفسيره : الجذو جمع جذوة وأصل ذلك فى الخشب ما كان منه فيه نار . (٨) جوف : عظــام الأجواف . (٩) الهيم : العطاش واحده أهيم أو هيماء ، ولا ينقعن : لا يروين .

لا يَنْقَعْن، وصُمّ لا يَسْمَعن[1]، وأمرَ مُغْوِيَتِهِنّ يَتْبَعن[2]، قال : فكيف تجدين زوجَك؟ قالت : شرّ زوج، يُكْرِم نفسَه ويُهِين عِرْسه؛ قال : « أشبه آمرأً بعضُ بَزّه[3] » .

وذكر الحسن بن عُلَيل العَنَزى فى خبر عَنْوانَ الذى رواه عن أبى عمرو بن العَلاء أنه لا يصحّ من أبيات ذى الإصبع الضّادية إلّا الأبياتُ التى أنشدها وأنّ سائرها مَنحولٌ .

خرف وأهتر وقال فى ذلك شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن عبد الله الحَزَنْبَل قال حدّثنى عمرو بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ عن أبيه قال : عُمِّر ذُو الإصبع العَدْوانى عمرا طويلا حتى خَرِف وأُهتِر[4] وكان يفرّق مالَه، فعذَله أصهارُه ولامُوه وأخذوا على يده[5]؛ فقال فى ذلك :

أَهْلَكَنا اللَّيلُ والنَّهارُ معًا * والدّهر يَغْدُو مُصمِّمًا جَذَعا[6]

فليس فيما أصابنى عَجَبٌ * إن كنتُ شَيبًا أنكرتُ أو صَلَعا

وكنتُ إذ رَونق الشَّباب به * ماءُ شَبابى تَخاله شرعا

والحىّ فيه الفتاةُ تَرْمُقنى * حتّى مضَى شَأْوُ ذاك فانقشعا[7]

---

(١) هذا وارد على وجه التمثيل، وتشبيهه الضأن بما لا يسمع لبلادتها. والعرب يقولون : أبلد ما يرعى الضأن. (٢) قال علىّ بن عبد الله : قلت لأبى عائشة : ما قولها : «وأمر مغويتهن يتبعن» فقال : أما تراهن يمررن فتسقط الواحدة منهن فى ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها اليه. انظر الكامل للمبرد طبع أوربا ص ٣١٨ (٣) كذا فى الأصول وهى إحدى روايتين، وثانيتهما « أشبه امرؤ بعض بزه » انظر الكامل للمبرد ص ٣١٨؛ وفيه : أنه أرسله مثلا ولم نجده فى مجمع الأمثال للميدانى ولا فى لسان العرب.

(٤) خرف بتثليث الراء : فسد عقله. وأهتر (بالبناء للمفعول فهو مهتر) : فسد عقله من الكبر وصار خرفا، ويقال : أهتر بالبناء للفاعل أيضا، ولكن الوصف منه مهتَر على صيغة اسم المفعول شذوذا.

(٥) أخذوا على يده : حجروا عليه ومنعوه مما يريد أن يفعل. (٦) الجذع : الشاب الحدث.

(٧) فى ء، حـ : « فانقطعا »

صــــوت

إنّكما صاحبىّ لم تدَعا * لَوْمِى ومَهما أَضِقْ فلن تَسَعا

لم تعقِلا جَفْوةً علىّ ولم * أشتُمْ صديقا ولم أنَلْ طَبَعا (١)

إلّا بأن تكذِبا علىّ وما * أَملِك أن تكذِبا وأن تَلَعا (٢)

٦
٣

لابن سُرَيج فى هذه الأبيات لحنان : أحدهما ثانى ثقيلٍ بالسّبّابة والبِنْصر عن يحيى المكىّ، والآخرُ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشامىّ .

وإنّنى سوف أبتدِى بنَدًى * يا صاحبىَّ الغداةَ فاستمعا

ثمّ سَلَا جارتى وكِنّتَها * هل كنتُ فيمن أَرَابَ أو خدَعا (٣)

أو دعَتانى فلم أُجِبْ، ولقد * تأمن منّى حَليلتى الفَجَعا (٤)

آبَى فلا أقرَب الخِبَاءَ إذا * ما ربُّه بعد هَدْأة هجَعا

ولا أَرُوم الفتاةَ زَوْرتَها * إن نام عنها الحليل أو شَسَعا (٥)

وذاك فى حِقبةٍ خلَتْ ومضَتْ * والدّهرُ يأتى على الفتى لُمَعا (٦)

إن تزعُما أنّنى كبِرتُ فلم * أُلْفَ ثقيلا نِكْسا ولا وَرَعا (٧)

إمّا ترَىْ شِكّتى رُمَيحَ أبى * سعدٍ فقد أحمِلُ السّلاحَ معا (٨)

---

(١) الطبع : الدنس والعيب . (٢) تلعا : من الولع وهو الكذب، يقال : ولع يلع ولعا وولعانا أى كذب . (٣) كذا فى أ . وفى حـ : «قذعا» وقذع : رمى بالفحش وسوء القول . وفى باقى الأصول : «قدعا» وليس له معنى يناسب المقام . (٤) فى حـ : «الفزعا» . (٥) شسع : بعد . (٦) لمعا : ألوانا لاختلاف ما يأتى به من خير وشر . واللمع : واحدته لمعة وهى كل لون خالف لونا آخر . (٧) النكس : الرجل الضعيف الذى لا خير فيه . والورع : الضعيف لاغناء عنده . (٨) الشكة : السلاح .

ابو سعد : ابنه ، ورُمَيح : عصًا كانت لابنه يلعب بها مع الصِّبْيان يُطاعِنُهم بها كالرُّمح، فصار يتوكأ هو عليها ويقوده ابنه هذا بها .[1]

السَّيفُ والرُّمح والكِنانةُ قد * أكملتُ فيها مَعَابِلًا[2] صُنُعَا[3]

والمُهرُ صافِى الأديمِ أصنعُهُ[4] * يَطِيرُ عنه عِفَاؤه قَزَعَا[5]

أقْصِرُ من قَيْده وأُودِعُه * حتّى اذا السِّرب رِيعَ أو فزِعَا

كان أمامَ الجِياد يَقْدُمها * يَهُزُّ لَدْنًا[6] وجُؤْجُؤًا تَلِعَا

فغامِسَ[7] الموتَ أو حَمَى ظُعُنًا[8] * أو رَدَّ نَهْبًا لأىِّ ذاك سَعَى

وصيته لابنه عند موته

قال أبو عمرو : ولمّا ٱحتضر ذو الإصبع دعا ٱبنه أُسيدا[9] فقال له : يا بُنىّ، إن أباك قد فنِى وهو حىّ وعاش حتّى سَئِم العيشَ، وإنّى مُوصيك بما إن حفِظتَه بلغتَ فى قومك ما بلَغتُه، فٱحفَظ عنّى: ألِن جانبَك لقومك يحبّوك، وتواضَعْ لهم يرفعوك،

(١) فى لسان العرب مادة رمح : « وأخذ الشيخ رميح أبى سعد : اتكأ على العصا من كبره، وأبو سعد أحد وفد عاد، وقيل هو لقمان الحكيم، قال :

إما ترى شكتى رميح أبى * سعد فقد أحمل السلاح معا

وقيل : أبو سعد كنية الكبر » . وفى القاموس مادة رمح مثل هذا الذى ذكره صاحب اللسان فى تفسير « رميح أبى سعد » . ولم يرد فيهما شىء مما ذكره أبو الفرج . (٢) كذا فى أكثر الأصول . والمعابل : جمع معبلة وهى نصل عريض طويل . وفى ب، س، حـ : « مقابلا » وهو تحريف . (٣) صنعا : جمع صنيع وهو المجرّب المجلوّ، يقال : سيف صنيع وسهم صنيع أى مجرب مجلوّ . (٤) أصنعه : أحسن القيام عليه، يقال : صنعت فرسى صنعا وصنعة أى أحسنت القيام عليه . (٥) العفاء : الشعر الطويل . والقزع : القطع المتفرقة، وكل شىء يكون قطعا متفرقة فهو قزع . (٦) اللدن : اللين من كل شىء، ولعل المراد منه هنا الكفل . والجؤجؤ : الصدر . وتلع : منبسط . (٧) غامس الموت : ورده . (٨) ظعنا : جمع ظعينة وهى الزوجة، يقال : هى ظعينة فلان أى زوجته، وهؤلاء ظواعنه أى نساؤه، وسميت الزوجة ظعينة لأن الرجل يظعن بها . (٩) سمى بأسيد كزبير وبأسيد كأمير، ولم نعثر على نص خاص فى هذا الاسم .

وابسُط لهم وجهَك يُطيعوك، ولا تَستأثر عليهم بشىء يُسوّدوك؛ وأكرِم صِغارَهم كما تُكرم كِبارَهم يكرِمْك كِبارُهم ويكبَرْ على مودّتك صغارُهم ، واسمَح بمالك ، واْحمِ حَرِيمَك، وأعزِزْ جارَك ، وأعن مَن استعان بك ، وأكرم ضيفَك ، وأسرِع النَّهضة[1] فى الصَّريخ، فإن لك أجلًا لا يَعْدُوك، وصُنْ وجهَك عن مَسئلة أحد شيئا، فبذلك ٥ يتم سُودَدُك؛ ثم أنشأ يقول :

أأسيدُ إنْ مالًا مَلَكـ * ـتَ فسِرْ به سَيرا جميلَا

آخِ الكِرامَ إن استطعـ * ـتَ الى إخائهمُ سبيلَا

واْشرَب بكأسهمُ وإن * شربوا به السُّمَّ الثَّمِيلَا[2]

أهِنِ اللِّئامَ ولا تكنْ * لإخائهم جَملًا ذَلُولَا

إنَّ الكرامَ اذا تُوا * خِيهِمْ وجدتَ لهم فُضولا[3]

ودَع الذى يَعِد العَشيـ * ـرةَ أن يسيلَ ولن يَسيلا[4]

أبُنَىّ إنّ المالَ لا * يَبكِى اذا فقد البخيلا

٧/٣

صوت

أأسيدُ إن أزمعتَ من * بلدٍ الى بلدٍ رَحيلا

فاْحفظ وإن شَحَط المزا * رُ أخا أخيك أو الزَّميلا[5] ١٥

(١) استعمل ابن جنى أسرع متعديا فقال : « ويسرع قبول ما يسمعه » قال صاحب اللسان : فهذا إما أن يكون يتعدى بحرف وبغير حرف ، وإما أن يكون أراد الى قبول فحذف وأوصل .
(٢) الظاهر أن الثميل هنا الناقع ، ولكنا لم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا الثميل بهذا المعنى، وانما الوارد الثمال، بضم أوله ، والمثمل وهو السم المنقع أى الذى أنقع فبق وثبت . (٣) كذا فى ط ، ى . والفضول : جمع فضل، وفى باقى الأصول : « قبولا » . (٤) كذا فى أكثر الأصول . ٢٠ وفى ط ، ى : « ولا » . (٥) كذا فى أكثر الأصول، والزميل : الرفيق فى السفر الذى يعينك على أمورك . وفى ط ، ى ، أ : « التزيلا » .

واركب بنفسك إن هَمَمـ * ـتَ بها الحزونةَ والسّهولا
وصِـــلِ الكرام وكُن لمن * تَرجـــو مَودّته وَصـــولا

الغناء للهُذَلِىّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو .

ودَعِ التّـــوَانِىَ فى الأمـو * ر وكن لهـا سَلِسًا ذَلُـولَا
وٱبسُـــطْ يمينَكَ بالنّـــدَى * وٱمْـــدُدْ لهـا باعًا طويلَا
وٱبسُـــطْ يدَيكَ بمـا ملَكْـ * ـتَ وشَيِّدِ الحسَبَ الأثيلَا
وٱعْـــزِمْ اذا حاولتَ أمـ * ـرًا يَفْرِجُ الهـــمَّ الدَّخيلَا
وٱبذُلْ لِضَـيفكَ ذاتَ رَحْـ * ـلِكَ(١) مُكرِمًا حـــتّى يَزُولَا
وٱحلُلْ عـــلى الأَيْفَاعِ للـ * ـعافِينَ وٱجْتَنِبِ المَســـيلَا
واذا القُـــرُومُ تخـاطَرَتْ * يوما وأرعَدَتِ الخَصـــيلَا(٢)
فاهصِرْ كهَصْرِ الليث خَضَّبَ(٣) مِن فَريســـتِه التّليــلَا(٤)
وانـــزِلْ الى الهيجَا إذا * أبطالُهـا كَرِهوا النزولَا
واذا دُعِيتَ الى المُهِـــمّ فكن لفَادِحِهِ حَمُـــولَا

استنشد معاوية قيسا شعره وزاد فى عطائه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرىُّ عن العُتْبِىّ قال :
جرى بين عبد الله بن الزُّبَير وعُتْبَةَ بنِ أبى سُفْيان لِحَـاءٌ(٥) بين يدى معاوية ، فجعل ٱبن الزبير يَعدِلُ(٦) بكلامه عن عُتْبَةَ ويُعَرِّضُ بمعاويةَ ، حتى أطال وأكثر [من ذلك] ، فٱلتفتَ اليه معاويةُ متمثِّلًا وقال :

(١) الرحل : المثوى والمنزل . (٢) الخصيل : جمع خصيلة وهى كل لحمة فيها عصب . (٣) فى ء ، ط : «يخضب» . (٤) كذا فى أكثر النسخ . والتليل : العنق . وفى ء ، ط : «الغليلا» والغليل : الشعر المجتمع . (٥) اللحاء : المنازعة . (٦) الزيادة عن ط ، ء .

ورامٍ بعُورانِ[1] الكلام كأنها * نوافرُ صُبحٍ نفّرتْها المراتعُ

وقد يَدْحَضُ[2] المرءُ المُوارِبُ بالخَنَا * وقد تُدرِكُ المرءَ الكريمَ المصانعُ

ثم قال لابن الزُّبير: مَنْ يقول هذا؟ فقال: ذو الإصبع؛ فقال: أتَرْوِيهِ؟ قال لا؛ فقال: مَنْ هَا هنا يَروِى هذه الأبيات؟ فقام رجل من قيس فقال: أنا أرْوِيها يا أمير المؤمنين؛ فقال: أنشِدنى؛ فأنشدَه حتى أتى على قوله:

وساعٍ برجليه لآخرَ قاعدٍ * ومُعْطٍ كريمٌ ذو يَسَارٍ ومانعُ

وبانٍ لأحساب الكرامِ وهادمٌ * وخافضُ مولاه سَفَاهًا ورافعُ

ومُغْضٍ على بعض الخطوب وقد بدَت * له عَوْرَةٌ[3] من ذى القرابة ضاجعُ

وطالب حُوبٍ باللسان وقلبُه * سِوَى[4] الحقّ لا تَخفَى عليه الشرائعُ

فقال له معاوية: كم عطاؤك؟ قال: سبعُمائة؛ قال: اجعلوها ألفًا، وقطع الكلام بين عبد الله وعُتْبة.

شعره فى ابن عمه وقد عاداه

قال أبو عَمْرو[5]: وكان لذى الإصبع ابنُ عمٍّ يُعاديه فكان يتدسَّسُ الى مكارهه ويَمْشِى[6] به الى أعدائه ويُؤلِّبُ عليه ويسعى بينه وبين بنى عمّه ويَبْغيه عندهم شرًّا؛ فقال فيه — وقد أنشدَنا الأخفشُ هذه الأبياتَ [أيضا][7] عن ثعلب والأحْوَل السُّكَّرِىّ —:

(١) كذا فى أكثر النسخ وكذلك أصلحه الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته طبع بولاق وورد كذلك فى اللسان مادة عور. وعوران الكلام: ما تنفيه الأذن، الواحدة عوراء. (انظر اللسان مادة عور) وفى ب، سـ: «بعورات». (٢) كذا فى ى، ط، أ: ويدحض: يزلق ويزل. وفى سائر النسخ: «يرخص». (٣) فى ب، سـ: «الخصوم». (٤) سوى الحق: وسطه، يعنى أن قلبه ملازم الحق. (٥) كذا فى ى، ط. وفى سائر النسخ: «ابن عمرو». (٦) فى ى، ط: «ويشى». (٧) الزيادة عن ط، ى.

يا صاحبىّ قِفَا قليــلا * وتَخَــبَّرَا عَــنِّى لَمِيسَا
عمَّن أصابت قلبَــه * فى مَرِّها فغَــدَا نَكِيسَا (١) (٢)
ولِىَ ابنُ عــمٍّ لا يزا * ل اِلَىَّ مُنكَرُه دَسِيسَا (٣)
دبَّتْ له فأحسَّ بعــ * ـد البُرْءِ من سَقَمٍ رَسِيسَا (٤)
إمّا عــلانيــةً وإ * مّا مُخْمِرًا أَكْلًا وَهِيسَا (٥) (٦)
إنى رأيتُ بَــنِى أبيــ * ـك يُحَمِّجُون الىّ شُوسَا (٧) (٨)
حَنَقًا علىَّ ولن تَرى * لِىَ فيهــمُ أثرًا بَئِيسَــا (٩)
أَنْحَوْا على حُــرِّ الوجو * ه بحَــدِّ مِئشارٍ ضَرُوسَا (١٠) (١١)
لو كنتَ ماءً لم تكنْ * عَذْبَ المَذَاقِ ولا مَسُوسَا (١٢) (١٣)
مِلْحًا بعيــدَ القعرِ قــد * فَلَّتْ حجارتُه الفُــؤُوسَا
مَنَّاعَ ما ملكَتْ يدا * كَ وسائِلٌ لَهُــمُ نُحُوسَا (١٤)

---

(١) فى ب ، سـ : «قعدا» وهو تحريف . (٢) النكيس : المريض .

(٣) فى ط ، ى : «منبره» . والمنبر : اللسان . (٤) الرسيس : أول الحمى .

(٥) من أخمر الشىء اذا ستره . (٦) كذا فى ط ، ى . والأكل الوهيس : الشديد .
وفى باقى النسخ : «كهلا» وهو تحريف .

(٧) كذا فى ط ، حـ . ومعناه يديمون النظر . وقد ورد هذا البيت فى اللسان فى مادة شوس هكذا :
أرى بنى أبيـ * ـك محمجين اليك شوسا
وفى باقى النسخ : * يحمحمون إلىّ سوسا * وهو تحريف . (٨) الشوس بالتحريك :
النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا . (٩) البئيس : الشديد المكروه . (١٠) كذا فى ى ، ط .
وفى باقى النسخ : «أنحى» . (١١) المئشار لغة فى المنشار . (١٢) فى ط ، ى :
«لو كنت ماء كنت لا» . (١٣) المسوس : الماء بين العذب والملح . (١٤) كذا فى ط ، ى .
وفى باقى الأصول : «يداه» .

وأنشدنا الأخفش عن هؤلاء الرواة بعقب هذه الأبيات — وليس من شعر ذى الإصبع ولكنه يشبه معناه — :

لو كنتَ ماءً كنتَ غيرَ عَذْبِ * أو كنتَ سيفًا كنتَ غيرَ عَضْبِ

أو كنتَ طِرْفًا كنتَ غيرَ نَدْبِ[1] * أو كنتَ لحمًا كنتَ لحمَ كَلْبِ

٥ قال : وفى مثله أنشدنا :

لو كنتَ مُخًّا كنتَ مُخًّا رِيرًا[2] * أو كنت بَرْدًا كنتَ زَمْهَرِيرًا

* أو كنت رِيحًا كانتِ الدَّبورَا *

سبب تفرق عدوان وتفانيهم

قال أبو عمرو: وكان السبب فى تفرّق عَدْوانَ وقتالِ بعضِهم بعضًا حتى تفانَوْا: أن بنى ناج بن يَشْكُرَ بن عَدْوانَ أغاروا على بنى عَوْف بن سعد بن ظَرِب بن عمرو

١٠ ابن عباد بن يشكر بن عَدْوان، ونَذِرَتْ[3] بهم بنُو عوف فاقتتلوا ، فقتل بنو ناج ثمانيةَ نفرٍ، فيهم عُمَيْرُ بن مالك سيِّدُ بنى عوف ، وقتلت بنو عوف رجلا منهم يقال له سِنانُ بنُ جابر ، وتفرّقوا على حرب . وكان الذى أصابوه من بنى وائلة[4] بن عمرو ابن عباد وكان سيِّدا ، فاصطلح سائرُ الناس على الديات أن يتعاطَوْها ورَضُوا بذلك، وأبى مَرِيرُ بنُ جابر أن يقبلَ بسنان بن جابر ديةً ، واعتزل هو وبنو أبيه ومن

١٥ أطاعهم ومنْ[5] والاهم،[6] وتَبِعه[7] على ذلك كَرِبُ بن خالد أحد بنى عَبْس بن ناج ، فمشى اليهما ذو الإصبع وسألهما قبولَ الدية وقال : قد قُتِلَ منّا ثمانيةُ نفر فقبِلْنا الديةَ وقُتِل

(١) يقال : فرس ندب أى ماض نشيط . (٢) يقال : مخ رير أى فاسد من الهزال .
(٣) يقال : نذر بالشىء أى علمه فحذره . (٤) فى ى ، ط : «وائلة» . (٥) كذا
٥ فى أ . وفى باقى النسخ : «ومن» . (٦) فى ى ، ط : «وتابعه» . (٧) فى ى ، ط :
٢٠ «جبلة» .

منكم رجل فاقبلوا ديته ، فأبيا ذلك وأقاما على الحرب ، فكان ذلك مبدأ حرب بعضهم بعضا حتى تفانوا وتقطّعوا . فقال ذو الإصبع فى ذلك :

ويا بُؤس للأيّام والدّهر هالكا * وصَرْفِ اللّيالى يختلفن كذلكا
أبعد بنى ناجٍ وسَعْيِك فيهمُ * فلا تُتْبِعَنْ عينيك ما كان هالكا
اذا قلتُ معروفًا لأُصْلح بينهم * يقولُ مُرَيرٌ لا أُحاوِلُ ذلكا
فأضحَوْا كظهر العَوْدِ جُبَّ سَنامُه * تَحُوم عليه الطيرُ أحدبَ باركا (١)
فإن تك عَدْوانُ بن عمرو تفرّقت * فقد غَنِيَتْ (٢) دهرًا ملوكًا هنالكا

قصيدته النونية

وقال أبو عمرو : وفى مُرَيرِ بن جابر يقول ذو الإصبع — وهذه القصيدة هى التى منها [الغناء] (٣) المذكور — وأوّلها :

يا مَنْ لقلبٍ شديدِ الهمّ محزونِ (٤) * أمسى تذكّرَ رَيّا أمَّ هارونِ
أمسى تذكّرها مِن بعد ما شَحَطتْ * والدّهرُ ذو غِلَظٍ (٥) حينا وذو لِينِ
فإنْ يكنْ حبُّها أمسى لنا شَجَنًا * وأصبحَ الوَلْىُ (٦) منها لا يُواتِينِى
فقد غَنِينا (٧) وشَمْلُ الدارِ يجمعنا * أُطيعُ رَيّا ورَيّا لا تُعاصِينى
نَرمِى الوُشاةَ فلا نُخْطِى مَقاتِلَهُمْ * بخالصٍ (٨) مِن صفاء الوُدّ مكنونِ
ولى ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ * مُختلِفانِ فأَقْلِيه (٩) ويَقْلِينى
أزرَى بنا أننا شالَتْ نَعامتُنا * فخالنى دونه بل خِلتُه دونى

(١) كذا فى ء ، ط . وفى سائر النسخ : « يدب الى الأعداء أحدب باركا » .
(٢) كذا فى ء ، ط . وفى سائر النسخ : « غيث » . (٣) التكلة من ط ، ء .
(٤) فى أمالى القالى ج ١ ص ٢٥٥ طبع دار الكتب : « طويل البث » . (٥) كذا فى ب ، س ، حـ . وفى باقى النسخ وأمالى القالى : « ذو غلظة » . (٦) كذا فى ء ، ط . والولى : القرب . وفى سائر النسخ : « الوأى » . والوأى : الوعد . (٧) غنينا : أقمنا .
(٨) فى أمالى القالى ج ١ ص ٢٥٥ طبع دار الكتب : « بصادق » . (٩) أقليه : أبغضه .

لَاهِ ابنُ عمّك لا أَفضلتَ فى حسَبٍ * شيئا ولا أنت ديّانى[1] [2] فتخزونى

ولا تَقُوتُ عِيالى يومَ مَسْغَبةٍ * ولا بنفسك فى العَزّاءِ[3] تَكفِينى

فإن تُرِدْ عَرَضَ الدنيا بمَنقَصتى * فإنّ ذلك ممّا ليس يُشْجِينى

ولا تَرَى فىَّ غيرَ الصّبرِ مَنقَصةً * وما سِوَاه فإنّ اللهَ يَكفِينى

لولا أَواصِرُ قُرْبَى لستَ تحفظُها * ورَهْبَةُ اللهِ فى مَولًى يُعادِينى

إذًا بَرَيتُك بَرْيًا لا انجبارَ له * إنّى رأيتُك لا تَنفَكُّ تَبرِينى

إنّ الذى يَقبِضُ الدنيا ويبسُطها * إن كان أغناكَ عنّى سوف يُغْنِينى

اللهُ يَعلَمُكم واللهُ يَعلَمُنى * واللهُ يَجزِيكُمُ عنّى ويَجْزِينى

ما ذَا علىَّ وإن كنتم ذوى رَحِمى * ألّا أحبَّكُمُ إن لم تُحِبّونى

لو تَشرَبونَ دَمى لم يَرْوَ شارِبُكم * ولا دِماؤُكُمُ جَمْعًا تُرَوِّينى

ولِى ابنُ عمٍّ لوَ انّ الناسَ فى كَبِدى * لَظَلَّ مُحتَجِزًا[4] بالنَّبْلِ يَرْمِينى

يا عمرُو إن لا تَدَعْ[5] شَتْمِى ومَنْقَصتى * أَضْرِبْكَ حتى تقولَ الهامةُ اسْقُونى[6]

كلّ امرِئٍ صائرٌ يومًا لشِيمَتِه * وإن تخلّقَ أخلاقًا إلى حِينِ

إنّى لَعَمْرُكَ ما بَابِى بذى غَلَقٍ[7] * عن الصّديق[8] ولا خَيرى بمَمْنُونِ

---

(١) أصله : لله ابن عمك ، حذفت منه اللام الخافضة . (٢) الديان : القائم بالأمر. وتخزونى : تسوسنى وتقهرنى . (٣) العزاء : الشدّة . (٤) كذا فى ى ، ط ، والمحتجز : الشادّ مئزره على وسطه وهو كناية عن التهيؤ للامر والتشمر له . وفى ب ، س : «منحجزا» . (٥) كذا فى حـ والأمالى طبع دار الكتب ج ١ ص ٢٥٦ ، وفى ط ، ى : «إنك إن لا تدع الخ» . وفى ا ، م : «يا عمرو إن لم تدع الخ» . (٦) هذا وارد على ما يزعمه العرب فى جاهليتهم من أن روح القتيل الذى لم يدرك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره وتقول : اسقونى اسقونى ، فاذا أدرك بثأره طارت . (٧) الغلق : ما يغلق به الباب . (٨) كذا فى المفضليات ص ٣٢٦ طبع بيروت . وفى جميع الأصول : «على الصديق» .

ولا لسانِى على الأدنى بمنطَلِقٍ * بالمنكَرات ولا فتكى بمأمُونِ

لا يُخرِجُ القَسْرُ[1] منّى غير مَغْضَبةٍ[2] * ولا أَلِينُ لِمَنْ لا يبتغى لِينِى

وأنتمُ معشرٌ زَيْدٌ على مائةٍ * فأجمِعُوا أمرَكم شَتَّى فكِيدُونِى

فإن علمتُم سبيلَ الرُّشدِ فانطلِقوا * وإن غَيِيتُم[3] طريقَ الرشدِ فأتُونِى

يا رُبَّ ثوبٍ حواشيه كأوسطِه * لا عيبَ فى الثوبِ من حُسنٍ ومن لِينِ

يومًا شَدَدتُ على فَرْغاءَ[4] فاهقةٍ * يومًا من الدّهر تاراتٍ تُمَارِينِى

ما ذا علىّ إذا تدعوننِى فَزَعًا * ألّا أُجيبَكم إذ لا تُجِيبُونِى

وكنتُ أُعطِيكُمُ[5] مالى وأَمنحُكم * وُدِّى على مُثْبَتٍ فى الصدر مَكنونِ

يا رُبَّ حَىٍّ شديدِ الشَّغْبِ ذى لَجَبٍ[6] * ذعَرتُ[7] مِن راهنٍ منهم ومَرهُونِ

رَدَدتُ باطلَهُم فى رأسِ قائلِهم * حتى يَظَلُّوا خصومًا[8] ذَا أفانِينِ

يا عَمْرُو لو كنتَ لى أَلْفَيْتَنِى يَسَرًا[9] * سَمْحًا كريمًا أُجازِى مَنْ يُجازِينِى

قصيدته فى رثاء قومه

قال أبو عمرو : وقال ذو الإصبع يَرْثِى قومَه :

وليس المرءُ فى شىءٍ * من الإبرام والنقضِ

اذا يفعلُ شيئًا خا * له يَقْضِى وما يَقْضِى

جَدِيدُ العيشِ ملبوسٌ * وقد يُوشِكُ أن يَنْضَى[10]

(١) كذا فى ى ، ط ، حـ والمفضليات . وفى سائر النسخ : « لا تخرج النفس » .

(٢) فى المفضليات : « مأبية » ومعناه : اذا أكرهت على شىء لم يكن عندى إلا الإباء له . (٣) كذا فى ط ، ى . وفى ب ، سـ : « عيتم » . وفى المفضليات وأمالى القالى : « جهلتم » . (٤) كذا فى سـ ، والفرغاء : الواسعة والمراد طعنة واسعة ، وفى ى ، ط : « فوهاء » ، والفوهاء : الواسعة . والفاهقة : التى تفهق بالدم أى تصب . (٥) فى ى ، ط : « قد كنت » . (٦) اللجب : ارتفاع الأصوات واختلاطها . (٧) كذا فى ط ، ى . وفى سائر النسخ : « دعوت » . (٨) كذا فى ى ، ط والمفضليات ص ٣٢٦ طبع بيروت ، وفى باقى النسخ : « حصونا » وهو تحريف . (٩) اليسر : السهل الانقياد . (١٠) كذا فى ط ، ى . وبذلك يكون فى هذه الأبيات إقواء ، والإقواء : اختلاف يقع فى حركة القافية ، وأكثر ما يكون ذلك بين الرفع والجر ، وأما مخالفة النصب لواحد منهما ــ كما فى هذه الأبيات ــ فقليل ، وقد استشهد صاحب اللسان لهذا القليل بشواهد كثيرة . وفى سائر النسخ : « ينضى » .

وقد مضى بعض هذه القصيدة متقدّما فى صدر هذه الأخبار، وتمامها :

وأَمْرَ اليومِ أُصْلِحُهُ * ولا تَعْرِضْ لِما يَمْضِى[1]

فبينا المرءُ فى عَيْشٍ * له من عِيشَةٍ خَفْضِ

أتاه طَبَــقٌ[2] يومًا * على مَزْلَقَــةٍ دَحْضِ

وهم كانوا فلا تُكْذَبْ * ذوِى القُوّةِ والنَّهْضِ

وهم إن وَلَدُوا أَشْبَوْا[3] * بِسِرِّ الحسَبِ المَحْضِ

لهم كانت أعالِى الأر * ضِ فالسرَّانِ فالعِرْضِ[4]

الى ما حازه الحَـزْنُ * فمـا أسهلَ للحَمْضِ[5]

الى الكَفْرَيْنِ من نخلـ * ـةَ فالدّاءةِ[6] فالمَـرْضِ

لهم كان جِمامُ[7] المـا * ءِ لا المُزْجِى[8] ولا البَرْضِ

فكان الناس إذ هَمُّوا * بِيُسْرٍ خاشِعٍ مُغْضِى

تَنَــادَوْا ثم ساروا بِـ * ـرئيسٍ لهمُ مُرْضِى

---

(١) كذا فى شعراء النصرانية طبع بيروت . وفى جميع النسخ : « لمن » . (٢) الطبق : الشدة ، وبه فسر قوله تعالى : (لتركبن طبقا عن طبق) . (٣) كذا فى اللسان مادة « شبا » ، وفى جميع النسخ : * وهم من ولدوا أشبوا * يقال : أشبى فلان اذا ولد له ولد كيّس . (٤) لم نعثر على السران اسما لموضع خاص ولعله تثنية السر وهو اسم لمواضع فى بلاد العرب (انظر معجم ياقوت فى اسم السّر) . والعرض : وادى اليمامة . ويقال لكل واد فيه قرى ومياه : عرض . (٥) كذا فى ى ، ط . وفى سائر النسخ : « للحض » . (٦) كذا فى ى، ط والداءة (بوزن داعة) : اسم الجبل الذى يحجز بين نخلتين الشامية واليمانية من نواحى مكة . وفى باقى النسخ : « فالدارة » بالراء . (٧) الجمام : جمع جم وهو الكثير من كل شىء . (٨) المزجى : القليل ، ومنه بضاعة مزجاة أى قليلة . والبرض : القليل أيضا ، يقال : ماء برض ، فى مقابلة ماء غمر . وفى المثل « برض من عد » أى قليل من كثير .

فَمَنْ سَاجَلَهُمْ حرباً * ففى الخَيْبَةِ والخَفْضِ
وهم نالُوا على الشَّنْآ * نِ والشَّحْناءِ والبُغْضِ
مَعَالِى لم ينلها النّا * سُ فى بَسْطٍ ولا قبضِ

شعر أمامة بنت ذى الإصبع فى رثاء قومها

قال أبو عمرو : قالت أُمامةُ بنتُ ذى الإصبع وكانت شاعرةً تَرْثِى قومَها :

كم مِن فَتًى كانت له مَيْعَةٌ[1] * أَبلجَ مثلِ القمرِ الزاهرِ
قد مرّتِ الخيلُ بحافاتِه[2] * كمرّ غيثٍ لَجِبٍ[3] ماطرِ
قد لَقِيَتْ فَهْمٌ وعَدْوانُها * قتلًا وهُلْكًا آخرَ الغابرِ
كانوا ملوكا سادةً فى الذُّرى[4] * دهرًا لها الفخرُ على الفاخرِ
حتى تَسَاقَوْا كأسَهم بينهمْ * بَغْياً فيَا للشّاربِ الخاسرِ
بادُوا فَمَنْ يَحْلُلْ بأوطانهم * يَحْلُلْ برَسْمٍ مُقْفِرٍ داثِرِ[5]

شعره فى الكبر

قال أبو عمرو : ولأمامة ابنته هذه يقول ذو الإصبع ورأته قد نهض فسقط[6] وتوكّأ على العصا فبكت فقال :

جَزِعَتْ أُمامةُ أن مَشَيتُ على العصا * وتَذَكَّرَتْ إذ نحن مِ الفِتْيَانِ
فَلَقَبْلُ ما رام الالهُ بكيده * إرمًا وهذا الحىَّ مِنْ عَدْوانِ

---

(١) الميعة : أوّل الشباب وأنشطه . (٢) كذا فى ط ، ى ، وفى سائر النسخ : « بحافاتهم » . (٣) يقال : غيث لجب أو سحاب لجب ، لما فيه من قعقعة الرعد . (٤) فى ب ، س : « الورى » . (٥) كذا فى ط ، والداثر : الدارس العافى . وفى سائر النسخ : « دامر » بالسين وهو تحريف . (٦) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : « وسقط » بالواو .

بعـدَ الحكومةِ والفضيلة والنُّهى * طاف الزمانُ عليهــمُ بأوانِ
وتفــرّقوا وتقطّعتْ أشــلاؤهم * وتبــدّدُوا فِــرَقًا بكلّ مكانِ
جَدَبَ البلادُ فأعقمَتْ أرحامُهم * والدّهرُ غيّرهُــمْ مع الحِــدْثانِ
حتى أبادَهُــمُ على أُخْــرَاهمُ * صَرْعَى بكلّ نُقَــيْرَةٍ ومكَانِ
لا تَعْجَبَنَّ أمامُ من حَدَثٍ عَرَا * فالدّهْــرُ غَــيّرنَا مع الأزمَانِ ٥

ذكر قيل مولى العبلات[1]

ولاؤه وغناؤه

قال هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك : أخبرنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان يحيى قَيْل عبدًا للثُّريّا ورُضَيًّا وأخواتهما بناتِ [علىّ بن][2] عبد الله بن الحارث آبن أُميةَ الأصغر بن عبد شمس مَوْلَيَاتِ الغَريض .

قال وحدّثنى حمّاد قال [حدّثنى][2] أبى قال حدّثنى آبنُ أبى جَنَاح قال حدّثنا مقاحف[3] بنُ ناصح مولى عبد الله بن عباس قال قال حدّثنى هشامُ بن المُرِّيّة — وهى أمّه، وهو مولى بنى مَخْزُوم — قال :

كان يحيى قيل عبدا لأمرأة من العَبَلات، وله من الغناء :

صــــوت

وأخرجتُها من بطن مكةَ بعد ما * أَصاتَ المنادِى للصّلاةِ وأَعْتَمَا[4]

فمرّتْ ببطن اللِّيثِ[5] تَهْوِى كأنما * تُبادِرُ بالإصباح نَهْبًا مُقَسَّمَا

والشعرُ لأبى دَهْبَلٍ الجُمَحِىّ . وأوّل هذه القصيدة :

* ألا عَلِقَ القلبُ المتيّمُ كَلْثَمَا *

(١) تقدّم هذا الاسم فى الجزء الثانى من هذا الكتاب واضطربت فيه النسخ فبعضها يذكره «قيل» بالقاف، وبعضها يذكره «فيل» بالفاء، ولم نقف على تحقيقه بالمراجع التى بأيدينا . (٢) التكملة عن ء، ط . (٣) كذا ورد هذا الاسم فى أكثر النسخ . وفى ء، ط ورد مرسوما هكذا : «مماحد» ولم نعثر فيا بين أيدينا من المراجع ولا فى موالى ابن عباس على من تسمى بذلك، وقد وجد فى موالى ابن عباس من اسمه «نافذ» بالفاء والذال المعجمة، فلعله محرّف عنه . (٤) أعتم : دخل فى العتمة وهى ثلث الليل الأوّل بعد مغيب الشفق . (٥) كذا فى ء، ط، وهو الموافق لما فى معجم ياقوت من أن الليث (بكسر اللام) : واد بأسفل السراة يدفع فى البحر أو موضع بالحجاز . وفى باقى النسخ : «الليت» .

أبو دهبل الجمحى

وأخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنى الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنى يحيى بن المِقْداد الزَّمْعِىّ قال حدّثنى عمّى موسى بن يعقوب الزَّمْعِىّ قال أنشدنى أبو دَهْبَل الجُمَحِىّ لنفسه :

ألا عَلِقَ القلبُ المتيَّمُ كَلْثَمَا * لَجُوجًا ولم يلزَمْ من الحبِّ مَلْزَمَا

٥ خَرَجْتُ بها مِنْ بطن مكة بعدَ ما * أصاتَ المنادِى للصَّلاة وأعتَمَا

فما نام مِنْ راعٍ[1] ولا ارتدَّ سامرٌ * من الحىّ حتى جاوزَتْ بِى يَلَمْلَمَا[2]

ومرّتْ ببطن اللَّيثِ تَهوِى كأنّها * تُبادِرُ بالإدلاج نَهْبًا مُقَسَّمَا

أجازت على البَزْواءِ[3] واللّيلُ كاسرٌ * جناحَيْنِ بالبزواء وَرْدًا[4] وأدْهَمَا

فما ذَرَّ قرنُ الشمسِ حتى تبيّنَتْ * بِعُلْيَبَ[5] نخلًا مُشرِفًا ومُخَيَّمَا

١٠ ومرّتْ على أشطانِ[6] دُومةَ[7] بالضحى * فما خَزَرَتْ[8] للماء عينًا ولا فَمَا

(١) كذا فى ياقوت (فى الكلام على يلملم) و إحدى روايتى ط . وفى جميع النسخ : (داع) .

(٢) يلملم : موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن، وفيه مسجد معاذ بن جبل رضى الله عنه .

(٣) كذا فى معجم ياقوت فى اسم البزواء، واستشهد بهذا الشعر . والبزواء : موضع فى طريق مكة قريب من الجحفة . وفى ط «النزواء» بالنون والتحريف فيها واضح . وفى باقى الأصول : «السرواء»

١٥ وهو تحريف أيضا اذ لم نجد فى الأماكن ما يسمى بهذا الاسم . (٤) الورد : وصف من الوردة وهى لون أحمر يضرب الى صفرة؛ يقال : وَرُد الفرس يورد وُرْدة وورودة اذا صار وردا أى كلون الورد وهو ما بين الكميت والأشقر؛ والمراد بالورد هنا الفجر عند انبثاقه؛ و بالأدهم آخر ما بقى من سواد الليل . (٥) كذا فى أكثر الأصول؛ وعليب : موضع بتهامة . وفى ء و إحدى روايتى ط : «بطية» . (٦) الأشطان : جمع شطن وهو الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به .

٢٠ (٧) كذا فى أكثر النسخ والظاهر أن المراد به الدومة وهو واد بين المدينة وخيبر به آبار . أنظر معجم ما استعجم ص ٣٣١؛ وفى ء؛ ط : «روقة» بالراء والقاف ولم نجده فى أسماء الأماكن .

(٨) كذا فى ء؛ ط؛ وفى باقى الأصول : «حدرت» .

وما شَرِبَتْ حتى ثَنَيتُ زِمامَها * وخِفْتُ عليها أن تُخَزَّ(١) وتُكْلَمَا

فقلت لها قد تِعْتِ(٢) غيرَ ذميمةٍ * وأصبحَ وادِى البِرْكِ(٣) غَيْثًا مُدَيَّمَا

١٢/٣

قال فقلت [له](٤) : يا عمّ ما كنتَ إلا على الريح ! فقال : يابن أخى إنّ عمّك كان إذا همّ فعل، وهى العَجَاجَةُ، أَمَا سمعتَ قول أخى بنى مُرَّة(٥) :

إذا أقبلَتْ قُلتَ مَشْحُونَةٌ * أقلَّتْ(٦) لها الريحُ قِلْعًا(٧) جَفُولَا

وإن أدبَرَتْ قلتَ مَذعُورةٌ * من الرُّمْدِ(٨) تَتبَعُ هَيْقًا(٩) ذَمُولَا

٥

وإن أَعْرَضَتْ(١٠) خالَ فيها البَصِيـ * ـرُ ما لا يُكلِّفُه أن يَفِيلَا(١١)

---

(١) كذا فى ى وإحدى روايتى ط . وفى باقى النسخ : «تجنّ» . (٢) كذا فى ط وتعت أسرعت فى السير، من تاع الماء يتيع تيعا أى سال على وجه الأرض، وعلى هامش هذه النسخة «تاع يتيع : انقاد» . وفى ى : «نغت» بالنون والغين، ولم يظهر له معنى مناسب . وفى باقى الأصول : «بعت» . (٣) كذا فى ى ، ط وهو كما فى معجم ياقوت : ناحية باليمن بين ذَهْبان وحَلْى وهو نصف الطريق بين حلى ومكة، وفى باقى الأصول : «البزل» وهو تحريف . (٤) الزيادة عن ى ، ط . (٥) هو بشامة بن عمرو الغدير كما فى معجم ياقوت والبكرى فى الكلام على «كشب» . (٦) فى ى ، ط : «أطاعت» . (٧) كذا فى ى ، ط . والقلع : شراع السفينة، وفى باقى النسخ : «خلعا» وهو تحريف . (٨) كذا فى ى ، ط والمفضليات للضبى ص ٨٦ طبع بيروت، والرمد : جمع رمداء وهى النعامة التى فيها سواد منكسف كلون الرماد، وفى باقى النسخ : «الدبر» وهو النحل والزنابير . (٩) كذا فى ى ، ط . والهيق : الظليم وهو ذكر النعام . وفى باقى النسخ : «هيفا» بالفاء وهو تحريف، وذمولا : سريعا . (١٠) أعرضت : رأيتها من عرضها وأحد جانبيها . (١١) كذا فى ى ، ط ، ويفيل : يخطئ، من فال رأيه اذا أخطأ ، والمراد أنها اذا رؤيت لم يخطئ البصير فى نجابتها . وفى باقى النسخ : «يقيلا» بالقاف وهو تحريف .

١٠

١٥

٢٠

بَدَا سُرُحًا[1] مائِرًا[2] ضَبْعُها * تَسُومُ وتَقْدُمُ[3] رِجلًا زَجُولَا

فمَرَّت على كُشُبٍ[4] غُدوةً * ومرَّت فُوَيقَ أُرَيكٍ[5] أصِيلَا

تُخَبِّطُ بالليلِ حِزَّانَهُ[6] * تَخَبُّطَ القَوِيِّ العزيزِ الذَّلِيلَا

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزبيرُ بن بكّار قال حدّثني ابن أصبغ[7] السلميّ قال:

٥ جاء إنسان يُغنّي الى عَيّاش المِنْقَرِيّ بالعَقيق فجعل يُغنّيه قولَ أبي دَهْبَلٍ :

* ألا عَلِقَ القلبُ المتيمُ كُلثُمَا *

وجعل يعيدُه فلما أكثر قال له عيّاشٌ : كم تُشَذِّرُ[8] بالعجوزِ عافاكَ اللهُ! اِسمُ أُمّي كُلثُمُ، قال : وتسمعُ العجوزُ، فقالت : لا والله ما كان بيني وبينه شيء .

قال : ومن غنائه :

---

١٠ (١) كذا في ى ، ط والمفضليات للضبي ص ٨٦ طبع بيروت . وفي باقي النسخ : «يد سرح مائر ضبعها» . (٢) يقال : مارت الناقة تمور فهي مائرة اذا كانت نشيطة في سيرها . والضبع : العضد، وقيل : هو ما بين الإبط الى نصف العضد . (٣) كذا في ط والمفضليات للضبي، وتسوم : تعدو على وجهها ، وقيل : تمرّ مرا سهلا . وزجولا بالزاى والجيم من الزجل وهو الدفع ، والمراد تدفع نفسها . وفي ب ، سـ : «يسوم ويقدم» .

١٥ (٤) كذا في معجم ياقوت في مادة كشب والبكرى ، وقد اختلف ضبطه في ياقوت والبكرى وشرح القاموس فقد روى بضم أوله وتشديد ثانيه المفتوح كما روى ككتب وككتف وهو جبل مما يلي حدود اليمن . وفي جميع النسخ وياقوت في الكلام على أريك : «فرت بذى خشب الخ» وذو خشب : موضع قرب المدينة . (٥) أريك : جبل في بلاد بني مرة، قال جابر بن حني التغلبي :

تصعّد في بطحاء عرق كأنها * ترقى الى أعلى أريك بسلم

٢٠ وقال الأخفش : إنما سمى أريكا لأنه جبل كثير الأراك . (٦) كذا في المفضليات وشرح القاموس «مادة أرك» والحزان بكسر الحاء وضمها : جمع حزين وهو المكان الغليظ الصلب من الأرض ، وفي الأصول : «حزانة» بالتاء المنقوطة وهو تحريف . (٧) في ى ، ط : «أبو الأصبغ» . (٨) كذا في أكثر الأصول . وفي ى ، ط : «كم تنذرنا بالعجوز» .

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا * فخالنى دونه بل خلته دونى

فإن تصبك من الأيام جائحة * لا نبك[1] منك على دنيا ولا دين

[وأول هذه الأبيات فيما أنشدناه على بن سليمان الأخفش عن ثعلب][2] .

صوت

من المائة المختارة

لى ابن عم على ما كان من خلق * مختلفان فأقليه ويقلينى

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب * عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

غنى فى هذين البيتين الهذلى[3] ثانى ثقيل بالوسطى .

وقد عجبت وما فى الدهر من عجب * يد تشج[4] وأخرى منك تأسونى

صوت

من المائة المختارة

ارفع ضعيفك لا يحربك ضعفه * يوما فتدركه العواقب قد نما[5]

يجزيك أو يثنى عليك وإن من * أثنى عليك بما فعلت فقد جزى[6]

---

(١) فى ء ، ط : « لا أبك » . (٢) هذه الزيادة عن ط .

(٣) كذا فى ء ، ط ، حـ . وفى باقى الأصول : « غنى فى هذين البيتين للهذلى » .

(٤) كذا فى ء ، ط . وفى باقى الأصول : « تشح » بالحاء وهو تحريف .

(٥) أنظر الشرح رقم ٢ صحيفة ١١٧

(٦) فى ط . « كمن جزى » .

[عَروضُه من الكامل](1) . الشعرُ لغَرِيض(2) اليهودى وهو السموءلُ(3) بن عَادِيَاء ، وقيل إنه لأبنه سَعْيَة(4) بن غَرِيض ، وقيـل إنه لزيد(5) بن عمرو بن نُفَيل ، وقيـل إنه لورَقَةَ بن نَوْفلٍ ، وقيـل إنه لزُهَير بن جَنَاب(6) ، وقيل إنه لعامر بن المجنون الجَرْمِىّ(7) الذى يقال له : مُدَرِّجُ الرِّيح ، والصحيحُ أنه لغَرِيض أو لأبنه .

---

(١) الزيادة عن ط ، ء . (٢) كذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول بالغين المعجمة وفى شرح القاموس مادة عرض ذكر ابنه سعية فقال : « وكزبير سعية بن عريض ويقال بالغين المعجمة أيضا » وقد جاء فى الاصابة ج ٣ ص ١٦٧ فى الكلام على سعية أنه سعية بن غريض بفتح الغين المعجمة . (٣) ذكر أبو الفرج هذا الاسم هنا فقال : إن الغريض اليهودىّ هو السموءل بن عادياء وفى ترجمة السموءل ج ١٩ ص ١٨ طبع بولاق قال : إنه السموءل بن غريض بالغين المعجمة ، وقال صاحب معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص « إنه السموءل بن عريض » بالعين المهملة . (٤) صحح الأستاذ الشنقيطى فى نسخته طبع بولاق هـذا الاسم هكذا : سعية بالسين والعين والياء وسعنة بالسين والعين والنون وكتب فوقه كلمة «معا» إشارة الى أن كليهما صحيح ، وقد ذكرهما كذلك ابن حجر فى كتاب الاصابة ، وجاء فى شرح القاموس مادة سعى « وسعية بن عريض شاعر » . وفى جميع الأصول : « شـعبة بن غريض » . (٥) كذا فى ء ، ط وهو الصواب ، وفى باقى النسخ : « يزيد » . (٦) كذا فى ء ، ط وهو الصواب . وفى حـ : «خناب» . وفى باقى النسخ : «خباب» وكلاهما تحريف . (٧) كذا فى ء ، ط بالجيم وهو الصواب كما فى حماسة البحترى ص ١١٣ طبعة ليدن وشرح القاموس مادة «درج» . وفى باقى النسخ : «الحرمى» بالحاء وهو تحريف .

[خبر غَرِيض اليهودىّ] (١)

نسبه وأصل قومه

وغَرِيضٌ هــذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عِمْرانَ صلى الله عليه وسلم، وكان موسى عليه الصلاة والســلام وجّه جيشا الى العَمَالِيق وكانوا قد طَغَوْا (٢) وبلغت غاراتُهم الى الشأم وأمرهم إن ظَفِروا بهم أن يَقتلوهم أجمعين ، فظَفِروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى آبن لملكهم (٣) كان غلاما جميلا فرحِمُوه وآستبقَوْه، وقَدِموا الشأم بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بنى إسرائيل بما فعلوه؛ فقالوا : أنتم عصاةٌ لا تدخلون الشأمَ علينا أبدا، فأخْرَجوهم عنها. فقال بعضهم لبعض: ما لنا بلدٌ غيرُ البلد الذى ظَفِرنا به وقتلنا أهلَه؛ فرجعوا الى يَثْرِبَ فأقاموا بها وذلك قبل ورود الأَوْس والخَزْرَج إياها عنــد وقوع سَيل العَرِم (٤) باليمن ، فمِنْ هؤلاء اليهودِ قُرَيظةُ والنَّضِــيرُ وبنو قَيْنُقَاع وغيرُهم، ولم أجد لهم نسبا فأذكُرَه لأنهم ليسوا من العرب فتُدَوِّنَ العربُ أنسابَهم إنما هم حُلفاؤُهم، وقد شَرَحْتُ أخبارَهم وما يُغَنَّى به من أشعارهم فى موضع آخر من هذا الكتاب .

والغناء فى اللحن المختار لآبن صاحبِ الوضوءِ واسمه محمــد وكنيتُه أبو عبد الله، وكان أبوه على المِيضَأة (٥) بالمدينة فعُرِف بذلك، وهو يسيرُ الصناعةِ ليس ممن خَدَمَ الخلفاءَ

(١) الزيادة عن ى ، ط . (٢) كذا فى ى ، ط وهو الصواب . وفى باقى النسخ : « تطلعوا » وهو تحريف . (٣) كذا فى ى ، ط . وفى باقى النسخ : « ابن لملك لهم » . (٤) كذا فى ى ، ط . وفى باقى النسخ : « السيل العرم » بالتعريف فيهما والعرم : اسم واد وقيل : السيل الذى لا يطاق، وقيل : المطر الشديد . (٥) الميضأة : مطهرة كبيرة يتوضأ منها، والعامة تقول : ميضة .

ولا شُهِرَ عندهم شُهرةَ غيره . وهـذا الغناء مَاخورِى بالبِنْصر وفيه ليونُس ثانى ثقيل بالبنصر .

نسب له شعر هو لورقة بن نوفل

أخبرنى محمـدُ بنُ العباس اليَزيدىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ وعبد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن الأصمعىّ عن ابن أبى الزِّناد عن هِشَام بن عُرْوة قال :

ارفَعْ ضَعِيفَكَ لا يحرْ بِكَ ضعفُه * لغَريض اليهودى

٥

تمثلت عائشة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعر نزل بمعناه الوحى

وأخبرنا أحمدُ بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ بن شَبة قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا مؤمّل بن عبـد الرحمن الثّقفىّ قال حدّثنى سهل[1] بن المُغيرة عن الزُّهْرِىّ عن عروةَ عن عائشة قالت :

دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتمثّلُ بهذين البيتين :

ارفَعْ ضعيفَك لا يحرْ بك ضعفُه * يوما فتُدرِكَه العواقبُ قد نَمَا[2]

١٠

يَجزِيكَ أو يُثنِى عليكَ وإنّ مَنْ * أثنى عليكَ بما فَعلْتَ فقد جَزَى

فقال صلى الله عليه وسلم : « رُدِّى علىّ قولَ اليهودىّ قاتله اللهُ ! لقـد أتانى جبريلُ برسالةٍ من ربى : أيُّمـا رجل صنَعَ الى أخيه صَنيعةً فلم يَجِدْ له جزاءً إلا الثناءَ عليـه والدعاءَ له فقد كافأه » .

١٥

(١) فى ب، سـ : « إسماعيل » ولم نجد فى الرواة من اسمه سهل بن المغيرة ولا اسماعيـل بن المغيرة والظاهر أنه سهل أبو حريز مولى المغيرة، قال عنه ابن حبان يروى عن الزهرى العجائب، وله ترجمة فى ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣١ ؛ وفى لسان الميزان ج ٣ ص ١٢٣ (٢) جاء فى الجزء الثالث من العقد الفريد لابن عبد ربه صحيفة ١١٩ فى باب (فضائل الشعر) :

« وسمع النبىّ صلى الله عليه وسلم عائشة وهى تنشد شعر زهير بن حباب — وصوابه جناب — تقول :

ارفع ضعيفك لا يحل بك ضعفه * يوما فتدركه عواقب ما جنى

٢٠

يجزيك أو يثنى عليك فإن من * أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « صدق يا عائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس » ويرى المتأمل أن فى هذه الرواية والبيتين اختلافا عما هو وارد فى الأغانى .

قال أبو زيد : وقد حدّثنى أبو عثمان محمد بن يحيى أن هذا الشعر لوَرَقة بن نَوْفل، وقد ذكر الزُّبير بن بكار أيضا أنّ هذا الشعرَ لورَقة بن نوفل وذكر هذين البيتين فى قصيدةٍ أوّلُها :

رَحَلَتْ قُتيلةُ عِيرَها قبلَ الضحى * وأَخالُ أَن شَحَطَتْ بجارتكَ[1] النَّوى

أوكُلّما رَحَلتْ قُتيلةُ غُدْوَةً * وغَدَتْ مُفارِقةً لأرضِهمُ بكَى

ولقد رَكبتُ على السَّفينِ مُلَجِّجًا[2] * أَذَرُ الصَّديقَ وأَنْتَحِى دارَ العِدا

ولقد دخلتُ البيتَ يُخْشَى أَهلُه * بعد الهدوء وبعد ما سقطَ النَّدى

فوجدتُ فيه حُرَّةً[3] قد زُيِّنتْ * بالحَلْىِ تحسَبُه بها جمرَ الغضا

فنَعِمْتُ بالًا إذ أَتيتُ فِراشَها[4] * وسقَطتُ منها حين جئتُ على هَوَى

فلتلكَ لَذّاتُ الشَّبابِ قَضَيتُها * عَنِّى فسائِلْ بعضَهم ماذا قَضَى[5]

فرجُ الرَّباب فليس يؤدى فرجه[6] * لا حاجةً قَضَّى ولا ماءً بغَى

فارفَعْ ضعيفَكَ لا يَحُرْ بكَ ضعفُه * يوما فتدرِكَه العواقبُ قد نَمَا

يَجْزِيكَ أو يُثْنِى عليك وإنّ مَنْ * أَثنَى عليك بما فعلتَ فقد جَزَى

---

(١) كذا فى ء ، ط ، وفى ب ، س ، حـ : «تجاريك» . وفى أ ، م : «تحاريك» بالحاء المهملة وكلاهما تحريف . (٢) ملججا : خائضا اللجة وهى معظم الماء . (٣) فى ء ، ط «طفلة» بفتح الطاء وهى المرأة الناعمة الرخصة . (٤) فى ء ، ط : «حين زرت فراشها» . (٥) كذا فى ء ، ط . وفى سائر النسخ : «ما قد قضى» . (٦) هذا البيت ساقط فى ء ، ط وقد ورد هكذا فى باقى النسخ وهو غير واضح .

ذكر وَرَقَةَ بن نوفَل ونسبه

نسبه وهو جاهلي اعتزل عبادة الأوثان

هو ورَقةُ بن نَوْفَل بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصيّ، وأمه هندُ بنتُ أبي كَثِير[1] ابن عَبْد بن قُصَيّ . وهو أحدُ مَن اعتزلَ عبادةَ الأوثان في الجاهليــة وطلب الدِّينَ وقرأ الكتبَ وامتنعَ من أكل ذبائح الأوثان .

نسبةُ ما في هذا الشعر من الغناء

غير * ارفع ضعيفَكَ ... *

صـــــوت

ولقد طرقتُ البيتَ يُخْشَى أهلُه * بعد الهُدُوء وبعد ماسقطَ النَدَى

فوجدتُ فيــه حُرَّةً قد زُيِّنَتْ * بالحَلْي تحسَــبُه بها جَمْــرَ الغَضا

الشعرُ لورقةَ بن نَوْفَل[2] . والغناء لابن مُحْرِز من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخِنْصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

أخبرنا الطُّوسيّ قال حدّثنــا الزُّبَيرُ بن بَكّار قال حدّثنا عبــدُ الله بنُ مُعاذٍ عن مَعْمَرٍ عن الزُّهريّ عن عُرْوَةَ بن الزُّبير قال :

سُئِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ورَقَةَ بن نوفل كما بلَغَنا فقال[3] : «قد رأيتُه في المنام كانَ عليه ثيابا بِيضًا فقد أظنّ أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياضَ» .

(١) في ى ، ط « ابن أبي كبير » بالباء الموحدة . (٢) ذكر في شرح شواهد الرضي أن هذه الأبيات لزيد بن عمرو بن نفيل ، وقيل لأمية بن أبي الصلت . (٣) كذا في ى ، ط . وفي باقي النسخ : « فقال » وقد ورد الحديث في ص ٨٨ جزء خامس من أسد الغابة في معرفة الصحابة في حديث عائشة قالت : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة فقالت له خديجة : إنه كان صدقك وإنه مات قبل أن تظهر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته في المنام وعليه ثياب بياض ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك » ، وقد روى قريبا من ذلك في الجزء السادس من هذا الكتاب ص ٣١٩

قال الزبير وحدّثنا عبد الله بن مُعاذ عن مَعْمَر عن الزُّهْرِىّ عن عائشة :

أنّ خديجة بنت خُوَيلد انطلقتْ بالنبىّ صلى الله عليه وسلم حتى أتت به وَرَقة ابنَ نَوْفل بن أَسَد بن عبد العُزّى وهو ابن عم خديجة أخى أبيها، وكان آمرأً تنصّر فى الجاهلية، وكان يكتب الكِتَاب العِبْرانىّ[1] فيكتُب بالعبرانيّة من الإنجيل ماشاء أن يكتبَ، وكان شيخا كبيرا قد عَمِىَ، فقالت خديجةُ : أى ابنَ عمّ، اسمعْ من ابن أخيك، قال ورقةُ : يآبن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خبرَ ما رأى فقال ورقةُ : هذا الناموسُ[2] الذى أنزله الله تبارك وتعالى على موسى ؛ ياليتنى فيها جَذَع[3]، ليتنى أكون حيا إذ يُخرجُكَ قومُكَ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوَ مُخْرِجِىّ هم» قال وَرَقةُ : نعم، لم يأت رجل قطُّ بمثلِ[4] ما جئتَ به إلا عُودِىَ، وإن يُدرِكْنى يومُكَ لأنصرنّكَ نصرًا مُؤَزَّرًا، ثم لم يَنْشَبْ ورَقةُ أن تُوُفِّىَ .

رأى بلالا يعذب لإسلامه فقال شعرا

قال الزُّبَيْر حدّثنى عثمان عن الضحّاك بن عثمان[5] عن عبد الرحمن بن أبى الزِّناد قال قال عروة : كان بِلَالٌ لجارية من بنى جُمَح بن عمرو، وكانوا يعذّبونه بِرَمْضاء[6] مكة، يُلصقون ظهره بالرَّمضاء ليُشرِكَ بالله ؛ فيقول : أحدٌ أحدٌ؛ فيمرّ عليه وَرَقة

---

(١) الكِتَاب : مصدر كالكتابة . (٢) الناموس فى الأصل : صاحب السر أو صاحب سر الوحى، والمراد به جبريل عليه السلام . (٣) الجذع : الشاب الحدث، أى ياليتنى أكون شابا حين تظهر نبوّته حتى أبالغ فى نصرته . (٤) كذا فى صحيح البخارى . وفى جميع الأصول : « بما جئت الخ» . (٥) كذا فى ء ، ط وسيذكر كذلك أكثر من مرة باتفاق الأصول، وفى أكثر الأصول هنا : « الضحاك عن عثمان عن عبد الرحمن ... » وهو تحريف . والضحاك بن عثمان إما أن يكون الضحاك بن عثمان بن الضحاك بن عثمان المتوفى سنة ثمانين ومائة وهو الذى وصفه الزبير بن بكار بأنه كان علامة قريش بأخبار العرب وأيامها وأشعارها وأحاديث الناس وهو الذى يروى الزبير بن بكار عن ابنه محمد كما سيأتى فى ص ١٢٣، وإما أن يكون الضحاك بن عثمان جده المتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة، لأن كلا منهما عاصر عبد الرحمن بن أبى الزناد الذى ولد سنة مائة وتوفى سنة أربع وسبعين ومائة .
(٦) الرمضاء : الأرض الحامية من شدة حر الشمس .

ابن نوفل وهو على ذلك يقول : أحد أحد ، فيقول ورقة بن نوفل : أَحَدٌ أحدٌ والله يا بلال ! والله لئن قتلتموه لأتخذنّه حَنَانًا (١) كأنه يقول : لأتَمسّحنّ به . وقال وَرَقة بن نوفل فى ذلك :

لقد نَصَحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم * أنا النذيرُ فلا يَغرُرْكُمُ أَحَدُ

لا تَعبُدُنّ (٢) إلهًا غيرَ خالقكم * فإن دَعَوْكم فقولوا بيننا حَدَدُ (٣)

سُبحانَ ذى العرش سبحانًا نعوذ به (٤) * وقبلُ قد سبّح الجُودِىّ والجُمُدُ

مُسَخَّرٌ كلُّ ما تحت السماء له * لا ينبغى أن يُناوِى مُلكَهُ أَحَدُ

لا شىءَ مما ترى تَبقَى بَشاشتُهُ * يبقَى الإلهُ ويُودِى المالُ والوَلَدُ

لم تُغنِ عن هُرمُزٍ يومًا خزائنُهُ * والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدُوا

ولا سُلَيمانَ إذ دانَ الشُّعوبُ له * والجنُّ والإنسُ تَجرِى بينها البُرُدُ (٥)

---

(١) شرح اللسان هذه العبارة فى مادة « حنن » فقال : الحنان : الرحمة والعطف ، والحنان : الرزق والبركة ؛ أراد لأجعلن قبره موضع حنان أى مظنة من رحمة الله تعالى فأتمسح به متبركا كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا فى سبيل الله من الأمم الماضية فيرجع ذلك عارا عليكم وسبة عند الناس ، وضعف هذا الحديث بأن ورقة مات قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وبلال ما عذب إلا بعد أن أسلم ، وهو ضعيف الإسناد لأنه مرسل وعروة تابعى لم يدرك عصر النبوة . (٢) فى ب ، س ، أ ، م : « لا تعبدون » .

(٣) كذا فى ط ، ى واللسان مادة « حدد » ، والحدد (بالتحريك) : المنع ، يقال : دونه حدد أى منع . وفى باقى الأصول : « جدد » بالجيم وهو تحريف . (٤) فى أ ، م ، ح : « نعود له » وهى رواية الرياشى : أى نعاوده مرة بعد أخرى ، وفى اللسان فى مادتى جود وجمد : « يعود له » وفى معجم ياقوت : « يدوم له » والجودى : جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام ، والجمد : جبل بنجد . (٥) البرد : جمع بريد وهو الرسول : وقد ورد البيت الثالث من هذه الأبيات فى كتاب سيبويه غير معزو لأحد وذهب أكثر شراحه الى أنه لأمية بن الصلت وقال بعضهم : إنه لزيد بن عمرو بن نفيل ، وصوّب البغدادى فى الخزانة ج ٢ ص ٣٩ أن هذا الشعر لورقة بن نوفل كما نسبه اليه السهيلى والحافظ الكلاعى فى سيرته .

مدح النبي صلى الله عليه وسلم له والنهى عن سبه

١٥/٣

قال الزبير حدّثنى عمى قال حدّثنا الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبى الزِّناد عن هشام بن عروة :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخى ورقة بن نوفل أو لابن أخيه : "شَعَرتُ أنّى قد رأيتُ لوَرَقةَ جنّةً ، أو جنّتين" ، يشكّ هشام .

قال عروة : ونَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبّ وَرَقة . ٥

وقال الزبير وحدّثنى عمّى قال حدّثنى الضحّاك عن عبد الرحمن بن أبى الزِّناد عن هشام بن عُرْوة عن أبيه :

أن خَديجة كانت تأتِى ورقةَ بما يُخبرها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنه يأتيه ، فيقول ورقة : لئن كان ما يقول حقًّا إنه ليأتيه الناموسُ الأكبر ناموسُ عيسى بن مريم الذى لا يخبره أهل الكتاب إلا بثمن(١) ، ولئن نَطَق وأنا حىٌّ لأُبْلِيَنّ فيه لله بَلاءً حَسَنا . ١٠

(١) هذه الكلمة محرفة فى جميع الأصول ولها أشكال متباينة لم تتبين تصويبها . وفى شرح المواهب اللدنية للزرقانى ج ١ ص ٢٥٩ طبع بولاق : «إنه ليأتيه ناموس عيسى الذى لا يُعلّمه بنو إسرائيل أبناءهم» .

خبر زيد بن عمرو ونسبه

نسب من قبل أبويه

هو زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رِيَاح(١) بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح ابن عَدِيّ بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب . وأمه جَيْداء بنت خالد بن جابر بن أبي حَبِيب ابن فَهْم . وكانت جيداء عند نُفَيل بن عبد العُزَّى فولدت له الخطّابَ أبا عُمَر بن الخطّاب وعبدَ نُهْم(٢)، ثم مات عنها نُفَيْل فتزوّجها ٱبنُه(٣) عمرو فولدتْ له زيدًا، وكان هذا نِكاحًا يَنْكِحه أهلُ الجاهلية . وكان زيد بن عمرو أحدَ مَن اعتزل عبادةَ الأوثان وٱمتنع من أكل ذبائحهم، وكان يقول : يا معشر قريش، أيُرسِلُ الله قَطْرَ السماء ويُنبت بَقْل الأرض ويَخْلُق السائمةَ فترعَى فيه وتذبحوها(٤) لغيره(٥) ! والله ما أعلمُ على ظهر الأرض أحدًا على دين إبراهيم غيري .

اعتزل عبادة الأوثان وكان يعيب قريشا

أخبرنا الطُّوسيّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثني عمّي مصعَب بن عبد الله ومحمد ابن الضحّاك عن أبيه، قالا :

أخرجه عن مكة خطاب بن نفيل وقريش لمخالفته دينهم

كان الخطّاب بن نُفَيل قد أخرج زيدَ بن عمرو من مكة وجماعةٌ من قريش ومنَعوه أن يدخُلها حين فارق أهلَ الأوثان، وكان أشدُّهم عليه الخطّابَ بن نُفَيل .

---

(١) كذا في شرح القاموس مادة روح فقد ذكر أسماء من تسموا برياح ككتاب وعد هذا منها . وفي ب، س، ء : «رباح» بالباء الموحدة . وفي سائر النسخ : «دياح» بالدال وكلاهما تحريف .
(٢) كذا في ط، ء، وهي محرّفة في سائر النسخ، ونهم بالضم : شيطان أو صنم لمزينة، وبه سموا «عبدنهم» . (٣) في ط : «فتزوجت ابنه عمرا» .
(٤) في ط، ء : «وتذبحونها» . (٥) كذا في ط، ء . وفي سائر النسخ : «لغير الله» .

وكان زيد بن عمرو اذا خلص الى البيت استقبله ثم قال : لبيك[1] حقا حقا ، تعبدا ورِقا ، البِر[2] أرجو لا الخال[3] ، وهل مُهجِّر[4] كمن قال[5] ! [ثم يقول][6] :

عذتُ بما عاذ به إبراهِمُ * مستقبِلَ الكعبة وهو قائمُ
يقول أنفي لك عانٍ راغمُ[7] * مهما تُجشِّمْني فإني جاشمُ[8]

ثم يسجد . قال محمد بن الضحاك عن أبيه : [و][9] هو الذى يقول :

لاهُمّ إني حَرَمٌ لا حِلَّهْ[10] * وإن دارى أوسط المَحَلَّهْ
عند الصَّفَا ليست بها مَضَلَّهْ

شعره فى ترك عبادة الأوثان

قال الزبير وحدثنى مصعب بن عبد الله عن الضحاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبى الزناد قال قال هشام بن عُروة عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت : قال زيد بن عمرو بن نُفَيل :

عزلتُ الجنَّ والجِنّانَ عنّى[11] * كذلك يفعل الجَلْدُ الصَّبُورُ

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : « ثم قال : يا مولاى لبيك ... الخ » .
(٢) البر : الطاعة والخير . (٣) الخال : الخيلاء . (٤) المهجر : السائر فى الهاجرة . (٥) قال : أقام فى القائلة . (٦) زيادة فى ط ، ء .
(٧) كذا فى ط ، وهى فى بقية الأصول مضطربة ومحرفة . (٨) جاشم : وصف من جشم الأمر اذا تجشمه وتكلفه على مشقة . (٩) زيادة فى ط ، ء (١٠) كذا ورد « حرم » و « حله » مضبوطين فى بعض الأصول ، وهذا الضبط هو الذى يتزن به الشعر ، فلعلهما مصدران وصف بهما ، إذ الوصف الذى ورد فى كتب اللغة من هذه المادة فى هذا المعنى : « حرم » و « حل » بالكسر و « حرام » و « حلال » . (١١) كذا فى جميع الأصول ؛ وفى بلوغ الأرب فى أحوال العرب ج ٢ ص ٢٢٠ طبع مطبعة دار السلام ببغداد :

* تركت اللات والعزى جميعا *

فلا العُزَّى أدِينُ ولا ٱبنتَيْها * ولا صَنَمَىْ بنى غَنْمٍ[1] أزورُ[2]

ولا هُبَلًا[3] أدِينُ وكان رَبًّا * لنا فى الدهر إذ حِلمِى صغيرُ

أربًّا واحدًا أم ألفَ ربٍّ * أدينُ اذا تُقُسِّمتِ الأُمورُ

ألم تعلَمْ بأنّ اللهَ أفنَى * رجالًا كان شأنَهُمُ الفُجورُ

وأبقَى آخرين ببِرِّ قومٍ * فيربو منهم الطفلُ الصغيرُ

وبينا المرء يَعْثُرُ ثابَ[4] يوما * كما يتروّح الغُصنُ النَضيرُ

فقال وَرَقةُ بن نَوْفَل لزيد بن عمرو بن نُفَيْل :

رَشَدتَ وأنعمتَ ٱبنَ عمرٍو وإنما * تجنّبتَ تَنُّورًا من النار حاميًا

بدينِك ربًّا ليس ربٌّ كمِثْلِه * وتركِكَ جِنّانَ[5] الجبالِ كما هِيَا

أقول اذا ما زُرتُ أرضًا مَخُوفةً * حَنَانَيْكَ لا تُظْهِرْ علىَّ الأعاديا

حَنَانَيْكَ إنّ الجنَّ كانت رجاءَهُمْ * وأنت إلٰهى ربَّنا ورَجَائِيَا

أدِينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أرَى * أدِينُ لمن لا يسمع الدهرَ داعيًا

أقولُ اذا صلَّيْتُ فى كلِّ بِيعَةٍ * تباركتَ قد أكثرتَ بٱسمك داعيًا

يقول : خلقتَ خَلْقًا كثيرًا يدعُون بٱسمك .

---

(١) كذا فى كتاب الأصنام لابن الكلبي ص ٢٢ طبع المطبعة الأميرية وبلوغ الأرب فى أحوال العرب . والذى فى الأصول : « بنى طسم » وطسم من القبائل البائدة فلم يكن لها فى عهد زيد بن عمرو أصنام يهجرها . (٢) كذا فى ط ، ء وكتاب الأصنام وبلوغ الأرب ج ٢ ص ٢٢٠ ، والذى فى بقية الأصول : « أدير » . (٣) كذا فى كتاب الأصنام لابن الكلبيّ ، وهبل كصرد : صنم كان لقريش فى الكعبة يعبدونه . وفى ط ، ء : «ولا غنما» . وفى باقى الأصول : «ولا عنما» ، ولم نجد لكليهما مسمى من الأصنام . (٤) كذا فى ط ، ء ، ورسمت كلمة « ثاب » على وجه تقرأ به « ثاب » و « بات » ، وفى بقية الأصول : « فبينا المرء يعثر ذات يوم » ، وثاب : عاد الى ما كان عليه من استقامة . (٥) جِنّانُ الجبال : الذين يأمرون بالفساد من شياطين الانس أو من الجنّ . (أنظر اللسان مادة جنّ) .

امتناعه عن ذبائح قريش وقصته مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك

قال الزّبير وحدّثني مصعَب بن عبد الله قال حدّثني الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن موسى بن عُقْبَة قال سمعتُ من أرْضَى يحدّث :

أن زيد بن عمرو كان يَعيب على قُرَيش ذبائحَهم ويقول : الشاة خَلَقها اللهُ وأنزل من السماء ماءً وأنبتَ لها من الأرض نباتًا ثم تذبحونها على غير اسم الله! إنكارًا لذلك وإعظامًا له . ٥

قال الزبير: وحدّثني مصعَب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبي الزّناد عن موسى بن عُقْبة عن سالم بن عبد الله أنه سمع عبد الله بن عمر يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه لَقِيَ زيد بن عمرو بن نُفَيل بأسفل بَلْدَح[1]، وكان قبلَ أن ينزل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الوحيُ ، فقدّم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم سُفْرة[2] فيها لحم، فأبَى أن يأكل، وقال: إنّي لا آكل إلّا ما ذُكِر اسمُ الله عليه . ١٠

اجتمع بالشام مع يهودي ونصراني فسألهما عن الدين واعتنق دين إبراهيم

قال الزبير وحدّثني مصعَب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبي الزّناد عن موسى بن عُقْبة عن سالم بن عبد الله قال — قال موسى : لا أراه إلّا حدّثه عن عبد الله بن عمر — :

إن زيد بن عمرو خرج الى الشّام يسأل عن الدّين ويتّبعه، فلقِيَ عالما من اليهود فسأله عن دِينهم فقال : لعلّي أدين بدينكم فأخبِرْني بدينكم ؛ فقال اليهوديّ : إنّك لا تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من غَضب الله ؛ فقال زيد بن عمرو : ١٥

(١) بلدح : واد قبل مكة من جهة الغرب . قال ابن قيس الرقيات :

فبي فالجار من عبد شمس ۞ مقفرات فبلدح فحراء

(٢) السفرة : جلد مستدير يحمل فيه المسافر طعامه . وهي في الأصل اسم لنفس الطعام ثم نقلت الى الجلد لأنه يحمل فيها . ٢٠

لا أفرّ إلّا من غضب الله وما أحمل من غضب الله شيئاً أبدا وأنا أستطيع ، فهل تدلّني على دين ليس فيه هذا؟ قال: ما أعلمه الا أن يكون حنيفا[1]؛ قال: وما الحنيف؟ قال : دينُ إبراهيم؛ فخرج من عنده وتركه . فأتى عالما من علماء النّصارى فقال له نحوا ممّا قال لليهودىّ[2]، فقال له النّصرانىّ : إنك لن تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من لعنة الله؛ فقال : إنى لا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبدا وأنا أستطيع ، فهل تدلّنى على دين ليس فيه هذا؟ فقال له نحوا ممّا قال اليهودىّ : لا أعلمه إلا أن يكون حنيفا؛ فخرج من عندهما وقد رضىَ بما أخبراه واتّفقا عليه من دين إبراهيم ، فلما برَز رفع يديه وقال : اللّهم [إنّى][3] على دين إبراهيم .

١٧/٣

بلغتـه البعثة فخرج من الشأم فقتله أهل ميفعة

قال الزبير وحدّثنى مُصعَب بن عبد الله عن الضّحاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبى الزّناد قال قال هشام بن عُرْوَة :

بلغنا أنّ زيد بن عمرو كان بالشأم ، فلما بلغه خبرُ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أقبل يريده فقتله أهل ميفعة[4] .

قال عنه النبى صلى الله عليه وسلم : إنه يأتى يوم القيامة أمة وحده

قال الزّبير وحدّثنى مصعَب بن عبد الله عن الضّحاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبى الزّناد عن هشام بن عُرْوة عن أبيه عن سَعيد بن زيد بن عمرو قال :

سألت أنا وعمرُ بن الخطّاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن زيد فقال : « يأتى يومَ القيامة أمّةً وَحْدَه » .

---

(١) كذا فى ى ، ط . وفى سائر الأصول : « تكون » وهو تصحيف .

(٢) كذا فى ى ، ط . وفى سائر الأصول : « اليهودى » وهو تحريف . (٣) زيادة فى ى ، ط .

(٤) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى ص ٥٦٩ وشرح القسطلانى على البخارى ج ٦ ص ٢٠٦ طبع بولاق ، وهى قرية من أرض البلقاء من الشام ، وقد وردت محرّفة فى جميع الأصول .

وأنشد محمد بن الضحّاك عن الحِزَامىّ عن أبيه لزيد بن عمرو :

أسلمتُ وجهى لمن أسلمتْ * له المُزْن تحمِل عَذْبا زُلَالَا

وأسلمتُ وجهى لمن أسلمتْ * له الأرض تحمِل صَخْرا ثِقالَا

دَحاها فلما ٱستوتْ شَدّها * سَواءً وأرْسَى عليها الجِبالَا

زهير بن جناب وشعره فى الكبر

وأما زُهير بن جَناب الكلبىّ فإنّه أحد المعمَّرين. يقال: إنه عُمِّر مائةً وخمسين سنة وهو — فيما ذُكِر — أحد الذين شربوا الخمر فى الجاهليّة حتّى قتلتهم؛ وكان قد بلغ من السنّ الغايةَ التى ذكرناها . فقال ذاتَ يوم : إنّ الحىّ ظاعن . فقال عبد الله [ابن عُلَيم][1] بن جناب : إن الحى مقيم؛ فقال زُهَير: إن الحىّ مقيم؛ فقال عبد الله: إنّ الحىّ ظاعن؛ فقال : مَنْ هذا الذى يخالفنى منذُ اليوم! قيل : ابنُ أخيك عبد الله بن عُلَيم؛ فقال : أوَ ما هاهنا أحدٌ يَنهاه عن ذلك ! قالوا : لا؛ فغضب وقال : لا أُرانى قد خولفتْ . ثم دعا بالخمر فشربها[2] صِرْفًا بغير مِزَاج وعلى غير طعام حتّى قتلته . وهو الذى يقول فى ذمّ الكِبَر وطول الحياة :

الموتُ خيرٌ للفتى * فلْيَهْلِكَنْ وبه بَقِيَّهْ

من أن يُرى الشيخَ البجَا[3] * لَ اذا تَهادَى بالعشيّهْ

أبَنِىّ إنْ أهلِكْ فقد * أورثتكم مجدا بَنِيّهْ

(١) الزيادة عن كتاب شعراء النصرانية ج ١ ص ٢٠٧ وقد جاء فى القاموس وشرحه مادة علم «وكزبير اسم رجل وهو عُلَيم بن جناب أخو زهير من بنى كلب بن وبرة» . (٢) كذا فى ء ، ط . وفى باقى الأصول : «يشربها» . (٣) البَجَالُ : الكبير العظيم ، ونقل صاحب اللسان فى مادة بجل عن أبى عمرو : أنّ البَجَالَ : الرجلُ الشيخُ السيّد وٱستشهد له بهذه الأبيات .

وتركتكم أبناء سا * دات زنادكم وريه
بل كلّ[1] ما نال الفتى * قد نلته إلا التحيه[2]

مدرج الريح وسبب هذه التسمية

وأمّا مدرج الريح فاسمه عامر بن المجنون الجرمىّ، وإنما سمّى مدرجَ الريح بشعر قاله فى امرأة كان يزعم أنه يهواها من الجنّ وأنها تسكن الهواء وتتراءى له[3]، وكان محمَّقا، وشعرُه هذا : ٥

صـــوت

لأبنة الجنّىّ فى الجوّ طلَلْ * دارسُ الآياتِ عافٍ كالحلَلْ
درسته الريحُ من بين صَبًا * وجنوبٍ درجتْ حينًا وطَلّ

الغناء فيه لحُنَين ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشامىّ وابنِ المكىّ، وذكر حَبش أنه لمَعْبد، وذكر عمرو بن بانة أنّ لحن حُنَين من خَفيف الثّقيل الأوّل بالبِنْصر. وأخبار عامر بن المجنون تُذْكَر فى موضع آخَر إن شاء الله تعالى. ١٠

سعية بن غريض وشعره وهو يحتضر

١٨/٣

وأما سَعْيَة بن غَرِيض فقد كان ذُكِر خبرُ جدِّه السَّموءل بن غَريض بن عَاديا فى موضع غير هذا. وكان سَعْيَة بن غَريض شاعرًا، وهو الذى يقول لمّا حضرته الوفاةُ يَرْثِى نفسَه :

١٥

صـــوت

ياليتَ شعرى حين يُذْكَر صالحى[4] * ماذا تُؤبِّنُنِى به أنواحى[5]
أيَقُلْنَ لا تبعَدْ، فربّ كريهة * فرّجتها ببشارة وسَماح
وإذا دُعيتُ لصَعبة سهّلتُها * أُدعَى بأفلحَ تارةً ونجاح

(١) كذا فى الأصول. وفى اللسان مادة حي : «ولكل». (٢) مما يطلق عليه التحية الملك والبقاء. قال ابن برى : والمراد هنا البقاء، لأن زهير بن جناب كان ملكا فى قومه (انظر اللسان مادة حي). (٣) كذا فى ى، ط. وفى سائر النسخ : «وأنه يسكن اليها فى الهواء». ٢٠
(٤) كذا فى جميع الأصول. وفى هامش ط : «حين أندب هالكا». (٥) الأنواح : النائحات.

— غنّاه ابنُ سُرَيج ثانىَ ثقيلٍ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو —
وأسلم سَعْيَة[1] وعُمِّر[2] عمرا طويلا، ويقال : إنّه مات فى آخر خلافة معاويةَ .

سعية بن غريض ومعاوية بن أبى سفيان

فأخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز الجَوْهَرِىّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنى أحمد بن معاوية عن الهَيْثم بن عَدِىّ قال :

حجّ معاويةُ حِجّتين فى خلافته، وكانت له ثلاثون بغلةً يُحَجّ عليها نساؤُه وجواريه . قال : فحجّ فى إحداهما فرأى شيخا[3] يُصلّى فى المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان، فقال : من هذا؟ قالوا : سَعْيَة بن غَرِيض، وكان من اليهود، فأرسل اليه يدعوه، فأتاه رسولُه فقال : أجبْ أميرَ المؤمنين؛ قال : أوليس قد مات أميرُ المؤمنين! قيل : فأجب معاوية؛ فأتاه فلم يسلّم عليه بالخلافة؛ فقال له معاوية : ما فعلتْ أرضُك التى بتَيْماء؟ قال : يُكْسَى منها العارى ويُرَدّ فَضْلُها على الجار؛ قال: أفتبيعها[4]؟ قال : نعم؛ قال : بكَمْ؟ قال : بستّين ألفَ دِينار، ولولا خَلّة أصابت الحىّ لم أبِعْها؛ قال: لقد أغليتَ! قال: أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتَها بستمائة ألف دينار ثم لم تُبَلْ[5]! قال : أجلْ، وإذ بخلتَ بأرضك فأنشدنى شعرَ أبيك يَرْثى [به][6] نفسه؛ فقال : قال أبى :

(١) كذا فى ى ، ط . وفى باقى الأصول : «فاسلم» بالفاء . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ى ، ط : «أوّل» . (٣) كذا فى ى ، ط والإصابة لابن حجر طبع مصر ج ٣ ص ١٦٧ ، وفى سائر الأصول : «شخصا» . (٤) كذا فى ب ، س . وفى أ ، م : «أتبيعها» . (٥) كذا فى أكثر الأصول . وفى ى ، ط : «لم تبال» وكلاهما صحيح تقول : «لم أبال» وهو الأصل «ولم أبل» حذفت منها الياء تخفيفا ، ونزلت اللام منزلة النون من يكن فسكنت للجازم وحذفت الألف لالتقاء الساكنين . (٦) زيادة فى ى ، ط .

يا ليتَ شعرى حين أُندَبُ هالكًا * ماذا تُؤَبِّنُنِى بِهِ أنواحِى

أيقلن لا تبعَد[1]، فرُبَّ كَريهة * فرّجتُها بشجاعةٍ[2] وسَماحِ

ولقد ضربتُ بفضل مالى حقَّه * عند الشّتاء وهَبّة الأرواح

ولقد أخذتُ الحقَّ غير مخاصم * ولقد رددتُ الحقَّ غيرَ مُلَاحِى

وإذا دُعيتُ لصَعبة سَهلتُها * أُدعَى بأفلحْ مَرّةً ونَجَاح

فقال: أنا كنتُ بهذا الشعرِ أَوْلَى من أبيك؛ قال: كذبتَ ولَؤُمْتَ؛ قال: أما كذبتُ فنعمْ، وأمّا لَؤُمْتُ فلِمَ؟ قال: لأنك كنتَ مَيّتَ الحقّ فى الجاهلية وميّته فى الإسلام، أمّا فى الجاهلية فقاتلتَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم والوَحْىَ حتى جعل الله [عزّ وجلّ][3] كيدَك المردود، وأمّا فى الإسلام فمنعتَ ولدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافةَ، وما أنتَ وهى! وأنتَ طَليقٌ[4] آبن طَليق! فقال معاوية: قد خَرِفَ[5] الشيخُ فأقيموه، فأُخذ بيده فأُقيم.

---

(١) كذا فى أكثر الأصول. وفى ء، ط: «لا يبعد» بالياء.

(٢) كذا فى أكثر الأصول. وفى ب، س: «بشارة» وقد تقدّمت هذه الرواية فى ص ١٢٩ من هذا الجزء.

(٣) الزيادة عن ء، ط.

(٤) أى من الطلقاء، وهم الذين حاربوا النبىّ صلى الله عليه وسلم من قريش وآذوه، فلما غلبهم عام الفتح خطبهم فقال: «يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم؟» قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: «آذهبوا فأنتم الطلقاء» (انظر سيرة ابن هشام ص ٨٢١ طبع أوروبا).

(٥) كذا فى أكثر الأصول. وفى ء، ط: «خرق» بالقاف.

وسَعْيَةُ هذا هو الذى يقولُ :

صـــوت

يا دارَ سُعْدَى بأقصى[1] تَلْعَةِ النَّعَمِ[2] * حُيِّيتِ داراً على الإقواء والقِـدَمِ

وما يجزَعِكِ إلا الوَحشُ ساكنةً * وهامدٌ من رَمَادِ القِدْرِ والحُمَمِ

١٩/٣ عُجْنَا فما كلَّمتْنَا الدارُ إذ سُئِلَتْ * وما بها عن جوابٍ خِلتُ من صَمَمِ ٥

الشعر لسَعْيَةَ بن غَرِيض، والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة فى مجرى البِنْصَر

---

(١) فى ء ، ط وياقوت : « بمفضى » . (٢) تلعة النعم : موضع بالبادية استشهد له ياقوت بهذا البيت .

أخبار آبنِ صاحب الوَضُوءِ ونسبه

نسبه وولاؤه وسبب تسمية أبيه

اسمه محمدُ بن عبد الله، ويُكْنَى أبا عبد الله، مولى بنى أميّة، وهو من أهل المدينة؛ وكان أبوه على مِيضَأَةِ المدينة فسُمِّىَ صاحبَ الوَضُوء. وهو قليلُ الصّنعة لم يذكُر له إسحاقُ إلا صوتَين كلاهما فى خفيف الثقيل الثانى المعروف بالماخُورِىّ، ٥ ولا ذَكَر له غيرُ إسحاق سواهما إلا ما هو مرسوم فى الكتاب الباطل المنسوب إلى إسحاق فإن له فيه شيئا كثيراً لا أصلَ له، وفى كتاب حَبَش [الصينىّ][1]. وهو رجل لا يُحصِّلُ ما يقولُه ويَرْويه.

مدح يونس الكاتب غناءه

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه [عن][1] جدّه عن سِيَاط عن يُونُس الكاتب قال:

١٠ غنّى آبنُ صاحب الوَضوء فى شعر النابغة:

خَطاطِيفُ حُجْنٌ[2] فى حِبالٍ مَتِينةٍ * تَمُدُّ بها أيدٍ إليـكَ نَوَازِعُ

وفى شعر بعض اليهود:

إرفعْ ضَعِيفَك لا يحرِ بك ضعفُه * يوما فتدركَه العواقبُ قد نَمَا

فأجاد فيهما ما شاء وأحسنَ غايةَ الإحسان؛ فقيل له: ألا تَزِيدُ وتصنعُ شيئا ١٥ [آخر][1]؟ فقال: لا والله حتى أرى غيرى قد صنعَ مثلَ ما صنعت وأَزيد، وإلّا فَحَسْبِي هذا.

(١) الزيادة عن ء، ط. (٢) حجن: معوجة، جمع أحجن وحجناء.

نقل أبو سلمة عبيد الله بن عامر صوتا غناء فى المحراب

أخبرنى أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وإسماعيل ابن يونس الشّيعى،(١) قالوا حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علىّ — قال ابنُ عمار فى خبره : وكان يُسمَّى المبارَكَ — قال حدّثنا أبو مَسْلَمة(٢) المَصْبَحِىّ قال :

قَدِم علينا أَسْودُ من أهل الكوفة فغنّى :

ارفَعْ ضعيفَك لا يحرْ بك ضعفُه * يوماً فتدركَه العواقب قد نَمَا

قال : فمررت بعبيد الله بن عامر الأسلمىّ، وكان يؤمّنا وهو قائم يصلّى الظهر، فقلت [له](٣) : قدم علينا أسودُ من الكوفة يُغنّى كذا وكذا [فأجاده](٣)؛ فأشار الىّ بيده أن اجلسْ ؛ فلما قضى صلاته قال : أَخَذْتَه(٤) عنه؟ قلت : نعم؛ قال : فأَمِرَّهُ علىّ، ففعلتُ؛ قال : فلما كان بالليل صلّى بنا فأدّاه فى المحراب .

صوت

من المائة المختارة التى رواها علىّ بن يحيى

يا ليتَنى(٥) تَزْدادُ نُكْرا * مِنْ حُبِّ مَنْ أحببتُ بِكْرَا
حَوْراءُ إنْ نظرتْ إلَيـ * ـكَ سَقَتْكَ بالعينين خمرا

الشعر لبَشّار، والغناءُ فى اللحن المختار ليَزِيدَ حَوْراء رَمَلٌ بالبِنْصر عن عمرو ويحيى المكىّ وإسحاق . وفيه لسِيَاط خفيفُ رملٍ بالوُسْطَى عن عمرو وإبراهيمَ المَوْصِلىّ .

(١) كذا فى ء ، ط وهو الموافق لما تقدّم فى الجزء الأوّل من هذا الكتاب ص ٢١ طبعة الدار . وفى باقى الأصول : «تبزيد» . (٢) فى ء ، ط : «أبو سلمة» . (٣) زيادة فى ء ، ط . (٤) كذا فى ء ، ط وهو الموافق للسياق . وفى سائر النسخ : «قال» .
(٥) كذا فى ء ، ط وهو الموافق لما سيأتى بصفحة ١٥٥ فى شعر بشار . وفى باقى النسخ : «ياليتنى أزداد» .

أخبار بشّار[1] بن برد ونسبه

نسبه وكنيته وطبقته في الشعراء

هو، فيما ذكره الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم بن مَهْرُويه عن غيلان[2] الشعوبيّ، بَشّار بن بُرْد بن يَرْجُوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دَارَا بن فَيْروزَ بن كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن أزدكرد بن حسيس بن مهران ابن خسروان بن أخشين بن شهر داد بن نبوذ بن ما خوشيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكرر بن ادريوس بن يستاسب [بن لهراسف][3]. قال: وكان يَرْجُوخ من طُخَارُستان[4] من سَبْي المُهلّب بن أبي صُفْرة. ويُكْنَى بَشّارٌ أبا مُعاذ. ومحلّه في الشعر وتَقَدُّمه طبقاتِ المُحْدَثين فيه بإجماع الرُّواة ورياسته عليهم من غير آختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله[5]. وهو من مُخَضْرَمي شعراء الدولتين العبّاسية والأُموية، قد شُهِر فيهما ومَدَح وهَجَا وأخذ[6] سَنِيّ الجوائز مع الشعراء.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم قال قال حُمَيد بن سَعِيد.

كان بشّار من شعب ادريوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك. قال: وهو بشّار بن برد بن بهمن بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز. قال: وكان يُكنَى أبا مُعاذ.

---

(١) قال ابن خلكان في ترجمته لبشار: «ذكر له أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني ستة وعشرين جدا أسماؤهم أعجمية، فأضربت عن ذكرها لطولها واستعجامها، وربما يقع فيها التصحيف والتحريف فانه لم يضبط شيئا منها، فلا حاجة الى الاطالة فيها بلا فائدة». وقد حاولنا وجه الصواب في هذه الأسماء وضبطها فلم نوفق، فأثبتناها هنا كما وردت في الأغاني طبعة بولاق ونسخة ط وذلك لاختلافها واضطرابها في الأصول التي بين أيدينا والإطالة فيها بلا فائدة كما قال ابن خلكان. (٢) في ط، ء: «علان». (٣) الزيادة عن ط. (٤) ضبطها ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان في ترجمته لبشار ج ١ ص ١٢٥ بضم الطاء وضم الراء وضبطها ياقوت بفتح الطاء. (٥) في ط، ء: «وإطالة بذكر محله». (٦) كذا في ط، ء. وفي باقي الأصول: «فأخذ».

ولاؤه لبنى عقيل

وأخبرنى يحيى بن علىّ ومحمدُ بن عِمْرانَ الصَّيْرفىّ وغيرُهما عن الحسن بن عُلَيل العَنَزىّ عن خالد بن يزيد[1] بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال :

كان بشارُ بن بُرْد بن يَرْجُوخ وأبوه بُرْدٌ من قِنّ خِيرةَ[2] القُشَيرِيّة آمرأةِ المهلّب ابن أبى صُفْرَةَ ، وكان مُقيما لها فى ضَيْعَتها بالبصرة المعروفة «بخيرَتان»[3] مع عَبيدٍ لها وإماء ، فوهَبَتْ بُردًا بعد أن زوّجته لامرأةٍ من بنى عُقَيلٍ كانت مُتّصلةً بها ، فولدتْ له امرأتُه وهو فى مِلْكها بشارًا فأعتقته العُقَيليّة .

وأخبرنى محمد بن مَزْيد[4] بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال : كان بُرْدٌ أبو بشارٍ مولى أُمّ الظِّباء العُقَيلية السَّدُوسية ، فآدّعى بشارٌ أنه مَوْلَى بنى عُقَيل لنزوله فيهم .

وأخبرنى أحمد بن العبّاس العَسْكرىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنى رجلٌ من ولد بشارٍ يقال له حَمدانُ كان قصّاراً[5] بالبصرة ، قال: وَلاؤُنا لبنى عُقَيل؛ فقلتُ : لأيّهم؟ فقال : لبنى رَبيعة بن عُقَيل .

وأخبرنى وكيعٌ قال حدّثنى سليمانُ المَدَنىّ[6] قال قال أحمدُ بن مُعاويةَ الباهلىّ : كان بشارٌ وأُمّه لرجل من الأَزْد، فتزوّج امرأةٌ من بنى عُقَيل ، فساق إليها بشارا وأُمّه فى صَدَاقها ، وكان بشار وُلِدَ[7] مكفوفًا فأعتقته العُقَيليّة .

(١) فى ء ، ط « خالد بن زيد » وقد ذكره صاحب لسان الميزان فى موضعين ، فقد ذكره فى خالد ابن بريد بالباء الموحدة والراء المهملة ، وفى خالد بن يزيد وقد ذكر أجداده فى الموضعين كما هنا .
(٢) كذا فى ء ، ط . وفى سائر النسخ « فى . » . (٣) قال ياقوت عند الكلام على خطط البصرة وقراها : خيرتان منسوب الى خيرة بنت ضمرة امرأة المهلب بن أبى صفرة . قال : ومن اصطلاح أهل البصرة أن يزيدوا فى الاسم الذى تنسب اليه القرية ألفا ونونا : نحو قولهم : طلحتان : نهر ينسب الى طلحة بن أبى رافع (انظر ياقوت فى اسم البصرة) . (٤) كذا فى ط ، ء ، حـ وهو الصواب . وفى باقى النسخ : «عمرو» وهو تحريف . (٥) القصار : محوّر الثياب أى مبيضها .
(٦) فى ء ، ط : « المديق » . (٧) كذا فى ء ، ط وهو الصواب . وفى باقى النسخ : « وكان لبشار ولد مكفوف » وهو تحريف .

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدّثني الحسن بن عُلَيل[1] العنزي قال حدّثنا قعنب بن المحرز الباهلي قال حدّثني محمد بن الحجاج قال :

باعتْ أمّ بشارٍ بشّارًا على أمّ الظِّباء السَّدوسيّة بدينارين فأعتقته . وأمّ الظباء امرأة أوس بن ثعلبة أحد بني تيم اللات بن ثعلبة، وهو صاحب قصر أوس بالبصرة؛ وكان أوس أحد فرسان بكر بن وائل بخراسان .

كان أبوه طيانا وقد هجاه بذلك حماد عجرد

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا محمد بن زيد العجليّ قال أخبرني بدر بن مُزاحم :

أن بُرْدًا أبا بشّار كان طيّانًا يضرب اللَّبِن، وأراني أبي بيتين [لنا][2] فقال لي : لَبِنُ[3] هذين البيتين من ضرب بُرْدٍ أبي بشّار . فسمع هذه الحكاية حمّادُ عجرد فهجاه فقال :

يا بن بُرْدٍ إخسأْ إليك فمثلُ الـ ... كلب في الناس أنت لا الإنسانِ

بل لَعَمْري لأنت شرّ من الكلـ ... ب وأَوْلَى منه بكلّ هَوَانِ

ولَرِيحُ الخنزير أهونُ من ريـ ... حك يا بن الطيّانِ ذي التُّبّانِ[4]

أنشد المهدي شعرا في أنه مجمي بحضور أبي دلامة

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيوب المدينيّ عن أبي الصَّلْت البصريّ عن أبي عدنان قال حدّثني يحيى بن الجون العبديّ راوية بشار قال :

(١) كذا في ء ، ط ، وهو الصواب . وفي سائر النسخ : «احمد» وهو تحريف .

(٢) زيادة في ط ، ء . (٣) كذا في ء ، ط . وفي باقي النسخ : «فقال لي : هذان البيتان من ضرب برد ... الخ» . (٤) التبان (بالضم وتشديد الباء) : سراويل صغير يكون للملاحين والمصارعين .

قال : لمـا دَخَلْتُ على المَهْـدِىّ قال لى : فِيمَنْ تَعْتَدُّ يابشّار؟ فقلتُ : أمّا اللّسانُ والزِّىُّ فعربيّان، وأمّا الأصلُ فعجمىٌّ، كما قلتُ فى شعرى ياأميرَ المؤمنين:

ونُبِّئْتُ قومًا بهـم جِنّةٌ (١) * يقولونَ مَنْ ذا وكنتُ العَلَمْ

ألا أيُّها السائلِى جاهِـدًا * لِيَعْرِفَنِى أنا أنفُ الكَرَمْ

نَمَتْ فى الكِرامِ بَنِى عامِرٍ * فُروعِى وأَصْلِى قريشُ العَجَمْ

فإنى لَأُغْنِى مَقَامَ الفَتَى * وأُصْبِى الفتاةَ فما تَعْتَصِمْ

قال : وكان أبو دُلَامةَ حاضرا فقال : كَلّا ! لَوَجْهُكَ أقبحُ من ذلك ووجهى مع وجهك ؛ فقلتُ : كَلّا ! واللهِ ما رأيتُ رجلًا أصدقَ على نفسه وأكذبَ على جليسه منكَ، والله إنى لطويلُ القامة عظيمُ الهامَة تامّ الألواح أَسْجَحُ (٢) الخدّين، ولَرُبَّ (٣) مُسترخِى المِذْرَوَينِ (٤) للعين فيه مَرَادٌ قد جلس من الفتاة حَجْرةً (٥) وجلستُ منها حيث أُريدُ، فأنتَ مثلى يامَرْضَعانُ (٦)! [قال] (٧) : فسكت عنّى . ثم قال لى المهدىّ : فمِنْ أىِّ العجم أصلُكَ؟ فقلتُ : مِن أكثرِها فى الفُرسان، وأشدِّها على الأقران، أهل طُخَارُسْتانَ (٨)؛ فقال بعضُ القوم : أولئك الصُّغْدُ؛ فقلت : لا، الصُّغْدُ تجّارٌ؛ فلم يَرْدُدْ ذلك المهدىُّ .

---

(١) فى ى، ط : « جاهلا » . (٢) يقال : سجح الخد : سهل ولان .

(٣) فى ى، ط : « أسجح الخدّين مسترخى المذروين للعين فيه مراد، ومثلك قد جلس الخ » .

(٤) كذا فى ى، ط، والمذروان : طرفا الأليتين أو طرفا كل شىء، ولعله يريد أنه بض سمين يجذب النظر إليه . وفى باقى الأصول : « المزورين » بالزاى وتقديم الواو على الراء وهو تحريف .

(٥) حجرة : ناحية . (٦) المرضعان : اللئيم، من الرضاعة وهى اللؤم . (٧) الزيادة عن ى، ط . (٨) أنظر الحاشية رقم ٣ ص ١٣٥

كان كثير التلون في ولائه للعرب مرة وللعجم أخرى

وكان بشّار كثيرَ التلوّنِ فى وَلائه، شَدِيدَ الشَّغْب(١) والتعصُّبِ للعجم، مرّةً يقول يفتخرُ بولائه فى قيس:

أَمِنْتُ مَضَرَّةَ الفُحَشَاءِ(٢) أَنِّى * أَرَى قيسًا تَضُرُّ(٣) ولا تُضَارُ
كأنّ الناسَ حين تَغِيبُ عنهم * نباتُ الأرض أخطأه القِطارُ(٤)
وقد كانت بتَدْمُرَ خيلُ قيسٍ * فكان لِتَدْمُرٍ فيها دَمَارُ
بِحَيٍّ من بنى عَيْلانَ شُوسٍ(٥) * يَسيرُ الموتُ حيث يقالُ سارُوا
وما نَلقاهُمُ إلا صَدَرْنا * بِرِىٍّ منهمُ وهُمُ حِرَارُ(٦)

ومرّةً يتبرّأ من وَلَاء العرب فيقول:

أصبحتَ مولَى ذى الجلالِ وبعضُهُمْ * مولَى العُرَيبِ نخُذْ(٧) بفضلك فافخَرِ
مَولاكَ أكرَمُ من تميمٍ كلِّها * أهلِ الفَعَالِ(٨) ومن قُرَيشِ المَشْعَرِ
فارجِعْ إلى مولاكَ غيرَ مُدَافَعٍ * سُبحانَ مَولاكَ الأجلِّ الأكبرِ

وقال يفتخرُ بولاء بنى عُقَيلٍ:

كان يلقب بالمرعث وسبب ذلك

إنّنى من بنى عُقَيلِ بنِ كعبٍ * موضعَ السّيفِ مِنْ طُلَى(٩) الأعناقِ

ويُكنَى بَشّارٌ أبا مُعاذٍ، ويُلقَّبُ بالمرَعَّثِ.

---

(١) كذا فى ى، ط. وفى سائر النسخ «التشعب». (٢) الفحشاء: جمع فاحش كجاهل وجهلاء. والفاحش: السيئ الخلق. (٣) كذا فى ى وإحدى روايتى ط. وفى أ، م: «تسب». وفى باقى النسخ: «تَشِب» وهو تحريف. (٤) القطار: جمع قطر وهو المطر. (٥) شوس: جمع أشوس وهو الذى ينظر بمؤخر عينيه. (٦) حرار: جمع حرّان وهو الشديد العطش. (٧) كذا فى ى، ط. وفى باقى الأصول: «بخد» بالجيم والدال المهملة. (٨) الفعال (بالفتح): اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه. (٩) الطلى: أصول الأعناق؛ واحدتها طلية أو طلاة.

أخبرنى عمّى ويحيى بن علىّ قالا حدّثنا أبو أيوب المَدينىّ قال حدّثنى محمد بن سلّام قال : بشّارٌ المرعَّثُ هو بشارُ بنُ بُردٍ، وإنما سُمّى المرعَّثَ بقوله :

٢٢/٣

قال رِيمٌ مُرَعَّثٌ * ساحرُ الطَّرفِ والنَّظرْ

لستَ واللهِ نائلى * قلتُ أو يَغْلِبُ القَـدَرْ[1]

أنتَ إن رُمتَ وَصلَنا * فأنجُ، هل تُدرِكُ القَمَرْ ٥

قال أبو أيّوب : وقال لنا آبنُ سلّامٍ مرّةً أخرى : إنما سُمّى بشّارٌ المرعَّثَ، لأنه كان لقميصه جَيبانِ : جَيبٌ عن يمينه وجَيبٌ عن شماله، فإذا أراد لُبسَه ضمّه عليه من غير أن يُدخِلَ رأسَه فيه، واذا أراد نزعَه حلَّ أزرارَه وخرج منه، فشُبِّهتْ تلك الجيوبُ بالرِّعاثِ لآسترسالها وتدلِّيها، وسُمّىَ من أجلها المرعَّثَ .

١٠ أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا علىّ بنُ مهدىّ قال حدّثنى أبو حاتم قال قال لى أبو عُبَيدَةَ :

لُقّبَ بشّارٌ بالمرَعّثِ لأنه كان فى أُذنه وهو صَغير رِعاثٌ . والرِّعاث : القِرَطَةُ، واحدتها رَعثَةٌ وجمعُها رِعاثٌ، [ورِعَثاتٌ][2] . ورَعَثاتُ الديك : اللحم المتدلّى تحت حنكه؛ قال الشاعر :

١٥ سَقَيتُ أبا المصرَّعِ[3] إذ أتانى * وذُو الرَّعَثاتِ مُنتَصِبٌ يَصيحُ

شراباً يهرُبُ الذِّبّانُ منه * ويَلثَغُ حين يشرَبه الفَصيحُ

قال : والرَّعثُ : الآسترسالُ والتساقطُ . فكأنّ اسمَ القِرطَةِ آشتُقّ منه .

---

(١) أو هنا بمعنى بل . (٢) زيادة فى أكثر النسخ . (٣) كذا فى أكثر النسخ، وفى ء، ط : « المطوّح »، وفى حـ : « المطرّح » .

كان أشدّ الناس تبرما بالناس

أخبرنى محمد بن عِمْرانَ قال حدّثنى العَنَزِىُّ قال حدّثنا محمد بن بدر العِجْلىّ[(١)] قال : سمعتُ الأصمعىّ يذكر أن بشّارا كان من أشدّ الناس تبرّمًا بالناس ، وكان يقول : الحمد لله الذى ذهبَ ببصَرى ؛ فقيل له : ولِمَ يا أبا مُعاذ ؟ قال : لئلّا أرى مَنْ أُبغِض . وكان يلبَس قميصا له لِبِنْتان[(٢)] ، فإذا أراد أن ينزِعَه نزعه من أسفله ، فبذلك سُمّىَ المرعَّث .

صفاته

أخبرنى هاشمُ بنُ محمدٍ أبو دُلَفَ الخُزَاعىّ قال حدّثنا قَعْنَبُ بنُ مُحْرِز عن الأصمعىّ قال :

كان بشّارٌ ضخمًا ، عظيمَ الخَلْق والوجه ، مجدُورًا ، طويلا ، جاحظَ المُقْلتَين قد تغشّاهما لحمٌ أحمرُ ، فكان أقبحَ الناس عَمًى وأفظَعَهُ[(٣)] منظرًا ، وكان إذا أراد أن يُنشِدَ صفّق بيديه وتنحنح وبصَق عن يمينه وشماله ثم يُنشِدُ فيأتى بالعجَب .

ولد أعمى وهجى بذلك وشعره فى العمى

أخبرنا يحيى بن علىّ عن أبى أيّوب المدينىّ عن محمد بن سلّام قال :

وُلِد بشّارٌ أعمى ، وهو الأكمهُ . وقال فى تَصْداقِ ذلك أبو هشام الباهلىّ يهجوه :

وعبدى فَقَا[(٤)] عينيكَ فى الرَّحْمِ أيرُه * فجئتَ ولم تعلَمْ لعينيكَ فاقِيَا

أأُمُّكَ يا بشّارُ كانت عفيفةً؟ * علىَّ إذًا مَشيٌ الى البيت حافيا

قال : ولم يزل بشّار منذ قال فيه هذين البيتين مُنكسِرا .

(١) هكذا وقع هذا الاسم هنا باتفاق جميع النسخ : « محمد بن بدر العجلىّ » ، وقد تقدّم فى ص ١٣٧ من هذا الجزء باتفاق النسخ جميعها أيضا : « محمد بن زيد العجلى » مع اتحاد رجال السند فى الموضعين . فلينظر . (٢) اللبنة : بنيقة القميص وهى زيقه الذى يفتح فى النحر .

(٣) كذا فى جميع الأصول بإفراد الضمير . وهو استعمال عربىّ فصيح ؛ يقال : أحسن الناس خلقا وأحسنه وجها ، والمراد أحسنهم ، وهو كثير من أفصح الكلام . انظر اللسان مادة « حنا » .

(٤) فقأ : قلع ، والأصل فيه الهمز فسهل .

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشىّ عن الأصمعىّ قال :

وُلِد بَشّار أعمى فما نَظَر الى الدنيا قطُّ ، وكان يُشَبِّه الأشياء بعضَها ببعض فى شعره فيأتى بما لا يقدِر البُصَراء أن يأتوا بمثله ؛ فقيل له يوما وقد أَنشد قوله :

كأنّ مُثَارَ النقع فوق رُءوسنا * وأسيافَنا ليلٌ تَهَاوَى كواكبُهْ

ما قال أحدٌ أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قطّ ولا شيئا فيها ؟ فقال : إن عدم النظر يُقَوِّى ذكاءَ القلب ويقطَع عنه الشغلَ بما يُنظَرُ اليه من الأشياء فيتوفّر حسّه وتذكو قريحتُه؛ ثم أنشدهم قولَه :

عَميتُ جَنيناً والذكاءُ من العَمَى * فجئتُ عجيبَ الظنِّ للعلم مَوْئلا

وغاضَ ضياءُ العين للعلم رافدًا * لِقلبٍ[1] اذا ما ضَيّع الناسُ حَصّلا

وشِعرٍ كنُوزِ الروضِ[2] لاءمتُ بينَه * بقولٍ اذا ما أحزن الشعرُ أسهلا

أخبرنا هاشم قال حدّثنا العَنَزىّ عن قَعْنَب بن مُحْرِز عن أبى عبد الله الشرادنىّ[3] قال : كان بشّارٌ أعمى طويلًا [ضخمًا][4] آدمَ مجدورا .

وأخبرنى يحيى بن علىّ عن أبى أيوب المَدِينىّ قال قال الحمرانىّ[5] قالت لى عمّتى : زرتُ قرابةً لى فى بنى عُقَيْل فاذا أنا بشيخ أعمى ضخم يُنْشِد :

مِنَ المَفتونِ بَشّارِ بنِ بُرْدٍ * الى شَيْبانَ كَهْلِهِمُ ومُرْدِ

بأنّ[6] فتاتَكم سَلَبتْ فؤادى * فنِصفٌ عندها والنصفُ عندى

فسألت عنه فقيل لى : هذا بَشّار .

---

(١) كذا فى ى ، ط . وفى باقى الأصول : «بقلب» بالباء . (٢) كذا فى ى ، ط . وفى أكثر النسخ : «كنور الأرض» . (٣) فى ط ، ى : «السرادار» . (٤) زيادة فى ط ، ى . (٥) فى ا ، م : «الحدانى» . (٦) كذا فى ى ، ط ، وفى باقى الأصول : «فإنّ» .

كان يقول أزرى بشعرى الأذان

أخبرنى محمد بن يحيى الصَّيْرَفِىّ قال حدّثنا العنزىّ قال حدّثنا أبو زيد قال سمعت أبا محمد التَّوَّزِىّ يقول : قال بشّار : أزرى بشعرى الأذان . يقول : إنه إسلامىّ .

قال الشعر وهو ابن عشر سنين

وأخبرنى حَبيب بن نَصْر المُهَلَّبىّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال قال أبو عُبَيدة : قال بشّار الشعرَ ولم يبلغ عَشْرَ سنين، ثم بلغ الحُلُم وهو مَخْشِىُّ مَعَرّةِ لسانه .

هجا جريرا فأعرض عنه استصغارا له

٥ قال : وكان بشّار يقول : هجوتُ جريرًا فأعرض عنّى وآستصغرنى، ولو أجابنى لكنتُ أشعر الناس .

كان الأصمعى يقول هو خاتمة الشعراء

وأخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قالا حدّثنا عمر ابن شَبّة قال :

كان الأصمعىّ يقول : بشّارٌ خاتمةُ الشعراء، والله لولا أنّ أيّامه تأخرتْ لفضّلتُه

١٠ على كثيرٍ منهم .

قال أبو زيد : كان راجزًا مُقَصِّدًا [(1)] .

جودة نقده للشعر

أخبرنى أبو الحسن الأَسَدىّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النَّطّاح [(2)] قال حدّثنى أبو عُبَيدة : قال سمعت بشّارًا يقول وقد أُنْشِد [(3)] فى شعر الأعشَى :

وأنكَرَتْنِى وما كان الذى نَكِرَتْ * من الحوادث إلا الشَّيْبَ والصَّلَعَا

١٥ فأنكره، وقال : هذا بيت مصنوع ما يُشْبِه كلامَ الأعشى ؛ فعجبتُ لذلك . فلمّا كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالسًا عند يونس، فقال : حدّثنى أبو عمرو آبن العلاء أنه صنَع هذا البيت وأدخله فى شعر الأعشَى :

(1) يقال : قصد الشاعر وأقصد : أطال وواصل عمل القصائد . (2) كذا فى إحدى روايتى ط . وفى جميع النسخ : « محمد بن صالح النطاح » بدون كلمة « ابن » وقد تقدّم هذا الاسم غير مرّة
٢٠ فى الأغانى كالرواية الأولى، (أنظر ص ١٤٣ ج ١ من هذه الطبعة) . (3) كذا فى ء، ط . وفى باقى النسخ : «وقد أنشدنى» .

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت * من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فجعلت حينئذ أزداد عَجَبًا من فِطْنة بشّار وصحّة قريحته وجَوْدة نَقْده للشعر .

له اثنا عشر ألف قصيدة

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرانىّ قال حدّثنى أبو حاتم عن أبى عُبَيدة قال :

قال بشار : لى آثنا عَشَرَ ألفَ بيتٍ عَيْنٍ؛ فقيل له[1] : هذا مالم يكن يَدّعِيه أحدٌ قطُّ سواك ؛ فقال : لى آثنتا عَشْرَة ألفَ قصيدةٍ، لَعَنها اللهُ ولعن قائلَها إن لم يكن فى كل واحدةٍ منها بيتٌ عينٌ .

وأخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا علىّ بن مَهْدِىّ عن أبى حاتم قال :

رأى أبى عبيدة فيه وفى مروان بن أبى حفصة

قلتُ لأبى عُبَيدة : أمَرْوانُ عندك أشعرُ أم بشّار ؟ فقال : حَكَمَ بَشّارٌ لنفسه بالاستظهار أنه قال ثلاثةَ عَشَرَ ألفَ بيتٍ جيِّد، ولا يكون عددُ الجيّد من شعر شعراء الجاهليّة والإسلام هذا العددَ ، وما أحسبهم بَرَّزُوا فى مثلها، ومَرْوانُ أمدحُ للملوك .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا الأصمعىّ قال :

قال بَشّار الشعرَ وله عَشْرُ سنين، فما بَلَغَ الحُلُمَ إلا وهو مُخْشِىٌّ مَعَرّةِ اللسان بالبَصْرة. قال : وكان يقول : هَجَوتُ جريرًا فآستصغرنى وأعرض عنّى، ولو أجابنى لكنتُ أشعرَ أهل زمانى .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدّثنا أبو العَوانِلِ زكريّا بن هارون قال :

---

(١) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « فقيل لى » .

قال بشّار: لى اثنا عشَرَ ألفَ بيت جيّدة، فقيل له: كيف[1]؟ قال: لى اثنتا عشْرةَ ألفَ قصيدةٍ، أمَا فى كلّ قصيدةٍ منها بيتٌ جَيِّد! .

كلام الجاحظ عنه

وقال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين وقد ذكره: كان بشّارٌ [شاعراً][2] خطيباً صاحبَ منثورٍ ومُزدوِجٍ[3] وسَجْعٍ ورسائلَ، وهو من المطبوعين أصحابِ الإبداع والاختراع المُفْتَنِّين[4] فى الشعر القائلين فى أكثر أجناسه وضُروبه؛ قال الشعرَ فى حياة جرير وتَعرّض له، وحُكِيَ عنه أنه قال: هجوتُ جريراً فأعرض عنّى، ولو هاجانى لكنتُ أشعرَ الناس.

كان يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة

قال الجاحظ: وكان بشّار يَدين بالرَّجْعة[5]، ويُكَفِّر جميعَ الأمّة، ويصوِّب رأى إبليس فى تقديم النارِ على الطِّين، وذكر ذلك[6] فى شعره فقال:

الأرضُ مُظلمةٌ والنارُ مُشْرقةٌ ... والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ

هجا واصل بن عطاء فخطب الناس بالحادة وكان يجتنب فى خطبه الراء

قال: وبلغه عن أبى حُذَيفة واصلِ بن عَطاء إنكارٌ لقوله وهتْفٌ به، فقال يهجوه:

مالى أشايِعُ غَزّالاً[7] له عنُقٌ ... كنِقْنِق الدَّوِّ[8] إنْ وَلَّى وإنْ مَثَلا
عُنْقَ الزَّرافةِ ما بالى وبالكُمُ ... تُكَفِّرون رجالاً كَفَّروا[9] رجلا!

(١) كذا فى ط، ء. وفى باقى الأصول: «قال فكيف» وهو تحريف. (٢) زيادة فى ط، ء. (٣) المزدوج: ما أشبه بعضه بعضا فى السجع أو الوزن. (٤) كذا فى أكثر النسخ. وفى ب، س: «المتفننين»، وكلاهما صحيح. (٥) الرجعة: الإيمان بالرجوع بعد الموت الى الدنيا وهو مذهب قوم من العرب فى الجاهلية، ومذهب طائفة من أولى البدع والأهواء من المسلمين يقولون إن الميت يرجع الى الدنيا ويكون فيها حيا (انظر شرح القاموس للسيد مرتضى واللسان فى مادة رجع). (٦) كذا فى ط، ء. وفى سائر الأصول: «وذكر مثل ذلك». بزيادة كلمة «مثل». (٧) عرف واصل بن عطاء بالغزال لكثرة جلوسه فى سوق الغزالين الى أبى عبد الله مولى قطن الهلالى (عن البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٢٠). (٨) النقنق: الظليم وهو ذكر النعام. والدو: الفلاة. (٩) كذا فى ط، ء. وفى باقى الأصول: «أتكفرون رجالا أكفروا» بالهمزة فى الفعلين، وكفره بالتضعيف، وأكفره بالهمز: نسبه للكفر.

قال : فلما تَتَابع على واصــلٍ منه ما يَشْهد على إلحاده (١) خَطَب به واصلٌ، وكان أَلْثغَ على الراء فكان يجتنبها فى كلامه، فقــال : أَمَا لهذا الأعمى المُلْحد ، أَمَا لهــذا المُشَنَّف المكْنِيّ بأبى مُعَاذ من يقتله؟ أَمَا والله لولا [أن] (٢) الغِيلةَ سجيةٌ من سجَايَا الغَالية لَدَسَسْتُ اليه من يَبْعج بطنَه فى جوف منزلِه أو فى حَفْله (٣) ، ثم كان لا يتــولّى ذلك إلا عُقَيْلِيٌّ أو سَــدُوسِيٌّ ! فقال أبا مُعَاذ (٤) ولم يقــل بَشَّارا ، وقال المُشَنَّف ولم يقل المُرَعَّث، وقال: من سجايا الغالية ولم يقل الرافضة، وقال : فى منزله ولم يقل فى داره، وقال : يبعج بطنه ولم يقل يَبْقُر ، للثغة التى كانت به فى الرّاء .

قال: وكان واصلٌ قد بَلَغ من اقتداره على الكلام وتمكُّنه من العبارة أنْ حَذَفَ الراءَ من جميع كلامه وخُطَبه وجعل مكانَها ما يقوم مَقَامها .

هو أحد أصحاب الكلام الستة

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى عن عافيةَ بن شَبِيب قال حدّثنى أبو سُهَيْل قال حدّثنى سَعيد بن سَلّام قال :

كان بالبَصْرة ستّةٌ من أصحاب الكلام : عمرو بن عُبَيد ، وواصل بن عطاء ، وبَشّار الأعمى، وصالح بن عبــد القُدّوس، وعبد الكريم بن أبى العَوْجاء، ورجلٌ من الأزد — قال أبو أحمد : يعني جريرَ بن حازم — فكانوا يجتمعون فى منزل الأزدِىّ ويختصمون عنده . فأمّا عَمْرو وواصلٌ فصارَا الى الاعتزال . وأمّا عبدُ الكريم

(١) كذا فى أكثر النسخ، وفى ب ، سـ : « على إلحاد » بدون الهاء .

(٢) زيادة فى ط ، ء ، حـ . (٣) الحفل : الجمع من الناس . وفى ط ، ء : «فى يوم حفله» بزيادة كلمة «يوم» ، وفى أكثر النسخ : «فى جفله» بالجيم وهو تحريف . (٤) فى جميع الأصول : « فقال أبو معاذ ولم يقل بشار » ولا وجه لرفع أبى معاذ وبشار هنا ، لأن القول ينصب المفرد اذا لم يكن فى إسناد .

وصالح فصحّحا التوبة . وأمّا بشّار فبقِيَ متحيِّراً مُخَلِّطًا . وأمّا الأَزْدِىّ فمال الى قول السُّمَنِيّة[(١)] ، وهو مذهب من مذاهب الهند ، وبقِى ظاهرُه على ما كان عليه .

قال : فكان عبد الكريم يُفسد الأحداثَ ؛ فقال له عمرو بن عُبيد : قد بلَغنى أنّك تخلو بالحَدَث من أحداثنا فتُفسِده [وتَستزِلّه][(٢)] وتُدخِله فى دينك ، فإن خرجتَ من ٥ مصرنا وإلّا قمتُ فيك مَقاما آتِى فيه على نفسك ؛ فلحِق بالكوفة ، فدُلّ عليه محمدُ ابن سليمان فقتَله وصلَبه بها . وله يقول بشّار :

٢٥/٣

قل لعبد الكريم يابنَ أبى العَوْ[(٣)] ... جاء بعتَ الإسلامَ بالكفر مَوْقَا[(٤)]

لا تصلّى ولا تصوم فإن صُمْ ... تَ فبعضَ النّهار صوماً رَقيقَا

لا تُبالِى اذا أصبتَ من الخمْ ... ر عَتيقا ألّا تكون عَتيقَا

١٠ ليتَ شعرى غداةَ حُلِّيتَ فى الجيـ ... ـد حَنيفا حُلِّيت أم زنديقَا

أنت مِمَّن يَدُور فى لَعنة اللـ ... ـه صديقٌ لمن ينيك الصديقَا[(٥)]

رأى الأصمعى فيه وفى مروان بن أبى حفصة

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى الرِّياشِىّ قال : سُئل الأصمعىّ عن بَشّار ومَرْوان أيّهما أشعر؟ فقال : بشّار ؛ فسُئل عن السبب فى ذلك ، فقال : لأنّ مروان سلَك طريقا كثُر من يَسلُكه فلم يلحَق من تقدّمه ، وشَرِكه فيه من كان فى عصره ، وبشّار ١٥ سلَك طريقا لم يُسلَك وأحسنَ فيه وتفرّد به ، وهو أكثر تصرّفا وفنونَ شعرٍ وأغزرُ وأوسعُ بَديعا ، ومروان لم يَتجاوز مَذاهب الأوائل .

---

(١) السمنية (بضم السين وفتح الميم) : قوم من أهل الهند دهريون . وقال الجوهرى : السمنية : فرقة من عبدة الأصنام تقول بالتناسخ وتنكر وقوع العلم بالأخبار ، وهى نسبة الى «سومنات» بلد بالهند ؛ والدهريون : هم الذين ذهبوا الى قدم الدهر و إسناد الحوادث اليه ، وهم قوم ملحدون لا يؤمنون بالآخرة .

٢٠ (٢) زيادة فى ط ، ء . وتستزله : توقعه فى الزلل . (٣) كذا فى ء ، ط . وفى باقى الأصول : «وقلت عبد الكريم» . (٤) موقا : حمقا وغباوة . (٥) فى ب ، سـ ، حـ : «صديقا» بالتنكير .

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنى العَنَزىّ عن أبى حاتم قال سمعت الأصمعىّ وقد عاد الى البَصْرة من بغداد فسأله رجل عن مَرْوانَ بن أبى حَفْصةَ، فقال : وجَدَ أهلَ بغداد قد ختَموا به الشعراء وبشّار أحقّ بأن يَختِموهم به من مروان ؛ فقيل له : ولِمَ ؟ فقال : وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان فى حياة بشّار يقول شعرا حتّى يُصلحَه له بشّار ويُقَوِّمَه ! وهذا سَلْمٌ الخاسرُ من طبقة مروان يزاحمه بين أيدى الخلفاء بالشعر ويساويه فى الجوائز، وسَلْم مُعترف بأنه تَبَعٌ لبشّار .

مقارنته بامرئ القيس والقطامى

أخبرنى جَحْظةُ قال سمعت علىّ بن يحيى المُنجِّم يقول: سمعتُ مَن لا أُحصِى من الرّواة يقولون : أحسنُ الناس ٱبتداء فى الجاهليّة ٱمرؤ القيس حيث يقول :

* ألا ٱنعِمْ صَباحا أيُّها الطَّلل البالى *

وحيث يقول :

* قِفَا نبكِ من ذِكرَى حبيبٍ ومنزِلِ *

وفى الإسلام القَطامىّ حيث يقول :

* إنّا مُحيّوكَ فٱسلَمْ أيُّها الطّلَلُ *

ومن المُحدَثين بشّار حيث يقول :

صــــوت

أبَى طَلَلٌ بالجِزْعِ أن يتكلّما * وماذا عليه لو أجاب مُتيَّما
وبالفَرْعِ[1] آثارٌ بقِينَ وباللِّوَى[2] * مَلاعبُ لا يُعرفْنَ إلا توهُّما

(١) كذا فى ب ، س ، حـ . وذكر ياقوت أن الفرع بالفتح ثم السكون : موضع من وراء الفرك، ولم يزد على هذا ، والفرع بالضم والسكون : قرية بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة . فيها نخل ومياه كثيرة . ومنهم من ضبط اسم هذه القرية بضم أوّله وثانيه . (انظر ياقوت فى اسم «فرع») ، وفى ء وإحدى روايتى ط : «وبالقاع» . والقاع : منزل بطريق مكة بعد العقبة ، وفى أ ، م : «وبالجزع» . (٢) اللوى فى الأصل : منقطع الرملة ، وهو اسم موضع بعينه . قال ياقوت : « قد أكثر الشعراء من ذكره وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعز الفصل بينهما » ثم قال : « وهو واد من أودية بنى سليم » .

وفى هذين البيتين لابن المكّى ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى الوسطى من كتابه[(١)].
وفيهما لابن جُؤذُر رَمَلٌ .

مقارنة بينه وبين مروان بن أبى حفصة

أخبرنى عمى عن الكُرانىّ عن أبى حاتم قال :

كان الأصمعى يُعْجَبُ بشعر بشّار لكثرة فنونه وسعة تصرّفه، ويقول : كان مطبوعا
٥ لا يُكلَّف طَبْعه شيئا متعذّرا لا كمن يقول البيت ويحكّكه أياما . وكان يُشبّه بشّارا
بالأعشى والنّابغةِ الذُّبْيانىّ، ويشبّه مروانَ بزُهَير والحُطَيئة، ويقول : هو متكلّف .

قال الكُرَانىّ : قال أبو حاتم : وقلت لأبى زيد : أيُّما أشعرُ بشّارٌ أم مروان ؟
فقال : بشّار أشعر، ومروان أكفر .

قال أبو حاتم : وسألت أبا زيد مرّة أخرى عنهما فقال : مروان أجَدُّ وبشّارٌ
١٠ أَهْزَلُ؛ فحدّثت الأصمعىّ بذلك؛ فقال : بشّارٌ يصلُحُ للجِدّ والهزل، ومروان لا يصلُح
إلا لأحدهما .

كان شعره سيارا يتناشده الناس

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا علىّ بن مهدىّ قال حدّثنا
نجمُ بن النَّطّاح قال :

٢٦/٣ عَهدى بالبصرة وليس فيها غَزِلٌ ولا غَزِلةٌ إلّا يَرْوِى من شعر بشّار، ولا نائحةٌ
١٥ ولا مُغنّيةٌ إلّا تتكسّب به، ولا ذو شرفٍ إلّا وهو يَهابُه ويَخاف مَعرّةَ لسانه .

لم يأت فى شعره بلفظ مستنكر

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثنى أحمد
ابن المُبارك قال حدّثنى أبى قال :

قلتُ لبشّار : ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلّا وقد قال فيه شيئا آستنكرتْه
العربُ من ألفاظهم وشُكّ فيه ، وإنه ليس فى شعرك ما يُشكّ فيه؛ قال : ومن

٢٠ (١) كذا فى أكثر الأصول . وفى أ ، م ، حـ : «فى مجرى البنصر» .

أين يأتينى الخطأ! وُلِدتُ هاهنا ونشأتُ فى حُجور ثمانين شَيْخا من فُصحاء بنى عُقَيل ما فيهم أحدٌ يعرِف كلمة من الخطأ، وإن دخلتُ الى نسائهم فنساؤهم أفصحُ منهم، وأيفعتُ (١) فأبديتُ (٢) الى أن أدركتُ، فمن أين يأتينى الخطأ ! .

أخبرنى حَبيب بن نَصْر المهلّبىّ وأحمد بن عبد العزيز ويحيى بن علىّ قالوا حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

كان الأصمعىّ يقول : إنّ بشّارًا خاتمةُ الشعراء، والله لولا أنّ أيّامه تأخرتْ لفضّلتُه على كثير منهم .

هو أول الشعراء فى جملة من أغراض الشعر

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبو الفَضْل المَرْوَزىّ قال حدّثنى قَعْنَب بن المُحْرِز الباهِلىّ قال قال الأصمعىّ :

لَقِىَ أبو عمرو بن العَلاء بعضَ الرُّواة فقال له : ياأبا عمرو، مَنْ أبدعُ الناس بيتاً؟ قال : الذى يقول :

لم يَطُلْ ليلى ولكن لم أنَمْ * ونفَى عنّى الكَرَى طيفٌ ألَمّْ

رَوِّحى عنّى قليلا واعلَمى * أنّنى ياعَبْدَ من لحمٍ ودَمْ

قال : فَمَنْ أمدحُ الناس ؟ قال : الذى يقول :

لَمَستُ بكفّى كفَّه أبتغِى الغِنَى * ولم أدر أنّ الجود من كفّه يُعْدِى

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنَى * أفدتُ (٣) وأعدانى فأتلفت ما عندى

---

(١) يفع الغلام وأيفع اذا راهق البلوغ فهو يافع ولا يقال : موفع .

(٢) أبديت (بالبناء للفعول) : أخرجت الى البادية .

(٣) فى ء ، ط . « فبذرت » .

قال : فمَنْ أهجى الناس ؟ قال : الذى يقول :

رأيت السُّهيلَين آستوَى الجودُ فيهما * على بُعْد ذا من ذاك فى حُكم حاكمِ

سُهَيل بن عثمانٍ يَجود بمـاله * كما جاد بالوَجْعا[1] سُهَيلُ بن سالمِ

قال : وهذه الأبيات كلُّها لبَشّار .

٥ نسـبة ما فى هذا الخبر من الأشـعار التى يُغَنَّى فيهـا

صــوت

لم يَطُل ليـلى ولكن لم أنَمْ * ونفَى عنِّى الكرى طيفٌ ألمْ

واذا قلتُ لهـا جُودى لنـا * خرجتْ بالصَّمْت عن لا ونعَمْ

نَفِّسِى[2] يا عَبْـدَ عنِّى وآعلمى * أنّنى يا عبـدَ من لحمٍ ودمْ

١٠ إنّ فى بُرْدَىَّ جسما ناحِلا * لو توكّأتِ عليـه لآنهـدَمْ

خـتَم الحبُّ لهـا فى عُنُق * موضِعَ الخاتَمِ من أهل الذِّمَمْ

غناه إبراهيم هزَجًا بالسَّبّابة فى مجرى الوُسْطَى عن آبن المكىّ والهشامىّ . وفيه لَقعْنَب الأَسْـود خفيفُ ثقيلٍ . فأما الأبيات التى ذكر أبو عمرو أنّه فيهـا أمدحُ النـاس وأولهـا :

١٥ * لَمَسْتُ بكَفِّى كفَّه أبتَغِى الغِنَى *

٢٧/٣ فإنه ذكر أنها لبَشّار . وذكر الزُّبيرُ بنُ بَكّار أنها لآبن الخَيّاط فى المَهْدِىّ، وذكر له فيها معه خبرا طويلا قد ذكرته[3] فى أخبار آبن الخيّاط فى هذا الكتاب .

هجا صديقه ديسما لأنه يروى هجاءه

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا علىّ بن مَهْدِىّ الكِسْرَوِىّ قال حدّثنا أبو حاتم قال :

٢٠ (١) الوجعاء : الدبر . (٢) ورد فيما تقدم : « روّحى » . (٣) (أنظر ج ١٨ ص ٩٤ أغانى طبع بولاق) .

كان بشارٌ كثيرَ الوَلُوع بدَيْسَم العَنَزىّ وكان صديقا له وهو مع ذلك يُكثِرُ هجاءه، وكان ديسمٌ لا يزال يحفظ شيئا من شعر حمّادٍ وأبى هشام الباهلىّ فى بشّار، فبلغه ذلك فقال فيه :

أَدَيْسَمُ يابنَ الذئب من نَجْلِ زَارِعٍ * أَتَرْوِى هِجَائِى سَادِراً(١) غيرَ مُقْصِرِ

قال أبو حاتم : فأنشدْتُ أبا زيد هذا البيتَ وسألتُه ما يقولُ فيه، فقال : لِمَنْ هذا الشعرُ؟ فقلتُ : لبشار [يقوله(٢)] فى دَيْسَم العنزىّ، فقال : قاتله الله ما أعلَمَه بكلام العرب ! ثم قال : الدَّيسمُ : ولدُ الذئب من الكَلْبة، ويقال للكلاب : أولادُ زَارِع. والعِسْبَارُ : ولدُ الضَّبُع من الذئب(٣). والسِّمْعُ : ولَدُ الذئب من الضَّبع(٤). وتزعُم العَرَبُ أن السِّمعَ لا يموتُ حتفَ أنفِه، وأنه أسرَعُ من الريح وإنما هلاكُه بعَرَض من أعراض(٥) الدنيا.

مزاحه مع حمدان الخراط

أخبرنا حبيبُ بنُ نصرٍ المهلّبىّ قال حدّثنا عمرُ بنُ شَبّة قال :

كان بالبصرة رجلٌ يقال له : حَمْدانُ الخرّاطُ، فاتخذ جامًا لإنسان كان بشّارٌ عنده، فسأله بشارٌ أن يتخذَ له جامًا فيه صُوَرُ طيرٍ تطيرُ، فاتخذه له وجاءه به، فقال له : ما فى هذا الجامِ ؟ فقال : صُوَرُ طيرٍ تطيرُ، فقال [له(٦) : قد] كان ينبغى أن تتخذَ فوق

(١) السادر : الذى لا يهتمّ لشىء ولا يُبالى ما صنع. (٢) زيادة فى م، وهامش أ.

(٣) أى إن أمه ضبع وأباه ذئب كما ذكره الدميرىّ فى حياة الحيوان فى الكلام على الضبع.

(٤) اتفقت كتب اللغة على هذا التفسير ولعله « الذئبة » بالتاء لأن الذئب لا يذكر ويؤنث كالضبع. وفى كتاب الحيوان للجاحظ جزء ٦ ص ٤٥ ما يؤيد ذلك حيث قال : « والأعراب تزعم أن الله تعالى لم يدع ما كسا الا أنزل فيه بلية وأنه مسخ منهم اثنين ضبعا وذئبا فلهذه القرابة تسافدا وتناجلا وان اختلفا فى سوى ذلك، ومن ولدهما : السمع والعسبار وانما اختلفتا لان الام ربما كانت ضبعا والاب ذئبا وربما كانت الأم ذئبة والأب ذيخا والذيخ : ذكر الضباع ». (٥) هكذا فى ء، ط، حـ. وفى سائر النسخ : « بغرض من أغراض » بالغين وهو تصحيف. (٦) زيادة فى ء، ط.

هذه الطيرِ طائرا من الجوارح كأنه يُريدُ صيدَها، فإنه كان أحسنَ؛ قال : لم أعلم؛ قال : بَلَى قد علمتَ، ولكن عَلِمْتَ[1] أنى أعمى لا أُبصرُ شيئا ! وتَهدّده بالهجاء، فقال له حَمْدانُ : لا تفعَلْ فإنك تنـدَمُ ؛ قال : أَوَ تُهَدِّدُنى أيضـا ! قال : نعم ؛ قال : فأىّ شىْءٍ تستطيعُ أن تَصنعَ بى إن هجوتُكَ ! قال: أُصَوِّرُكَ على باب دارى بصُورَتكَ هذه وأجعَلُ مِنْ خلفكَ قِردًا يَنْكِحُكَ حتى يَراكَ الصَّادِرُ والوَارِدُ؛ قال[2] بشارٌ : اللّهمّ أَخْزِه، أنا أمازِحُهُ وهو يأبَى إلا الجِدَّ ! .

مفاخرة جرير بن المنذر السدوسى له وما قاله فيه بشار من الشعر

أخبرنا يحيى بن على بن يحيى والحسنُ بن علىّ ومحمـدُ بنُ عِمْرانَ الصَّيْرَفِىّ قالوا : حدّثنا العَنَزِىّ قال حدّثنى جعفر بن محمد [العدوىّ[3] عن محمد] بن سَلّام قال حدّثنى مَخْلَدٌ أبو سفيانَ قال :

كان جريرُ بنُ المُنْذِر السَّدُوسىّ يُفاخِرُ بشّارا، فقال فيه بشّارٌ :

أَمِثْـلُ بَنِى مُضَرٍ وَائِلٌ * فَقَـدتُكَ من فاخرٍ ما أَجَنّْ

أَفِى النومِ هـذا أبا مُنْـذِرٍ * فخَـيْرًا رأيتَ وخيرًا يَكُنْ

رأيتُــكَ والفخرَ فى مثلِهَا * كعاجنةٍ غيرَ ما تَطَّحِنْ

وقال يحيى فى خبره: فحدّثنى محمد بن القاسم قال حدّثنى عاصم[4] بنُ وهبٍ أبو شِبْلٍ الشاعرِ البُرْجُمِىّ قال حدّثنى محمدُ بن الحَجّاج السرادانىّ[5] قال :

(١) فى ء، ط : «ولكن قد علمت على أنى أعمى» (٢) فى ء، ط : «فقال» بالفاء. (٣) زيادة عن ء، ط وبها يستقيم السند. (٤) كذا فى ترجمته فى ج ١٣ ص ٢٢ أغانى طبع بولاق، وفى مواضع أخرى من هذا الكتاب. ووقع فى هذا الموضع فى اكثر النسخ «عصيم». وفى ء، ط : «عصم» وهو تحريف. (٥) هكذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول وفى معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص ص ١٣١ طبع بولاق «السوادىّ» ولم نعثر على تصحيحه.

كنّا عند بَشّار وعنده رجلٌ ينازعه فى اليمانيَة والمُضَرِيَّة إذ أذّن المؤذّن، فقال له بشار : رُوَيدًا، تفَهَّمْ هـذا الكلامَ؛ فلما قال : أشهدُ أنّ محمدا رسولُ الله، قال له بشّار : أهذا الذى نُودى باسمه مع اسم الله عزّ وجلّ من مُضَرَ هو أم من صُدَاءٍ وَعَكٍّ وحِمْيَر؟ فسكتَ الرجلُ .

نقده للشعر

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال أُنشِدَ[1] بشّارٌ قولَ الشاعر: ٥

وقد جَعل الأعداءُ ينتقِصُوننا * وتطمَعُ فينا ألسُنٌ وعيونُ
ألا إنمـا ليلى عَصَا خَيْزُرَانةٍ * إذا غمزُوها بالأكُفّ تلينُ

فقال : والله لو زعم أنها عَصا مُخٍّ أو عصا زُبْدٍ، لقد كان جعلها جافيةً خَشِنَةً بعد أن جعلها عصًا ! ألا قال كما قلتُ : ٢٨/٣

ودَعْجاءِ المَحَاجِرِ من مَعَدٍّ * كأن حديثَها ثَمَرُ الجِنَانِ ١٠
إذا قامت لِمشيتِها[2] تثنّتْ * كأن عظامَها من خَيْزُرانِ

اعتداده بنفسه

أخبرنى حَبيبُ بن نَصْر المهلّبىّ قال حدّثنا عمر بنُ شَبَّة قال أخبرنى محمد بن [صالح بن][3] الحجاج قال :

قلتُ لبشار : إنّى أنشدتُ فلانا قولكَ :

إذا أنتَ لم تَشرَبْ مِرَارًا على القَذَى * ظَمِئْتَ وأىُّ الناسِ تَصفُو مَشارِبُهْ ١٥

فقال لى : ما كنتُ أظنه إلا لرجل كبير؛ فقال لى بشار : ويلك ! أفلا قلتَ له : هو والله لأكبرِ الجنِّ والإنسِ ! .

---

(١) كذا فى ى ، ط . وفى باقى الأصول : «أنشدنا بشار» . (٢) كذا فى جميع الأصول وفى كامل المبرد ج ٢ ص ٤٩٧ طبع أوروبا : «لسُبْحَتِها» والسُّبحة : صلاة التطوع والنافلة . والمشهور فى رواية هذا البيت * اذا قامت لحاجتها تثنت * (٣) زيادة فى ى ، ط . ٢٠

وعدته امرأة واعتذرت فعاتبها بشعر

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيهْ قال حدّثني أبو الشِّبْل عن محمد بن الحجاج قال :

كان بَشّارٌ يَهوَى امرأةً من أهل البصرة فراسلَها يسألُها زيارتَه، فوعدتْه بذلك ثم أخلفَتْه، وجعل ينتظرها ليلتَه حتى أصبح ، فلما لم تأته أرسل إليها يُعاتبُها ،
٥ فاعتذَرتْ بمرض أصابها، فكتب إليها بهذه الأبياتِ :

يالَيْلَتِي تزدادُ نُكْرَا * مِن حُبِّ مَنْ أحببتُ بِكْرَا
حَوراءُ إن نظرت إليـ * ـكَ سقتكَ بالعينين خَمرَا
وكأن رَجْعَ حديثِها * قِطَعُ الرياض كُسِينَ زَهْرَا
وكأن تحت لسانها * هاروتَ ينفُثُ فيه سِحْرَا
١٠ وتخالُ ما جمعَتْ عليـ * ـه ثيابَها ذهبًا وعِطْرَا
وكأنها بَرْدُ الشرا * بِ صَفَا ووافق منك فِطْرَا
جِنِّيَّةٌ إنسيَّةٌ * أو بينَ ذاك أجلُّ أمرَا
وكفاكَ أنّي لم أحِطْ * بشَكاةِ مَنْ أحببتُ خُبرَا
إلا مقالةَ زائرٍ * نثرتْ لِيَ الأحزانَ نثرَا
١٥ مُتخشِّعًا تحت الهوَى * عشرًا وتحت الموتِ عشرَا

كان إسحاق الموصلي لا يعتدّ به ويفضل عليه مروان

حدّثني جَحْظَةُ قال حدّثني عليّ بن يحيى قال :

كان إسحاقُ الموصليّ لا يَعتَدُّ ببشارٍ ويقول : هو كثيرُ التخليط في شعره [(١)]، وأشعارُه مُختلفةٌ، لا يُشبِه بعضُها بعضًا؛ أليس هو القائل :

(١) كذا في أكثر النسخ . وفي سـ ، أ ، م : «في نثره» .

إنما عَظْمُ سُلَيمَى حِبَّتى[1] * قَصَبُ السُّكَّرِ لا عَظْمُ الجَمَلْ

وإذا أدْنَيتَ منها بَصَلًا * غلبَ المِسكُ على ريح البَصَلْ

لو قال كلَّ شيء جيّدٍ ثم أُضيفَ إلى هذا لزيَّفَهُ . قال : وكان يُقدِّمُ عليه مَرْوانَ ويقول : هذا هو أشدُّ آستواءَ شِعْرٍ منه ، وكلامُه ومذهبُه أشبهُ بكلام العرب ومذاهبها ، وكان لا يَعُدُّ أبا نواس آلبتةَ ولا يَرى فيه خيرا . ٥

أنشد إبراهيم بن عبد الله هجوه للنصور ولما قتل غيرها وجعلها فى هجو أبى مسلم

حدّثنا محمد بن علىّ[2] بن يحيى قال حدّثنا محمدُ بن زكريّا قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التَّيْمىّ قال : ٢٩/٣

دخل بَشّار الى إبراهيمَ بنِ عبدالله بن حسن ، فأنشده قصيدةً يهجو فيها المنصورَ ويُشيرُ عليه برأيٍ يستعمله فى أمره ، فلما قُتِلَ إبراهيمُ خاف بشّارٌ ، فقلبَ الكنيةَ ، وأظهر أنه كان قالها فى أبى مُسلم وحذَف منها أبياتا وأوّلُها : ١٠

أبا جعفرٍ ما طولُ عيشٍ بدائمٍ * ولا سالمٌ عمَّا قَليلٍ بسَالمِ

قلب هذا البيت فقال : "أبا مسلم"

على المَلِكِ الجبّار يَقتحِمُ الردى * ويصرَعُه فى المأزِق المتلاحمِ

كأنك لم تَسمَعْ بقتلِ مُتوَّجٍ * عظيمٍ ولم تسمع بفَتكِ[3] الأعاجمِ

تَقَسَّمَ كِسرَى رهطُه بسيوفهم * وأمسى أبو العباسِ أحلامَ نائمِ ١٥

يعنى الوليدَ بن يزيدَ

وقد كان لا يَخشَى آنقلابَ مكيدةٍ * عليه ولا جَرْيَ النُّحُوسِ الأشائمِ

مُقيمًا على اللذّاتِ حتى بَدَتْ له * وجوهُ المنايا حاسِراتِ العمائمِ

(١) كذا فى أكثر النسخ . وفى أ ، م ، حـ : «خلتى» وكلاهما بمعنى الصديقة والمحبوبة .

(٢) كلمة «آبن على» ساقطة فى أ ، م ، حـ . (٣) فى ء ، ط : «ولم تعلم بقتل الأعاجم» . ٢٠

وقد تَرِدُ الأيامُ غُرًّا ورُبَّما * وَرَدْنَ كُلُوحًا باديات الشكائم

ومروانُ[1] قد دارَتْ على رأسه الرحى * وكان لمَا أجرمْتَ نَزْرَ الجرائم

فأصبحتَ تجرى سادرًا فى طريقهم * ولا تَتَّقِى أشباهَ تلكَ النقائم

تجرَّدتَ للاسلام تَعفُو[2] سبيلَه * وتُعرِى مَطاهُ[3] لليُوثِ الضراغم

فما زلتَ حتى استنصرَ الدينُ أهلَه * عليكَ فعاذُوا بالسيوفِ الصوارم

فَرُمْ وَزَرًا يُنْجِيكَ يابنَ سَلامةٍ * فلستَ بِناجٍ من مَضِيمٍ وضائم

جعل موضع «يابنَ سلامة» «يابن وشيكة[4]» وهى أمّ أبى مسلم .

لَحَا الله قوما رأَّسُوكَ عليهمُ * وما زلتَ مَرءوسًا خبيثَ المطاعم

أَقُولُ لِبسَّامٍ عليه جَلالَةٌ * غَدَا أَرْيَحيًّا عاشقًا للمكارم

من الفاطميِّينَ الدُّعاةِ الى الهدَى * جِهارًا ومَنْ يَهْدِيكَ مثلُ ابنِ فاطم[5]

هذا البيتُ الذى [خافه و][6] حذفه بشارٌ من الأبيات .

سِراجٌ لعينِ المستضِىءِ وتارةً * يكون ظَلامًا للعدوِّ المزاحم

اذا بلغَ الرأىُ المَشُورةَ فاستعِنْ * برأىِ نَصِيحٍ أو نَصِيحةِ حازمِ

ولا تجعَلِ الشُّورَى عليكَ غضاضَةً * فإنَّ الخوافِى قُوَّةٌ للقوادمِ

وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ[7] أختَها * وما خيرُ سيفٍ لم يُؤَيَّدْ بقائمِ

(١) يريد به مروان الحمار آخر ملوك بنى أمية الذى قتله أبو العباس السفاح بمصر .

(٢) تعفو : تمحو، يقال : عفت الريح المنزل أى محته ودرسته . (٣) المطا : الظهر .

(٤) كذا فى أكثر الأصول : وهو الموافق لما فى وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ٣٩٧) فى ترجمة أبى مسلم الخراسانى . وفى ط : «وشيلة» . (٥) أصله فاطمة فرخمه بحذف تاء التأنيث، والترخيم فى غير النداء جائز للضرورة . (٦) زيادة فى ط . (٧) الغل بالضم : الحديدة التى تجمع بين يد الأسير وعنقه، وتسمى الجامعة .

وخَلِّ الهُوَينَا للضّعيف ولا تكُنْ * نَؤُوماً فإن الحَـزْمَ ليس بنـائم

وحارِبْ اذا لم تُعطَ إلا ظُلَامـةً * شَبَا الحربِ خيرٌ من قَبُول المظالِم

قال محمد بن يحيى : فحدّثنى الفضلُ بن الحُبَـاب قال سمعتُ أبا عثمانَ المـازِنىّ يقول سمعتُ أبا عبيدةَ يقول: مِيميَّةُ بشّارٍ هذه أحب الىّ من مِيميَّتَىْ جريرٍ والفرزدقِ.

قال محمد : وحدّثنى ابنُ الرِّيَاشىّ قال حدّثنى أبى قال : ٥

حديث بشار فى المشورة

قال الأصمعىّ قلت لبشّار : ياأبا مُعاذ، إن النـاس يَعجَبُونَ من أبياتك فى المَشُورة؛ فقال لى : يا أبا سـعيد ، إن المُشاوِرَ بين صَوابٍ يفوزُ بثمرته أو خَطأٍ يُشارَكُ فى مكروهه؛ فقلت له : أنت واللهِ فى قولكَ هذا أشعرُ منكَ فى شعرك .

٣٠ / ٣

بشار والمعلى بن طريف

حدّثنى الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا الفَضْلُ بنُ محمد اليَزِيدىّ عن إسحاقَ وحدّثنى به محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهرِ عن حَمّاد عن أبيه قال : ١٠

كان بشّارٌ جالسا فى دار المهـدىّ والناسُ ينتظرونَ الإذنَ، فقال بعضُ موالى المهدىّ لمن حضر : ما عندكم فى قول الله عزّ وجلّ :

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ ﴾ فقال له بشارٌ : النّحلُ التى يعرِفُها الناسُ؛ قال : هيهاتَ يا أبا مُعاذ ، النحلُ : بنو هاشمٍ ، وقوله : ﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ يعنى العـلم؛ ١٥ فقال له بشّار : أَرَانِى اللهُ طعامَكَ وشرابَكَ وشِفَاءكَ فيما يخرجُ من بطون بنى هاشم ، فقـد أوسَعْتَنا غَثَاثةً ؛ فغضِبَ وشتَم بشّارا ، وبلغ المهدىَّ الخبرُ فدعا بهما فسألهما عن القصة ، فحدّثه بَشّارٌ بها ؛ فضحِكَ حتى أمسكَ على بطنِه ، ثم قال للرجل : أَجَلْ ! فجعل اللهُ طعامكَ وشرابكَ ممـا يخرجُ من بطون بنى هاشمٍ ، فإنكَ باردٌ غَثٌّ . وقال

محمد بن مَزْيَدَ فى خبره : إنّ الذى خاطبَ بشّارا بهذه الحكاية وأجابه عنها مِنْ موالِى المهدىّ المُعَلَّى بنُ طَرِيف .

بشار ويزيد بن منصور الحميرى

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخل يَزيدُ بنُ منصور الحِمْيَرِىُّ على المَهْدِىّ وبشّارٌ بين يديه يُنشِدُه قصيدةً ٥ آمتدحه بها، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيدُ بن منصور الحِمْيَرِىّ، وكانت فيه غَفْلَةٌ، فقال له : يا شيخُ، ما صناعتُكَ؟ فقال : أَثقُبُ اللؤلؤَ ؛ فضحك المهدىّ ثم قال لبشّار : أُعْزُبْ[1] ويلكَ، أَتتنادَرُ على خالى ! فقال له : وما أصنعُ به ! يرى شيخا أعمى يُنشِدُ الخليفةَ شِعراً ويسأله عن صناعته ! .

ترك جواب رجل عاب شعره للؤمه

أخبرنى الحسين عن حمّاد عن أبيه قال :

١٠ وقف على بَشّار بعضُ المُجّانِ وهو يُنشِدُ شعرا ؛ فقال له : آستُرْ شعرَكَ هذا كما تستُرُ عورتَكَ؛ فصفَّقَ بشّارٌ بيديه وغضِب وقال له : من أنت ويلك ؟ قال : أنا أعزّكَ الله رجل من باهِلَةَ[2]، وأخوالى [من[3]] سَلُولُ[4]، وأصهارى عُكْلٌ[5]، وآسمى كلبٌ، ومولدى بأُضَاخ[6]،ومنزلى بنَهْرِ[7] بلال؛ فضحك بشّارٌ ثم قال : آذهب ويلكَ! فأنت عَتِيقُ لؤمِك، قد علم اللهُ أنك آستترتَ منّى بحصونٍ من حديد .

---

١٥ (١) اعزب : ابعد . وفى ى ، ط ، حـ : «اغرب» بالغين المعجمة والراء المهملة وهى بمعناها .
(٢) باهلة : قبيلة من قيس عيلان وهو اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده اليها . (٣) زيادة فى ى ، ط . (٤) سلول : قبيلة من هوازن وهم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وسلول أمهم نسبوا اليها . (٥) عكل : قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق : عكلىّ . (٦) أضاخ : قرية من قرى
٢٠ اليمامة لبنى نمير . (٧) كذا فى ى ، ط . ونهر بلال بالبصرة احتفره بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، وجعل على جنبيه حوانيت ونقل اليها السوق . وفى حـ : «ظهر بلال» . وفى باقى الأصول : «ظفر بلال» وكلاهما تحريف .

وصف قاص قصرا كبيرا فى الجنة فعابه

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى الفضلُ بنُ سَعيد قال حدّثنى أبى قال :

مرّ بشّار بقاصٍّ بالبصرة[(١)] فسمعه يقولُ فى قصَصِه : مَنْ صام رجبا وشعبانَ ورمضانَ بنى اللهُ له قصرًا فى الجنّة صَحْنُه ألفُ فرسخ فى مثلها وعُلْوُه ألفُ فرسخ وكلّ باب من أبواب بيوته ومقاصِيره عشرةُ فراسخ فى مثلها، قال: فالتفتَ بشّارٌ إلى قائده فقال : بئستْ واللهِ الدارُ هذه فى كانون الثانى[(٢)] .

سمع صخبا فى الجيران فقال كأن القيامة قامت

قال الفضلُ بنُ سَعيد وحدّثنى رجلٌ من أهل البصرة ممن كان يتزوج بالنّهارِيَّاتِ[(٣)] قال : تزوجتُ امرأةً منهن فاجتمعتُ معها فى عُلْوِ بيتٍ وبشّار تحتنا، أوكنّا فى أسفل البيت وبشّارٌ فى عُلْوِ مع امرأةٍ، فنهَق حمارٌ فى الطريق فأجابه حمار فى الجيران وحمارٌ فى الدار فارتجّتِ الناحيةُ بنهيقها، وضربَ الحمارُ الذى فى الدار الأرضَ برجله وجعل يَدُقُّها بها دقًّا شديدا؛ فسمعتُ بشّارا يقول للمرأة : نُفِخَ — يعلم الله — فى الصُّورِ وقامتِ القيامةُ أما تسمَعِينَ كيف يُدَقُّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها ! قال : ولم يلبث أن فَزِعَتْ شاةٌ كانت فى السطح فقطعَتْ حبلَها وعَدَت فألقَتْ طبقا وغَضَارةً[(٤)] الى الدار فانكسرا، وتطاير حمامٌ ودَجَاجٌ كُنّ فى الدار لصوت الغضارة وبكى صبيّ فى الدار، فقال بشّار : صحّ واللهِ الخبرُ ونُشِرَ أهلُ القبور من قبورهم أَزِفَتِ — يشهدُ اللهُ — الآزفَةُ وزُلزِلَتِ الأرضُ زِلزالَها، فعجبْتُ من كلامه وغاظنى ذلك،

---

(١) كذا فى ى ، ط . وفى باقى الأصول : «بالمدينة» .

(٢) كانون الأول وكانون الثانى : شهران شمسيان يقعان فى قلب الشتاء، معربان عن الرومية .

(٣) كذا فى جميع الأصول ولعلها نسبة الى بنى النهارى : قبيلة من الأشراف باليمن .

(٤) فى ى ، ط : «فألقت طبقا فيه غضارة» والغضارة : القصعة الكبيرة فارسية . وفى أ ، م : «فألقت طبقا وغرارة» .

فسألتُ مَن المتكلم؟ فقيل لى: بشارٌ، فقلت: قد علمتُ أنه لا يتكلّم بمثل هذا غيرُ بشّارٍ.

نكتة له مع رجل رمحته بغلة فشكر الله

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن محمد جدار[1] قال حدّثنى قُدامةُ بن نوح قال:

مرّ بشارٌ برجل قد رمحته[2] بغلةٌ وهو يقول: الحمد لله شكرًا، فقال له بشّار: اِستزِده يَزِدْك. قال: ومرّ به قومٌ يحملون جنازة وهم يُسرعون المشىَ بها، فقال: ما لهم مُسرعِين! أتُراهُمْ سَرَقُوه فهم يخافون أن يُلْحَقُوا فيُؤخذَ منهم!.

مات ابن له فرثاه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه عن عافيةَ بن شَبيب، وأخبرنى به وكيعٌ عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جُمْهورٍ[3]، قالا:

تُوُفِّىَ آبنٌ لبشار فجزِعَ عليه، فقيل له: أجرٌ قدّمتَهُ، وفَرَطٌ آفترطتَه، وذُخْرٌ أحرزْتَه، فقال: ولَدٌ دفنتُه، وثُكْلٌ تعجّلتُه، وغَيبٌ وُعِدتُه فانتظرتُه؛ والله لئن لم أجزَعْ للنقص لا أفرحُ للزيادة. وقال يرثيه:

أَجارتَنا لا تَجْـزَعى وأنيبِى ✻ أتانى من الموت المُطِلِّ نَصيبِى
بُنَيَّ على رَغْمِى وسُخْطِى رُزِئْتُه ✻ وبُدِّلَ أحجارا وجالَ[4] قليبِ
وكان كرَيحانِ الغصون تَخالُه[5] ✻ ذَوَى بعد إشراقٍ يَسُرُّ وطيبِ

(١) هكذا ورد هذا الاسم فى أكثر الأصول. وفى ء هكذا: «محمد بن حصار» وفى ط هكذا: «محمد بن صمار». وفى العرب من تسمى بجدار وحصار. ولم نوفق الى تحقيقه فى الكتب التى بأيدينا.
(٢) رمحته: رفسته.
(٣) كذا فى ء، ط. وفى باقى الأصول: «قال» بالإفراد.
(٤) الجال: الجانب، والقليب فى الأصل: البئر لأنها قلبت الأرض بالحفر، والمراد هنا القبر.
(٥) كذا فى ء وإحدى روايتى ط. وفى أ، م ورواية فى ط: «الفروس». وفى ب، سـ: «العروس».

أُصِيبَ بُنَيّ حين أورَقَ غُصنُه * وألْقَى علىّ الهَمّ كُلُّ قَرِيبِ
عَجِبتُ لإسراع المنيّة نحوه * وما كان لو مُلِّيتُه بعَجِيبِ[1]

نوادره

أخبرنى يحيى بن علىّ قال ذكر عافيةُ بنُ شَبيب عن أبى عثمانَ الليثىّ، وحدّثنى به الحسنُ بن علىّ عن ٱبن مَهْرُويَهْ عن أبى مُسلم، قالا :

رفَع غلامُ بشّارٍ إليه فى حساب نفقته جِلاءَ مِرْآةٍ عَشَرةَ دراهمَ، فصاح به بشّارٌ وقال : والله ما فى الدنيا أعجبُ من جِلاء مِرْآةِ أعمى بعشَرةِ دراهمَ، والله لو صَدِئَتْ عينُ الشمسِ حتى يبقَى العَالَمُ فى ظُلْمةٍ ما بلغتْ أجرةُ مَنْ يَجْلوها عشرةَ دراهمَ .

أخبرنا محمدُ بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى المُغيرةُ بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنا أبو مُعاذ النُّميرىّ قال : قلت لبشّار : لِمَ مَدَحتَ يزيدَ بنَ حاتم ثم هجوتَه؟ قال : سألنى أن أَنيكَه فلم أفعل؛ فضَحِكتُ ثم قلتُ : فهو كان ينبغى له أن يغضَبَ، فما موضعُ الهجاء! فقال : أظُنّكَ تُحبّ أن تكونَ شريكَه؛ فقلت: أعوذ بالله من ذلكَ ويْلَكَ[2]!

سئل عن شعره الغث فأجاب

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ٱبنُ مَهْرُويَهْ قال حدّثنا أحمد بن خَلّاد، وأخبرنا يحيى بن علىّ ومحمد بن عِمْرانَ الصَّيرَفىّ، قالا حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا أحمد بن خَلّاد قال حدّثنى أبى قال قلتُ لبشّارٍ : إنكَ لَتجىءُ بالشىءِ الهَجينِ[3] المتفاوِت، قال : وما ذاكَ ؟ قال قلتُ : بينما تقول شعرا تُثيرُ[4] به النقعَ وتَخلعُ به القلوبَ، مثل قولك :

إذا ما غَضِبنا غَضْبةً مُضَرِيّةً * هَتَكنا حِجابَ الشمس أو تُمْطِرَ الدمَا
إذا ما أعَرْنا سَيِّدًا من قبيلةٍ * ذُرَى مِنْبرٍ صلّى علينا وسَلّمَا

(١) مليته : متعت به؛ يقال ملاك الله حبيبك أى متعك به وأعاشك معه طويلا . (٢) كذا فى ء، ا . وفى باقى النسخ : «ويك»، وهو تحريف . (٣) كذا فى أكثر الأصول، وفى ء، ط : «المهجن» . (٤) كذا فى ء، ط . وفى باقى الأصول : «يثير النقع» .

٣٢/٣ تقــول :

رَبَابَةُ رَبَّةُ البيتِ * تَصُبُّ الخلَّ فى الزَّيتِ
لهــا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ * وديكٌ حَسَنُ الصَّــوتِ

فقال : لكُلِّ وَجهٌ وموضعٌ ، فالقولُ الأوّلُ جِدٌّ ، وهذا قُلتُه فى رَبَابَةَ جاريتى ، وأنا

٥ لا آكُلُ البيضَ من السُّوقِ ، ورَبَابةُ [هذه][(١)] لها عَشْرُ دجاجاتٍ وديكٌ فهى تجمعُ لى البيضَ [وتحفَظُه عندها][(١)] ، فهذا عندها مِنْ قولى أحسَنُ مِنْ :

* قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حبيبٍ ومَنزِلِ *

عنــدكَ .

كان يحشو شعره بما لا حقيقة له تكميلا للقافية

أخبرنى الحسنُ [بن علىّ][(٢)] قال حدّثنى أحمدُ بن محمد جِدَار قال حدّثنى قُدامةُ

١٠ ابن نوح قال :

كان بشّار يحشُو شِعرَه إذا أعوزَتْه القافيةُ والمعنى بالأشـياء التى لا حقيقةَ لها ، فمن ذلك أنه أنشدَ يوما شعرا له فقال فيه :

* غَنِّنى للغَريضِ يا بنَ قنانٍ *

فقيــل له : مَنِ آبنُ قنان هــذا ، لسنا نعرفه من مُغَنِّى البصرة؟ قال : وما عليكم

١٥ منه ! ألكم قِبَلَهُ دَينٌ فتطالبوه به ، أو ثأرٌ تُريدون أن تُدركوه ، أو كَفَلْتُ لكم به فإذا غاب طالبتُمونى بإحضاره ؟ قالوا : ليس بيننا و بينه شىء من هذا ، و إنمـا أردنا أن نَعرِفَه ، فقــال : هو رجل يُغَنِّى لى ولا يخرُجُ من بيتى ؛ فقالوا له : إلى متى ؟ قال : مُذ يومَ وُلِدَ و إلى يومِ يموتُ . قال : وأنشدنا أيضا فى هذه القصيدة :

... ... ووافا[(٣)] * نى هلالُ السماء فى البردانِ

٢٠ (١) زيادة عن ء ، ط .
(٢) زيادة عن ء . (٣) بياض فى جميع الأصول .

فقلنا : يا أبا مُعاذ . أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفُه بالبصرة، فقال : هو بيت فى بيتى سمّيتُه البردان، أفعليكم مِنْ تَسميتى دارى و بيوتَها شىء فتسألونى عنه ! .

حدّثنى هاشمُ بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنى أبو غَسّانَ دَمَاذ ــ واسمه رَفيعُ بن سَلَمَةَ ــ قال حدّثنى يحيى بنُ الجَوْنِ العَبْدىّ رَاوِيةُ بشّارٍ قال :

كنا عند بشّار يوما فأنشدَنا قولَه :

وجاريةٍ خُلقَتْ وحدَها * كأنّ النساءَ لَدَيْها خَدَمْ

دُوَّار[1] العذارَى اذا زُرْنَها * أطَفْنَ بحَوراءَ مثلِ الصَّنَمْ[2]

ظَمِئتُ إليها فلم تَسْقِنى * بِرِىٍّ ولم تَشْفِنِى من سَقَمْ

وقالت هَوِيتَ فمتْ راشدًا * كما مات عُروةُ[3] غَمًّا بغَمّ

فلما رأيتُ الهوى قاتِلى * ولستُ بجارٍ ولا بابنِ عمّ

دسَسْتُ إليها أبا مِجْلَزٍ * وأىّ فتًى إن أصابَ آعتزَمْ

فما زال حتى أنابتْ له * فراح وحلَّ لنا ما حَرُمْ

فقال له رجل : ومَنْ أبو مِجْلزٍ هذا يا أبا مُعاذ ؟ قال : وما حاجتك اليه ! لك عليه دينٌ أو تُطالبُه بطائلةٍ[4] ! هو رجل يتردّدُ بينى و بين مَعارِفى فى رسائلَ . قال : وكان كثيرا ما يحشُو شعرَه بمثل هذا .

---

(١) كذا فى جميع النسخ والدوار بضم الدال وفتحها مع تخفيف الواو وقد تشدّد : صنم كانت العرب تنصبه، يجعلون موضعا حوله يدورون به، وهو وارد هنا على وجه التشبيه؛ وفى زهر الآداب ج ٢ ص ١١٩ طبع المطبعة الرحمانية : «رواء» . (٢) كذا فى زهر الآداب وفى جميع الأصول : «الضمم» بالضاد المعجمة والميم، وهو تحريف . (٣) يشير الى عروة بن حزام العذرى صاحب عفراء، أحد العشاق المشهورين الذين قتلهم العشق . (٤) الطائلة : الدحل والثأر .

شعره فى قينة

أخبرنى محمدُ بنُ مَزْيد بن أبى الأزهر قال حدثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه قال: كانتْ بالبصرة قَيْنَةٌ لبعض وَلَدِ سليمان بن علىّ وكانت مُحسنةً بارعةَ الظَّرف، وكان بشّار صـديقًا لسيِّدها ومدّاحًا له، فحضر مجلسَه يوما والجارية تُغَنِّى، فسُرَّ بحضوره وشرِب حتى سكِر ونام، ونهَض بشّار، فقالت: يا أبا مُعاذ، أُحِبُّ أن تَذكُرَ يومنا
٥ هـذا فى قصيدة ولا تذكُرَ فيها ٱسمى ولا ٱسمَ سيِّدى وتَكْتُبَ بها إليه، فٱنصرف وكتب إليه:

وذاتِ دَلٍّ كأن البـدرَ صُورتُها * باتتْ تُغَنِّى عميـدَ(1) القلبِ سكرانَا:
(إنّ العيونَ التى فى طَرْفها حَوَرٌ * قَتَلْننا ثم لم يُحيِينَ قتلانَا)
فقلتُ أحسنْتِ يا سُؤْلِى ويا أملى * فأسمِعِينى جزاكِ اللهُ إحسانَا:
١٠ (يا حبّذا جبلُ الرَّيّان(2) من جبلٍ * وحبّذا ساكنُ الريّانِ مَنْ كانَا)
قالتْ فهلّا، فدَتكَ النفسُ، أحسنَ منْ * هـذا لمَنْ كان صبَّ القلبِ حيرانَا:
(ياقومِ أُذْنِى لبعض الحىِّ عاشقةٌ * والأذنُ تَعشَقُ قبلَ العين أحيانَا)
فقلتُ أحسنتِ أنتِ الشمسُ طالعةً * أضرمْتِ فى القلب والأحشاءِ نيرانَا
فأسمِعِينِى صوتًا مُطرِبًا هَزَجًا(3) * يزيدُ صَبًّا مُحِبًّا فيكِ أشجانَا
١٥ ياليتنى كنتُ تُفّاحًا مُفَلَّجةً(4) * أو كنتُ من قُضُبِ الريحان رَيحانَا
حتى اذا وَجَدَتْ رِيحِى فأعجبَها * ونحن فى خَلوةٍ مُثِّلْتُ إنسانَا
فحرّكَتْ عُودَها ثم ٱنثنتْ طَرَبًا * تَشْدُو به ثم لا تُخفِيه كِتمانَا:
(أصبحْتُ أطوعَ خَلقِ الله كلِّهمِ * لأكثرِ الخلقِ لى فى الحبِّ عِصيانَا)

٣٣/٣

(1) عميد القلب: مريضه، يقال: قلب عميد اذا هدّه العشق وكَمِده. (2) الريان: جبل فى ديار طيّئ لا يزال يسيل منه الماء، وهو فى مواضع كثيرة منها. (3) الهزج: ضرب من ضروب الأغانى فيه تطريب بتدارك الصوت وتقاربه. (4) مفلّجة: مقسمة، ويريد بذلك أنها اذا قسمت كانت أسطع نفحا وأضوع شذا وطيبا.
٢٠

فقلتُ أطربْتِنا يازَيْنَ مجلسنا * فهاتِ إنك بالإحسانِ أولانا
لو كنتُ أعلمُ أنّ الحبَّ يقتُلُنى * أعددتُ لى قبل أن ألقاكِ أكفانا
فغنّتِ الشَّرْبَ صوتًا مُؤْنِقًا (١) رَمَلًا * يُذْكِى السّرورَ ويُبْكِى العينَ ألوانا:
(لا يَقتُلُ اللهُ مَنْ دامتْ مَودّتُهُ * واللهُ يقتُلُ أهلَ الغَدْرِ أحيانا)

ووجّه بالأبيات إليها، فبعث إليه سيّدُها بألفَىْ دينار وسُرَّ بها سرورا شديدا . ٥

أغضب أعرابىّ عند مجزأة بن ثور فهجاه

أخبرنى أحمدُ بن العباس العسكرىّ قال حدثنى الحسنُ بن عُلَيل قال حدثنى علىّ بن منصور أبو الحسن الباهلىّ قال حدّثنى أبو عبد الله المقرئُ الجَحْدَرىّ الذى كان يقرأ فى المسجد الجامع بالبصرة، قال :

دخلَ أعرابىّ على مَجْزَأَةَ بنِ ثور السَّدُوسىّ وبشّارٌ عنده وعليه بِزّةُ الشعراء، فقال الأعرابىّ : مَنِ الرجلُ؟ فقالوا : رجلٌ شاعرٌ، فقال : أَمَوْلًى هو أمْ عَرَبىّ؟ قالوا : ١٠ بل مولًى ؛ فقال الأعرابىّ : وما للموالى وللشعر ! فغضبَ بشّارٌ وسكتَ هُنيهةً ، ثم قال : أتأذَنُ لى يا أبا ثورٍ؟ قال : قل ما شئتَ يا أبا مُعاذ، فأنشأ بشّارٌ يقول :

خليلىّ لا أنامُ على اقتسارِ * ولا آبَى على مَوْلًى وجارِ
سأُخبِرُ فاخرَ الأعراب عنّى * وعنه حين تأذَنُ بالفَخارِ
أحين كُسِيتَ بعد العُرْىِ خَزًّا * ونادَمْتَ الكرامَ على العُقَارِ ١٥
تُفَاخِرُ يا بنَ راعيةٍ وراعٍ * بنى الأحرارِ حَسْبُكَ مِنْ خَسارِ
وكنتَ إذا ظمِئْتَ الى قَرَاحٍ * شَرِكْتَ الكلبَ فى وَلْغِ الإطارِ (٢)
تُرِيغُ (٣) بخُطبةٍ كسرَ الموالى * ويُنْسِيكَ المكارمَ صيدُ فارِ

(١) مؤنقا : معجبا ، يقال : آنقنى الشىء فهو مؤنق وأنيق كما يقال مؤلم وأليم ؛ والرمل : ضرب من الأغانى . (٢) من معانى الإطار : ما حول البيت فلعله المراد هنا وأن الكلب يلغ فى المياه ٢٠ الراكدة حول الدور . (٣) تريغ : تريد وتطلب وهو المناسب لسياق الكلام ، وفى جميع الأصول : «تربع» بالعين المهملة .

وتَغـدُو[1] للقنـافذ تَدَّرِيهـا[2] * ولم تَعقِـلْ[3] بدَرَّاج[4] الدِّيارِ
وتَتَّشِـحُ[5] الشِّمالَ لِلابسيهـا * وتَرعَى الضأنَ بالبلَـدِ القِفارِ
مُقامُكَ بيننـا دَنَسٌ علينـا * فليتَـكَ غائبٌ في حَرِّ نارِ
وفخرُكَ بين خنزيرٍ وكلبٍ * على مِثلِي من الحـدَثِ الكُبَّارِ

٣٤
٣

فقال مجزأةُ للأعرابيّ : قَبحَكَ اللهُ ! فأنتَ كَسبْتَ هذا الشرَّ لنفسك ولأمثالك ! . ٥

خشي لسانه حاجب محمد بن سليمان فأذن له بالدخول

أخبرني أحمدُ بنُ العباس العسكريّ قال حدّثني العَنَزِيّ عن الرِّياشيّ قال : حضرَ بشّارٌ بابَ محمد بن سليمان ، فقال له الحاجبُ : آصبِر ؛ فقال : إنّ الصبرَ لا يكون إلا على بليّةٍ ؛ فقال له الحاجبُ : إنّي أظنُّ أنّ وراءَ قولكَ هذا شرًّا ولن أتعرَّضَ له ، فقم فادخُل .

بشار وهلال الرأى

١٠ أخبرني وكيعٌ قال حدّثنا أبو أيّوبَ المَدينيّ عن محمد بن سلّام قال : قال هلال الرأى[6] — وهو هلالُ بنُ عطيةَ — لبشّارٍ وكان له صديقا يمازحه : إنّ اللهَ لم يُذهِبْ بصرَ أحدٍ إلا عَوّضه بشيء ، فما عوّضَك؟ قال : الطويلَ العريضَ ؛ قال : وما هذا ؟ قال : ألّا أراكَ ولا أمثالك من الثقلاء . ثم قال له : يا هلال أتُطيعُني

(١) كذا في أكثر الأصول بالغين المعجمة . وفي حـ : « تعـدو » بالعين المهملة .
١٥ (٢) تدّريها : تختلها لتصيدها . (٣) كذا في جميع النسخ ، ولعله « تعلق » ، يريد أنه يحاول صيد القنافذ ولا يلحقها . (٤) الدرّاج : القنفذ . (٥) كذا في جميع النسخ ، ولعله « وتتسج » بمعنى « تنسج » ، والشمال : جمع شملة وهي الكساء يتشح به ؛ وفي حديث عليّ قال للأشعث بن قيس : « إن أبا هذا كان ينسج الشمال باليمين » ؛ ولا يخفى ما في هـذه المقابلة من الحسن . (٦) في جميع الأصول « الرائي » وما أثبتناه هو الموجود في كتب التراجم ، يذكرونه بهذا الاسم ويقولون : هو هلال بن يحيي
٢٠ ابن مسلم البصري ، أخذ الفقه عن أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ وزفر المتوفى سنة ١٥٨ ، ويقولون مع هذا : إنه توفي سنة ٢٤٥ أنظر الفوائد البهية في تراجم الحنفية وتاج التراجم في طبقات الحنفية والفهرست لابن النديم ص ٢٠٥ ، وذكره ابن حجر في لسان الميزان ص ٢٠٢ ج ٦ وبعد أن ذكر أنه توفي سنة ٢٤٥ قال : وفي الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني « هلال الرأى هو هلال بن عطية » وذكر له قصة مع بشار بن برد ، فهذا يدل على أنه متقدّم جدا لأن بشارا قتل في زمن المهدي .

فى نصيحةٍ أَخُصُّكَ بها؟ قال نعم؛ قال: إنك كنتَ تسرِقُ الحميرَ زمانا ثم تُبْتَ وصِرتَ رافضيًّا، فعُدْ الى سَرِقةِ الحمير، فهى والله خيرٌ لكَ من الرَّفْض[1] .

قال محمدُ بن سلّام : وكان هلال يُستثقَلُ، وفيه يقول بشّارٌ :

وكيفَ يَخِفُّ لى بصرى وسمعى * وحَوْلِى عَسكَرَانِ مِنَ الثِّقالِ

قُعُودًا حولَ دَسْكَرَتِى[2] وعندى * كأنّ لهم علىّ فضولَ مالِ

إذا ما شِئتُ صبَّحنى هِلالٌ * وأىُّ النّاس أثقل من هلالِ

وأخبرنى أبو دُلَفَ الخُزَاعىّ بهذا الخبر عن عيسى بن إسماعيل عن آبن عائشةَ، فذكَرَ أنّ الذى خاطب بشّارا بهذه المخاطبة ابنُ سَيَّابةَ، فلما أجابه بشّار بالجواب المذكور، قال له : من أنت ؟ قال : آبن سَيَّابةَ ؛ فقال له : يابن سَيَّابةَ، لو نُكِحَ الأسدُ ما آفترَسَ؛ قال : وكان يُتَّهمُ بالأُبْنة .

ذم أناسا كانوا مع ابن أخيه

قال أيوب وحدّثنى محمدُ بن سلّام وغيره قالوا : مرّ آبنُ أخى بشّارٍ به ومعه قومٌ، فقال لرجل معه: مَنْ هذا؟ فقال : آبنُ أخيك، قال: أشهد أن أصحابه أنذالٌ؛ قال : وكيف علِمتَ؟ قال : ليست لهم نِعالٌ .

كان دقيق الحس

أخبرنا محمد بن علىّ قال حدّثنى أبى قال حدّثنى عافيةُ بنُ شَبيب عن أبى دُهمانَ الغَلابىّ[3]، قال :

مررتُ ببشّار يوما وهو جالس على بابه وحدَه وليس معه خَلْقٌ وبيده مِخْصَرةٌ[4] يَلعبُ بها وقُدّامَه طبقٌ فيه تُفّاحٌ وأُتْرُجٌّ[5]، فلما رأيتُه وليس عنده أحدٌ تاقتْ نفسى

(١) الرفض (بالكسر): مذهب الرافضة وهم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علىّ ثم قالوا له : تبرّأ من الشيخين فأبى فرفضوه وانفضوا عنه فسموا الرافضة . (٢) الدسكرة: بناء كالقصر، وهى أيضا: الأرض المستوية . (٣) كذا فى أكثر النسخ وهو الصواب، وفى ب، سـ : «الفلال» وهو تحريف . (٤) المخصرة : ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو قضيب، وقيل المخصرة : شىء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه . (٥) الأترج : ثمر شجر بستانىّ من جنس الليمون ناعم الورق والحطب .

إلى أن أسرقَ ما بين يديه ، فجئتُ قليلًا قليلًا وهو كافٌّ [يده][1] حتى مَددْتُ يدى لأتناوَلَ منه، فرفَع القضيبَ وضرب به يدى ضربةً كاد يكسِرُها ، فقلتُ [له][1] : قطعَ اللهُ يدَكَ يآبنَ الفاعلةِ، أنتَ الآنَ أعمَى ! فقال : يا أحمقُ، فأين الحِسُّ ! .

حديثه مع نسوة أتينه يأخذن شعره لينحن به

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى العَنَزِىّ قال حدّثنى خالدُ بنُ يزيدَ بن وهب بن جرير عن أبيه قال :

كان لبشّار فى داره مجلسان : مجلسٌ يجلِسُ فيه بالغداة يُسَمِّيه «البردَانَ» ومجلسٌ يجلِس فيه بالعَشِىّ آسمه «الرَّقِيق» ، فأصبح ذاتَ يومٍ فاحتجمَ وقال لغلامه : أمسكْ علىّ بابى وآطبُخْ لى مِنْ طَيِّبِ طعامى وصَفِّ نَبيذى ؛ قال : فإنه لكذلك إذ قُرِعَ البابُ قرعًا عنيفا، فقال : ويحكَ يا غلامُ ! أنظُرْ مَنْ يَدُقّ البابَ دَقَّ الشُّرَطِ ؛ قال : فنظر الغلامُ، فقال له : نِسوةٌ خمسٌ بالباب يَسأَلْنَ أن تقولَ لهنّ شِعرا يَنُحْنَ به ؛ فقال : أَدْخِلْهُنّ، فلمّا دخَلنَ نظرنَ الى النبيذ مُصَفًّى فى قَنَانِيِّه فى جانب بيته ؛ قال: فقالت واحدةٌ منهنّ: هو خمرٌ، وقالت الأخرى : هو زبيبٌ وعسلٌ ، وقالت الثالثةُ : نقيعُ زبيبٍ ؛ فقال : لستُ بقائلٍ لكنّ حرفًا أو تَطْعَمْنَ من طعامى وتَشْرَبْنَ من شرابى ؛ قال : فتماسَكْنَ ساعةً ، ثم قالت واحدةٌ منهنّ : ما عليكنّ ! هو أعمى فكُلْنَ [مِنْ][2] طعامه وآشرَبْنَ من شرابه وخُذْنَ شِعْرَهُ ؛ فبلغ ذلك الحسنَ البصرىّ فعابه وهتَف ببشّار، فبلغه ذلك — وكان بشّار يُسَمِّى الحسنَ البصرىّ القَسّ — فقال :

لمّا طَلَعْنَ من الرَّقيـ * ـقِ علىّ بالبردَانِ خمسَا
وكأنهنّ أهِلّةٌ * تحتَ الثيابِ زَفَفْنَ شمسَا
باكَرْنَ عِطْرَ لَطِيمَةٍ[3] * وغَمَسْنَ فى الجادىّ[4] غمسَا

(١) الزيادة عن معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص ص ١٢٣ طبع بولاق .

(٢) زيادة فى حـ . (٣) اللطيمة : نافجة المسك . (٤) الجادىّ : الزعفران .

صـــوت

لمّا طَلَعْنَ حَفَفْنَها * وأصحَقْنَ ما يَهْمِسْنَ هَمْسَا

فسألنَنِي مَنْ فى البيو * ت فقلتُ مَا يُؤْوِينَ إنسَا

ليتَ العيونَ الطارقا(١) * تِ طُمِسْنَ عنّا اليومَ طَمْسَا

فأصَبْنَ من طُرَفِ الحـديـ * ـثِ لَذَاذةً وخَرَجْنَ مُلْسَا(٢)

لولا تَعَـرُّضُهُنَّ لى * ياقَسُّ كنتُ كأنتَ قَسَّا

غَنَّى فى هذه الأبياتِ يحيى المكىّ، ولحنُه رَمَلٌ بالبنصر عن عمرٍو.

نهاه مالك بن دينار عن التشبيب بالنساء فقال شعرا

أخبرنا يحيى قال حدّثنى العَنَزِىّ قال حدّثنا علىّ بن محمد قال حدّثنى جعفر بن محمـد النوفلىّ — وكان يَروِى شعرَ بشّارِ بنِ بُرْدٍ — قال: جئتُ بشّارا ذاتَ يومٍ فحدّثنى، قال: ما شعَرتُ منـذ أيّام إلا بقارع يقرَع بابى مع الصّـبح، فقلت: يا جارية ٱنظُرى مَنْ هذا، فرجعتْ إلىّ وقالت: هـذا مالكُ بن دينار، فقلت: ما هو من أشكالى ولا أضرابى، ثمّ قلت: ٱئْذَنِى له، فدخل فقال: يا أبا معاذ، أتشتِمُ أعراضَ النـاس وتُشبِّب بنسائهم! فلم يكن عندى إلّا أن دفعتُ عن نفسى وقلت: لا أعود، فخرج عنّى، وقلتُ فى أثره:

غَـدَا مالكٌ بمَـلاماته * علىّ وما بات من باليَـهْ

تَناول خَوْدًا هَضِيم الحشَى * من الحُور مَحظوظةً(٣) عاليَـهْ

---

(١) فى جميع الأصول: «الطارقات» بالقاف، وهو تحريف (٢) كذا فى جميع النسخ والقلس: الشرب الكثير من النبيذ، فلعلها مصدر وقع موقع الحال، أو لعلها محرفة عن «ملسا» بمعنى أنهن ملس من العيب أى ليس فيهن عيب. قال العجاج: * وحاصن من حاصنات ملس * وقد فسره بذلك اللسان فى مادة «قنس». (٣) كذا فى جميع النسخ والمخطوطة ذات الخط وربما كانت محرّفة عن محطوطة قال فى اللسان: وجارية محطوطة المتنين: ممدودتهما وقال الأزهرى: ممدودة حسنة مستوية وقد جاء ذلك فى الشعر العربى كثيرا كقول الشاعر:

محطوطة المتن هضيم الحشى * لا يطبيها الورع الواغل

وكقول القطامى: * بيضاء محطوطة المتنين بهكنة * ولا يخفى ما بين اللفظين «محطوطة وعالية» من المقابلة.

فقلتُ دَعِ اللومَ فى حبّها * فقبلكَ أعيتْ عُذّالِيَهْ
وإنّى لأكتُمهم سِرّها * غداةَ تقول لها الجالِيَهْ[1]
عُبَيدةُ مالكِ مَسلوبةً * وكنتِ مُعطَّرةً حالِيَهْ
فقالت على رِقْبةٍ[2] : إنّنى * رهنتُ المرعَّثَ[3] خَلخاليَهْ
٥ بمجلسِ يومٍ سأُوفِى به * ولو أَجْلَبَ الناسُ أحوالِيَهْ[4]

شعره فى محبوبته فاطمة

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنى السُّمَيدع[5] بن محمّد الأزدىّ قال حدّثنى عبد الرحمن بن الجَهْم عن هِشَام بن الكَلْبىّ قال :

كان أوّلُ بَدْء بشّار أنّه عشِق جارية يقال لها فاطمةُ ، وكان قد كُفَّ وذَهب بصرُه ، فسمعها تغنّى فهَوِيَها وأنشأ يقول :

١٠ دُرّةٌ بَحْرِيّةٌ مكنونةٌ * مازها التّاجرُ من بين الدُّرَرْ
عجِبتْ فَطْمةُ من نَعْتِى لها * هل يُجيدُ النّعتَ مكفوفُ البصرْ
أمَتَا[6] بَدْدِ هذا لُعَبى * ووِشاحِى حَلّه حتّى انتثرْ

٣٦ / ٣

(١) الجالية : الماشطة التى تجلو المرأة وتزينها . (٢) على رقبة : على تحفظ واحتراس .
(٣) لقب بشار كما تقدم . (٤) أحواليه : من حولى . (٥) كذا فى أكثر الأصول ،
١٥ وفى ب ، س : «السميذع» بالذال المعجمة . وقد ذكر صاحب القاموس أن هذا اللفظ مما سمى به
الرجال والنساء . غير أنه ورد فى بعض نسخ القاموس بالذال المعجمة بل حاء فى هذه النسخ زيادة النص
على أنه بمعجمة مفتوحة ، ولكن شارحه نبه على أن هذه الزيادة ساقطة فى أكثر النسخ ، وأن ظاهر
كلام الجوهرى وابن سيدة والصاغانى إهمال الدال ، بل صرح بعضهم بأن إعجام داله خطأ ، وقد أورده
صاحب اللسان بالدال المهملة ليس غير . (٦) كذا فى الأصول وفى زهر الآداب : «أُمَتِى» ،
٢٠ وأمتا : أمة (وهى المملوكة) مضافة الى ياء المتكلم المنقلبة ألفا ، ويحتمل أن يكون أصلها يا أمى
حذف منه حرف النداء ثم حذفت ياء المتكلم وعوض عنها التاء ، ويجوز فى هذه التاء الفتح والكسر وهو
الأكثر ، واذا فتحت لا تلحقها الألف إلا للضرورة .

فدَعِينى معَه يا أمّتا[1] * علَّنا فى خَلْوةٍ نَقضِى الوَطَرْ
أقبلتْ مُغضَبةً تضربها * وٱعتراها بجنونٍ مُستعِرْ
بأبى والله ما أحسنَه * دمعُ عينٍ يَغسِل الكُحْلَ قَطَرْ
أيُّها النُّوَّام هُبُّوا وَيْحكم * وٱسألونى اليومَ ما طعمُ السَّهرْ

عبث به رجل من آل سوّار فلم يجبه

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرفىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنى خالد بن يزيد ابن وهب بن جرير قال حدّثنى أبى عن الحكم بن مَخْلَد بن حازم قال : مررتُ أنا ورجل من عُكْل من أبناء سَوّار بن عبد الله بقصر أوس[2]، فإذا نحن ببشّار فى ظلّ القصر وحدَه، فقال لى العُكْلىّ : لابدّ لى من أن أعبَث ببشّار، فقلت : وَيْحك، مَهْ لا تُعرِّض بنفسك وعِرْضك له، فقال : إنّى لا أجده فى وقتٍ أخلَى منه فى هذا الوقت، قال فوقفت ناحيةً ودنا منه فقال : يابشّار، فقال: من هذا الذى لايكْنِينى ويدعونى باسمى ؟ قال : سأخبرك من أنا ، فأَخْبِرْنى أنت عن أمّك : أَوَلدتْك أعمَى أم عمِيتَ بعد ما ولدتْك ؟ قال : وما تريد الى ذلك ؟ قال : وَددتُ أنّه فُسِح[3] لك فى بصرك ساعة لتنظُر الى وجهك فى المِرآة، فعسى أن تُمْسِكَ عن هجاء الناس وتعرفَ قَدْرك، فقال : وَيْحكم! مَن هذا؟ أمَا أحدٌ يُخبرنى مَن هذا؟ فقال له : على رِسلك، أنا رجل من عُكْل وخالى يبيع الفَحم بالعَبْلاء[4] فما تقدر أن تقول لى؟ قال : لا شىء، اِذْهَبْ، بأبى أنت، فى حفظ الله .

(١) كذا فى الأصول وفى زهر الآداب : «أمّى» . (٢) قصر أوس بالبصرة ينسب الى أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعة ، وكان قد ولى خراسان فى عهد الدولة الأموية . (٣) فى أ ، م ، ء : «فتح» . (٤) ذكره ياقوت فى معجمه فقال : العبلاء اسم علم لصخرة بيضاء الى جنب عكاظ ، وعندها كانت الوقعة الثانية من وقعات الفجار . ثم قال : والعبلاء وقيل العبلاة بلدة كانت لخثعم بها كان ذو الخلصة بيت وصنم . وذكره البكرى فى معجمه (ص ٦٤١،٤٩٢) فقال : العبلاء : قرية وتربة واد من أودية الحجاز، أسفله لبنى هلال والضباب وسلول ، وأعلاه لخثعم ، وهناك كان ذو الخلصة بيتهم الذى يحجون اليه .

مدح خالدا البرمكي

أخبرني عليّ بن سُلَيمان الأَخْفش قال حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني عليّ بن مَهْديّ قال حدّثني العبّاس بن خالد البَرْمَكيّ قال :

كان الزُّوّار يُسَمَّوْن في قديم الدهر الى أيّام خالد بن بَرْمك السُّؤّالَ ؛ فقال خالد: هذا والله آسم أستثقله (١) لطُلّاب الخير، وأرفَع قدرَ الكريم عن أن يُسمَّى به أمثالَ هؤلاء المؤمِّلين، لأنّ فيهم الأشرافَ والأحرارَ وأبناءَ النِّعم ومن لعلّه خيرٌ ممن يقصِد وأفضلُ أدبا، ولكنّا نسمِّيهم الزُّوّار؛ فقال بشّار يمدَحه بذلك :

حذا خالدٌ في فعله حَذوَ بَرْمكٍ * فمجدٌ له مُسْتطرَف وأَصِيلُ
وكان ذوو الآمالِ يُدعَوْن قبلَه * بلَفظ على الإعدام فيه دَليلُ
يُسمَّون بالسُّؤّال في كلّ مَوطِنٍ * وإن كان فيهم نابهٌ وجَليلُ
فسمّاهُمُ الزُّوّارَ سَتْرًا عليهمُ * فأستارُه في المُجْتَدِين (٢) سُدُولُ

قال: وقال بشّار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلّم خالد بهذا الكلام في أمر الزُّوّار، فأعطاه لكلّ بيت ألفَ درهم .

بشار وصديقه تسنيم بن الحوارى

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثني أبو شِبْل عاصم (٣) ابن وهب قال : نَهَق حمارٌ ذاتَ يوم بقرب بشّار، فخطر بباله بيتٌ فقال :

ما قام أيرُ حمارٍ فآمتلا شَبَقًا * إلا تحرّك عرقٌ في آست تَسْنيمِ

٣٧ / ٣

(١) في جميع النسخ : «أستقبله» ، ولكن السياق يعين ما أثبتناه . (٢) في ب، س : «المهتدين» .

(٣) كذا في حـ . وفي سائر النسخ : «عاصب» بالباء، وهو تحريف ، (انظر الحاشية رقم ٤ ص ١٥٣ من هذا الجزء) .

قال : ولم يُرِد تَسْنيماً بالهجاء، ولكنه لمّا بلغ الى قوله : "إلا تحرّكْ عِرْقٌ" قال : فى آسْتِ مَنْ؟ ومرّ به تسنيم بن الحوارى (١) وكان صديقَه، فسلّم عليه وضحك، فقال: فى آستِ تسنيم عَلِمَ اللهُ، فقال له : أيش (٢) وَيْحَك! ؟ فأنشده البيتَ، فقال له : عليك لعنةُ الله! فما عندك فَرْقٌ بين صديقك وعدوّك، أىّ شىء حملك على هذا! ألّا قلت: "فى آست حمّاد" الذى هجاك وفضحك وأعْياك، وليست قافيتك على الميم فأعْذِرَك ! قال: صدقتَ واللهِ فى هذا كلِّه، ولكن مازلتُ أقول : فى آست من؟ فى آست من؟ ولا يخطُر ببالى أحد حتّى مررتَ وسلّمت فرُزِقته؛ فقال له تسنيم : اذا كان هذا جوابَ السّلام عليك فلا سلّم الله عليك ولا علىّ حين سلّمتُ عليك؛ وجعل بشّار يضحَك ويُصفّق بيديه وتَسْنيمٌ يشتُمه .

أخبرنا عيسى بن الحُسَين قال حدّثنا علىّ بن محمّد النَّوْفَلِىّ عن عمّه قال :

قالت آمرأة لبشّار : ما أدرى لِمَ يَهابُك الناسُ مع قُبْح وجهك ! فقال لها بشّار : ليس من حُسْنِه يُهَاب الأسدُ .

الملاحاة بينه و بين عقبة بن رؤبة فى حضرة عقبة ابن سلم

أخبرنى حَبيب بن نَصْر المهلّبىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد ابن الحجّاج قال :

دخل بشار على عُقْبة بن سَلْم (٣)، فأنشده بعضَ مدائحه فيه وعنده عقبة بن رُؤْبة يُنْشده رجزاً يمدَحه به، فسمِعه بشّار وجعل يستحسن ما قاله الى أن فرغ؛ ثم أقبل

(١) لم نعثر على هذا الاسم ولا على ضبطه، وقد سمى بالحوارى بفتح أوّله وثانيه وفى آخره ياء مشددة، و بالحوارى بضم أوّله وبعده واو مشددة مفتوحة وراء مفتوحة، ولم نستطع ترجيح أحد الضبطين.

(٢) أيش : بمعنى أىّ شىء خفف منه كما يقال : ويلمه فى معنى : ويل لأمه، على الحذف لكثرة الاستعمال . وقد قيل : إنه سمع من العرب كما قيل إنه مولد .

(٣) كان عقبة واليا على البصرة من قبل أبى جعفر المنصور وكان عاتيا جبارا .

على بشّار فقال : هـذا طِرَازٌ لا تُحسِنه أنت يا أبا مُعَاذ؛ فقال له بشّار : ألِى يُقال هذا ! أنا والله أَرْجَزُ منك ومن أبيك وجدّك؛ فقال له عقبة : أنا والله وأبى فتحْنا للنـاس باب الغريب وباب الرّجز، ووالله إنى لخليق أن أُسُدّه عليهم؛ فقال بشّار : آرحَمْهم رحمك الله! فقال عقبة : أتستخفّ بى يا أبا معاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر! فقال له بشّار : فأنت إذًا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجْس وطهّرهم تطهيرا ؛ ثم خرج من عنده عقبةُ مُغْضَبا . فلما كان من غدٍ غدا على عقبة ابن سلم وعنده عقبة بن رُؤبة، فأنشده أرجوزته التى مدحه فيها :

يا طَلَلَ الحىِّ بذات الصَّمْدِ[1] * بالله خبِّرْ كيف كنتَ بعدى

أَوْحَشْتَ من دعدٍ وتِرْب دعدِ * سَقْيا لأسماءَ آبنة الأشَدِّ

قامت تَراءَى إذ رأتْنِى وَحْدى * كالشمس تحتَ الزِّبْرِج[2] المُنْقَدِّ

صدّت بخدّ وجلَتْ عن خدِّ * ثم آنثنتْ كالنَّفَس المُرتَدِّ

عَهْدى بها سَقْيًا له من عَهْدِ * تُخلِفُ وعدا وتَفِى بوعدِ

فنحن من جَهْد الهوى فى جَهْدِ * وزاهرٍ من سَبِطٍ وجَعْدِ

أَهْدَى له الدهرُ ولم يَستَهْدِ[3] * أفوافَ[4] نَوْرِ الحِبَرِ المُجَدِّ

يلقَى الضحى رَيحانُه بسَجْدِ * بُدِّلتُ من ذاك بُكًى لا يُجدِى

وافقَ حظًّا من سَعَى بجَدِّ * ما ضرَّ أهلَ النَّوْكِ ضعفُ الجَدِّ

الحُرّ يُلْحَى والعصا للعبدِ * وليس للمُلْحِف مثلُ الرَّدِّ

(١) فى معجم ما استعجم للبكرى : الصمد : موضع فى ديار بنى يربوع . وفى معجم ياقوت : الصمد : ماء للضباب . (٢) الزبرج : السحاب، والمنقد : المتقطع . (٣) استهدى فلان : طلب أن يهدى له . (٤) الأفواف : جمع فوف وهو نوع من برود اليمن تشبه به الأزهار . والحبر : جمع حبرة كعنبة وقصبة وهى ضرب من برود اليمن منمر .

والنَّصْفُ(١) يَكْفيك من التعدّى * وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ(٢)

حملتُه فى رُقعةٍ من جِلْدِى * أرقُبُ منه مثلَ يومِ الوِرْدِ(٣)

حتى مضى غيرَ فقيدِ الفَقْدِ * وما درى ما رَغْبتى من زُهدِى

اسلَمْ وحُيِّيتَ أبا المِلَدِّ * مفتاحَ باب الحدَثِ المنسدِّ

مُشترَكَ النَّيْلِ ورِىَّ الزَّنْدِ * أغرَّ لبَّاسَ ثيابِ الحمدِ

ما كان منِّى لك غيرُ الوُدِّ * ثم ثناءٌ مثلُ ريحِ الوَرْدِ

نسَجْتُه فى مُحْكَمَاتِ النَّدِّ * فالبَسْ طِرازِى(٤) غيرَ مُسْتَرَدِّ

لله أيامُك فى مَعَدِّ * وفى بنى قَحْطانَ غيرَ عَدِّ

يوما بذى طِخْفَةَ(٥) عند الحدِّ * ومثلَه أودَعْتَ أرضَ الهندِ

بالمُرْهَفاتِ والحديدِ السَّرْدِ(٦) * والمُقْرَباتِ المُبْعَداتِ الجُرْدِ

اذا الحيا أَكْدَى(٧) بها لا تُكْدِى * تُلْحِمُ(٨) أمرًا وأمورًا تُسْدِى

وأنتَ حكيمٌ إن أتاك يَرْدِى(٩) * أصمُّ لا يسمَعُ صوتَ الرعدِ

حيَّتْه(١٠) بتُحفةِ المُعِدِّ * فانهدَّ مثلَ الجبلِ المُنْهَدِّ

كلُّ امرئٍ رَهْنٌ بما يُؤدِّى * ورُبَّ ذى تاجٍ كريمِ الجَدِّ

كآلِ كسرى وكآلِ بُرْدِ * أنكبَ(١١) جافٍ عن سبيلِ القصدِ

* فَصَلْتَه عن ماله والوُلْدِ *

(١) النصف: الإنصاف. (٢) يقال: أمد الجرح: حدثت فيه المدة فهو ممد. (٣) الورد: من أسماء الحمى. (٤) الطراز: ما نسج للسلطان من الثياب. (٥) طخفة: موضع بعد النباج وبعد إمرة فى طريق البصرة الى مكة، وفيه يوم طخفة لبنى يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء. (٦) السرد: اسم جامع للدروع وسائر الحلق. (٧) الحيا: المطر. وأكدى: بخل. (٨) تلحم: تنسج اللحمة وهى ما نسج فى الثوب عرضا بخلاف السدى وهو ما مدّ من خيوطه طولا، وفى المثل: «ألحم ما أسديت» أى تمم ما بدأته. (٩) يردى: يعدو. (١٠) فى الأصول: «حيته» بالياء الموحدة، وهو تحريف. (١١) الأنكب: المائل، يقال: رجل أنكب عن الحق وناكب عنه أى مائل.

فطرب عُقبةُ بن سَلْم وأَجْزل صِلتَه ، وقام عقبةُ بن رُؤْبةَ فخرج عن المجلس بِخِزْيٍ ، وهرَب من تحت ليلته فلم يَعُدْ اليه .

وذكر لى أبو دُلَف هاشمُ بن محمد الخُزَاعىّ هذا الخبرَ عن الجاحظ ، وزاد فيه الجاحظ قال : فانظر الى سُوءِ أدب عُقْبةَ بن رؤبة وقد أجملَ بشّارٌ محضَرَه وعِشْرتَه ، فقابله بهذه المقابلة القبيحة ، وكان أبوه أعلَمَ خلقِ الله به ، لأنه قال له وقد فاخَره بشعره : أنت يا بُنىَّ ذَهْبانُ[1] الشعر اذا مُتَّ مات شِعرُكَ معك ، فلم يوجد مَن يَرْوِيه بعدك ؛ فكان كما قال له ، ما يُعرَفُ له بيتٌ واحدٌ ولا خبرٌ غيرُ هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدالّ على سُخْفه وسقوطه وسُوءِ أدبه .

كان يهوى امرأة من البصرة وقال فيها الشعر لما رحلت

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا أبو غَسّانَ دَمَاذ قال حدّثنا أبو عُبيدَةَ قال : كان بشّار يَهوَى آمرأةً من أهل البصرة يقال لها عُبيدَةُ[2]، فخرجتْ عن البصرة الى عُمَانَ[3] مع زوجها. فقال بشارٌ فيها :

صوت

هوَى صاحبِى ريحُ الشَّمال اذا جَرَتْ * وأشفَى لقلبِى أن تهُبّ جَنُوبُ

وما ذاكَ إلا أنها حين تنتهِى * تَناهَى وفيها من عُبيدَةَ طِيبُ

عَذيرِى من العُذّال إذ يَعذُلُونَنِى * سَفَاهًا وما فى العاذِلين لَبِيبُ

صوت

يقولونَ لو عَزَّيْتَ قلبَكَ لارْعَوى * فقلتُ وهل للعاشقين قُلوبُ

اذا نطقَ القومُ الجلُوسُ فإنّنى * مُكِبٌّ[4] كأنى فى الجميع غَريبُ

(١) كذا فى جميع الأصول والمعنى ظاهر، ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا وصفا من «ذهب» على هذا الوزن . (٢) كذا فى حـ ، سـ وهو الموافق لما فى الأبيات الآتية . وفى سائر النسخ : «عبدة» (٣) اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند . (٤) مكب : مطرق .

بشار وأبو الشمقمق

أخبرنى هاشم قال حدّثنى دَمَاذ قال حدّثنى رجل من الأنصار قال :

جاء أبو الشَّمَقْمَق الى بشّار يشكو اليه الضِّيقَةَ(١) ويحلف له أنه ما عنده شىء؛ فقال له بشّار : والله ما عندى شىء يُغْنيكَ ولكن قُمْ معى الى عُقبةَ بن سَلْم، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال : هو شاعرٌ وله شكرٌ وثناءٌ ، فأمر له بخمسمائة درهم ؛ فقال له بشّار :

يا واحدَ العرب الذى * أمسى وليس له نَظيرُ
لو كان مِثْلَكَ آخَرٌ * ما كان فى الدنيا فَقيرُ

فأمر لبشّار بألفَىْ درهم؛ فقال له أبو الشمقمق : نفعتَنا ونفعناكَ يا أبا مُعاذ ؛ فجعل بشّار يَضْحَك .

بشار وأبو جعفر المنصور

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثنا زكريّا ابن يحيى أبو السُّكَيْنِ(٢) الطائىّ قال حدّثنى زَحْرُ بنُ حِصْنٍ قال :

حجّ المنصورُ فآستقبلناه بالرَّضْم الذى بين زُبَالَةَ(٣) والشُّقُوق، فلما رحَل من الشُّقُوق رحَلَ فى وقت الهاجرة فلم يركب القُبَّةَ(٤) وركب نَجيبا فسار بيننا ، فجعلت الشمسُ تضحَكُ(٥) بين عينيه ، فقال : إنى قائلٌ بيتا فمن أجازه وهَبْتُ له جُبَّتِى هذه؛ فقلنا : يقول أمير المؤمنين؛ فقال :

وهاجرةٍ نَصَبْتُ لها جَبينِى * يُقَطِّعُ ظهرُها ظَهْرَ العظايَةْ(٦)

(١) الضيقة بالكسر و يفتح : الفقر وسوء الحال . (٢) كذا فى تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال وهو الصواب . وفى ب ، سـ : « أبو سكين » . وفى ء ، أ ، م : «أبو المسكين» وكلاهما تحريف . (٣) زبالة : منزلة معروفة بطريق مكة من الكوفة وهى قرية عامرة بها أسواق . والشقوق : منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة . (٤) القبة : الهودج . (٥) تضحك : تتلألأ . (٦) العظاية : دويبة ملساء تعدو وتتردّد تشبه سام أبرص .

فبدر بشارٌ الأعمى فقال :

وَقَفتْ بها القَلُوصَ ففاضَ دمعى * على خــدِّى وأَقْصَرَ واعظايَهْ

فنزع الجبّةَ وهو راكب فدفعها إليه . فقلتُ لبشّار بعد ذلك : مافعلتَ بالجُبّة؟ فقال بشّارٌ : بعتُها واللهِ بأربعمائة دينار .

كان له شعر غث يعير به

٥ أخبرنى أحمـدُ بن العباس العسكرىّ قال حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنزىّ قال حدّثنى علىّ بن محمـد النّوفلىّ قال حدّثنى عبد الرحمن بن العبـاس بن الفضـل بن عبد الرحمن بن عيّاش بن أبى (١) ربيعة عن أبيه قال :

كان بشّـار منقطعا إلىّ والى إخوتى فكان يَغْشانا كثيرا، ثم خرج إبراهيمُ بنُ عبد الله فخرج معه عِدّةٌ منّا ، فلما قُتِل إبراهيمُ تواريْنا، وحبَسَ المنصورُ منّا عِدّةً من

١٠ إخوتى، فلما وَلِىَ المهدىُّ أَمَّنَ الناسَ جميعًا وأطلقَ المحبوسين ، فقدِمتُ بغدادَ أنا وإخوتى نَلتمِسُ أمانًا من المهدىّ ، وكانـ الشـعراءُ يجلِسُون بالليل فى مسجد (٢) الرُّصَافةِ يُنشِدُونَ ويَتحدّثونَ، فلم أُطْلِعْ بشّارا على نفسى إلا بعد أن أظهر لنا المهدىُّ الأمانَ، وكتب أخى الى خليفته بالليل، فصِحتُ به : يا أبا مُعاذٍ مَنِ الذى يقول :

أُحِبُّ الخاتَمَ الأحمـ * ـرَ مِنْ حُبِّ مَوَالِيهِ

---

١٥ (١) فى جميع النسخ : «ابن ربيعة» بدون كلمة «أبى» . (٢) كذا فى ء ، أ ، حـ . وفى باقى النسخ : « سجن الرصافة » وهو تحريف ، والرصافة : اسم لمواضع كثيرة والمرادة هنا هى « رصافة بغداد » بالجانب الشرقىّ ، ذكرها ياقوت فقال : لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربىّ واستتمّ بناءها أمر ابنه المهدىّ أن يعسكر فى الجانب الشرقىّ وأن يبنى له فيها دورا ، وجعلها معسكرا له ، فالتحق بها الناس وعمروها ، فصارت مقدار مدينة المنصور وعمل المهدىّ بها جامعا أكبر من جامع المنصور وأحسن .

٢٠ وكان فراغ المهدى من بناء الرصافة والجامع بها فى سنة ١٥٩ هـ وهى السنة الثانية من خلافته .

فأعرض عنّى وأخذ فى بعض إنشاده شعرَه، ثم صحتُ: يا أبا مُعَاذٍ مَنِ الذى يقول:

إنّ سَلْمَى خُلِقَتْ من قَصَبٍ[1] * قصبِ السكّر لا عظمِ الجَمَلْ

وإذا أدنيتَ منها بصلًا * غلَبَ المسكُ على ريح البصلْ

فغضِبَ وصاح : من الذى يُقَرِّعُنَا بأشياءَ كنا نعبَثُ بها فى الحداثة فهو يُعَيِّرنا بها !

٥ فتركتُه ساعةً ثم صِحتُ به : يا أبا مُعاذ مَنِ الذى يقول :

أخشّابُ حقًّا أنّ دارك تُزْعَجُ * وأنّ الذى بينى وبينك يَنْهَجُ[2]

فقال : وَيْحكَ ! عن مثلِ هذا فَسَلْ، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها، وهى من جَيِّد شعره، وفيه غناءٌ :

صوت

١٠ فوا كَبِدا قد أنضَجَ الشوقُ نصفها * ونصفٌ على نار الصَّبَابة يَنضَجُ

وواحَزَنَا منهنّ يَحْفُفْن هودجًا * وفى الهودج المحفوف بدرٌ مُتَوَّجُ

فإن جئتَها بين النساء فقل لها * عليكِ سلامٌ مات مَنْ يتزوّجُ

بكيتُ وما فى الدمع منكِ خليفةٌ * ولكنّ أحزانى عليكِ تَوَهَّجُ

الغناء لسُلَيم بن سَلّام رملٌ بالوسطَى . ووجدتُ هذا الخبرَ بخط ابن مَهْرُويَه

١٥ فذكر أنه قال هذه القصيدةَ فى امرأة كانت تَغْشَى مجلسَه وكان إليها مائلا يقال لها خَشَّابَةُ، فارسيَّةٌ، فزُوِّجَتْ وأُخرِجَتْ عن البصرة .

أنشده أبو النضير شعره فاستحسنه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرانىّ قال حدّثنى أبو حاتم :

(١) كذا فى الأصول وفى زهر الآداب ج ١ ص ٢٠٦ طبع المطبعة الرحمانية .

إنما عظم سليمى خلقى * قصب ... ... الخ

٢٠ (٢) ينهج : يبلى .

قال أبو النَّضير الشاعرُ : أنشدتُ بشّارا قصيدةً لى، فقال لى : أيَجيئكَ شعرُكَ هذا كلّما شئتَ أم هـذا شيء يجيئك فى الفَيْنة(١) بعد الفينة اذا تَعَمَّلتَ(٢) له ؟ فقلت : بل هذا شـعرٌ يجيئنى كلما أردتُه ؛ فقال لى : قل فإنك شاعر؛ فقلت له : لعـلّك حابيتَنى أبا مُعاذٍ وتجمّلتَ(٣) لى ؛ فقال : أنتَ أبقاك اللهُ أهونُ علىّ من ذلك .

حاول تقبيل جارية لصديق له وقال شعرا يعتذر فيه عن ذلك

٥ أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ عن العُمَرىّ عن عبّاس بن عبّاس الزّنّادىّ عن رجلٍ من باهِلةَ، قال :

كنتُ عنـد بشّارٍ الأعمى فأتاه رجلٌ فسـلّم عليه ، فسأله عن خبر جاريةٍ عنده وقال : كيف ٱبنتى ؟ قال : فى عافية، تدعوكَ اليومَ ؛ فقال بشّار : يا باهلىّ ٱنهَضْ بنـا ، فجئنا الى منزلٍ نظيف وفَرشٍ سَرِىّ(٤) ، فأكلنا ، ثم جىء بالنبيـذ فشربنا مع ١٠ الجارية ، فلمّا أراد الأنصرافَ قامت فأخذتْ بيـد بشّار ، فلمـا صار فى الصحن أومأ اليها ليقبّلها، فأرسلت يدَها من يده ، فجعل يجول فى العَرْصـة(٥) ؛ وخرج المولى فقال : مالك يا أبا مُعاذ؟ فقال : أذنبتُ ذنبا ولا أبرحُ أو أقولَ شعرا ، فقال :

أتوبُ اليـك من السيئات * وأسـتغفر اللهَ من فَعْلتى

تنـاولتُ ما لم أُرِدْ نَيْـلَه * على جهلِ أمرِى وفى سَكرتى

١٥ ووالله واللهِ ما جئتُـه * لعمدٍ ولا كان من هِمّتى

وإلا فَمِتُّ اذًا ضـائعا * وعَـذَّبنى اللهُ فى مِيتتى

فمَنْ نال خـيرًا على قُبـلَةٍ * فـلا بارك اللهُ فى قُبلَـتى

(١) الفينة : الحين . (٢) كذا فى حـ ، وتعملت له : تكلفت وتعنيت واجتهدت ؛ وفى باقى الأصول : «تعقلت» . (٣) كذا فى الأصول . ولعله «وتجملت لى» بالجيم أى تكلفت الجميل وتظاهرت لى به . (٤) سرىّ : جيد . (٥) العرصة : ساحة الدار .

٢٠

كتب شعرا على باب عقبة يستنجزه وعده

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ عن الأصمعىّ قال : لما أنشد بشّارٌ أرجوزته :

* ياطلل الحىّ بذات الصَّمْدِ *

أبا المِلَدّ[1] عُقْبةَ بن سَلْم أمر له بخمسين ألف درهم، فأخّرها عنه وَكِلَه ثلاثةَ أيام، فأمر غلامَه بشّارٌ أن يكتب على باب عُقْبةَ عن يمين الباب :

ما زالَ ما مَنَّيْتَنِي من هَمِّى * والوعدُ غمٌّ فأرِحْ من غَمِّى

* إن لم تُرِدْ حَمْدى فَراقِبْ ذَمِّى *

فلما خرج عقبةُ رأى ذلك، فقال : هذه مِنْ فَعَلَات بَشّارٍ، ثم دعا بالقَهْرَمان[2]، فقال : هل حملتَ الى بشّارٍ ما أمرتُ له به ؟ فقال: أيها الأمير نحن مُضيِقُون[3] وغدًا أحمِلُها اليه؛ فقال: زِدْ فيها عشرةَ آلاف درهم واحمِلْها اليه الساعةَ؛ فحمَلها من وقته.

نهى المهدى له عن التشبيب بالنساء، وسبب ذلك

أخبرنى هاشم قال حدّثنا أبو غسّانَ دَمَاذ قال :

سألتُ أبا عُبيدةَ عن السبب الذى من أجله نَهى المهدىُّ بشّارا عن ذكر النساء قال : كان أوّلُ ذلك آستهتارَ نساءِ البصرة وشُبّانها بشعره، حتى قال سَوّار بن عبد الله الأكبر ومالكُ بنُ دينار : ما شَىءٌ أدعَى لأهل هذه المدينة الى الفسق من أشعار هذا الأعمى؛ وما زالا يَعِظانه؛ وكان واصلُ بنُ عطاءٍ يقول : إن مِنْ أخدَع حبائلِ الشيطان وأغواها لَكَلِمَاتِ هذا الأعمى الملحد. فلما كثُر ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة الى المهدىّ، وأنشد المهدىُّ ما مدحَه به، نهاه عن ذكر النساء وقولِ التشبيب، وكان المهدىّ من أشدّ الناس غَيْرةً؛ قال : فقلت له : ما أحسَبُ شعرَ

(١) هكذا وردت هذه الكنية لعقبة المذكور فى هذه الأرجوزة فيما تقدّم قريبا ص ١٧٦ . وفى أ ، م « أبا المتلد » وهو تحريف . وفى ب ، سـ «أبا الملك» . (٢) القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج . (٣) مضيقون : ضيقو الحال .

هذا أبلغَ في هذه المعاني من شعر كُثيّر وجَميل وعُروة بن حِزام وقيس بن ذَرِيح وتلك الطبقة؛ فقال: ليس كلُّ مَنْ يسمع تلك الأشعارَ يعرفُ المراد منها، وبشّار يُقارِب النساءَ حتى لا يخفَى عليهنّ ما يقولُ وما يُريدُ، وأيّ حُرَّةٍ حَصَانٍ تسمع قولَ بشّار فلا يؤثّر في قلبها، فكيف بالمرأة الغَزِلَة والفَتاةِ التي لا همّ لها إلا الرجالُ! ثم أنشد قولَه:

قد لامَني في خليلتي عُمَرُ * واللّومُ في غير كُنْهِه ضَجَرُ(1)

قال أفِقْ قلت لا فقال بلى * قد شاع في الناس منكما الخبرُ

قلتُ وإذ شاع ما اعتذارُك مِمّا * ليس لي فيه عندهم عُذُرُ

ما ذا عليهم وما لهم خَرِسُوا * لو أنّهم في عيوبهم نَظَرُوا

أعشَقُ وحدي ويؤخَذُون به * كالتُّرْك تَغْزُو فتُؤخذُ الخَزَرُ

يا عجبا للخلاف يا عجبا * بِفِي الذي لام في الهوى الحَجَرُ

حَسْبي وحَسْبُ الذي كَلِفتُ به * منّي ومنه الحديثُ والنّظَرُ

أو قُبلَةٌ في خلال ذاك وما * بأسٌ اذا لم تُحَلّ لي الأُزُرُ

أو عَضّةٌ في ذراعها ولها * فوق ذراعي من عَضّها أَثَرُ

أو لَمسةٌ دون مِرْطِها بيدي(2) * والبابُ قد حال دونه السِّتْرُ

والساقُ برّاقةٌ مُخَلْخَلُها * أو مَصُّ رِيقي وقد علا البُهُرُ(3)

واسترخَتِ الكفُّ للعِراك وقا * لتْ إيهِ عنّي والدّمعُ مُنحَدِرُ

انهَضْ فما أنتَ كالذي زعموا * أنتَ وربّي مُغازِلٌ أَشِرُ

قد غابَتِ اليومَ عنكَ حاضِنَتي * واللهُ لي منكَ فيكَ يَنتصِرُ

(1) في حـ : «ضرر». (2) المرط: كساء من خز أو كتان يؤتزر به. (3) البهر بسكون ثانية : تتابع النفس وانقطاعه من الإعياء، وقد حرك للضرورة.

يا ربِّ خُذْ لى فقد ترى ضَرَعى * من فاسقٍ جاء ما به سَكَرُ
أهوى الى مِعْضَدِى فرضّضهُ[1] * ذو قوّةٍ ما يُطاقُ مُقتدِرُ
ألصقَ بى لِحيةً له خَشُنتْ * ذاتَ سوادٍ كأنها الإبَرُ
حتّى علانى وأسرتى غُيَّبٌ[2] * وَيْلِى عليهم لو أنّهم حضَروا
أُقسِم بالله لا نجوتَ بها * فاذهبْ فأنت المُساوِرُ الظّفِرُ
كيف بأُمّى إذا رأتْ شَفَتِى * أم كيف إن شاع منك ذا الخبرُ
قد كنتُ أخشى الذى ابتُليتُ به * منك فماذا أقولُ يا عَبَرُ[3]
قلتُ لها عند ذاك يا سَكَنِى * لا بأسَ إنى مُجَرِّبٌ[4] خَبِرُ
قُولِى لها بَقّةٌ لها ظُفُرٌ * إن كان فى البَقِّ ماله ظُفُرُ

ثم قال له : بمثل هذا الشعر تَميل القلوبُ ويَلين الصَّعْبُ .

قال دَمَاذ قال لى أبو عبيدة: قال رجلٌ يوما لبشّار فى المسجد الجامع يُعابِثه : يا أبا مُعاذ، أيُعجبك الغلامُ الجادل[5] ؟ فقال غيرَ مُحتشِمٍ ولا مكترث : لا، ولكن تُعجبنى أُمّه .

ورد على خالد البرمكىّ بفارس وامتدحه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن سَهْل عن محمد بن الحجّاج قال :

ورد بَشّار على خالد بن بَرْمَك وهو بفارس فامتدحه ، فوعده ومَطَله ، فوقف على طريقه وهو يريد المسجد، فأخذ بلجام بغلته وأنشده :

(١) المعضد : الدملج، وهو حلى يلبس فى المعصم . (٢) غُيَّب : جمع غائب . (٣) العبر (بتثليث العين وسكون الباء) . الجرىء القوىّ الذى يشقّ ماهر به ، فلعل هذا هو المراد هنا ، وحركت الباء بحركة ما قبلها لضرورة الشعر . (٤) المجرَّب بصيغة المفعول : من جرّبته الأمور وأحكمته ، والمجرِّب بصيغة الفاعل : من عرف الأمور وجرّبها ، وكلاهما فى هذا الموضع صحيح . (٥) الغلام الجادل : اليافع الذى قوى واشتد .

أَظَلَّتْ علينا منــكَ يومًا سحابةٌ * أضاءتْ لنا برقًا وأبطَا رَشَاشُها [١]

فلا غيمُها يُجْــلِي فييأسَ طامعٌ * ولا غيثُها يأتِى فيَرْوَى عِطاشُها

فحَبَس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال : لن تنصرف السحابةُ حتى تَبُلَّك إن شاء الله .

تظاهر بالحج وخرج لذلك مع سعد بن القعقاع

٥ أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْــل قال حدّثنى علىّ بن حَرْب الطائىّ قال حدّثنى إسماعيلُ بن زِيَاد الطائىّ قال :

كان رجلٌ منا يقال له سعد بن القَعْقاع يتندّم [٢] بشّاراً فى المَجَانة، فقال لبشّار وهو يُنادمه : وَيْحَك يا أبا مُعاذ ! قد نَسَبَنا الناسُ الى الزَّنْدقة، فهل لك أن تَحُجّ بنا حَجّةً تنفى ذلك عنا ؟ قال : نِعْمَ ما رأيتَ ! فاشتَرَيا بعــيراً ومَحْمِلًا ورَكِبا، فلما مَرّا بزُرَارة [٣]

١٠ قال له : ويحك يا أبا مُعَاذ ! ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها ! مِلْ بنا الى زُرَارة نتنعّم فيها، فاذا قَفَل الحاجُّ عارضناهم بالقادسيّة [٤] وجَزَزْنا رءوسَنا فلم يَشُــكَّ الناسُ أنّا جئنا من الحجّ، فقال له بشّار: نِعْمَ ما رأيتَ لولا خبثُ لسانك، وإنى أخاف أن تَفْضَحنا. قال : لا تخفْ . فمــالَا الى زُرَارة فمــا زالَا يشرَبان الخمر ويَفْسُــقان، فلمــا نَزَل الحاجُّ بالقادسية راجعِينَ، أخذا بعيرًا ومَحْمِلًا وجَزَّا رءوسهما وأقبلا وتلقّاهما النــاسُ

١٥ يهنّئونهما ؛ فقال سعد بن القَعْقاع :

---

(١) الرشاش (بكسر الراء) : جمع رش (بالفتح) وهو المطر الخفيف . (٢) كذا فى أكثر الأصول، وفى ب ، سه : «ينتدم» بتقديم النون على التاء، ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا صيغة من هاتين الصيغتين مستعملة فى المعنى الذى يدل عليه سياق الكلام وهو كثرة المنادمة ؛ ولعلها «يتقدّم بشارا فى المجانة» أى أنه كان أكثر منه مجونا . (٣) زرارة (بضم أوّله) : محلة بالكوفة . (٤) القادسية :

٢٠ بلدة بينها وبين الكوفة خمسة عشر ميلا، وبينها وبين العذيب أربعة أميال، كانت بها وقعة سعد بن أبى وقاص المشهورة مع الفرس فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ألم تَرَنِي وبَشّارًا حَجَجْنا * وكان الحَجُّ من خيرِ التِّجارَهْ
خرجْنا طالبِيْ سَفَرٍ بعيدٍ * فمالَ بنا الطريقُ الى زُرارَهْ
فآبَ الناسُ قد حَجّوا وبَرُّوا * وأُبْنا مُوقَرِين من الخسارَهْ

أنكر عليه داود بن رزين أشياء فأجابه

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم الدِّينَوَرىّ قال حدّثنى محمد بن عِمْران بن مطر الشامىّ قال حدّثنى محمد بن الحَسّان[1] الضَّبّىّ قال حدّثنى محمود الورّاق قال حدّثنى داود بن رَزِين قال :

أتينا بَشّارًا فأذن لنا والمائدةُ موضوعةٌ بين يديه فلم يَدْعُنا الى طعامه ، فلما أكل دَعَا بطَسْت فكَشَفَ عن سَوْءَته فبالَ ، ثم حضرتِ الظهرُ والعصرُ فلم يصلِّ ، فدَنَوْنا منه فقلنا : أنت أستاذُنا وقد رأينا منك أشياءَ أنكرناها ، قال : وما هى؟ قلنا : دخلنا والطعامُ بين يديك فلم تدعُنا إليه ، فقال : إنما أَذِنتُ لكم أن تأكلوا ولو لم أُرِد أن تأكلوا لَمَا أذِنتُ لكم[2] ، قال : ثم ماذا؟ قلنا : ودعوتَ بطست ونحن حضورٌ فبُلْتَ ونحن نراك ، فقال : أنا مكفوف وأنتم بُصَراء وأنتم المأمورون بغَضّ الأبصار ، ثم قال : ومه[3] ، قلنا : حضرتِ الظهرُ والعصرُ والمغربُ فلم تُصَلِّ ، فقال : إن الذى يقبَلُها تفاريقَ يقبلها جُمْلةً .

أخبرنا يحيى قال حدّثنى أبو أَيُّوبَ المدينىّ عن بعض أصحاب بَشّار قال :

كنا إذا حضرتِ الصلاةُ نقوم ويقعد بَشّار فنجعل حول ثيابه ترابًا لننظُرَ هل يصلِّى ، فنعود والترابُ بحاله .

---

(١) فى تهذيب التهذيب : « حسان » بدون الألف واللام . (٢) يريد « لما أذنت لكم بالدخول » . (٣) ومه : أصله « وما » فأبدلت الألف هاء للوقف والسكت .

بشار والثقلاء

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أبو أيّوب عن الحِرْمازيّ قال :
قعد الى بَشّار رجلٌ فآستثقله فضَرط عليــه ضَرْطةً ، فظنّ الرجل أنّهـا أفلتَتْ منه ، ثم ضَرط أُخرى ، فقال : أفلتت ، ثم ضَرط ثالثة[1] ، فقال : يا أبا مُعَاذ ، ما هذا؟ قال : مَهْ! أرأيتَ أم سمِعتَ؟ قال : بل سمعتُ صوتًا قبيحا ، فقـال : فلا تُصَدِّق حتى ترَى .

قال : وأنشد أبو أيّوب لبشّار فى رجل استثقَله :

ربّمـا يثقُلُ الجليسُ وإن كا * ن خفيفًا فى كِفّة الميزانِ
كيف لا تحمِل الأمانةَ أرضٌ * حمَلَتْ فـوقها أبا سُـفْيانِ

وقال فيه أيضا :

هل لك فى مالى وعِرْضى معًا * وكلِّ ما يملك جِـيرانيَـهْ
واذهبْ الى أبعــدِ ما يُنتَوى[2] * لا رَدّكَ الله ولا ماليَـهْ

أنشد الوليد بن يزيد شعره فى المزاج بالريق فطرب

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنى محمد بن إبراهيم الجِيلىّ[3] قال حدّثنى محمد بن عِمْرانَ الضَّبّيّ قال أنشدَنا الوليدَ بن يزيدَ قولَ بَشّار الأعمى :

أيّهـا الساقيانِ صُبّـا شَرَابى * وآسقِيانِى من رِيقِ بيضاءَ رُودِ[4]
إن دائى الظَّمَا وإن دوائى * شَرْبةٌ من رُضَابِ ثغـرٍ بَرُودِ
ولهـا مَضْحَكٌ كغُرِّ الأقاحِى * وحديثٌ كالوَشْيِ وشيِ البُرُودِ
نزلتْ فى السّواد من حبّة القلـ * ـبِ ونالتْ زيادةَ المُسْتَزِيدِ
ثم قالت نلقاكَ بعـد لَيَـالٍ * والليـالى يُبْلِينَ كلَّ جـديدِ
عندها الصبرُ عن لقائى وعندى * زَفَراتٌ يأكلْنَ قلبَ الحـديد

(١) بالاصول : «ثالثا» . (٢) يُنْتَوى : يُقْصَد . (٣) فى حـ : «الجبلى» بالباء .
(٤) الرود : الشابة الحسنة الشباب والأصل فيها الهمز وقد سُهلت للضرورة .

قال : فطرب الوليد وقال : مَن لى بمزاجِ كأسِى هذه من رِيق سَلْمَى فيَرْوَى ظَمَئى وتَطْفأ غُلّتى! ثم بكى حتى مزَج كأسَه بدمعه، وقال : إن فاتَنا ذاك فهذا .

هجا جاره أبا زيد فهجاه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى محمد بن سُلَيمان الطُّفَاوىّ قال حدّثنى عبد الله بن أبى بكر — وكان جليسًا لبَشّار — قال : كان لنا جارٌ يُكْنَى أبا زيد وكان صديقًا لبشّار، فبعث اليه يوماً يطلُبُ منه ثياباً بنَسِيئة[1] فلم يصادفْها عنده، فقال يهجوه :

أَلَا إنّ أبا زيدٍ * زَنَى فى ليلة القَدْرِ
ولم يَرْعَ، تعالى اللّـهُ ربّى، حُرْمةَ الشَّهْرِ

وكتبها فى رُقْعة وبعَث بها اليه ، ولم يكن أبو زيد ممن يقول الشعرَ، فقلبها وكتب فى ظهرها :

ألا إن أبا زيدٍ * له فى ذلكم عُذْرُ
أتتْه أُمُّ بشّارٍ * وقد ضاق بها الأمرُ
فواثبها فجامعَها * وما ساعده الصّبرُ

قال : فلما قُرِئَتْ على بشّار غَضب ونَدِم على تعرّضه لرجل لانباهةَ له، فجعل ينطَحُ الحائطَ برأسه غيظا، ثم قال : لا تعرّضْتُ لهجاءِ سَفِلَةٍ[2] مثلِ هذا أبدا .

شعره فى قينة

أخبرنى عمّى قال حدّثنا ٱبن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى بعضُ ولد أبى عُبَيد الله وزيرِ المهدىّ، قال :

دخل بشّار على المهدىّ وقد عُرِضَتْ عليه[3] جاريةٌ مُغَنّيةٌ فسمع غِناءها فأطربه وقال لبشّار : قُلْ فى صفتها شعرا، فقال :

(١) النسيئة : التأخير، يقال : باعه بنسيئة : اذا أخره عن الشىء المبيع . (٢) سَفِلَةُ الناس وسِفْلَتُهم : أسافلهم وغوغاؤهم . (٣) فى حـ : «عرَضَت له» .

ورائحـــةٍ للعين فيهـا مَخِيـلَةٌ (١)(٢) * إذا بَرَقَتْ لم تَسْقِ بَطْنَ صَعيدِ

من المستَهَلاتِ السّرورَ على الفتى * خفا (٣) بَرقُهـا فى عبقرٍ (٤) وعُقُـودِ

كأن لسانًا ساحرا فى كلامها * أُعِينَ بصوتٍ للقـلوب صَيُودِ

تُميتُ بـه ألبابَنَـا وقُلوبَنَـا * مرارا وتُحيِيهنّ بعـد هُمُودِ

٥ أخبرنى عمّى قال حدّثنا أبو أيّوب المـديني قال قال أبو عَدْنانَ حدّثنى يحيى ابن الجَوْنِ قال :

شعره فى عقبة بن سلم

دخل بشّار يوما على عُقبةَ بن سَلْمٍ فأنشده قولَه فيه :

صـــوت

إنّمـا لَذّةُ الجَـوادِ آبنِ سَـلْمٍ * فى عَطَاءٍ ومَرْكَـبٍ لِلّقَـاءِ

١٠ ليس يُعطيكَ للرجاءِ ولا الخو * فِ ولكن يَـلَذُّ طَعْمَ العَطَاءِ

يَسْـقُطُ الطيرُ حيثُ يَنتثِرُ الحَبُّ وتُغْشَى مَنازِلُ الكُرَماءِ

لا أُبالِى صَفْحَ اللئيمِ ولا تجـ * ـرِى دُموعِى على الحَرونِ الصَّفَاءِ

فعـلى عُقبةَ السـلامُ مقيمًا * وإذا سار تحت ظِـلّ اللواءِ

فوصَلَه (٥) بعشرة آلاف درهم . وفى هذه الأبياتِ خفيفُ رملٍ مطلق فى مجرى

١٥ البنصر لِزَلْزلٍ، وهو من مختار صنعته وصُدورِها ومما تَشبّهَ فيه بالقدماء ومذاهبهم .

كان خلف الأحمر وخلف بن أبى عمرو يرويان عنه شعره

أخبرنى أحمدُ بنُ العباس العسكرىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العَنَزىّ قال حدّثنا أحمد بن خَلّادٍ عن الأصمعىّ، وأخبرنى به الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثنى أحمد بن خَلّاد عن الأصمعىّ قال :

(١) الرائحة : واحدة الروائح وهى السحب التى تجىء رواحا، ويقابلها «الغادية» . (٢) المخيلة (بفتح الميم) : الظنّ . (٣) خفا البرق يخفو خَفْوًا وخُفُوًّا : لمع وظهر . (٤) يريد ثيابها، وتنسب الى
٢٠ قرية باليمن تسمى عبقر تُوَشّى بها الثيابُ والبُسُطُ ، وثيابها أجودُ الثياب . (٥) فى الأصول : «ووصله» .

كنتُ أشهدُ خَلَفَ بنَ أبى عمرو بن العلاء وخَلَفًا الأحمرَ يأتيانِ بشّارا ويُسَلِّمانِ عليه بغاية التعظيم ثم يقولان: ياأبا مُعاذ، ما أحدَثْتَ؟ فيخبرُهما ويُنشِدُهما ويَسألانه ويكتُبانِ عنــه مُتَواضِعَيْن له حتى يأتِىَ وقتُ الظهر ثم ينصَرِفانِ عنــه، فأتياه يوما فقالا له : ما هذه القصيدةُ التى أحدَثْتَها فى سَــلْمِ بنِ قتيبة؟ [١] قال : هى التى بلغَتْكُما، قالا : بلغنا أنكَ أكثرتَ فيها من الغريب، فقال : نعم، بلغنى أنّ سَلْمًا يتباصَرُ [٢] بالغريب فأحببتُ أن أُورِدَ عليه ما لا يعرفُه، قالا : فأَنشِدْناها ، فأنشَدَهُما :

بَكِّرَا صاحِبَيَّ قبــلَ الهَجِيرِ * إنّ ذاكَ النجاحَ فى التَّبكيرِ

حتى فرغ منها، فقال له خَلَف : لو قلت يا أبا مُعاذ مكان " إن ذاكَ النجاح " :

* بَكِّرا فالنجاحُ فى التبكيرِ *

كان أحسنَ، فقال بشّار : بَنَيْتُها أعْرابيّةً وحْشِيّةً، فقلتُ : " إنّ ذاكَ النجاحَ " كما يقول الأعرابُ البدَوِيُّون، ولو قلتُ : " بَكِّرا فالنجاحُ " كان هذا من كلام المولَّدِينَ ولا يُشبه ذلكَ الكلامَ ولا يدخلُ فى معنى القصيدة، فقام خَلَفٌ فقبّلَ بينَ عينيه، وقال له خَلَفُ بنُ أبى عمرو يُمازِحُه : لو كان عُلاثَةُ [٣] ولدكَ يا أبا مُعاذ لفَعَلتُ كما فعل أخى، ولكنّكَ مولًى، فمدّ بشارٌ يدَه فضرب بها فَخِذَ خَلَف وقال :

أَرَفَقٌ بعَمرو اذا حَرَّكْتَ نِسبتَه * فإنه عربىٌّ من قواريرِ

فقال له : أفعلتَها يا أبا مُعاذ! قال : وكان أبو عمرو يُغمَزُ فى نسبه .

وأخبرنى ببعض هذا الخبرِ حبيبُ بنُ نصر عن عُمَرَ بنِ شَــبَّةَ عن أبى عُبيدةَ، فذكر نحوَه وقال فيه : إنّ سَلْمًا يُعجِبُه الغَريبُ .

(١) فى ب، س، حـ : « مسلم » وهو تحريف . (٢) يتباصر بالغريب : يظهر أنه بصير به . (٣) يريد أنه لو كان عربيا لقبله كما يدل على ذلك السياق . و يظهر أنه لا يريد بعلاثة اسما بعينه ولكنه أتى بهذا الاسم لأنه خاص بالعرب .

قيل له ان فلانا سبك عند الأمير فهجاه

اخبرني هاشمُ بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تِينَةُ قال قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال قال لي خَلَفٌ :

كنت أسمعُ ببشّار قبل أن أراه ، فذكروه لي يوما وذكروا بيانَه وسُرعةَ جوابه وجَودة شعره ، فآستنشدْتُهم شيئا من شعره ، فأنشدوني شيئا لم يكن بالمحمود عندي ، فقلت : والله لآتينّه ولأُطَأْطِئَنّ منه ، فأتيتُه وهو جالسٌ على بابه ، فرأيته[1] أعمَى قبيحَ المنظَر عظيمَ الجثّة ، فقلتُ : لعنَ اللهُ مَنْ يُبالِي بهذا ، فوقفتُ أتأمّلُه طويلا ، فبينما أنا كذلك إذ جاءه رجلٌ فقال : إنّ فلانا سبّكَ عند الأمير محمد بن سليمان ووضَع منكَ ؛ فقال : أوَ قد فعلَ؟ قال : نعم ؛ فأطرقَ ، وجلس الرجل عنده وجلستُ ، وجاء قومٌ فسلّموا عليه فلم يَرُدَّ عليهم ، فجعلوا ينظرون اليه وقد دَرّتْ[2] أوداجُه ، فلم يلبَثْ إلا ساعةً حتى أنشدَنَا بأعلى صوتِه وأفخمِه :

نُبِّئتُ نائكَ أُمِّـه يغتابُني * عنـد الأميرِ وهل عليّ أميرُ
نارِي مُحَـرِّقَةٌ وبَيتِي واسعٌ * للمعتَفِينَ ومَجلِسِي مَعْمُورُ
ولِيَ المهابةُ في الأحِبَّة والعِدَا * وكأنّني أسَـدٌ له تامُـورُ[3]
غَرِثَتْ[4] حَليلتُه وأخطأ صيدَه * فـله على لَقَمِ[5] الطريق زَئيرُ

قال : فارتَعَـدَتْ والله فَرائِصِي وآقشَعَرّ جلدي وعَظُمَ في عيني جدًّا ، حتى قلت في نفسي : الحمد لله الذي أبعدَني من شَرِّكَ .

(١) في أ ، م ، ء : «فرأيت» . (٢) درت : امتلأت دما ؛ والأوداج : جمع وَدَج وهو عرق في العنق يقطعه الذابح فلا تبقَى معه حياة . (٣) التامُورُ : عَرِينُ الأسد . (٤) غَرِثَتْ : جاعت ، ورواية اللسان في مادة لَقَمَ : «غابت حَليلُه» . (٥) لَقَمُ الطريق : مَتْنُه ووسطه .

شعر له فى مدح خالد بن برمك

نسختُ من كتاب هارونَ بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنا العباسُ بن خالد قال :

مدح بشّارٌ خالدَ بنَ برمكٍ فقال فيه :

لعَمْرى لَقد أَجْدَى علىَّ ابنُ برمكٍ * وما كلُّ مَنْ كانَ الغِنَى عنده يُجْدِى

حَلَبتُ بشِعْرى راحتَيْه فَدَرَّتَا * سَماحًا كما دَرَّ السَّحابُ مع الرَّعدِ

إذا جئتَه للحمد أشرقَ وجهُه * إليكَ وأعطاكَ الكرامةَ بالحمدِ

له نِعَمٌ فى القوم لا يستثيبُها * جزاءً وكَيْلَ التاجرِ المُدَّ بالمُدِّ

مُفيدٌ ومِتلافٌ ، سَبيلُ تُرَاثِه (١) * اذا ما غدَا أوراحَ كالجزْرِ والمَدِّ

أخالدُ إنّ الحمدَ يبقَى لأهله * جمالًا ولا تبقَى الكُنوزُ على الكَدِّ

فأَطْعِمْ وكُلْ من عَارةٍ مُسْتَرَدّةٍ * ولا تُبقِها ، إن العَوَارِىَ للرَّدِّ

فأعطاه خالدٌ ثلاثينَ ألفَ درهم ، وكان قبل ذلك يُعطِيه فى كلِّ وِفَادةٍ خمسةَ آلاف درهم ، وأمر خالدٌ أن يُكتبَ هذانِ البيتانِ (٢) فى صدر مجلسه الذى كان يجلس فيه . وقال ابنه يحيى بن خالد : آخرُ ما أوصانى به أبى العملُ بهذين البيتينِ .

عمر بن العلاء ومدائح الشعراء فيه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن عمر بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن عثمان قال :

كان أبو الوزير مولى عبدِ القيس من عُمّال الخراج ، وكان عفيفًا بخيلا ، فسأل عُمَرَ (٣) بنَ العلاء ، وكان جوادا شجاعا ، فى رجل فوهب له مائةَ ألفِ درهم ؛ فدخل

(١) كذا فى الأصول . والتراث (بضم التاء) : ما يخلفه الرجل لورثته وهو بهذا المعنى لا يتمشى مع كلمات البيت ولا المعنى الذى يريده الشاعر من أن الممدوح كسوب متلاف ، فاله دائما لذلك يعتوره النقص والزيادة والظاهر أن كلمة «تراثه» محرّفة عن «ثرائه» . (٢) يريد البيتين الأخيرين .

(٣) كذا فى أكثر الأصول وتاريخ الطبرى (قسم ٣ ج ١ ص ١٣٦) ومعجم ياقوت فى كلامه على طبرستان . وفى ب ، س : «عمرو» وهو تحريف .

أبو الوزير على المهدىّ فقال له : يا أمير المؤمنين، إن عُمَر بنَ العلاء خائنٌ؛ قال : ومن أين علمتَ ذلك؟ قال : كُلِّمَ فى رجل كان أقصى أمَـلِه ألفَ درهم فوهب له مائةَ ألف درهم؛ فضحك المهدىّ ثم قال: "قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ"، أما سمعتَ قول بشّار فى عُمَر :

٥ إذا دَهَمَتْكَ عِظامُ الأمورِ * فَنَبِّـهْ لهـا عُمَرًا ثم نَمْ

فتًى لا ينـامُ على دِمْنَـةٍ(١) * ولا يَشرَبُ المـاءَ إلا بدَمْ

أوَ ما سمعتَ قولَ أبى العَتاهِيَة فيه :

صـــوت

إنّ المطايا تَشتَكِيكَ لأنهـا * قَطعَتْ إليك سَباسِبًا ورِمالَا

١٠ فإذا وَرَدْنَ بنا وَرَدْنَ مُخِفَّةً * وإذا رجَعْنَ بنا رجَعْنَ ثِقالَا

— الغناء لإبراهيمَ ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو بنِ بانةَ — أوَ ليس الذى يقول فيه أبو العتاهية :

يابنَ العَلاء ويابنَ القَـرْمِ مِرْدَاسِ * إنى لَأُطْرِيكَ فى صَحْبى وجُلَّاسِى

حتى إذا قيل ما أعطاكَ من نَشَبٍ * أُلفِيتُ من عُظْمِ ما أسديتَ كالناسِى

١٥ ثم قال : مَنِ ٱجتمعَتْ أَلْسُنُ الناسِ على مدحه كان حَقيقًا أن يُصدِّقَها بفعله .

شعره فى جارية له سوداء كان يفترشها

أخبرنى محمـدُ بن خلف بن المَرْزُبانِ قال حدّثنى أبو بكر الرِّبعىّ قال :

كانت لبشّار جاريةٌ سوداءُ وكان يَقَعُ عليها، وفيها يقول :

وغادةٍ سَوداءَ بَرَّاقةٍ * كالمـاءِ فى طِيبٍ وفى لِينِ

كأنها صِيغَتْ لمن نالها * من عَنبرٍ بالمِسكِ مَعجُونِ

٢٠ (١) الدمنة : الحقد، وقيل لا يكون الحقد دمنةً حتى يأتى عليه الدهر .

لِيمَ فى مبالغته فى مدح عقبة بن سلم فأجاب

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال حدّثنى أبو الشِّبْلِ البُرْجُمِىّ قال: قال رجلٌ لبشّار: إنّ مدائحكَ عُقبةَ بنَ سَلْمٍ فوق مدائحك كلَّ أحد؛ فقال بشّار: إنّ عطاياه إيّاىَ كانت فوق عطاءِ كلِّ أحدٍ، دخلتُ إليه يوما فأنشدتُه:

حرّم اللهُ أن تَرى كابنِ سَلْمٍ * عُقبَةِ الخيرِ مُطْعِمِ الفقراءِ
ليس يُعطيكَ للرّجاءِ ولا الخو * فِ ولكن يَلَذُّ طَعْمَ العَطاءِ
يَسقطُ الطيرُ حيثُ يَنتثِرُ الحَبُّ وتُغشَى مَنازِلُ الكُرَماءِ

فأمر لى بثلاثة آلاف دينار، وهأنا قد مدحتُ المهدىّ وأبا عُبيدِ الله وزيرَه — أو قال يعقوبَ بنَ داودَ — وأقمتُ بأبوابهما حولًا فلم يعطيانى شيئا، أَفَأُلامُ على مدحى هذا!.

طلب منه أبو الشمقمق الجزية فرده فهجاه فأعطاه

ونسختُ من كتاب هارونَ بنِ علىّ أيضا حدّثنى [علىّ قال حدّثنى][(١)] عبيد الله بن أبى الشِّيص عن دِعْبِل بن علىّ قال:

كان بشّارٌ يُعطِى أبا الشَّمَقْمَقِ فى كلّ سنة مائتَىْ درهمٍ، فأتاه أبو الشمقمق فى بعض تلك السنين فقال له: هَلُمَّ الجزيةَ يا أبا مُعاذ؛ فقال: ويحَكَ! أجزيةٌ هى! قال: هو ما تسمعُ؛ فقال له بشّارٌ يُمازحه: أنتَ أفصحُ منّى؟ قال: لا؛ قال: فأعلمُ منّى بمثالبِ الناس؟ قال: لا؛ قال: فأشعرُ منّى؟ قال: لا؛ قال: فلِمَ أُعطيكَ؟ قال: لئلّا أهجُوَكَ؛ فقال له: إنْ هجوتَنى هجوتُكَ؛ فقال له أبو الشمقمق: هكذا هو؟ قال: نعم، فقل ما بدالكَ؛ فقال أبو الشمقمق:

إنى إذا ما شاعرٌ هجانِيَهْ * ولجّ فى القول له لِسانِيَهْ
أدخلتُه فى آستِ آمّه عَلانِيَهْ * بشّارُ يا بشّارُ ... ...

(١) هذه الزيادة ساقطة من ب، س.

وأراد أن يقولَ : "يا بنَ الزانيَة" ، فوثَب بشّارٌ فأمسكَ فاه ، وقال : أراد والله أن يَشتُمَني ، ثم دفع اليــه مائتىْ درهم ثم قال له : لا يَسمَعَنَّ هذا منــكَ الصّبيانُ يا أبا الشَّمَقمقِ .

أخبرنى أحمد بن العباس العسكرىّ قال حدّثنى الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزىُّ قال حدّثنى محمد بن بكر قال حدّثنى الأصمعىّ قال :

أمرَ عقبةُ بنُ سَلْم [الهُنَائِىُّ][1] لبشّــارٍ بعشرة آلاف درهم ، فأُخبرَ أبو الشمقمق بذلك فوافى بشّارا فقال له : يا أبا مُعاذ ، إنى مررتُ بصبيانٍ فسمعتُهم يُنشِدُونَ :

هَلِّلِينَــهْ هَلِّلِينَــهْ * طَعْنَ قِثّاةٍ لِتِينَهْ[2]
إنّ بشّارَ بنَ بردٍ * تَيسٌ أعمى فى سَفِينَهْ

فأخرج إليه بشّارٌ مائتىْ درهم فقال : خذ هذه ولا تكن رَاوِيةَ الصبيانِ يا أبا الشمقمقِ .

شعره فى هجاء العباس بن محمد ابن على

أخبرنى أحمد قال حدّثنا أبو محمد الصَّعْتَرىُّ قال حدّثنا محمدُ بن عثمانَ البصرىّ قال :

استمنح بشّارُ بن برد العباسَ بنَ محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس فلم يَمنَحْه ، فقال يهجوه :

ظِلُّ اليسارِ على العباسِ مَمدُودُ * وقلبُــهُ أبدا فى البخل مَعقُودُ
إنّ الكريمَ لَيُخْفِى عنكَ عُسرَتَهُ * حتى تَراه غَنِيًّــا وهو مجهودُ
وللبخيــلِ على أمواله عِلَلٌ * زُرقُ العيونِ عليها أوجهٌ سُــودُ
إذا تكرّهتَ أن تُعطِىَ القليلَ ولم * تَقدِرْ على سَعَةٍ لم يَظهَرِ الجُودُ
أَوْرِقْ بخيرٍ تُرَجَّى لِلنّوال فما * تُرْجَى الثّمــارُ إذا لم يُورِقِ العُودُ
بُثَّ النّــوالَ ولا تَمنَعْكَ قِلّتُــهُ * فكلُّ ما سَــدَّ فقرًا فهو محمُودُ

(١) زيادة فى ا ، م ، و نسبة الى هُناءة بن مالك ، و بنو هناءة هم رهط عقبة بن سلم .
(٢) فى حـ : « طعن قثاة بتينه » .

اجتمع بعباد بن عباد وسلم عليه

أخبرنى أحمد قال حدّثنا العَنَزِىّ قال حدّثنى المغيرةُ بن محمد المهلّبىّ قال حدّثنى أبى عن عَبَّادِ بن عَبَّادٍ قال :

مررتُ ببشّار فقلت : السّلامُ عليكَ يا أبا مُعاذٍ؛ فقال: وعليك السلام، أعبّاد؟ فقلت : نعم؛ قال : إنى لحَسَنُ الرأىِ فيكَ؛ فقلت : ما أحوجَنِى إلى ذلك منك يا أبا معاذ! . ٥

جارى آمرأ القيس فى تشبيه شيئين بشيئين

أخبرنى يحيى بن علىّ قال أخبرنى محمد بن عمرَ الجُرْجانىّ عن أبى يعقوب الخُرَيمىّ[1] الشاعر أنّ بشّارا قال : لم أزل منذ سمعتُ قولَ آمرئ القيس فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيتٍ واحدٍ حيث يقول :

كأنّ قلوبَ الطيرِ رَطْبًا ويابسًا * لدَى وكرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالِى

أُعْمِلُ نفسِى فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيتٍ حتى قلتُ : ١٠

كأنّ مُثَارَ النّقعِ فوقَ رُءوسنا * وأسيافَنَا ليلٌ تهاوَى كواكِبُهْ

قال يحيى : وقد أخذ هذا المعنى منصورٌ النَّمَرِىُّ فقال وأحسنَ :

ليلٌ من النّقعِ لا شمسٌ ولا قمرٌ * إلا جَبِينُكَ والمذْروبةُ الشُّرُعُ[2]

كان إسحاق الموصلىّ يطعن فى شعره ولما أنشد منه سكت

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبى قال : كان إسحاقُ الموْصِلىُّ يَطعَنُ على شعرِ بشّارٍ ويضعُ منه ويذكر أنّ كلامَه مُختلِفٌ لا يشبه بعضُه بعضا؛ فقلنا : أتقولُ هذا القولَ لمن يقولُ : ١٥

(١) هكذا أورد شارح القاموس هذا الاسم فى المستدرك فى مادة «خرم» وقال : «هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهى الخريمىّ بالضم من شعراء الدولة العباسية، قيل له ذلك لاتصاله بخريم بن عامر ابن الحارث المرّى المعروف بالناعم، وقيل : لاتصاله بأبنه عثمان بن خريم، وقيل : هو مولاهم» وفى جميع الأصول «الخزيمى» بالزاى وهو تحريف . (٢) المذروبة : المحدّدة ، والشرع : المشروعة والمراد بها السيوف . ٢٠

صــــوت

إذا كنتَ فى كلّ الأمــور مُعاتبًا * صَديقَكَ لم تَلْقَ الذى لا تُعاتِبُــهْ
فَعِشْ واحدًا أو صِــلْ أخاكَ فإنّهُ * مُقــارِفُ[1] ذنبٍ مَرّةً ومُجانِبُــهْ
إذا أنتَ لم تَشرَبْ مِرَارا على القَذَى * ظَمِئْتَ وأىُّ الناسِ تَصفُو مَشارِبُهْ

— لأبى العُبَيْسِ بن حمدون فى هــذه الأبياتِ خفيفُ ثقيــلٍ بالبنصر —
قال علىّ بن يحيى : وهــذا الكلامُ الذى ليس فوقه كلامٌ من الشــعر ولا حَشوَ فيه؛ فقال لى إسحاقُ: أخبرنى أبو عُبيدةَ مَعْمرُ بنُ المثنّى أن شُبَيلَ بنَ عَزْرةَ[2] الضُّبَعِىَّ أنشده هذه الأبيات للمتلمّس، وكان عالمـا بشعره لانهما جميعا من بنى ضُبَيعةَ؛ فقلتُ له : أفليس قد ذكر أبو عبيدةَ أنه قال لبشّار: إن شُبيلًا أخبره أنها للمتلمّس؛ فقال : كذبَ واللهِ شُبيلٌ، هذا شعرى ، ولقد مدحْتُ به آبنَ هُبيرةَ فأعطانى عليه أربعين ألفا . وقد صدَقَ بشّارٌ[3]، قد مدح فى هذه القصيدةِ آبنَ هُبيرةَ ، وقال فيها :

رُوَيْدَ[4] تَصاهَلْ بالعِــراق جِيادُنا * كأنكَ بالضَّــحاكِ قد قامَ نَادِبُهْ
وسامٍ لمروانٍ ومِنْ دونِه الشَّــجَا * وهَوْلٌ كَلُجِّ البحرِ جَاشَتْ غوارِبُهْ
أحلَّتْ به أُمُّ المنـايا بنَـاتِهَـا * بأسيافنا، إنّا رَدَى مَنْ نُحارِبُهْ
وكنّا إذا دَبَّ العدوُّ لِسُــخْطِنَا * وراقَبَنَا فى ظاهرٍ لا نُراقِبُــهْ
رَكِبنَا له جَهْــرًا بكلّ مُثَقَّفٍ * وأبيضَ تَستَسْقِى الدِّماءَ مَضارِبُهْ

(١) مقارف ذنب : مخالطه ومرتكبه ، من قارف الخطيئة اذا خالطها .
(٢) ورد هذا الاسم فى القاموس مادة شبل «عروة» بالراء والواو وآستدرك عليه شارحه فقال : «شبيل بن عروة هكذا فى النسخ والصواب آبن عزرة بالزاى» وكذلك ورد «عزرة» بالزاى فى تاريخ الطبرى (قسم ٢ ج ٦ ص ١٩١٣ طبع أوربا) .
(٣) فى ب ، سـ : «وقد» بالواو .
(٤) فى اللسان (مادة رود) : وقال الليث : اذا أردت «برويدا» الوعيد نصبتها بلا تنوين ، وأنشد : * رويدَ تُصاهِلْ بالعراق جيادَنا * الخ . وفى الأصول : « رويدا » بالتنوين .

ثم قلتُ لإسحاق : أخبرنى عن قول بشّار فى هذه القصيدة :

فلمّا تولّى الحَرُّ واعتصَر الثرى * لَظَى الصَّيفِ مِنْ نجمٍ توقَّدَ لاهبُهْ
وطارتْ عَصَافيرُ الشَّقائقِ[1] واكتسَى * من الآلِ[2] أمثالَ المجَرّةِ[3] ناضبُهْ
غَدَتْ عانَةٌ تشكو بأبصارها الصَّدَى * الى الجأْبِ إلا أنها لا تُخَاطِبُهْ

— العانةُ : القَطِيعُ من الحمير، والجأب : ذكرها. ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أنّ العطش قد تبيّنَ فى أحداقها فغارَتْ — قال : وهذا من أحسن ما وُصِف به الحمارُ والأُتُنُ، أفهذا للتلمّس أيضا ! قال : لا ؛ فقلت : أفما هو فى غاية الجَوْدَة وشبيهٌ بسائر الشعر" فكيف قصد بشّارٌ لسرقة تلك الأبيات خاصّةً! وكيف خصه بالسرقة منه وحدَه من بين الشعراء وهو قبله بعصر طويل ! وقد رَوَى الرُّواةُ شعرَه وعلم بشّارٌ أنّ ذلك لا يخفَى ، ولم يُعْثَرْ على بشّارٍ أنه سَرق شعرًا قطّ جاهليًّا ولا إسلاميًّا . وأُخرَى فإنّ شعرَ المتلمّس يُعرَفُ فى بعض شعر بشّار، فلم يَرْدُدْ ذلك بشىء .

وقد أخبرنى بهذا الخبر هاشمُ بنُ محمد الخزاعىّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبى عُبيدَةَ أنّ بشّارا أنشدَه :

إذا كنتَ فى كلّ الأمورِ مُعاتِبًا * صديقَكَ لم تَلْقَ[4] الذى لا تُعاتِبُهْ

وذكر الأبيات . قال : وأنشدتُها شُبيلَ بنَ عَزْرَةَ الضُّبَعِىّ، فقال : هذا للتلمّس؛ فأخبرتُ بذلك بشّارا، قال: كذب والله شُبَيْلٌ، لقد مدحتُ ابنَ هُبيرةَ بهذه القصيدة وأعطانى عليها أربعين ألفا .

(١) الشقائق : جمع شقيقة وهى أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب . (٢) الآل : السراب . (٣) المجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بمجرّد البصر وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء . (٤) فى حـ : «لم تلف» بالفاء .

لما صار طاهر الى العراق فى حرب الأمين سأل عن ولد بشار ليبرّهم

أخبرنا يحيى بن علىّ قال حدّثنا علىّ بن مهدىّ قال حدّثنا علىّ بن إبراهيم المَرْوَزِىّ، وكان أبوه من قوّاد طاهر، قال حدّثنى أبى قال :

لما خلَع محمّدٌ المأمونَ وندَب له علىَّ بنَ عيسى، ندَب المأمونُ للقاء علىّ بن عيسى طاهرَ بنَ الحسين ذا اليمِينَينِ (١) وجلس له لعَرْضه وعَرْض أصحابه، فمرّ به ذو اليمِينَينِ مُعترِضًا وهو يُنشِدُ :

رُوَيدًا (٢) تَصاهَلْ بالعراق جيادُنا * كأنك بالضحّاك قد قام نادِبُهْ

فتفاءل المأمونُ بذلك فاستدناه فاستعاده البيتَ فأعاد عليه ؛ فقال ذو الرِّياسَتَينِ (٣) : يا أمير المؤمنين هو حَجَرُ (٤) العِرَاقِ؛ قال : أجلْ . فلما صار ذو اليمينين الى العراق سأل : هل بقِىَ من ولد بشّار أحد ؟ فقالوا : لا ؛ فتوهّمتُ أنه قد كان همَّ لهم بخير .

غضب على سلم الخاسر لأنه سرق من معانيه

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبى قال أخبرنى أحمد بن صالح — وكان أحدَ الأدباء — قال :

غَضِبَ بشّارٌ على سَلْمٍ الخاسِرِ وكان من تلامذته ورُواته ، فاستشفع عليه بجماعةٍ من إخوانه فجاءوه فى أمره ؛ فقال لهم : كلُّ حاجةٍ لكم مَقْضِيّةٌ

(١) ذكر ابن خلكان فى وفيات الأعيان (ج١ ص ٢٣٥) طاهرا هذا وقال فى سياق ترجمته : واختلفوا فى تلقيبه بذى اليمينين لأىّ معنى كان فقيل : لأنه ضرب شخصا فى وقعته مع علىّ بن ماهان فقدّه نصفين وكانت الضربة بيساره فقال فيه بعض الشعراء :

* كلتا يديك يمين حين تضربه *

وذكر أيضا فى ترجمة الفضل بن سهل (ج ١ ص٥٨٩) أن الفضل كان أعلم الناس بعلم النجامة، فلما عزم المأمون على إرسال طاهر بن الحسين الى محاربة أخيه الأمين، نظر الفضل فى مسألته فوجد الدليل فى وسط السماء وكان ذا يمينين، فأخبر المأمون بأن طاهرا يظفر بالأمين ويلقّب بذى اليمينين، فلقب المأمون طاهرا بذلك، وهو أشهر قوّاده .

(٢) انظر الحاشية رقم ٤ من ص ١٩٧ من هذا الجزء .

(٣) هو الفضل بن سهل وزير المأمون، ولقب بذى الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف .

(٤) يريد أنه الركن الذى يعوّل عليه .

إلا سَلْمًا، قالوا : ما جئناكَ إلا فى سَلْمٍ ولا بدّ مِنْ أن تَرضَى عنه لنا؛ فقال : اينَ هو الخبيثُ؟ قالوا : ها هو هذا؛ فقام اليه سَلْمٌ فقبّل رأسه ومثَل بين يديه وقال : يا أبا مُعَاذ، خرّيجُكَ وأديبُكَ؛ فقال : يا سَلْمُ، مَنِ الذى يقول :

مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظفَرْ بحاجته * وفازَ بالطيّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

قال : أنتَ يا أبا مُعاذ، جعلنِى اللهُ فداءَكَ ! قال : فمَنِ الذى يقول :

مَنْ راقبَ الناسَ مات غَمًّا * وفاز باللّذّةِ الجَسُورُ[1]

قال : خرّيجُكَ يقول ذلك (يعنِى نَفْسَه)؛ قال : أفتأخُذُ معانِىَ التى قد عُنِيتُ بها وتَعِبتُ فى آستنباطها، فتكسوها ألفاظا أخفَّ مِنْ ألفاظى حتى يُرْوَى ما تقولُ ويَذهبَ شعْرِى! لا أرضَى عنك أبدًا، قال : فما زال يتضرّعُ اليه، ويشفَعُ له القومُ حتى رَضِىَ عنه . وفى هذه القصيدةِ يقول بشّارٌ :

لو كنتِ تَلْقِينَ ما نَلْقَ قَسَمتِ لنا * يومًا نَعِيشُ به منكم ونَبْتَهِجُ

صــوت

لا خيرَ فى العيش إن كُنّا[2] كذا أبدا * لا نَلتقِى وسبيلُ المُلتقَى نَهِجُ[3]

قالوا حرامٌ تلاقِينا فقلت لهم * ما فى التّلاقِى ولا فى قُبْلةٍ حَرَجُ

مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظفَرْ بحاجتِهِ * وفاز بالطّيّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

أشكو إلى اللهِ همًّا ما يُفَارِقُنِى * وشُرُعًا[4] فى فؤادِى الدّهرَ تعتلِجُ

أنشد الأصمعى شعره فى هجو باهلة فغاظه فخره بنسبه

أخبرنا محمدُ بن عِمْرانَ الصيرَفِىُّ قال حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنَزِىّ قال حدّثنا أحمد بن خَلّادٍ قال : أنشدتُ الأصمعىّ قولَ بشّارٍ يهجو باهِلةَ :

(١) هذا البيت و بيت بشار قبله يذكرهما علماء البلاغة شاهدا لحسن أخذ الشاعر الثانى من الأوّل، ويسمونه حسن الاتباع، لأن بيت سلم أجود سبكا وأخصر لفظا (أنظر ...هد التنصيص صفحة ٥٠٦ طبع بولاق) . (٢) كذا فى الأصول . وفى معاهد التنصيص : «إن دمـ» . (٣) النهج : البين الواضح . (٤) الشرع : الرماح والمراد بها هنا الخواطر وما إليها مجازا، وتعتلج : تتضارب وتمارس .

ودعانى معشرٌ كلّهمُ * حمقٌ دام لهم ذاكَ الحُمُقْ

ليس من جُرمٍ ولكن غاظَهم * شَرَفى العارضُ قد سَدَّ الأُفُقْ

فاغتاظ الأصمعىُّ فقال : وَيْلِى على هذا العبدِ القِنّ ابنِ القِنّ[1] ! .

حديثه مع امرأة فى الشيب

نسختُ من كتاب هارونَ بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى عباسُ بن خالد قال سمعتُ غيرَ واحد من أهل البصرة يُحَدِّثُ :

أنّ امرأةً قالتْ لبشّار : أىّ رجل أنتَ لو كنتَ أسودَ اللحيةِ والرأس ! قال بشّار : أما عَلمْتِ أن بِيض البُزاة أثمن من سُود الغِربان ؛ فقالت له : أمّا قولك فحَسَنٌ فى السّمع، ومن لك بأن يَحسُن شَيبُكَ فى العين كما حسُنَ قولك فى السّمع ! فكان بشّار يقول : ما أفحمنى قطّ غيرُ هذه المرأة .

أحب الأشياء اليه

ونسخت من كتابه : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى إسحاق بن كلبة قال قال لى أبو عثمان المازنىّ :

سئل بشار : أىُّ متاع الدنيا آثَرُ عندكَ ؟ فقال : طعامٌ مُزٌّ[2] ، وشرابٌ مُرٌّ، وبنتُ عشرين بِكْر .

دخل اليه نسوة وطلب من إحداهنّ أن تواصله فأبت فقال شعرا

أخبرنى عمى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد ، وأخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنى أحمد بنْ أبى طاهر قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى أبو تَوْبةَ عن صالح بن عطيّة قال :

كان النساء المتظرّفات يدخُلْنَ الى بشّار فى كلّ جمعة يومين ، فيجتمعن عنده ويسمَعْن من شعره ،فسمِع كلامَ امرأة منهنّ فعلِقَها قلبُه وراسلها يسألها أن تُواصله ؛

---

(١) القن : عبدٌ مُلِكَ هو وأبوه .

(٢) المز : ما كان طعمه بين الحموضة والحلاوة .

فقالت لرسوله : وأىّ معنى فيك لى أوْ لك فىّ! وأنت أعمى لا ترانى فتعرف حسنى ومقدارَه ، وأنتَ قبيحُ الوجه فلا حظّ لى فيك ! فليت شعرى لأىّ شىء تطلُب وِصال مثلى! وجعلَتْ تهزأ به فى المخاطبة؛ فأدّى الرّسولُ الرّسالةَ، فقال له : عُد اليها فقل لها :

أيرى له فضلٌ على آيارهم * وإذا أشظّ[1] سجَدْنَ غير أوابى
تلقاه بعد ثلاثَ عشْرةَ قائما * فعلَ المؤذّن شكّ يومَ سَحاب
وكأنّ هامةَ رأسه بِطّيخةٌ * حُمِلتْ الى مَلِكٍ بدجلةَ جابى[2]

اعترض مروان بن أبى حفصة على بيت من شعره فأجابه

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثنا أبو هفّان قال أخبرنى أحمد بن عبد الأعلى الشيبانىّ عن أبيه قال :

قال مروان لبشّار لما أنشده هذا البيتَ :

وإذا قلتُ لها جُودِى لنا * خرجَتْ بالصّمت من لَا ونَعَمْ

جعلنى الله فداءك يا أبا معاذ ! هلّا قلتَ : « خَرِستْ بالصّمْت » ؛ قال : إذًا أنا فى عقلك فضّ الله فاك! أأتطيّر على مَنْ أُحبّ بالخَرس ! .

مدح خالدا البرمكى فأجازه

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : حدّثنى بعضُ أصحابنا قال : وفَد بشّار الى خالد بن برمك وهو على فارس فأنشده :

أخالدُ لم أَخْبِطْ[3] اليك بذمّة * سوى أنّنى عافٍ وأنتَ جَوادُ
أخالدُ بينَ الأجر والحمدِ حاجتى * فأيّهما تأتى فأنتَ عِمادُ
فإن تُعطنى أُفرِغْ عليك مدائحى * وإن تأبَ لم يُضرَبْ علىّ سِدادُ[4]

(١) أشظ : أنعظ ، وأوابى : ممتنعات واحدتها «آبية» . (٢) جاب : وصف من جبى الخراج يجبيه ويجباه أى جمعه . (٣) أى لم أسر اليك لطلب معروفك متوسلا بعهد ؛ ورواية الخزانة البغدادى ج ١ ص ٥٤٠ طبع بولاق . «لم أهبط» . (٤) السداد بالكسر : ما سدّ به الثلمة ونحوها .

٥١
٣

رِكابى على حَرْفٍ وقلبى مُشَيَّعٌ[(١)] * ومالى بأرض الباخلين بِلادُ
إذا أنكرَتْنى بَلدةٌ أو نَكِرْتُهَا * خرجتُ مع البازِى علىَّ سَوادُ

قال : فدعا خالد بأربعة آلاف دينار فى أربعة أكياس فوضع واحدا عن يمينه وواحدا عن شماله وآخرَ بينَ يديه وآخر خلفَه ، وقال : يا أبا معاذ، هل آستقلّ العِماد ؟ فلمَس الأكياسَ ثم قال : آستقلّ والله أيّها الأميرُ .

مدح الهيثم بن معاوية وأخذ جائزته

أخبرنى حبيبُ بنُ نصر المهلّبىّ قال حدّثنا عمرُ بنُ شَبّة قال قال محمدُ بن الحجّاج حدّثنى بشّار قال :

دخلت على الهَيْثم بن معاويةَ وهو أمير البصرة، فأنشدتُه :

إنّ السّلام أيّها الأميرُ * عليكَ والرّحمةُ والسّرورُ

فسمعتُه يقول : إنّ هذا الأعمى لا يَدَعنا أو يأخذَ من دراهمنا شيئا ؛ فطمعتُ فيه فما برحتُ حتّى آنصرفتُ بجائزته .

طلب رجلا من بنى زيد الفاخرة وهجاه فانقطع عنه

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلّام قال :

وقَف رجلٌ من بنى زيد شريفٌ، لا أُحبّ أن أُسمّيَه، على بشّار، فقال له : يا بشّار قد أفسدتَ علينا مَوالينَا، تَدعوهم الى الآنتفاء منّا وتُرَغّبهم فى الرُّجوع الى أصولهم وترك الوَلاء، وأنت غيرُ زاكى الفَرع ولا معروف الأصلِ ؛ فقال له بشار : والله لأَصْلى أكرمُ من الذهب ، ولَفَرْعى أزكى من عمل الأبرار، وما فى الأرض كلبٌ يودّ أنّ نسبَكَ له بنسبه، ولو شئتُ أن أجعل جوابَ كلامك كلاما[(٢)] لفعلتُ، ولكنّ موعدك

(١) الحرف : الناقة القوية، والمشيّع : الشجاع .
(٢) كذا فى أكثر الأصول. وفى حـ : «أن أجعل جواب كلامنا شعرا لفعلت» . ولعله «جواب كلامك شعرا» .

غدا بالمِرْبَد، فرجع الرجلُ الى منزله وهو يتوهّم أنّ بشّارا يحضُر معه المِربد ليفاخره، فخرج من الغد يريد المِربَد فإذا رجل يُنشدُ :

شهِدتُ على الزِّيدىّ أنّ نِساءه * ضِباعٌ[1] الى أير العُقيلىّ تَزفِرُ

فسأل عمّن قال هذا البيت ؛ فقيل له : هذا لبشّار فيك ؛ فرجع الى منزله من فوره ولم يدخل المِربدَ حتّى مات .

قال ابن سَلّام : وأنشدَ رجل يوما يونَس فى هذه القصيدة وهى :

بَلَوتُ بنى زيدٍ فما فى كِبارهم * حُلومٌ ولا فى الأصغَرِينَ مُطهَّرُ

فأبلغ بنى زيد وقل لَسراتهم * وإن لم يكن فيهم سَراةٌ تُوقَّرُ

لأمّكم الوَيلاتُ إنّ قصائدى * صَواعقُ منها مُنجِدٌ ومغوِّر

أجِدَّهمُ[2] لا يتّقون دَنيّةً * ولا يُؤْثِرون الخير والخيرُ يؤثَر

يَلُفُّون[3] أولاد الزّنا فى عِدادهم * فعِدّتُهم من عِدّة الناس أكثرُ

اذا ما رأوا مَنْ دأبُه مثلُ دأبهم * أطافوا به، والغَىُّ للغىّ أصوَرُ[4]

ولو فارقوا من فيهمُ من دَعارَة[5] * لما عرفتْهم أُمّهم حين تَنظُرُ

لقد فخَروا بالمُلحَقِين[6] عشيّةً * فقلتُ أفخروا إن كان فى اللؤم مفخَرُ

---

(١) ضِباع : جمع ضبعة وأصله الناقة تشتهى الفحل ، يقال : ضبعت الناقة تضبع ضبعا وضبعة أى اشتهت الفحل ، وقد يستعمل فى النساء كما وقع فى هذا البيت (انظر اللسان والقاموس مادة ضبع) .

(٢) يقال : أجِدّك بكسر الجيم وأجَدّك بفتحها ونصبهما على المصدر، قال الليث : من قال : أجِدّك بكسر الجيم فانه يستحلفه بجدّه وحقيقته واذا فتح الجيم استحلفه بجدّه وهو بخته . (٣) يلفّون : يجمعون .

(٤) أصور : أميل ، يقال : صوِر يصور صوَرا أى مال . (٥) أى لو فارقوا من انضم اليهم من طريق الدعارة . (٦) يريد بالملحقين : الذين استلحقوهم وألصقوهم بهم من أولاد الزنا .

يريدون مَسْعَاتى ودون لقائها * قناديلُ أبواب السَّموات تَزْهَرُ[(٢)]

فقل فى بنى زيدٍ كما قال مُعْرِبٌ * قَوَارِيرُ حَجَّامٍ غدًا تتكسَّرُ

فقال يونسُ للذى أنشدَه : حَسْبُكَ حسبك! مَنْ هَيَّج هذا الشيطانَ عليهم؟ قيل : فلانٌ ؛ فقال : رُبَّ سَفيهِ قومٍ قد كَسَبَ لقومه شرًّا عظيما .

٥٢ / ٣

صمت ثلاثا فى شعره عند عقبة بن سلم واستحق جائزته

أخبرنى عمى قال حدّثنا ابنُ مَهْرُويه قال حدّثنى عبدُ الله بنْ بشر بن هلال قال حدّثنى محمد بن محمد البصرى قال حدّثنى النصر بن طاهر أبو الحجاج قال :

قال بشار: دعانى عقبةُ بن سَلْم ودعا بحمّاد عَجْرد وأعشى باهلةَ ، فلما اجتمعنا عنده قال لنا : إنه خطر ببالى البارحةَ مَثَلٌ يتمثّلهُ الناسُ : «ذهبَ الحمارُ يطلبُ قرنين فجاء بلا أذنين» فأَخْرِجُوه من الشعر، ومن أخرجَهُ فله خمسةُ آلاف درهم، وإن لم تفعلوا جَلَدْتكم كُلَّكم خمسمائةً ؛ فقال حمّاد : أَجِّلْنَا أعزّ اللهُ الأميرَ شهرًا ، وقال الأعشى : أجِّلْنا أسبوعين ؛ قال : و بشّار ساكتٌ لا يتكلّمُ ، فقال له عُقبةُ : مالكَ [يا أعمى][(٣)] لا تتكلّمُ! أعمى الله قلبك ! فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، قد حضرَنى شىءٌ فإن أمرتَ قلتُه ؛ فقال قل ؛ فقال :

شَطَّ بسَلْمَى عاجلُ البينِ * وجاورتْ أُسْدَ بنى القَيْنِ

ورنَّتِ النفسُ لها رَنَّةً * كادتْ لها تنشقُّ نصفَيْنِ

يا بنةَ مَن لا أشتهى ذكرَه * أخشَى عليه عُلَقَ الشَّيْنِ

والله لو ألقاكِ لا أتّقى * عينًا لقبَّلتُك ألفَيْنِ

(١) المسعاة : المكرمة والمعلاة فى أنواع المجد والجود . وفى اللسان : «والعرب تسمى مآثر أهل الشرف والفضل "مساعى" واحدتها مسعاة لسعيهم فيها كأنها مكاسبهم وأعمالهم التى أعنوا فيها أنفسهم» .

(٢) تزهر : تتلألأ . (٣) زيادة فى حـ .

طالبتُها دَيني فراغَتْ به * وعَلَّقَتْ قلبيَ مع الدَّيْنِ
فصرتُ كالعَيْرِ غدا طالبًا * قَرْنًا فلم يَرجِعْ بأُذْنَيْنِ

قال : فآنصرف بشّارٌ بالجائزة .

قصته مع قوم من قيس عيلان نزلوا بالبصرة ثم ارتحلوا

نسخت من كتاب هارونَ بنِ عليّ بن يحيى : حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنى عبدُ الله بنُ عطيةَ الكوفيّ قال حدّثنى عثمان بنُ عمرٍو الثقفيّ قال قال أبانُ بنُ عبد الحميد اللاحقيّ :

نزل فى ظاهر البصرة قومٌ من أعراب قَيْسِ عَيلانَ[1] وكان فيهم بيانٌ وفصاحةٌ، فكان بشّارٌ يأتيهم ويُنشِدُهم أشعارَه التى يمدح بها قيسا فيُجِلُّونَه لذلك ويُعَظِّمونه ، وكان نساؤهم يجلسنَ معه ويتحدّثنَ اليه ويُنشِدُهنّ أشعارَه فى الغَزَلِ وكنّ يُعجَبنَ به ، وكنتُ كثيرا ما آتِى ذلك الموضعَ فأسمعُ منه ومنهم ، فأتيتُهم يوما فإذا هم قد آرتحلوا ، فجئتُ إلى بشّار فقلت له : يا أبا مُعاذ ، أَعَلِمْتَ أنّ القومَ قد ارتحلوا؟ قال : لا ، فقلتُ : فاْعلَمْ ، قال : قد عَلِمتُ لا عَلِمتَ ! ومَضَيتُ ، فلمّا كان بعد ذلك بأيام سمعتُ الناسَ يُنشِدُونَ :

دعا بفِراقِ مَنْ تَهْوَى أبانُ * ففاضَ الدمعُ وآحترَقَ الجَنانُ
كأنّ شَرارةً وقعَتْ بقلبي * لها فى مُقْلَتِي ودَمِي آستِنانُ[2]
إذا أنشدتُ أو نَسَمَتْ عليها * رياحُ الصَيفِ هاجَ لها دُخَانُ

فعلِمتُ أنها لبشّار، فأتيتُه فقلتُ : يا أبا مُعاذ، ما ذنبِي إليك؟ قال : ذنبُ غرابِ البينِ ، فقلت : هل ذكرتَنِي بغير هذا ؟ قال : لا ، فقلتُ : أَنشُدُكَ اللهَ ألّا تزيدَ ، فقال : آمضِ لشأنكَ فقد تركتُكَ .

(١) فى حـ : « قيس بن عيلان » وكلتا الروايتين صحيحة (انظر اللسان والقاموس وشرحه فى مادّة عيل) . (٢) الاستنان : الجريان بشدّة .

بشار وجعفر بن سليمان

ونسخت من كتابه : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى يحيى بن سعيد الأيوزردى[1] المعتزلىّ قال حدّثنى أحمدُ بنُ المعذّل عن أبيه قال :

أنشد بشّارٌ جعفرَ بنَ سليمان :

أقِلّى فإنّا لاحقونَ وإنّما * يُؤخّرنا أنّا يُعَدُّ لنا عَدّا

وما كنتُ إلا كالأغرّ آبن جعفرٍ * رأى المالَ لا يبقى فأبقى به حمدا

فقال له جعفرُ بن سليمان : مَنِ آبنُ جعفرٍ؟ قال : الطيّارُ[2] فى الجنة ؛ فقال : لقد ساميْتَ غيرَ مُسامَى! فقال : والله ما يُقعِدُنى عن شأوه بعدُ النسب[3]، لكن قِلّةُ النشب، وإنى لأجودُ بالقليل وإن لم يكن عندى الكثيرُ، وما على مَنْ جاد بما يملك ألّا يهبَ البدور[4]؛ فقال له جعفرٌ : لقد هَزَزْتَ أبا مُعاذ، ثم دعا له بكيس فدفعه إليه .

سئل عن ميله للهجاء دون المديح فأجاب

ونسخت من كتابه : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى أحمدُ بن سعيد الرازىّ عن سليمان بن سليمان العَلَوىّ قال :

قيل لبشّار : إنك لكثيرُ الهجاء ! فقال : إنى وجدتُ الهجاءَ المؤلم آخذَ بِضَبْع[5] الشاعر من المديح الرائع ، ومَنْ أراد من الشعراء أن يُكرَم فى دهر اللئام على المديح فليستعدّ للفقر وإلا فليُبالِغ فى الهجاء ليُخافَ فيُعطَى .

بشار فى صباه

أخبرنى هاشمُ بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنا أبو غسّانَ دَماذ عن أبى عُبيدةَ قال :

كان بُردٌ أبو بشّار طيّانا حاذقا بالتطيين، ووُلِدَ له بشّارٌ وهو أعمى، فكان يقول :

(١) كذا فى ب ، س ، أ ، ء ، وفى م « الأيوزردى » وفى حـ « الأريوزذى » .
(٢) الطيار لقب جعفر بن أبى طالب ، وسبب هذا اللقب أنه أخذ الراية فى غزوة « مؤتة » بعد زيد بن حارثة فقاتل حتى قطعت يداه ومات ، فأخبر النبىّ صلى الله عليه وسلم بأنه يطير مع الملائكة فى السماء ، وكان ابن عمر إذا سلم على عبد الله بن جعفر قال : السلام عليك يآبن ذى الجناحين . (انظر البخارى بشرح القسطلانى ج ٦ ص ١٤٣ طبع بولاق) . (٣) كذا فى ء ، أ ، حـ وفى باقى النسخ : « النسب » وهو تصحيف . (٤) البدور : جمع بدرة وهى كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . (٥) الضبع : العضد .

ما رأيتُ مولودا أعظمَ بركةً منه، ولقد وُلِدَ لى وما عندى درهمٌ فما حال الحولُ حتى جمعتُ مائتَىْ درهم . ولم يمتْ بردٌ حتى قال بشّارٌ الشعرَ . وكان لبشّارٍ أخوانِ يقال لأحدهما: بشر، وللآخر: بشير، وكانا قصّابَين وكان بشّار بارًّا بهما، على أنه كان ضَيِّقَ الصدر مُتَبرِّمًا بالناس، فكان يقول : اللهمّ إنى قد تبرّمتُ(١) بنفسى وبالناس جميعا، اللهم فأَرِحْنِي منهم . وكان إخوتُه يَستعيرونَ ثيابَه فيوسِّخُونها ويُنتِنُون ريحَها، فآتخذ قميصا له جَيْبَانِ وحلف ألّا يُعيرهم ثوبًا من ثيابه، فكانوا يأخذونها بغير إذنه، فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر رائحتَه فيقول إذا وجدَ رائحةً كريهةً من ثوبه(٢): «أَيْنَمَا أُوَجِّهْ أَلْقَ سَعْدًا»(٣). فإذا أعياه الأمرُ خرج الى الناس فى تلك الثياب على نَتْنِها ووسَخِها، فيقال له: ما هذا يا أبا مُعاذٍ ؟ فيقول : هذه ثمرةُ صِلَةِ الرَّحِم . قال: وكان يقولُ الشعرَ وهو صغيرٌ، فإذا هجا قوما جاءوا إلى أبيه فشكَوْه فيضربُه ضربًا شديدا، فكانت أمّه تقولُ : كم تضربُ هذا الصبيَّ الضريرَ، أمَا ترحَمُه ! فيقول : بلى والله إنى لأرحَمُه ولكنه يتعرّضُ للناس فيشكُونه إلىّ ؛ فسمعه بشّارٌ فطمِعَ فيه فقال له : يا أَبتِ إنّ هذا الذى يشكونه منّى إليكَ هو قولُ الشعر، وإنى إن ألممتُ عليه أغنيتُكَ وسائرَ أهلى، فإن شَكَوْنى إليكَ فقل لهم : أليس اللهُ يقولُ : ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾. فلما عاودوه شَكْوَاهُ قال لهم بُردٌ ما قاله بشّارٌ، فآنصرفوا وهم يقولون : فِقْهُ بُرْدٍ أَغْيَظُ لنا من شعرِ بشّار .

أعطاه فتى مائتى دينار لشعره فى مطاولة النساء

أخبرنى الحسنُ بن علىّ قال حدّثنى محمدُ بن القاسم بن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثنى محمد ابن عثمانَ الكُرَيْزِىّ قال حدّثنى بعضُ الشعراء قال :

(١) كذا فى حـ وفى باقى الأصول: « إنى كنت قد تبرمت » . (٢) كذا بالأصول واقتران جواب الشرط الصالح للشرطيّة بالفاء خلاف الأصل (انظر شرح الأشمونى ج٣ ص ٠ ٦ طبع بولاق).

(٣) هذا مثل يضرب لمن يلق سوء المعاشرة فى كلّ مكان ، وأصله أن الأضبط بن قُرَيع كان سيّد قومه فرأى منهم جفوةً فرحل عنهم الى آخرين فرآهم يصنعون بساداتهم مثل ذلك فقال هذا القول .

أتيتُ بشّارا الأعمى وبين يديه مائتا دينار[1]، فقال لى : خذ منها ما شئتَ ، أوَ تدرِى ما سَبَبُها ؟ قلتُ : لا ؛ قال : جاءنى فتًى فقال لى : أنتَ بشّار؟ فقلتُ : نعم ؛ فقال : إنى آليتُ أن أدفعَ إليك مائتَىْ دينارٍ وذلك أنى عَشِقتُ آمرأة فجئتُ اليها فكلّمتُها فلم تلتَفِتْ إلىّ ، فهمَمْتُ أن أترُكها فذكرتُ قولكَ :

٥ لا يُؤيِسنَّكَ من مُخَبَّأةٍ * قولٌ تُغَلِّظُه وإن جَرَحا
عُسْرُ النِّساءِ الى مُياسَرةٍ * والصَّعْبُ يُمكِنُ بعد ما جَمَحا

٥٤/٣ فعدتُ إليها فلازمتُها حتى بلغتُ منها حاجتى .

عاب الأخفش شعره ثم صار بعد ذلك يستشهد به لما بلغه أنه هَمّ بهجوه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانِىّ عن أبى حاتم قال :

كان الأخفشُ طعَن على بشّار فى قوله :

١٠ فالآنَ أقصَرَ عن سُمَيَّةَ باطِلِى * وأشار بالوَجَلَى علىّ مُشيرُ

وفى قوله :

على الغَزَلَى منّى السَّلامُ فربّما * لَهَوْتُ بها فى ظِلِّ مَرْءُومةٍ[2] زُهْرِ

وفى قوله فى صفة سفينة :

تُلاعِبُ نِينانَ البُحورِ وربّما * رأيتَ نفوسَ القومِ من جَرْيِها تَجْرِى

١٥ وقال : لم يُسمَعْ من الوجَلِ والغَزَلِ فَعَلَى ، ولم أَسْمَعْ بِنُونٍ ونِينانٍ[3] ؛ فبلغ ذلكَ بشّارا فقال : وَيْلِى على القَصّارِينَ[4] ! متى كانتِ الفصاحةُ فى بيوت القصّارين ! دَعُونى وإيّاه ؛ فبلغ ذلك الأخفشَ فبكى وجَزِعَ ؛ فقيل له : ما يُبكيكَ؟ فقال : ومالِى لا أبكى

(١) فى ء ، ا ، م : «مائتا درهم» ، وكذا فيما يأتى .   (٢) مرءومة : محبوبة مألوفة .
(٣) ورد هذا الجمع فى كتب اللغة ، فقد جاء فى لسان العرب والقاموس وغيرهما فى مادة «نون» :
٢٠ النون : الحوت والجمع أنوان ونينان .   (٤) القصار : من يحوّر الثياب ويدقها .

وقد وقَعْتُ فى لسان بشّار الأعمى! فذهب أصحابه الى بشار فكذّبوا عنه وآستوهَبُوا منه عِرْضَه وسألوه ألّا يهجوه، فقال : قد وَهَبْتُه لِلؤم عِرْضِه . فكان الأخفش بعد ذلك يحتجُّ بشعره فى كُتُبه لِيَبْلُغَه، فكفّ عن ذكره بعد هذا .

قال : وقال غيرُ أبى حاتم : إنما بلغه أنّ سِيبَوَيه عابَ هذه الأحرف(١) عليه لا الأخفش، فقال يهجوه :

أَسِبَوَيْهِ يابْنَ الفارسيَّة ما الذى * تَحَدَّثْتَ عن شَتْمِى وما كُنتَ تَنبِذُ
أَظَلْتَ تُغَنّى سادِراً(٢) فى مَساءَتِى * وأُمُّكَ بالمِصْرَيْنِ تُعْطِى وتَأْخُذُ

قال : فتوقّاه سيبويه بعد ذلك ، وكان إذا سُئِلَ عن شىء فأجاب عنه ووجَدَ له شاهدا من شعرِ بشّار آحتجّ به آستكفافا لشرّه .

ذمّ بنى سدوس باستعانة بنى عقيل

أخبرنى محمد بن عِمرانَ الصَّيرَفىّ قال حدّثنى الحسنُ بنُ عُلَيلٍ العَنَزىّ قال حدّثنى أحمد بن علىّ بن سُوَيد بن مَنْجُوف قال :

كان بشّار مُجاورا لبنى عُقَيلٍ وبنى سَدُوس فى منزل الحيَّين ، فكانوا لا يزالون يتفاخرون، فآستعانَتْ عُقَيلٌ ببشّار وقالوا له : يا أبا مُعاذ، نحن أهلُكَ وأنتَ آبنُنا ورَبِيتَ فى حُجُورنا فَأَعِنَّا، فخرج عليهم وهم يتفاخرون، فجلس ثم أنشد :

كأنّ بنى سَدُوسٍ رَهطَ ثَوْرٍ * خَنافِسُ تحتَ مُنكَسِرِ الجِدارِ
تُحَرِّكُ للفَخارِ زُبانَيَيها(٣) * ونخرُ الخُنْفَساءِ من الصَّغارِ

فوثب بنو سَدُوس اليه فقالوا : ما لنا ولكَ يا هذا! نعوذ باللهِ من شَرِّكَ! فقال : هذا دأبُكم إن عاودتم مُفاخرةَ بنى عُقَيلٍ، فلم يُعاوِدُوها .

(١) الأحرف : الكلمات . (٢) السادر : المتحير ، والذى يتكلم غير متثبت فى كلامه ، وقيل : هو اللاهى الذى لا يهتم لشىء ولا يبالى ما صنع . (٣) كذا فى حـ ، أ ، م : تثنية زبانى، وزُبانَيا العقرب : قرناها . وفى ب ، س : «زباتيها» وهو تصحيف .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَه قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلّام قال : قال يونُس النحويّ : العجَبُ من الأزْد يَدَّعُونَ هذا العبدَ يَنْسُبُ بنسائهم ويَهجُو رجالَهم — يَعْني بشّارا — ويقول :

ألَا يا صَـنَمَ الأَزْدِ الذي يَدْعُـونه رَبّاً

٥ ألَا يبعثُونَ اليه من يفتُقُ بطنَه ! .

ذم أناسا كانوا مع ابن أخيه

أخبرني الحسن قال حدّثني ابنُ مَهْرُويَه عن أحمدَ[1] بن إسماعيلَ عن محمد بن سلّام قال :

مرّ ابن أخ لبشّار ببشّار ومعه قوم : فقال لرجل معه وسمع كلامَه : من هذا ؟ فقال : ابنُ أخيك ؛ قال : أشهدُ أنّ أصحابَه سَفِلَةٌ ؛ قال : وكيف علمتَ؟ قال :

١٠ ليس عليهم نِعَالٌ .

سمع شعره من مغنية فطرب وقال : هذا أحسن من سورة الحشر

أخبرني الحسنُ قال حدّثنا محمدُ بن القاسم قال حدّثني الفضلُ بن يعقوبَ قال : كنّا عند جاريةٍ لبعض التّجار بالكَرْخ تُغنّينا ، وبشّارٌ عندنا ، فغنّتْ في قوله :

إنّ الخليفةَ قـد أبى * وإذا أبَى شيئًا أبيتُـهْ

ومُخَضَّبٍ رَخْصِ البَنَا * نِ بكَى عَلَيّ وما بكيتُهْ

١٥ يا مَنْظَرًا حَسَـنًا رأيـ * ـتُ[2] بوجه جاريةٍ فَدَيتُـهْ

بعثَتْ إليّ تَسُـومُني * ثوبَ الشّباب وقدطَوَيتُهْ

فطرِبَ بشّار وقال : هـذا والله يا أبا عبدِ الله أحسنُ من سُـورَةِ الحَشْر ! . وقد رَوَى هذه الكلمةَ عن بشّار غيرُ مَنْ ذكرتُه فقال عنه : إنه قال : هي والله أحسنُ من سورة الحشر . الغناءُ في هذه الأبيات . وتمامُ الشعر :

(١) ورد هذا الاسم هنا «أحمد» وفيا تقدّم بنحو خمسة أسطر «محمد» باتفاق الأصول في الموضعين مع اتحاد السند ولم نهتد الى معرفة ما هو الصواب . (٢) سيرد هذا البيت مرة أخرى في ترجمة بشار مصرعا هكذا : يا منظرا حسنا رأيته * من وجه جارية فديته والتصريع تقفية المصراع الأوّل .

٢٠

وأنا المطِلُّ على العِدَا * واذا غَلَا الحمدُ آشتريتُهْ
وأمِيلُ فى أُنسِ النّدِيـ * ـمِ من الحياءِ وما آشتهيتُهْ
ويَشُوقُنى بيتُ الحبيـ * ـبِ اذا غدوتُ وأينَ بيتُهْ
حالَ الخليفةُ دونه * فصبَرتُ عنه وما قَلَيتُهْ

وأنشدنى أبو دُلَف هاشمُ بن محمد الخزاعىّ هذه الأبيات وأخبرنى أنّ الجاحظ أخبره ٥
أن المهدىّ نهى بشّارا عن الغَزَل وأن يقول شيئا من النسيب، فقال هذه الأبيات .
قال : وكان الخليل بن أحمد يُنشِدها ويستحسنها ويُعْجَبُ بها .

سألته ابنته لماذا يعرفه الناس ولا يعرفهم فأجابها

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا دَمَاذ أبو غَسّانَ عن محمد بن الحجّاج قال :
قالت بنتُ بشّار لبَشّار : ياأبتِ، مالكَ يَعرِفكَ الناسُ ولا تَعرِفُهُم؟ قال: كذلك
الأميرُ يا بُنيّة . ١٠

سب عبدُ الله بن مسور أبا النضير فدافع عنه بشار

أخبرنى عبد الله بن محمد الرازىّ قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث الخرّاز عن
المدائنىّ قال :

قال عبدُ الله بن مِسْوَر الباهلىّ يوما لأبى النَّضير، وقد تحاورا فى شىء، :
يابن الّخْناء، أتُكلِّمنى ولو آشتريتُ عبدا بمائتَىْ درهم وأعتقتُه لكان خيرا منك! فقال
له أبو النَّضير : والله لو كنتُ ولدَ زِنًا لكنتُ خيرا من باهلةَ كلِّها، فغضِبَ الباهلىّ، ١٥
فقال له بشّار : أنتَ منذ ساعة تُزَنِّى[1] أمّا ولا يغضَبُ، فلما كلّمكَ كلمةً واحدة لحقك
هذا كلّه ! فقال له : وأُمُّه مثل أمّى يا أبا مُعاذ! فضحك، ثم قال: والله لو كانت
أمُّك أمَّ الكتاب ما كان بينكما من المُصارَمة هذا كلّه! .

(١) زناه تزنية : نسبه الى الزنا .

طلب من يزيد بن مزيد أن يدخله على المهدي فسوفه فهجاه

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني سعيد بنُ عُبيدٍ الخُزاعيّ قال: ورد بشّار بغدادَ فقصد يزيدَ بنَ مَزْيدٍ، وسأله أن يذكره للمهديّ، فسوّفه أشهرا، ثم وَرَدَ رَوْحُ[1] بنُ حاتم فبلغه خبرُ بشّار، فذكره للمهديّ من غير أن يلقاه، وأمر بإحضاره فدخل الى المهديّ وأنشده شعرا مدحه به، فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبدا وقَيْنةً وكساه كُسًا كثيرةً، وكان يحضر قيسا مرّة، فقال بشّار يهجو يزيدَ بن مَزْيد:

ولمّا ٱلتقينا بالجُنَيْنَةِ[2] غَرّني ❊ بمعروفه حتى خرجتُ أُفُوقُ[3]

غرّني: أوجَرَني[4] كما يُغَرّ الصبيّ أي يُوجَر اللبنَ.

حَبَاني بعبدٍ قَعْسريّ[5] وقَيْنةٍ ❊ ووَشْيٍ وآلافٍ لهنّ بَريقُ

فقُل ليزيدٍ يلعَصُ[6] الشهدَ خاليًا ❊ لنا دونه عند الخليفة سُوقُ

رَقَدتَ فنَمْ يابنَ الخبيثة إنها ❊ مكارمُ لا يَسْطيعُهُنّ لَصيقُ

أَبَى لكَ عِرْقٌ من فلانةَ أن تُرَى ❊ جوادًا ورأسٌ حين[7] شِبْتَ حَليقُ

قصيدته التي مدح بها ابراهيم بن عبد الله فلما قتل جعلها للمنصور

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال: كان بشّار كتب الى إبراهيمَ بن عبد الله بن الحسن بقصيدةٍ يمدحه بها ويُحرّضه ويُشيرُ عليه، فلم تَصل اليه حتى قُتِل، وخاف بشّارٌ أن تشتهر فقلبها وجعلَ التحريضَ فيها على أبي مُسلم والمدحَ والمشورةَ لأبي جعفرٍ المنصورِ، فقال:

أبا مُسلمٍ ما طِيبُ عَيشٍ بدائمٍ ❊ ولا سالمٌ عمّا قليلٍ بسالمِ

(1) كل من سمي بروح فهو بفتح الراء إلا روح بن القاسم فإنه بالضم (انظر شرح القاموس فى مادة روح فى المستدرك). (2) كذا فى ء، م وهو اسم موضع كما فى ياقوت. وفى ب، س: «الخبيبة» وهو تحريف. (3) فاق الرجل فؤوقا وفواقا: الفواق — ويسمى عند العامة بالزغطة —: ما يأخذ الانسان من تشنج الحجاب الحاجز تشنجا بغائيا ويصدر من امتلاء المعدة بالطعام؛ وهو هنا كناية عما أثقله به من العطاء. (4) أوجره اللبن ونحوه: جعله فى فيه. (5) القعسريّ: الصلب الشديد. (6) يلعص: يلعق. (7) فى الأصول: «حيث».

وإنما كان قال : " أبا جعفرٍ ما طِيبُ عيشٍ " فغيّره وقال فيها :

إذا بلغ الرأىُ النصيحةَ فاستَعِنْ * بعَزْمِ نَصيحٍ أو بتأييدِ حازمِ
ولا تجعلِ الشُّورَى عليك غضاضةً * مكانُ الخوافى نافعٌ للقوادمِ
وخَلِّ الهُوَيْنَى للضعيف ولا تكن * نَؤُومًا فإنّ الحزمَ ليس بنائمِ
وما خيرُ كَفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختَها * وما خيرُ سيفٍ لم يُؤيَّدْ بقائمِ
وحارِبْ اذا لم تُعطَ إلا ظُلَامةً * شَبَا الحربِ خيرٌ من قَبول المظالمِ
وأَدْنِ على القُرْبَى المقرِّبَ نَفسَه * ولا تُشْهِدِ الشُّورَى آمرأً غيرَ كاتمِ
فإنك لا تَستَطرِدُ الهمَّ بالمُنَى * ولا تَبلُغُ العليَا بغير المكارمِ
إذا كنتَ فردًا هرَّكَ[1] القومُ مُقبِلًا * وإن كنت أدنى لم تَفُزْ بالعزائمِ
وما قَرَعَ الأقوامَ مِثلُ مُشيَّعٍ[2] * أريبٍ ولا جَلَّى العَمَى مثلُ عالمِ

قال الأصمعىّ : فقلت لبشّار : إنى رأيت رجال الرأى يتعجّبون من أبياتك فى المَشُورة ؛ فقال : أمَا علمتَ أنّ المشاوِرَ بين إحدى الحُسْنَيَيْنِ : بين صوابٍ يفوز بثمرته أو خطأ يُشارَكُ فى مكروهه ؛ فقلت : أنت والله أشعرُ فى هذا الكلام منك فى الشعر .

اعترض عليه رجل لوصفه جسمه بالنحول وهو سمين

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا آبن مَهْرُويه قال حدثنى علىّ بن الصبّاح عن بعض الكوفيين قال :

مررتُ ببشّار وهو مُتَبَطِّح[3] فى دِهْليزه كأنه جاموس، فقلتُ له : يا أبا مُعاذ، مَن القائل :

---

(١) يقال : فلان هره الناس اذا كرهوا ناحيته ؛ قال الأعشى :

أرى الناس هرونى وشهّر مدخلى * ففى كل ممشى أرصد الناس عقربا

(٢) المشيع : الشجاع ، كأنه قد شيع قلبه بما يركب من الأهوال ، أو بقوّة قلبه . (٣) متبطح : ممتدّ على وجه الأرض بوجهه .

في حُلّتي جسمُ فتًى ناحلٍ * لو هَبّتِ الريحُ به طاحا

قال : أنا ، قلتُ : فما حَمَلك على هذا الكذب؟ والله إني لأرى أن لو بعث اللهُ الرياحَ التي أهلك بها الأمم الخالية ما حرّكتْك من موضعك! فقال بشّار : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ، فقال : يأهل الكوفة لا تَدَعون ثِقَلكم ومَقْتكم على كلّ حال ! .

٥

عاتب صديقا له لأنه لم يهد له شيئا

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عافية بن شَبيب قال : قدِم كُرْدِيّ بن عامر المِسْمَعِيّ من مكّة ، فلم يُهْدِ لبشّار شيئا وكان صديقَه ؛ فكتب اليه :

ما أنت يا كردِيّ بالْهَشّ * ولا أُبرّيك من الغشّ

لم تُهْدِنا نَعلًا(١) ولا خاتَمًا * من أين أقبلتَ؟ من الحَشّ(٢)!

٥٧ / ٣

١٠

فأهدى اليه هديّةً حسنةً وجاءه فقال : عَجِلتَ يا أبا معاذ علينا ، فأنشُدُك اللهَ ألّا تَزيدَ شيئا على ما مضى .

أخبر أنه غنى بشعر له فطرب

ونسختُ من كتابه عن عافيةَ بن شَبيب أيضا قال حدّثني صديقٌ لي قال : قلتُ لبشّار : كنّا أمس في عُرْس فكان أوّل صوت غنّى به المغنّي :

هَوَى صاحبي ريحُ الشَّمالِ اذا جرتْ * وأشْفَى لنفسي أن تَهُبَّ جَنُوبُ

وما ذاك إلا أنها حين تنتهي(٣) * تَنَاهَى وفيها من عُبَيدةَ طِيبُ(٤)

١٥

فطَرِب وقال : هذا والله أحسن من فُلْج يوم القيامة .

مدح المهدي فلم يجزه

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسديّ قال :

(١) الوارد في كتب اللغة : أهدى له كذا وأهدى إليه ، فما هاهنا قد حذف منه الجار ووصل الفعل بالمفعول . (٢) الحش (بتثليث الحاء) : البستان وموضع قضاء الحاجة لأنهم كانوا يقضون حاجاتهم في البساتين . (٣) كذا في حـ ، وفي باقي الأصول : «هو والله» . (٤) الفلج (بالضم) : الفوز والظفر .

٢٠

مدح بشّارٌ المهديَّ فلم يُعطه شيئا؛ فقيل له : لم يَستجِدْ شعرَك؛ فقال: والله لقد قلتُ شعرًا لو قيل فى الدهر لم يُخْشَ صرفُه على أحد، ولكنّا نكذِب فى القول فنُكْذَبُ(١) فى الأمل .

هجا روح بن حاتم فلف ليضربنـه ثم برّفى يمينه فضربه بعرض السيف

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى يحيى بن خليفة الدارمىّ عن نصر بن عبد الرحمن العِجْلىّ قال :

هجا بشّار رَوْحَ بن حاتم ؛ فبلغه ذلك فقذَفه وتهدّده ؛ فلما بلغ ذلك بشّارا قال فيه :

تَهَدّدنى أبو خلف * وعن أوتاره ناما
بسيف لابى صُفْرَ * ةَ لا يَقْطَع إبهاما
كأنّ الوَرْسَ يَعْلُوهُ * اذا ما صدرُه قاما

— قال ابن أبى سعد : ومن الناس من يروى هذين البيتين لعمرو الظالمى — قال: فبلغ ذلك رَوْحًا فقال: كلّ مالى صدقةٌ إنْ وقعتْ عينى عليه لأضربنّه ضربةً بالسيف ولو أنه بين يَدَيِ الخليفة ! فبلغ ذلك بشّارا فقام من فوره حتى دخل على المهدىّ ؛ فقال له : ما جاء بك فى هـذا الوقت ؟ فأخبره بقصّة رَوْح وعاذ به منه ، فقال : يا نُصَيْر ، وَجِّهْ الى رَوْح من يُحضره الساعةَ ؛ فأرسل اليه فى الهاجرة ، وكان ينزل المُخرِّم(٢)، فظنّ هو وأهلُه أنه دُعى لولاية . قال : يا روح، إنى بعثتُ اليك فى حاجة؛ فقال له : أنا عبدُك يا أمير المؤمنين فقل ما شئتَ سوى بشّار فإنى حلفت فى أمره

(١) فى ب ، س ، حـ : «فيكذب» بالياء بدل النون .

(٢) المخرم (بضم الميم وفتح الخاء وكسر الراء المشدّدة) : محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى وفيها كانت الدار التى يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية ، خربها فى سنة ٥٨٧ هـ الإمام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد .

يمين غَمُوس[1]؛ قال: قد علمتُ و إيّاه أردتُ؛ قال له : فآحتلْ ليمينى يا أمير المؤمنين؛ فأحضر القضاة والفقهاء فاتّفقوا على أن يضربه ضربةً على جسمه بعُرْض السيف، وكان بشار وراء الخيش[2]، فأُخرج وأُقعد وآستلّ رَوْحٌ سيفَه فضربه ضربةً بعُرْضه؛ فقال : أَوَّهْ باسم الله ! فضحك المهدىّ وقال له : ويلك ! هذا وإنما ضَرَبك بعُرْضه وكيف لو ضربك بحدّه ! .

مدح سليمان ابن هشام

أخبرنى حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو عبيدة قال : مَدَح بَشّارٌ سليمانَ بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحَرّانَ وخرج اليه فأنشده قوله فيه :

نأتْكَ على طُـول التجاوُرِ زينبُ * وما شَعَرتْ أنّ النّوى سوف تَشْعَبُ[3]
يرى الناسُ ما تَلْقَى بزينبَ اذ نأتْ * عجيبًا وما تُخْـفِى بزينبَ أعجبُ
وقائـلةٍ لى حين جَدّ رحيلُنا * وأجفانُ عينيها تجودُ وتسكُبُ
أغادٍ الى حَرّانَ فى غير شِيعة * وذلك شأوٌ عن هَوَاها مُغَـرِّبُ[4]
فقلتُ لها كَلّفتِنى طَلَبَ الغِنَى * وليس وراءَ آبنِ الخليفـة مذهبُ
سيكفى فَتًى من سعيه حَدُّ سيفِه * وكُورٌ عِلَافِىٌّ ووجناء ذِعْلِبُ[5]

(١) كذا فى حـ ، وفى باقى الأصول: «حلفت يمين غموس» واليمين الغموس: التى لا آستثناء فيها .
(٢) الخيش : مراوح تعمل من نسج خشن من الكتّان كشراع السفينة تعلق فى سقف البيت و يعمل لها حبل تجرّ به وهى مبلولة بالماء، فاذا أراد الرجل أن ينام جذب حبلها فيهب منها نسيم بارد يذهب أذى الحرّ؛ فلعل بشارا كان مختفيا وراء إحداها وهى مدلّاة . (٣) كذا فى حـ ، وهو الصوابُ لأن النوى مؤنثة، وفى باقى الأصول : «يشعب» بالياء المثناة . (٤) مغرّب (بكسر الراء وفتحها) : بعيد .
(٥) الكور : الرحل . والعلافىّ : نسبة الى علاف (وزان كتاب) بن حُلْوان لأنه أول من عملها . ووجناء: عظيمة الوجنتين أو صلبة قوية شبهت بالوجين وهو الصعب من الأرض . وذعلب (وزان زبرج) : سريعة .

اذا آستوغرتْ دارٌ[1] عليه رَمَى بها * بناتِ الصُّوَى[2] منها رَكُوبٌ[3] ومُصْعَبُ

فمُـدِّى الى يوم آرتحلتُ وسائلى * بزَوْرِك والرُّحّال من جاء يضربُ

لعلك أن تستيقنى[4] أن زَوْرتى * سليمانَ من سير الهواجر تُعقِبُ

أغَرُّ هشامىُّ القَنَاةِ اذا آنتمَى * نَمَتْه بدورٌ ليس فيهن كوكبُ

وما قصدت يوما مخيلين خَيلُه[5] * فتُصرَفَ إلّا عن دماءٍ تَصبَّبُ ٥

استقل عطاء سليمان فقال شعرا

فوصله سليمانُ بخمسة آلاف درهم وكان يُبَخَّل، فلم يرضها وآنصرف عنه مُغضَبا فقال:

إن أُمْسِ مُنْقبِضَ اليدين عن النَّدَى * وعن العدوّ مُخَيَّسَ[6] الشيطانِ

فلقد أروحُ عن اللئام مُسَلَّطًا * ثَلِجَ المَقِيلِ[7] مُنَعَّمَ النَّدْمانِ

فى ظلِّ عيشِ عشيرةٍ محمودةٍ * تَنْدَى يدى ويُخافُ فَرْطُ لسانى

أزمانَ جِنِّىُّ الشباب مُطَاوِعٌ * وإذ الأميرُ علىّ من حَرّانِ ١٠

رِيمٌ بأخْوِيةِ[8] العراق اذا بَدَا * بَرَقتْ عليه أكِلَّةُ[9] المَرْجانِ

---

(١) يقال : وغرت الهاجرة تغر وغرا من باب ضرب اذا رمضت واشتدّ حرّها ، فمعنى استوغرت حميت واتقدت غيظا ، والمراد أنها ضاقت به . ولم ترد هذه الصيغة من هذه المادة فى كتب اللغة التى بين أيدينا . وجاء فى أقرب الموارد : « المستوغر : لقب عمرو بن ربيعة بن كعب » قلت وهذا دليل على وجود (استوغر) وإن لم يذكروه » . (٢) الصوى : جمع صوّة ، وهى حجارة ١٥ مجموعة تجعل علما يهتدى بها فى المفازة ، وبناتها : صغارها . (٣) الركوب : المذلّل بالركوب ، والمصعب : مالم يركب ولم يُمَس من الإبل . (٤) الأصول مضطربة فى رسم هذه الكلمة ، وتكاد تُجمِعُ على « تستبغى » مع اختلاف فى إعجام بعض الحروف . (٥) كذا بالأصول ولم نعثر له على معنى مناسب . (٦) مخيس : مذلل . (٧) ثلج المقيل : بارده .

(٨) أخوية : جمع خواء ، والخواء (بالكسر) : جماعة البيوت المتدانية . (٩) أكلّة : جمع ٢٠ إكليل ، والإكليل : التاج وشبه عصابة تُزيّن بالجواهر .

فاكحل بعبدة مقلتيك من القذى * وبوشك رؤيتها من الهملان
فلقرب من تهوى وأنت متيم * أشفى لدائك من بني مروان

فلما رجع الى العراق برّه ابن هبيرة ووصله، وكان يعظم بشارا ويقدمه، لمدحه قيسا وافتخاره بهم، فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه .

مدح المهدي بشعر فيه تشبيب حسن فنهاه عن التشبيب

٥ أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال :

قدم بشار الأعمى على المهدي بالرصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحا فيه تشبيب حسن، فنهاه عن التشبيب لغيرة شديدة كانت فيه، فأنشده مديحا فيه، يقول فيه :

١٠ كأنما جئته أبشّره * ولم أجئ راغبا ومحتلبا
يزين المنبر الأشم بعط * فيه وأقواله إذا خطبا
تشمّ نعلاه في الندى كما * يشمّ ماء الريحان منتهبا[1]

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وفادة في كل سنة ونهاه عن التشبيب البتة، فقدم عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده :

١٥ تجاللت[2] عن فهر وعن جارتي فهر * وودّعت نعمى بالسلام و بالبشر
وقالت سليمى فيك عنا جلادة[3] * محلك دان والزيارة عن عفر[4]
أخي في الهوى مالي أراك جفوتنا * وقد كنت تقفونا على العسر واليسر
تثاقلت إلا عن يد أستفيدها * وزورة أملاك أشدّ بها أزري

(١) منتهب : مأخوذ ومباح لمن شاء . (٢) تجاللت : ترفعت . (٣) الجلادة : الصلابة والصبر . (٤) العفر : الحين وطول العهد أو الشهر أو البعد أو قلة الزيارة، و بكل من
٢٠ هذه المعاني فسر قولهم فلان ما يأتينا إلا عن عفر (انظر القاموس وشرحه للمرتضى في مادة عفر) .

٥٩ / ٣

وأخرجني من وِزْرِ خمسين حِجّةً * فتًى هاشميٌّ يَقْشَعِرُّ من الوِزْرِ
دفنتُ الهوى حيًّا فلستُ بزائرٍ * سُلَيمى ولا صفراءَ ما قَرْقَرَ القُمْرِي [1]
ومُصْفَرَّةٍ بالزعفرانِ جلودُها * اذا اجتُلِيتْ مثلَ المُقَرطَحةِ الصُّفْرِ [2]
فرُبَّ ثقالِ الرِّدفِ هَبَّتْ تلومُني * ولو شهِدَتْ قبري لصلَّتْ على قبري
تركتُ لِمَهْدِيِّ الأنامِ وِصالَها * وراعيتُ عهدًا بيننا ليس بالخَتْرِ [3]
ولولا أميرُ المؤمنين محمّدٌ * لقبّلتُ فاها أو لكانَ بها فِطْري
لعَمْري لقد أوقَرتُ نفسي خطيئةً * فما أنا بالمُزْدادِ وِقْرًا على وِقْرِ

في قصيدة طويلة امتدحه بها، فأعطاه ما كان يُعطيه قبل ذلك ولم يَزِدْه شيئا .

توفى ابن له فجزع عليه وتمثل بقول جرير.

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيلَ العَتَكيّ عن محمد بن سَلّام عن بعض أصحابه قال :

حضرْنا جنازةَ ابنٍ لبشّارٍ تُوُفِّيَ، فجزِعَ عليه جزَعًا شديدا، وجعلْنا نُعزِّيه ونُسلّيه فما يُغْني ذلك شيئا، ثم التفتَ الينا وقال : لله درُّ جريرٍ حيث يقولُ وقد عُزِّيَ بسَوادةَ ابنِه :

قالوا نَصيبَكَ من أجرٍ فقلتُ لهم * كيف العَزاءُ وقد فارقتُ أشبالي
ودَّعتَني حين كفَّ الدهرُ من بَصَري * وحين صرتُ كعَظمِ الرِّمّةِ البالي
أودى سَوادةُ يَجلو مُقلتَيْ لَحِمٍ [4] * بازٍ يُصَرصِرُ فوقَ المَرْبأ [5] العالي
إلّا تكُنْ لكَ بالدَّيْرَيْنِ [6] نائحةٌ * فرُبَّ نائحةٍ بالرّمل مِعْوالِ

(١) قرقر: صوّت وردّد صوته. (٢) يريد بها الدنانير. (٣) الختر: شبيه بالغدر والخديعة، وقيل: هو أسوأ الغدر وأقبحه. (٤) لحم: صفة لباز مقدّمة عليه، يقال: «باز لحم» أي يأكل اللحم أو يشتهيه، وكذلك «لاحم». (٥) المربأ: مكان البازى الذى يقف فيه، ويروى «المرقب» وهو بمعناه. (٦) لم نقف على الموضع الذى يعنيه جرير بالديرين هنا، ولكن شراح قوله: لما تذكرت بالديرين أرقنى * صوت الدجاج وضرب بالنواقيس
يقولون: أراد دير الوليد بالشام، وقد ذكره ياقوت فى معجمه وقال: لا أدرى أين هو.

٥ ١٠ ١٥ ٢٠

استنشده صديق له شيئا من غزله فاعتذر بنهى المهدىّ له عنه

أخبرنى هاشمُ بن محمد قال حدّثنا عمرُ بنُ شبّة قال حدّثنى خَلّادٌ الأرقطُ قال :
لمّا أُنشِدَ المهدىُّ قولَ بشارٍ :

لا يُؤْيِسنَّكَ من مُخَبَّأةٍ * قولٌ تُغلِّظُه وإن جَرَحا
عُسْرُ النساءِ إلى مُيَاسَرةٍ * والصَّعبُ يُمكِنُ بعد ماجَمَحا

٥ فنهاه المهدىّ عن قوله مثلَ هذا، ثم حضر مجلسا لصديقٍ له يقال له عمرو بن سَمّان. فقال له : أنشِدْنا يا أبا مُعاذٍ شيئا من غَزَلِك، فأنشأ يقول :

وقائلٍ هاتِ شَوِّقْنا فقلتُ له * أنائمٌ أنتَ يا عمرو بنَ سَمّانِ
أما سَمِعتَ بما قد شاع فى مُضَرٍ * وفى الحليفَينِ من نَجْرٍ(٢) وقَحطانِ
قال الخليفةُ لا تَنْسُبْ بجاريةٍ * إيّاكَ إياكَ أن تَشْقَى بعصيانِ

صدق ظنه فى تقدير جوائز الشعر

١٠ أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا سليمان بن أيوب المدائنىّ قال:
قال مروانُ بن أبى حَفْصَة: قدمتُ البصرةَ فأنشدتُ بشارا قصيدةً لى واستنصحتُه فيها، فقال لى : ما أجودَها! تَقْدَمُ بغدادَ فتُعطَى عليها عشرةَ آلاف درهم ، فجزِعتُ من ذلك وقلتُ : قتلتَنى! فقال : هو ما أقول لكَ ، وقدِمتُ بغدادَ فأُعطِيتُ عليها عشرةَ آلاف درهم، ثم قدِمتُ عليه قَدْمةً أخرى فأنشدتُه قصيدتى :

١٥ * طَرَقَتْكَ زائرةً فحَىِّ خيالَها *

فقال : تُعطَى عليها مائةَ ألف درهم ، فقدمتُ فأُعطِيتُ مائةَ ألف درهم ، فعُدتُ الى البصرة فأخبرتُه بحالى فى المرّتين، وقلت له : ما رأيتُ أعجبَ من حَدْسك(٣)! فقال :

(١) كذا فى الأصول ، والمعروف أن الفاء لا تقع فى جواب «لما» . (٢) كذا فى ب ، س . وفى حـ : «بحر» وفى باقى الأصول «نحر» ولم نعثر على هذه الكلمات فى أسماء القبائل وإنما قال الجوهرى : نجر : علم أرضى مكة والمدينة وقد ورد فى كتاب مهذب الأغانى ج ٤ ص ٢٧٣ «من بكر وقحطان» . (٣) الحدس : الظن والتخمين ، وفى الأصول : «من حديثك» ظلها محرفة عنها .

يا بُنىّ، أمَا علمتَ أنه لم يبقَ أحدٌ أعلمُ بالغيب من عمّك! . أخبرنا بهذا الخبر محمدُ بن يحيى الصُّولى قال: حدّثنا يزيدُ بن محمد المهلّبىّ عن محمد بن عبد الله بن أبى عُيينةَ عن مروانَ أنه قَدِمَ على بشّار فأنشدَه قولَه :

* طرقتكَ زائرةً فحىِّ خَيالَهَا *

فقال له : يُعطُونَكَ عليها عشرةَ آلاف درهم، ثم قَدِم عليه فأنشده قولَه :

أَنَّى يكونُ وليس ذاكَ بكائنٍ * لِبَنِى البنـاتِ وِرَاثَةُ الأعمامِ

فقال : يُعطُونَكَ عليها مائةَ ألف درهم، وذكر باقىَ الخبر مثلَ الذى قبله .

امتحن فى صلاته فوجد لا يصلى

أخبرنى عيسى قال حدّثنا سليمانُ قال :

قال بعضُ أصحاب بشّار: كنا نكون عنده فإذا حضَرَت الصلاةُ قمنا اليها ونجعلُ على ثيابه ترابا حتى ننظُرَ هل يقومُ يُصلّى، فنعودُ والترابُ بحاله وما صَلّى .

جعل الحب قاضيا بين المحبين بأمر المهدىّ

أخبرنى عيسى قال حدّثنا سليمان قال :

قال أبو عمرو : بعث المهدى الى بشّار فقال له : قُلْ فى الحبّ شِعرًا ولا تُطِلْ واْجعَلِ الحبَّ قاضيا بين المحبّين ولا تُسَمِّ أحدا، فقال :

اجعـلِ الحبَّ بين حِبّى و بيني * قاضِـيًا إنّنى به اليـومَ رَاضِى

فاْجتمعنَا فقلتُ يا حِبَّ نفسى * إنّ عَينِى قليـلةُ الإغمَاضِ

أنتَ عذّبتَنِى وأنحلتَ جسمِى * فاْرحمِ اليـومَ دائمَ الأمراضِ

قال لى لا يَحِـلّ حُكمِى عليها * أنتَ أولى بالسُّقمِ والإحراضِ (1)

قلتُ لـمّا أجابنِى بهـواها * شَمِلَ الجورُ فى الهوَى كلَّ قاضِى

فبعث إليه المهدىّ : حكمتَ علينا ووافَقْنا ذلك، فأمر له بألف دينار .

(1) كذا فى أ ، ء ، م . والإحراض : إذناف الحب، ومنه قول العرجى :

إنى امرؤ لجّ بى حب فأحرضنى * حتى بليت وحتى شفنى السـقم

و فى سائر النسخ : «الأمراض» وهو تحريف .

نسب اليه بعضهم أنه أخذ معنى فى شعره من أشعب فردّ عليه

أخبرنى عيسى قال حدّثنى سليمانُ المدنىّ قال حدّثنى الفضلُ بن إسحاق الهاشمىّ قال :

أنشدَ بشارٌ قولَه :

يُروِّعُه السِّرارُ[1] بكلّ أرضٍ * مخافةَ أن يكونَ به السّرارُ

٥ فقال له رجل : أظنك أخذتَ هذا من قول أشعَبَ : ما رأيتُ اثنين يتسارّان إلا ظننتُ أنهما يأمران لى بشىء؛ فقال : إن كنتُ أخذتُ هذا من قول أشعبَ فإنكَ أخذتَ ثِقَلَ الرُّوح والمقتَ من الناس جميعا فانفردتَ به دونهم، ثم قام فدخل وتركنا . وأخذ أبو نواس هذا المعنى بعينه من بشار فقال فيه :

تركَتْنِي الوُشاةُ نُصْبَ المُسرِّ * ينَ وأُحْدُوثةً بكلّ مكانِ

١٠ ما أرى خاليَيْنِ فى السرّ إلّا * قلتُ ما يخلوَانِ إلا لِشَانِى

استنشد هجوه فى حماد عجرد وعمرو الظالمى فأنشد

أخبرنى عمّى[2] قال حدّثنى سليمانُ قال قال لى أبو عدنانَ حدّثنى سعيدٌ — جليسٌ كان لأبى زيد — قال :

أتانى أعشى سُلَيم وأبو حَنَش فقالا لى: انطلق معنا الى بشّار فتسألَه أن يُنشِدَكَ شيئا من هِجائه فى حمّاد عَجْرَد أو فى عمرٍو الظالمىّ فإنه إن عرَفَنا لم يُنشِدْنا، فمضيتُ

١٥ معهما حتى دخلتُ على بشّار فٱستنشدتُه فأنشد قصيدةً له على الدال فجعل يخرج من وادٍ فى الهجاء الى وادٍ آخَر وهما يستمعانِ وبشّار لا يعرفهُما، فلما خرجا قال أحدُهما للآخر : أمَا تعجَبُ مما جاء به هذا الأعمى ؟ فقال أبو حنش : أمّا أنا فلا أُعرِّض — والله — والدىَّ له أبدا؛ وكانا قد جاءا يَزُورانه، وأحسَبُهما أرادا أن يتعرّضا لمهاجاته .

٢٠ (١) السرار : المسارّة وهى الكلام فى خفية . (٢) كذا فى أكثر النسخ؛ وفى حـ : «عيسى» . وقد وردت الأخبار الثلاثة قبل هذا الخبر برواية عيسى عن سليمان .

٦١
٣

مدح واصلا قبل أن يدين بالرجعة

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ عن الجاحظ قال :

كان بشّار صديقا لأبى حُذيفةَ واصلِ بنِ عطاءٍ قبل أن يَدِينَ بالرجعةِ[1] ويُكَفِّر الأئمةَ، وكان قد مدح واصلًا وذكر خطبته التى خطبها فنزع منها كلّها الراءَ وكانت على البديهة، وهى أطولُ من خُطبتَىْ خالد بن صفوانَ وشبيبِ بنِ شيبة[2]، فقال :

تكلَّفُوا القولَ والأقوامُ قد حَفَلُوا * وحَبَّرُوا خُطَباً ناهيكَ من خُطَبِ[3]
فقام مُرتجِلًا تَغْلِى بَدَاهَتُهُ[4] * كَمِرْجَلِ القَيْنِ لمّا حُفَّ باللَّهَبِ
وجانَبَ الراءَ لم يَشْعُرْ به أحدٌ * قبلَ التَّصَفُّحِ والإغراقِ فى الطلبِ[5]

قال : فلمّا دانَ بالرجْعة زعم أن الناسَ كلّهم كفروا بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقيل له : وعلىّ بن أبى طالب؟ فقال :

وما شَرُّ الثلاثةِ أمّ عمرٍو * بصاحبِكِ الذى لا تَصْبَحِينَا[6]

قال : ما كان الكميت شاعرا

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيلَ تينةُ قال قال لى محمد ابن الحجّاج :

(١) انظر الحاشية رقم ٥ ص ١٤٥ من هذا الجزء. (٢) كذا فى أ، حـ، ى: وهو الصواب. وشبيب بن شبة هو أبو معمر البصرىّ أحد الفصحاء البلغاء والإخباريين. وفى باقى النسخ: «شبة». (٣) كذا فى البيان والتبيين للجاحظ، (ج ١ ص ١٤ طبع مصر) وهو الذى يقتضيه المقام، وفى الأصول: «تكلف». (٤) كذا فى حـ وهو الملائم لسياق الكلام. وفى باقى النسخ: «تلفى» بالفاء. (٥) كذا فى حـ، وفى باقى النسخ: «التفصح» بتقديم الفاء على الصاد وهو تحريف. (٦) فى أ، ى، حـ، ب «لا تصحبينا» وهو تحريف، وتصبحينا: تسقينا الصبوح، وهو الشراب أوّل النهار. وهذا البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته المشهورة التى يقول فى مطلعها :

ألا هبّى بصحنك فاصبحينا * ولا تبقى خمور الأندرينا

٥ ١٠ ١٥ ٢٠

قال بشّار : ما كان الكُمَيتُ شاعرا ؛ فقيل له : وكيف وهو الذى يقول ! :

أَنِصْفُ آمْرِئٍ من نصف حىٍّ يَسُبُّنِى * لَعَمْرِى لقد لاقيتُ خَطْبًا من الخَطْبِ

هنيئًا لكَلْبٍ أنّ كلبًا يسُبُّنِى * وأنّىَ لم أَرْدُدْ جوابا على كَلْبِ

فقال بشّار : لا بَلْ(١) شانِئُكَ ، أترى رجلا لو ضَرَطَ ثلاثين سنةً لم يُسْتَحَلْ من ضَرِطه ضَرْطَةً واحدةً !

تمثل سفيان بن عيينة بشعر له

نسختُ من كتاب هارونَ بن علىّ بن يحيى : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى حجّاج المعلّمُ قال سمعتُ سفيانَ بنَ عُيَيْنة يقول :

عَهِدى بأصحاب الحديث وهم أحسنُ الناس أدبًا ثم صاروا الآن أسوأَ الناس أدبًا ، وصبَرنا عليهم حتى أشبَهْناهم(٢) ، فصرنا كما قال الشاعر :

وما أنا إلا كالزمان إذا صَحَا * صَحَوتُ وإن ماقَ(٣) الزمانُ أَمُوقُ

وبخ من سأله عن منزل فقهمه ولم يفهم

أخبرنى حبيبُ بن نصر قال حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال حدّثنى محمد بن الحجّاج قال :

كنّا مع بشّار فأتاه رجلٌ فسأله عن منزل رجل ذكره له ، فجعل يُفَهِّمُه ولا يَفْهَمُ(٤) ، فأخذَ بيده وقام يقوده الى منزل الرجل وهو يقولُ :

أعمى يقودُ بصيرًا لا أبَا لَكُمُ * قد ضَلَّ مَنْ كانتِ العُمْيانُ تَهدِيهِ

حتى صار به الى منزل الرجل ، ثم قال له : هذا هو منزلُه يا أعمى .

(١) لا بل : لا برأ . ويجوز بُلّ بالبناء للفعول أيضا بمعنى لا سقى ولا مطر . (٢) فى جميع الأصول : « استهنام » وظاهر فيها التحريف .

(٣) ماق يموق موقا : حمق فى غباوة . (٤) فى جميع الأصول : « يقوّمه » . والتصحيح للأستاذ الشيخ الشنقيطى مما كتبه بخطه على نسخته طبع بولاق .

أنشده عطاء الملط شعرا فاستحسنه وأنشده شعرا على رويه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أحمدُ بن أبى طاهر قال :

زعم أبو دِعَامةَ أن عطاء المَلط[1] أخبره أنه أتى بشّارا فقال له : يا أبا مُعاذ، أُنْشِدُكَ شِعرًا حسنا ؟ فقال : ما أسرّنى بذلك، فأنشده :

أَعَاذِلَتِيَّ اليـــومَ وَيلَكُمَا مَهْلَا * فما جَزَعًا مِ الآنَ أبكى ولا جَهْلَا

فلما فَرَغ منها قال له بشّار : أحسنتَ[2]، ثم أنشدَه على رَوِيِّها ووزنِها : ٥

لقد كادَ ما أُخْفِى من الوَجْدِ والهوَى * يكون جَوًى بين الجوانحِ أو خَبْلَا

صـــوت

٦١/٣

إذا قال مهلًا ذو القــرابة زادَنى * وَلُوعًا بذكراها ووجْدًا بها مَهْلَا

فلا يَحسَبِ البِيضُ الأوانسُ أنّ فى * فؤادى سوى سُعْدَى لغَانيةٍ فَضْــلَا

فَأُقسِمُ إن كانــ الهــوى غيرَ بالغٍ * بِىَ القتلَ من سُعدَى لقد جاوزَ القتلَا ١٠

فيا صاحِ خَبِّرْنى الذى أنت صانعٌ * بقاتِلَتِى ظُلْمًـا وما طَلَبَتْ ذَحْــلَا[3]

سِــوَى أنّنى فى الحبّ بينى وبينهـا * شَدَدْتُ على أكظامِ[4] سِرٍّ لهـا قُفْلَا

ــ وذكر أحمدُ بن المكىّ أنّ لإسحاقَ فى هذه الأبيات ثقيلا أوّل بالوسطى ــ فآستحسنتُ القصيدةَ وقلتُ : يا أبا مُعاذٍ، قد والله أجدتَ وبالغتَ، فلو تفضّلتَ بأن تُعيــدَها ! فأعادها على خلاف ما أنشدَنيها فى المرّة الأولى، فتوهّمتُ أنه قالهـا فى تلك الساعة . ١٥

---

(١) فى أ ، م ، ء : «عطاء الملك» . (٢) فى الأصول : « أحسن » بدون تاء الخطاب . (٣) الذحل : الثأر . (٤) كذا فى ء ، حـ ، وأكظام بالظاء : جمع كظم (بالفتح) وهو مخرج النفس . وفى باقى النسخ : « أكضام » بالضاد، وهو تحريف .

حاوره أحمد ابن خلاد فى ميله الى الإلحاد

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثنى أحمد ابن خلّاد[1] قال حدّثنى أبى قال :

كنتُ أكلّم بشّارا وأردّ عليه سُوءَ مذهبه بميله إلى الإلحاد ، فكان يقول : لا أعرف إلا ماعاينتُه أو عاينتُ مثلَه ، وكان الكلامُ يطول بيننا ، فقال لى : ما أظنّ الأمر يا أبا خالد[2] إلا كما تقول ، وأن الذى نحن فيه خِذْلانٌ ، ولذلك أقولُ :

طُبِعْتُ على ما فىّ غيرَ مُخَيَّرٍ * هَوايَ ولو خُيِّرْتُ كنتُ المهذَّبا

أُرِيدُ فلا أُعْطَى وأُعطَى ولم أُرِدْ[3] * وقَصَّرَ علمِى أنْ أنالَ المُغَيَّبا

فأُصْرَفُ عن قَصْدِى وعلمِى مُقَصِّرٌ * وأُمْسِى وما أُعْقِبْتُ إلا التعجُّبا

عاتب بشعر فتى من آل منقر بعث اليه فى الأضحية بنعجة عجفاء

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى ابن مَهْرُوَيه قال حدّثنى أحمدُ بن خَلّاد ابن المبارك قال حدّثنى أبى قال :

كان بالبصرة فتًى من بنى مِنْقَرٍ أمّه عِجْلِيَّةٌ ، وكان يبعثُ إلى بشّار فى كل أُضْحِيَّة بأُضحيّة من الأضاحى التى كان أهل البصرة يُسَمِّنونها سنةً وأكثرَ للأضاحى ثم تُباعُ الأضحيّة بعشرة دنانير ، ويبعثُ معها بألف درهم ؛ قال : فأمرَ وكيلَه فى بعض السنينَ أن يُجرِيَه على رَسْمه ، فاشترَى له نعجةً كبيرةً غيرَ سمينة وسرق باقىَ الثمن ، وكانت نعجةً عَبدَلِيَّةً من نِعَاج عبد الله بن دارم وهو نِتَاجٌ مَرذُولٌ ، فلما أُدخلَتْ عليه قالت له جاريته رَبَابةُ : ليست هذه الشاةُ من الغنم التى كان يَبعَثُ بها إليكَ ؛ فقال : أَدنيها منّى فأدنتْها ولمَسَها بيده ثم قال : اكتب ياغلامُ :

(١) هكذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول فيما تقدّم فى أخبار بشار وفيما سيأتى من أخباره بعد ، وقد ورد فى هذا الموضع فى جميع الأصول « خالد » ، فلعله محرّف عما أثبتناه إذ هو الذى يروى عنه ابن مهرويه فى جميع المواضع التى ورد فيها .

(٢) فى حـ : « يا أبا مخلد » .

(٣) فى ب ، سـ ، حـ : « فلم أرد » بزيادة .

وهبتَ لنا يا فتى مِنقَرٍ * وعِجْلٍ وأكرَمَهمْ أوّلَا
وأبسَطَهم راحةً فى النّدَى * وأرفعَهم ذِرْوَةً فى العُلا
عجوزًا قد آوْرَدَها عمرُها * وأسكَنَها الدهرُ دارَ البِلى
سَلُوحًا(١) توهّمتُ أن الرِّعاء * سَقَوْها لُيسهِلَها الحنظَلَا
وأَضرَطَ من أمّ مُبتَاعِها * إن آقتحَمَتْ بُكرةً حَوْمَلا(٢)
فلو تأكُلُ الزُّبدَ بالنِّرسِيان(٣) * وتَدَّجُ(٤) المسكَ والمَنْدَلَا
لَمَا طَيَّبَ الله أرواحَها * ولا بَلّ من عَظْمها الأَقْحَلَا(٥)
وضعتُ يمينى على ظهرها * نخلتُ حَرَاقفَها(٦) جَنْدَلَا
وأهوتْ شمالى لعُرْقوبِها * نخلتُ عَرَاقيبَها مِغْزَلَا
وقَلّبتُ أَلْيَتَها بعد ذا * فشبّهتُ عُصْعُصَها(٧) مِنجَلَا
فقلتُ أبيع فلا مشتَرٍ(٨) * أُرَجِّى لديها ولا مأكَلَا
أَمَ آشوِى وأطبُخُ من لحمها * وأطْيَبُ من ذاك مَضْغُ السَّلَى(٩)
اذا ما أُمرَّت على مجلس * من العُجْبِ(١٠) سَبّحَ أو هَلّلا

(١) سَلُوحٌ : وصفٌ من السَّلح وهو للطير والبهائم كالتغوّط من الإنسان، وقد يُستعمَل للإنسان على وجه التشبيه . (٢) الحومل : نبات كالسمسم يعى آكله . (٣) النِّرسِيانُ : نوع من أجود التمر ، وفى المثل « أطيبُ من الزُّبد بالنِّرسِيان » يضرب مثلا للأمر يستطاب ويُستعذَبُ . والمندل : العُودُ الرَّطْبُ . (٤) كذا فى جميع الأصول، وآدّج فى الشىء مثل آندج : دخل فيه واستحكم . ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا آدّج متعدّيا بنفسه ، فلعلّ ما هنا من قبيل ما جرى فيه النصب على نزع الخافض .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . والأقحل : وصف من قحل الشىء اذا يبس ، وفى ب ، سـ : «الأنحل» . (٦) الحراقف : جمع حرقفة ، والحرقفة : رأس الورك . (٧) العصعص : عَجْبُ الذنب . (٨) كذا فى ا ، م ، ء ، وفى باقى الأصول «فلا مشترٍ» . (٩) السلى : الجلدة التى يكون فيها الولد فى بطن أمه . (١٠) فى ا ، م ، ء : «من العجف» .

رأوا آيةً خَلفَهـا سـائقٌ * يَحُثّ وإن هَرْولتْ هَرْولا

وكنتَ أمرتَ بهـا ضَخْمَةً * بلحمٍ وشحمٍ قـد آستُكْمِلا

ولكنّ رَوحًا عَدَا طورَه * وما كنتُ أحسَبُ أن يفعلا

فعَضّ الذى خانَ فى أمرها * مِن آستِ آمّه بَظْرَها الأغْرَلا (١)

ولـولا مكانُك قـلّدته * عِلَاطًا (٢) وأنشقتُه الخَـرْدَلا

ولـولا آستِحَائيك خَضبتُها * وعَلّقت فى جِيـدها جُلْجُلا

فجـاءتْكَ حتى ترى حالَهـا * فتعـلَمَ أنّى بها مُبتَـلَى

سألتُـك لحمًا لصبْيانـنا * فقـد زِدتَنى فيهمُ عَيّـلا

فخُـذْها وأنت بنـا مُحسِنٌ * وما زلتَ بى مُحسِنًا مُجْمِـلا

١٠ قال : وبعث بالرقعة الى الرجل؛ فدعا بوكيله وقال له : ويلك! تعلم أنى أفتدى من بشّار بما أُعطيه وتُوقِعنى فى لسانه! اِذهَبْ فآشترِ أُضحيةً، وإن قَدَرتَ أن تكونَ مثلَ الفيل فآفعل، وآبْلُغ بها ما بلغتْ وآبعَثْ بها اليه .

شعره فى رثاء بنية له

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا عبـد الرحمن آبن أخى الأصمعىّ قال حدّثنى عمّى قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال :

١٥ رأيتُ بَشّارا المرعَّث يرثِى بُنَيّةً له وهو يقول :

يا بنتَ من لم يكُ يَهْوَى بنتا * ما كنتِ إلا خمسةً أو ستّا

حتّى حَلَلتِ فى الحَشَى وحتّى * فَتّتِّ قلبى من جوًى فآنفتّا

---

(١) الأغرل : ذو الغرلة أى لم يختن . (٢) العلاط (بالكسر) : حبل يجعل فى عنق البعير وسمة تكون فى عرض عنقه .

لَأَنتِ خيرٌ من غلامٍ بَتَّا[1] * يُصبِحُ سكرانَ ويُمسِى بَهتَا[2]

مدح نافع بن عقبة ابن سلم بعد موت أبيه

أخبرنى وكيع قال حدّثنى أبو أيوب المدينىّ قال :

كان نافع بن عُقبة بن سَلْم جَوَادًا مُمَدَّحا ، وكان بشّار منقطعًا الى أبيه ، فلما مات أبوه وَفَد اليه وقد وَلِىَ مكانَ أبيه ، فمدحه بقوله :

ولنافعٍ فضلٌ على أكفائه * إن الكريمَ أحقُّ بالتفضيلِ

يا نافعَ الشِّبْراتِ[3] حين تناوحتْ * هُوجُ الرياح وأَعْقبتْ بِوُبولِ

أشبهتَ عُقبةَ غيرَ ما مُتَشبِّهٍ * ونشأتَ فى حلمٍ وحسنِ قَبولِ

ووَلِيتَ فينا أشهرًا فكفيتَنا * عَنَتَ المُريبِ وسَلَّةَ التَّضليلِ[4]

تُدْعَى هِلالًا فى الزمان ونافعًا * والسَّلْمُ نِعْمَ أُبُوَّةُ المأمولِ

فأعطاه مثلَ ما كان أبوه يُعطيه فى كلّ سنة اذا وفَد عليه .

أجاز شعرا للمهدى فى جارية

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى إبراهيم ابن عُقْبة الرفاعىّ قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم التمّارِ البَصْرىّ قال :

دخل المهدىّ الى بعض حُجَر الحُرَم فنظر الى جاريةٍ منهن تغتسل ، فلما رأته حَصِرتْ[5] ووضعت يدَها على فَرْجها ، فأنشأ يقول :

* نظرتْ عينى لحَيْنى *

(١) بت : انقطع عن العمل ، ومنه قولهم : سكران باتّ أى منقطع عن العمل بالسكر ، و يقال أيضا : بتّ الرجل يبتّ بتوتا أى هزل فلم يقدر أن يقوم . (٢) البهت : الدهش والتحير أو التعب ، واستعمال المصدر هنا مكان اسم الفاعل للمبالغة فى الوصف . (٣) الشبرات : جمع شبرة ، والشبرة (بالكسر) : العطية . (٤) كذا بالأصول ، وللسلة معان كثيرة ، فلعل أقربها هنا : إخراج السيوف من أغمادها عند القتال ، و يكون المراد بسلة التضليل : ظهور التضليل وانتشاره ، ولعلها «سنة التضليل» . (٥) حصرت : استحت ، وفى حديث زواج فاطمة "فلما رأت عليا جالسا الى جنب النبى حصرت و بكت" أى استحت وانقطعت كأن الأمر ضاق بها .

ثم أُرتِجَ عليه، فقال : مَنْ بالباب من الشعراء؟ قالوا : بشّار، فأذن له فدخل؛ فقال له : أَجِزْ :

* نظرتْ عيني لحيْنِي *

فقال بشّار :

نظرتْ عيني لِحَيْنِي * نَظَراً وافقَ شَيْنِي
ستَرتْ لمّا رأتْنِي * دونَه بالراحتَينِ
فَضَلتْ منه فُضُولٌ * تحت طَيِّ العُكْنَتَينِ

فقال له المهديّ : قبّحكَ الله ويحك ! أكنت ثالثنا ! ثم ماذا؟ فقال :

فتمنّيتُ وقلبِي * للهوى فى زَفْرَتَينِ
أنّني كنتُ عليه * ساعةً أو ساعتَينِ

فضحكَ المهديّ وامر له بجائزة؛ فقال : يا أمير المؤمنين أقنعتَ من هذه الصفة بساعة أو ساعتين؟ فقال : آخرج عنّي قبّحك الله ! فخرج بالجائزة .

أنشد شعرا على لسان حمار له مات

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثنا أبو شبل عاصم بن وَهْب البُرْجُمِيّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال :

جاءنا بَشّار يوماً فقلنا له : ما لك مغتمّاً؟ فقال : مات حماري فرأيته فى النوم فقلتُ له : لِمَ مُتَّ؟ ألم أكن أُحسِن اليك ! فقال :

سَيِّدي خُذْ بي أَتَاناً * عند باب الأصبهانِي
تيّمتْني ببنانٍ * وبدَلٍّ قد شجَانِي
تيّمتْني يوم رُحنا * بثناياها الحسانِ
وبغُنْجٍ ودَلالٍ * سَلَّ جسمي وبرَاني

ولهـا خَدٌّ اسِـيلٌ * مثـلُ خدّ الشَّيفرانِ[1]

فـلذا متُّ ولو عِشْـ * ـتُ إذًا طال هوانِى

فقلتُ له : ما الشيفران ؟ قال : ما يدرِينى ! هـذا من غريب الحمـار، فإذا لَقِيتَه فأساله .

رأيه فيما يكون عليه المجلس

أخبرنى الحسن قال حدّثنى محمد بن القاسم قال حدّثنى على بن إياس قال حدّثنى السَّرِىّ بن الصبّاح قال :

شَهِد بشّار مجلسًا فقال : لا تُصَيِّروا مجلسنا هذا شعرًا كلّه ولا حديثًا كلّه ولا غناءً كلّه ، فإن العيش فُرَصٌ ، ولكن غَنُّوا وتحدّثوا وتَناشَدُوا وتعالَوْا نتناهَب العيشَ تَنَاهُبا .

وصفه غلام بذرب اللسان وسعة الشدق

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانىّ عن ابن عائشة قال :

جاءَ بشّار يومًا الى أبى وأنا على الباب، فقال لى : من أنت يا غلام؟ فقلتُ : مِن ساكنى الدارِ؛ قال : فكلّمنى والله بلسانٍ ذَرِبٍ وشِدْقٍ هَرِيتٍ[2] .

أبطأ سهيل القرشى فيما كان يهديه له من تمر فكتب اليه يتنجزه

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانىّ عن أبى حاتم قال :

كان سُهَيل بن عُمَر[3] القرشىّ يبعث الى بشّار فى كلّ سنة بقواصر[4] تمر، ثم أبطأ عليه سنةً؛ فكتب اليه بشّار :

تمرُكم يا سُهَيلُ دُرٌّ وهـل يُطْـ * ـمَعُ فى الدرّ مِنْ يَدَىْ مُتَعَتٍّ[5]

فأَحِبُنى يا سهيلُ من ذلك التمـ * ـرِ نواةً تكونُ قُرْطًا لبنتِى

فبعث اليه بالتمر وأضعفه له ، وكتب اليه يستعفيه من الزيادة فى هذا الشعر .

(١) فى أ ، ء : «الشيغران» بالغين . (٢) كذا فى حـ ، وشدق هريت : واسع . وفى باقى الأصول «هرت» . (٣) فى م ، أ ، ء : «عمرو» . (٤) القواصر : جمع قوصرة (بتخفيف الراء) وقوصرة (بتشديدها) وهى وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوارىّ . (٥) متعت : مستكبر متجاوز الحد .

سأله بعض أهل الكوفة ممن كانوا على مذهبه أن ينشدهم شعرا ثم عابوه

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ : عن عافية بن شَبيب عن الحسن بن صَفْوان قال :

جلس الى بشّارٍ أصدقاءُ من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه ، فسألوه أن يُنشدَهم شيئا ممّا أحدثه ، فأنشدهم قولَه :

أنّى دعاه الشّوقُ فآرتاحا * من بعد ما أصبح جَحجاحا (١)

حتّى أتى على قوله :

في حُلّتي جسمُ فتًى ناحلٍ * لو هبّت الرّيح به طاحا (٢)

فقالوا : يابن الزانية ، أتقول هذا وأنت كأنّك فيل عَرضُك أكثر (٣) من طولك !
فقال : قوموا عنّي يابني الزّناء، فإنّي مشغول القلب، لستُ أنشَط اليومَ لمشاتمتكم .

عشق امرأة وألح عليها فشكته الى زوجها

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شَبيب قال :

كان لبشّار مَجلس يجلس فيه بالعشيّ يقال له البَرْدان، فدخل اليه نِسوة في مجلسه هذا فسمعن شعره، فعشِق آمرأة منهنّ، وقال لغلامه : عَرِّفها محبّتي لها ، وآتبعها اذا آنصرفت الى منزلها، ففعل الغلام وأخبرها بما أمره فلم تُجبه الى ما أحبّ، فتبِعها الى منزلها حتّى عرَفه، فكان يتردّد اليها حتّى بَرِمت (٤) به، فشكته الى زوجها، فقال لها : أجيبيه وعِديه الى أن يجيئك الى هاهنا ففعلتْ، وجاء بشّار مع آمرأةٍ وجّهتْ بها اليه، فدخَل وزوجُها جالسٌ وهو لا يعلم، فجعل يحدّثها ساعة، وقال لها : ما اسمك بأبي أنتِ؟ فقالت : أُمامة، فقال :

أُمامةُ قد وُصفتِ لنا بحسن * وإنّا لا نَراكِ فألمِسينا

---

(١) الجحجاح : السيد المسارع في المكارم . (٢) طاح : ذهب وهلك .
(٣) كذا في ح ، وفي باقي الأصول : « أثقل » . (٤) برمت به : سئمته وضاقت به .

قال : فأخذتْ يده فوضعتها على أير زوجها وقد أنعظ، ففزع ووثب قائما وقال :

عليّ أليّـةٌ ما دمتُ حيّا * أمسُّك طائعا إلا بعُـودِ
ولا أهدى لقومٍ أنتِ فيهم * سـلامَ الله إلّا من بعيـدِ
طلبتُ غنيمةً فوضَعت كفّى * على أيرٍ أشـدَّ من الحـديدِ
فخيرٌ منـكِ من لاخيرَ فيـه * وخيرٌ من زيارتكم قُعـودى

وقبض زوجُها عليه وقال : هَمَمتُ بأن أفضحَك؛ فقال له : كفانى، فديتُك، ما فعلتَ بى، ولستُ والله عائدا اليها أبدا، فحسبُك ما مضى،(1) وتركه وانصرف . وقد رُوى مثل هـذه الحكاية عن الأصمعيّ فى قصة بشّار هذه . وهذا الخبر بعينه يُحكَى بإسـناد أقوى من هذا الإسناد وأوضحَ عن أبى العبّاس الاعمى السائب بن فَرُّوخ، وقد ذكرته فى أخبار أبى العباس بإسناده .

رثاؤه أصدقاءه

نسخت من كتاب هارون بن علىّ : قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى حمدان الآبَنوسىّ قال حدّثنا أبو نُوَاس قال :

كان لبشّار خمسة نُدماء فمات منهم أربعة وبقى واحد يقال له البَرَاء، فركب فى زَورق يريد عُبور دجلة العوراء(2) فغرِق، وكان المهدىّ قد نَهى بشّارا عن ذكر النساء والعشق، فكان بشار يقول : ماخَيرٌ فى الدنيا بعد الأصدقاء؛ ثم رثَى أصدقاءه بقـوله :

يابنَ موسى ماذا يقـول الإمامُ * فى فتـاة بالقلب منهـا أُوامُ
بتُّ من حبّهـا أُوَقَّرُ بالكأ * س ويهفُـو على فؤادى الهُيَـامُ(3)

(1) كذا فى حـ ، وفى باقى الأصول : « وتركه فانصرف » . (2) دجلة العوراء : دجلة البصرة . (3) الهيام : الجنون من العشق .

وَنَحِّها كاعبًا تُدِلّ بجَهْمٍ * كَعْثَبِيٍّ[١] كأنّه حَمّامُ

لم يكن بينها وبينيَ إلّا * كُتُبُ العاشقين والأحلامُ

يابنَ موسى آسقنى ودَع عنك سلمى * إنّ سلمى حِمًى وفى آحتشامُ

رُبّ كأسٍ كالسَّلسبيل تعلّلـ * ـتُ بها والعيونُ عنّى نيامُ

٥ حُبستْ للشُّراة فى بَيت رأسٍ[٢] * عُتّقتْ عانسًا عليها الختامُ

نَفحتْ نَفحةً فهزّت نديمى * بنسيمٍ وآنشقّ عنها الزُّكامُ

وكأنّ المعلولَ منها اذا را * حَ شَجٍ فى لسانه بِرْسامُ[٣]

صدَمتْه الشَّمولُ حتّى بعينيـ * ـه انكسارٌ وفى المفاصل خَامُ[٤]

وهو باقى الأطراف حَيّت[٥] به الكأ * س وماتت أوصالُه والكَلامُ

١٠ وفتًى يشرَب المدامة بالما * ل ويمشى[٦] يروم مالا يُرامُ

أنفدتْ كأسُه الدنانيرَ حتّى * ذهب العينُ[٧] وآستمرّ السَّوامُ

تركته الصَّهباء يرنو بعين * نام إنسانُها وليست تَنامُ

---

(١) الكعثب : الرَّكَبُ (الفرج) الضخم الناتئ ، والجهم : الغليظ . (٢) بيت رأس : اسم لقريتين ، فى كل واحدة منهما كروم كثيرة تنسب اليهما الخمر ، إحداهما ببيت المقدس ، والأخرى

١٥ من نواحى حلب . (٣) البِرسام : علة يُهْذَى فيها ، وهو ورم حاد يعرض للحجاب الحاجز ثم يتصل بالدماغ ، فارسىّ معرب مركب من « بر » وهو الصدر و «سام» وهو الموت ، ويقال لهذه العلة الموم ، ولعله يريد بالبِرسام هنا أثره وهو الهذيان . (٤) كذا وردت هذه الكلمة فى جميع الأصول ولها معان فى كتب اللغة لا تتفق والسياق إلا أن يكون قد أراد الكناية عن ارتخاء المفاصل لجعل ما بها من العظام لتثنّيها وتكسّرها كأنها خام أى طاقات زرع غضة رطبة . (٥) حيت بالادغام لغة

٢٠ فى حيى كرضى . (٦) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : « ويمسى » . (٧) العين : الذهب . واستمر : ذهب . والسوام : الإبل الراعية ، والمراد بها هنا المال الراعى كالسائمة .

جُنّ من شَربة تُعَـلّ بأخرى * وبكَى حين سار فيـه المُـدامُ
كان لى صاحبًا فأودَى به الدّهـ * ـر وفارقتُـه عليه السّـلامُ
بَقِيَ النّاس بعـدَ هُلْك نَداما * ىَ وقوعًا لم يشعروا ما الكلامُ[1]
كجَزور الأيسار لا كَبِدٌ فيـ * ـها لباغ ولا عليها سَـنامُ[2]
يابْنَ موسى فَقْدُ الحبيب على العيـ * ـن قَذاةٌ وفى الفـؤاد سَـقامُ
كيف يصفو لىَ النّعيم وَحيـدًا * والأخـلّاء فى المقـابر هـامُ[3]
نَفِسَتْهم علىّ أمّ المنـايا * فأنامَتْهـمُ بعُنـف فنامـوا[4]
لا يَغيض آنسجامُ عينى عليهـم * إنّما غاية الحزين السِّجامُ[5]

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنا الرياشىّ عن الأصمعىّ :

وفد على عمر بن هبيرة فدحه

أن بشّارا وفَد الى عمر بن هُبَيرة وقد مدحه بقوله :

يخاف المنـايا أن ترحّلتُ صاحبى * كأنّ المنـايا فى المُقـام تُناسِـبُهْ
فقلتُ له إنّ العـراق مُقامُه * وخيمٌ اذا هبّت عليـك جنائبُهْ
لألَق بنى عَيلان إنّ فَعالهم[6] * تزيد على كلّ الفَعال مَراتبُـهْ
أولاك الأُلى شقّوا العمَى بسيوفهم * عن العين حتّى أبصر الحقّ طالبُـهْ
وجيش كجُنح الليل يزحَف بالحصا * وبالشوك والخَطّىّ حُمـرًا ثَعالبُهْ[7]

(١) فى حـ ، ى واحدى روايتى أ ، م : «ما الكرام» . (٢) جزور الأيسار : الناقة التى تنحر للقامرة عليها . (٣) هام : أموات ، يقال : أصبح فلان هامة أى مات ، وهذا هامة اليوم أو غد أى أنه مشف على الموت . (٤) نفستهم : حسدتهم علىّ . (٥) السجام (بالكسر) : سيلان الدمع . (٦) الفعال (بالفتح) : الجود والكرم . (٧) كذا فى معاهد التنصيص ص ١٩١ طبع بولاق . والثعالب : جمع ثعلب ، وهو طرف الرمح الداخل فى السنان ، وفى الأصول : « ثعالبه » وهو تحريف .

غَدَونا له والشمسُ فى خدر أُمّها * تُطالعنا والطَّلُّ[1] لم يَجرِ ذائبُهْ
بضَربٍ يذوق الموتَ من ذاق طعمَه * وتُدرِك من نجّى الفرارُ مَثالبُهْ
كأنّ مُثارَ النقع فوق رءوسنا * وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى[2] كواكبُهْ
بعثنا لهم موتَ الفُجاءةِ إننا * بنو الموت خفّاق علينا سَبائبُهْ[3]
فراحوا فريقٌ فى الإسار ومثلُه * قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحر هاربُهْ
اذا الملك الجبّار صعّر خدّه[4] * مَشَينا اليه بالسُّيوف نعاتبُهْ

فوصله بعشرة آلاف درهم، فكانت أوّل عطيّة سنيّة أُعطيها بشّار ورفعتْ من ذكره. وهذه القصيدة هى التى يقول فيها :

صـــوت

اذا كنتَ فى كلّ الأمور مُعاتبا * صديقَك لم تلق الذى لا تعاتبُهْ
فعِشْ واحدا أو صِلْ أخاك فإنه * مُقارِفُ[5] ذنبٍ مرّةً ومجانبُهْ
اذا أنت لم تشرَبْ مراراً على القَذَى * ظَمئتَ وأىّ النّاس تصفو مَشاربُهْ

الغناء فى هذه الأبيات لأبى العُبَيس بن حَمدون خفيف ثقيل بالبنصر فى مجراها .

شعره فى العشق

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال ذكر أبو أيّوب المدينىّ عن الأصمعىّ قال : كان لبشّار مجلس يجلس فيه يقال له البَرْدانَ ، وكان النساء يحضُرنه فيه، فبينما هو ذاتَ يومٍ فى مجلسه إذ سمع كلام آمرأة فى المجلس فعشِقها، فدعا غلامه فقال:

(١) كذا فى معاهد التنصيص (طبع بولاق ص ١٩١) وفى الأصول : « والظل » بالظاء المعجمة وهو تحريف . (٢) كذا فى معاهد التنصيص وأصله تتهاوى أى يتساقط بعضها فى أثر بعض ، وفى الأصول «تهادى» بالدال وهو تحريف . (٣) السبائب : جمع سبيبة وهى شقة رقيقة من الكتان . والمراد بها هنا الرايات . (٤) صعر خده : أماله عن النظر الى الناس تهاونا بهم وكبرا .
(٥) مقارف : مخالط .

اذا تكلّمتِ المرأة عرّفتُك فاعرِفها، فاذا انصرفتْ من المجلس فاتبعها وكلّمها وأعلمها أنّى لها مُحبّ، وقال فيها :

يا قومُ أُذنى لبعض الحىّ عاشقة * والأذن تعشَق قبل العين أحيانا
قالوا: بمن لا تَرى تَهذِى! فقلتُ لهم * الأذن كالعين تُوفى[1] القلبَ ما كانا
هل من دواءٍ لمشغوف بجارية * يلقَى بلُقيانها رَوحا[2] ورَيحانا

وقال فى مثل ذلك :

قالت عُقَيل بن كَعب إذ تعلّقها * قلبى فأضحَى به من حبّها أثرُ
أنّى ولم ترها تَهذِى! فقلتُ لهم * إنّ الفؤاد يَرى مالا يَرى البصرُ
أصبحتُ كالحائم الحَيران مُجتنِبا * لم يقضِ وِردًا ولا يُرجَى له صَدَرُ

قال يحيى بن علىّ وأنشدنى أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشّار فى هذا المعنى وكان يستحسنه :

يُزهّدنى فى حبّ عَبدةَ مَعشرٌ * قلوبهُمُ فيها مخالفةٌ قلبى
فقلت دَعوا قلبى وما اختار وارتضَى * فبالقلب لا بالعين يُبصِر ذو الحبّ
فما تُبصر العينان فى مَوضع الهوى * ولا تسمَع الأذنان إلّا من القلبِ
وما الحسنُ إلّا كلُّ حسنٍ دعا الصّبا * وألّف بين العشق والعاشقِ الصّبِّ

قال أبو أحمد : وقال فى مثل ذلك :

يا قلبُ مالى أراكَ لا تَقِرُ[3] * إيّاك أَعنِي وعندكَ الخبرُ
أذعتَ بعدَ الألى مضَوْا حُرَقًا * أم ضاع ما استودعوك إذ بَكَروا

---

(١) توفى : تبلغ . (٢) الروح (بالفتح) : نسيم الريح والراحة والسرور .
(٣) لا تقر : لا ترزن ولا تستقر، من الوقار أى الرزانة .

٦٨/٣

قال أبو أحمد : وقال فى مثل ذلك :

إنّ سليمى والله يكلؤها * كالسُّكر تزداده على السَّكَرِ
بُلّغتُ عنها شكلًا(١) فأعجبنى * والسّمعُ يكفيك غَيبة البصرِ

أنشد المهدىّ شعرا فلم يعطه شيئا فقال شعرا مداره الحكمة

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال حدّثنى أبى قال :

٥ زعم أبو العالية أنّ بشّارا قدِم على المهدىّ، فلمّا ٱستأذن عليه قال له الربيع : قد أذِن لك وأمرك ألّا تنشد شيئا من الغزل والتشبيب فادخُل على ذلك ، فأنشدَه قولَه :

يا مَنظَرًا حَسَنًا رأيتُـه * من وجه جارية فديتُـه
بعثتْ إلىّ تَسومنى * بُردَ الشّباب وقد طوَيتُهْ
واللهِ ربِّ محمّد * ما إن غَدرتُ ولا نَويتُهْ
١٠ أمسكتُ عنك وربّما * عَرض البلاءُ وما ٱبتغيتُهْ
إنّ الخليفة قد أبَى * واذا أبَى شيئا أبيتُهْ
ومُخضَّبٍ رَخصِ البَنا * نِ بَكَى علىّ وما بكَيتُهْ
ويشُوقنى بيتُ الحبيـ * ـبِ اذا ادّكرتُ وأينَ بيتُهْ
قام الخليفة دونَه * فصبَرتُ عنه وماقَلَيتُهْ
١٥ ونَهانِىَ الملِكُ الهما * مُ عن النّسيب(٢) وما عصَيتُهْ
لا بل وفَيتُ فلم أُضِع * عهدا ولا رأيًا رأيتُهْ
وأنا المُطِلّ على العِدا * واذا غلا عِلْق(٣) شريتُهْ
أُصفِى(٤) الخليلَ اذا دنا * واذا نأَى عنّى نأَيتُهْ

(١) الشكل : غنج المرأة ودلالها . (٢) كذا فى ا ، م . وفى باقى الأصول : «النساء» .

٢٠ (٣) كذا فى أكثر الأصول ، والعلق : النفيس من كل شىء ، وفى ا «شىء» وقد تقدّم فى صفحة ٢١٢ من هذا الجزء : * وإذا غلا الحمد اشتريته *

(٤) أصفى الخليل : أى أصفيه الودّ ، يقال : أصفيت فلانا الود أى أخلصته له .

ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيب، فحرمه ولم يعطه شيئا؛ فقيل له: إنه لم يستحسن شعرك، فقال: والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على أحد، ولكنه كذب أملى لأنى كذبت فى قولى. ثم قال فى ذلك:

خليلىّ إنّ العسرَ سوف يُفيقُ * وإنّ يساراً فى غدٍ لخليقُ
وما كنتُ إلا كالزّمان اذا صحا * صَحوتُ وإن ماق الزّمان أموقُ(١)
أأدْماء(٢) لا أسطيع فى قلّة الثّرى * خُزوزا(٣) ووَشْيا والقليلُ مَحيقُ(٤)
خُذى من يدى ما قلّ إنّ زماننا * شَمُوسٌ(٥) ومعروف الرجال رقيقُ(٦)
لقد كنتُ لا أرضَى بأدنى مَعيشة * ولا يَشتكى بُخلًا علىّ رفيقُ
خليلىّ إنّ المال ليس بنافع * اذا لم ينَل منه أخٌ وصديقُ
وكنتُ اذا ضاقت علىّ مَحَلّةٌ * تيمّمتُ أخرى ما علىّ تَضيقُ
وما خاب بينَ الله والناس عاملٌ * له فى التّقى أو فى المحامد سُوقُ
ولا ضاق فضلُ الله عن مُتعفّفٍ * ولكنّ أخلاقَ الرجال تَضيقُ

أنشد المهدى شعرا فى السيف فتهدده بن عداى مثله

أخبرنى حبيب بن نصر قال حدّثنى عمر بن شبّة قال:
بلغ المهدىَّ قولُ بشّار:

قاسِ الهمومَ تنَلْ بها نُجُحا * والليلَ إنّ وراءه صُبُحا

٦٩
٣

(١) ماق: حمق. (٢) الأدماء: لغة الظبية التى أشرب لونها بياضا، ومن معانيها أيضا السمراء، مؤنث آدم، وهى هنا علم، كلمياء وعفراء. (٣) الخزوز: جمع خز وهو نوعان: أحدهما ثياب تنسج من صوف وحرير، وثانيهما ثياب تنسج من الحرير وحده، والوشى: نوع من الثياب الموشية أى المنقوشة التى خلط فيه لون بلون. (٤) محيق: لا خير فيه وهو فعيل من «محقه الله» أى أذهب خيره وبركته. (٥) شموس: متنكر، ومنه فرس شموس: لا يمكن أحدا من ظهره، ورجل شموس: عسر فى عداوته شديد الخلاف على من عانده. (٦) كذا فى حـ، وفى بقى الأصول «رفيق» بالفاء، وهو تحريف.

لا يُؤيسنّك من مُخبّأةٍ * قولٌ تُغلّظه وإن جَرَحا

عُسر النساء الى مُياسَرةٍ * والصّعبُ يُمكن بعد ما جَمَحا

فلما قدم عليه ٱستنشده هذا الشعرَ فأنشده إياه، وكان المهدى غيورا، فغضب وقال: تلك أمّك يا عاضّ كذا من أمه[1]! أتحضّ الناسَ على الفجور وتقذف المحصَناتِ المخبّآت! والله لئن قلتَ بعد هذا بيتا واحدا فى نسيبٍ لآتينّ على روحك. فقال بشار فى ذلك:

والله لولا رضا الخليفة ما * أُعطيتُ ضَيما علىَّ فى شَجنِ

وربّما خيرَ لآبن آدمَ فى الـ * ـكُره وشقّ الهوى على البدنِ

فٱشرَبْ على أُبنة الزّمان فما * تلقَى زمانا صَفا من الأُبَنِ[2]

الله يُعطيك من فواضله * والمرء يُغضى عينًا على الكُمَنِ[3]

قد عشتُ بين الرّيحان والراحِ والـ * ـمِزْهَر[4] فى ظلّ مجلسٍ حسنِ

وقد ملأتُ البلاد ما بين فَغْـ * ـفُور[5] الى القَيروان فاليمنِ

قال عمر بن شبّة: فَغْفُور: ملك الصين.

شِعرا تُصلّى له العواتِقُ[6] والـ * ـثّيِّبُ[7] صلاةَ الغُواة للوثَنِ

(١) يريد «يا عاض بظر أمه» والبظر: هنة تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الختان، وفى حديث الحديبية «امصص ببظر اللات». (٢) الأبن: جمع أبنة وهى العداوة والحقد، والمراد هنا الكدر. (٣) الكمن: جمع كمنة وهى جرب وحمرة تبقى فى العين من رمد يساء علاجه، وقيل: ورم فى الأجفان، وقيل: قرح فى المآق. (٤) فى حـ: «المزمر» ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا «مزمر» والوارد «مزمار». وفى باقى الأصول: «والراح والزهر» وهو غير مستقيم الوزن، والظاهر أن كلتا الكلمتين «المزمر»، «والزهر» محرفة عن «المزهر» وهو العود يضرب به أو الدف الكبير يقرع عليه. (٥) «فغفور» (وزان عصفور): لقب كل من ملك الصين، كالنجاشى للحبشة، وقيصر للروم، وخاقان للترك، وكسرى للفرس؛ وجاء فى أقرب الموارد «والفغفورى: الخزف الجيد يؤتى به من الصين نسبة الى فغفور وهى بلاد الصين»، ولعلها المرادة فى هذا الشعر. وفى الأصول: "يغبور" ولعلها تحريف. (٦) العواتق جمع عاتق وهى الجارية أول ما أدركت. (٧) يريد بقوله «والثيب» الثيبات جمع ثيب وهى نقيض البكر؛ وهذا الجمع غير موجود فى كتب اللغة ولا يكون كذلك إلا على توهم أن مفرده ثيباء، ولعله مما يقع فى الشعر ضرورة، قال ابن الرومى:

آلآن حين طلعت كل ثنيــة * ووطئت أبكار الكلام وثيبه

ثم نهانى المَهدىّ فآنصرفتْ * نفسى صنيعَ الموفَّق اللَّقِنِ[1]
فالحمد لله لا شريكَ له * ليس بباقٍ شىءٌ على الزَّمنِ

ثم أنشده قصيدته التى أوّلها :

* تجاللتُ عن فِهرٍ وعن جارتَىْ فِهرِ *

ووصف بها تركه التشبيب، ومدحه فقال :

تَسلّ عن الأحباب صَرّامُ خُلّة * ووصّالُ أخرى ما يُقيم على أمرِ
وركّاض أفراس الصّبابة والهوى * جرت حِجَجًا ثم آستقرّت فما تَجرى
فأصبحن ما يُركَبن إلّا الى الوغَى * وأصبحتُ لا يُزْرَى علىّ ولا أَزرِى
فهذا وإنّى قد شَرَعْتُ مع التّقى[2] * وماتت همومى الطارقاتُ فما تسرى

ثم قال يصف السفينة :

وعذراء لا تجرى بلحم ولا دمٍ * قليلة شكوى الأَيْنِ[3] مُلجَمة الدُّبْرِ
اذا ظَعَنتْ[4] فيها الفُلول[5] تَشخّصت * بفُرسانها لا فى وُعوثٍ[6] ولا وعرِ
وإن قصدت زلّت على مُتنصَّب * ذليل القوى لاشىءَ يَفرى كما تفرى
تُلاعب تَيّارَ البحور وربّما * رأيتَ نفوس القوم من جَريها تجرى

قال : وكان قال : "نِينان البحور"[7] فعابه بذلك سيبويه .فجعله "تيّار البحور" .

---

(١) اللقن : سريع الفهم . (٢) شرعتُ مع التقى : أظهرتُ الحق وقمعتُ الباطل باصطحابى للتقى .
(٣) الأين : الإعياء . (٤) كذا فى مختارات البارودى (ج ٤ ص ١) وفى جميع الأصول : «طعنت» بالطاء المهملة . (٥) الفلول : الجماعات . (٦) وعوث : جمع وعث وهو المكان السهل اللين . (٧) جمع نون على نينان أثبته صاحب القاموس وصاحب اللسان وآستشهد له بحديث علىّ رضى الله عنه : «يعلم اختلاف النينان فى البحار الغامرات» ، وحكى السيد المرتضى فى شرح القاموس تخطئة سيبويه لبشار ، ثم قال : واستعمله المتنبى وغلطوه أيضا .

الى ملك من هاشم فى نبوّة * ومن حِمْير فى الملك فى العدد الدَّثْر[1]

مِنَ المشترين الحمد تندَى من الندى * يداه ويندَى عارضاه من العطرِ

فألزمتُ حبلى حبلَ من لا تُغبّه * عُفاة الندى من حيثُ يَدرى ولا يَدرى

بَنَى لك عبد الله بيتَ خلافة * نزلتَ بها بين الفَراقد والنَّسر

وعندك عهدٌ من وَصاة[2] محمّد * فَرَعتَ[3] به الأملاكَ من ولد النَّضر

٥

هجا المهدى بعد أن مدحه فلما بلغه ذلك أمر بقتله

فلم يَحْظَ منه أيضا بشىء، فهجاه فقال فى قصيدته :

خليفةٌ يزنى بعمّاته * يلعب بالدَّبُّوق[4] والصَّوْلجانْ

أبدلنا الله به غيرَه * ودسّ مُوسى فى حِرِ الخَيْزُرانْ[5]

وأنشدها فى حَلْقة يونس النّحوىّ ، فسُعى به الى يعقوب بن داود، وكان بشّار

١٠ قد هجاه فقال :

بنى أميّة هُبّوا طال نومكُمُ * إنّ الخليفة يعقوبُ بنُ داودِ

ضاعتْ خلافتكم ياقوم فالتمسوا * خليفةَ الله بين الزِّقّ والعودِ

فدخل يعقوب على المهدىّ فقال له : يا أمير المؤمنين، إنّ هذا الأعمى المُلحد الزنديق قد هجاك؛ فقال : بأىّ شىء ؟ فقال : بما لا ينطق به لسانى ولا يتوهّمه

١٥ فكرى؛ قال له : بحياتى إلّا أنشدتنى ! فقال : والله لو خيّرتنى بين إنشادى إياه وبين ضرب عنق لأخترت ضرب عنق؛ فحلف عليه المهدىّ بالأيمان التى لا فُسحة فيها أن يخبره؛ فقال : أمّا لفظا فلا، ولكنّى أكتبُ ذلك، فكتبه ودفعه اليه؛ فكاد

---

(١) الدثر : الكثير من كل شىء . (٢) الوصاة : الوصية . (٣) فرعت : علوت بالشرف، يقال : فرع فلان القوم أى علاهم بالشرف أو الجمال . (٤) الدبوق : لعبة يلعب بها الصبيان ذكرها

٢٠ صاحب القاموس وصاحب اللسان فى مادة «دبق» وقالا : هى لعبة معروفة، ولم يبيناها . قال صاحب السعادة أحمد تيمور باشا فيما كتبه فى المجلة السلفية المجلد الثانى ص ٩٤ عن لعب العرب فى الكلام على هذه اللعبة بعد أن استشهد بهذا الشعر : «ولا ندرى هل الصولجان من لوازمه ليكون شيئا كالكرة ونحوها أم هما لعبتان قرن بينهما فى شعره» . (٥) الخيزران : جارية من جوارى المهدىّ وهى أم ولديه موسى وهارون .

ينشق غيظا، وعمد على الانحدار الى البصرة للنظر فى أمرها، وما وكده[1] غير بشار، فانحدر، فلما بلغ الى البطيحة[2] سمع أذانا فى وقت ضحى النهار، فقال : انظروا ما هذا الأذان! فإذا بشار يؤذن سكران، فقال له : يا زنديق يا عاض بظر أمه، عجبت أن يكون هذا غيرك، أتلهو بالأذان فى غير وقت صلاة وأنت سكران! ثم دعا بابن نهيك فأمره بضربه بالسوط فضربه بين يديه على صدر الحراقة[3] سبعين سوطا أتلفه فيها ؛ فكان اذا أوجعه السوط يقول : حس — وهى كلمة تقولها العرب للشىء اذا أوجع — فقال له بعضهم : انظر الى زندقته يا أمير المؤمنين، يقول : حس، ولا يقول : باسم الله ؛ فقال : ويلك ! أطعام هو فأسمى الله عليه ! فقال له الآخر : أفلا قلت : الحمد لله؛ قال : أونعمة هى حتى أحمد الله عليها ! فلما ضربه سبعين سوطا بان الموت فيه، فألقى فى سفينة حتى مات ثم رمى به فى البطيحة، فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة فدفن بها .

أخبرنى عمى قال حدثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدثنى خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال :

لما ولى صالح بن داود أخو يعقوب بن داود وزير المهدى البصرة ، قال بشار يهجوه :

هم حملوا فوق المنابر صالحا * أخاك فضجت من أخيك المنابر

فبلغ ذلك يعقوب فدخل على المهدى فقال : يا أمير المؤمنين ، أبلغ من قدر هذا الأعمى المشرك أن يهجو أمير المؤمنين! قال : ويحك! وما قال؟ قال : يعفينى

(١) كذا فى حـ . ووكده : قصده ، وفى باقى الأصول «وكره» بالراء المعجمة . (٢) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة . (٣) الحراقة : واحدة الحراقات وهى سفن بالبصرة فيها مرامى نيران يرمى بها العدو .

أمير المؤمنين من إنشاده، ثم ذكر باقى الخبر مثل الذى تقدّمه . فقال خالد بن يزيد ابن وهب فى خبره : وخاف يعقوب بن داود أن يَقدَم على المهدىّ فيمدحه ويعفو عنه، فوجّه اليه من آستقبله فضربه بالسِّياط حتّى قتله ثم ألقاه فى البَطيحة فى الخَرّارة.[1]

٧١ / ٣

هجا يعقوب بن داود حين لم يحفل به

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا علىّ بن محمد النَّوْفلىّ[2] عن أبيه وعن جماعة من رُواة البصريين، وأخبرنا يحيى بن علىّ عن أحمد بن أبى طاهر عن علىّ بن محمد، وخبره أتمّ، قالوا :

خرج بشّار الى المهدىّ ، ويعقوبُ بن داود وزيرُه ، فمدحه ومدح يعقوب، فلم يحفِل به يعقوب ولم يُعطه شيئا، ومرّ يعقوب ببشّار يريد منزله، فصاح به بشّار :

* طال الثَّواء على رُسوم المنزلِ

فقال يعقوب :

* فإذا تشاءُ أبا معاذٍ فآرحَلِ

فغضب بشّار وقال يهجوه :

بنى أميّة هُبّوا طال نومكمُ * إنّ الخليفة يعقوبُ بن داودِ
ضاعت خلافتكم ياقوم فآلتمسوا * خليفة الله بين الزِّقّ والعُودِ

قال النوفلىّ : فلما طالت أيام بشّار على باب يعقوب دخل عليه، وكان من عادة بشّار اذا أراد أن يُنشد أو يتكلّم أن يتفُل عن يمينه وشماله ويُصفّق بإحدى يديه على الأخرى ، ففعل ذلك وأنشد :

يعقوبُ قد ورد العُفاةُ عشيّةً * مُتعرّضين لسَيبك المُتابِ[3]
فسقيتَهم وحسِبتَنى كَمّونةً * نبَتت لزارعها بغير شرابِ

(١) الخرّارة : موضع بالبطيحة ، وسيذكر المؤلف ذلك فى (ص ٢٤٨) من هذا الجزء .

(٢) كذا فى حـ وهو الموافق لما اتفقت عليه النسخ جميعا فى هذا السند حين تكرر الإسناد اليه من راوية آخر . وفى باقى النسخ : « حماد » .

(٣) المتاب : الذى يأتى مرة بعد أخرى .

مَهـلًا لديك فإنّنى رَيحـانة * فآشمُمْ بأَنفك وآسـقِها بِذِنابِ[1]
طال الثّـواءُ على تنظُّرِ حاجةٍ * شَمِطتْ[2] لديك فمن لها بخضابِ
تُعطِى الغزيرةُ[3] دَرَّها فاذا أبتْ * كانت مَلامتُها على الحُـلّابِ

يقول ليعقوب : أنت من المهدىّ بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التى اذا لم يُوصَل الى دَرِّها[4] فليس ذلك من قِبَلها، إنّما هو من منع الحالب منها، وكذلك الخليفة ليس من قِبَله لسَعَة معروفه، إنما هو من قِبَل السبب اليه . قال: فلم يعطف ذلك يعقوبَ عليـه وحرَمه، فآنصرف الى البَصرة مُغضَبا . فلمّا قدِم المهدىُّ البصرةَ أعطى عطايا كثيرةً ووصَل الشعراء، وذلك كلُّه على يدىْ يعقوب، فلم يُعط بشّارا شيئا من ذلك، فجاء بَشّار الى حَلْقة يونسَ النّحْوىّ فقال : هل ها هنا أحد يُحْتَشم[5] ؟ قالوا له : لا ، فانشأ بيتا يَهْجُو[6] فيه المهدىّ، فسَعى به أهلُ الحلقة الى يعقوب، فقال يونس للمهدىّ : إنّ بشارا زِنْديق وقامت عليه البيّنة عندى بذلك، وقد هجا أمير المؤمنين ، فأمر آبنَ نَهيك بأخذه، وأَزِف خروجُهم فخرجوا وأخرجه ابن نَهيك معه فى زَوْرق . فلما كانوا بالبَطيحة ذَكَره المهدىّ فأرسل الى آبن نَهيك يأمرُه أن يضرب بشّارا ضربَ التلف ويُلقِيَه بالبطيحة، فأمر به فأُقيم على صدر السفينة وأمر الجلّادين أن يضربوه ضربا يُتلِفون فيـه نفسَه ففعلوا ذلك، فجعـل يَسترجع[7] ؛ فقال بعض من حضر : أمَا تراه

وفاة بشار

(١) ذناب : جمع ذنوب ، والذنوب : الدلو الملاًى . (٢) شمطت : تأخر قضاؤها وطال عليها الأمد ، وأصل الشمط أن يخالط سواد الرأس بياض الشيب . (٣) الغزيرة : الكثيرة الدرّ . (٤) مرجع ضمير «ليس» المنع . (٥) يحتشم : يحذر ويهاب محضره ، وقد أنكر صاحب اللسان مجىء «احتشم» متعديا فقال : ولا يقال : احتشمه ، ثم نقل عن الليث فى قول القائل : «ولم يحتشم ذلك» أنه من قبيل حذف من و إيصال الفعل الى المجرور . وجاء فى أساس البلاغة : «أنا أحتشمك وأحتشم منك : أى أستحى» . (٦) تقدم فى (ص ٢٤٢) من هذا الجزء أن الذى أخبر المهدى هو يعقوب فلعل «يونس» هنا سبق قلم من الناسخ . (٧) يسترجع : يقول : إنا لله و إنا اليه راجعون .

لا يحمد الله! فقال بَشّار : أنعمةٌ هى فأحمدَ الله عليها ! إنّما هى بليّة أسترجع عليها، فضُرب سبعين سوطا مات منها وأُلقِىَ فى البطيحة .

قال يحيى بن علىّ فحكى قَعْنَب بن محرز الباهلىّ قال حدّثنى محمد بن الحجّاج قال : لما ضُرب بشار بالسّياط وطُرح فى السفينة قال : ليت عينَ أبى الشَّمَقمق رأتنى حين يقول :

٥

إنّ بشّارَ بنَ برد ... تيسٌ أعمى فى سفينهْ[1]

٧٢ / ٣

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عَمّار وحَبيب بن نصر المُهلَّبى قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

أمر المهدىّ عبد الجبار صاحب الزنادقة فضرب بشّارا ، فما بقِىَ بالبَصرة شريفٌ إلا بعث اليه بالفَرْش والكُسْوة والهدايا ومات بالبطيحة . قال : وكانت وفاته وقد ناهز ستّين سنة .

١٠

قال عمر بن شبّة حدّثنى سالم بن علىّ ، قال : كنّا عند يونس فنعَى بشّارا الينا ناعٍ ، فأنكر يونسُ ذلك وقال : لم يمتْ ؛ فقال الرجل : أنا رأيت قبرَه ، فقال : أنت رأيته ؟ قال : نعم ، وإلا فعلىّ وعلىّ ، وحلَف له حتّى رضِىَ ، فقال يونسُ : «لليدين وللفم»[2] .

١٥

قال أبو زيد وحدّثنى جماعة من أهل البصرة منهم محمّد بن عَوْن بن بَشير[3] ، وكان يُتّهم بمذهب بشّار، فقال :

(١) كان العرب اذا هجوا إنسانا بالغباوة أو بالنتن قالوا : إنما هو تيس ، فاذا أرادوا الغاية فى الغباوة قالوا : ما هو إلا تيس فى سفينة . (انظر الحيوان للجاحظ طبع مطبعة التقدم ج ٥ ص ١٣٦) .

(٢) استعمل يونس هاتين الكلمتين فى الشماتة بهلاك بشار ، وهما فى الأصل مثل يقال عند الشماتة بسقوط إنسان ، والمراد أسقطه الله على يديه ورجليه ، وفى الحديث أن عمر رضى الله عنه أتى بسكران فى رمضان فعثر بذيله فقال عمر : لليدين وللفم ، أولداننا صيام وأنت مفطر ! ثم أمر به فحُدّ (انظر مجمع الأمثال للميدانى ج ٢ ص ١٣٤ طبع بولاق) . (٣) فى حـ : «بشر» .

٢٠

لمّا مات بشّار أُلقيتْ جُثّته بالبطيحة فى موضع يُعرَف بالحَرّارة، فحمله الماء فأخرجه الى دِجلة البصرة فأُخذَ فأُتىَ به أهلُه فدفَنوه ، قال وكان كثيرا ما ينشدنى :

ستَرى حولَ سَريرى ‏* حُسّرا[1] يَلْطمن لَطما
يا قَتيلا قتلتْه ‏* عبدةُ الحوراءُ ظلما

قال : وأُخرِجَتْ جنازتُه فما تبعها أحدٌ إلّا أَمَةٌ له سوداء سِنديّة عَجماء ما تُفصح ، رأيتُها خلفَ جنازته تَصيح : وا سيّداه! وا سيّداه! .

شماتة الناس بموته وماقيل فى ذلك من الشعر

قال أبو زيد وحدّثنى سالم بن علىّ[2] قال :

لمّا مات بشّار ونُعىَ الى أهل البَصرة تَباشر عامّتهم وهنّأ بعضُهم بعضا وحمِدوا الله وتصدّقوا، لِما كانوا مُنُوا[3] به من لسانه .

وقال أبو هشام الباهلىّ فيما أخبرنا به يحيى بن علىّ فى قتل بَشّار :

يا بُؤْسَ مَيْتٍ لم يَبكِه أحدُ ‏* أَجَلْ ولم يَفتقِده مُفتقِدُ
لا أمُّ أولاده بكَتْه ولم ‏* يَبْكِ عليه لفُرقةٍ وَلدُ
ولا ٱبنُ أختٍ بكَى ولا ٱبنُ أخٍ ‏* ولا حَميمٌ رقّت له كَبِدُ
بل زعموا أنّ أهلَه فَرحًا ‏* لمّا أتاهم نَعيُّه سَجَدوا

قال : وقال أيضا فى ذلك :

قد تَبِع الأعمى قَفا عَجْرَدٍ ‏* فأصبحا جارَين فى دارِ
قالت بِقاعُ الأرض لا مَرحبًا ‏* برُوح حمّادٍ وبشّارِ

(١) حسر : جمع حاسر وهى المكشوفة الوجه أو الذراعين . (٢) كذا فى أكثر الأصول ، وفى حـ : «سالم بن عبد الله» . (٣) منوا : ابتلوا .

تجاورا بعد تنائيهما * ما أبغض الجار الى الجار
صارا جميعا فى يدى مالك * فى النار والكافر فى النار

قال أبو أحمد يحيى بن علىّ وأحمرنا بعض إخوانى عن عمر بن محمد عن أحمد ابن خلّاد عن أبيه قال :

٥ مات بشّار سنة ثمان وستين ومائة وقد بلغ نيّفا[1] وسبعين سنة .

ندم المهدىّ على قتله

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : لمّا ضرب المهدىّ بشّارا بعث الى منزله من يفتّشه، وكان يتّهم بالزندقة فوجد فى منزله طومار[2] فيه :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١٠ إنى أردت هجاء آل سليمان بن علىّ لبخلهم فذكرتُ قرابتهم من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأمسكت عنهم إجلالا له صلّى الله عليه وسلّم، على أنّى قد قلتُ فيهم :

٧٣/٣

دينارُ آلِ سليمانٍ ودرهمُهم * كالبابليّين[3] حُفّا بالعفاريت
لا يُبصَران ولا يُرجَى لقاؤهما * كما سمعتَ بهاروتٍ[4] وماروت

فلما قرأه المهدىّ بكى وندم على قتله ، وقال : لا جزى الله يعقوب بن داود

١٥ خيرا . فإنّه لمّا هجاه لفّق عندى شهودا على أنّه زنديق فقتلتُه ثم ندمت حين لا يُغنى النّدم .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول، وفى حـ : «وتسعين» ومثل هذا ورد فى معاهد التنصيص ص ١٣٧ طبع بولاق . (٢) الطومار كالطامور : الصحيفة ، قال ابن سيدة : قيل هو دخيل ، وأراه عربيا محضا لأن سيبويه قد اعتدّ به فى الأبنية فقال : هو ملحق بفسطاط (انظر لسان العرب مادة «طمر») .

٢٠ (٣) نسبة الى بابل وهى ناحية منها الكوفة والحلّة ينسب اليها السحر والخمر . (٤) هاروت وماروت : ملكان ، وقد ورد ذكرهما فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) .

أخبرنى محمّد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا عمر بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثنى محمد بن هارون قال :

لمّا نزل المهدىُّ البصرةَ كان معه حَمْدُويَه صاحبُ الزّنادقة فدَفع إليه بشّارا وقال : آضربْه ضربَ التلف، فضربه ثلاثةَ عشرَ سوطا، فكان كلّما ضربه سوطا قال له : أوجعتَنى ويلك! فقال: يا زنديق، أتُضرَب ولا تقول: بآسم الله! قال : ويلك! أثَريدٌ هو فأسمّىَ [الله][1] عليه ! قال : ومات من ذلك الضّرب .

ولبشّار أخبار كثيرة قد ذُكرتْ فى عدّة مواضع : منها أخباره مع عَبْدة فإنّها أُفردت فى بعض شعره فيها الذى غنّى فيه المغنّون، وأخبارُه مع حمّاد عَجْرد فى تَهاجيهما فإنّها أيضا أُفردتْ، وكذلك أخباره مع أبى هاشم الباهلىّ فإنّا لم نجمع جميعها فى هذا الموضع، إذ كان كلّ صِنفٍ منها مُستغنيا بنفسه حسبما شُرط فى تصدير الكِتاب .

(١) زيادة فى حـ .

أخبار يزيد حوراء

ولاؤه، وهو مغن من طبقة ابن جامع والموصلى

يزيد حَوْراء رجل من أهل المدينة ثم من موالى بنى لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة آبن كنانة ، ويُكنَى أبا خالد ، مُغَنٍّ محسنٌ كثيرُ الصَّناعة ، من طبقة آبن جامع وإبراهيم الموصلىّ ، وكان ممن قدِم على المهدىّ فى خلافته فغنّاه ، وكان حسنَ الصّوت حُلوَ الشمائل .

كان إبراهيم الموصلى يحسده فشاركه فى جوار وتعلم إشارته منهن وأبطل عليه ما انفرد به

وذكر آبن خُرْدَاذْبَهْ[1] أنه بلَغه أن إبراهيم الموصلىّ حسده على شمائله وإشارته فى الغناء ، فآشترى عدّةَ جوارٍ وشاركه فيهنّ ، وقال له : علِّمهن فما رَزَق الله فيهن من رِبْح فهو بيننا ، وأمرهن أن يجعلن وَكْدَهنّ[2] أَخْذَ إشارته[3] ففعلن ذلك ، وكان إبراهيم يأخذها عنهن هو وآبنه ويأمرهن بتعليم كلّ من يعرفنه ذلك حتى شهرها فى الناس ، فأبطلَ عليه ما كان منفردًا به من ذلك .

كان صديقا لأبى العتاهية وغنى للهدى من شعره فى عتبة فأكرمه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنى جماعةٌ من موالى الرشيد :

أن يزيد حوراء كان صديقًا لأبى العَتَاهِيَة ، فقال أبو العتاهية أبياتًا فى أمر عُتْبَةَ يتنجّز فيها المهدىَّ ما وعده إيّاه من تزويجها ، فاذا وجد المهدىَّ طيِّبَ النفسِ غنّاه بها ، وهى :

ولقد تَنَسّمتُ الرياحَ حاجتى * فإذا لها من راحتَيْكَ نسيمُ
أشربتُ نفسى من رجائك ماله * عَنَقٌ يَخُبّ اليك بى ورَسِيمُ[4]

---

(١) (انظر الحاشية رقم ٥ ص ٣٤٤ ج ٢ أغانى طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الوكد : القصد . (٣) فى ب ، س ، حـ : «إشاراته» . (٤) العنق والرسيم : ضربان من ضروب السير .

ورَمَيتُ نحوَ سماءِ جَوْدِك[1] ناظرى ... أرْعَى مخايلَ بَرْقِهِ وأَشِيمُ
ولربّما آستيأستُ ثم أقولُ لا ... إنّ الذى ضَمِنَ النجاحَ كريمُ

فصَنَع فيها لحنًا وتَوَخَّى لها وقتًا وجَد المهدىَّ فيه طيِّبَ النفس فغنّاه بها ، فدعا بأبى العتاهية وقال له : أمّا عُتْبة فلا سبيلَ اليها لأن مولاتَها مَنَعتْ من ذلك ، ولكن هذه خمسون ألفَ درهمٍ فآشترِ ببعضها خيرًا من عُتبة . فحُمِلتْ اليه وآنصرف .

٧٤ / ٣

كان نظيفا ظريفا حسن الوجه جميل الخصال

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن المَرْزُبان قال حدّثنا شَيْبة بن هشام عن عبد الله بن العبّاس الرَّبيعىّ[2] قال :

كان يزيد حوراء نظيفًا ظريفًا حسنَ الوجه شَكِلًا[3] ، لم يَقْدَمْ علينا من الحجاز أنظفُ ولا أشكلُ منه ، وما كنتَ تشاء أن ترى خَصْلةً جميلةً فيه لا تراها فى أحد منهم إلا رأيتَها فيه . وكان يتعصّب لإبراهيم الموصلىّ على آبن جامع ، فكان إبراهيم يرفع منه ويُشيع ذِكْرَه بالجميل وينبّه على مواضع تَقَدّمه وإحسانه ويَبْعَث بآبنه إسحاقَ اليه يأخُذُ عنه . وكان صديقًا لأبى مالكٍ الأعرج التَّيمىّ لا يكادُ أن يُفارقه ، فمرض مرضًا شديدا وآحتُضِر ، فآغتمّ عليه الرشيدُ وبعث بمسرورٍ الخادم يسأل عنه ، ثم مات ، فقال أبو مالك يَرْثيه :

رثاه صديقه أبو مالك حين مات

صوت

لم يُمتَّعْ من الشباب يزيدُ ... صار فى التُّرْب وهو غَضٌّ جديدُ
خانَه دهرُه وقابَلَه منـ ... ـه بنَحْسٍ ودَابَرَتْه[4] السُّعودُ

(١) الجود (بفتح الجيم) : المطر الغزير . ومن الجائز أن تكون بضم الجيم بمعنى الكرم . وفى زهر الآداب : «صوب» . (٢) فى جميع الأصول : «الربعى» بدون ياء بعد الباء ، وهو عبد الله بن العباس بن الفضل ابن الربيع والنسبة اليه ربيعىّ بإثبات الياء ، وله ترجمة فى الجزء السابع عشر من الأغانى طبع بولاق .
(٣) شكلا : ذا دل وعزل . (٤) دابرته : ولته دبرها ولم تقبل عليه .

حين زُفَّتْ دُنْياه من كل وجهٍ * وتَدَانَى إليــه منــه البعيـد
فكأنْ لم يكُنْ يزيدُ ولم يَشْـ * ـجُ نَديمًا يهُـزُّه التغـريدُ

وفى هذه الأبيات لحسين بن محرز لحنٌ من الثقيل الثانى بالبنصر، من نسخة عمرو بن بانة .

توسط لأبى العتاهية حتى ذكره للهدىّ فكلّمه فيه عتبة

٥ أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى أحمد ابن أبى يوسف قال حدّثنى الحسين بن جُمْهور بن زياد بن طَرْخان(١) مولى المنصور قال حدّثنى أبو محمد عبد الرحمن بن عُيَينة بن شارِيةَ الدُّؤلىّ قال حدّثنى محمد بن مَيْمون أبو زيد قال حدّثنى يزيد حوراء المغنّى قال :

كلّمنى أبو العَتَاهِيَــة فى أن أُكلِّم له المهــدىَّ فى عُتبةَ ، فقلت له : إن الكلام ١٠ لا يمكننى ولكن قل شعرًا أُغنّه به، فقال :

صــــوت

نفسى بشىءٍ من الدنيا مُعَلَّقةٌ * اللهُ والقائمُ المهـدىُّ يَكْفِيها
إنى لأيأَس منهـا ثم يُطْمِعُنى * فيها احتقارُكَ للدنيا وما فيها

قال : فعَمِلتُ فيه لحنًا وغنّيته به . فقال : ما هــذا؟ فأخبرتُه خبرَ أبى العتاهيــة ، ١٥ فقــال : ننظرُ فيما سأل، فأخبرتُ أبا العتاهية ، ثم مضى شهرٌ فجاءنى وقال : هــل حدث خبر؟ فقلت : لا، قال : فاذكرنى للمهــدىّ، قلت : إن أحببتَ ذلك فقل شعرًا تُحرِّكه وتُذكِّره وعدَه حتى أُغنّيَه به، فقال :

---

(١) طرخان بفتح الطاء، والمحدّثون يضمّونها ويكسرونها ، وقد نبه على ذلك صاحب القاموس فقال : ولا تُضَمّ ولا تُكسر وإن فعله المحدّثون ؛ وهى كلمة خراسانيــة معناها «الرئيس الشريف» وجمعها ٢٠ «طراخنة» .

صـــــوت

ليتَ شعرِى ماعندكم ليتَ شعرِى * فلقـــد أُخِّرَ الجـــوابُ لأمرِ
ما جوابٌ أَوْلَى بكلّ جميـــلٍ * من جـــوابٍ يُرَدُّ من بعـد شهرِ

قال يزيد : فغنّيت به المهدىّ فقال : علىّ بعُتْبة فأُحضِرَتْ، فقال : إنّ أبا العتاهية كلّمنى فيكِ، فما تقولين، ولك وله عندى ما تُحِبّان مما لا تبلُغه أمانيكما؟ فقالت له : قد علِم أميرُ المؤمنين ما أوجب الله علىّ من حقّ مولاتى، وأُريد أن أذكُرَ لها هذا ، قال : فافعلى؛ قال : وأعلمتُ أبا العتاهية ، ومضتْ أيّامٌ فسألنى معاوَدَةَ المهـدىّ، فقلت : قد عرفتَ الطريقَ فقل ما شئتَ حتى أغنّيَه به، فقال :

صـــــوت

أَشْربتُ قلبى من رجائك ما له * عَنَقٌ يَخُبُّ اليـك بى ورسيـمُ
وأَمَلتُ نحوَ سماء جَودِك ناظرِى * أرعَى مَخَايِلَ بَرْقِها وأشيمُ
ولربّما آستيأستُ ثم أقول لا * إنّ الذى وعدَ النجاحَ كريمُ

قال يزيد : فغنّيته المهـدىّ، فقال : علىّ بعُتْبة فجاءت، فقـال : ما صنعتِ؟ فقالت : ذكرتُ ذلك لمولاتى فكرِهتْه وأبته، فليفعل أميرُ المؤمنين ما يُريد، فقال : ما كنتُ لأفعلَ شيئا تكرَهه، فأعلمتُ أبا العتاهية بذلك، فقال :

قَطَعْتُ منـكِ حبائلَ الآمالِ * وأَرحْتُ من حِلٍّ ومن تَرْحالِ
ما كان أشأمَ إذ رجاؤكِ قاتِلِى(1) * وبناتُ وَعْدِك يَعْتلِجن(2) ببالى
ولئن طَمِعتُ لَرُبَّ بَرْقة خُلّبٍ * مالتْ بِذِى(3) طَمَعٍ ولمعـةِ آلِ

(١) هكذا فى جميع الأصول والديوان، وفى كتاب زهر الآداب : «قادنى» . (٢) كذا فى حـ ، ويعتلجن ببالى : يهجن ويخطرن ، على المجاز من قولهم : اعتلج الموج اذا التطم . وفى باقى الأصـول : «يعتجلن» وهو تحريف . (٣) فى كل الأصول : «مالت به طمع» ، وهو تحريف والتصويب عن ديوان أبى العتاهية وكتاب زهر الآداب .

مغازلته لجارية

أخبرنى محمد بن أبى الأزهر قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

قال يزيد حوراء : كنت أجلس بالمدينة على أبواب قُرَيش، فكانت تمرّ بى جاريةٌ تختلف الى الزرقاء تتعلّم منهـا الغناء، فقلت لها يوما : افهَمِى قولى ورُدّى جوابى وكونى عند ظنّى، فقالت : هاتِ ما عندك، فقلت : بالله ما اسمكِ؟ فقالت: ممنّعة؛ فأطرقتُ طِيَرةً[(1)] من اسمها مع طَمَعى فيها، فقلت : بل باذلة أو مبذولة إن شاء الله، فاسمعى منّى، فقالت وهى تتبسّم : إن كان عندك شىءٌ فقل، فقلت :

لِيَهْنِـكِ[(2)] منّى أننى لستُ مُفْشِـياً * هواكِ الى غيرى ولومُتُّ من كَرْبِ

ولا مانحـا خَلْقًا سـواكِ مودّتى * ولا قائلًا ماعشتُ من حبّكم حَسْبى

قال : فنظرتْ الىّ طويلًا ، ثم قالت: أَنشُدُك اللهَ، أعن فَرْط محبّة أم اهتياج غُلْمةٍ تكلّمت؟ فقلت : لا والله ولكن عن فَرْط محبّة، فقالت :

فوالله ربِّ الناس لا خُنتُكَ الهَوَى * ولا زلتَ مخصوصَ المحبّة من قلبى

فثِقْ بِى فإنّى قد وَثِقتُ ولا تكنْ * على غيرِ ما أظهرتَ لى ياأخا الحُبِّ

قال : فوالله لكأنمـا أضرمتْ فى قلبى نارًا ، فكانت تلقّانى فى الطريق الذى كانت تسـلُكُه فتحدّثنى وأتفرّج[(3)] بهـا، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء ، فكانت تُكاتبنى وتُلاطفنى دهرًا طويلا .

(1) طيرة : شؤما . (2) كذا فى الأصول، وقد أنكر صاحب اللسان هذا الاستعمال فقال : والعرب تقول ليهنئك الفارس بجزم الهمزة وليهنيك الفارس بياء ساكنة ولا يجوز «ليهنك» كما تقول العامة ؛ ولكن السيد المرتضى ذكر أنه ورد فى صحيح البخارى (انظره فى مادة هنأ) . (3) أتفرج بها : أصير بها ذا فرج نحو تأسف أى صار ذا أسف وتأهل أى صار ذا أهل ، ولكنا لم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا لتفرّج معنى سوى تفرج مطاوع فرج فى نحو قولهم : فرّج الله الكرب فتفرّج وانفرج .

صــــوت

من المـائة المختـارة

يا ليـلةً جمعتْ لنا الأحبابا * لو شئتِ دام لنا النعيمُ وطابا

بِتنـا نُسَـقّاها شَمولا قَرْقَفًا(١) * تَدَعُ الصحيحَ بعقله مُرتابا

حمراء مثل دمِ الغزال وتارة * عنـد المِزاج تخالهـا زِريابا(٢)

من كفِّ جاريةٍ كأنّ بَنانَها * من فضّة قد قُمِّعتْ(٣) عُنّابا

وكأنّ يُمناها اذا نقَـرتْ بها * تُلقِى على الكفّ الشِّمال حِسابا

عروضه من الكامل. الشعر لعُكّاشة العَمِّىّ، والغناء لعبد الرحيم الدَّفّاف، ولحنُه المختارُ هَزَجٌ بإطلاق الوتر فى مَجرَى الوُسطَى .

(١) الشمول من أسماء الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها ، والقرقف من أسمائها أيضا لأنها تقرقف شاربها أى ترعده . (٢) الزرياب : الذهب وقيل ماؤه، معرب «زر» أى ذهب و« آب » أى ماء . (٣) قمعت عنابا : جعلت له أقماعٌ من عناب، والأقماع : جمع قمع، وهو الغلاف الذى يكون على رأس الثمرة أو البسرة ، والعُنّاب : شجرله حب كحب الزيتون وأجوده الأحمر الحلو؛ ويقال: قمّعت المرأة بنانَها بالحناء أى خضبت به أطرافها فصار لها كالأقماع ، وأنشد ثعلب على هذا :

اطمت ورد خدها ببنان * من لجين قمعن بالعقيانِ

أخبار عُكَّاشة العَمِّيّ ونسبه

أصل قومه بنى العم مدفوع فى العرب

هو عُكَّاشة بن عبد الصَّمَد العَمِّيّ من أهل البَصرة من بنى العمّ. وأصلُ بنى العمّ كالمدفوع، يقال : إنهم نزلوا ببنى تميم بالبَصرة فى أيّام عمر بن الخطّاب فأسلموا وغَزَوْا مع المسلمين وحَسُنَ بلاؤهم، فقال الناسُ: أنتم، وإن لم تكونوا من العرب، ٥ إخوانُنا وأهلُنا وأنتم الأنصارُ والإخوانُ وبنو العمِّ، فلُقِّبوا بذلك وصاروا فى جملة العرب .

هجا كعب بن معدان بنى ناجية وشبههم ببنى العم

وقال بعضُ الشعراء — وهو كعبُ بن مَعْدان — يهجو بنى ناجيةَ ويشبِّههم ببنى العمِّ :

وجدنا آلَ سامةَ فى قُرَيش * كمثل العمِّ بين بنى تميمِ

١٠ ويروى : «فى سَلَفَى تميم» .

أعانوا الفرزدق فهجاهم جرير

أخبرنى عيسى بن الحسين عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى أبو عُبَيدة قال :

لما تواقف[1] جريرٌ والفرزدقُ بالمِرْبَد للهجاء اقتتلتْ بنو يَرْبُوع وبنو مُجاشع، فأمدّتْ بنو العمّ بنى مُجاشِع وجاءوهم وفى أيديهم الخشبُ فطردوا بنى يَرْبوع؛ فقال جرير : ١٥ مَن هؤلاء؟ قالوا : بنو العمّ، فقال جرير يهجوهم :

ما للفرزدقِ مِنْ عزٍّ يلوذُ به * إلّا بنى العمِّ فى أيديهمُ الخشَبُ

سيروا بنى العمِّ فالأهوازُ[2] داركُمُ * ونهرُ تِيرَى[3] ولم تعرِفْكم العَرَبُ

(١) تواقف : وقف أحدهما للآخر، قال فى اللسان (مادة وقف) : وواقفه مواقفة ووقافا : وقف معه فى حرب أو خصومة . وفى الأصول : « توافق » . (٢) الأهواز : سبع كور بين البصرة ٢٠ وفارس، لكل كورة منها اسم ويجمعها الأهواز . (٣) نهر تيرى (بكسر التاء وياء ساكنة وراء مفتوحة مقصور) : بلد من نواحى الأهواز حفره أردشير الأصغر بن بابك ووهبه «لتيرى» من ولد جوذرز الوزير فسمى به، وله ذكر فى أخبار الفتوح والخوارج، (انظر معجم ياقوت فى الكلام على نهر تيرى) .

وعُكّاشةُ شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة العباسيّة، ليس ممّن شُهِر وشاع شعرُه فى أيدى الناس ولا ممّن خدَم الخلفاءَ ومدَحهم .

ذكر لصديقه حميد الكاتب حبه لنعيم وشعره فيها

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى علىّ ابن الحسن عن ابن الأعرابىّ قال حدّثنى سَعيد بن حُمَيد الكاتب البصرىّ قال قال أبى :

كان عُكّاشة بن عبد الصَّمَد العمّىّ صديقًا لى وإلفًا ، وكنّا نتعاشر ولا نكاد نفترق ولا يكتُم أحدُنا صاحبَه شيئا، فرأيته فى بعض أيّامه متغيّرَ الهيئة عمّا عهدته مقسَّمَ القلبِ والفكرِ غيرَ آخذٍ ما كنّا فيه من الفُكاهة والمُزاح، فسألته عن حاله فكاتَمَنيها مَليًّا، ثم أخبرنى أنه يهوَى جاريةً لبعض الهاشميّين يقال لها نُعَيْم، وأنّ مَرامَها عليه مستصعبٌ لا يراها إلّا من جَناحٍ لدارهم، تُشرِفُ عليه فى الفَيْئة[1] بعد الفَيْئة فتكلّمه كلاما يسيرا ثم تذهب، فعاتبتُه على ذلك فلم يَزْدجِرْ وتمادَى فى أمره، ثم جاءنى يوما، فقال : قد وعدَتْنى الزيارةَ لأنّ شكواى اليها طالت، فقلت له : فهل حقّقَتْ لك الوعدَ على يومٍ بعينه؟ قال : لا، إنما سألتُها الزيارةَ فقالت : نعم أفعلُ، فقلت له : هذا والله أعجبُ من سائرِ ما مضَى، وأىُّ شىءٍ لك فى هذا من الفائدة بلا تحصيلِ وعدٍ! فقال لى: يا أخى، إنّ لى فى قولها: "نعم" فرجًا كبيرا، فقلتُ: أنت أقنعُ الناس، ثم جاءنى بعدَ يومين وهو كاسِفُ البال مهمومٌ، فقلت له : مالك؟ فقال : مضيتُ الى نُعَيْم فتنجّزتُ وعدَها ، فقالت لى : إنّ لى صاحبةً أستنصِحُها وأعلمُ أنها تُشفِقُ علىّ شفَقةَ الأختِ على أختها والأمِّ على ولَدِها وقد نَهتْنى عن ذلك ، وقالت لى : إنّ فى الرجال غَدرا ومكرا، ولا آمنُ أن تفتضحى ثم لا تَحصُلى منه على شىء، وقد انقطعتْ عنّى ثم أنشدنى لنفسه :

---

(١) الفيئة : الحين ، وفى بعض الأصول "العيئة" ولعلها محرفة عن "الفيئة" وهى بمعنى الفيئة .

علامَ حبلُ الصفاءِ منصرمُ * وفيمَ عنّى الصدودُ والصَّمَمُ

يا من كَنَيْنا عن آسمه زمنًا * نتبعُ مرضاتَه ونحترمُ (١)

قد عِيلَ صبرى وأنتِ لاهيةٌ * عنّى وقلبى عليكِ يَضْطَرِمُ

مَنْ جَذَّ حبلَ الوفاء سيّدتى * منكِ ومن سامنى له العَدَمُ

٥ فكم أتانى واشٍ يعيبكُمُ * فقلتُ اِخسأْ لأنفِك الرَّغَمُ

أنتَ الفِدَا والحِمَى لمن عِبتَ فار * جِعْ صاغِرًا راغمًا لك النَدَمُ

صوت

يارَبِّ خُذْ لى من الوُشاة إذا * قاموا وقُمنا اليكَ نختصمُ

دَبُّوا اليها يُوَسوِسون لها * كى يستزلُّوا حبيبتى زَعَموا

١٠ هيهات مِنْ ذاك ضَلَّ سعيُهُمُ * ما قلبها المستعارُ يُقتَسَمُ

يا حاسدينا موتوا بغيظِكُمُ * حَبْلِى متينٌ بقولها نَعَمُ

باللهِ لا تُشْمِتى العُداةَ بنا * كونى كقلبى فلستُ أتّهمُ

— الغناء فى هذه الأبيات لَعَرِيبَ رَمَلٌ . وقيل : إنه لغيرها — قال : ثم طال تَردادُه اليها وآستصلاحُه لها ، فلم ألبَثْ أن جاءتنى رُقعتُه فى يومِ خميس يُعْلِمنى أنها قد حصَلتْ عنده ويستدعينى لحضرتُ ، وتوارتْ عنّى ساعةً وهو يُخبرُها أنّه لا فرقَ بينى و بينه ولا يحتشمنى فى حالٍ آلبتّةَ الى أن خرَجتْ ، فاجتمعْنا وشرِبْنا وغنَّتْ غناءً حسَنا الى وقتِ العصر ثم آنصرفَتْ ، وأخذَ دواةً ورُقعةً فكتب فيها :

زارته نعيم وغنته ثم ذهبت فقال شعرا فى ذلك

١٥

(١) فى الأصول : «ونحترم» بالنون والسياق يأباها .

سَقْيًا لمجلسنا الذى كنّا به * يومَ الخميس جماعةً أترابا
فى غُرفةٍ مَطَرت سَماوةُ[1] سقفِها * بحَيَا النعيم من الكروم شَرابا
إذ نحن نُسقاها شَمولا قَرْقَفًا * تدَعُ الصحيحَ بعقله مُرتابا
حمراء مثل دمِ الغزال وتارةً * بعد المِزاج تخالُها زِرْيابا
من كفّ جاريةٍ كأنّ بنانَها * من فضّةٍ قد قُمّعتْ عُنّابا ٥
تزدادُ حسنًا كأسُها من كفّها * ويطيب منها نشرُها أحقَابا
واذا المِزاجُ علَا فشجّ جبينَها * نَقَشَتْ[2] بألسنةِ المِزاجِ حَبَابا
وتخالُ ما جمعتْ فأحدقَ سِمْطُه * بالطّوقِ رِيقَ حَبائبٍ ورُضابا
كَفَتِ المَناصفَ[3] أن تَذُبَّ أكفُّها * عنها اذا جعلتْ تفوحُ ذُبابا
والعودُ مُتّبِعٌ غناءَ خَريدةٍ * غَرِدًا يقول كما تقول صوابا ١٠
وكأنّ يُمناها اذا نَطَقتْ به * تُلقِى على يدها الشّمالِ حِسابا
فهناك خَفّ[4] بنا النعيمُ وصار من * دون الثقيلِ لنا عليه حِجابا
آليتُ لا ألحَى على طلب الهوَى * مُتَلذّذًا حتى أكونَ تُرابا

اشترى نعيم بغدادىّ وسافر بها فأسف وقال شعرا

قال : ثم قَدِم قادم من أهل بغداد فاشترى نُعَيْمَ هذه من مولاتها ورحَل الى بغداد، فعَظُم أسَفُ عُكَاشة وحزنُه عليها وٱستُهيم بها طولَ عمره، فٱستحالت صورتُه ١٥ وطبعُه وخُلُقُه الى أن فرّق الدهر بيننا، فكان أكثرَ وَكْدِه[5] وشُغْله أن يقولَ فيها الشعر وينوحَ به عليها ويبكيَ؛ قال حُمَيد بن سعيد فأنشدنى أبى له فى ذلك :

(١) السماوة : السماء وهى كل ما علاك فأظلك . (٢) فى أكثر النسخ : « نقشت » وفى بعضها : « نفشت » وظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه . (٣) المناصف : جمع منصف (بكسر الميم وقد تفتح، والأنثى منصفة) وهو الخادم . (٤) فى حـ : «حف» بالحاء المهملة . ٢٠
(٥) الوكد : الهم والقصد .

أَلَا ليتَ شِعْرِى هل يعودنّ ما مَضَى * وهل راجعٌ ما مات من صِلة الحَبْلِ
وهل أجلسنْ فى مثل مجلسنا الذى * نَعِمْنا به يومَ السعادة بالوصلِ
عشيةَ صبّتْ لذةُ الوصلِ طِيبَها * علينا وأفنانُ الجنانِ جَنَى البَذْلِ
وقد دار ساقينا بكأسٍ رَوِيّةٍ * تُرَحِّلُ أحزانَ الكئيبِ مع العقلِ
٥ وشجَّ شَمُولًا بالمِزاج فطيَّرت * كألسنة الحيّات خافتْ من القتلِ
فبِتْنا وعينُ الكأسِ سحٌّ دموعُها * لِكلّ فتًى يهتزّ للمجد كالنَّصْلِ
وقَيْنَتُنا كالظبي تسمَح بالهوى * وبَثٍّ تَبَاريحِ الفؤادِ على رِسْلِ (١)
اذا ما حكَتْ بالعُودِ رَجْعَ لسانها * رأيتَ لسانَ العودِ من كفِّها يُمْلِي
فلم أرَ كاللّذّات أمطرتِ الهَوَى * ولا مثلَ يومى ذاك صادفَه مثلى

١٠ ومما قاله فيها :

أنُعَيْمُ حبُّكِ سَلَّنِى وبَلَانِى * والى الأمْرِ من الأمور دعانى
أنُعَيْمُ لو تجِدِينَ وَجْدِى والذى * أَلْقَى بَكَيتِ من الذى أبكانى
أنعيم سيّدتى عليك تقطّعتْ * نفسى من الحسَرات والأحزانِ
أنعيم قد رَحِم الهوى قلبى وقد * بكتِ الثيابُ أسًى على جُثْمانى
١٥ أنعيم وٱنحدرتْ مدامعُ مقلتى * حتّى رَحِمتُ لرحمتى إخوانى
أنعيم مَثَّلك الهُيَامُ لمقلتى * فكأنّنى ألقاكِ كلَّ مكانِ
أنعيم نظرةُ سحرِ عينك بالهوى * معروفةٌ بالقتلِ فى إنسانِ
أنعيمُ (٢) أشفِى أو دَعِى مَنْ داؤه * ودواؤه بيديك مُقترنانِ
هذا وكم من مجلس لى مُؤْنِقٍ * بين النعيم وبين عيش دانى
٢٠ نازعتُه أردانَه فلَبِستُها * مع ظَبْيةٍ فى عيشنا الفَيْنانِ

---

(١) الرسل (بالكسر) : التؤدة والرفق . (٢) التنوين هنا لضرورة الشعر .

تُنْسِى الحليمَ من الرجال مَعَادَه * بين الغِناء وعُودها الحَنّان
حتى يعودَ كأنّ حَبَّةَ قلبه * مشدودةٌ بمَثالِث[1] ومَثانِى
ظَلَّت تُغَنِّينى وتَعْطِفُ كفَّها * بالعُود بين الرَّاح والرَّيْحان
فسمعتُ ما أبكى وأضْحَكَ سامعًا * وسكِرتُ من طَرَبٍ ومن أشجان
ومَشَيتُ فى لُجَج الهوَى مُتَبختِرًا * ومشى إلىّ اللهوُ فى الألوان
فعلمتُ أنْ قد عاد قلبى عائدٌ * من بين عُودٍ مُطرِبٍ وبَنَان

وممـا قاله أيضا فيها :

نُعَيمُ هل بَكَيتِ كما بَكَيتُ * وهل بعدى وَفَيت كما وَفَيتُ
ألَا ياليت شِعرى كيف بَعدِى اصـ * طبارُكِ[2] إذ تأَيت وإذ نأيتُ
فكم من عَبْرةٍ ذَرَفتْ فلمّا * خَشِيتُ عيونَ أهلى واستحَيتُ
نَهضتُ بها مُكاتَمةً فلمّا * خلوتُ ذَرَفتُها حتّى آشتفيتُ
وقلتُ لصُحْبتى لمّا رَمَانِى * هواكِ بدائه حتى آنطويتُ
أرانى من هموم النفسِ مَيْتًا * ولم أرَ فى نُعَيمٍ ما نَوَيتُ
فليتَ الموتَ عَجّل قبضَ رُوحى * جِهارًا فاسترحتُ وأين ليتُ

وقال أيضا فى فراقه إيّاها :

أنُعَيمُ فى قلبى عليك شَرَارُ * وعلى الفؤاد من الصَّبابة نارُ
وعلى الجفون غِشاوةٌ وعلى الهوَى * داعٍ دعَتْه لِحَيْنِىَ الأقدارُ
بِمُضِلّةٍ لُبَّ الحليم اذا رَمتْ * بالمقلتين كأنها سَحّارُ
طالبتُها حَوْلَيْنِ لا لَيْلِى بها * ليلٌ ولا هذا النهارُ نهارُ

---

(١) المثالث : جمع مَثْلَث وهو ما كان على ثلاث قوى من الأوتار، وقيل هو الثالث منها، والمثانى : جمع مَثْنَى وهو مابعد الأول من أوتار العود. (٢) فى ب، سـ : «كيف بعدى وصبرك...».

حتى اذا ظَفِرَتْ يداىَ بكاعِبٍ * كالشمس تَقْصُر دونها الأبصارُ

وثَلِجتُ صدرًا بالفتاة وصارتا * كالنفسِ نفسانًا وقرّ قرارُ

بَلَغ الشقاءُ أشدَّ ما يَستطيعُهُ * فينا وفَرّق بيننا المِقْدارُ

ومما يُغَنَّى فيه من شعر عُكّاشة الذى قاله فى هذه الجارية :

٥

صـــوت

لَهْفِى على الزمن الذى * وَلّى ببهجته القصيرِ

قد كان يُؤْنِقنى الهَوَى * ويُقِرّ عينى بالسرورِ

إذ نحن خُلّانُ الهوَى * رَيْحانُنا عَبِقُ العبيرِ

وغناؤنا وصفُ الهَوَى * نلتذّ بالحبّ اليسيرِ

١٠ الغناء فى هذه الأبيات لابن صغير العين من كتاب إبراهيم ولم يذكر طريقته . وفيه لأبى العُبَيْس بن حَمْدون خفيفُ رمل . وتمام هذه الأبيات :

وجهُ التواصُلِ بيننا * فى الحسن كالقمر المنيرِ

إيماؤنا يَحكى الكلا * مَ وسِرُّنا فَطَنُ المشيرِ

وحديثُنا بحواجبٍ * نطقتْ بألسنة الضّميرِ

١٥ بل رُسْلنا الكُتُبُ التى * تَجرى بخافيةِ الصُّدورِ

أنشد المهدىّ قوله فى الخمر فأراد حدّه

حدّثنى الحسن بن عُلَيل قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثنا أبو مُسْلِم عن المدائنىّ قال :

أنشد عُكّاشةُ بن عبدِ الصّمدِ المهدىَّ قولَه فى الخمر :

حمراء مثل دم الغزال وتارةً * عند المِزاج تَخالها زِرْيابا (١)

٢٠ (١) الرواية فيما سبق ص ٢٦٠ : « بعد » .

٨٠/٣

فقال له المهدىّ : لقد أحسنتَ فى وصفها إحسانَ مَن قد شربها ، ولقد استحققتَ بذلك الحدَّ، فقال : أيؤمِّننى أميرُ المؤمنين حتّى أتكلّمَ بحجّتى ؟ قال : قد أمّنتُك، قال: وما يُدريك يا أمير المؤمنين أنّى أحسنت وأجدت صفتَها إن كنتَ لا تعرفها ؟ فقال له المهدىّ : أُعزُبْ قبّحك الله .

وقع له مثل ذلك مع الهادى

٥ قال الحسن وأخبرنى بهذا الخبر أحمد بن سعيد الدمشقىّ[1] قال حدّثنا الزبير بن بكّار أنّ عكّاشة أنشد موسى الهادىَ هذا الشعرَ ثم أنشده قولَه :

كأنّ فُضولَ الكأس من زَبَداتها[2] * خَلاخِلُ شُدّت بالجُمان الى حِجْلِ[3]

فقال له موسى : والله لأجلدنّك حدّ الخمر ، قال : ولم يا أمير المؤمنين ! إنّما تقول ولا نفعل، فقال: كذبتَ، قد وصفتَها صفة عالمٍ بها، قال: فاجعل لى الأمان حتّى أتكلّم ١٠ بحُجّتى، قال : تكلّم وأنت آمنٌ ، قال : أجَدتُ وصفَها أم لم أُجِدْ ؟ قال : بلى قد أجدتَ، قال : وما يُدريك أنى أجدتُ إن كنتَ لا تعرفها ! إن كنتُ وصفتُها بطبعى دون امتحانى فقد شركتَنى فى ذلك بطبعك ، وإن كان وصفُها لا يُعلَم إلا بالتجربة فقد شركتَنى أيضا فيها ؛ فضحك موسى وقال له : قد نجوتَ بحيلتك منّى، قاتلك الله فما أدهاك! .

---

١٥ (١) كذا فى ء ، م ، أ وهو الموافق لما تقدّم فى ص ٣٠٥ ج ١ أغانى من هذه الطبعة، وفى باقى الأصول : « سعد » .

(٢) الزبدات : جمع زبدة وهى الطائفة من الزبد الذى هو طفاوة الماء والجرة واللعاب ونحوها .

(٣) الجمان : اللؤلؤ أو حب من فضة يعمل على شكل اللؤلؤ ، والحجل (بالفتح والكسر) : الخلخال .

ما غنى فيه من شعره

ومما وجدتُ فيه غناءً من شعر عُكّاشة قولُه :

وجاءوا إليه بالتعاويذ[1] والرُّقَى * وصَبّوا عليه الماء من شدّة النُّكْس[2]

وقالوا به من أعين الجنّ نَظرةٌ * ولو صدَقوا قالوا به أعينُ الإنسِ

الغناء لعَريبَ . ومنها :

٥

طَرفى يذوب وماءُ طَرفِك جامدُ * وعلىَّ من سِيمَا هواكِ شواهدُ

هذا هواكِ قسَمته بين الورى * ومنحتِنى أرَقًا وطَرفُك راقدُ

فعلىَّ منه اليومَ تسعةُ أسهمٍ * وعلى جميع النّاس سهمٌ واحدُ

الغناء لجَحْظة . ومنها :

غادِ[3] الهوى بالكأس بِرًّا * وأطِعْ إمارةَ من تَبَدَّى[4]

١٠

ومنها :

كما آشتهتْ خُلقتْ حتّى اذا آعتدلتْ * تمّت قَوامًا فلا طولٌ ولا قِصَرُ

ومنها :

وزَعفرانيّة فى اللّون تحسَبُها * اذا تأمّلتَها فى جِسم كافورِ

تخال أنّ سَقيط الطَّلّ بينَهما * دمعٌ تحيّر فى أجفان مَهْجورِ

١٥

(١) التعاويذ : جمع تعويذة وهو ما يرقى به من فزع أو جنون ونحوه، ويقال على ما يكتب ويعلق على الانسان لحفظ من العين ونحوها من الآفات فيما يزعمون، وتسمى المعاذات، وقد ورد فى الحديث النهى عن تعليقها . (٢) النكس : العود فى المرض، يقال : نكس المريض اذا عاودته العلة بعد النقه، ويقال : تعسا له ونكسا بضم النون، وقد تفتح ازدواجا . (٣) كذا فى أ، م، ء، وهو فعل أمر من « غادى » بمعنى باكر . وفى باقى الأصول « عاد » بالعين المهملة .

٢٠

(٤) كذا بالأصول، ولعلها « تندّى » بمعنى تفضّل وتسخّى، يقال : « هو يتندى على إخوانه » أى يتفضل ويجود عليهم

أخبار عبد الرحيم الدفّاف ونسبه

نسبه والخلاف فى اسم أبيه

عبد الرّحيم بن الفَضْل الكُوفىّ، ويُكْنَى أبا القاسم، وقيل: هو عبد الرحيم ابن سعد، وقيل: عبد الرحيم بن الهَيْثَم بن سعد، مولًى لآل الأشعث بن قَيْس، وقيل: بل هو مولًى خُزَاعة.

سمعه حماد الراوية يغنى

ذكر أبو أَيُّوب المدينىّ أنّ حمّادا الراوية حدّثه قال: رأيتُ عبدَ الرَّحيم الدفّاف أيّامَ هارون الرشيد[1] بالرَّقّة وقد ظَهَرْتُ[2]، فحضَرنى وسمِعتُه يغنّى يومئذ صوتا سئل عنه فذكر أنّه من صَنْعته، وهو:

قَديتُكِ لو تَدرِين كيف أُحبّكم * وكيف اذا ما غِبتُ عنكِ أقولُ

كان منقطعا الى علىّ بن المهدى

وكان عبد الرحيم منقطعا الى علىّ بن المهدىّ المعروف بأمّه رَيْطَة بنت أبى العبّاس.

غنى فى شعر عرّض فيه بالرشيد بخلافه

فأخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيدَ المبرّد قال حدّثنى عبد الصّمد بن المُعذَّل قال:

غنّت جاريةٌ يوما بحضرة الرشيد:

قُـل لعلىّ أيا فتى العـربِ * وخيرَ نامٍ وخيرَ مُكتسِبِ

أعلاك جَـدّاك ياعلىّ اذا * قصّرجَدٌّ عن ذروة الحسبِ

---

(١) كذا فى جميع الأصول، والمعروف أن حمادا الراوية لم يبق الى أيام هارون الرشيد، فان حمادا توفى فى خلافة المنصور سنة ١٥٥ هـ. وقيل توفى فى خلافة المهدى التى تنتهى بسنة ١٦٩ هـ، وعلى كلتا الروايتين تكون وفاة حماد قبل خلافة الرشيد التى تبتدئ بسنة ١٧٠ هـ.

(٢) يشير حماد بقوله: «وقد ظهرت» الى أنه كان مطّرحا مجفوّا حتى اختفى فى أيام العباسيين بسبب تقدمه وإيثاره عند ملوك بنى أمية ومنادمته لهم كما جاء فى ترجمته فى الجزء الخامس من الأغانى طبعة بولاق.

فأمر بضرب عنقها، فقالت : يا سيّدى ماذنبى! هذا صوت عُلّمتُه، والله ما أدرى من قاله ولا فيمن قيل؛ فعلم أنّها صدقت، فقال لها : عمّن أخذته؟ فقالت : عن عبـد الرحيم الدّفّاف، فأمر بإحضاره فأُحضر، فقال له : ياعاضّ بَظْرِ أمه ، أتغنّى فى شعرٍ تُفاخِر فيه بَينى وبين أخى! جرّدوه، فجُرّدوه، ودعا له بالسياط، فضُرب بين ٥ يديه خمسَمائة سوط .

غنى لعلىّ بن المهدى فأجازه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا آبن مَهْرُويَهْ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد عن القَطِرانىّ عن محمد بن جَبْر قال :

قال لى عبد الرحيم بن القاسم الدفّاف : دخلتُ على علىّ بن رَيطة يوما وستارتُه منصوبةٌ، فغنّت جاريتُه :

١٠ أُناسٌ أمِنّاهم فنَمّوا حديثَنا * فلما كتَمنا السرَّ عنهم تقوّلوا

فقلت : أرأيتَ إن غنّيتُك هذا الصوتَ وفى تمامه زيادةُ بيتٍ واحدٍ، أىّ شىء لى عليك؟ قال : خِلعتى التى علىّ، فغنّيته :

فلم يحفَظوا الوُدّ الذى كان بيننا * ولا حينَ همّوا بالقَطيعة أجمَلوا (١)

قال : فنزع خِلعتَه فخلَعها علىّ، وأقمتُ عنـده بقيّةَ يومى على عربدةٍ كانت فيـه .

١٥ الشعر لعباس بن الأحنف ، والغناء لعبد الرحيم الدّفّاف هَزَجٌ بالبنصر . وهذا أخَذه العبّاس من قول أبى دَهْبَل :

صـــــوت

أمِنّـا أُناسًا كنتِ تأتَمِنينهــم * فزادوا علينا فى الحديث وأوْهَمُوا

وقالوا لهـا مالم نقل ثمّ أكثروا * علىّ وباحوا بالذى كنتُ أكتُم

٢٠ (١) فى جميع الأصول «أجمل» بدون ضمير الجماعة والصواب ما أثبتناه .

وفى هـذين البيتين أغانٍ قديمةٌ : منها لحنٌ لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسبّابة فى مجرى الوُسطَى عن إسحاق . ولابن زرزور الطائفىّ[1] خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر والوُسطَى لمتيَّم وعَرِيبَ .

صـــوت

من المـائة المختـارة

بَكَرَتْ سُمَيّـةُ غُدْوةً فتمتَّعِ * وغدتْ غُدُوَّ مُفَارِقٍ لم يَرْبَعِ

وتَعرّضتْ لكَ فاستبتكَ بواضحٍ * صَلْتٍ كمُنتَصِّ الغزال الأتلعِ

عَروضُه من الكامل . والشعر للحادرة الثَّعْلَبىّ ، والغناء فى اللحن المختار لسَعيد ابن مِسْجَح ، وإيقاعُه من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتر فى مجرى البِنْصر عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانةَ أنه لابن مُحْرِز . وفيهما للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن عمرو . وفيهما خفيفُ رملٍ بالوُسْطَى لابن سُرَيج عن حبَش .

ومما يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة :

أسُمَىَّ ما يُدرِيكِ كم من فِتيـةٍ * بادرتُ[2] لَذَّتَهم بأدكَنَ مُتْرَعِ

بَكَروا علىَّ بسُحْرة فصَبَحتُهم * من عاتقٍ كدَمِ الذبيح مُشَعْشَعِ

غنّاه مالك ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمالك خفيفُ ثقيلٍ آخر أيضا . وفيهما لعَلُّويَهْ ثقيلٌ أوّلُ صحيحٌ من جيِّد صَنْعته . قوله : فتمتّعى يخاطب نفسه ، أى تمتّعى منها قبل فِراقها . ولم يربَع : لم يُقِم . والواضح الصَّلْت :

---

(١) هكذا ورد فى جميع الأصول ، وقد تقدّم فى ص ٢٥٩ ج ١ أغانى من هذه الطبعة اختلاف النسخ فيه وورود فى بعضها «زرزر» بغير واو . (٢) بادرت : عاجلت . وفى ب ، س ، حـ : «باكرت» .

يعنى عُنُقَها ، وأصل الصلت : الماضى ، ومنه الناقة المِصْلاتُ : الماضية ، وشَدّ عليه بالسيف صَلْتاً أى خارجًا من غِمْده . والصلت فى هذا الشعر : الطويل الذى لا قِصَرَفيه . والمنتصّ : المنتصب ، يقال : آنتصّ فلان أى آنتصب ، ومِنَصّة العَرُوس مأخوذةٌ من هذا ، ومنه نَصّ الحديثَ : رَفَعه الى صاحبه . وآستبتْك : غلبتْك على عقلك . والواضح : الخالص الأبيض . وأدكن مُتْرَع يعنى الزّقّ . والمشعشَع : المُرَقْرَق بالماء .

أخبار الحادرة ونسبه

نسب الحادرة وسبب لقبه بذلك

الحادرة لَقَبٌ غَلَب عليه، والحُوَيْدِرة أيضا ؛ واسمه قُطْبة بن أَوْس بن مِحْصَن ابن جَرْوَل بن حَبِيب بن عبد العُزَّى بن خُزَيمة بن رِزَام بن مازن بن ثَعْلبة بن سعد[1] ابن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان[2] بن مُضَر بن نِزَار، شاعرٌ جاهلىّ مُقِلٌّ. أخبرنى بنسبه هذا محمد بن العبّاس اليَزِيدىّ عن عبدالرحمن بن عبدالله ابن قُرَيب آبن أخى الأصمعىّ عن عمّه. قال : وإنما سُمِّى الحادرةَ بقول زَبّان[3] بن سَيّار الفَزَارىّ له :

كأنكَ حادرةُ المَنْكِبَيْـ[4] * ـنِ رَصْعاءُ تُنْقِضُ فى حائرِ
عجوزٌ ضَفَادِعَ محجوبةٌ[5] * يَطِيفُ بها وِلْدةُ الحاضرِ[6]

قال : والحادرة : الضخم.

وذكر أبو عمرو الشَّيْبانىّ أن الحادرةَ خرج هو وزَبّان الفَزَارىّ يصطادانِ فاصطادا جميعًا، فخرج زَبّان يشتوى ويأكلُ فى الليل وحدَه، فقال الحادرة :

تركتَ رفيقَ رَحْلِكَ قـد تراه * وأنت لِفِيكَ فى الظَّلْماء هادِى

(١) يتصل فى سعد هـذا نسب الحادرة بنسب آبن ميادة الذى وردت ترجمته فى الجزء الثانى من هذه الطبعة صفحة ٢٦١ ، وبمراجعة النسبين تجد أن بعض الأسماء سقط من نسب الحادرة هنا.
(٢) فى م : « قيس عيلان » بسقوط كلمة « آبن » وكلاهما وارد.
(٣) ذكر صاحب شرح القاموس فى مادة «زبب» أنه قد يكون مشتقا من «زبن» فيصرف أو من «زبب» فيمنع من الصرف. وكذلك ذكر ابن دريد فى كتاب الاشتقاق (ص ١٢٦ طبع أوروبا).
(٤) حادرة المنكبين : ممتلئتهما. والرصعاء : الرسحاء وهى خفيفة لحم العجيزة والفخذين. وتنقض : تنق، يقال : أنقضت الضفدع تنقض إنقاضا اذا صوّتت، (انظر شرح ابن الأنبارى للفضليات ص ٥٠). والحائر : مجتمع الماء.
(٥) كذا فى الأصول، وفى المفضليات ص ٤٩ طبع بيروت «قد حدرت».
(٦) الحاضر : المقيم على الماء، ويقال : حى حاضر اذا كانوا نازلين على ماء عِدّ.

فقدها عليه زبّان، ثم أتيا غديرًا فتجرّد الحادرة، وكان ضخم المنكبين أرسح، فقال زبّان :

كأنك حادرةُ المنكبيْـ * ـنِ رصعاء تُنْقِضُ في حائرِ

فقال له الحادرة :

لحا اللهُ زبّانَ من شاعرٍ * أخي خَنْعَةٍ(١) فاجرٍ غادرِ ٥

كأنك فُقّاحةٌ(٢) نَوّرتْ * مع الصبح في طَرَفِ الحائرِ

فغلب هذا اللقبُ على الحادرة .

كان حسان ابن ثابت معجبا بقصيدته * بكرت سمية *

حدّثني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدّثني عمّي قال سمعت شيخًا من بني كِنانة من أهل المدينة يقول :

١٠ كان حسّان بن ثابت اذا قيل له : تُنُوشِدَتِ الأشعارُ في موضع كذا وكذا يقول : فهل أُنشِدتْ كلمةُ الحُوَيْدرة :

* بَكَرَتْ سُمَيّةُ غُدْوةً فَتَمَتّعِ *

قال أبو عُبَيْدة : وهي من مختار الشعر، أَصْمَعِيّةٌ مُفَضَّلِيّةٌ .

سبب الهجاء بينه وبين زبان

نسخت من كتاب ابن الأعرابيّ قال حدّثني المفضّل قال :

١٥ كان الحادرةُ جارًا لرجل من بني سُلَيم، فأغار زَبّان بن سيّار على إبله فأخذها فدفعها الى رجلٍ من أهل وادي القُرَى يهوديّ، وكان له عليه دَيْنٌ فأعطاه إيّاها بدينه، وكان أهلُ وادي القرى حُلَفاءَ لبني ثَعْلَبة؛ فلما سمع اليهوديّ بذلك قال : سيجعل الحادرةُ هذا سببًا لنقض العهد الذي بيننا و بينه ، ونحن نقرأ الكتاب

٨٣/٣

(١) الخنعة : الريبة والفَجْرة . (٢) الفقاحة : واحدة الفقاح، وفقاح كل نبت زهره حين يتفتح على أيّ لون كان .

٢٠

ولا ينبغى لنا أن نَغْـدُرَ ، فردّ الإبلَ على الحادرة فردّها على جاره، ورجع الى زَبّان فقال له : أعطِنى مالى الذى عليـك ، فأعطاه إياه زَبّان، ووقع الهجاء بينه وبين الحادرة؛ فقال الحادرة فيه :

لِعَمْرةَ بين الأخرمين[1] طلولُ * تَقَادَمَ منها مُشْهِرٌ[2] ومُحِيـلُ
وَقَفتُ بها حتى تعالَى لِىَ الضُّحَى * لأُخْبَرَ عنهـا إنّنى لَسَئُولُ

يقول فيها :

فإن تَحْسَبوها بالجِحـابِ ذليلةً * فما أنا يومًا إن رَكبتُ ذليـلُ
سأَمنَعُها فى عُصْبةٍ تَغْلبيَّـةٍ * لهم عَدَدٌ وافٍ وعِزٌّ أصيـلُ[3]
فإنْ شِئتمُ عُدْنا صديقًا وعُدْتمُ * وإمّا أبَيتم فالمُقَـامُ زَحُولُ[4]

قال : ولَجَّ الهجاء بينهما بعد ذلك فكان هذا سببَه .

غـزوة بنى عامر وما قاله الحادرة فيها من الشعر

ونسخت من كتاب عمرو بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ يذكر عن أبيه :

أن جيشا لبنى عامر بن صَعْصَعة أقبل وعليهم ثلاثةُ رؤساء : ذُؤابُ بن غالب من عُقَيل ثم من بنى كَعْب بن رَبيعـة، وعبدُ الله بن عمرو من بنى الصَّمُوت، وعُقَيلُ بن مالك من بنى نُمَـيرٍ[5]، وهم يريدون غَزْوَ بنى تَغْلبةَ بن سَعْد رهطِ الحادرة

(١) الأخرمان : مثنى أخرم وهو اسم لعدّة مواضع : منها جبل فى ديار بنى سليم وجبل قبل تُوز بأربعة أميال من أرض نجد وجبل فى طرف الدهناء، وهو يأتى فى الشعر بالإفراد و بالتثنية ، قال المسيّب بن عَلَس :

ترعى بأرض الأخرمين له * فيها مـوارد ماؤها غدق

(٢) أى مرت عليـه شهور وأحوال فغيرته . وفى ب ، سـ : «مسهر» بالسـين المهملة وهو تحريف . (٣) وقع فى هذا البيت الاعتماد وهو عدم حذف الخامس من فعولن التى قبل القافية . انظر الحاشية رقم ٢ ص ٦٧ من هذا الجزء . (٤) زحول : بعيد . (٥) كذا فى نسخة الشيخ الشنقيطى طبع بولاق مصححة بقلمه ، ويؤيده ما يأتى فى سـياق الخبر من نسبة عُقيل الى بنى نُمير ولأن الظاهر من الخبر أن الرؤساء الثلاثة من بنى عامر بن صعصعة ، ونمير من بنى عامر بن صعصعة ككعب ابن ربيعة ، وعامر بن صعصعة من قبائل قيس ، ولا صلة لها بتيم . وفى جميع الأصول : «تيم» .

ومن معهم من مُحَارِب، وكانوا يومئذ معهم، فَنَذِرَتْ(١) بهم بنو ثعلبة، فركب قيس بن مالك المُحَارِبيُّ الخَصَفيّ وجُوَيَّة بن نَصْر الجَرْميّ أحد بني ثعلبة للنظر الى القوم، فلما دَنَوا منهم عرف عُقَيل بنُ مالك النميريّ(٢) جُوَيَّةَ بن نَصْر الجرميّ، فناداه: إلَيَّ يا جُوَيَّة بنَ نصر فإنّ لي خَبَرًا أُسِرّه اليك؛ فقال: إليكَ أقبلتُ لكن لغير ما ظننتَ، فقال له: ما فعلتْ قَلُوصُ؟ - يعني آمرأتَه -؛ فقال: هي في الظُّعُن أَسَرّ ما كانت قطُّ وأجمله؛ ثم حَمَل كلّ واحدٍ منهما على صاحبه وآختلفا طَعْنتين(٣) فطَعَنه جُوَيَّةُ طعنةً دقّت صُلْبَه، وآنطلق قيس بن مالك المُحَارِبيّ إلى بني ثعلبة فأنذرهم، فاقتتلوا قتالًا شديدا، فهُزِمَتْ بنو نُمَيْر وسائرُ بني عامر ومات عُقَيلُ النُّمَيْريّ وقُتِل ذؤابُ بن غالب وعبدُ الله بن عمرو أحدُ بني الصَّمُوت؛ فقال الحادرة في ذلك:

كأنّ عُقَيلًا في الضُّحَى حلّقتْ به * وطارتْ بِهِ في الجوّ عنقاءُ مُغرِبُ(٤)

ويروى: "وطارت به في اللّوح"، وهو الهواء

وذي كَرَمٍ يدعوكُمُ آلَ عامرٍ * لدى مَعْرَكٍ سِرْبالُه يتصبّبُ

رأت عامرٌ وقْعَ السيوف فأسلموا * أخاهم ولم يعطف من الخيل مرهبُ

وسلَّمَ لمّا أن رأى الموتَ عامرٌ * له مركبٌ فوق الأسنّة أحْدبُ

(١) نذر بالشيء (كفرح): علمه. (٢) في ب، س، م: «التمري» وهو تحريف.

(٣) أي اختلفت طعنتاهما فكانت إحدى الطعنتين في إثر الأخرى. (٤) يقال: عنقاء مغرب على النعت وعنقاء مغرب على الإضافة. والعنقاء: طائر معروف الاسم مجهول الجسم؛ والعرب اذا أخبرت عن هلاك شيء قالت: حلّقت به في الجوّ عنقاء مغرب.

اذا ما أظلّته عوالى رماحنا * تدلّى به نَهْدُ[1] الجُزارة مِنْهَبُ[2]

على صَلَوَيْه[3] مُرْهَفاتٌ كأنها * قوادمُ نَسرٍ بُزِّعَتهنّ مَنكبُ

قال : وفى هذه الوقعة يقول خِداشُ بن زُهَير :

أيا أخَوَيْنا من أبينا وأُمِّنا * إليكم إليكم لا سبيلَ الى جَسْرِ

جَسْر: قبيلة من مُحارِب . قال: وهذا اليومُ يُعرَف بيوم شُوَاحِطٍ، قبيلة[4] من محارب. ٥

٨٤/٣

يوم الكفافة وما قاله الحادرة فيه من الشعر

وقال أبو عمرو : خرج خارجةُ بن حِصْن فى جمع من بنى فَزَارة ومن بنى ثَعْلَبة ابن سعد وهو يريد غزو بنى عَبْس بن بَغيض . فلقُوا جيشًا لبنى تَميم على ماءٍ يقال له "الكُفَافة" وتميم فى جمع سعد والرِّباب و بنى عمرو، فقاتلوهم قتالا شديدا وهُزِمَتْ تميم وأَجْفلت، وهذا اليومُ يقال له : "يوم كُفَافة"، فقال الحادرة فى ذلك :

ونحن مَنعْنا من تميم وقد طفتْ * مَراعى المَلاَ حتى تضمَّنها نجدُ ١٠

كَمعْطِفنا يومَ الكُفَافة[5] خَيْلَنا * لتَتْبَع أُخْرى الجيش إذ بلغ الجِدُّ

---

(١) نهد الجزارة : ضخمها ، والجزارة فى الأصل : أطراف الجزور وهى اليدان والرجلان والرأس ؛ والمراد هنا أطراف فرس ، واذا قالوا : "فرس ضخم الجزارة" فإنما يراد غلظ اليدين والرجلين وكثرة عصبها ، ولا يدخل الرأس فى هذا لأن عظم الرأس هجنة فى الخيل . (٢) المنهب : الفرس الفائق فى العدو . (٣) الصلا : وسط الظهر من الناس ومن كل ذى أربع وما انحدر من الوركين ، ١٥ وقيل : الفرجة بين الجاعرة والذنب ، وقيل : ما عن يمين الذنب وشماله ، وهما "صلوان" والجمع : صلوات وأصلاء . (٤) هذه الكلمة (قبيلة من محارب) وردت هكذا فى جميع الأصول ، والظاهر أنها من زيادات النساخ لأن شواحطا جبل مشهور بين مكة والمدينة وهو الجبل الذى أغارت به سرية من بنى عامر على إبل لبنى محارب (انظر معجم ياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى فى اسم « شواحط ») .
(٥) كفافة (بضم الكاف) : اسم ماء صارت به وقعة بين فزارة و بنى عمرو بن تميم كما تقدّم ، وقد ٢٠ استشهد عليه ياقوت بهذا البيت هكذا :

كحبسنا يوم الكفافة خيلنا * لنُورِدَ أخرى الخيل إذ كُرِهَ الوِرْدُ

على حين شالتْ[1] وٱستخفَّتْ رجالَهم * جلائبُ[2] أحياءٍ يسيلُ بها الشدُّ

اذا هى شَكَّ السَّمْهَرِىُّ نحورَها * وخامتْ[3] عن الأبطال أتعبها القِدُّ[4]

تكُرُّ سِرَاعا فى المَضِيق عليهمُ * وتُثْنَى بِطاءً ما تَخُبُّ ولا تعدو

فأثْنُوا علينا لا أبَا لأبيكُمُ * بإحسانِنا إن الثناءَ هو الخُلْدُ

---

(١) شالت : رفعت ذنبها . (٢) كذا فى ١ ، م ، ء . وفى سائر النسخ : «حلائب» بالحاء ، وهو تحريف . (٣) خامت : نكصت وجبنت . (٤) القدّ : سير يقدّ من جلد يقيد به .

٥

أخبار ابن مِسْجَح ونسبه

ولاؤه، وهو مغن أسود متقن نقل غناء الفرس

سعيد بن مِسْجَح أبو عثمان مولى بنى جُمَح، وقيل : إنه مولى بنى نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطّلب . مكىٌّ أسودُ، مُغنٍّ متقدّمٌ من فحول المغنّين وأكابرهم، وأوّلُ من صنع الغِناءَ منهم، ونقل غِناءَ الفُرس الى غِناء العرب، ثم رحَل الى الشأم وأخَذ ألحانَ الروم والبَرْبَطيّة(١) والأسطوخوسيّة، وآنقلب الى فارس فأخذ بها غناءً كثيرا وتعلّم الضربَ، ثم قَدِم الى الحجاز وقد أخذ محاسنَ تلك النَّغَم، وألقى منها ما آستقبحه من النَّبَرات والنغَم التى هى موجودةٌ فى نَغَم غناء الفُرْس والروم خارجةً عن غناء العرب، وغنّى على هذا المذهب، فكان أوّلَ من أثبت ذلك ولحّنه وتبعه الناس بعدُ .

علّم ابن سريج والغريض الغناء

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان، والحسين بن يحيى قالا : حدّثنا حمّاد ابن إسحاق عن أبيه عن هِشام بن المُرِّيّة : أنّ أوّلَ من غنّى هذا الغناء العربىّ بمكة ابنُ مِسْجَح مولى بنى مَخْزُوم، وذلك أنه مرّ بالفُرس وهم يَبْنون المسجدَ الحرام،

(١) كذا فى الأصول . وقد رأى الأب أنستاس مارى الكرملى أن تكون هذه الكلمة محرفة عن « البزنطية » (بضم الباء الموحدة وفتح الزاى يليها نون ساكنة بعدها طاء مكسورة ثم ياء مثناة مشددة وفى الآخر هاء) : نسبة الى بزنطية وهى مدينة القسطنطينية قبل أن تبنى ؛ ويراد بالبزنطية قوم من الروم الشرقيين عرفوا بهذا الاسم منذ عهد قسطنطين الكبير الى سقوط القسطنطينية بيد الترك .

ثم قال : وأما الأسطوخوسية فيراد بهم قوم آخرون من أسطوخوس أو أسطوخادس، وهى جزيرة فى جنوبىّ فرنسا كان أهلها معروفين بالقصف والغناء والأنس، كما هم عليه الى هذا العهد ؛ وكان سكانها خليطا من الروم واليونانيين والقلطيّين وبقايا الفلسطينيين . (انظر المجلد الثانى من مجلة الزهراء ص ٣٥٨ — ٣٦١) .

فسمع غناءهم بالفارسيّة فقلبه فى شعرٍ عربىّ، وهو الذى علَّم آبنَ سريج والغَرِيضَ، وكان آبن مِسْجَح مولّدا أسودَ يُكْنَى بأبى عيسى .

احتراق الكعبة فى عهد آبن الزبير وبناؤه لها

أخبرنى محمد بن عُبَيد الله بن محمد الرازىّ قال حدّثنا أحمد[1] بن الحارث الخرّاز[2] عن المدائنىّ، وذكر إسحاق عن المدائنىّ عن أبى بكر الهُذَلىّ قال :

٥ كان سببُ بناء آبن الزُّبَير الكعبةَ لمّا آحترقت، أنّ أهلَ الشام لمّا حاصروه سمع أصواتا بالليل فوق الجبل فخاف أن يكون أهلُ الشام قد وصلوا اليه، وكانت ليلةً ظلماءَ ذاتَ ريح شديدةٍ صعبةٍ ورعدٍ وبرقٍ، فرفع نارا على رأس رمح لينظرَ الى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها وآستطالت فيها، وجهد الناسُ فى إطفائها فلم يقدروا، وأصبحت الكعبةُ تتهافتُ[3] وماتت آمرأة من قريش، ١٠ فخرج الناسُ كلُّهم فى جنازتها خوفا من أن ينزلَ العذابُ عليهم، وأصبح ابن الزُّبَير ساجدا يدعو ويقول : اللهم إنى لم أتعمّد ما جرى فلا تُهْلِك عبادَك بذنبى وهذه ناصيتى بين يديك، فلمّا تعالى النهارُ أمِنَ وتراجَعَ الناسُ، فقال لهم : اللهَ اللهَ أن ينهدمَ فى بيت أحدكم حجرٌ فيزولَ عن موضعه فيبنيَهُ ويُصلحَه وأتركَ الكعبةَ خرابا، ثم هدمها مبتدئا بيده وتبعه الفَعَلةُ حتى بلغوا الى قواعدها، ودعا ببنّائين من الفُرس والروم فبناها .

٨٥ / ٣

نقل غناء الفرس من بنّائى الكعبة الذين استقدمهم ابن الزبير

١٥ قال إسحاق : وأخبرنى آبن الكلبىّ عن أبى مِسْكِين قال :

كان سَعيد بن مِسْجَح أسودَ مولّدًا يُكْنَى أبا عيسى مولًى لبنى جُمَح، فرأى الفُرْسَ وهم يعملون الكعبةَ لآبن الزُّبير ويتغنّون بالفارسيّة فآشتقّ غناءَه على ذلك .

---

(١) فى جميع الاصول : « محمد » ، وقد تقدّم فى مواضع متعدّدة أنّ الذى يروى عن المدائنىّ هو أحمد بن الحارث الخرّاز وهو صاحبه وراويته . (٢) تقدم فيما كتبناه عن هذا الاسم فى (ص ١٧١ ج ٢ حاشية رقم ٢) أنه الخزاز بزايين معجمتين، اعتمادا على وروده كذلك فى فهرست ابن النديم . ٢٠ وقد ذكره الذهبى فى المشتبه فى أسماء الرجال (ص ٩٨) الخرّاز بالراء المهملة وآخره زاى نسبة الى خرز الجلود ، وكذلك ذكره السمعانى فى الأنساب (ورقة ١٩١ فى الوجه الثانى) وذكر كلاهما أنه راوية المدائنى، وذكره شارح القاموس فى مادة خرز وسماه خطأ أحمد بن خلف . (٣) أى تتساقط حجرا حجرا .

قال إسحاق : وحدّثنى محمد بن سلّام عن شُعَيب بن صَخْر وجَرِير قالا :

كان سعيد بن مِسْجَح أسودَ وهو مولَى بنى جُمَح يُكْنَى أبا عيسى .

كان ولاؤه هو وابن سريج لرجل واحد

قال إسحاق : وحدّثنى المدائنىّ عن صَخْر بن جَعْفر عن أبى قَبِيل بمثل ذلك، وذكر أنه كان يُكْنَى أبا عثمان . قال : وهو مولًى لبنى نَوْفل بن الحارث كان هو وابن سُرَيج لرجلٍ واحدٍ، ولذلك قيل عنه ٱبنُ سُرَيج .

ابن مسجح فى حداثته

قال إسحاق : وحدّثنى الهَيْثَم بن عَدِىّ عن صالح بن حَسّان فذكر مثل ما ذكر أبو قَبِيل من كنيته وولائه، وقال : كان ٱبن مسجح فَطِنا كيِّسا ذكيّا، وكان أصفرَ حسنَ اللون، وكان مولاه مُعْجَبًا به، وكان يقول فى صِغره : لَيكونَنَّ لهذا الغلام شأنٌ، وما منعنى من عتقه إلا حسنُ فِراستى فيه، ولئن عشتُ لأتعرّفَنّ ذلك، وإن مُتُّ فهو حرٌّ، فسمعه مولاه يومًا وهو يتغنّى بشعر ٱبن الرِّقَاع العاملىّ، وهو من الثقيل الأوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى، :

صوت

ألِمَّ على طَلَلٍ عفَا متقادمِ * بين الَّكِيكِ(1) وبين غَيْب الناعِمِ(2)
لولا الحياء وأنّ رأسى قد عثَا(3) * فيه المشيبُ لزرتُ أمّ القاسِمِ

(١) الكيك كأمير و يقال له الكاك، رواه ابن جبلة «الكاك» كغراب، وضبطه الصاغانىّ بالكسر ككتّاب وقال : هو موضع فى ديار بنى عامر، وقال غيره : بحزن بنى يربوع؛ انظر شرح القاموس، وقد ضبطه ياقوت فى معجم البلدان بالكسر ككتّاب ولم يذكر الكيك .

(٢) غيب الناعم : موضع قال عنه ياقوت : إنه ورد فى قول عدىّ بن الرقاع وذكر البيت هكذا :

ألم على طلل عفا متقادم * بين الذؤيب وبين غيب الناعم

(٣) كذا فى لسان العرب فى مادة «عثا» وعثا : أفسد، يقال : عثا فيه المشيب أى أفسد، وفى جميع الاصول «عسا» بالسين المهملة، ولم يظهر له معنى إلا أن يكون بمعنى اشتدّ، من قولهم : عسا النبات عسوّا أى غلظ واشتدّ .

فدعا به مولاه فقال له : يا بُنَيَّ أعِدْ ما سمعتُه منك علىّ، فأعاده فإذا هو أحسنُ مما ابتدأ به، فقال : إن هذا لمن بعض ما كنتُ أقول، ثم قال : أنّى لك هذا؟ قال: سمعتُ هذه الأعاجمَ تتغنّى بالفارسيّة فثقفتُها(١) وقلبتُها فى هذا الشعر، قال له : فأنت حرٌّ لوجه الله ، فلزم مولاه وكثُر أدبُه واتسعَ فى غنائه ومهر بمكّةَ وأُعجِبُوا به لظَرْفِه وحُسْنِ ما سمعوه منه، فدفعَ إليه مولاه عُبيدَ بن سُرَيج، وقال له : يا بُنَيّ علّمه واجتهدْ فيه ؛ وكان ابنُ سُريج أحسنَ الناس صوتا، فتعلّم منه ثم برّزَ عليه حتى لم يُعرَف له نظيرٌ .

غناء نافع الخير عند رجل من قريش

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَيرُ بن بكّار قال حدّثنا أخى هارونُ عن ابن الماجِشُون عن شيخ من أهل المدينة، وأخبرنى محمدُ بنُ خَلَف بن المَرْزُبان والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر ابنُ الكلبىّ عن أبى مِسْكين عن شيخ من أهل المدينة قال :

دخلتُ على رجل من قريش بالمدينة وعنده رجل ساكنُ الطَّرْف نبيلٌ تأخذه العينُ، لا أعرفه، فقال له القرشىّ : أقسمتُ عليك إلّا ما غنّيتَ صوتًا، فحوّل خاتَمه من خِنْصره اليُسْرَى الى بِنْصَره اليُمْنَى، ثم تناول قَدَحا، فغنّاه لحنَ ابنِ سُرَيج فى شعر كعب بن جُعَيل :

اذا امتشطتْ(٢) عَالَوْا لها بوِسادةٍ * ومدَّتْ عَسِيبَ المتن أن يتعفّرا

ثَوَتْ نصفَ شهر تحسَبُ الشهرَ ليلةً * تُنَاغِى(٣) غزالًا ساجِىَ(٤) الطرف أحورَا

تَزَيّنُ حتى تَسلُبَ المرءَ عقلَه * وحتى يَحَارَ الطَّرْفُ فيها ويَسْكَرَا(٥)

(١) ثقف الشىء : فهمه وأخذه . (٢) كذا فى ح ، وفى باقى النسخ : «اذا انتشطت» وهو تحريف . (٣) المناغاة : المغازلة . (٤) ساجى الطرف : فاتره ساكنه ، والأحور : الأبيض الناعم . (٥) يقال : سكرت عينه تسكر (من باب نصر) اذا تحيرت وسكنت عن النظر . وفى الأصول : « ويشكرا » بالشين وهو تحريف .

ثم غنّى فى شعر تَوْبةَ بن الحُمَيِّر :

وغَيَّرنى إن كنت لمّا تَغَيَّرى * هــواجرُ تَكْتَنِيُّهَا وأَسـيرُها
وأَدْماءَ[1] من سِرِّ[2] المَهَارَى كأنها * مَهَاةُ[3] صُوارٍ[4] غيرَ ما مَسّ كُورُها
قطعتُ بهـا أجوازَ[5] كلِّ تَنُوفَةٍ * مَخُوفٍ رَدَاها كلّما آستنَّ[6] مُورُها
تَرَى ضعفاءَ القوم فيهـا كأنهم * دَعَامِيصُ[7] ماءٍ نَشّ[8] عنها غَدِيرُها ٥

قال : فقلت له إنى لَأَرْوِى هذا الشعرَ وما أعرف هذه الأبيات فيه، فقال : هكذا رويتُها عن عبد الله بن جعفر، قال : واذا هو نافعُ الخيرِ مولى عبد الله ابن جعفر .

الغناء فى هذين اللحنين لآبن مِسْجَح ولم أجد لهما طريقةً فى شىء من الكتب التى مرّتْ . وذكر حبشٌ أن فى أبيات كَعْب بن جُعَيل لإبراهيمَ خفيفَ رملٍ ١٠ بالوسطى .

دور معاوية بمكة

حدّثنى جعفرُ بن قُدَامةَ بن زِيَاد الكاتبُ وعمّى وحبيبُ بن نصر المهلّبىّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى عبد الله بن محمد بن موسى الهاشمىّ قال حدّثنى أحمد بن موسى بن حمزة بن عِمَارة بن صَفوانَ الجُمَحىّ عن أبيه قال :

---

(١) الأدماء : من الإبل التى أشرب لونها بياضا مع سواد المقلتين . (٢) السرّ : المحض، ١٥ يقال : « هو فى سر النسب » أى محضه وأفضله؛ والمهارى : جمع مَهْرِيّة وهى إبل منسوبة الى مهرة ابن حَيْدان، وقيل : هى منسوبة الى بلد، وقال الأزهرى : هى نجائب تسبق الخيل . (٣) المهاة : البقرة الوحشية . (٤) الصوار : قطيع البقر . (٥) الأجواز : جمع جوز وهو وسط الشىء ومعظمه، يقال : قطعوا جوز الفلاة وأجواز الفلا، والتنوفة : الفلاة التى لا ماء بها .

(٦) استن : هاج وثار من استن الفرس فى المضمار اذا جرى فى نشاطه على سنن؛ والمور : الغبار تثيره الرياح . ٢٠

(٧) الدعاميص : دود أسود يكون فى الغدران اذا نشّت، أو هو دود له رأسان يرى فى الماء اذا قل .

(٨) نش الغدير : يبس ماؤه ونضب .

أوّلُ مَنْ نقل الغناءَ الفارسيّ من الفارسيّ الى الغناء العربيّ سعيدُ بن مِسْجَح مولى بنى مَخْزُوم. قال : وقد يُختلَفُ فى وَلَائه إلا أن الأغلب عليه ولاءُ بنى مخزوم، وذلك أنّ معاوية بن أبى سفيان لما بنى دُورَه التى يقال لها : «الرُّقُط»[1] — وهى ما بين الدارَين الى الرَّدْم[2] : أوّلها الدارُ البيضاءُ وآخرها دارُ الحمّام، وهى على يسار المُصْعِد من المسجد الى «رَدْمِ عُمَرَ» — حمل لها بنّائين فُرْسًا[3] من العراق فكانوا يبنونها بالجصّ والآجُرّ، وكان سعيدُ بن مِسْجَح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بُنْيانهم، فما آستحسَنَ من ألحانهم أخذه ونقله الى الشعر العربيّ، ثم صاغ على نحو ذلك؛ وهو الذى علّمَ الغريضَ، فكان من قديم غنائه الذى صنعه على تلك الأغانى :

صــــوت

أَسَلَامَ إنّكِ قد مَلَكْتِ فَأَسجِحِى[4] * قد يملِكُ الحُـــرُّ الكريمُ فيُسْجِحُ

مُنّى على عَانٍ أَطَلْتِ عَنَاءَه * فى الغُلِّ عنــدكِ والعُنَـاةُ تُسرَّحُ

إنّى لأنصَحُكُمْ وأعـــلَمُ أنه * سِيَّانِ عندكِ مَنْ يَغُشُّ ويَنصَحُ

وإذا شكوتُ إلى سَلَامةَ حُبَّها * قالتْ أَجِدٌّ منـــكَ ذا أم تَمزَحُ

---

(١) كذا فى جميع الأصول، وقد تعرّض الأزرقىّ فى تاريخ مكة لدور معاوية وذكر أنّ من بينها دارًا تُسمّى «الرقطاء» وسميت بذلك لأنها بُنيتْ بالآجرّ الأحمر والجصّ الأبيض، ومنها «الدار البيضاء» وسمّيت بذلك لأنها بنيت بالجصّ ثم طُليتْ به وكانت كلّها بيضاء، ثم ذكر بقيّة الدور بأسمائها ولم يذكر أنّ هناك دورًا تسمّى الرقط (انظره فى صفحتى ٤٤٩ و ٤٥٠ طبع ليبسك). (٢) يريد به ردم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد ذكر فى تاريخ مكة (ص ٤٥٠) ولم يذكر ياقوت فى معجمه إلا ردم بنى جمح بن عمرو. (٣) كذا فى ح. وفى أ، م : «فحمل» بالفاء وفى سائر النسخ : «فحمل» ولا موقع للفاء فى سياق الكلام. (٤) الإسجاح : حسن العفو، ومنه المثل السائر فى العفو عند المقدرة «ملكت فأسجح» وهو مروىّ عن عائشة قالته لعلى رضى الله عنهما يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كلمها بكلام، فأجابته : «ملكت فأسجح» أى ظفرت فأحسن وقدرت فسهل.

— الشعر للأحوص . والغناء لابن مِسْجَح ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . ولدَحْمان فيه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . ولمالكٍ فيه خفيفُ ثقيلٍ عن الهشامىّ — قال : وهو أوّل من غنّى الغناءَ العربىّ المنقولَ عن الفارسىّ . وعاش سعيدُ بنُ مِسجح حتى لقيَهُ معبدٌ وأخَذ عنه فى أيام الوليد بن عبد الملك .

أخذ عنه معبد

حدّثنى عمّى والحسينُ بن القاسم الكوفىّ قالا جميعا حدّثنا محمدُ بن سعيد الكُرانىّ قال حدّثنى النضرُ بن عمرو قال حدّثنى أبو أُميّةَ القرشىّ قال حدّثنا دَحْمان الأشقرُ قال :

نفاه دحمان الأشقر والى مكة الى الشأم فتوصل الى عبد الملك وغناه فعفا عنه وأمر بردّ ماله اليه

كنت عاملا لعبد الملك بن مروان بمكة فنُمِىَ اليه أنّ رجلا أسودَ يقال له : سعيدُ بنُ مِسجح أفسدَ فِتيانَ قريش وأنفقُوا عليه أموالَهم، فكتب الىّ : أن آقبض مالَه وسَيِّرهُ ، ففعلتُ . فتوجّهَ آبنُ مِسجح الى الشأم فصَحِبه رجلٌ له جَوارٍ مُغنّياتٌ فى طريقه، فقال له : أين تُريدُ ؟ فأخبره خبرَه، وقال له : أُريد الشأمَ ، قال له : فتكونُ معى؟ قال : نعم، فصحبه حتى بلغا دِمَشقَ فدخلا مسجدَها فسألا : مَنْ أخصُّ الناس بأمير المؤمنين؟ فقالوا : هؤلاء النفرُ من قريش وبنو عمّه، فوقف آبنُ مسجح عليهم وسلّم ثم قال : يا فِتيانُ، هل فيكم مَنْ يُضيفُ رجلا غريبا من أهل الحجاز؟ فنظر بعضُهم الى بعضٍ وكان عليهم مَوعِدٌ أن يذهبوا الى قَيْنَة يُقَالُ لها : «بَرْقُ الأُفُق» فتثاقلوا به إلا فتًى منهم تَذَمَّم(١) فقال : أنا أُضيفُكَ، وقال لأصحابه : انطلقوا أنتم وأنا أذهبُ مع ضيفى، قالوا : لا، بل تجىء أنت وضيفُكَ، فذهبوا جميعا الى بيت القَيْنة، فلما أُتُوا بالغداء قال لهم سعيدٌ : إنى رجلٌ أسودُ ولعلّ فيكم من يَقْذَرُنى فأنا أجلِسُ وآكُلُ ناحيةً وقام ، فاستحيَوْا منه و بعثوا اليه بما أكل ، فلما صاروا

(١) تذمم أى خشى الذمّ واللوم .

٨٧/٣

الى الشراب قال لهم مثـلَ ذلك، ففعلوا به ، وأخرجوا جاريتـين فجلستا على سرير قد وُضع لهما ، ففتّا الى العِشاء ثم دخلنا، وخرجت جاريةٌ حَسَنةُ الوجهِ والهيئةِ وهما معها فجلستْ على السرير وجلستَا أسفلَ منها عن يمين السرير وشماله ، قال آبن مِسجح : فتمثَّلتُ[1] هذا البيتَ :

فقلتُ أشمسٌ أم مَصابيحُ بِيعَـةٍ * بدَتْ لكَ خلفَ السِّجْفِ أم أنتَ حَالِمُ

فغضبت الجارية وقالت : أيَضرِبُ هـذا الأسودُ بِي الأمثـالَ ! فنظروا إلىّ نظرا مُنـكرا ولم يزالوا يُسَكِّنونَها ، ثم غنّتْ صوتا ، فقال آبن مِسـجح : أحسَنْتِ والله ، فغضب مولاها وقال : أمثلُ هذا الأسودِ يُقدِمُ على جاريتى ! فقال لى الرجل الذى أنزلنى عنـده : قم فانصرِفْ الى منزلى فقد ثَقُلْتَ على القوم ، فذهبتُ أقومُ فتذمّم القوم وقالوا لى : بل أَقِمْ وأَحْسِنْ أدبَك فأقمتُ ، وغنّتْ فقلتُ : أخطأتِ والله يا زانيةُ وأسأتِ ، ثم اندفعتُ فغنّيتُ الصوتَ فوثبتِ الجاريةُ فقالت لمولاها : هذا والله أبو عثمانَ سعيدُ بنُ مِسجَح ، فقلت : إنى والله أنا هو ، والله لا أُقيمُ عندكم ، فوثب القُرشيّون فقال هـذا : يكون عندى ، وقال هذا : يكون عندى ، وقال هذا : بل عندى ، فقلت : والله لا أُقيمُ إلا عنـد سَيّدكم — يعنى الرجلَ الذى أنزله منهم — ثم سألوه عما أقدمَه فأخبرهم الخبرَ، فقال له صاحبُه : إنى أَسْمُرُ الليلةَ مع أمير المؤمنين فهل تُحسِنُ أن تَحدُوَ ؟ قال : لا ، ولكنى أستعمل حُدَاءً ، قال : فإن منزلى بحِذَاءِ منزل أمير المؤمنين فإن وافقتُ منه طِيبَ نفسٍ أرسلتُ اليكَ ، ومضى الى عبدالملك فلمـا رآه طَيِّبَ النفس أرسلَ الى ابن مسجح وأخرجَ رأسَه من وراء شُرَف القصر ثم حَدَا :

(١) يقال : تمثّلتُ هذا البيتَ وتمثّلتُ به اذا ضربته مثلا .

إنكَ يا مُعَاذُ يابنَ الفُضَّلِ * إن زُلزِلَ الأقدامُ لم تُزلزَلِ

عن دينِ موسى والكتابِ المنزَلِ * تُقيمُ أصداغَ (١) القرونِ المُيَّلِ

* للحقّ حتى ينتحُوا للأعدلِ *

فقال عبد الملك للقرشيّ : مَنْ هذا ؟ قال : رجلٌ حجازيّ قَدِمَ علىّ ، قال : أَحْضِرْه فأحضره له ، وقال له : أُحْدُ مُجِدًّا ، ثم قال له : هل تُغَنّى غِناء الركبانِ؟ قال : نعم ، ٥ قال : غَنِّه ، فتغنّى ، فقال له : فهل تغنّى الغناءَ المُتقَنَ ؟ قال : نعم ، قال : غنّه ، فتغنّى فاهتزّ عبد الملك طربا ، ثم قال له : أُقسم إن لك فى القوم لأسماء كثيرة ، مَنْ أنت ؟ ويلك ! قال له : أنا المظلوم المقبوض مالُه المُسَيَّر عن وطنه سعيدُ بن مِسْجَح ، قبض مالى عاملُ الحجاز ونفانى . فتبسّم عبدُ الملك ثم قال له : قد وضَح عذرُ ٨٨/٣ فتيانِ قريش فى أن يُنفقوا عليك أموالَهم ، وأمّنه ووصَله وكتب الى عامله بردّ ماله ١٠ عليه وألّا يَعرِض له بسوء .

---

(١) فى جميع الأصول « أصداع » بالعين المهملة وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه لأنه من صدغ يصدغ صدوغا وصدغا بمعنى مال ومنه « لأقيمن صدغك » أى ميلك .

صـــوت
من المـائة المختـارة

سلا دارَ ليلى هل تُبِين فتَنْطِقُ * وأنَّى تَرُدّ القولَ بيـداءُ سَمْلَقُ (١)

وأنّى تردّ القولَ دارٌ كأنها * لطُول بِلاها والتقادمِ مُهْـرَقُ (٢)

عروضُه من الطويل، الشِّعر لابن المَوْلَى . وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن إسحاق أن الشعرَ للأعشى؛ وذلك غلَط، وقد ٱلتمسناه في شعر كل أعشى ذُكِر في شعراء العرب فلم نجده، ولا رواه أحدٌ من الرُّواة لأحد منهم، ووجدناه في شعر ٱبن المولى من قصيدة له طويلة جيّدة، وقد أثبتناها بعَقِب أخباره ليُوقَف على صحّة ما ذكرناه، إذ كان الغلط إذا وقع من مثـل هذه الجهة ٱحتيج الى إيضاح الحجّـة على ما خالفه والدّلالة على الصواب فيه . والغناءُ في اللحن المختار لعَطَرّد ثقيلٌ أول بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو ، وفيه لأيّوبِ زهرة خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن المكيّ . وفي غناء أيّوبِ زهرة زيادة بيتين وهما :

وقال خليـــلي والبُكا لِيَ غالبٌ * أفاض عليك ذا الأسى والتشوُّقُ

وقد طال تَوْقاني (٣) أُكفكِف عَبْرةً * تكاد إذا رُدّتْ لها النفسُ تَزهقُ (٤)

---

(١) السملق : القاع المستوى الأملس الذى لا شجر فيه . (٢) المهرق : الصحيفة ، ومن عادة العرب تشبيه الديار والمنازل اذا عفت وأقوت بالصحف والكتابة ، قال امرؤ القيس :

أتت حجج بعدى عليها فأصبحت * كخط زبور فى مصاحف رهبان

وقال العجاج :

يا صاح ما هاج الدموع الذرفا * من طلل أمسى تخال المصحفا

والمصحف : الصحيفة . (٣) توقانى : اشتياقى وقد سكن لضرورة الشعر . (٤) فى رواية أخرى ص ٢٨٨ من هذا الجزء :

* على دمعة كادت لها النفس تزهق *

أخبار ابن المَوْلَى ونسبه

نسبه وصفته وهو شاعر من مخضرمى الدولتين

هو محمد بن عبد الله بن مُسْلِم بن المَوْلَى مولى الأنصار ثم من بنى عمرو بن عَوْف، شاعرٌ متقدّم مجيد من مُخَضْرَمِى الدولتين ومَدّاحِى أهلهما، وقدِم على المهدىّ وآمتدحه بعدّة قصائد فوصَله بِصلاتٍ سنِيّة، وكان ظريفا عفيفا نظيفَ الثياب حسنَ الهيئة .

قدم على المهدى ومدحه فأجزل صلته

أخبرنى عمّى قال حدّثنا محمد بن عبد الله الحَزَنْبَل قال قال لى محمد بن صالح ابن النَّطّاح :

كان ابن المولى يسمّى محمدا مولى بنى عمرو بن عوف من الأنصار، وكان مسكنه بقُبَاء، وكان يَقْدَم على المهدىّ فيمدحه، فقدم عليه فأنشده قولَه :

سَلَا دارَ ليلى هل تُبِين فَتَنْطِقُ * وأنّى تردّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ
وأنّى تردّ القولَ دارٌ كأنها * لطول بِلاها والتقادمِ مُهْرَقُ
وقال خليلى والبكا لِىَ غالبٌ * أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ
وإنسانُ عينى فى دوائرِ لُجّةٍ * من الدمع يبدو تارةً ثم يَغْرَقُ

يقول فيها :

إلى القائم المهدىّ أعملتُ ناقتى * بكل فلاةٍ آلُها(١) يترقرقُ
إذا غال منها الركبَ صحراء بَرّحت * بهم بعدها فى السير(٢) صحراءُ دردقُ(٣)

---

(١) الآل : السراب . (٢) يقال : غالت الأرض السابلة أى قذفت بهم وأبعدتهم .
(٣) كذا فى الأصول . والدردق : الطريق، والصف من النخل، والصغير من كل شىء، وكل هذه المعانى لا تتفق والمعنى المراد، ولعلها مما لم يرد تفسيره فى المعاجم، أو لعلّ المراد بها « فيهق » يقال : أرض فيهق، ومفازة فيهق أى واسعة .

٨٩
٣

رَميتُ قَرَاها[1] بين يوم وليلة * بفَتْلاء[2] لم ينكُبْ[3] لها الزَّوْرَ مِرفَقُ
مُزَمِّرَةٍ[4] سَقْبًا كأن زِمامَها * بجرداء من عُمِّ[5] الصَّنَوبر مُعلَقُ
موكَّلةٍ بالفادحات كأنها * وقد جعلت منها الثَّميلةُ[6] تَخلَقُ
بِقِيّ[7] الملا هَيْقٌ[8] أمام رِئاله[9] * أصَمُّ هِجَفٌّ[10] أقرعُ الرأس نِقْنِقُ[11]
تراها إذا استعجلتَها وكأنها * على الأيْن يعروها من الرَّوْع أولَقُ[12]
موَرِّكةً[13] أرضَ العُذَيب[14] وقد بدا * فسُرَّ به للآئبين الخَوَرْنَق[15]

فاستحسنها المهدىّ وأجزل صلته ، وأمر فَغُنِّىَ فى نسيب القصيدة . فأمّا ما شرطتُ ذكره من تمام القصيدة فهو بعقب البيت الثانى منها :

عفَتْها[16] الرياحُ الرامساتُ مع البِلَى * بأذيالها والرائحُ المُتبعِّقُ[17]
بكل شآبيبٍ من الماء خلفَها * شآبيبُ ماءٍ مُزْنُها متألِّقُ

(١) القرا : الظهر . (٢) يقال : ناقة فتلاء إذا كان فى ذراعيها فتل وهو تباعدهما عن الجنبين كأنهما فتلتا عنهما . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : «يركب» . (٤) كذا فى جميع النسخ بالزاى المعجمة ولعله مضعف من زمر الظليم بمعنى صوّت ، وقد أصلحها الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته بالذال المعجمة ، وربما أراد أن تكون من ذمر بمعنى حث فهو يصفها بأنها سريعة السير لأنها محثوثة عليه . والسقب : الطويل من كل شىء . (٥) العمّ : النخل الطوال ، واستعير هنا لطول شجر الصنوبر . (٦) الثميلة : ما يبق فى بطن الدابة من العلف والماء وما يدخره الإنسان من طعام وغيره ، وكل بقية ثميلة . (٧) القىّ : القفر . (٨) وردت هذه الكلمة فى جميع النسخ هكذا «هين» وهو تحريف ظاهر والصواب ما أثبتناه ، والهيق : الظليم . (٩) الرئال : أفراخ النعام واحدها رأل . (١٠) الهجف : الظليم المسن ، وقيل : الجافى الثقيل من النعام . (١١) النقنق : الظليم . (١٢) الأولق : الجنون . (١٣) موركة : مجاوزة . (١٤) العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال . (١٥) الخورنق : قصر بالحيرة . (١٦) عفتها : محتها ودرستها ، والرامسات : الدوافن للآثار . (١٧) الرائح المتبعق : المطر المندفع ، قال رؤبة : * جود يجود الغيث إذ تبعّقا * وفى حـ ، ب : المتعبق وهو غير مناسب .

إذا رَيِّقٌ[1] منها هُرِيقَتْ سِجالُه * أُعِيدَ لها كَرْفِئٌ[2] ماءٍ ورَيِّقُ

فأصبح يرمى بالرَّباب[3] كأنما * بأرجله منه نَعامٌ مُعَلَّقُ

فلا تبك أطلالَ الديار فإنها * خبالٌ[4] لمن لا يدفع[5] الشوقَ عَوْلَقُ[6]

وإنّ سَفاهًا أن تُرَى متفجِّعا * بأطلال دارٍ أو يقودَك مَعْلَقُ

فلا تَجْزَعَنْ للبين كلَّ جماعةٍ * وجَدِّك مكتوبٌ عليها التفرُّقُ

وخذ بالتعزِّى[7] كلَّ ماأنتَ لابسٌ * جديدًا على الأيام بالٍ ومُخْلِقُ

فصبرُ الفتى عما تولّى فإنه * من الأمر أولَى بالسَّداد وأوفقُ

ويروى : « أدنى للذى هو أوفق » .

وإنك بالإشفاق لا تدفع[8] الرَّدى * ولا الحَيْنُ مجلوبٌ فما لك تُشْفِقُ

كأنْ لم يَرُعْك الدهرُ أو أنتَ آمن * لأحداثه فيما يُغادى ويَطْرُقُ

وقال خليلى والبكا لىَ غالبٌ * أفاض عليك ذا الأسى والتشوّقُ

وقد طال تَوْقانى أُكفكِف عَبرةً * على دِمْنةٍ كادت لها النفسُ تَزْهَقُ

وإنسانُ عينى فى دوائرِ لُجّةٍ * من الماء يبدو تارة ثم يَغرقُ

وللدّمع من عينى شَريجًا[9] صبابةٍ * مُرِشٌّ[10] الرَّجا[11] والجائلُ المُتَرقرِقُ

وكنتُ أخا عِشق ولم يك صاحبى * فيعذرَنى مما يَصَبُّ ويعشَقُ

(١) الريق : المطر اليسير يصيبك منه شىء . (٢) الكرفئ : السحاب المرتفع وقد دخل على هذا الشطر « الكف » وهو حذف السابع الساكن من « مفاعيلن » الأولى وهو قبيح . (٣) الرباب : السحاب الأبيض . (٤) كذا فى أ ، ء : وفى سائر النسخ « خيال » . (٥) فى الأصول : « يرفع » بالراء . (٦) العولق : الغول ، وهو صفة لخبال . (٧) كذا فى ء ، أ ، وفى سائر الأصول : « بالتعزى » بالراء . (٨) فى الأصول : « ترفع » بالراء . (٩) الشريجان : لونان مختلفان . (١٠) المرش : الذى يقطر ماؤه . (١١) الرجا : ناحية البئر .

وقد يعذِر الصبُّ السقيمُ ذوي الهوى * ويَلحَى المحبّين الصديقُ فيَخرَقُ
وعاب رجالٌ أن عَلِقتُ وقد بدا * لهم بعضُ ما أهوَى وذو الحلم يعلَقُ

والقصيدة طويلة . وفي بعض ما ذكرته منها دلالةٌ على صحّة ما قلته .

كان يشبب بليلى فسئل عنها فقال : ما هي والله إلا قوسي

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الملك
٥ ابن عبد العزيز قال :

خرجتُ أنا وأبو السائب المخزوميّ وعُبَيد الله بن مُسْلِم بن جُنْدَب وابن المولى وأَصْبَغ بن عبد العزيز بن مروان الى قُبَاء، وابن المولى مُتنكِّب[1] قوسا عربية، فأنشد ابن المولى لنفسه :

٩٠/٣
وأبكي فلا ليلَى بكت من صَبابةٍ * اليّ ولا ليلَى لذي الودّ تَبذُلُ
١٠ وأخنَع[2] بالعُتبى اذا كنتُ مُذنبا * وإن أذنبَتْ كنتُ الذي أتنصّلُ

فقال له أبو السائب وعبيد الله بن مسلم بن جُندَب : مَن ليلى هذه حتّى نقودَها اليك؟ فقال لهما ابن المولى : ما هي والله إلّا قَوسي هذه سمّيتها ليلَى .

في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ مطلق في مجرى الوسطى لخَزْرَج، ويقال: إنه لهاشم ابن سليمان .

مدح يزيد بن حاتم فوهبه كل ما يملك

١٥ أخبرني عمّي قال حدثنا أبو هفّان قال أخبرني أبو محلِّم عن المفضّل الضّبيّ قال :
وفَد ابن المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها :

يا واحدَ العرب الذي * أضحَى وليس له نظيرُ
لو كان مثلَك آخَرٌ * ما كان في الدّنيا فقيرُ

(١) يقال : تنكّب القوس إذا ألقاها على منكبه .   (٢) أخنع : أخضع .

قال : فدعا بخازنه وقال : كم فى بيت مالى ؟ فقال له : من الورق والعين بقية[1] عشرون ألف دينار ، فقال : ادفعها اليه ، ثم قال : يا أخى ، المعذرة الى الله واليك ، والله لو أنّ فى ملكى أكثر لما آحتجبتها[2] عنك .

كان مداحا لجعفر ابن سليمان وقثم ابن عباس ويزيد ابن حاتم

أخبرنى الحسن بن علىّ ومحمد بن خلف بن المرزبان قالا حدّثنا أحمد بن زهير[3] آبن حرب قال حدّثنا مصعب الزبيرىّ عن عبد الملك بن الماجشون قال :

كان آبن المولى مدّاحا لجعفر بن سليمان وقثم بن العبّاس الهاشميّين ويزيد بن حاتم آبن قبيصة بن المهلّب ، وآستفرغ مدحه فى يزيد وقال فيه قصيدته التى يقول فيها :

يا واحد العرب الذى دانت له * قحطان قاطبة وساد نزارا
إنّى لأرجو إن لقيتك سالما * ألّا أعالج بعدك الأسفارا
رشت[4] الندى ولقد تكسّر ريشه * فعلا الندى فوق البلاد وطارا

مرض عند يزيد ابن حاتم وأضعف يزيد صلته

ثم قصده بها الى مصر وأنشده إيّاها ؛ فأعطاه حتى رضى . ومرض آبن المولى عنده مرضا طويلا وثقل حتى أشفى[5] ، فلمّا أفاق من علّته ونهض ، دخل عليه يزيد آبن حاتم متعرّفا خبره ، فقال : لوددت والله يا أبا عبد الله ألّا تعالج بعدى الأسفار حقا ، ثم أضعف صلته .

كان يمدح يزيد دون أن يراه ثم رآه بالمدينة وأنشده فأعطاه ما أغناه

أخبرنى الحسن قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدثنى الزبير بن بكّار عن عبد الملك ابن عبد العزيز قال أخبرنى ابن المولى قال :

(١) الورق : الفضة ، والعين : الذهب . (٢) كذا فى الأصول ، ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا « احتجب » متعديا بنفسه ولعلها « حجبتها » . (٣) كذا فى أ ، ء ، م وهو الموافق لما تقدم بإجماع الأصول فى ص ٢١ ج ١ من الأغانى طبع الدار وفى الكلام على ترجمته فى لسان الميزان ج ١ ص ١٧٤ طبع الهند ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٥٦ طبع الهند . وفى باقى الأصول : « إبراهيم » وهو خطأ . (٤) رشت الندى : جعلت له ريشا . (٥) أشفى : أشرف على الموت .

كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه ولا ألقاه، فلما ولّاه المنصور مصر أخذ على طريق المدينة فلقيته فأنشدته ، وقد خرج من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلّم الى أن صار الى مسجد الشّجرة، فأعطانى رِزمتَى[1] ثياب وعشرةَ آلاف دينار فاشتريتُ بها ضِياعا تُغِلّ[2] ألفَ دينار ، أقومُ فى أدناها وأصيح بقَيِّمى ولا يَسمعنى[3] وهو فى أقصاها .

٥

عنفه الحسن بن زيد على ذكر ليلى فقال : إنها قوسه فضحك

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الخَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبى عمرو قال: بلغنى أنّ الحسن آبن زيد دعا بآبن المولى فأغلظ له وقال : أتُشبِّب بحُرَم المسلمين وتُنشدُ ذلك فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفى الأسواق والمحافل ظاهرا ! فحلَف له بالطّلاق أنّه ما تعرّض لمحرَّم قطّ ولا شبّب بآمرأة مُسلم ولا مُعاهِد قطّ، قال : فمن ليلَى هذه التى تَذكُر فى شعرك؟ فقال له : امرأتى طالق إن كانت إلّا قوسى هذه، سمّيتُها ليلى لأذكُرها فى شعرى ، فإن الشعر لا يحسُن إلّا بالتشبيب، فضحك الحسن ثم قال : اذا كانت القصة هذه فقل ما شئت .

١٠

٩١ / ٣

كان بالعراق وتشوّق الى المدينة فقال شعرا فى ذلك

فقال[4] الحزنبل : وحُدِّثت عن آبن عائشة محمد بن يحيى قال : قدم آبن المولى الى العراق فى بعض سِنيه[5] فأخفَق وطال مُقامه وغرِض[6] به وتشوّق الى المدينة فقال فى ذلك :

١٥

صــــوت

ذهبَ الرجالُ فلا أُحسّ رِجالا * وأرَى الإقامةَ بالعراق ضَلالا

وطرِبتُ إذ ذَكَر المدينةَ ذاكرٌ * يومَ[7] الخميس فهاج لى بَلْبالا[8]

(١) الرزمة من الثياب : ما شُدّ فى ثوب واحد . (٢) تغلّ : تعطى من الغلة . (٣) كذا فى جميع النسخ ، والمقام هنا للفاء . (٤) كذا فى جميع النسخ والظاهر أن الفاء هنا من زيادات النساخ . (٥) فى أ ، ء ، م «سنيه» وكلتا الروايتين صحيحة . (٦) غرض : ضجر وقلق . (٧) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « وهاج » . (٨) البلبال : شدّة الهم .

٢٠

فظللتُ أنظُر فى السماء كأنّنى * أبغِى بناحيـة السماء هـلالا
طربا الى أهـل الحجاز وتارة * أبكى بدمع مُسبِل[1] إسبالا

غنّى فى هـذه الأربعة الأبيات آبنُ عائشة . ولحنه ثانى ثقيل عن الهشامىّ .
وذكره حمّاد عن أبيه فى أخباره ولم يذكر طريقته .

فيقال قـد أضحى يُحدِّث نفسه * والعينُ تَذرِف فى الرّداء سِجالا[2] ٥
إنّ الغريب اذا تذكّر أوشكت * منه المدامع أن تَفيض عِلالا[3]
ولقـد أقول لصاحبى وكأنّه * ممّا يعالج ضُمّن[4] الأغلالا
خَفِّض عليك فما يُرَدّ بك تَلَفُهُ * لا تُكثِرَنّ وإن جزِعتَ مَقالا
قد كنتَ إذ تَدع المدينةَ كالذى * ترك البحارَ ويَمّم الأوشالا[5]
فأجابنى خاطرْ بنفسك لا تكن * أبدًا تُعـدّ مع العيال عِيالا ١٠
وآعلم بأنك لن تنالَ جَسيمةً * حتّى تُجشِّم نفسك الأهوالا
إنّى وجدّك يـومَ أتركُ زاخرا * بحـرا يُنفِّل سيبُه الأنفالا[6]
لأضلّ مَن جلَب القوافىَ صَعْبةً[7] * حـتّى أذَلّ مُتونَهـا إذلالا

مدح المهدى وعرّض بالطالبيين فأجازه

قال الحَزَنْبَلُ : وحدّثنى عمرو بن أبى عمرو عن أبيه قال حدّثنى مولى للحسن بن زيد قال : ١٥

قدم آبنُ المولى على المهدىّ وقد مدَحه بقصيدته التى يقول فيها :

وما قارَع الأعداءَ مثلُ محمّـد * اذا الحرب أبدت عن حُجول[8] الكواعبِ

(١) أسبل يستعمل متعديا ولازما . (٢) السجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة اذا كان فيها ماء . (٣) علالا : مرة بعد أخرى . (٤) ضمن الأغلال أى قيّد بها . (٥) الأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل . (٦) السيب : الجود والعطاء ، والأنفال : جمع نَفَل وهو الهبة ٢٠ والعطيـة . ونفّل النفل : أعطاه . (٧) فى جميع النسخ : « ضيعة » والتحريف فيه ظاهر .
(٨) حجول : جمع حجل وهو الخلخال .

فتًى ماجدُ الأَعراقِ من آل هاشمٍ * تَبَحْبَحَ[1] منها فى الذُّرى والذَّوائبِ
أشمُّ من الرّهط الذين كأنّهم * لدى حِنْدِسِ[2] الظَّلماء زُهْرُ الكواكبِ
اذا ذُكِرَتْ يومًا مَناقِبُ هاشمٍ * فإنّكمُ منها بخيرِ المَناصِبِ
ومَن عِيبَ فى أخلاقه ونِصابِه[3] * فما فى بنى العبّاس عَيْبٌ لعائبِ
وإنّ أميرَ المؤمنين ورَهْطَهُ * لأهلُ المَعالِى من لُؤَىِّ بن غالبِ
أُولئك أوتادُ البلادِ ووارثو الـ * ـنّبِىِّ بأمرِ الحقِّ غير التّكاذُبِ

ثم ذكر فيها آلَ أبى طالبٍ فقال :

وما نَقَموا إلا المودّةَ منهمُ * وأن غادرُوا فيهم جزيلَ المواهبِ
وأنهمُ نالوا لهم بدمائهم * شفاءَ نفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ
وقاموا لهم دون العدا وكَفَوْهُمُ * بسُمرِ القنا والمُرهَفاتِ القَواضبِ[4]
وحامَوْا على[5] أحسابهم وكرائمٍ * حسانِ الوجوهِ واضحاتِ التّرائبِ
وإن أميرَ المؤمنين لعائدٌ * بإنعامه فيهم على كلّ تائبِ
اذا ما دَنَوْا أدناهمُ واذا هفَوْا * تجاوز عنهم ناظرًا فى العواقبِ
شفيقٌ على الأَقْصَيْن أن يركبوا الرّدى * فكيف به فى واشِجاتِ[6] الأقاربِ

قال : فوصله المهدىّ بصلة سنيّة، وقدِم المدينةَ فأنفق وبنى دارَه ولبس ثيابا فاخرةً، ولم يزل كذلك مدى حياته بعد ما حباه[7]. ثم قدم على الحسن بن زيد وكانت له عليه وَظيفةٌ فى كلّ سنة فدخل عليه فأنشده قولَه يمدحه :

مدح الحسن بن زيد فعاتبه بالتعريض بأهله فى مدائحه للمهدىّ ثم أكرمه

(١) تبحبح : تمكن . (٢) الحندس : الليل الشديد الظلمة ، ويقال أيضا : ليلة ظلماء حندس على الصفة . (٣) النصاب : الأصل . (٤) القواضب : القواطع . (٥) ضمن هنا «على» معنى «عن» . (٦) الواشجات : جمع واشجة وهى الرحم المشتبكة المتصلة . (٧) فى الأصول «دخل» والسياق يأباها .

هاج شوق تفرّقُ الجيرانِ * وآعترتنى طوارقُ الأحزانِ

وتذكّرتُ ما مضى من زمانى * حين صار الزمانُ شرَّ زمانِ

يقول فيها يمدح الحسن بن زيد :

ولو آن آمرأ ينال خلودا * بمحلٍّ ومَنْصِب ومكانِ

أو ببيتٍ ذُراه تَلْصَق بالنجـ * ـم قِرانا فى غير بُرج قِرانِ

أو بمجد الحياة أو بسَماحٍ * أو بحلم أوفى على ثَهْلانِ[1]

أو بفضل لناله حسَنُ الخيْـ * ـر بفضل الرسول ذى البرهانِ

فضلُه واضحٌ برهط أبى القا * سم رهطِ اليقين والإيمانِ

هم ذَوُو النور والهُدَى ومَدَى الأمـ * ـر وأهلُ البرهان والعِرفانِ[2]

مَعْدِنُ الحق والنبوّة والعد * ل اذا ما تنازع الخَصْمانِ

وآبنُ زيد إذا الرجال تجارَوْا * يوم حَفْل وغاية ورِهانِ

سابقٌ مُغْلِقٌ يُجيزُ رِهانٍ * وَرِث السَّبْقَ من أبيه الهِجانِ[3]

قال : فلما أنشده إياها دعا به خاليا ثم قال له : يا عاضَّ كذا من أمه، أمّا اذا جئت الى الحجاز فتقول لى هذا، وأما إذا مضيت الى العراق فتقول :

وإن أمير المؤمنين ورهطَه * لَرهطُ المعالى من لُؤَىِّ بن غالب

أولئك أوتاد البلاد ووارِثو الـ * ـنبىِّ بأمر الحقِّ غير التكاذُب

فقال له : أتُنْصِفنى يابن الرسول أم لا ؟ فقال : نعم، فقال : ألم أقل :

* وإن أمير المؤمنين ورهطه *

(١) ثهلان : جبل ضخم بالعالية . (٢) فى حـ : «الفرقان» . (٣) الهجان : الكريم الحسيب .

ألستم رهطه ؟ فقال : دَعْ هــذا ، ألم تقدِر أن يَنفُق شعرُك ومديحُك إلا بتهجين أهلي والطعن عليهم والإغراء بهم حيث تقول :

وما نقَمــوا إلا المودّة منهُــمُ * وأن غادروا فيهم جزيلَ المواهبِ
وأنهــمُ نالوا لهــم بدمائهــم * شفاءَ نُفوسٍ من قتيــلٍ وهاربِ

٥ فوجَم آبنُ المولى وأطرق ثم قال : يابن الرسـول إن الشاعر يقول ويتقـرّب بجَهْده ، ثم قام فخرج من عنـده منكَسِرا ، فأمر الحسنُ وكيلَه أن يحمِلَ اليه وظيفته ويزيدَه فيها ففعل ، فقال آبن المولى : والله لا أقبلها وهو عليّ ساخطٌ ، فأما إنْ قرَنها بالرضا فقبلتُهـا ، وأما إن أقام وهو عليّ ساخط آلبتّةَ فلا ؛ فعاد الرسـول إلى الحسن فأخبره ؛ فقال له : قل له : قد رضيتُ فاقبلْها . ودخل على الحسن فأنشده قولَه فيه :

٩٣ / ٣

١٠ سألتُ فأعطانى وأعطَى ولم أَسَلْ * وجاد كما جادت غــوادٍ[1] رَواعدُ
فأُقسِم لا أنفــكُّ أُنشِدُ مَدْحَــه * إذا جمعتْــنى فى الحجيج المَشاهدُ
اذا قلتُ يوما فى ثنائى قصــيدةً * ثَنَيْتُ بأخرى حيث تُجزَى القصائدُ

مدح يزيد بن حاتم بولايتـه الأهواز وغلبه على الأزارقة فأجازه

قال الحَزَنْبَل : وحدّثنى مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلّبيّ قال : لـما آنصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة[2] وقد ظَفِر ، خُلِع عليه وعُقِد له
١٥ لواءٌ على كُوَر الأهْوَاز وسائر ما آفتتحه ، فدخل عليـه ابن المولى وقد مدحه فاستأذن فى الإنشاد فأذن له فأنشده :

صـــوت

ألا يا لَقومى هل لِمَـا فات مَطلبُ * وهل يُعْذَرَنْ ذو صَبْوة وهو أشْيَبُ
يَحِنّ إلى ليــلى وقد شَطّت النوى * بليــلَى كما حَنّ الــيَراعُ[3] المُثقَّبُ

٢٠ (١) الغوادى : جمع غادية وهى السحابة تنشأ غدوة . (٢) الأزارقة : فرقة من الخوارج وهم أصحاب نافع بن الأزرق . (٣) اليراع المثقب : المزمار .

غنّى فى هذين البيتين عَطَرّد، ولحنُه رمَلٌ بالوسطى عن عمرو بن بانة؛ وفيه ليونس لحن ذكَره لنفسه فى كتابه ولم يذكر طريقته .

تقرّبتُ[1] ليلى كى تُثيب فؤادنى * بِعادا على بعدٍ إليها التقرّبُ
فداويتُ وجدى باجتنابٍ فلم يكن * دواءً لما ألقاه[2] منها التجنّبُ
فلا أنا عند النّأى سالٍ لحبها * ولا أنا منها مُشْتَفٍ حين تَصْقبُ[3]
وما كنت بالراضى بما غيرُه الرِّضا * ولكننى أنوى العزاءَ فأُغلَبُ
وليلٍ خُدَارِىٍّ[4] الرّواق جَشِمتُه * إذا هابه السارون لا أتهيّبُ
لأظْفَرَ يوما من يزيد بن حاتم * بحبلِ جوارٍ ذاك ما كنتُ أطلبُ
بلوتُ وقلّبتُ الرجال كما بَلَا * بكفّيه أوساطَ القِداح مُقلِّبُ
وصَعّدنى همّى[5] وصوّب مرّةً * وذو الهمّ يوما مُصْعِدٌ ومُصوِّبُ
لأعرف ما آتى[6] فلم أر مثله * من الناس فيما حاز شرقٌ ومغربُ
أكرَّ على جيش وأعظمَ هيبةً * وأوهبَ فى جود لما ليس يُوهبُ
تصدّى رجالٌ[7] فى المعالى ليَلْحَقوا * مَداك وما أدركتَه فتذبذبوا
ورُمتَ الذى راموا فأذللتَ صعبه * وراموا الذى أذللتَ منه فأصعبوا[8]

---

(١) كذا فى الأصول ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا تقرّب متعديا بنفسه وإنما يقال : تقرّبت إليه، فلعله نصب على حذف الجار . (٢) كذا فى حـ وهو المناسب . وفى باقى الأصول : « أبقاه » . (٣) تصقب : تقرب . (٤) الخدارىّ : المظلم . (٥) الهمّ : ما يهم به الرجل فى نفسه وهو هنا كناية عن العزم . (٦) كذا فى أ ، ء ، م . وفى باقى الأصول : « أتى » وهو تحريف . (٧) كذا فى جميع النسخ والذى فى كتب اللغة أن « تصدّى » يتعدّى باللام . (٨) يقال : أصعب الرجل الشئ إذا وجده صعبا .

ومهما تَناوَلْ من مَنالٍ سَنِيّةٍ * يساعدْك فيها المُنْتَمَى[1] والمُرَكَّبُ[2]
ومَنْصِبُ[3] آباءٍ كِرامٍ نَماهمُ * الى المجد آباءٌ كِرامٌ ومنصِبُ

صوت

كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقضّ كوكبٌ * بدا منهمُ بدرٌ منيرٌ وكوكبُ
أنارَ به آلُ المهلّب بعدما * هوى مَنكِبٌ منهم بليلٍ ومَنكِبُ
وما زال إلحاحُ الزمان عليهمُ * بنائبةٍ كادت لها الأرض تَخْرَبُ[4]
فلو أبقتِ الأيامُ حيًّا نَفاسةً * لأبقاهمُ للجود نابٌ ومِخلَبُ
وكنتَ ليومَيْ نِعمةٍ ونِكايةٍ * كما فيهما للنّاس كان المهلّبُ
ألا حبّذا الأحياءُ منكم وحبّذا * قبورٌ بها موتاكمُ حين غُيِّبوا

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرسٍ بسرجه ولجامه وخِلعةٍ، وأقسم على من كان بحضرته أن يُجيزوه كلُّ واحد منهم بما يمكنه، فانصرف بملء يده.

كان عمرو بن أبي عمرو ينشد من شعره ويستحسنه

قال الحَزَنْبَل: أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى وكان يستحسنها:

صوت

حيِّ المنازلَ قد بَلِينا * أقوَيْنَ[5] عن مَرّ السِّنينا
وسلِ الدّيار لعلّها * تُخبرْك[6] عن أمّ البَنِينا

(١) في جميع الأصول: «المنتهى» وهو محرف عن المنتمى أي المنتمى اليه، يقال: انتمى فلان الى حسب أي ارتفع اليه، وانتمى الى فلان أي ارتفع في نسبه اليه، قال الفرزدق:

فصارت لذهل دون شيبان إنهم * ذوو العز عند المنتمى والتكرم

(٢) المركّب: المنبت، يقال: فلان كريم المركب أي كريم الأصل. (٣) المنصب: الأصل والمنبت. (٤) في حـ وفي سائر الأصول: «تجرب» بالجيم المعجمة، والأرض الجرباء: الممحلة المقحوطة، ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا ورود فعل من هذه المادة بهذا المعنى، ومن المحتمل أن تكون «تجدب» وهي بمعناها. (٥) أقوين: أقفرن. (٦) سكّن «تخبرك» لضرورة الوزن.

بانت وكلُّ قرينـةٍ * يومًا مفارِقةٌ قرينـا

وأخو الحياة من الحيا * ةِ مُعالجٌ غِلَظًا ولِينا

غنّى فى هذه الأبيات نبيهٌ[1] خفيفَ ثقيل بالبنصر .

وترى المُوَكَّل بالغَوا * نِى راكبًا أبدًا فُنونا

ومن البليّـة أن تَدا * نَ بما كرِهتَ ولن تَدينا

والمرءُ تُحرَم نفسُـه * ما لا يزال به حَزينا

وتَـراه يَجمع مالَه * جمعَ الحريص لوارِثينا

يسعَى بأفضلِ سعيه * فيصيرُ ذاك لقاعدينا

لم يُعطِ ذا النسب القري * بِ ولم يَجُدْ للابعدينا

قد حلَّ منزلَه الذميـ * ـمَ وفارق المتنصِّحينا[2]

مدح المهدى بولايته الخلافة فأكرمه وفرض له لعياله ما يكفيه

قال الحَزَنْبل : وذكر أحمدُ بن صالح بن النّطّاح عن المدائنىّ : أن المهدىّ لمّا ولِىَ الخلافة وجّه نَزِق فى قريشٍ والأنصارِ وسائرِ الناس أموالا عظيمةً ووَصَلهم صِلاتٍ سنيّةً ، فحسُنتْ أحوالُهم بعد جُهد أصابَ الناس فى أيّام أبيه ، لتسرّعهم[3] مع محمد ابن عبد الله بن حسن ، وكانت سنةُ ولايته سنةَ خِصب ورُخْص ، فأحبّه النّاس وتبرّكوا به ، وقالوا : هذا هو المهدىّ ، وهذا ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسَمِيُّه ، فلقُوه فدعَوْا له وأثنَوْا عليه ، ومدحته الشعراء ، فمدّ عينَه فى الناس فرأى ابن المولى فأمر بتقريبه فقُرّب منه ؛ فقال له : هاتِ ياموْلى الأنصار ما عندك ، فأنشده [قولَه فيه][4] :

---

(١) العرب يسمون بنيه كبير وبنيه كأمير ، ولم نستطع ترجيح أحد الضبطين فى هذا الاسم .

(٢) التنصح : كثرة النصح ومنه قول أكثم بن صيفى : « إياكم والتنصح فإنه يورث التهمة » .

(٣) كذا فى ح ، وفى باقى الأصول : «لتسرحهم» بالحاء ، والتسرّح الذهاب .

(٤) زيادة فى أ ، ء ، م .

يا ليلَ لا تبخَلى يا ليلَ بالزادِ * وآشفِى بذلك داءَ الحائم الصادى

وأنجِزى عِدَةً كانت لنا أمَلًا * قد جاء بِيعادُها من بعد ميعادِ

ما ضرّه غيرُ أن أبدى مَودّته * إنّ المحبَّ هواه ظاهرٌ بادى

ثم قال فيها يصف ناقته :

٩٥/٣

٥ تَطوى البلادَ الى جمٍّ منافعُه * فعّالِ خيرٍ لفعل الخير عوّادِ

للهتدين اليه من منافعه[1] * خيرٌ يروح وخير باكرٌ غادى

أغنَى قُريشا وأنصارَ النبيّ ومَنْ * بالمسجدَيْن بإسعاد وإحفادِ[2]

كانت منافعُه فى الأرض شائعةً * تَتْرَى[3] وسيرتُه كالماء للصّادى

خليفةُ الله عبدُ الله والدُه * وأمّه حُرّةٌ تُنمَى لأمجادِ

١٠ من خيرِ ذى يَمَنٍ فى خير رابية * من القبول اليها مَعْقِلُ[4] النّادى

حتى أتى على آخرها ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وكُسوة ، وأمر صاحب الجارِى[5] بأن يُجرِىَ له ولعياله فى كلّ سنة ما يَكفيهم، وألحقهم فى شرف العطاء .

قال : وذكر ابن النطّاح عن عبد الله بن مصعَب الزبيرىّ قال :

وفدنا الى المهدىّ ونحن جماعة من قريش والأنصار ، فلما دخلْنا عليه سلّمنا

١٥ ودَعَونا وأثنينا، فلما فرَغنا من كلامنا أقبلَ على آبن المولَى فقال: هاتِ يا محمّد ما قلتَ ، فأنشده :

---

(١) فى أ ، حـ : «للجتدين» . (٢) إحفاد : إسراع فى مرضاتهم وقضاء حاجاتهم .

(٣) تترى : متواترة . (٤) معقل : ملجأ ، يقال : عقل اليه عقلا وعقولا أى لجأ ، والنادى : مجتمع القوم ، ويراد به القوم المجتمعون .

٢٠ (٥) الجارى : الجراية وهى ما يقدر من الرزق فيجرى على صاحبه باتصال ، قال صاحب اللسان فى مادة جرى : « والجراية الجارى من الوظائف » .

صـــوت

نَادَى الأحِبَّـــةُ بَاحتِمَالِ * إنّ المُقِـــيم الى زَوالِ
رَدّ القِيانُ[1] عليهـــمُ * ذُلُلَ المطىّ من الجِمَـالِ
فتحـــمّلوا بعقيـــلةٍ . زهراءَ آنســـةِ الدَّلالِ
كالشمس راق جَمالُهـا * بين النّساء على الجَمـالِ
لمّـا رأيت جِمـالهـم * فى الآل[2] تَغْـرَق باللآلى
يا ليت ذلك بعـــدَ أنْ * أظهـرتَ أنّك لا تُبالى
ولِمثْـــل ما جرّبتَ من * إخلافهنّ لذى الوصالِ
أسلاكَ عن طلَب الصّبا * وأخو الصّبا لا بدّ سالى
يابنَ الأطايب للأطـا * يب ذا المَكارم والمَعالى
وابنَ الهُـداة بَنِى الهـدا * ة وكاشفِى ظُلَم الضّلالِ
أصبحتَ أكرَمَ غالبٍ * عنـد التّفاخر والنِّضالِ
واذا تَحَصّـــلُ[3] هاشمٌ * يعـلو بمجـدك كلُّ عالى
ويكون بيتُـك منهـــمُ * فى الشاهقات من القِلالِ[4]

---

(١) القيان : جمع قين وهو العبد أو القينة وهى الجارية . وقد قيل فى قول زهير :

* رد القيان جمـال الحىّ فاحتملوا *

إنه أراد بالقيان الإماء أى أنهن رددن الجمال الى الحىّ لشـد أقتابها عليها ، وقيل : أراد العبيد والإماء (انظر اللسان مادّة قين) . (٢) الآل : السراب ، وقيل الآل من الضحى الى زوال الشمس ، والسراب بعد الزوال الى صلاة العصر .

(٣) تحصل : تخلص وتماز بين بيوتها ، وفى الحديث : «يذهب لم تحصل من ترابها» أى لم تخلص (والذهب يذكر و يؤنث) . و يقال للمرأة التى تميز الذهب من الفضة : محصله . (٤) القلال : جمع قلة وهى أعلى الجبل ، وقلة كل شىء رأسه وأعلاه .

١٥
٢٠

هـذا وأنت ثِمالُها[(1)] * وآبنُ الثِّمالِ أخو الثِّمالِ[(2)]

ومآلُها بأمورها * إنّ الأمور إلى مآبِ

قال : فأمر له خاصّةً بعشرة آلاف درهم معجّلة، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك فى الجائزة وأعطاه مثل ما أعطاهم، وقال : ذلك بحقّ المديح، وهذا بحقّ الوِفادة.

سأل عنه عبد الملك لما قدم المدينة ثم تبعه ابن المولى وأنشده فأجازه

٥ أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفىّ أبو أحمد وعمّى قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله قال حدّثنى عبد الله بن إبراهيم الجُمَحىّ قال :

٩٦ / ٣

قدم عبدُ الملك بن مروان المدينة، وكان آبن المولى يُكْثر مدحَه ، وكان يسأل عنه من غير أن يكونا آلتقيا ـ قال : وآبن المولى مولى الأنصار ـ فلما قدم عبدُ الملك

١٠ المدينة قدِم آبنُ المولى ، لما بلَغه من مسئلة عبد الملك عنه ، فوردَها وقد رحَل عبد الملك عنها ، فأتْبعه[(3)] فأدركه بإضَم بذى خُشُب بين عين مروان وعين الحديد، وهما جميعًا لمروان، فآلتفت عبدُ الملك اليه وآبنُ المولى على نجيب مُتَنكّبًا قوسًا عربيّة، فقال له عبد الملك : آبنُ المولى؟ قال : لَبّيْك يا أمير المؤمنين، قال : مرحبًا بمن نالنا شكرُه ولم يَنَلْه منا فعلٌ، ثم قال له : أخبرنى عن ليلى التى تقول فيها :

١٥ وأبكى فلا لَيْلَى بكَتْ من صَبابةٍ * إلىّ ولا ليلى لذى الوُدّ تَبذُلُ

والله لئن كانت ليلى حرّةً لأزوّجنّكها ، ولئن كانت أَمَةً لأبتاعنّها لك بما بلَغتْ ، فقال : كلّا يا أمير المؤمنين، والله ما كنتُ لأَذْكُرَ حُرْمةَ حُرٍّ أبدا ولا أمَتَه ، والله ما ليلى إلا قوسى هذه، سمّيتها ليلى لأُشبّب بها ، وإن الشاعر لا يُسْتطاب إذا

(1) الثمال : الغياث . (2) كذا فى ء ، وفى باقى الأصول "أخى" .

٢٠ (3) فأتبعه : تبعه وذلك اذا كان سبقه فلحقه ، وفى القرآن الكريم «فأتْبَعَهُم فِرْعَوْنُ بجُنُودِه» .

لم يَتشبَّب[1]؛ فقال له عبد الملك : ذلك والله أظرف لك ؛ فأقام عنده يومَه وليلتَه يُنشده ويُسامره، ثم أمر له بمال وكسوة، وآنصرف الى المدينة .

وقف لجعفر بن سليمان على طريقه وأنشده شعرا

أخبرنى حَبيب المهلَّبيّ عن الزُّبير وغيره عن محمد بن فَضَالة النحوىّ قال : قدم آبنُ المولى البَصرةَ ، فأتى جعفرَ بن سليمان فوقف على طريقه وقد ركب فناداه :

كم صارخٍ يدعو وذى فاقةٍ * يا جعفرَ الخيراتِ يا جعفرُ
أنت الذى أحييتَ بَذْلَ الندى * وكان قد مات فلا يُذْكَرُ
سليلُ عبّاسٍ ولىّ الهدى * ومن به فى المَحْل يُستمطَرُ
هذا آمتداحِيكَ عَقيدَ[2] الندى * أشهد[3] بالمجد لك الأشقرُ

(١) فى أ ، ء ، م : «لم ينسب» بالسين وهى بمعناها . (٢) العقيد : المعاهد والحليف .
(٣) فى أ ، ء ، م : «أشهر» .

أخبـارُ عَطَرَّد ونسبُه

وطنه وصفته وهو ممن مقبول الشهادة فقيـــه

عَطَرّد مولَى الأنصار، ثم مولى بنى عمرو بن عوف، وقيل : إنه مولى مُزَيْنَة، مَدَنىٌّ، يكنى أبا هارون، وكان ينزل قُبَاء. وزعم إسحاق أنه كان جميلَ الوجه، حسنَ الغناء، طيِّبَ الصوت، جيِّـدَ الصَّنْعة، حسنَ الرأى والمروءة، فقيها، قارئا للقرآن، ٥ وكان يغنّى مرتجلا، وأدرك دولةَ بنى أميّة، وبقى الى أيام الرشيد، وذكر آبن خُرْدَاذْبه فيما حدّثنى به علىّ بن عبد العزيز عنه : أنه كان مُعَدَّل الشهادة بالمدينة؛ أخبره بذلك يحيى بن علىّ المنجم عن أبى أيّوب المدينىّ عن إسحاق .

جاءه عباد بن سلمة ليلا وطلب منه أن يغنيــــه

وأخبرنا محمـد بن خَلَف وَكِيع عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه :

أن سَلَمة بن عبّاد وَلِىَ القضاءَ بالبَصْرة، فقصد آبنُه عَبّادُ بن سَلَمة عطرّدا وهو ١٠ بها مقيم قد قصد آلَ سليمان بن علىّ وأقام معهم؛ فأتى بابَه ليلا فدقّ عليه ومعه جماعةٌ من أصحابه أصحابِ القَلانس، فخرج عطرّد إليه، فلما رآه ومن معه فزِع؛ فقال: لا تُرَعْ

إنى قصدتُ إليك من أهلى * فى حاجةٍ يأتى لها مثـلى

فقال : وما هى أصلحك الله؟ قال :

لا طالبًا شيئًا إليك سـوى * "حىِّ الحُمُـولَ بجانب العَزْلِ"[1]

١٥ فقال : انزلوا على بركة الله، فلم يزل يغنّيهم هذا وغيرَه حتى أصبحوا .

(١) العزل : موضع فى ديار قيس، ذكره البكرى فى معجم ما آستعجم (ج ٢ ص ٦٥٩)، واستشهد له بهذا الشطر من شعر آمرئ القيس .

نسبة هذا الصوت

صوت

حىِّ الحُمُولَ بجانب العَزْلِ * إذ لا يوافق شكلُها شكلى
الله أنجحُ ما طلبتَ به * والبِرُّ خيرُ حقيبةِ الرَّحْلِ
إنى بحبلك واصلٌ حبلى * وبريش نَبْلك رائشٌ نَبْلى
وشمائلى ما قد علمت وما * نبحتْ كلابُك طارقاً مثلى

الشعر لامرئ القيس بن عابِس الكِنْدىّ ، هكذا روى أبو عمرو الشَّيْبانىّ، وقال : إن من يرويه لامرئ القيس بن حُجْر يغلَط . والغِناء لعطرّد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة، وفيه لعمرو بن بانة ثقيلٌ بالوسطى من روايته أيضا، وفيه لابن عائشةَ خفيفُ رملٍ بالبِنْصر، وفيه عنه وعن دنانيرَ لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى، وفيه عنه أيضا لإبراهيم ثانى ثقيلٍ بالبِنصر .

غناء إبراهيم بن خالد المعيطى عند المهدى

وأخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينىّ وأخبرنى به الحسن بن علىّ قال: كتب إلىّ أبو أيّوب المَدينىّ، وخبرُه أتمّ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ عن أبيه عن إبراهيم بن خالد المُعَيْطىّ[1] قال :

دخلت على المهدىّ، وقد كان وُصِف له غِنائى، فسألنى عن الغناء وعن علمى به، فجاذبتُه من ذلك طَرَفا؛ فقال لى : أتُغَنِّى النواقيس؟ قلت : نعم، وأغَنِّى الصُّلْبان يا أمير المؤمنين ، فتبسّم . والنواقيسُ لحن مَعْبد، كان معبد وأهلُ الحجاز يسمونه النواقيس، وهو :

سَلَا دارَ ليلَى هل تُبين فتَنْطِقُ * وأنَّى تَرُدُّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ

(١) هذا الخبر والذى بعده خاصان «بإبراهيم بن خالد المعيطىّ» ولم نجد أية مناسبة لذكرهما هنا فى أخبار «عطرد» وقد ورد مثل ذلك كثيرا فى الأغانى ولم نعرف له تعليلا .

قال : ثم قال لى المهدىّ وهو يضحك : غنّه ، فغنّيته فأمر لى بمالٍ جزيلٍ وخَلَع علىّ وصرفنى ، ثم بلَغنى أنه قال : هذا مُعَيْطِىٌّ[1] وأنا لا آنَسُ به ، ولا حاجةَ لى الى أن أُدْنيَه من خَلْوتى وأنا لا آنسُ به . هكذا ذُكِرَ فى هذا الخبر أن اللّحنَ لمعبد ، وما ذكره أحدٌ من رُوَاة الغنــاء له ، ولا وُجِد فى ديوانٍ من دواوينهم منسوبا اليه على آنفراد[2] به ولا شِرْكة فيه ، ولعلّه غلط .

تنادر إبراهيم بن خالد المعيطىّ على ابن جامع

وقد أخبرنى هذا الخبر الحَرَمىُّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال :

كان إبراهيم بن خالد المُعَيْطىّ يغنّى ، فدخل يوما الحَمّامَ وآبْنُ جامع فيه ، وكان له شىءٌ يجاوز ركبتيه ، فقال له آبنُ جامع : يا إبراهيم أتَبِيع هذا البغلَ؟ قال : لا بل أَحملك عليــه يا أبا القاسم ، فلما خرج آبنُ جامع من الحَمّام رأى ثيابَ المُعَيْطىّ رثّةً فأمر له بخِلْعةٍ من ثيابه ، فقال له المعيطىّ : لو قبِلتَ حُمْلانى[3] قبلتُ خِلْعتَك ، فضَحِك آبن جامع وقال له : مالك أخزاك الله! ويلك ! أَمَا تَدَع ولَعَك وبِطالتَك وشرَّك ! ودخل الى الرشيد فحدّثه حديثَه ، فضحك وأمر بإحضاره ، فأُحْضِر ، فقال له : أتغنّى النواقيس؟ قال : نعم ، وأُغنّى الصلبان أيضا . ثم ذكر باقىَ الخبر مثلَ الذى تقدّمه .

---

(١) ذكر صاحب القاموس أبا معيط والد عقبــة بن أبى معيط وذكر أن معيطــا أبو حىّ من قريش ولم يذكر السمعانى فى الأنساب عند اسم «المعيطى» إلا المنسوبين الى أبى معيط إما بالولادة وإما بالولاء ؛ ولعل إبراهيم هــذا منسوب الى أبى معيط ، ويكون المهدىّ قد أنكره لمــا كان من عقبة بن أبى معيط من شدّة إيذائه للنبىّ صلى الله عليه وسلم حتى إنه قذف على ظهره سلى جزور وهو ساجد عند الكعبة ، وبنو أبى معيط يسمّون صبية النار، لأن عقبة حين أُخذ يوم بدر وأراد النبىّ صلى الله عليه وسلم قتله ، قال : من للصبية بعدى؟ قال : النار (انظر الأغانى ج ١ ص ١٧ من هذه الطبعة) .

(٢) كذا فى أ ، ء ، م ، وفى باقى الأصول : « آنفراده » بالإضافة وبدون « به » .

(٣) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .

كان عطرّد منقطعا الى آل سليمان بن علىّ

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى أبو أيّوب المدينىّ عن إسحاق قال :

كان عطرّد منقطعا فى دولة بنى هاشم الى آل سليمان بن علىّ لم يَخْـدُم غيرَهم ، وتُوُفِّىَ فى خلافة المهدىّ . قال : وكان يوما يغنّى بين يدَىْ سليمان بن علىّ ، فغنّاه :

٨/٣

صــــوت

أَلَهُ فكم من ماجِدٍ قد لَهَـا * ومن كريمٍ عِرضُه وافِــرُ

— الغِناء لعَطَرّد ثانى ثقيل عن الهشامىّ — فقيل له : سرَقتَ هذا من لحن الغَريض :

يا رَبْعَ ســلّامةَ بالمُنْحَنَى * خَيْفِ(١) سَلْعٍ جادكَ الوابلُ

فقال : لم أَسْرِقه ولكنّ العقولَ تتوافَق ، وحلَف أنه لم يسمعه قطّ .

نســبة هــذا الصــوت

صــــوت

يا ربــعَ ســلّامةَ بالمُنْحَنَى * خَيْفِ سَــلْعٍ جادكَ الوابلُ
إن تُمْسِ وحْشًا طالمـا قد تُرَى * وأنتَ معمورٌ بهــم آهِــلُ
أيامَ ســلّامةُ رُعْبُــوبةٌ(٢) * خَــوْدٌ لَعُوبٌ حبُّها قاتِــلُ
محطوطةُ(٣) المَتْنِ هَضِــيمُ الحَشَى * لا يَطَّبِيهـا(٤) الوَرَعُ(٥) الواغِــلُ(٦)

(١) الخيف : الناحية أو ما انحدر عن غلظ الجبـل وارتفع عن مسيل المـاء . وسلع : اسم لمواضع كثيرة : منها جبال ومنها أودية . (٢) الرعبوبة : الناعمة . (٣) محطوطة المتن : ممدودته فى حسن واستواء . (٤) لا يطبيها : لا يستميلها . (٥) الورع : الجبان الضعيف .
(٦) الواغل : الداخل على القوم فى طعامهم وشرابهم من غير دعوة .

الغناء للغَرِيض ثانى ثقيل بالوُسطى عن عمرو بن يحيى المكىّ . قال : ومن الناس من ينسُبه إلى آبن سريج .

حبسه زبراء والى المدينة مع المغنين ثم أطلقه وأطلقهم

أخبرنى أحمد بن علىّ بن يحيى قال سمعت جدّى علىّ بن يحيى قال حدّثنى أحمد بن إبراهيم الكاتب قال حدّثنى خالد بن كلثوم قال :

٥ كنت مع زبراء بالمدينة وهو والٍ عليها، وهو من بنى هاشم أحد بنى ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب، فأمر بأصحاب الملاهى فحُبِسوا وحُبِس عطَرّد فيهم، فجلس ليَعْرِضَهم، وحضر رجالٌ من أهل المدينة شفَعوا لعطرّد، وأخبروه أنه من أهل الهيئة والمُروءة والنّعمة والدِّين، فدعا به فخلّى سبيلَه، وأمره برفع حوائجه إليه فدعا له، وخرج فإذا هو بالمغنّين أُحضِروا ليُعْرَضوا، فعاد إليه عطرّد، فقال : أصلح اللهُ ١٠ الأميرَ، أعلَى الغناء حبَستَ هؤلاء؟ قال : نعم، قال: فلا تَظْلِمهم، فوالله ما أحسنوا منه شيئا قط ! فضحِك وخلّى سبيلَهم .

استقدمه الوليد بن يزيد من المدينة فغناه فطرب وألقى نفسه فى بركة خمر

أخبرنى محمد بن مَزْيَد وجَحْظَةُ قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبى عن محمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيى عن عمّه أيوبَ بن إسماعيل قال :

١٥ لما آستُخلِف الوليدُ بن يزيدَ كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بالشخوص إليه بعطرّد المغنّى، قال عطرّدٌ : فأقرأنى العاملُ الكتابَ وزوّدنى نفقةً وأشخصنى إليه، فأُدخِلتُ عليه وهو جالسٌ فى قصره على شَفِير بِركةٍ مرصّصَةٍ مملوءةٍ خمرًا ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها سِباحةً، فوالله ما تركنى أُسلِّم عليه حتى قال :

أعَطَّرد؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين؛ قال : لقد كنتُ اليك مشتاقا يا أبا هارون.
غنّنى :

حىِّ الحُمُولَ بجانب العَـــزْلِ * إذ لا يُلائم شكلُها شـكلى
إنى بحبلكِ واصــلٌ حبلى * وبريش نَبْلكِ رائشٌ نبـلى
وشمائلى ما قــد علمتِ وما * نَبَحَتْ كلابُك طـارقًا مثلى

قال : فغنّيتُـه إيّاه ، فوالله ما أتممتُه حتى شـقّ حُلّةَ وَشْى كانت عليـه لا أدرى
كم قيمتها ، فتجرّد منها كما ولدته أمّه وألقاها نِصْفَيْن ، ورمى بنفسه فى البركة فنَهِل
منها حتى تبيّنتُ ــ عَلِم اللهُ ــ فيها أنها قد نقَصَت نُقْصانا بيّنا ، وأُخرِجَ منها وهو كالميّت
سُكرًا ، فأضجِعَ وغُطِّىَ ، فأخذتُ الحُلّةَ وقمتُ ، فوالله ما قال لى أحدٌ : دَعْها ولا خُذْها ،
فآنصرفتُ الى منزلى متعجّبا ممـا رأيتُ من ظَرْفه وفعله وطَرَبه ؛ فلما كان من غَدٍ
جاءنى رسوله فى مثل الوقت فأحضرنى ، فلمـا دخلتُ عليـه قال لى : يا عطّرد ،
قلت : لبّيك يا أمير المؤمنين ؛ قال غنّنى :

أيَذْهَبُ عمرى هكذا لم أَنَلْ بهـا * مَجَالسَ تَشفِى قَرْحَ قلبى من الوجدِ
وقالوا تَدَاوَ إنّ فى الطّبِّ راحةً * فعلّلتُ نفسى بالدواء فـلم يُجْـدِ

فغنّيتـه إيّاه ، فشـقّ حلّةَ وشْى كانت تَلْتَمِـع عليه بالذهب آحتقرتُ والله
الأُولى عندها ، ثم ألقى نفسَه فى البركة فنهِل فيها حتى تبيّنتُ ــ علم الله ــ نقصانَها ،
وأُخرِجَ [منها](1) كالميّت سـكرا ، وأُلقِىَ وغُطِّىَ فنام ، وأخذتُ الحـلّةَ فوالله ما قال لى
أحد : دعها ولا خذها ، وآنصرفتُ ؛ فلما كان اليوم الثالث جاءنى رسولُه فدخلتُ
اليه وهو فى بَهْوٍ قد أُلقيت سُـتُورُه ، فكلّمنى من وراء السـتور وقال : يا عطرّد ،

(١) الزيادة عن ء .

قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : كأنى بك الآن قد أتيتَ المدينةَ فقمتَ بى
فى مجلسها ومَحْفِلِها وقعدتَ وقلتَ : دعانى أمير المؤمنين فدخلتُ اليه فاقترح علىّ
فغنّيتُه وأطربتُه فشقّ ثيابَه وأخذتُ سَلَبَه وفعلَ وفعل ، واللهِ يابنَ الزانية ، لئن
تحرّكتْ شَفَتاك بشىء مما جرى فبلَغنى لأضرِبَنّ عنقك ، يا غلام أعْطه ألفَ دينار ،
٥ خُذْها وآنصرف الى المدينة ؛ فقلت : إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذَن لى فى تقبيل
يده ، ويزوّدَنى نظرةً منه وأُغنّيَهُ صوتا ! فقال : لا حاجة بى ولا بك الى ذلك ،
فانصرِفْ . قال عطرّد : فخرجتُ من عنده وما علم الله أنى ذكرتُ شيئا مما جرى
حتى مضت من دولة بنى هاشم مدّة .

نسبة هذين الصوتين

١٠ الصوت الأوّل مما غنّاه عطرّد الوليدَ قد نُسِب فى أوّل أخباره ، والثانى الذى
أوّله :

* أيذهبُ عمرى هكذا لم أَنَلْ بها *

الغناء فيه لعطرّد ثانى ثقيل بالسبّابة (1) فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه ليونس
من كتابه لحنٌ لم يَذكُر طريقتَه ، وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لإبراهيم ثانىَ ثقيلٍ
١٥ بالوسطى .

(1) ى ، أ ، م ، ء : « ثانى ثقيل بالوسطى » .

صـــوت

من المـائة المختـارة

إن امرأً تَعْتاده ذِكَرٌ(١) * منها ثلاثٌ مِنًى لَذو صَبرِ

ومواقفٌ بالمَشْعَرينِ(٢) لها * ومناظرُ الجَمَرات(٣) والنحرِ

وإفاضةُ الرُّكبان خَلْفَهُمُ * مثلَ الغَمام أَرَذَّ(٤) بالقَطْرِ

حتى استلمنَ الركن فى أُنُفٍ(٥) * من ليلهنّ يَطَأْن فى الأُزْرِ(٦)

يَقْعُدن فى التَّطواف آوِنةً * ويَطُفن أحيانا على فَتْرِ(٧)

فَفَرَغن من سَبْعٍ وقد جُهِدَتْ(٨) * أحشاؤهنّ موائلَ الخُمُرِ(٩)

الشعر للحارث بن خالد المخزومىّ، والغنـاء فى اللحن المختار للأَبْجَر، وإيقاعُه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مَجْرَى البِنصر فى الأوّل والثانى والسادس من الأبيات عن إسحاق . وفيه للغريض خفيفُ ثقيـل أوّل بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج فى الثالث والرابع رمَلٌ بالسبّابة فى مَجْرَى البنصر عن إسحاق .

---

(١) كذا فى ء ، أ ، م وفى باقى الأصول ذكرى . (٢) المشعر : موضع مناسك الحج .
(٣) الجمرات : الحصى الذى يرى به الحاجّ . (٤) أرذ : أمطر الرذاذ وهو المطر الضعيف .
(٥) الأنف : أوّل زمان مستقبل . (٦) الأزر : جمع إزار . (٧) الفتر : الضعف .
(٨) جهد (بضم الجيم على البناء للمفعول) : صار مجهودا . (٩) الخمر : جمع خمار وهو ما تغطى به المرأة رأسها .

أخبار الحارث بن خالد المَخْزومىّ ونسبه

نسبه من قبل أبويه

الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مَخْزوم ابن يَقَظَة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب . وأمّه فاطمةُ بنت أبى سعيد بن الحارث بن هشام، وأمُّها بنت أبى جهل بن هشام . وكان العاص بن هشام جَدَّ الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بَدْر فقتله أميرُ المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

قامر أبو لهب العاص بن هاشم على نفسه فاسترقه وأرسله بدله يوم بدر

حدّثنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنى مُصْعَب بن عبد الله قال :

قامر أبو لَهَب العاصَ بن هشام فى عَشْرٍ من الإبل فقَمَره[1] أبو لهب، ثم فى عشرٍ فقَمَره ، ثم فى عشرٍ فقَمَره ، ثم فى عشر فقَمَره ، ثم فى عشرٍ فقَمَره ، الى أن خلعه من ماله فلم يَبْقَ له شىءٌ ، فقال له : إنى أرى القِداحَ قد حالفتْك يابن عبد المطّلب فهلمّ أُقَامِرْك ، فأيُّنا قُمِرَ كان عبدًا لصاحبه ، قال : ٱفعل ، ففَعل . فقَمَره أبو لهب فكرِه أن يسترقّه فتَغْضَبَ بنو مخزوم، فمشى إليهم وقال : ٱفتَدُوه منّى بعشيرٍ من الإبل؛ فقالوا : لا والله ولا بوَبَرة ، فاسترقّه فكان يرعَى له إبلًا إلى أن خرج المشركون إلى بدر . وقال غيرُ مُصْعَب : فاسترقّه وأجلسه قَيْنًا[2] يعمل الحديدَ . فلما خرج المشركون الى بدر كان مَنْ لم يَخْرُج أَخرَج بديلا ، وكان أبو لهب عليلا فأخرجه وقعد، على أنه إن عاد اليه أعتقه، فقتله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ .

(١) قمره : غلبه فى المقامرة . (٢) القين : الحدّاد .

ذهابه مذهب ابن أبى ربيعة فى الغزل ، وحبه عائشة بنت طلحة وولايته مكة

والحارث بن خالد أحدُ شعراء قريش المعدودين الغَزِلِين، وكان يذهب مذهبَ عمر بن أبى ربيعة لا يتجاوز الغزل الى المديح ولا الهجاء ، وكان يهوَى عائشةَ بنت طلحةَ بن عبيد الله ويشبِّب بها، وولّاه عبدُ الملك بن مروان مكّةَ . وكان ذا قدْرٍ وخَطَرٍ ومنظَرٍ فى قريش، وأخوه عِكْرِمةُ بن خالد المخزومىّ محدِّثٌ جليلٌ من وجوه التابعين، قد روَى عن جماعة من الصحابة، وله أيضا أخٌ يقال له عبد الرحمن بن خالد، شاعرٌ، وهو الذى يقول :

رحَل الشبابُ وليتَه لم يَرْحَلِ * وغدا لِطِيَّة[1] ذاهبٍ مُتَحمِّلِ[2]
ولّى بلا ذمٍّ وغادر بعدَه * شيْئًا أقام مكانَه فى المنزلِ
ليت الشبابَ ثوَى لدينا حِقْبَةً * قبلَ المشيب وليته لم يَعْجَلِ
فنُصيبَ من لذّاته ونعيمه * كالعهد إذ هو فى الزمان الأوّلِ

وفيه غناء .

كان أبو عمرو ابن العلاء يرسل اليه أخاه معاذا يسأله عن بعض الحروف

حدّثنى هاشم بن محمد الخزاعىّ قال حدّثنا الرياشىّ قال حدّثنا الأصمعىّ قال :

قال مُعاذ بن العَلاء أخو أبى عمرو بن العلاء : كان أبو عمرو اذا لم يَحُجّ آستَبْضَعنى[3] الحروفَ[4] أسأل عنها الحارثَ بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الشاعر وآتيه بجوابها ؛ قال : فقَدِمتُ عليه سنةً من السنين وقد ولّاه عبدُ الملك آبن مروان مكّةَ ، فلما رآنى قال : يا مُعاذ ، هاتِ ما معك من بضائع أبى عمرو ، فجعلتُ أعجَب من آهتمامه بذلك وهو أمير .

---

(١) الطية : المتأى ، والقصد ، والنية التى تنوى . (٢) المتحمل : الراحل .
(٣) كذا فى الأصول ، ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا كاللسان والقاموس « استبضع » متعديا لمفعولين ، والموجود «استبضع الشىء» أى جعله بضاعته . والموجود متعديا من هذه المادة «أبضعنى» فإنه يقال : أبضعنى البضاعة أى أعطانى إياها . (٤) الحروف : الكلمات واحدها حرف .

هو أحد شعراء قريش الخمسة المشهورين

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار، وأخبرنى به الحسن ابن علىّ عن أحمد بن سعيد عن الزبير، ولفظُه أتمّ، قال حدّثنى محمد بن الضحّاك الحزامىّ قال :

كانت العرب تُفَضّل قريشا فى كلّ شىء إلا الشعر، فلما نَجَم فى قريش عمر ابن أبى ربيعة والحارث بن خالد المخزومىّ والعَرْجِىّ وأبو دَهْبَل وعبيد[1] الله بن قيس الرُّقَيّات[2]، أقرّت لها العربُ بالشعر أيضا .

تفاخر مولى له ومولى لابن أبى ربيعة بشعريهما

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهَيْثم وإسماعيل بن يونس وحَبيب بن نصر وأحمد ابن عبد العزيز قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى محمد بن يحيى أبو غسّان قال :

تفاخر مَوْلًى لعمر بن أبى ربيعة ومولًى للحارث بن خالد بشعرَيْهما، فقال مولَى الحارث لمولَى عمر : دعنى منك فإنّ مولاك والله لا يعرِف المنازلَ إذا قُلِبت ، يعنى قول الحارث :

إنى وما نَحَروا غداةَ مِنًى * عند الجمار تَؤُودها[3] العُقُلُ

لو بُدِّلتْ أعلى مَساكنِها[4] * سُفْلًا وأصبح سُفْلُها يَعْلُو

(١) كذا ورد هذا الاسم فى الأغانى فى ترجمته ج ٤ ص ١٥٥ طبع بولاق وشرح القاموس مادة «رق» وولاة مصر للكندى ص ٥٢ والموشح للرزبانى ص ١٥٠ ، ١٨٦ ، ٢٢١ وقد ورد فى جميع الأصول : «عبد الله» وورد كذلك فى نقائض جرير والفرزدق ص ٥٩٨ وقد ورد فى الطبرى قسم ٢ ص ٧٩٠ ، ٨١٢ ، ٨٢٨ ، ١١٧٣ باسم ابن قيس الرقيات فقط ، وذكر البغدادى فى الخزانة : أن لقيس ابنين عبيد الله وعبد الله واختلفوا فى الشاعر منهما ، فقال ابن قتيبة والمبرد فى الكامل : هو عبد الله المكبر، وقال المرزبانىّ فى معجمه : هو عبيد الله بالتصغير ، قال : ومن الرواة من يقول الشاعر عبد الله وهو خطأ .

(٢) ذكر البغدادى فى الخزانة فى ترجمته ج ٣ ص ٢٦٧ أنه يقال : الرقيات بالرفع على أنه صفة لعبد الله وبالجر على الإضافة لأنه قيل : إن فى جدّاته ثلاث نسوة يسمين بهذا الاسم أو أنهن زوجاته أو محبوباته .

(٣) كذا فى حـ ، ومعناه تثقلها . وفى سائر الأصول «تؤدها» من أدّه الأمر يؤدّه ويئدّه اذا دهاه . والعقل : جمع عقال ويجوز فى عين هذا الجمع التسكين كما هنا .

(٤) كذا فى حـ وفى باقى الأصول : «أعلام ساكنها» وهو تحريف .

فيكاد يعرفها الخبيرُ بها * فيردّه الإقواءُ[1] والمحلُ

لعرفتُ مَغناها بما احتملتْ * منّى الضلوعُ لأهلها قبلُ

— قال عمر بن شبّة : وحدّثنى محمد بن سلّام بهذا الخبر على نحوٍ ممّا ذكره أبو غسّان، وزاد فيه : — فقال مولَى ابنِ أبى ربيعة لمولَى الحارث : والله ما يُحسنُ مولاك فى شعرٍ إلا نُسِب الى مولاى .

قال ابن سلّام : وأنشد الحارثُ بن خالد عبدَ الله بن عمرَ هذه الأبيات كلّها حتى انتهى الى قوله :

لعرفتُ مغناها بما احتملتْ * منّى الضلوعُ لأهلها قبلُ

فقال له ابنُ عمر : قُلْ : إن شاء الله؛ قال : إذًا يُفْسِد بها الشعرُ يا عمّ ، فقال له : يابن أخى ، إنه لا خيرَ فى شىء يُفسِدُه "إن شاء الله". قال عمر: وحدّثنى هذه الحكايةَ إسحاق بن إبراهيم فى مخاطبته لابن عمر ولم يُسنِدْها إلى أحد، وأظنّه لم يَرْوِها إلا عن محمد بن سلّام . وأخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان عن أبى الفضل المَرْوَرُّوذِىّ عن إسحاق عن أبى عُبَيْدة، فذكر قصّة الحارث مع ابن عمر مثلَ الذى تقدّمه .

فضّله كثيّر الشاعر فى الشعر على نفسه وأنشد من شعره

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ قال حدّثنى أبو سَلَمَة الغِفَارىّ عن يحيى بن عُرْوة بن أُذَيْنَة عن أبيه قال :

كان كُثيِّر جالسا فى فتيةٍ من قريش إذ مرّ بهم سعيدُ الراس[2]، وكان مُغنّيا، فقالوا لكثيّر : يا أبا صخر، هل لك أن نُسمعك غناء هذا، فإنه مُجيد؟ قال: افعلوا؛ فدعَوا به فسألوه أن يغنّيهم :

(١) أقوت الدار إقواء : أقفرت، والمحل : الجدب . (٢) لم نوفق الى ضبط هذا الاسم، فلعله «الرأّس» بزان شداد وهو بائع الرءوس .

صــــوت

هَلَّا سألتَ معالِمَ الأطلالِ * بالجزع من حُرُضٍ[1] وهنّ بوالِي
سَقْيًا لعــزّة خُلّتى سَقْيا لهـا * إذ نحن بالهَضَبات من أملالِ[2]
إذ لا تكلّمنـا وكان كلامُها * نَفَــلًا[3] نؤمّله من الأنفالِ

٥ فغنّاه ، فطرِب كثيّر وأرتاح ، وطرِب القــومُ جميعا ، وأستحسنوا قولَ كثيّر ، وقالوا له : يا أبا صخرٍ مَا[4] يستطيع أحدٌ أن يقول مثل هذا ؛ فقال : بلى ، الحارث بن خالد حيث يقول :

صــــوت

١٠٢ / ٣

إنى وما نحروا غداةَ مِنًى * عند الجمار تَؤُودُها العُقُلُ
١٠ لو بُدِّلتْ أعلى مساكنها * سُفْلا وأصبح سُفْلُها يعلو
لعرَفتُ مَغناها بما آحتملتْ * منّى الضلوع لأهلها قَبْلُ

نسبة مافى هذه الأخبار من الأغانى فى أبيات كُثيّر الأوَل التى أولها * هلّا سألتَ مَعالِمَ الأطلالِ *

لآبن سُرَيج منها فى الثانى والثالث رمَلٌ مطلقٌ فى مجرى البنصر عن إسحاق .
١٥ وللغريض فى الأوّل والثانى ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ فى مجرى البنصر عنــه . وفيهما[5] لعلّويه

---

(١) حرض : وادٍ عند أحد . (٢) أملال ويقال له ملل : موضع على طريق المدينة الى مكة على ثمانية وعشرين ميلا من المدينة ؛ هكذا ذكره ياقوت فى معجمه واستشهد بهذا البيت من شعر كثيّر . (٣) النفل : الغنيمة والعطية . (٤) كذا فى جميع الأصول «ما يستطيع» بدون همزة الاستفهام ، ولكن الجواب بكلمة « بلى » يدل على أن القصد من الجملة الاســتفهام ، وهمزة الاستفهام مما يجوز حذفه
٢٠ (انظر المغنى لآبن هشام فى بحث الألف من الباب الأوّل) . ويحتمل أن يكون « ما يستطيع » نفيا محضا وأن التحريف فى «بلى» وأن أصلها «بل» الإضرابية . (٥) فى ب ، سـ ، م : «وفيها» .

رمَل بالوسطى عن عمرو . وفى أبيات الحارث بن خالد لإبراهيم الموصلى رمَل بالسبّابة فى مجْرى الوُسْطى عن إسحاق أيضا .

تمثل أشعب بشعره فى علو الزبيريين على العلويين

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا الخليل بن أسد عن العُمَرىّ عن الهيثم بن عَدىّ قال :

دخل أشْعَبُ مسجدَ النبى صلى الله عليه وسلّم فجعل يطوف الحِلَق[1]، فقيل له : ما تريد ؟ فقال : أَسْتَفْتى فى مسئلة ؛ فبينا هو كذلك إذ مرّ برجل من ولد الزبير وهو مُسْنَدٌ الى سارية[2] وبين يديه رجلٌ عَلَوىّ ، فخرج أشعب مبادرا ؛ فقال له الذى سأله عن دخوله وتَطْوافه : أَوَجدتَ من أفتاك فى مسئلتك ؟ قال : لا ، ولكنى علمتُ ما هو خير لى منها ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : وجدتُ المدينةَ قد صارت كما قال الحارث بن خالد :

قد بُدّلتْ أعْلَى مساكنها * سُفْلًا وأصبح سُفْلُها يعلو

رأيتُ رجلا من ولد الزبير جالسا فى الصدر ، ورجلا من ولد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه جالسا بين يديه ، فكفى هذا عَجَبا ، فآنصرفت .

كان مروانيا وكل بنى مخزوم زبيرية

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة ، وأخبرنى هذا الخبرَ إسماعيلُ بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غسّان ، وأخبرنى به محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو[3] عبد الله بن محمد بن حَفْص عن أبيه قال قال محمد بن خلف أخبرنى به

(١) الحلق : جمع حلقة وهى دائرة القوم وحلقتهم ؛ وهذا الجمع على النادر كهضبة وهضب .
(٢) السارية : العمود . (٣) كلمة « أبو » ساقطة فى حـ .

أبو أيوب سليمان بن أيوب المدنىّ[(١)] قال حدّثنا مُصْعَب الزُّبَيرىّ، وأخبرنى به أيضا الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى عمّى، وقد جمعتُ رواياتهم فى هذا الخبر:

أنّ بنى مَخْزوم كلّهم كانوا زُبَيْرِيّة سوى الحارث بن خالد فإنه كان مَرْوانيّا.

ذهب الى الشأم مع عبدالملك فجبه وجفاه فقال شعرا فقرّبه وولاه مكة

٥ فلما ولِى عبدُ الملك الخلافةَ عامَ الجماعة وفَد عليه فى دَيْن كان عليه وذلك فى سنة خمس وسبعين؛ وقال مُصْعَب فى خبره: بل حجّ عبدُ الملك فى تلك السنة فلما انصرف رحَل معه الحارثُ إلى دِمَشق، فظهرت له منه جَفْوة، وأقام ببابه شهرا لا يَصل إليه، فانصرف عنه وقال فيه:

صَحِبتُك إذ عَيْنى عليها غِشاوةٌ * فلما انجلَتْ قَطّعتُ نفسى ألومُها

١٠ ومابى وإن أَقصيْتَنى من ضَراعةٍ * ولا افتقرتْ نفسى إلى من يَضيمُها

هذا البيت فى رواية ابن المَرْزُبان وحده:

عَطَفتُ عليك النفسَ حتى كأنما * بكفّيْكَ بؤسى أو عليك نعيمُها

١٠٣/٣ وبلغ عبدَ الملك خبرُه وأُنْشِد الشعرَ، فأرسل اليه مَنْ ردّه من طريقه؛ فلما دخل عليه قال له: حارِ[(٢)]، أخبِرْنى عنك: هل رأيتَ عليك فى المُقام ببابى غَضاضةً

١٥ أو فى قصدى دناءةً؟ قال: لا والله ياأمير المؤمنين؛ قال: فما حَمَلك على ماقلتَ وفعلتَ؟ قال: جفوةٌ ظهرتْ لى، كنتُ[(٣)] حقيقًا بغير هذا؛ قال: فاخْتَرْ، فإن شئتَ أعطيتُك مائة ألف درهم، أو قضيتُ دَيْنَك، أو ولّيتُك مكّةَ سنةً؛ فولّاه إياها، فحجّ بالناس وحجّت عائشةُ بنت طَلْحة عامَئذ، وكان يهواها، فأرسلتْ إليه: أَخّر

عزله عبد الملك لأنه أخر الصلاة حتى تطوف عائشة بنت طلحة

(١) فى حـ: أبو أيوب.

٢٠ (٢) حار: ترخيم حارث. (٣) كذا فى الأصول ولعله «وكنت» بالواو.

الصلاةَ حتى أَفرُغَ من طَوافى ، فأمر المؤذِّنين فأخّروا الصلاةَ حتى فرَغتْ من طَوافها ، ثم أُقيمت الصلاةُ فصلّى بالناس ، وأنكر أهلُ المَوْسِم ذلك من فعله وأعظَموه ، فعزَله وكتب إليه يؤنّبه فيما فعل ؛ فقال : ما أهونَ واللهِ غضبَه إذا رَضِيَتْ ! والله لو لم تفرغ من طوافها إلى الليل لأخّرتُ الصلاةَ إلى الليل . فلمّا قضَتْ حَجَّها أرسَل إليها : يابنة عمّى أَلِمّى بنا أوعِدينا مجلسًا نتحدّث فيه ؛ فقالت : فى غَدٍ أفعلُ ذلك ، ثم رحلت من ليلتها ؛ فقال الحارث فيها :

صـــوت

ماضرّكم لو قلتمُ سَدَدًا * إنّ المطايا عاجِلٌ غَدُها
ولها علينا نِعمةٌ سَلَفتْ * لسنا على الأيام نجحدُها
لو تمّمتْ أسبابَ نعمتها * تمّت بذلك عندنا يدُها

لِمَعْبَد فى هذه الأبيات ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة ويونس ودَنَانيرَ ، وقد ذكره إسحاق فنسبه إلى ابن محرز ثقيلا أوّل فى أصوات قليلة الأشباه ؛ وقال عمرو بن بانة : من الناس من نسبه إلى الغريض .

نسبة ما فى الأخبار من الغناء

صـــوت

وما بى وإن أقصيتِنى من ضَراعة * ولا ٱفتقرتْ نفسى إلى من يُهينُها
بَلَى بأبى إنى إليــك لضَارعٌ * فقيرٌ ونفسى ذاك منها (١) يَزِينُها

(١) كذا فى ب ، س ، حـ ، وفى سائر الأصول : «منك» .

البيتُ الأوّل للحارث بن خالد، والثانى أُلحِق به . والغناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن ابن المكىّ . وذكر الهشامىّ أن لحن الغريض خفيفُ ثقيلٍ فى البيت الأوّل فقط، وحكى أن قافيته على ما كان الحارث قاله :

* ولا آفتقرت نفسى إلى من يَضيمها *

٥ وأن الثقيل الأوّل لعُلَيّة بنت المهدىّ، ومن غنائها البيتُ المضاف . وأَخْلِقْ بأن يكون الأمرُ على ما ذكره، لأن البيت الثانىَ ضعيفٌ يُشبه شعرَها .

تزوّج مصعب بعائشة و رحل بها الى العراق فقال الحارث شعرا

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر و إسماعيل بن يونس قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى أبو غسّان محمد بن يحيى قال :

لمّا تزوّج مُصْعَب بن الزبير عائشةَ بنت طلحة و رحل بها إلى العراق، قال

١٠ الحارث بن خالد فى ذلك :

صــــوت

ظعَن الأميرُ بأحسن الخَلْقِ * وغدا بلُبِّك مَطْلَعَ الشَّرْقِ

١٠٤/٣ فى البيت ذى الحسبِ الرفيع ومن * أهلِ التُّقَى والبرِّ والصِّدقِ

فظَلِلتُ كالمقهور مهجتُه * هذا الجنونُ وليس بالعِشْقِ

١٥ أُتْرُجّةٌ عَبِقَ العبيرُ بها * عَبَقَ الدِّهان بجانب الحُقِّ

ما صَبَّحتْ أحدًا برؤيتها * إلا غدا بكواكب الطَّلْقِ(١)

وهى أبيات، غنّى آبن مُحرِز فى البيتين الأوّلين خفيف رمَلٍ بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أن فيهما لمالك ثقيلا بالوسطى ، وذكر

(١) يقال : يوم طلق أى مشرق لا برد فيه ولا حرّ ولا شىء يؤذى ، ويقال أيضا : ليلة طلق وليلة طلقة . يريد : أن من تصبحه برؤيتها ، يرى الزمان صافيا طيبا سعيدا ، هاوّلا بطلعتها واستبشارا .

٢٠

حَبَش أن فيهما لمالك رملا بالوسطى ، وذكر حبش أيضا أن فيهما للدَّلَال ثانىَ ثقيل بالبنصر، ولابن سُرَيج ومالك رَمَلين، ولسعيد بن جابر هَزَجًا بالوسطى .

استأذن على عائشة بنت طلحة وكتب لها مع الغريض وأمره أن يغنى لها من شعره فوعدته وخرجت من مكة

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلّام عن ابن جُعْدُبَة قال :

لما أن قدمتْ عائشةُ بنتُ طلحة أرسل اليها الحارث بن خالد وهو أميرٌ على ٥ مكة : إنى أُريد السلامَ عليك ، فإذا خفّ عليك أذِنْتِ ، وكان الرسولُ الغريضَ، فقالت له : إنّا حُرُم ، فإذا أحلَلْنا أذِنّاك ، فلما أحَلّت سَرَتْ على بَغَلاتها ، ولحِقَها الغريضُ بعُسْفَان (١) أو قريبٍ منه، ومعه كتابُ الحارث إليها :

* ما ضَرّكم لو قلتُمُ سَدَدًا *

ـ الأبيات المذكورة ـ ؛ فلما قرأتِ الكتابَ قالت : ما يَدَعُ الحارث باطلَه ! ثم قالت ١٠ للغريض : هل أحدثْتَ شيئا ؟ قال : نعم، فاسمعى، ثم اندفع يغنّى فى هذا الشعر ؛ فقالت عائشة : والله ما قلنا إلا سَدَدا ، ولا أردنا إلا أن نشترىَ لسانَهُ ، وأتى على الشعر كلّه، فاستحسنته عائشة، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب ، وقالت : زِدْنى، فغنّاها فى قول الحارث بن خالد أيضا :

زَعَموا بأن البَيْنَ بعد غَدٍ * فالقلبُ مما أَحْدَثوا يَجِفُ ١٥
والعَيْنُ منذ أُجِدّ بَيْنُهُمُ * مثلَ الجُمانِ دموعُها تَكِفُ

(١) ذكر ياقوت فى معجمه عسفان فقال : قال أبو منصور : عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقال غيره : عسفان بين المسجدين وهى من مكة على مرحلتين ، وقيل : عسفان قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلا من مكة وهى حد تهامة .

ومقالها ودموعها سُجُــمٌ * أَقْلِلْ حنينَك حين تَنصرِفُ
تَشكو ونشكو ما أَشَتَّ بنا (١) * كلٌّ بوَشْــك البيْن مُعْتَرِفُ

— إيقاع هذا الصوت ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ فى مجرى الوسطى عن الهشامىّ، ولم يذكر له حمادٌ طريقا — قال: فقالت له عائشة: يا غريض، بحقّى عليك أهو أَمَرَكَ أن تغنّيَنى فى هذا الشعر؟ فقال: لا، وحياتِك يا سيدتى! فأمرت له بخمسة آلاف درهم، ثم قالت له: غَنِّنى فى شعرِ غيره؛ (٢) فغنّاها [قولَ عمر فيها] (٣):

غناها الغريض بشعر ابن أبى ربيعة

صــــوت

أجمعتْ خُلّتى مع الفجر بَيْنا (٤) * جَلّــل (٥) اللهُ ذلك الوجهَ زَيْنا
أجمعتْ بينَها ولم نَكُ منهــا * لذّةَ العيش والشبابِ قضَيْنا
فتولّتْ حُمُولُهــا وآستقلّتْ * لم تَنَلْ طائلًا ولم نُقْضَ دَيْنا
ولقــد قلتُ يومَ مكّةَ لمّــا * أرسلتْ تَقْرأ الســلامَ علينا
أنعم اللهُ بالرســول الذى أر * سلَ والمُرســلِ الرسالةَ عَيْنا (٦)

١٠٥/٣

— الشعرُ لعمر بن أبى ربيعة، والغناءُ للغريض خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق، وغيرُه ينسُبه الى آبن سريج . وفيه لمعبدٍ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى (٧) عن عمرو، وأظنه هذا اللحن — قال: فضحِكَتْ ثم قالت: وأنت يا غريض فأنعم اللهُ بك عينا، وبآبن أبى ربيعة عينا، لقد تلطّفتَ حتى أدّيتَ الينا رسالته، وإن وفاءك

(١) أشت بنا: فرّق أمرنا . (٢) فى أ، ء، م: «فى غير شعره» . (٣) الزيادة عن أ، ء . (٤) البين: الفراق . وأجمعت بينا: اعتزمته وصمّمت عليه . (٥) جلل: عمّ؛ ومنه المجلل: للسحاب الذى يجلل الأرض بالمطر أى يعمها . (٦) ورد هذا البيت فى اللسان ج ١٦ ص ٦٠ هكذا: أنعم الله بالرسول وبالمر * سل والحامل الرسالة عينا
والرسول فى هذه الرواية: اسم بمعنى الرسالة، وأصله مصدر وفعله مات . (٧) فى ء: «وفيه لمعبد خفيف ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن عمرو» .

له لمّا يَزيدنا رغبةً فيك وثقةً بك. وقد كان عمر سأل الغريض أن يغنّيها هذا الصوتَ لأنه قد كان ترك ذِكرها لمّا غضبت بنو تَيْم من ذلك، فلم يحبّ التصريحَ بها وكَرِه إغفالَ ذكرها؛ وقال له عمر: إن أبلغتَها هذه الأبيات فى غناء فلكَ خمسةُ آلاف درهم، فوفّى له بذلك، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى؛ ثم انصرف الغريضُ من عندها فلَقِى عاتِكةَ بنت يزيد بن معاوية آمرأةَ عبد الملك بن مروان، وكانت قد حجّت فى تلك السنة، فقال لها جَوَاريها: هذا الغريضُ؛ فقالت لهنّ: علىَّ به، فجِىء به إليها. قال الغريض: فلما دخلتُ سلّمتُ فردّت علىّ وسألتنى عن الخبر، فقصَصْتُه عليها؛ فقالت: غنّنى بما غنّيتَها به، ففعلتُ فلم أرها تَهَشّ لذلك، فغنّيتُها مُعرِّضًا لها ومذكِّرًا بنفسى فى شعر مُرّة بن مَحْكان السَّعْدىّ يُخاطب آمرأتَه وقد نزل به أضيافٌ:

غنى الغريض عاتكة بنت يزيد

أقولُ والضّيفُ مَخْشِىٌّ ذِمامَتُـه[1] * على الكريم وحقُّ الضيفِ قد وجَبا

صـــــوت

يا ربّةَ البيت قُومِى غيرَ صاغرةٍ * ضُمّى اليك رِحالَ القـوم والقُرَبا

فى ليـلةٍ من جُمَـادَى ذاتِ أنديةٍ[2] * لا يُبصر الكلبُ من ظَلْمائها الطُّنُبا

لا ينبَحُ الكلبُ فيهـا غيرَ واحدةٍ * حتى يَلُفّ على خَيْشـومه الذَّنَبـا

ــ الشعر لمُرّة بن مَحْكان السَّعْدىّ، والغناءُ لابن سريج. ذكر يونس أن فيه ثلاثةَ ألحان، فوجدتُ منها واحدا فى كتاب عمرو بن بانة رَمَلًا بالوسطى، والآخرَ فى كتاب

---

(١) الذمامة (بالفتح وتكسر): الذمة والعهد. (٢) أندية: جمع ندى (وزان فتى)، وهو ما يسقط بالليل، وهذا الجمع شاذ، لأن أفعلة إنما يكون جمعا لما كان ممدودا مثل كساء وأكسية. وقد تمحل بعضهم لتصحيح هذا الجمع أوجها لا تخلو من التعسف. (انظر اللسان مادة ندى).

الهشامىّ خفيف ثقيل بالوسطى ، والآخر ثانى ثقيل فى كتاب أحمد بن المكىّ —
قال : فقالت وهى متبسّمة : قد وجب حقّك يا غريض ، فغنّنى ، فغنّيتها :

صــــوت

يا دهرُ قد أكثرتَ فَجْعتنا * بسَراتنا ووَقَرْتَ فى العَظْم (١)

وسَلَبتنا ما لستَ مُخْلِفَه * يا دهرُ ما أنصفتَ فى الحُكْم

لو كان لى قِرْنٌ أُناضِله * ما طاش عند حَفِيظةٍ سَهْمى

لو كان يُعطِى النَّصْفَ (٢) قلتُ له * أحرزتَ سهمك فَآلْهُ عن سهمى (٣)

فقالت : نُعطِيك النَّصف ولا نُضيع سهمَك عندنا ، ونُجزِل لك قِسمك ، وأمرتْ لى بخمسة آلاف درهم وثيابٍ عَدَنيّة (٤) وغير ذلك من الألطاف ، وأتيتُ الحارثَ بن خالد فأخبرته الخبرَ وقصصتُ عليه القصّة ؛ فأمر لى بمثل ما أمرتا لى به جميعا ، فأتيتُ آبنَ أبى ربيعة وأعلمتُه بما جرى ، فأمر لى بمثل ذلك ، فما آنصرف واحد من ذلك المَوْسم بمثل ما انصرفتُ به : بنظرة من عائشة ونظرةٍ من عاتكة وهما من أجمل نساء عالَمِهما ، وبما أمرتا لى به ، وبالمنزلة عند الحارث وهو أمير مكّة ، وابنِ أبى ربيعة ، وما أجازانى به جميعا من المال .

لما حجت عائشة بنت طلحة استأذنها فى زيارتها فوعدته ثم هربت

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أبو الحسن المَرْوَزِىّ قال حدّثنا محمد بن سلّام عن يونس قال :

(١) وقر العظم : صدعه . (٢) النصف مثلثة : اسم بمعنى الانتصاف .
(٣) السهم : النصيب والحظ ، والسهم فى البيت الذى قبله : ما يرمى به وهو واحد النبل .
(٤) فى ا ، ء ، م : «عربيّة» .

لما حجّت عائشةُ بنتُ طَلْحةَ أرسل إليها الحارثُ بن خالد وهو أمير مكة : أنعم اللهُ بكِ عينا وحيّاكِ ، وقد أردتُ زيارتَك فكرهتُ ذلك إلّا عن أمرك ، فإن أَذِنْتِ فيها فعلتُ ، فقالت لمَوْلاة لها جَزْلة[1] : وما أَرُدّ على هـذا السفيه ؟ فقالت لها: أنا أكْفيك ، فخرجتْ الى الرسول وقالت له : اقرأ عليه السلامَ ، وقل له : وأنت أنعم الله بكَ عينا وحيّاك ، نَقْضى نُسُكَنا ثم يأتيك رسولُنا إن شاء الله ، ثم قالت لها : قُومى فطُوفى وآسْعَىْ وآقضى عُمْرتَكِ وآخرجى فى الليل ، ففعلتْ ، وأصبح الحارثُ فسأل عنها فأُخْبِر خبرَها ، فوجّه إليها رسولا بهذه الأبيات ، فوجَدها قد خرجتْ عن عمل مكّة ، فأوصل الكتابَ إليها ، فقالت لمولاتها : خُذيه فإنى أظنه بعض سَفاهاته ، فأخذته وقرأته وقالت له : ما قلنا إلا سَدَدا[2] وأنت فارغ للبَطالة[3] ، ونحن عن فَراغك فى شـــغل .

سألت عنه عائشة بنت طلحة فأرسل اليها شعرا

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ وحبيب ابن نصر المهلّبىّ وإسماعيل بن يونس الشِّيعىّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال : زعم كُلْثُوم بن أبى بكر بن عمر بن الضّحّاك بن قيس الفِهْرِىّ قال :

قدم المدينةَ قادمٌ من مكّة فدخل على عائشة بنت طلحة ، فقالت له : من أين أقبل الرجل؟ قال : من مكّة ، فقالت : ما فعل الأعرابىّ؟ فلم يَفْهَم ما أرادت ، فلما عاد الى مكّة دخل على الحارث ، فقال له : من أين ؟ قال : من المدينة ، قال : فهل دخلتَ على عائشة بنت طلحة ؟ قال : نعم ، قال : فعمّاذا سألتْك ؟

(١) الجزلة : العاقلة الأصيلة الرأى . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «سدادا» والسدد والسداد فى القول : أن يكون صوابا . (٣) البطالة (بفتح الباء) : اتباع اللهو .

قال : قالت لى : ما فعل الأعرابىّ؟ قال له الحارث : فَعُدْ اليها ولك هذه الراحلة والحُلّة ونَفَقَتك لطريقك وآدفع إليها هذه الرقعة، وكتب إليها فيها :

صـــوت

من كان يَسأل عنا أين منزِلُنا * فالأُقْحُوانَةُ[1] منا منزلٌ قَمَنُ[2]

إذ نلبَس العيشَ صفوًا ما يكدّره * طَعْنُ الوُشاة ولا ينبو بنا الزمنُ

قال إسحاق : وزادنى غيرُ كلثوم فيها :

ليت الهوى لم يقرّبنى إليك ولم * أَعْرِفْك إذ كان حظّى منكمُ الحَزَن

غنّى فى هذه الأبيات آبن مُحْرِز خفيفَ ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر يونس أن فيها لحنا ولم يُجنّسه ، وذكر عمرو أن فيه لبابُويَه ثانىَ ثقيل بالبنصر .

غضب على الغريض ثم رق له وغناه الغريض فى شعره

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلّام، قال :

لما ولّى عبدُ الملك بن مروان الحارثَ بن خالد المخزومىّ مكّةَ بعث الى الغريض فقال له : لا أرَيَنّكَ فى عملى[3]، وكان قبل ذلك يطلبه ويَستدعيه فلا يُجيبه، فخرج الغرِيضُ الى ناحية الطائف ، وبلغ ذلك الحارثَ فرقّ له فردّه وقال له : لِمَ كنتَ تُبغِضنا وتهجر شِعرَنا ولاتَقْرَبُنا؟ قال له الغريض : كانت هفوةٌ من هفوات

(١) الأقحوانة : موضع قرب مكة . قال الأصمعىّ : هى ما بين بئر ميمون الى بئر آبن هشام .

(٢) القمن (بالتحريك) : الخليق والجدير كالقمن (بكسر الميم) إلا أن الأوّل لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، لأنه مصدر وصف به بخلاف الثانى فإنه نعت، و يعدّى بالباء ومن، يقال : هو قمن به ومنه، وهذا المنزل لك موطن قمن أى جدير أن تسكنه . ويحتمل أن يكون «قمن» فى البيت بمعنى قريب .

(٣) فى عملى أى فى البلد الذى تحت حكمى .

النفس، ولخطرةٌ من خطَرات الشيطان، ومثلُك وهَب الذنبَ، وصفَح عن الجُرْم، وأقال العثْرةَ، وغَفر الزَّلّة ، ولستُ بعائدٍ الى ذلك أبدا؛ قال : وهل غنّيتَ فى شىء من شعرى ؟ قال : نعم، قد غنّيتُ فى ثلاثة أصوات من شعرك ، قال : هاتِ ما غنّيتَ، فغنّيتُ :

صـــوت

بان الخليطُ فما عاجوا ولا عَدَلوا * إذ ودّعوك وحنّت بالنوى الإبلُ[1]

كأن فهم غداةَ البَيْن إذ رَحَلوا * أَدْماءَ[2] طاع[3] لها الحَوْذانُ[4] والنَّفَلُ[5]

— الغناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشامىّ وحَبَش؛ قال حبَش : وفيه لابن سُرَيج خفيفُ رمَل بالبنصر، ولإسحاق ثانى ثقيل بالبنصر — فقال له : أحسنتَ والله ياغريض، هات ماغنّيت فيه أيضا من شعرى، فغنّاه فى قوله :

صـــوت

ياليت شعرى وكم من مُنْية قُدرتْ * وَفْقا وأُخرى أتى من دونها القَـدَرُ

ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْوِيه الضجيعُ له * طىَّ الحِمالة[6] لا جافٍ ولا قَفِـرُ[7]

له شَبِيهان[8] لا نَقْصٌ يَعيبهما * بحيث كانا ولا طُـولٌ ولا قِصَرُ

---

(١) فى أ : «وراحت بالدمى» . (٢) الأدماء : الظبية البيضاء يعلوها جُدَد فيها غبرة، وقيل هى البيضاء الخالصة البياض، وقيل : هى التى لونها كلون الجبال . (٣) يقال : طاع له المرتع : أى اتسع وأمكنه رعيه متى شاء . (٤) الحوذان : نبت سهلىّ حلو طيّب الطعم . (٥) النفل : نبت من أحرار البقول نوره أصفر طيّب الرائحة . (٦) الحمالة : علاقة السيف . (٧) القفر : الكسير الفقار، والفقار : ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العَجْب . (٨) كذا بالأصول، ولسنا على يقين من المعنى المراد .

— لم أَعْرِف لهذا الشعر لحنا فى شىء من الكتب ولا سمعتُه — فقال له الحارث: أحسنت والله يا غريض، إيه، وماذا أيضا؟ [١] فغنّاه قولَه :

عَفَتِ الديارُ فما بها أهلُ * حُزّانُها [٢] ودِماثُها [٣] السهلُ

إنى وما نحروا غداةَ مِنًى * عند الجمار تـؤودها العُقُلُ

٥ — الأبياتَ المذكورة وقد مضت نِسْبتُها معها — فقال له الحارث: ياغريضُ لا لومَ فى حبّك، ولا عذرَ فى هجرك، ولا لذّة لمن لا يروِّح قلبَه بك، ياغريض لو لم يكن لى فى ولايتى مكّةَ حظٌّ إلا أنتَ لكان حظّا كافيا وافيا، يا غريض إنما الدنيا زينة، فأَزْيَنُ الزينة ما فرّح [٤] النفسَ، ولقد فَهِم قَدْرَ الدنيا على حقيقته من فَهِم قَدْر الغناء.

أنشدت سكينة بنت الحسين بيتا من شعره فنقدته

أخبرنى الحسن بن علىّ عن أحمد بن زُهَير عن مُصْعَب الزُّبَيْرِىّ قال :

١٠ أُنشِدتْ سُكَيْنةُ بنت الحسين قولَ الحارث بن خالد :

ففرَغْن من سَبْع وقد جُهِدت * أحشاؤهن موائلَ الخُمُرِ

فقالت : أَحَسَنٌ عندكم ما قال ؟ قالوا : نعم، فقالت : وما حُسْنُه ! فوالله لو طافت الإبل سَبْعًا لجُهِدت أحشاؤها .

قيل له ما يمنعك من عائشة وقد مات زوجها فأجاب

أخبرنى الحسين عن حمّاد عن أبيه عن كلثوم بن أبى بكر قال :

١٥ لما مات عمر بن عبد الله التَّيْمِىّ عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مُصْعَب بن الزبير قيل للحارث بن خالد : ما يمنعك الآن منها ؟ قال : لا يتحدّث والله رجالٌ من قريش أنّ نَسِيبى بها كان لشىء من الباطل .

(١) فى الأصول : «وما ذلك أيضا» . (٢) حزّان — بضم الحاء وكسرها وتشديد الزاى — : جمع "حزيز" وهو موضع من الأرض كثرت حجارته وغلظت كأنها السكاكين، أو هو ما غلظ وصلب ٢٠ من جَلَد الأرض مع إشراف قليل؛ وفى قصيدة كعب بن زهير :

ترمى الغُيوبَ بعينَىْ مفرد لَهَقٍ * اذا توقدت الحُزّانُ والمِيلُ

(٣) الدمات : السهول من الأرض . (٤) فى ح : «فرّج» بالجيم .

تنازع هو وأبان ابن عثمان ولاية الحج فغلبه أبان فقال شعرا

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال حدّثنى عمّى عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابىّ قال :

لمـا خرج آبنُ الأشعث على عبد الملك بن مروان شُـغِل عن أن يولّىَ على الحجّ رجلا، وكان الحارثُ بن خالد عامِلَه على مكّة، فخرج أَبَانُ بن عثمان من المدينة وهو عامله عليها، فغدا على الحارث بمكّة لِيَحُجّ بالناس، فنازَعه الحارثُ وقال له : لم يأتنى كتابُ أمير المؤمنين بتَوْلِيتك على المَوْسِم ، وتغالَبا فغَلَبه أبانُ بن عثمان بنسبه ، ومال اليه الناسُ فحجّ بهم؛ فقال الحارث بن خالد فى ذلك :

فإن تَنْجُ منهـا يا أبانُ مسـلَّما ❊ فقد أفلت الحجّاجَ خيلُ شَبِيبِ

وكاد غَداةَ الدَّيرِ[1] يُنفِـذُ حِضْنَه ❊ غلامٌ بطعن القِرْن جِدُّ طَبِيبِ

وأنْسَوْه وصفَ الدَّيْر لمـا رآهُمُ ❊ وحسَّنَ خوفُ الموت كلَّ مَعِيبِ[2]

فَلَقِيَه الحجّـاجُ بعـد ذلك ، فقـال : مالى ولك يا حارث! أَيُنَازِعك أبانُ عملا فتذكرَنى! فقال له : ما آعتمدتُ مَساءَتك ولكن بلغنى أنك أنت كاتبتَـه، قال : والله ما فعلتُ، فقال له الحارث : المَعْذِرة إلى الله و إليك أبا محمد .

قال هشام حين سمع شيئا من شعره : هذا كلام معاين

نسختُ من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات[3]: حدّثنى عمرو بن سلم قال حدّثنى هارون بن موسى الفَرْوِىّ قال حدّثنى موسى بن جعفر أن يحيى قال حدّثنى مؤدِّب لبنى هشام بن عبد الملك قال :

(١) هو دير الجماجم، وفيه كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف وعبد الرحمن بن الأشعث .

(٢) كذا فى نسـخة الشنقيطى طبع بولاق مصححة بخطـه، وهو المناسب للسياق . وفى جميع الأصول «مغيب» بالغين المعجمة . (٣) كذا فى ب ، سـ ، وفى أ ، ء ، م : «عمر بن مسلم» .

بَيْنا أنا أُلقِى على ولد هشام شعرَ قريش إذ أنشدتُهم شعرَ الحارث بن خالد :

إن آمرأً تعتادُه ذِكَرٌ * منها ثلاثُ مِنًى لذو صَبْرِ

وهشامٌ مُصْغٍ إلىّ حتى ألقيتُ عليهم قولَه :

ففرَغْنَ من سَبْع وقد جُهِدتْ * أحشاؤهن موائلَ الخُمْرِ

٥ فآنصرف وهو يقول : هذا كلامٌ مُعَايِنٍ .

قدمت عائشة بنت طلحة تريد العمرة فقال شعرا

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أبو عبد الله السَّدُوسى قال وحدّثنا أبو حاتم السجستانى قال أخبرنا أبو عُبَيدة قال :

قدِمتْ عائشةُ بنت طلحة مكّةَ تريد العُمْرة ، فلم يزل الحارثُ يدور حولها وينظر إليها ولا يُمكنه كلامُها حتى خرجتْ ، فأنشأ يقول — وذكر فى هذه الأبيات

١٠ بُسْرةَ حاضِنَتَها وكَنَى عنها — :

صــــوت

يا دارُ أقفَــرَ رسمُها * بين المُحَصَّبِ[1] والحَجُونِ[2]

أَقْوَتْ وغــيَّرَ آيَها * مَرُّ الحوادث والسّنِين

وآستبدلوا ظَلَفَ[3] الحِجا * زوسُرّةَ[4] البلد الأمين

١٥ يا بُسْــرُ إنّى فآعلمى * بالله مجتهــدًا يَمِينِى

ما إن صَرَمتُ حبالَكم * فَصِلِي حبالى أو ذَرِينى

(١) المحصب : موضع فيما بين مكة ومنى وهو الى منى أقرب . (٢) الحجون . جبل بأعلى مكة ، وقال السكرى : مكان من البيت على ميل ونصف ميل (انظر معجم البلدان لياقوت فى اسم الحجون) .

(٣) الظلف : ما لان من الأرض ، وقيل : ما صلب وغلظ منها ، وفى ذلك أقوال كثيرة ، (انظر

٢٠ اللسان مادة «ظلف») . (٤) سرّة البلد : وسطه .

فى هذه الأبيات ثانى ثقيل لمالك بالبنصر عن الهشامىّ وحَبَش، قال : وفيها لابن مِسْجَح ثقيلٌ أول ، وذكر أحمد بن المكىّ أن فيها لابن سريج رملًا بالبنصر، فيها لمعبد ثقيلٌ أول بالوسطى عن حَبَش .

شبب بزوجته أم عبد الملك

أخبرنى الطُّوسىّ والحَرَمىّ بن أبى العلاء قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى مُصْعَب بن عثمان بن مُصْعب بن عُرْوة بن الزُّبَيْر، وأخبرنى به محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان عن أحمد بن زُهَيْر عن مُصْعَب الزُّبَيْرىّ قال : ٥

كانت أُمّ عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أَسِيد عند الحارث بن خالد، فولدتْ منه فاطمةَ بنت الحارث، وكانت قَبْلَه عند عبد الله بن مُطيع، فولدت منه عِمْرانَ ومحمدا، فقال فيها الحارث وكنّاها بابنها عمران :

يا أُمَّ عِمْرانَ ما زالت وما بَرِحت * بِىَ الصبابةُ حتى شفّنى الشَّفَقُ(1) ١٠

القلبُ تاقَ إليكم كى يُلاقيَكم * كما يتوقُ إلى مَنْجاته الغَرِقُ ١٠٩ / ٣

تُنيل نَزْرا قليلا وهى مُشْفِقةٌ * كما يخاف مَسِيسَ الحيّة الفَرِقُ(2)

قال مصعب بن عثمان : فأنشد رجل يوما بحضرة ابنها عمران بن عبد الله بن مُطيع هذا الشعرَ، ثم فطِن فأمسك، فقال له : لا عليك، فإنها كانت زوجتَه . وقال ابنُ المرزُبان فى خبره : فقال له : امض رحمك الله وما بأس بذلك، رجلٌ تزوّج(3) بنت عمّه وكان لها كفئًا كريما فقال فيها شعرا بلغ ما بلغ، فكان ماذا ! . ١٥

(١) الشفق : رقة من حب تؤدّى الى خوف . (٢) الفرق : بكسر الراء ككتف وبضمها كرجل : الشديد الفزع، وقيل يقال : رجل فرق (بكسر الراء) اذا فزع من الشىء وليس من جبلته، ورجل فرق (بضمها) اذا فزع وكان منه الفزع جبلة . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «متزوّج» . ٢٠

شبّب بأم بكر بعد أن رآها ترمي الجمرة وحادثها

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثني أحمد بن عبد الرحمن التَّيميّ عن أبي شُعَيب الأسديّ عن القَحْذَميّ قال :

بينا الحارث بن خالد واقف على جَمْرة العَقَبة إذ رأى أمَّ بكر وهي ترمي الجَمْرة فرأى أحسنَ الناس وجها ، وكان في خدها خالٌ ظاهر ، فسأل عنها فأُخْبِر بآسمها حتى عرَف رَحْلَها ، ثم أرسل إليها يسألها أن تأذَن له في الحديث ، فأذنت له ، فكان يأتيها يتحدّث اليها حتى آنقضت أيامُ الحجّ ، فأرادت الخروجَ إلى بلدها . فقال فيها :

ألا قُل لذاتِ الخال ياصاحِ في الخدّ * تدوم إذا بانت على أحسن العَهْدِ
ومنها علاماتٌ بمجرى وِشاحها * وأخرى تَزِين الجِيدَ من مَوْضِع العِقْدِ
وترعَى من الوُدّ الذى كان بيننا * فما يَستوى راعى الأمانة والمُبْدى
وقل قد وعدتِ اليوم وعدًا فأنجزى * ولا تُخْلِفى، لا خيرَ فى مُخْلِف الوعدِ
وجُودى علىّ اليومَ منك بنائل * ولا تَبْخَلى ، قُدِّمتُ قَبْلَك فى اللّحدِ
فمن ذا الذى يُبدى السرورَ إذا دنت * بك الدارُ أو يُعْنَى بنأيكمُ بعدى
دنوّكُمُ منّا رخاءٌ نناله * ونأيُكُمُ والبعدُ جَهْدٌ على جَهدِ
كثيرٌ إذا تدنو آغتباطى بك النوى * ووجدى اذا ما بِنْتُمُ ليس كالوجدِ
أقول ودمعى فوق خدّى مُخَضِّل[1] * له وَشَلٌ[2] قد بَلَّ تَهْتَانُه خدّى
لقد منح اللهُ البخيلةَ وُدَّنا * وما مُنِحتْ ودّى بدعوى ولا قَصْدِ

شبب بليلى بنت أبي مرّة لما رآها بالكعبة

أخبرني محمد بن خلف قال وحُدِّثت عن المدائنيّ ولست أحفظ من حدّثني به قال :

(١) مخضِّل : مندٍّ . (٢) الوشل : الماء الكثير أو القليل فهو من أسماء الأضداد ، والمراد به هنا الكثير .

طافت ليلى بنت أبى مرّة بن عُروة بن مسعود وأمّها ميمونة بنت أبى سفيان ابن حرب بالكعبة، فرآها الحارث بن خالد فقال فيها :

أطافت بنا شمسُ النهار ومَنْ رأى * من الناس شمسًا بالعشاء تطوفُ
أبو أُمّها أوفَى قريشٍ بذمّةٍ * وأعمامُها إمّا سألتَ ثَقيفُ

وفيها يقول :

أَمِن طَلَلٍ بالجِزْع من مكّة السِّدرِ[1] * عفا بين أكناف المُشَقَّرِ[2] فالحَضْرِ[3]
ظَللتَ وظَلَّ القوم من غير حاجةٍ * لَدُنْ غُدوةٍ[4] حتى دنتْ حَزّةُ[5] العَصْرِ
يُبَكُّون من ليلَى عهودًا قديمةً * وماذا يُبكِّى القومُ من منزلٍ قَفْرِ

الغناءُ فى هذه الأبيات لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالخنصر والبنصر عن يحيى المكىّ. وذكر غيرُه أنه للغَريض . وفى ليلى هذه يقول — أنشدَناه وكيعٌ عن عبد الله بن شَبيب عن إبراهيم بن المُنْذِر الحِزامىّ للحارث بن خالد، وفى بعض الأبيات غناءٌ — :

صـــوت

لقد أرسلتْ فى السرّ ليلَى تلومنى * وتزعُمنى ذا مَلّةٍ طَرِفًا[6] جَلْدا
وقد أخلفتْنا كلَّ ما وعَدتْ به * وواللهِ ما أخلفتُها عامدًا وعْدا

(١) كذا فى جميع النسخ، ولم يظهر لنا وجه لإضافة مكّة الى السدر اللهم إلا أن يراد أنها تنبته، على أنه ذكر فى ياقوت فى الكلام على مكّة : «إنه ليس بها شجر مثمر إلا شجر البادية فإذا جزت الحرم فهناك عيون وآبار وحوائط وأودية ذات خضر ومزارع ونخيل، وأما الحرم فليس به شجر مثمر إلا نخيل يسيرة متفرقة». ويجوز أن تكون محرّفة عن كلمة «أيكة» . (٢) المشقر، كما فى معجم ما استعجم للبكرى : سوق الطائف، وذكر أن الأخفش روى بيت أبى ذؤيب الهذلىّ :

حتى كأنى للحوادث مروة * بصفا المشرق كل يوم تقرع

«بصفا المشقر» ، وقد روى بيت أبى ذؤيب هذا بهذه الرواية (فى كتاب المنتق فى أخبار أم القرى طبع أوربا ص ٣) . (٣) الحضر : المراد به فى هذا البيت : موضع بين مكّة والمدينة وهو المذكور فى شعر بعض الهذليين : أياليت شعرى هل تغير بعدنا * أروم وآرام وشابة والحضر

(٤) لدن من الظروف التى تجر ما بعدها، وقد سمع نصب غدوة بعدها وهو نادر. (٥) الحزة : الساعة والحين، قال ساعدة بن العجلان : ورميت فوق ملاءة محبوكة * وأبنت للأشهاد حَزّة أدعى

(٦) الطرف : من لا يثبت على صاحب .

فقلتُ مُجيبا للرسول الذى أتى * تُرَاه، لكَ الوَيْلاتُ، من قولها جِدّا؟
إذا جئتَها فاقْرَ السلامَ وقُل لها * دَعِى الجَوْرَ ليلَى واسلُكى مَنْهَجًا قَصْدا
أفى مُكْثِنا عنكم ليالٍ مَرِضتُها * تَزِيدِيننى ليلَى على مَرَضى جَهْدا
تَعُدِّين ذنبًا واحدًا ما جنيتُه * علىّ وما أُحصِى ذنوبَكمُ عَدّا
فإن شئتِ حرّمتُ النساءَ سِواكُمُ * وإن شئتِ لم أَطْعَم نُقَاخا[1] ولا بَرْدا
وإن شئتِ غُرْنا[2] بعدكم ثم لم نزَل * بمكّةَ حتى تَجْلِسى[3] قابِلًا نَجْدا

الغناءُ للغَرِيض ثانى ثقيل بالسبّابة فى مجرى الوسطى. وذكر ٱبنُ المكّىّ أن فيه لدَحْمانَ ثانىَ ثقيل بالوسطى لا أدرى أهذا أم غيرُه. وفيه ثقيلٌ أوّلُ[4] للأَبْجَر عن يونس والهِشامىّ. وفيه لابن سُرَيج رمَل بالبِنصر. ولعَرار خفيفُ ثقيلٍ عن الهشامىّ وحَبَش.

غلبه أبان بن عثمان على الصلاة فقال فيه شعرا عرّض فيه بالحجاج

أخبرنى محمد بن خَلَف قال أخبرنى محمد بن الحارث الخَرّاز قال حدّثنا أبو الحسن المدائنىّ قال:

كان الحارث بن خالد واليًا على مكّة. وكان أَبان بن عثمان ربما جاءه كتابُ الخليفة أن يُصَلِّىَ بالناس ويُقيمَ لهم حجّهم، فتأخّر عنه فى سنة الحرب كتابُه ولم يأتِ الحارثَ كتابٌ، فلما حضر المَوْسِمُ شخَص أبَان من المدينة، فصلّى بالناس وعاونَتْه بنو أميّة ومَوَاليهم فغلَب الحارث على الصلاة، فقال:

---

(١) النقاخ: الماء البارد العذب الصافى الخالص الذى يكاد ينقخ — أى يكسر — الفؤاد ببرده، هكذا ذكره صاحب اللسان واستشهد له بهذا البيت ونسبه الى العرجىّ، وفسر البرد فى قوله: «ولا بردا» بالريق. (٢) غار الرجل: أتى الغور. (٣) جلس الرجل: أتى نجدا، ومنه قول القائل:

قُل للفرزدق والسفاهة كاسمها * إن كنت تاركَ ما أمرتكَ فاجلِسِ

(٤) فى الأصول: «وقيل ثقيل أوّل».

فإن تَنْجُ منها يا أبانُ مسلَّماً * فقد أفلتَ الحجّاجَ خيلُ شَبيبِ

فبلغَ ذلك الحجّاجَ فقال : مالى وللحارث! أيغلبه أبان بنُ عثمان على الصلاة ويهتف بى أنا ! ما ذِكْرُه إيّاى ! فقال له عُبَيْد بن مَوْهَب : أتأذن أيها الأمير فى إجابته وهجائه؟ قال : نعم؛ فقال عبيد :

أبا وابِصٍ رَكِّب عَلاتَك[1] والْتَمِس * مَكاسِبَها إنّ اللئيم كَسوبُ

ولا تَذْكُرِ الحجّاجَ إلا بصالحٍ * فقد عِشْتَ من معروفه بذَنُوبِ[2]

ولستَ بوالٍ ما حيِيتَ إمارةً * لِمُسْتَخْلَفٍ إلا عليك رقيبُ

سأله عبد الملك عن أىّ البلاد أحب إليه فأجاب وقال شعرا

قال المدائنىّ: وبلغنى أن عبد الملك قال للحارث : أىّ البلاد أحبّ إليك؟ قال : ما حَسُنَتْ فيه حالى وعَرُض وجهى، ثم قال :

لا كُوفةٌ أُمّى ولا بَصْرةٌ أبى * ولستُ كمن يَثنيه عن وجهه الكَسْلُ[3]

الغناء فى شعره

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

منها فى تشبيب الحارث بآمرأته أمّ عِمْران :

صــــوت

بانَ الخَليطُ الذى كنّا به نَثِقُ * بانوا وقلبُك مجنونٌ بهم عَلِقُ

تُنيــل نَزْرًا قليلا وهى مُشْفِقةٌ * كما يَخاف مَسِيسَ الحيّة الفَرِقُ

يا أمّ عِمرانَ ما زالتْ وما بَرِحت * بىَ الصَّبابةُ حتى شَفَّنى الشَّفَقُ

(١) العلاة فى الأصل : الزبرة التى يضرب عليها الحداد الحديد ، وتطلق أيضا على الناقة تشبيها لها بالزبرة فى صلابتها . (٢) الذنوب : الحظ والنصيب ، وفى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ . (٣) دخل على هذا البيت الخرم وهو سقوط حركة من أوّله .

لا أعتَق اللهُ رِقّى من صبابتكم * ما ضَرّنى أننى صَبٌّ بكم قَلِقُ

ضحكتِ عن مُرْهَفِ الأنياب ذى أُشُرٍ (١) * لا قَضَمٌ (٢) فى ثناياه ولا رَوَقُ (٣)

يتوقُ قلبى إليكم كى يلاقيَكم * كما يتوق الى مَنْجاته الفَرِقُ

غنّى ابنُ محرز فى الثالث ثم السادس ثم الخامس ثم الثانى ، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، وللغريض فى الرابع والثانى والثالث والسادس خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو، وإسلْسَل فى الأوّل والثانى ثقيلٌ أوّل مطلق عن الهشامىّ، ولابن سُرَيْج فى الثانى والأوّل والرابع والخامس رمَل بالخنصر فى مجرى البِنْصر عن إسحاق ، وللهُذَلىّ فى الثانى ثم الأوّل هَزَج عن الهشامىّ . وذكر حَبَش أن فيها لابن سريج ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى ، ولابن مُحْرِز ثانىَ ثقيل آخر بالبنصر . وذكر الهشامىّ أن لابن سُرَيج فى الأبيات خفيفَ رمل .

ومما يغنّى فيه من شعر الحارث بن خالد فى عائشة بنت طلحة تصريحًا وتعريضًا بِبُسْرةَ جاريتها :

صوت

يا رَبْعَ بُسْرةَ بالجناب تكلّمِ * وأَبِنْ لنا خبرًا ولا تستعجِمِ

مالى رأيتُك بعد أهلك مُوحِشًا * خَلَقًا كحَوْض الباقر (٤) المتهدِّمِ

---

(١) الأشر: حدّة ورقة تكون فى الأسنان . (٢) كذا فى م ، ح . والقضم (بفتحتين) : انصداع فى السن وقيل : تثلم وتكسر فى أطراف الأسنان، وفى ء : «لا قصم» بالصاد المهملة والقصم (بفتحتين) : انشقاق السن عرضا ، يقال : قصمت سنه قصما أى انشقت عرضا ، ورجل أقصم الثنايا اذا كان متكسرها من النصف ، وفى ب ، س : «مقضم» وهو مصدر ميمىّ من قضمت الأسنان أى تكسرت وتفللت . وفى هذا الشطر « الطىّ » وهو هنا ذهاب الرابع الساكن من « مستفعلن » الأولى .

(٣) الروق : أن تطول الثنايا العليا على السفلى ، وهو عيب فى الأسنان . (٤) الباقر : جماعة البقر .

تَسْبِى الضجيعَ إذا النجومُ تغوّرت * طوعُ الضجيع أنيقــةُ المتوسَّمِ
قُبُّ[1] البطون أوانسٌ مثــلُ الدُّمَى * يَخْلِطن ذاك بعِفّــةٍ وتكرُّمِ

الغناء لمعبدٍ خفيفُ رمَلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . والأبيـاتُ أكثر من هذه إلا أنى آعتمدتُ على ما غُنِّىَ فيه .

ومنها صوتٌ قد جُمعتْ فيه عدّةُ طرائقَ وأصوات فى أبياتٍ من القصيدة :
أعَرفتَ أطلالَ الرُّســومِ تنكّرتْ * بعــدى وبُدِّلَ آيهُنّ دُثُورا[2]
وتبدّلتْ بعــد الأنيس بأهلهـا * عُفْــرًا[3] بواغِمَ[4] يرتَعِـين وعُــورا
من كلّ مُصْبِيةِ الحديثِ ترى لها * كَفَلًا كرابيــةِ الكَثِيب وَثِيرا
دَعْ ذا ولكن هــل رأيتَ ظَعائنًا * قَرَّبْن أجْمــالا لهنّ بُكُورا
قَــرَبْنَ كلّ مُخَيَّسٍ[5] مُتَحَمِّلٍ[6] * بُزُلًا[7] تُشَــبَّه هامُهنّ قُبُــورا
يَفْتِنّ لا يألُون كلَّ مُغَفَّــلٍ * يمــلأنه بحــديثهنّ ســرورا
يا دارُ حسَّرها[8] البــلى تحسِيرا * وسَفَتْ عليها الريحُ بعــدك بُورا
دَقَّ الــترابُ نَخِيــلُه فخشَّنه * بِعِــراصها ومُسَــيَّرٌ تَسْــيِيرا
يا رَبْعَ بُسْرة إن أضرّ بك البِلَى * فلقــد عهِــدتُكَ آهلا معمــورا

(١) القبّ : جمع قبّاء وهى الدقيقة الخصر الضامرة البطن . (٢) دثر الرسم دثورا : درس وبلى . (٣) العفر جمع عفراء وهى من الظباء التى يعلو بياضها حمرة . (٤) يقال : بغمت الظبية بغوما وبغمت بغاما : صاحت الى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها فهى باغمة وبغوم . (٥) المخيس : المذلل . (٦) كذا فى حـ ، وفى سائر النسخ : « متجمل » بالجيم . (٧) البزل : جمع بازل وهو البعير الذى فطر نابه بدخوله فى السنة التاسعة . (٨) حسرها : أضرّ بها وأذهب بهجتها .

عَقَبَ الرَّذاذُ خِلافَهم[1] فكأنَّما ٭ بَسَطَ الشَّواطِبُ[2] بينهنَّ حصيرا

إنْ يُمسِ حبلُكِ بعد طولِ تواصُلٍ ٭ خَلَقًا ويُصبحْ بيتُكم[3] مهجورا

فلقد أرانى، والجديدُ الى بِلًى، ٭ زمنًا بوصلكِ قانعا مسرورا

جَذلا بما لى عندكم لا أبتغى ٭ للنفس غيرَكِ خُلّةً وعشيرا

٥ كنتِ المُنَى وأعزَّ مَنْ وطِئَ الحصا ٭ عندى وكنتُ بذاكِ منكِ جديرا

غنَّى فى الأوّل والثانى من هذه الأبيات معبد، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو، مطلقٌ فى مجرَى الوسطَى عن إسحاق، وللغريض فيه[4] ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو، ولإسحاق فيهما ثانى ثقيل، ولإبراهيم فيهما وفى الثالث خفيفُ ثقيل بالسبابة والوسطَى عن آبنِ المكّىّ، وغنَّى الغريضُ فى الثالث والسادس والرابع والخامس ثانى ١٠ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق، وغنَّى معبدٌ فى السابع والثامن والعاشر خفيفَ ثقيلٍ بالسبّابة والوسطَى عن يحيى المكّىّ، وفيها ثانى ثقيل يُذهَبُ الى طُوَيْس وآبن مِسْجَح وآبن سُرَيج، ولمالك فى التاسع والعاشر والحادى عشَر والثانى عشَر خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة والوسطى عن يحيى المكىّ، وفيها بأعيانها

---

(١) كذا ورد فى اللسان فى مادّة «عقب» ومادّة «حلف» غير أنه ورد فى مادّة «حلف» ١٥ هكذا: «عقب الربيع» فذكر «الربيع» بدل «الرذاذ». وفى الأصول: «عفت الرذاذ خلافه». فالظاهر أن كلمة «عفت» محرّفة عن «عقب» و«خلافه» محرّفة عن «خلافهم». وخلافهم: بعدهم. وفى اللسان أيضا «نشط» بدل «بسط». (٢) الشواطب: جمع شاطبة، والشاطبة من النساء: التى تشق الجريد لتعمل منه الحصير، قال مالك بن خالد:

اذا أدركوهم يلحفون سراتهم ٭ بضرب كما جدّ الحصيرَ الشواطب

٢٠ (٣) كذا فى الأصول والبين: الصلة والقرابة، ويحتمل أيضا أن يكون «بينكم» بالنصب.
(٤) كذا فى جميع النسخ، والمناسب للسياق «فيهما» بالتثنية كما هو ظاهر.

لابن سُرَيج رملٌ بالسبّابة والوسطى عن يحيى أيضا، وليحيى المكّىّ فى الحادى عشر وما بعده الى آخر الأبيات ثانى ثقيل، ولإبراهيم فيها بعينها ثقيلٌ أوّل عن الهشامىّ، وفيها لإسحاق رَمَلٌ، وفى الثالث والرابع لحنٌ لحُلَيْدَةَ المكّيّة خفيفُ رملٍ عن الهشامىّ أيضـا .

ومنهـا من أبيات قالها بالشأم عند عبد الملك أوّلها :

هل تعرفُ الدارَ أضحت آيُها عُجُمَا * كالرَّقِّ(١) أجرى عليها حاذقٌ قَلَمَـا
بالخَيف هاجت شؤونًا(٢) غيرَ جامدةٍ * فانهلّت العينُ تُذْرِى واكفا سَجِما
دارٌ لبُسْـرَةَ أمست ما تُكلّمنا * وقد أبنتُ لهـا لو تعرِفُ الكَلِما
واهًا لبُسرةَ لو يدنو الأمـيرُ بهـا * ياليت بُسرةَ قد أمست لنا أَمَمَـا(٣)

صـــــوت

حلّتْ بمـــكّةَ لادارٌ مُصاقِبَـة(٤) * هيهات جَيْرونُ(٥) ممّن يسكن الحَرَما
يا بُسْرَ إنكمُ شَـــطَّ البِعادُ بكم * فـا تُنيلوننا وصـــلا ولا نِعَما

غنّى فى هذين البيتين الهذلىّ ثانىَ ثقيـلٍ بالوسطى، وفيهما ليحيى المكّىّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر، جميعا من روايته :

قد قُلتُ بالخَيف إذ قالت لجارتها * أدامَ وصلُ الذى أهدى لنا الكَلِما

(١) الرقّ : الصحيفة البيضاء، وهو أيضا جلد رقيق يكتب فيه . (٢) الشؤون : الدموع .
(٣) أمما : قريبة . (٤) مصاقبة : مقاربة . (٥) جيرون : بناء عند باب دمشق يقال : إن الجن بنته فى عهد سليمان بن داود، وهو سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحوله مدينة تطيف به، وذكروا أن اسم الشيطان الذى بناه « جيرون » فسمى به . وقيـل : إن أوّل من بنى دمشق جيرون ابن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح وبه سمى "باب جيرون" وسميت المدينـة "إرم ذات العماد" وفى ذلك أقوال كثيرة غير هذه . (راجع معجم البلدان لياقوت فى اسم «جيرون») .

صـــوت

لا يُرغِمُ اللهُ أنفًا أنت حامـــلُه * بل أنفُ شانيك فيما سرّكم رَغِما
إن كان رابَك شيءٌ لستُ أعلمه (١) * منّى فهـذى يمينى بالرضا سَلَمَا
أو كنتُ أحببتُ شيئا مثل حُبِّكُمُ * فـلا أرحتُ إذًا أهلا ولا نَعَمَا
لا تَكِلينى إلى من ليس يرحمُنى (٢) * وقاكِ مَنْ تُبْغِضين الحتفَ والسَّقَما
إن الوُشاةَ كثيرٌ إن أطعتِهِمُ * لا يرقُبـون بنـا إلًّا (٣) ولا ذِمَمَـا

غنّى ابن مُحرِز فى :

* لا يُرغِمُ اللهُ أنفـا أنت حامِلُه *

خفيفَ ثقيل بالبنصر، ولابن مِسجَح فيه ثانى ثقيلٍ عن حَبَش (٤)؛ وفى :

* لا تكلينى الى من ليس يرحمنى *

لابن محرز ثقيل أوّل بالبنصر عن حبَش والهشامىّ .

أخر الصلاة لعائشة بنت طلحة فعزله عبد الملك ولامه فقال شعرا

أخبرنى محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيرىّ قال :

أذّن المؤذّنُ يوما وخرج الحارثُ بن خالد الى الصلاة، فأرسلتْ اليه عائشةُ ابنةُ طلحةَ : إنه بقِىَ علىَّ شىءٌ من طوافى لم أُتِمَّه، فقعد وأمرَ المؤذّنين فكفّوا عن الإقامة وجعل الناسُ يَصيحون حتى فرغَتْ من طَوافها، فبلغ ذلك عبدَ الملك بن مروان، فعزله وولّى مكّةَ عبدَ الرحمن بن عبدِ الله بن خالد بن أَسِيد ، وكتب الى الحارث :

(١) السَّلَم : الاسم من التسليم . (٢) فى هـذا البيت « الطىّ » وهو هنا حذف الرابع الساكن من « مستفعلن » الأولى . (٣) الإلّ : العهد . (٤) فى ب ، سـ : « خفيف ثقيل رمل بالبنصر » .

ويلَكَ، أتركت الصلاةَ لعائشةَ بنتِ طلحة! فقال الحارث : والله لو لم تقضِ طوافَها الى الفجرِ لما كبّرتُ، وقال فى ذلك :

لم أُرَحِّبْ بأن سَخِطتِ ولكن * مرحبًا أن رضيتِ عنّا وأهلا

إنّ وجها رأيتُه ليلةَ البد * ر عليه آنثنى الجمالُ وحَلّا

وجهُها الوجهُ لو يُسالُ(١) به المُز * نُ من الحسنِ والجمال آستهلّا

إن عندَ الطَّوَافِ حين أتتْه * لَجمالًا فَعْمًا(٢) وخُلْقًا رِفَلّا

وكُسِين الجمالَ إن غِبنَ عنها * فإذا ما بدتْ لهنّ آضمحلّا

الغناء فى شعره — فى شعر الحارث هذا غناء قد جمع كلّ ما فى شعره منه على اختلاف طرائقه، وهو :

صوت

أثْلَ جُودى على المتيّم أثلا * لا تزيدى فؤادَه بك خَبْلا

أثلَ إنى والراقصات(٣) بجَمْع * يتبارين فى الأزمّة فُتْلا(٤)

سانحاتٍ يقطعن من عرفاتٍ * بين أيدى المطىّ حَزْنًا وسَهلا

والأكفِّ المضمّرات على الركـ * ـن بشُعْثٍ سعَوا الى البيت رَجْلى(٥)

لا أخونُ الصديق فى السرّ حتى * يُنقَلَ البحرُ بالغرابيل نقلا

أو تمرَّ الجبالُ مرَّ سحابٍ * مُرْتَقٍ قد وعَى من الماء ثِقلا

أنعم اللهُ لى بذا الوجهِ عينا * وبه مرحبا وأهلًا وسَهلا

---

(١) يسال : يسأل سهلت همزته، وفى رواية ستأتى فى ص ٣٤١ « وجهكِ البدر لو سألت الخ » .
(٢) الفعم : الممتلئ المستوى؛ والرفل : الواسع . (٣) الراقصات : النوق المسرعات فى سيرها ، وجمع : المزدلفة وهو المشعر الحرام ، سمى جمعا لاجتماع الناس فيه . (٤) فتلا : جمع فتلاء ، وهى الناقة الثقيلة المتأطرة الرجلين ، أو هى الناقة التى فى ذراعيها « فتل » وهو تباعدهما عن الجنبين كأنهما فتلا . (٥) رجلى : ماشين على أرجلهم ، جمع رجلان كعجلان وعجلى .

حين قالت لا تُفشِيَنَّ حديثى ... يابن عمّى أقسمت قلت أجلْ لا[1]

اتقِ اللهَ وٱقبَلِى العُذرَ منّى ... وتجافَىْ عن بعض ما كان زَلّا

لا تصُدّى فتقتُلِينيَ ظُلما ... ليس قتلُ المحبّ للحِبّ حِلّا

ما أكن سؤتُكم به فلكِ العُتـ ... ـبى لدينا وحَقَّ ذاك وقَلّا

٥ لم أرحِّبْ بأن سَخِطتِ ولكن ... مرحبا أن رضيت عنّا وأهلا

١١٤/٣ إنّ شخصا رأيتُه ليلةَ البد ... ر عليه ٱنثنى الجَمالُ وحلّا

جعلَ اللهُ كلَّ أنثى فداءً ... لك بل خدَّها لرجلك نعلا

وجهكِ البدرُ لو سألتُ به المز ... نَ من الحسنِ والجمالِ ٱستهلّا

غنّى معبدٌ فى الأبيات الأربعة الأولى خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، ولابن

١٠ تَيْزَن[2] فى الأوّل والثانى ثقيلٌ أوّلُ عن إسحاق، ولابن سريج فى الأوّل والثانى والخامس

ثقيلٌ أوّل عن الهشامىّ . وللغريض فى الخامس الى الثامن خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى

عن عمرو، ولدحمان فى التاسع والعاشر والثالثَ عشرَ والرابعَ عشرَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر

عن عمرو، ولمالك فى التاسع الى آخر الثانى عَشَرَ لحنٌ ذكَره يونس ولم يجنّسه، ولابن

سُرَيج فى هذه الأبيات بعينها رَمَل بالوسطى عن عمرو، وللغريض فيها أيضا خفيفُ

١٥ رمَل بالبنصر عن ابن المَكّىّ، ولابن عائشة فى الخامس الى آخر الثامن لحن ذكَره حمّاد

عن أبيه ولم يذكر طريقتَه .

---

(١) هكذا فى حـ وهو الصواب ، وفى سائر النسخ : « أجلا » ، وهى « لا » وصلت خطأ « بأجل » . والمعنى . « نعم لا أفشى » . (٢) فى ب ، سـ ، حـ : « ابن بيزن » . وفى سائر النسخ : « ابن بيزق » (انظر حاشية ٢ ص ٢٨٣ من الجزء الأول من هذه الطبعة) .

ومنها :

صوت

أَحقًّا أن جيرتنا آستحبّوا * حُزُونَ الأرض بالبلد السَّخاخ[1]
إلى عُقْر الأباطح من ثَبِير[2] * إلى ثَوْر[3] فَمَدْفَع[4] ذى مُرَاخ[5]
فتلك ديارُهم لم يَبْقَ فيها * سوى طَلَل المُعَرَّس والمُنَاخ
وقد تَغْنَى[6] بها فى الدار حُورٌ * نَواعمُ فى المَجَاسِد[7] كالإرَاخ[8]

غنّى فى هذه الأبيات الغريضُ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن الهشامىّ.

جزعت سوداء لموت آبن أبى ربيعة فلما سمعت شعر الحارث طابت به نفسا

وأخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال أخبرنى محمد بن سلّام قال :

كانت سوداءُ بالمدينة مشغوفةً بشعر عمر بن أبى ربيعة، وكانت من مولّدات مكّة، فلما ورد على أهل المدينة نَعْىُ عمر بن أبى ربيعة أكبروا ذلك وآشتدّ عليهم، وكانت السوداءُ أشدَّهم حزنا وتَسَلُّبا[9] وجعلت لاتمرّ بِسكّة من سكك المدينة إلا نَدَبَتْه، فلقيها بعضُ فتيان مكّة، فقال لها : خَفِّضى عليك، فقد نَشَأ آبنُ عمّ له يشبه شعرُه شعرَه، فقالت : أَنْشِدْنِى بعضه، فأنشدها قولَه :

إنى وما نحروا غَداةَ مِنًى * عند الجمار تَؤُودُها العُقُلُ

الأبياتَ كلَّها ، قال : فجعلت تمسح عينيها من الدموع وتقول : الحمد لله الذى لم يُضَيِّع حَرَمه .

(١) السخاخ : الأرض اللينة الحُرَّة . (٢) ثبير : جبل بمكة . (٣) ثور : جبل بمكة . (٤) المدفع : أحد مدافع المياه التى تجرى فيها . (٥) ذو مراخ : موضع قريب من المزدلفة ، وقيل : هو من بطن كساب جبل بمكة . (٦) تغنى : تقيم ، من غنى الرجل بالمكان اذا أقام . (٧) المجاسد : جمع مجسد وهو القميص الذى يلى البدن . (٨) الإراخ : بقر الوحش . (٩) التسلب : حداد المرأة على زوجها ، وقد يكون على غير الزوج ، وهو أيضا لبس الجُدُدِ ثياب الحداد السود .

أخبرنى اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى (جَدُّ عبيـد الله) عن ابن حبيب عن ابن الأعرابىّ قال :

ناضل سليمان بن عبد الملك بينه وبين رجل من أخواله

ناضَلَ[1] سليمانُ بن عبد الملك بين الحارث وبين رجل من أخواله من بنى عَبْس، فرمى [الحارث بن] خالد[2] فأخطأ ورمى العَبْسىّ فأصاب، فقال :

٥ * أنا نَضَلْتُ[3] الحـارث بن خالدِ *

ثم رمَى العبسىّ فأخطأ ورمَى الحارثُ فأصاب، فقال الحارث :

* حَسِبْتَ نَضْلَ الحارث بن خالدِ *

ورَمَيا فأخطأ العبسىّ وأصاب الحارثُ، فقال الحارثُ :

* مَشْيَكَ بين الزَّرْبِ[4] والمَرابِدِ[5] *

١٠ ورَمَيا فأخطأ العبسىّ وأصاب الحارثُ، فقال الحارثُ :

* وإنك النـاقصُ غـيرُ الزائدِ *

١١٥ / ٣ فقال سليمانُ : أقسمتُ عليك ياحارثُ إلا كَفَفْتَ عن القولِ والرَّمى فكَفَّ .

---

(١) يقال : ناضله مناضلة ونضالا ونيضالا فنضله : باراه فى رمى السهام فغلبه ، والمعنى المراد هنا أنه جعلهما يتباريان فى الرمى بالسهام . (٢) فى جميع الأصول «فرمى خالد» والصواب ما أثبتناه .

١٠ (٣) كذا فى حـ وهامش ب بخط الشيخ الشنقيطى وهو الصواب ، وفى سـ « أناضلت » وهو تحريف . (٤) الزرب (بفتح الزاى وكسرها) : موضع الغنم . (٥) المرابد : محابس الإبل ، واحدها « مربد » (بكسر الميم)

أخبارُ الأَبْجَر ونَسَبه

اسم الأبجر ولقبه وولاؤه

الأَبْجَر لَقَبٌ غلَب عليه، واسمه عُبَيد الله بن القاسم بن ضبية[1]، ويُكْنَى أبا طالب، هكذا روى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق، وروى هارون بن الزيّات عن حمّاد عن أبيه: أن اسمه محمد بن القاسم بن ضبية، وهو مولى لِكِنانة ثم لِبَنِى بَكْر، ويقال: إنه مولى لِبَنِى لَيْث .

نشأته

أخبرنى عمّى قال حدّثنى عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله ابن مالك وأخبرنى الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويه وهارون بن الزيّات قالا[2] حدّثنا عبد الله بن أبى سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال:

كنا يوما جلوسا عند إسحاق، فغنّتنا جارية يقال لها «سَمْحَة»:

إنّ العيونَ التى فى طَرْفِها مَرَضٌ[3] * قتَلْنَنا ثم لم يُحْيِينَ قتــلانا

فهِبتُ إسحاق أن أسألَه لِمَن الغناء، فقلت لبعض من كان معنا: سَلْه، فسأله فقال له إسحاقُ: ما كان عهدى بك فى شبيبتك تسألنا عن هــذا، فقال: أَحْبَبْتُه لمّا أَسْنَنْتُ، فقال: لا ولكنّ هــذا النَّقْبَ عمَلُ هذا اللّص، وضرب بيــده إلى

(١) كذا ورد هذا الاسم فى هــذا الموضع فى جميع الأصول ولم نعثر على من تسمى بهــذا الاسم، وقد ورد فى حـ فى هذا الموضع هكذا: «ضبية» وفيما سيأتى: «القاسم بن ضبة». وفى نهاية الأرب ج ٤ ص ٣١٤ طبع دار الكتب المصرية «ضُبَّة».   (٢) فى الأصول «قال» والسياق يقتضى ما أثبتناه.   (٣) فى ء، حـ: «حور».

تَلابيبى ، فقال له الرجل : صدقتَ يا أبا محمد، فأقبَل علىّ فقال لى : ألم أقُلْ لك إذا اشْتَهيتَ شيئا فسَلْ عنه ، أمَا لأُعطِيَنّك فيه ما تُعَايِى[1] به مَنْ شئتَ منهم، أتدرى لمن الشعرُ؟ فقلتُ: لجرير، فقال لى: والغِناء للأبجر، وكان مَدَنِيًّا مَنْشَؤه بمكّة، أو مَكّيًّا منشؤه بالمدينة، أتدرى ما ٱسْمُه؟ قلت: لا، قال: ٱسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبية، أتدرى ما كنيته ؟ قلت : لا، قال : أبو طالب، ثم قال : ٱذهب فَعَايِ بهـذا من شئتَ منهم فإنك تظفَر به .

كان ولاؤه لبنى كنانة وقيل لبنى ليث وكان يلقب بالحسحاس

وقال هارون : حدّثنى حمّاد عن أبيه قال: الأبْجَر ٱسمه محمد بن القاسم بن ضبية وقال مرّة أخرى : عبيدُ الله بن القاسم، مولى لبنى بكر بن كِنانة، وقيل : إنه مولى لبنى لَيْث، يُلقَّبُ بالحَسْحَاس .

ظرفه وحسن لباسه وفرسه ومركبه

قال هارون : وحدّثنى حماد عن أبيه قال حدّثنى عَوْرَك اللّهبىّ قال :

لم يكن بمكّة أحدٌ أظرفَ ولا أسْرى ولا أحسنَ هيئةً من الأبجر ، كانت حُلّتُه بمائة دينار وفرسُه بمائة دينار ومركَبُه بمائة دينار، وكان يقف بين المأزِمين[2] فيرفع صوتَه فيقف الناسُ له يركَبُ بعضُهم بعضًا .

احتكم على الوليد ابن يزيد فى الغناء فأمضى حكمه

أخبرنى علىّ بن عبد العزيز الكاتب عن [عبيد الله بن][3] عبد الله بن خرداذبه عن إسحاق، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، قالا[4] :

(١) عاياه صاحبه معاياة : ألقى عليه كلاما لا يهتدى لوجهه . (٢) المأزمان كما فى ياقوت : جبلا مكة ؛ وقال أهل اللغة : هما مضيقا جبلين ؛ وقيل : هو اسم موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة ، وفى ذلك أقوال غير هذه . (٣) الزيادة عن كتابه المسالك والممالك .

(٤) فى جميع الأصول : « قال » بالإفراد .

جلس الأبجرُ فى ليلة اليوم السابع من أيام الحجّ على قريبٍ من التَّنْعِيم[1] فإذا عَسْكَرٌ جَرّار قد أقبل فى آخر الليل ، وفيه دوابُّ تُجْنَبُ وفيها فرسٌ أَدْهَمُ عليه سَرْجٌ حِلْيتُه ذهب فاندفع، فغنّى :

عَرَفْتُ ديارَ الحيّ خاليةً قَفْرا * كأن بها لمّا توهّمتُها سَطْرا

فلما سمِعَه مَنْ فى القِباب والمَحامل أَمسكوا، وصاح صائحٌ : ويحك ! أَعِدِ الصوتَ، فقال : لا والله! إلا بالفرس الأدهم بسرجه و لجامه وأربعمائة دينار، فإذا الوليدُ بن يزيد صاحبُ الإبل، فنُودِىَ : أين منزلُك ومَنْ أنتَ؟ فقال: أنا الأبجر ومنزلى على باب زُقاق الخَرّازِين، فغدا عليه رسولُ الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتَخْتٍ من ثياب وَشْىٍ وغيرِ ذلك، ثم أتى به الوليدَ فأقام عنده، و راح مع[2] أصحابه عشيّةَ التَّرْوِيَة[3] وهو أحسنهم هيئة، وخرج معه أو بعده إلى الشأم .

خرج معه الى الشام

قال إسحاق : وحدّثنى عَوْرَك اللِّهبىّ أن خروجه كان معه ،وذلك فى ولاية محمد آبن هشام بن إسماعيل مكّةَ، وفى تلك السنة حجّ الوليد، لأن هشاما أمره بذلك ليَهْتِكه عند أهل الحَرَم، فيجدَ السبيلَ إلى خَلْعه، فظهر منه أكثرُ مما أراد به من التّشاغُل بالمغنّين واللهو ، وأقبل الأبجرُ معه حتى قُتل الوليدُ، ثم خرج إلى مصر فمات بها .

---

(١) التنعيم : موضع بمكة فى الحل ، وهو بين مكة وسَرِف على فرسخين من مكة وقيل على أربعة ، وسمى بذلك لأن جبلا عن يمينه يقال له نعيم وآخر عن شماله يقال له ناعم . (٢) فى ء : «الى» .

(٣) عشية التروية : عشية اليوم الثامن من ذى الحجة .

نسبة الصوت المذكور فى هذا الخبر

صـــوت

عَرَفْتُ ديارَ الحىِّ خاليــةً قَفْرا * كأنّ بها لمّا توهّمتُها سَــطْرا
وقفتُ بهـا كيما تَرُدّ جــوابَها * فما بيّنتْ لى الدارُ عن أهلها خُبْرا

٥ الغناءُ لأبى عبّاد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو، وفيه لسِيَاط خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر.

أخذ صوتا من الغريض فأكره عطاء بن أبى رباح على سماعه

قال إسحاق : وحُدِّثتُ أنّ الأبجرَ أخذ صوتًا من الغريض ليلًا ثم دخل فى الطوّاف حين أصبح، فرأى عطاء بن أبى رَبَاح يطوف بالبيت، فقال: ياأبا محمد، اِسمع صوتًا أخذتُه فى هذه الليلة من الغريض؛ قال له : ويحك! أفى هذا الموضع! فقال : كفرتُ بربِّ هذا البيتِ لئن لم تسمَعْه منّى سِرًّا لأجهرَنّ به؛ فقال : هاته،
١٠ فغنّاه :

[صـــوت][1]

عُوجِى علينا ربّةَ الهــودَجِ * إنّكِ إلّا تَفْعلِى تَحْــرَجِى[2]
إنّى أُتِيحتْ لى يَمَـانِيــةٌ * إحدى بنى الحارثِ من مَذْحِجِ
نلبثُ حــولًا كاملًا كلَّه * لا نلتــقى إلا على مَنْهَــجِ
١٥ فى الحجِّ إن حجّتْ وماذا مِنًى * وأهــلُه إنْ هى لم تَحْجُجِ

فقـال له عطاء : الخـيرُ الكثيرُ والله فى مِنًى وأهــلِه حجّت أو لم تحجّ ، فاذهب الآن . وقد مرّت نسبة هذا الصوت وخبرُه فى أخبار العَرْجِىّ والغريض .

---

(١) الزيادة عن حـ . (٢) تحرجى : تأثمى .

ختن عطاء بنيه فاختلف إليهم ثلاثة أيام يغنى لهم

قال إسحاق : وذكر عمرو بن الحارث عن عبد الله بن عُبَيد بن عُمَير(١) قال : خَتَن عطاء بن أبى رَبَاح بنيه أو بنى أخيه ، فكان الأبجر يختلف إليهم ثلاثة أيام يغنّى لهم .

نازع ابن عائشة فى الغناء فتشاتما

قال هارون بن محمد حدّثنى حمّاد بن إسحاق قال نسخت من كتاب آبن أبى نجيح(٢) بخطّه : حدّثنى غُرَيْر بن طَلْحة الأرقىّ عن يحيى بن عِمْران عن عمر بن حفص بن أبى كلاب قال :

كان الأبجرُ مولانا وكان مَكِّيًّا، فكان إذا قَدِم المدينةَ نَزَل علينا، فقال لنا يوما: أَسمِعُونى غناءَ آبن عائشتكم هذا، فأرسلنا فيه فجمَعْنا بينهما فى بيت آبن هَبّار فتغنّى ابن عائشة ، فقال الأبجر : كلّ مملوكٍ لى حُرٌّ إن تَغَنّيتُ معك إلّا بنصف صوتى، ثم أدخل إصبعه فى شِدْقه فتغنّى، فسمِع صوتَه مَنْ فى السّوق فحُشِر النّاسُ علينا، فلم يفترقا حتى تشاتَمَا؛ قال : وكان ابن عائشة حديدا(٣) جاهلا .

غنى الوليد وقد عرف سره من خادمه فنشط له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ قال وحدّثنى ابن أبى سعد قال حدّثنى القطرانىّ المغنّى عن محمد بن جَبْر عن إبراهيم بن المهدىّ قال حدّثنى ابن أشعب عن أبيه قال :

دُعِىَ ذاتَ يوم المغنّون للوليد بن يزيد، وكنت نازلا معهم، فقلت للرسول: خُذْنى فيهم؛ قال : لم أُومَرْ بذلك وإنما أُمِرتُ بإحضار المغنّين وأنت بَطّال(٤) لا تدخل فى جملتهم؛ فقلت : أنا والله أحسنُ غِناءً منهم، ثم آندفعتُ فغنّيته؛ فقال: لقد سمعتُ حَسَنا ولكنّى أخاف؛ فقلت: لا خوفَ عليك، ولك مع هذا شرطٌ، قال: وما هو؟

(١) فى أ، م، ء : « عن عبد الله بن عمر » . (٢) فى حـ : « ابن أبى نجاح » وقد سموا « نجيحا » (كأمير وزبير) ونجاحا . (٣) الحديد : الحادّ فى الغضب، والجاهل : ضد الحليم . (٤) البطال : الذى يهزل فى حديثه .

قلت : كل ما أصبتُه فلك شَطْرُه؛ فقال للجماعة : اشهدوا عليه ، فشهدوا، ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لَقِسُ[1] النفس، فغنّاه المغنُّون فى كل فنّ من خفيف وثقيل، فلم يتحرّك ولا نَشِط، فقام الأبجر الى الخلاء، وكان خبيثا داهيا، فسأل الخادمَ عن خبره، و بأىّ سببٍ هو خاثر؟[2] فقال : بينه وبين آمرأته شرٌّ، لأنه عَشِق أختها فغَضِبتْ عليه فهو الى أختها أميل، وقد عزم على طلاقها وحلف لها ألّا يذكرها أبدًا بمراسلة ولا مخاطبة، وخرج على هذا الحال من عندها ؛ فعاد الأبجر إلينا وما جلس حتى آندفع فغنّى :

صوت

فِيِنى فإنّى لا أُبالى وأيقِنِى * أصَعَّدَ باقى حبّكم أم تَصَوَّبا
ألم تعلَمِى أنّى عَزُوفٌ عن الهَوَى * اذا صاحبِى من غير شىء تَغَضّبا

فطَرِب الوليد وآرتاح وقال : أصبتَ يا عُبَيدُ والله ما فى نفسى، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشَرِب حتى سكِر، ولم يحظَ بشىء أحدٌ سوى الأبجر ، فلما أيقنتُ بآنقضاء المجلس وَثَبتُ فقلت : إن رأيتَ يا أميرَ المؤمنين أن تأمرَ مَنْ يضربنى مائةً الساعةَ بحضرتك! فضحك وقال: قَبّحك الله ! وما السببُ فى ذلك؟ فأخبرتُه بقصتى مع الرسول وقلت : إنه بَدأنى من المكروه فى أوّل يومه بما اتصل علىّ الى آخره، فأُريد أن أُضرَبَ مائةً و يُضرَبَ بعدى مثلَها، فقال له : لقد لَطُفتَ، أعطوه مائةَ دينار وأَعطُوا الرسولَ خمسين دينارا من مالنا عوضًا عن الخمسين التى أراد أن يأخذَها؛ فقبضتُها وما حَظِىَ أحدٌ بشىء غيرى وغيرَ الرسول . والشعر الذى غنّى فيه الأبجر الوليدَ بنَ يزيدَ لعبد الرحمن بن الحكم أخى مَرْوان بن الحكم، والغناءُ للأبجر ثقيلٌ أوّل بالخنصر فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لغيره عدّة ألحان نُسبتْ .

(١) لقس النفس : وصف من لقست نفسه اذا غثت وخبثت . (٢) الخاثر : الذى غثت نفسه .

صـــوت

من المـائة المختارة من رواية جَحْظة

حمـــزةُ المبتاعُ بالمـال الثَّنا * ويَرَى فى بَيْعـــه أنْ قد غَبَنْ
فهو إن أعطَى عطاءً فاضـلًا * ذَا إخاءٍ لم يُكَدِّرْهُ بمَنْ
وإذا ما سَـــنَةٌ مُجْـــدِبَةٌ * بَرَتِ الناسَ كبَرْيِ بالسَّـفَنْ (١)
كان للناسِ ربيعًا مُغْـــدِقًا * ساقطَ الأكنافِ إن راح ارجَحَنّْ (٢)
نُورُ شَرقٍ بَيِّنٌ فى وجهِـه * لم يُصِبْ أثوابَه لونُ الدَّرَنْ

عروضه من الرمل . الشعر لموسى شَهَوات . والغناءُ لمعبـد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

---

(١) السفن (بالتحريك) : كل مابرى و ينحت به ، قال زهير :

* ضربا كنحت جذوع الأثل بالسفن *

(٢) ارجحن : مال واهتز .

١١٨
٣

أخبار موسى شَهَوات ونسبُه
وخبرُه فى هذا الشعر

نسبه وسبب لقبه

هو موسى بن يَسَار[(١)] مولى قريش، ويُختَلَف فى وَلَائه فيقال : إنه مولى بنى سَهْم، ويقال : مولى بنى تَيْم بن مُرّة، ويقال : مولى بنى عَدِىّ بن كعب؛ ويُكنى أبا محمد، وشَهَوات لقبٌ غَلَب عليه .

وحدّثنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال :

إنما لُقّب موسى شهوات لأنه كان سَؤولا مُلحفًا، فكان كلّما رأى مع أحد شيئا يُعجبه من مالٍ أو مَتَاع أو ثوب أو فرس[(٢)]، تَبَاكى، فإذا قيل له : مالك؟ قال : أشتهى هذا؛ فسُمّىَ موسى شهوات . قال: وذكر آخرون أنه كان من أهل أذْرَبِيجانَ وأنه نشأ بالمدينة وكان يَجْلِب إليه القَنْدَ[(٣)] والسكّرَ، فقالت له آمرأة من أهله : ما يزال موسى يَجيئنا بالشهوات؛ فغَلَبتْ عليه .

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال :

كان محمد بن يحيى يقول: موسى شَهَوات مولى بنى عَدِىّ بن كَعْب، وليس ذاك بصحيح، هو مولى تيْم بن مُرّة . وذكر عبد الله بن شَبيب عن الحِزَامىّ : أنه مولى بنى سَهْم .

(١) كذا فى شرح القاموس مادة (شهو) وقد صححه على هامش نسخته كذلك الأستاذ الشيخ محمد بن محمود الشنقيطى؛ وفى الأصول : «بشار» وهو تحريف . (٢) فى حـ «فرش» بالشين المعجمة .
(٣) القند : عسل قصب السكر اذا جمد .

وأخبرنى وَكيع عن أحمد بن أبى خَيْثَمة عن مُصْعَب ومحمد بن سلّام قال : موسى شهوات مولى بنى سَهْم .

عشق جارية فأعطى بها عشرة آلاف درهم

وأخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد[1] قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى عُبَيْدة قال :

هَوِىَ موسى شهوات جاريةً بالمدينة فَٱسْتِيمَ بها و ساومَ مولاها فيها فٱستام بها[2] عشرةَ آلاف درهم ، فجمع كلَّ ما يَملكه وٱستماح إخوانَه فبلَغ أربعةَ آلاف درهم ، فأتى الى سعيد بن خالد العُثْمانىّ فأخبره بحاله وٱستعان به ، وكان صديقَه وأوثقَ الناس عنده ، فدافَعه[3] وٱعتلّ عليه فخرج من عنده ؛ فلما ولّى تَمثّل سعيدٌ قولَ الشاعر :

كتبتَ إلىَّ تَستَهدِى الجَوارى * لقد أنعَظْتَ من بلدٍ بعيدِ

أتى سعيد بن خالد ابن عبد الله بن أسيد يستعينه فى ثمن الجارية فأعانه فمدحه

فأتَى سعيدَ بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد فأخبره بقصّته فأمر له بستة آلاف درهم ، فلما قبضَها ونهَض قال له : ٱجلِسْ ، إذا ٱبتعتَها بهذا المال وقد أنفدتَ كلّ ما تَملك فبأىّ حالٍ تَعيشان ! ثم دفع اليه ألفَىْ درهم وكُسْوةً وطِيبًا ، وقال : أَصلِحْ بهذا شأنكما ؛ فقال فيه :

أبا خالدٍ أَعنِى سعيدَ بن خالدٍ * أخا العُرْف لا أعنى ٱبنَ بنتِ سعيدِ
ولكنّنى أعنى ٱبنَ عائشةَ الذى * أبو أبَوَيْه خالدُ بن أسيدِ
عَقِيدُ[4] الندى ما عاش يَرضَى به النّدى * فإن مات لم يَرْضَ الندى بعَقيدِ
دَعُوهُ دعوه إنكم قد رَقَدتُم * وما هو عن أحسابكم برَقُودِ
قتلتَ أُناسًا هكذا فى جلودهم * من الغيظ لم تقتُلْهمُ بحديدِ

(١) كذا فى سـ ، وهو الصواب ، وفى باقى الأصول : «الحسين» . (٢) الاستيام بالشىء : ذكر ثمنه ، تقول : استمت عليه بسلعتى اذا كنت أنت تذكر ثمنها ، وتقول : استام منى بسلعتى اذا كان هو العارض عليك الثمن . (٣) دافعه : ماطله . (٤) عقيد الندى : الكريم بطبعه .

رأى سعيد بن خالد العثمانى فى مدحه لسميه الذى أعانه هجوا له فشكاه

قال : فشكاه العثمانىّ إلى سليمان بن عبد الملك، فأحْضَر موسى وقال له : يا عاضّ كذا وكذا، أتهجو سعيدَ بن خالد ! فقال : والله يا أميرَ المؤمنين ما هجوتُه ولكنّى مدحتُ ٱبنَ عمّه فغضب هو، ثم أخبره بالقصّة، فقال للعثمانىّ : قد صدَق، إنما نَسَبَ مَنْ مدَحه الى أبيه ليُعْرَف . قال : وكان سليمانُ إذا نظر إلى سعيد بن خالد ٥ ابن عبد الله يقول : لَعَمْرى والله ما أنت عن أحسابنا برَقود .

١١٩ / ٣

وأخبرنى محمد بن عبد الله اليَزيدىّ قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله بهذا الحديث فذكر نحو ما ذكره أبو عُبَيدة وقال فيه :

وكان سعيد بن خالد هذا تأخذه المُوتَةُ[1] فى كلّ سنة، فأرادوا عِلاجَه، فتكلّمتْ صاحبتُه على لسانه وقالت : أنا كريمة بنت مِلْحان سيّدِ الجنّ ، وإن عالجتموه ١٠ قتلتموه، فوالله لو وجدتُ أكرم منه لهَوِيتُه .

أخبرنى وكيع عن أبى حَمْزة أَنَس بن خالد الأنصارىّ عن قَبِيصة بن عمر بن حَفْص المهلّبىّ عن أبى عُبيدة قال حدّثنى الحارث بن سليمان المُجَيمىّ[2] — وهو أبو خالد بن الحارث المحدِّث — قال : وكان عنده رُؤْبَة بن العَجّاج، قال :

شهِدت مجلسَ أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وأتاه سعيدُ بن خالد بن عمرو ١٥ ابن عثمان بن عفّان، فقال : يا أمير المؤمنين، أتيتُك مُسْتَعْدِيًا، قال : ومَنْ بك؟ قال : موسى شَهَوات، قال : وماله؟ قال : سَمَّع بى[3] وٱستطالَ فى عِرْضى، فقال : ياغلام،

---

(١) الموتة : ضرب من الجنون والصرع يعترى الإنسان فاذا أفاق عاد اليه كمال عقله كالنائم والسكران .
(٢) كذا فى الخلاصة فى أسماء الرجال فى اسم خالد بن الحارث، وفى ب ، س «الجهيمى» بتقديم الجيم على الهاء، وفى سائر النسخ «المجيمى» وكلاهما تحريف . (٣) سمع به فى الناس : ٢٠ شهّره وفضحه .

علىّ بموسى فأتنى به فأُتِىَ به، فقال: ويلك! أسمعتَ به واستطلتَ فى عِرْضه؟ قال: ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ولكنى مدحت ابن عمه فغضب هو، قال: وكيف ذلك؟ قال: علقتُ جارية لم يبلغ ثمنها جِدَتى[1]، فأتيته وهو صديق فشكوتُ إليه ذلك، فلم أُصِبْ عنده شيئا، فأتيتُ ابنَ عمه سعيدَ بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد فشكوت إليه ما شكوتُه الى هذا، فقال: تعودُ الىّ، فتركتُه ثلاثا ثم أتيتُه فسهَّل مِن إذْنى، فلما استقر بى المجلسُ قال: يا غلام، قل لقيِّمتى: هاتى وديعتى، ففتح بابا بين بيتين وإذا بجارية، فقال لى: أهذه بُغْيَتُك[2]؟ قلتُ: نعم فداك أبى وأمى! قال: اجلس ثم قال: يا غلام، قل لقيّمتى: هاتى ظَبْيَةَ[3] نفقتى، فأُتِى بظبية فنثرت بين يديه فإذا فيها مائة دينار ليس فيها غيرها فرُدّت فى الظَّبْيَة، ثم قال: عَتيدةَ[4] طِيبى، فأُتِى بها، فقال: مِلْحَفة[5] وشى، فأُتِى بها، فصيّر ما فى الظبية وما فى العتيدة فى حواشى المِلْحفة، ثم قال: شأنك بها واستعِنْ بهذا عليه؛ فقال له سليمانُ بن عبد الملك: فذلك حين تقول ما قلت؟ قال: نعم، قلت:

ذكر طائفة من أبيات القصيدة التى مدح بها سعيد ابن خالد

أبا خالد أعْنِي سعيدَ بن خالدٍ * أخا العُرف لا أعنى ابنَ بنتِ سعيدِ
ولكننى أعنى ابنَ عائشةَ الذى * أبو أبويه خالدُ بن أَسِيدِ
عقيدُ الندى ما عاش يرضَى به الندى * فإن مات لم يرض الندى بعقيدِ
دعوه دعوه إنكم قد رقدتمُ * وما هو عن أحسابكم برقودِ

فقال سليمان: علىّ يا غلام بسعيد بن خالد، فأُتِىَ به، فقال: أحقٌّ ما وصفك به موسى؟ قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فأعاد عليه، فقال: قد كان ذلك

---

(١) الجدة: اليسار والسعة. (٢) البغية (بكسر الباء وضمها): ما ابتغى، يقال: فلان بغيتى وعند فلان بغيتى أى طلبتى. (٣) الظبية: جراب صغير من جلد ظبى. (٤) العتيدة: الحقة يكون فيها طيب الرجل أو العروس. (٥) الملحفة: الملاءة.

يا أميرَ المؤمنين، قال : فما طوّقتك هذه الأفعال؟ قال : دَيْنَ ثلاثين ألفَ دينار، فقال له : قد أمرتُ لك بمثلها و بمثلها و بمثلها و بثُلُث مثلها، فحُمِلت إليه مائةُ ألف دينار، قال: فلقيتُ سعيدَ بن خالد بعد ذلك فقلت له : ما فعَل المالُ الذى وصَلَك به سليمانُ؟ قال : ما أصبحتُ والله أملك منه إلا خمسين دينارا، قلتُ : ما آغتالَه؟

٥ قال : خَلّةٌ[1] من صديق أو فاقةٌ من ذى رَحِم

أخبرنى وَكِيع قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثَمَة عن مُصْعَب الزبيرىّ ومحمد بن سَلّام قال :

عشِق موسى شهوات جاريةً[2] بالمدينة فأَعْطَى بها عشرةَ آلاف درهم، ثم ذكر باقَ

١٢٠/٣ الحديث مثل حديث سليمان بن أبى شَيْخ، وقال فيه: أما والله لئن مدحتُه وهو سَمِيُّك

١٠ وأبوه سَمِيُّ أبيك ولم أُفرِّق بينكما لَيقولنّ الناسُ : أهذا أم هذا، ولكن والله لأقولنّ قولا لا يُشَكُّ فيه . وتمام هذه الأبيات التى مدح بها سعيدا بعد الأربعة المذكورة منها :

فِدًى للكريم العَبْشَمِىّ آبنِ خالد * بَنِىّ ومالى طارِفى وتَليدى

على وجهه تلق الأيامنَ وآسمِه * وكُلُّ جَوارى طيره بِسُعودِ

١٥ أبان وما آستغنى عن الثَّدْىِ خيرُه * أبان به فى المهد قبلَ قُعُودِ

دعوه دعوه إنكم قد رقدتمُ * وما هو عن أحسابكم برَقودِ

ترى الجُنْد والجُنّابَ[3] يَغشَوْن بابَه * بحاجاتهم من سيّد ومَسُودِ

فيُعطِى ولا يُعطَى ويُغشَى ويُجتدَى * وما بابُه للمُجتَدِى بسَديدِ

---

(١) الخلة : الحاجة والفقر . (٢) فى حـ «مغنية» .

٢٠ (٣) الجناب : جمع جانب وهو الغريب .

قتلتَ أُناسا هكذا فى جلودهم * من الغيظ لم تقتلهمُ بحديد
يعيشون ما عاشوا بغيظٍ وإن تَحِنْ * مَنَاياهُمُ يوما تَحِنْ بحُقُودِ
فقل لبُغاة العُرْف قد مات خالدٌ * ومات النَدَى إلا فُضُولَ سعيد

قال وكيعٌ فى خبره: أمّا قوله: "لا أعنى آبنَ بنت سعيد" فإنّ أمّ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان آمنةُ بنت سعيد بن العاصى، وعائشةَ أمّ عَقِيد الندى بنت عبد الله بن خلف الخُزَاعيّة أختُ طَلْحة الطَّلَحات، وأُمُّها صَفِيّة بنت الحارث بن طَلْحة بن أبى طَلْحة من بنى عبد الدار بن قُصَىّ، وأمّ أبى[1] عقيد الندى رَمْلة بنت معاوية ابن أبى سفيان.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نصر المهلّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال:

لمّا أنشد موسى شهوات سليمانَ بن عبد الملك شعرَه فى سعيد بن خالد قال له: آتّفق آسماهُما وآسْمَا أبوَيهما، فتخوّفتُ أن يذهب شعرى باطلا ففرّقتُ بينهما بأمّهما، فأغضبه أنْ مدحتُ آبنَ عمّه، فقال له سليمانُ: بَلَى واللهِ لقد هجوتَه وما خَفِى علىّ ولكنّى لا أجد إليك سبيلا، فأطلقه.

عمل شعرا فى مدح حمزة بن عبد الله ابن الزبير وقبل معبد أن يغنيه له ويكون عطاؤه بينهما

أخبرنى وكيع قال حدّثنى أحمد بن زُهَير قال حدّثنا محمد بن سلّام قال حدّثنا محمد بن مَسْلَمة الثقفىّ قال:

قال موسى شهوات لمعبد: أَأَمْدَحُ حَمْزَةَ بن عبد الله بن الزبير بأبياتٍ وتُغَنِّى فيها ويكون ما يُعطينا بينى وبينك؟ قال: نعم؛ فقال موسى:

---

(١) كذا صححه الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته، وفى الأصول: «وأم ابن عقيد الندى».

حمــزةُ المبتاعُ بالمـال الثّنـا * ويَرى فى بَيْعـه أن قـد غَبَنْ
فهــو إن أعطى عَطاءً فاضــلًا * ذا إخاءٍ لم يُكَدِّرْه بِمَنّ
وإذا ماسَــنَةٌ مُجْحِفَــةٌ * بَرَتِ النـاسَ كَبَرْي بالسَّفَنْ
حَسَرَتْ(١) عنـه نقيًّا عِرضُــه * ذا بلاءٍ عنـد مُخْناها(٢) حَسَنْ
نُورُ صــدقٍ بَيِّنٌ فى وجهـه * لم يُدَنِّسْ ثوبَه لونُ الدَّرَنْ
كنتَ للنـاس رَبيعا مُغْـدِقًا * ساقطَ الأكنافِ إن راحَ ٱرجَحَنّْ

قال أحمد بن زهير : وأوّلُ هذه القصيدة عن غير آبن سلّام :

شاقَنى اليومَ حبيبٌ قد ظَعَنْ * ففـؤادى مُسْتَهامٌ مُرْتَهَــنْ
إنّ هنــدًا تَيّمتنى حِقْبَــةً * ثم بانت وهى للنفس شَجَــنْ
فتنــةٌ ألحَقَهـا اللهُ بنـا * عائذٌ بالله من شرّ الفِتَنْ

عارض فاطمة بنت الحسين لما زفت الى عبد الله بن عمرو بشعر فأجيز

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال أخبرنى الطَّلْحى قال أخبرنى عبد الرحمن بن حمّاد عن عِمْران بن موسى بن طَلْحة قال :

لما زُفّت فاطمةُ بنت الحسين رضوان الله عليه إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان آبن عفّان، عارَضَها(٣) موسى شهوات :

طَلْحَةُ الخيرِ جَدُّكم * ولخـيرِ الفَـواطم
أنتِ للطاهراتِ مِن * فَـرْعِ تَيْمٍ وهـاشم
أرْتَجِيــكُمْ لنَفْعِكم * ولدَفْــعِ المَظالِم

فأمر له بكُسْوةٍ ودنانيرَ وطيبٍ .

(١) حسرت : كشفت . (٢) مخناها : مصدر ميمىّ من أخنى أى أهلك .
(٣) كذا فى الأصول، والمراد أنه اعترضها فى سيرها ومدحها بهذا الشعر .

هجا داود بن سليمان لما تزوج فاطمة بنت عبد الملك

قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا العَنَزىّ عن العُتْبىّ قال :

كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمرَ بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوّجها داودُ بن سليمان بن مروان وكان قبيحَ الوجه، فقال فى ذلك موسى شهوات :

أبعد الأغرّ ٱبن عبد العزيز * قَرِيعِ(١) قريش إذا يُذْكَرُ

تَزَوَّجْتِ داودَ مُخْتارةً * ألا ذلك الخَلَفُ الأعْوَرُ(٢)

فكانت إذا سَخِطَتْ عليه تقول : صدق والله موسى، إنك لأنتَ الخَلَفُ الأعور، فيشتُمُه داود .

مدح يزيد بن خالد ابن يزيد بن معاوية فأجازه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن لَقِيط قال :

أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدِمَشق، وكان فتًى جوادا سَمْحا، فلما ركب وثَب اليه فأخذ بعِنان دابّته، ثم قال :

قم فصوِّتْ إذا أتيت دِمَشْقا : * يايزيدُ بنَ خالدِ بن يزيدِ

يا يزيد بن خالدٍ إنْ تُجِبْنى * يَلْقَنِى طائرى بنجم السُّعودِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوة، وقال له : كلما شئتَ فنادِنا نُجِبْك .

تزوج بنت داود ابن أبى حميدة فلما سئل عن جلوتها قال شعرا

أخبرنا وكيع قال حدّثنى أحمد بن زُهَير قال حدّثنا مُصْعَب الزُّبَيْرىّ قال :

زُوِّج موسى شهوات بنتَ مولًى لمَعْن بن عبد الرحمن بن عَوْف يقال له : داود آبن أبى حُمَيدة، فلما جُلِيت(٣) عليه قال نداود : ما الجَلْوة؟ فأنشأ يقول :

---

(١) القريع : السيد والرئيس، يقال : فلان قريع الكتيبة أى رئيسها . (٢) الأعور : الردىء من كل شىء، ويقال على الضعيف الجبان البليد الذى لا خير فيه . (٣) يقال : جليت العروس على زوجها جلوة (بتثليث الجيم) وجلاء (بكسر الجيم) إذا عرضت عليه مجلوّة، والجلوة (بالكسر) : ما تعطاه العروس عند جلائها .

تقول لىَ النساءُ غداةَ تُجْلَى * حميدةُ يافتى ما للجِلاءِ
فقلتُ ضمُّ سَمَرْقَنْدٍ(1) وبَلْخٍ(2) * وما بالصين من نَعَمٍ(3) وشاءِ(4)
أبوها حاتمٌ إن سِيلَ خيرًا * وليثُ كريهةٍ عند اللقاءِ

هجا أبا بكر بن عبد الرحمن حين حكم عليه ومدح سعيد بن سليمان

أخبرنى وكيع قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا مصعَب قال :

٥ قضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبى سفيان بن حُوَيْطِب على موسى شهوات بقضيّة، وكان خالدُ(5) بن عبد الملك آستقصاه فى أيام هشام بن عبد الملك . فقال موسى يهجوه :

وجدتُك فَهًّا(6) فى القضاء مُخَلِّطًا(7) * فقدْتُك من قاضٍ ومن مُتأمِّرِ
فدعْ عنك ما شيدته ذات رخة(8) * أذى الناس لاتَحْشُرْهُمُ كلَّ مَحْشَرِ

١٢٢ / ٣

١٠ ثم وَلِىَ القضاءَ سعيدُ بن سليمان بن زيد(9) بن ثابت الأنصارىّ، فقال يمدحه :

مَنْ سَرّه الحُكْمُ صرفا لا مِزاجَ له * من القُضَاة وعدلٌ غيرُ مَغْمُوزِ
فلياتِ دارَ سعيد الخيرِ إنَّ بها * أمضى على الحق من سيف آبن جُرْمُوزِ(10)

هجاؤه سعد بن ابراهيم والى المدينة

قال : وكان سعدُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف، قد وَلِىَ المدينةَ وآشتدّ على السفهاء والشعراء والمغنّين. ولحِقَ موسى شهوات بعضُ ذلك منه ، وكان قبيحَ

١٥ الوجه، فقال موسى يهجوه :

---

(1) سمرقند : مدينة عظيمة وهى ناحية الصغد مبنية جنوبى وادى الصغد ؛ قيل : هى من أبنية ذى القرنين . (2) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان . (3) النعم : الإبل . (4) الشاء : الغنم . (5) هو خالد ابن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ولى المدينة لهشام بن عبد الملك . (6) الفهّ : العيّ . (7) يقال : خلط فى كلامه اذا هذى . (8) كذا فى الأصول ولم نوفق

٢٠ الى استجلاء ما غمض من معناه . (9) كذا صححه الأستاذ الشيخ الشنقيطى على هامش نسخته ، وفى الأصول : «يزيد» وهو تحريف . (10) هو عمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوّام رضى الله عنه .

قل لِسَعْدٍ وجهِ العجوز لقد كنـ * ـتَ لِمَا قد أُوتِيتَ[1] سعدًا مَخِيلا[2]

إن تكن ظالمًا جهولًا فقد كا * ن أبوك الأدْنَى ظلوما جهولا

وقال يهجوه :

لعن اللهُ والعبادُ نُطَيْـطَ[3] الـ * ـوجه لا يُرْتَجَى قَبِيحَ[4] الجِوارِ

يَتَّـقِي النـاسُ فُحْشَه وأذاه * مثـلَ ما يتّقون بولَ الحِمارِ

لا تَغُرَّنْكَ سَجْـدةٌ بين عينيْـ * ـه حَذَارِ[5] منهـا ومنه حَذارِ

إنها سَجْدةٌ بهـا يَخْـدَعُ النا * سَ، عليها من سَجْدة بالدَّبارِ[6]

مدح عبد الله بن عمرو بن عثمان حين نفحه بعطية

أخبرنى عمّى قال أخبرنى ثعلب عن عبد الله بن شَبِيب قال :

ذكر الحِزامىّ[7] أنّ موسى شهوات سأل بعض آلِ الزبير حاجةً فدفعه عنها، وبلغ ذلك عبدَ الله بن عمرو بن عثمان، فبعث اليه بمـا كان آلتمسه من الزُّبَيْرىّ من غير مسئلة؛ فوقف عليه موسى وهو جالس فى المسجد، ثم أنشأ يقول :

ليس فيما بَدَا لنا منك عيبٌ * عابَه النـاسُ غيرَ أنك فانى

أنت نِعمَ المَتَاعُ لو كنتَ تَبْقَى * غـيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى أ ، م ، حـ ، ى «لما أتيت» بغير «قد» والبيت لا يتزن بغيرها ، وفى جميع النسخ «أتيت» والصواب ما رجحناه . (٢) كذا فى ب ، س ، حـ ، . وفى أ ، م ، ى « بخيلا » . (٣) نطيط تصغير نط ، والنط والأنط : الكوسج وهو الذى عرى وجهه من الشعر إلا طاقات فى أسفل حنكه . وفى أ ، ى ، م : « قبيح الوجه » . (٤) فى أ ، م ، ى : « شطيط » ولم نجد شيئا وصفا من هذه المادة . (٥) دخل على هذا الشطر « الكف » ، وهو حذف الساكن السابع من «فاعلاتن الأولى» . (٦) الدبار : الهلاك والفناء، والظاهر أن الباء زائدة . (٧) كذا فى أ ، ى ، م ، وفى باقى النسخ «الحرامى» بالراء المهملة، وهو تحريف .

والشعر المذكور فيه الغناءُ، يقوله موسى شَهَوات فى حَمْزة بن عبد الله بن الزبير، وكان فتًى كريما جوادا على هَوَجٍ كان فيه، وولّاه أبوه العراقين وعَزَل مُصْعَبا لمّا تزوّج سُكَيْنة بنت الحسين رضى الله عنه وعائشةَ بنت طلحة وأمهر كلَّ واحدةٍ منهما ألفَ ألفِ درهم .

سبب عزل ابن الزبير لأخيه مصعب عن البصرة وتوليته ابنه حمزة

٥ أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبى شيخ عن مصعب الزبيرى، وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدّثنا عمر بن شبّة، وأخبرنى عبيد الله بن محمد الرّازى والحسينُ بن على قال عُبَيد الله حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنى، وقال الحسين حدّثنا الحارث بن أبى أُسامة عن المدائنى عن أبى مِخْنَف :

أن أَنَسَ بن زُنَيم اللَّيْثِىّ كتب الى عبد الله بن الزُّبير :

١٠ أَبلِغْ أميرَ المؤمنين رسالةً * مِن ناصحٍ لك لا يُرِيك خِداعا

بضْعُ[1] الفتاةِ بألفِ ألفٍ كاملٍ * وتَبِيتُ قاداتُ الجيوش جِياعا

لو لأبى حَفْصٍ أقولُ مَقالتى[2] * وأُبِثُّ ما أبثثتُكم لارتاعا

١٢٣/٣ فلما وصلت الأبياتُ اليه جَزِع ثم قال: صَدَق والله، لو لأبى حفصٍ يقول: إنّ مُصْعَبا تزوّج آمرأتين بألفى ألفِ درهم لارتاع، إنّا بعثنا مصعبًا الى العراق فأغمد

١٥ سيفَه وسَلّ أيره وسنَعْزِله، فدعا بآبْنه حمزةَ، وأُمُّه بنت منظور بن زَبّان الفَزَارىّ وكان لها منه محلٌّ لطيف، فولّاه البَصْرة وعَزَل مصعبا . فبلغ قولُه عبدَ الملك فى أخيه مصعب، فقال : لكنّ أبا خُبَيب أغمد سيفَه وأيرَه وخَيْرَه .

---

(١) بضع : نكح . (٢) دخل على هذا الشطر «الوقص» وهو ماسكن ثانيه المتحرك وذهب رابعه الساكن من «متفاعلن» .

وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال : هـذه الأبيات لعبد الله بن همّام[1] السَّلُولىّ .

عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه وحمقه

قالوا جميعا : فلما ولِى آبنُه حمزة البصرة أساء السِّيرة وخلّط تخليطا شـديدا، وكان جوادا شجاعا أهوجَ، فوفدتُ الى أبيه الوفود فى أمره، وكتب اليه الأحنف بأمره وما يُنكِره الناسُ منه وأنه يخشى أن تفسُد عليه طاعتُهم، فعزلَه عن البصرة . ٥

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا المدائنىّ قال :

لمـا قَدِم حمزةُ بن عبد الله البصرةَ واليًا عليها، وكان جوادًا شجاعا مُخَلِّطا : يجود أحيانًا حتى لا يَدَعَ شيئًا يملكه إلا وَهَبه ويَمْنَع أحيانا مالا يُمْنَع من مثله، فظَهَرتْ منه بالبصرة خِفّة وضَعْف . ورَكِب يومًا الى فَيْض[2] البصرة، فلما رآه قال : إنّ هذا الغدير إن رَفَقُوا به لَيَكْفِيَنّهم صَيْفَتَهم هذه، فلما كان بعد ذلك ركب اليـه فوافقه ١٠ جازِرًا[3] فقال : قد رأيتُه ذاتَ يوم فظننتُ أن لن يكفيَهم، فقال له الأحنف : إنّ هذا ماءٌ يأتينا ثم يَغيض عنّا ثم يعود . وشَخَص الى الأهواز فرأى جبلَها، فقال: هذا قُعَيْقِعان — وقعيقعان : جبلٌ بمكّة — فلُقِّب ذلك الجبلُ بقُعَيقعان .

قال أبو زيد : وحدّثنى غيرُ المدائنىّ أنه سَمِـع بذكر الجبل بالبَصْرة، فدعا بعامله فقال له : ابعث فأْتنا بخَرَاج الجبل، فقال له : إن الجبل ليس ببلد فآتيك بخراجه . ١٥ وبعث الى مَرْدانْشاه فآستحثّه بالخراج فأبطأ به، فقام اليـه بسيفه فقتله، فقال له

(١) فى الأصول : « هشام » وهو تحريف . (٢) فيض البصرة : نهرها .
(٣) جازرا : من الجزر وهو نقصان مائه، وضدّه « المد » وهو زيادته .

الأحنف : ما أحدَّ سيفك أيها الأمير ! وهمّ بعبد العزيز بن شَبيب[1] بن خيّاط أن يضربه بالسِّياط ؛ فكتب[2] الى ابن الزبير بذلك وقال له : اذا كانت لك بالبصرة حاجةٌ فاصرف ابنَك عنها وأعِدْ اليها مُصْعَبا ؛ ففعل ذلك . وقال بعض الشعراء يهجو حمزة ويَعيبه بقوله فى أمر الماء الذى رآه قد جَزَر :

٥ يابن الزُّبَيْر بعثتَ حمزةَ عاملًا * ياليتَ حمزةَ كان خلفَ عُمَانِ

أزرى بدِجْلةَ حين عَبَّ عُبَابُها * وتقاذفتْ بزواخر الطُّوفانِ

نفار النوار من الفرزدق والتجاؤها لابن الزبير وشفاعة الفرزدق بابنه حمزة

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا أبو غسّان دَمَاذ عن أبى عُبَيدة قال : خطَبَ النَّوَارَ ابنةَ أعْيَن المُجَاشِعيّة رجلٌ من قومها ، فجعلت أمْرَها الى الفرزدق ، وكان ابنَ عمها دِنْيَةً[3] ، ليزوّجها منه ، فأشهَد عليها بذلك وبأنّ أمْرَها اليه شُهودًا عُدُولًا ؛

١٠ فلما أشهدتْهم على نفسها قال لهم الفرزدق : فإنى أُشهِدكم أنّى قد تزوّجتُها ، فمنعته النَّوار نفسَها وخرجت الى الحجاز الى عبد الله بن الزُّبَير ، فاستجارت بامرأته بنت منظور بن زَبّان ، وخرج الفرزدق فعاذَ بابنه حمزةَ ، وقال يمدحه :

ياحمزَ هَلْ لك فى ذى حاجةٍ ، غَرِضَتْ[4] * أنضاؤه بمكانٍ[5] غيرِ ممطورِ

١٢٤/٣ فأنتَ أولَى قُرَيش أن تكونَ لها * وأنت بين أبى بكرٍ ومنظورِ

١٥ (١) فى تاريخ الطبرى (طبع مدينة ليدن — القسم الثانى ص ٧٥٢) . وفى ابن الأثير ص ٢٥٥ ج ٤ «بعبد العزيز بن بشر» . وقد ورد فى الطبرى فى قسم ٢ ص ٨٠٢ هذا الاسم هكذا «عبد العزيز بن بشر بن حناط» ، وفى حـ : «بن بشير بن حياط» بالحاء المهملة . وفى أ ، م ، ء : «بن شيبب بن حياط» بالحاء المهملة أيضا . (٢) فى تاريخ الطبرى قسم ٢ ص ٧٥٢ «كتب الأحنف» . (٣) يقال : هو ابن عم دنية أى لاصق النسب . (٤) فى الأصول «عرضت» وقد صححها

٢٠ الأستاذ الشنقيطى كما أثبتناه . و«غرِضت» : ملّت وضجرت . (٥) كذا فى الأغانى فى ترجمة الفرزدق (ج ١٩ ص ١١ طبعة بولاق) وفى الأصول هنا : «ببلاد» وهو لا يتفق مع الوصف .

فجعل أمرُ النَّوار يقوَى وأمرُ الفرزدق يضعُف؛ فقال الفرزدق فى ذلك :

أمّا بَنُوه فلم تَنفَعْ شَفاعتُهم * وشُفِّعت بنتُ منظور بن زَبّانا

ليس الشفيعُ الذى يأتيك مُؤتَزِرًا[1] * مثلَ الشفيع الذى يأتيك عُرْيانا

فبلغ ابنَ الزُّبير شعرُه ، ولَقِيَه على باب المسجد وهو خارجٌ منه فضَغَط حَلْقَه حتى كاد يقتلُه ، ثم خَلّاه وقال :

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفَرَزْدقِ ناشِزًا[2] * ولو رَضِيتْ رُمْحَ آستِهِ[3] لآستقرّتِ

ثم دخل الى النَّوار فقال لها : إن شئتِ فَرقتُ بينك و بينه ثم ضربتُ عنقَه فلا يهجونا أبدا ، و إن شئتِ أمضيتِ نِكاحَه فهو آبن عمّك وأقربُ الناس اليك ، وكانت امرأةً صالحةً ، فقالت : أَوَ مَا غيرُ هذا ؟ قال : لا ؛ قالت : ما أُحبّ أن يُقْتَل ولكنى أُمضِى أمرَه فلعلّ الله أن يجعل فى كُرْهى إيّاه خيرًا ؛ فمضتْ اليه وخرجتْ معه الى البصرة .

غنى معبد حمزة بن عبد الله بشعره فأجازه

أخبرنى الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد بن أبى الأزهر قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبيْرى :

أن حمزة بن عبد الله كان جوادًا ، فدخل اليه مَعْبَد يومًا وقد أرسله آبن قَطَن مولاه يقترض له من حمزة ألفَ دينار فأعطاه ألف الدينار ، فلما خرج من عنده قيل له : هذا عبد آبن قَطَن وهو يروِى فيك شعر موسى شَهَوات فيُحْسِن

---

(١) كذا فى ديوان الفرزدق ، وفى الأصول : «متزرا» بالإدغام . و إدغام الهمزة فى تاء الافتعال بعضهم يجيزه والأكثر على منعه . (٢) فى رواية أخرى : * ألا تلكم عرس الفرزدق جامحا * (٣) يريد بقوله «رمح آسته» : طعنه فى دبره ورفسه بالأرجل ، وهذا كناية عن امتهانه واحتقاره ، والرمح : الضرب بالرجل .

روايته ، فأمر بردّه فردّ. وقال له ما حكاه القوم عنه، فغنّاه مَعْبد الصوت وأعطاه أربعين دينارا، ولما كان بعد ذلك ردّ ابنُ قَطَن عليه المالَ فلم يقبله، وقال له : إنه اذا خرج عنّى مالٌ لم يَعُدْ الى ملكى . وقد رُوِىَ أنّ الداخلَ على حمزة والمخاطِبَ فى أمره بهذه المخاطبة[1] ابنُ سُرَيْج ، وليس ذلك بِثَبْتٍ، هذا هو الصحيح ، والغناء لمعبد .

٥

أنشد حمزة بن عبد الله شعرا وغناه إياه معبد فأجازهما

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى الغسّانىّ :

أن موسى شَهوات أملق، فقال لمعبد : قد قلتُ فى حمزة بن عبد الله شعرًا فغنِّ فيه حتى يكون أجزلَ لصلتنا ، ففعل ذلك معبد وغنّى فى هذه الأبيات، ثم دخلا على حمزة فأنشده إيّاها موسى ثم غنّاه فيها مَعْبد، فأمَرَ لكل واحد منهما بمائتى دينار .

١٠

كان من شعراء الحجاز وكان خلفاء بنى أمية يحسنون اليه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدّثنا العمرىّ عن الهيثم بن عبد الله عن عبد الله بن عيّاش قال :

كان موسى شهوات مولًى لسليمان بن أبى خَيْثَمة بن حُذَيفة العدوىّ، وكان شاعرا من شعراء أهل الحجاز، وكان الخلفاء من بنى أُميّة يحسنون اليه ويُدِرُّون عطاءه وتَجيئه صِلاتُهم إلى الحجاز . وكانت فاطمةُ بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوجها داودُ بن سليمانَ بن مروان وكان دميمًا قبيحًا، فقال موسى شهوات فى ذلك :

١٥

هجا داود بن سليمان بن مروان الذى تزوج فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة زوجها عمر بن عبد العزيز

أبعدَ الأغرِّ ابنِ عبد العزيز ٭ قريعِ قريشٍ إذا يُذْكَرُ
تزوّجتِ داودَ مختارةً ٭ ألَا ذلك الخَلَفُ الأعورُ

فغلبَ عليه ذلك فى بنى مروان، فكان يقال له : الخلفُ الأعورُ .

٢٠

(١) فى م : « والمخاطب فى هذه المخاطبة » .

١٢٥
٣

صـــــوت

من المـائة المختـارة

عُوجَا خليـلَىَّ على المَحْضَرِ (١) * والرَبعِ من سَـلّامَةَ المُقْفِـرِ
عُوجا به فاستنطِقَاه فقـد * ذَكّرنى ما كنتُ لم أذكُرِ
ذكّرنى سَـلمى وأيامَها * إذ جاورتْنا بلِوَى عَسْجَرِ (٢)
بالربع من وَدّانَ مبـدا لنـا (٣) * ومَحْوَراً ناهيكَ من محور
فى مَحْضَرٍ كنّا به نلتـقِى * يا حبّـذا ذلك من محضَرِ
إذ نحن والحىّ به جيرةٌ * فيما مضى من سالف الأعصُرِ

الشعر للوليد بن يزيد، وقيل : إنه لعمرَ بن أبى ربيعة، وقيل : إنه للعرجىّ. وهو للوليد صحيح. والغناء واللحن المختار لابن سريج خفيفُ رمل بالبنصر فى مجراها، وفيه لِشارِيةَ (٤) خفيفُ رملٍ آخر عن ابن المعتزّ. وذكر الهشامىّ أنّ فيه لِحَكَمٍ الوادىّ خفيف رملٍ أيضا.

عتب عمرو بن عثمان على زوجه سكينة بنت الحسين فأرسلت اليه أشعب

أخبرنى الحسينُ بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائنىّ قال :

كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوج سُكَيْنةَ بنتَ الحسين رضى الله تعالى عنه، فعَتَبَ عليها يوما، فخرج الى مال له، فذكر أشعب أن سكينة دعته فقالت

(١) المحضر : المنهل الذى يجتمع القوم فيه ويحضرون عليه (انظر الحاشية رقم ١ من ص ٣٩٥ ج ٢ أغانى من هذه الطبعة). (٢) عسجر : موضع قرب مكة . قال ياقوت فى الكلام عليه بعد أن تكلم على عسجد : «ولعله يعنى وهم بن ... فى قافية شعره» يريد «عسجدا» بالدال المهملة . وقد قال فى الكلام على عسجد إنه اسم موضع بعينه، و يستشهد به بقول رزاح بن ربيعة العذرى :

وقفن مرّات على عسجد * وأسهلن من مُستناخٍ سبيلا

ثم قال : ويروى «عسجر». (٣) المبدا هنا : المبدأ سهلت همزته، أى المبتدأ، الذى كنا نبتدئ منه فى الذهاب، ومحورا أى مرجعا نرجع اليه. (٤) فى أ، ء، م «لسارية» بالسين المهملة.

٥
١٠
١٥
٢٠

له : إن آبن عثمان خرج عاتبا علىّ فاعلَمْ لى حالَه ، قلت : لا أستطيع أن أذهبَ اليه الساعةَ ، فقالت : أنا أُعطيكَ ثلاثين دينارا ، فأعطتنى إياها فأتيتُه ليلا فدخلتُ الدارَ ، فقال : انظروا مَنْ فى الدار ، فأتوه فقالوا : أشعبُ ، فنزل عن فرشه وصار الى الأرض فقال : أُشَعيب؟[1] قلت : نعم ، قال : ما جاء بك؟ قلت : أرسلتنى سُكينةُ لأعلمَ خبرَكَ ، أتذكرتَ منها ما تذكرتْ منك؟ وأنا أعلم أنك قد فعلتَ حين نزلتَ عن فرشك وصرتَ الى الأرض ، قال : دعنى من هذا وغنّنى :

عُوجَا به فآستنطقاه فقد * ذكّرنى ما كنتُ لم أذكرِ

فغنّيته فلم يَطرَبْ ، ثم قال : غنّنى ويحك غير هذا ، فإن أصبتَ ما فى نفسى فلك حُلّتى هذه وقد آشتريتُها آنفا بثلثمائة دينار ، فغنّيته :

صوت

عَلِقَ القلبَ بعضُ ما قد شجاه * من حبيبٍ أمسى هوانا هواهُ

ما ضرارى نفسى بهجرانِ مَنْ ليـ * ـس مُسيئا ولا بعيدا نواهُ[2]

وآجتنابى بيتَ الحبيب وما الخُلْـ * ـدُ بأشهى إلىّ من أن أراهُ

فقال : ما عَدَوْتَ ما فى نفسى ، خُذِ الحلّةَ ، فأخذتُها ورجعتُ الى سكينةَ فقصصتُ عليها القصّةَ ، فقالت : وأين الحلّةُ ؟ قلتُ : معى ، فقالت : وأنت الآن تريد أن تلبسَ حلّةَ آبن عثمان! لا والله ولا كرامةَ! فقلت : قد أعطانيها ، فأى شىء تُريدينَ منّى؟ فقالت : أنا أشتريها منك ، فبعتُها إياها بثلثمائة دينار .

---

(١) شعيب : تصغير « أشعب » كما يقال فى تصغير « أسود » « سويد » ، ويسمى هذا « تصغير الترخيم » .   (٢) فى حـ « بهجرة من » (انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٢٨ ج ١ أغانى من هذه الطبعة) .

الشعر المذكور فى هذا الخبر لعمر بن أبى ربيعة، والغناء للدارمى خفيف ثقيل بالخنصر فى مجرى الوسطى، وذكر عمرو بن بانة أنه للهذلى، وفيه لابن جامع ثانى ثقيل بالوسطى .

١٢٦/٣

تغاضب رجل وجارية كان يهواها فغنت مغنية من شعره فاصطلحا

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه أن رجلا كانت له جارية يهواها وتهواه فغاضبها يوما وتمادى ذلك بينهما، واتفق أن مغنيةً دخلت فغنتهما : ٥

ما ضرارى نفسى بهجران من ليـ * ـس مسيئًا ولا بعيدًا نواه

فقالت الجاريةُ: لا شيءَ واللهِ إلا الحمقُ، ثم قامت الى مولاها فقبّلتْ رأسه واصطلحا.

صـــوت

من المائة المختارة

يا ويحَ نفسى لو أنه أقصَرْ (١) * ما كان عيشى كما أرى أكدَرْ ١٠

يا من عذيرى ممن كَلِفتُ به * يشهـد قلبى بأنه يسْـحَرْ

يا رُبَّ يومٍ رأيتَنى مَرِحًا * آخذُ فى اللهو مُسبِلَ المئزرْ

بين ندامى تحُثّ كأسَهمُ * عليهـمُ كفُّ شادنٍ (٢) أحـورْ

الشعر لأبى العتاهية والغناء لفريدةَ خفيفُ رمل بالبنصر .

(١) أقصر فلان عن الشيء : كف عنه وانتهى . (٢) الشادن من أولاد الظباء : الذى قد قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه . والأحور : أن يكون البياض فى العين محدقا بالسواد كله، وإنما يكون هذا فى البقر والظباء ثم يستعار للناس . (انظر فى اللسان مادتى شدن وحور) . ١٥

الى هنا انتهى الجزء الثالث من كتاب الأغانى

ويليه ان شاء الله تعالى الجزء الرابع منه، وأوله :

ذكر نسب أبى العتاهية وأخباره سوى ما كان منها مع عتبة ٢٠

تراثنا



تأليف

أبى الفرج الأصبهانى على بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء الرابع

مصور عن طبعة دار الكتب

طبعة كاملة الأجزاء معها فهرس
جامع وتصويبات واستدراكات

وزارة الثقافة والارشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاتسوماس وشركاه

• شارع وقف الخربوطلي بالظاهر — ٤٤١١٨

التراجم التى فى هذا الجزء

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره

سوى ما كان منها مع عتبة، فانه أُفرد لكثرة الصنعة فى تشبيبه بها، وأنها اتسعت جدا فلم يصلح ذكرها هنا، لئلا تنقطع المائة الصوت المختارة، وهى تذكر فى موضع آخر إن شاء الله تعالى

اسمه ولقبه وكنيته ونشأته

أبو العَتَاهِيَة لقبٌ غلَب عليه. وآسمه إسماعيل بن القاسم بن سُوَيْد بن كَيْسان، مولى عَنَزة. وكنيتُه أبو إسحاق. وأُمّه أمّ زيد بنت زِيَاد المُحَارِبِىّ مولى بنى زُهْرَةَ؛ وفى ذلك يقول أبو قَابُوس النَّصْرانىّ وقد بلغه أنّ أبا العتاهية فضّل عليه العَتَّابىّ :

قُلْ لِلمُكَنّى نفسَه * مُتَخَيِّرًا بعَتَاهِيَهْ

والمرسلِ الكَلِمَ القبيـ * ـحَ وعَتْه أُذُنٌ واعيَهْ

إن كنتَ سِرًّا سؤتَنى * أو كان ذاكَ عَلَانِيَهْ

فعليكَ لعنةُ ذى الجلا * لِ وأُمُّ زيدٍ زانيَهْ

ومنشؤه بالكوفة. وكان فى أوّل أمره يتخنّث ويحمل زاملة المخنّثين، ثم كان يبيع الفَخّار بالكوفة، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدّم. ويقال: أطبعُ الناس بَشّار

مناحيه الشعرية

والسيّد[1] وأبو العتاهيــة . وما قدَر أحدٌ على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته . وكان غزيرَ البحر، لطيفَ المعانى، سهلَ الألفاظ، كثيرَ الافتنان، قليلَ التكلف، إلا أنه كثيرُ الساقط المرذول مع ذلك . وأكثرُ شعره فى الزهد والأمثال . وكان قوم من أهل عصره ينسُبونه الى القول بمذهب الفلاسفة ممن لا يؤمن بالبعث، ويحتجّون بأنّ شعره إنما هو فى ذكر الموت والفناء دون ذكر النُّشُور والمَعَاد. وله أوزان طريفة[2] قالها ممـا لم يتقدّمه الأوائلُ فيهـا . وكان أبخلَ الناس مع يَسَــاره وكثرة ما جمعه من الأموال .

سبب كنيته

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال أخبرنى محمد بن موسى بن حمّاد قال :

قال المهدىّ يومًا لأبى العتاهية : أنت إنسانٌ مُتحذلِقٌ[3] مُعتَّه[4]. فاستوتْ له من ذلك كنيةٌ غلبَتْ عليه دونَ اسمه وكنيته، وسارت له فى الناس . قال : ويقال للرجل المتحذلق : عَتَاهِيةٌ، كما يقال للرجل الطويل : شَــنَاحِيةٌ[5] . ويقال : أبو عَتَاهِية، بإسقاط الألف واللام :

١٢٧
٣

---

(١) يعنى السيد الحميرىّ؛ واسمه إسماعيل بن محمد أبو هاشم، وقد أورد له أبو الفرج ترجمة فى (ج ٧ ص ٢٢٩ — ٢٧٨ من هذه الطبعة) .

(٢) كذا فى ى ، م . وفى سائر النسخ : « ظريفة » بالظاء المعجمة . (٣) المتحذلق : المتكيس المتظرف . (٤) يقال : رجل معته، إذا كان مجنونا مضطربا فى خلقه . وقد ذكر صاحب اللسان (فى مادة عته) هذا الخبر فقال : « وأبو العتاهية الشاعر المعروف ذكر أنه كان له ولد يقال له عتاهية ؛ وقيل : لو كان الأمر كذلك لقيل له أبو عتاهية بغير تعريف ؛ إنما هو لقب لا كنية، وكنيته أبو إسحاق . ولقب بذلك لأن المهدىّ قال له : أراك متخلطا متعتها . وكان قد تعته بجارية المهدىّ ... وقيل : لقب بذلك لأنه كان طويلا مضطربا ؛ وقيل : لأنه يرمى بالزندقة » . (٥) كذا فى نسخة الشنقيطى، وهو الموافق لما فى معاجم اللغة . وفى أكثر الأصول : « شناجية » بالجيم المعجمة، وهو تصحيف .

قال محمد بن يحيى وأخبرني محمد بن موسى قال أخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال : كُني بأبي العتاهية أنْ كانَ[1] يحبّ الشهرةَ والمُجُونَ والتعتُّه . وبلدُه الكوفةُ وبلد آبائه، وبها مولده ومنشؤه وباديتُه .

يقول ابنه إنهم من عنزة

قال محمد بن سَلّام : وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أن أصلَهم من عَنَزة، وأن جَدّهم كَيْسان كان من أهل عَيْن التَّمْر[2]، فلما غزاها خالد بن الوليد كان كَيْسانُ جَدُّهم هذا يتيمًا صغيرًا يكفُله قَرَابةٌ له من عَنَزة، فسباه خالدٌ مع جماعةِ صبيانٍ من أهلها، فوجّه بهم إلى أبي بكر، فوصلوا اليه وبحَضْرته عَبّادُ بن رِفَاعةَ العَنَزيّ بن أسَد بن رَبيعة بن نِزَار، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصبيانَ عن أنسابهم فيُخبره كلُّ واحد بمبلغ معرفته، حتى سأل كَيْسانَ، فذكر له أنه من عَنَزة . فلما سمعه عَبّاد يقول ذلك آستوهبه من أبي بكر رضي الله عنه، وقد كان خالصًا له، فوهبه له، فأعتقه، فتولّى عَنَزة[3] .

استعدى أبو مندل على وأخاه على سب بأنه نبطي

أخبرني محمد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا الحَسَن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثنا أحمد بن الحَجّاج الجَلّانيّ الكوفيّ قال حدّثني أبو دُوَيْل مُصْعَب بن دُوَيل الجَلّانيّ، قال : لم أرَ قطُّ مَنْدَلَ بن عليّ العَنَزيّ وأخاه حَيّانَ بن عليّ غضبا من شيء قطّ إلا يومًا واحدا، دخل عليهما أبو العتاهية وهو مُضَمَّخ بالدماء . فقالا له : وَيْحَك! ما بالُك ؟ فقال لهما : من أنا ؟ فقالا له : أنت أخونا وآبنُ عمّنا ومولانا . فقال : إنّ فلانا الجزّار قتلني وضربني وزعم أنّي نَبَطيٌّ[4]، فإن كنتُ نبطيًّا هربت على وجهي

(١) في أ، ء، ى : « إذ كان » .
(٢) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربيّ الكوفة، غزاها خالد بن الوليد في أيام أبي بكر رضي الله عنه . (٣) تولى عنزة : اتخذهم أولياء له . (٤) النبطيّ : منسوب إلى النبط، وهم جيل ينزلون البطائح بين العراقين .

و إلا فقوما فخُذَا لى بحقّى . فقام معه مَنْدَل بن علىّ وما تعلّق نعلَه غضبًا[١]، وقال له : والله لو كان حقُّك على عيسى بن موسى لأخذتُه لك منه ؛ ومرّ معه حافيًا حتى أخذ له بحقّه .

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن الحسن بن علىّ عن عمر بن[٢] معاوية عن جُبَارة بن المُغَلِّس[٣] الحِمَّانىّ قال : أبو العتاهية مولَى عَطَاء بن مِحْجَن العَنَزِىّ .

بى العتاهية وصنعة هله

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَةَ قال قال أبو عَوْن أحمد بن المُنَجِّم أخبرنى خَيَّارٌ الكاتب قال :

كان أبو العتاهية و إبراهيمُ الموصلىّ من أهل المَذَار[٤] جميعا، وكان أبو العتاهية وأهلُه يعمَلون الجِرَارَ الخُضْر، فقدما إلى بغداد ثم ٱفتَرقا ؛ فنزل إبراهيم الموصلىّ ببَغداد ، ونزل أبو العتاهية الحيرةَ . وذُكر عن الرِّياشىّ أنه قال مثلَ ذلك، وأن أبا أبى العتاهية نقله إلى الكوفة .

قال محمد بن موسى : فولاءُ أبى العتاهية من قِبَل أبيه لعَنَزة ، ومن قِبَل أُمّه لبنى زُهْرة ، ثم لمحمد بن هاشم بن عُتْبة بن أبى وَقّاص ، وكانت أُمّه مَولاةً لهم ، يقال لها أُمّ زيد .

---

(١) ما تعلق نعله : ما لبسها . (٢) فى ح : « عن محمد بن صدوية » . (٣) كذا فى تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال وأنساب السمعانى وشرح القاموس مادة غلس . وفى أ ، ح ، ء : « جنادة بن المغلس » . وفى سائر النسخ : « جنادة بن الأغلس » وكلاهما تحريف .
(٤) كذا فى أ ، ء بالذال المعجمة . والمذار فى ميسان بين واسط والبصرة ، وهى قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام . وفى سائر النسخ : « المزار » بالزاى المعجمة ، ولم نعثر عليه فى أسماء البلدان .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن مَهْرُويةَ قال: قال الخليل بن أسَد:

كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن ويقول: أبو إسحاق الخزّاف. وكان أبوه حجّاما من أهل ورجة (١)، ولذلك يقول أبو العتاهية:

أَلَا إنّما التّقوَى هو العزّ والكَرَمْ * وحُبُّك للدّنيا هو الفقر والعَدَمْ
وليس على عبدٍ تَقِيٍّ نقيصةٌ * إذا صحّح التّقوى وإن حاك أو حجَمْ

فاخره رجل من كنانة فقال شعرا

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا الغَلَابىّ قال حدّثنا محمد بن أبى العتاهية قال:

١٢٨ / ٣

جاذب رجلٌ من كِنانةَ أبا العتاهية فى شىء، ففخَر عليه الكِنانىّ واستطال بقوم من أهله؛ فقال أبو العتاهية:

دَعْنِيَ من ذِكْرِ أبٍ وجَدِّ * ونَسَبٍ يُعْلِيكَ سُورَ المجدِ
ما الفخرُ إلا فى التُّقَى والزُّهدِ * وطاعةٍ تُعطى جِنَانَ الخُلْدِ
لا بُدّ من وِرْدٍ لأهلِ الوِردِ * إمّا الى ضَحْلٍ (٢) وإمّا عِدِّ (٣)

آراؤه الدينية

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن حَرْب قال:

كان مذهب أبى العتاهية القولَ بالتوحيد، وأنّ الله خلق جوهرين متضادّين لا من شىء، ثم إنه بَنَى العالَمَ هذه البِنْيَة منهما، وأن العالَمَ حديثُ العين والصّنعة لا مُحدِثَ له إلا اللهُ. وكان يزعم أنّ الله سيَرُدّ كلَّ شىء إلى الجوهرين المتضادّين قبل أن تَفنَى الأعيانُ جميعا. وكان يذهب إلى أن المعارف واقعةٌ بقَدْر الفكر

(١) كذا فى جميع الأصول التى بأيدينا، ولم نعثر عليه فى معاجم البلدان. والذى فى اللسان (مادة ودج) ومعجم ما استعجم (ج ٢ ص ٦٢٢) أن «ودج» اسم موضع.
(٢) الضحل: الماء القليل على الأرض لاعمق له.
(٣) العِدّ: الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع كماء العين.

والاستدلال والبحث طِباعا. وكان يقول بالوعيد و بتحريم المكاسب، و يتشيّع بمذهب الزّيدية البَتْرِيّة[1] المبتدِعة، لا يتنقّص أحدا ولا يرى مع ذلك الخروجَ على السّلطان. وكان مُجبِّراً[2]. قال الصُّوليّ: فحدّثنى يَموتُ بن المُزَرِّع قال حدّثنى الجاحظ

مناظرته لثمامة بن أشرس فى العقائد بين يدى المأمون

قال: قال أبو العتاهية لثُمَامةَ بين يدَيِ المأمون — وكان كثيرا ما يعارضه بقوله فى الإجبار—: أسألك عن مسألة. فقال له المأمون: عليك بشعرك. فقال: إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يأذن لى فى مسألته و يأمره بإجابتى! فقال له: أجِبْه إذا سألك. فقال: أنا أقول: إنّ كلّ ما فعله العباد من خيرٍ وشرّ فهو من الله، وأنت تأبى ذلك، فمن حرّك يدى هذه؟ وجعل أبو العتاهية يحرّكها. فقال له ثُمامة: حرّكها مَنْ أُمّه زانية. فقال: شتمنى والله يا أمير المؤمنين. فقال ثمامةُ: ناقض الماصُّ بَظْرَ أُمه والله يا أمير المؤمنين! فضحك المأمون وقال له: ألم أقل لك أن تَشْتغل بشعرك وتدعَ ما ليس من عملك! قال ثمامة: فلقينى بعد ذلك فقال لى: يا أبا مَعْن، أمَا أغناك الجواب عن السَّفَه؟! فقلت: إنّ من أتمِّ الكلامِ ما قطع الحجة، وعاقَبَ على الإساءة، وشفَى من الغيظ، وانتصَر من الجاهل.

قال محمد بن يحيى وحدّثنى عَون بن محمد الكِنْدِىّ قال:

سمعتُ العبّاس بن رُسْتَم يقول: كان أبو العتاهية مُذَبْذَبا فى مذهبه: يعتقد شيئا، فإذا سمع طاعِنًا عليه ترك اعتقاده إيّاه وأخذ غيره.

(١) الزيدية: فرقة نسبت إلى زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، تقصر الإمامة على أولاد فاطمة ولا تجيز الإمامة فى غيرهم. والبترية: طائفة منهم أصحاب كثير النوى الأبتر، توقفوا فى أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر، وفضلوا عليا على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (انظر الكلام على هذه الفرقة ببيان واف فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى طبع أوربا ص ١١٥ — ١٢١).

(٢) مجبرا: يقول بالجبر، وهو عند أهل الكلام إسناد أفعال إلى الله سبحانه إيجادا وتأثيرا. و يقول الجبرية إنه لا قدرة للعبد أصلا لا مؤثرة ولا كاسبة، فهو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها.

اعترض عليه أبو الشمقمق فى ملازمة المخنثين فأجابه

حدّثنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنى ابن أبى الدّنيا قال حدّثنى الحُسين بن عبد ربه قال حدّثنى علىّ بن عُبيدة الرَّيْحانىّ قال حدّثنى أبو الشَّمَقْمَق: أنه رأى أبا العتاهية يحمل زاملةَ المُخَنَّثين، فقلت له[1]: أمِثْلُك يضع نفسه هذا الموضعَ مع سِنّك وشعرك وقدرك؟! فقال له: أُريد أن أتعلَّم كَيْدَهم، وأتحفّظ كلامهم.

حاوره بشر بن المعتمر فى صنعا الحجامة

أخبرنى عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال:

ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أنّ بِشْر بن المُعْتَمِر قال يومًا لأبى العتاهية: بلغنى أنك لمّا نَسَكْتَ جلستَ تحجُم اليتامى والفقراءَ للسبيل، أكذلك كان؟ قال نعم. قال له: فما أردتَ بذلك؟ قال: أردتُ أن أضع من نفسىٓ حَسَبًا رفعتْنى الدّنيا، وأضعَ منها ليَسقُط عنها الكِبْر، وأكتسب بما فعلتُه الثوابَ، وكنت أحجُم اليتامى والفقراء خاصّة. فقال له بشر: دَعْنى من تذليلك نفسَك بالحجامة؛ فإنه ليس بحُجّة لك أن تؤدّبها وتُصلِحها بما لعلّك تُفسد به أمرَ غيرك؛ أُحبّ أن تُخبرَنى هل كنتَ تعرف الوقت الذى كان يحتاج فيه من تحجُمه إلى إخراج الدّم؟ قال لا. قال: هل كنت تعرف مقدارَ ما يحتاج كلّ واحد منهم الى أن يُخرجه على قَدْر طبعه، مما إذا زدتَ فيه أو نقصتَ منه ضَرّ المحجومَ؟ قال لا. قال: فما أُراك إلا أردتَ أن تتعلّم الحِجامةَ على أقْفاء اليتامى والمساكين!

١٢٩ / ٣

أراد حمدويه صاحب الزنادقة أخذه فتستر بالحجامة

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا أبو ذَكْوان قال حدّثنا العبّاس بن رُسْتَم قال: كان حَمْدُويه صاحبُ الزَّنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية ففزِع من ذلك وقعد حجّاما.

(١) كذا فى جميع الأصول. ولعله: «فقال له».

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويةَ قال قال أبو دِعامة علىّ بن يزيد : أخبرنى يحيى بن خالد أنّ أبا العتاهية قد نَسَك، وأنه جلس يحجُم النّاس للأجر تَوَاضُعًا بذلك. فقال : ألم يكن يبيع الجِرَار قبل ذلك؟ فقيل له بلى . فقال : أمَا فى بَيْع الجِرار من الذُّلّ ما يكفيه ويَسْتَغنى به عن الحِجامة !

سئل عن خلق القرآن فأجاب

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى شيخ من مشايخنا قال حدّثنى أبو شُعَيب صاحب ابن أبى دُوَاد قال :

قلت لأبى العتاهية : القرآن عندك مخلوقٌ أم غير مخلوق؟ فقال : أسألتَنى عن الله أم عن غير الله؟ قلتُ : عن غير الله، فأمسك. وأعدتُ عليه فأجابنى هذا الجوابَ، حتى فعل ذلك مرارا. فقلت له : ما لك لا تُجيبنى؟ قال : قد أجبتُك ولكنّك حِمار .

أوصافه وصناعته

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا شيخ من مشايخنا قال حدّثنى محمد بن موسى قال :

كان أبو العتاهية قَضِيفًا[1]، أبيضَ اللون، أسودَ الشعر، له وَفْرة[2] جَعْدة، وهيئة حسنة ولَبَاقة وحَصَافة، وكان له عَبِيد من السُّودان، ولأخيه زيدٍ أيضا عبيدٌ منهم يعملون الخَزَف فى أَتُّون[3] لهم؛ فإذا اجتمع منه شىء أَلْقوْه على أَجير لهم يُقال له أبو عباد

(١) كذا فى ء، أ، م. والقضيف : الدقيق العظم القليل اللحم. وفى ب، سـ : «ظليفا». وفى حـ : «قصيفا» بالصاد المهملة. والظاهر أنها مصحفة عن «قضيفا». (٢) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين أو ما جاوز شحمة الأذن. والجعدة : التى فيها التواء وتقبض.
(٣) الأتون (بتشديد التاء) : الموقد، والعامة تخففه.

اليَزيدىّ من أهل طاق الجِرَار[1] بالكوفة، فيبيعه على يديه و يردّ فضلَه إليهم . وقيل : بل كان يفعل ذلك أخوه زيدٌ لا هو؛ وسُئل عن ذلك فقال : أنا جرّار القوافى، وأخى جَرّار التجارة .

قال محمد بن موسى : وحدّثنى عبد الله بن محمد قال حدّثنى عبد الحميد بن سريع مولى بَنى عِجْل قال :

٥

أنا رأيتُ أبا العتاهية وهو جرّار يأتيه الأحداثُ والمتأدّبون فيُنشِدُهم أشعارَه، فيأخذون ما تكسّر من الخَزَف فيكتبونها فيها .

كان يشتم أبا قابوس ويفضل عليه العتابىّ فهجاه

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى عَوْن بن محمد الكِنْدىّ قال حدّثنى محمد بن عمرَ الجُرْجانىّ قال :

١٠

لمّا هاجَى أبو قَابُوس النَّصرانىّ كُلْثُومَ بن عمرو العتّابىّ، جعل أبو العتاهية يشتُمُ أبا قابوس ويضَع منه، و يُفَضِّل العتّابىّ عليه، فبلغه ذلك فقال فيه :

قُـلْ للمُكَنِّى نفسَـه * مُتخـيِّرًا بعتاهيــهْ

والمرسِلِ الكَلِمَ القبيـ * ـحَ وعَتْه أُذُنٌ واعيهْ

إن كنتَ سِرًّا سؤتَنى * أو كان ذاك عَلانيـهْ

فعليك لعنةُ ذى الجلا * ل وأمِّ زيدٍ زانيــهْ

١٥

— يعنى أُمَّ أبى العتاهية ، وهى أُمّ زيد بنت زياد — فقيـل له : أتشتُم مسلما ؟ فقال: لم أشتُمْه، و إنّمـا قلتُ :

فعليك لعنةُ ذى الجلا * ل ومَنْ عَنَيْنا زانيــهْ

(١) فى ب ، س : « طارق الجرار » وهو تحريف .

١٣٠
٣

هجاء والبة بن الحباب

قال : وفيه يقول وَالِبَةُ بن الحُبَاب وكان يُهاجيه :

كان فينا يُكْنَى أبا إسحاقِ * وبها الرَّكْبُ سارَ فى الآفاقِ
فتكنّى مَعْتُوهُنا[1] بعَتَاهٍ * يا لها كُنْيةً أتت باتّفاقِ
خلق الله لِحْيةً لك لا تنـ * ـفكّ معقودةً بداء الحُلاقِ[2]

قصته مع النوشجانى

٥ أخبرنا محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا النُّوشَجَانِىّ قال : أتانى البَوّاب يوما فقال لى : أبو إسحاق الخزّاف بالباب؛ فقلت : ائْذَن له ، فإذا أبو العتاهية قد دخل. فوضعت بين يديه قِنْوَ مَوْزٍ[3]؛ فقال: قد صِرْتَ تقتل العلماءَ بالموز، قتلتَ أبا عُبَيدة بالموز، وتريد أن تقتلنى به! لا والله لا أذوقه.

قال : فحدّثنى عُرْوة بن يوسف الثَّقَفِىّ قال : رأيت أبا عبيدة قد خرج من دار النُّوشَجَانِىّ فى شِقّ مَحْمِل مُسَجًّى، إلّا أنه حىّ، وعند رأسه قِنْوُ موز وعند رجليه قِنْوُ موز ١٠ آخر، يُذْهَب به إلى أهله. فقال النُّوشَجَانِىّ وغيرُه: لمّا دخلنا عليه نعوده قلنا: ماسبب عِلّتك؟ قال : هذا النُّوشَجَانِىّ جاءنى بموز كأنه أُيُور المساكين، فأكثرتُ منه، فكان سببَ عِلّتى . قال : ومات فى تلك العِلّة .

رأى مصعب بن عبد الله فى شعره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال :
١٥ سمعتُ مُصْعَب بن عبد الله يقول : أبو العتاهية أشعرُ الناس. فقلت له : بأىّ شىء آستحقّ ذلك عندك ؟ فقال : بقوله :

تعلّقـتُ بآمالِ * طِوالٍ أىِّ آمالِ
وأقبلتُ على الدّنيا * مُلِحًّا أىَّ إقبالِ

(١) كذا فى أكثر النسخ وديوانه طبع بيروت . وفى ب ، س : «معتوبها». (٢) الحلاق : صفة سوء . وقد ورد هذا البيت فى هامش ديوانه (ص ٣٤٣) هكذا :
٢٠
خلق الله لحية لك لا تنـ * ـفك معقودة لدى الحلّاق
(٣) القنو : الكباسة ، وهى كالعنقود من العنب .

أيا هـــذا تجهَّزْ لـ * فراق الأهل والمال

فلا بدَّ من الموت * على حالٍ من الحالِ

ثم قال مُصعب : هــذا كلامٌ سهلٌ حقٌّ لا حشوَ فيه ولا نُقصان ، يعرِفه العاقل ويُقِرّ به الجاهل .

استحسن الأصمعي بعض شعره

٥ أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال : سمعتُ الأصمعيّ يستحسن قولَ أبي العتاهية :

أنتَ ما آستغنيتَ عن صا * حبــك الدهرَ أخـــوه

فإذا آحتجـــتَ إليـــه * ساعـــةً مجّــك فُـــوه

أنشد سلم الخاسر من شعره وقال هو أشعر الجن والإنس

حدّثنا محمد بن العبّاس اليَزِيدي إملاءً قال حدّثني عمّي الفَضْل بن محمد قال

١٠ حدّثني موسى بن صالح الشَّهْرَزُوريّ(١) قال :

أتيتُ سَلْمًا الخَاسِرَ فقلت له : أنشِدْني لنفسك. قال: لا، ولكن أُنشدك لأشعر الجنّ والإنس ، لأبي العتاهية، ثم أنشدني قولَه :

صـــوت

سَكَنٌ يبــقَى له سَكَنُ * ما بهــذا يُؤذِن الزّمنُ

١٥ نحن في دارٍ يُخَــبِّرنا * ببِــلَاها ناطقٌ لَسِــنُ

دار سَــوء لم يَدُمْ فَرَحٌ * لآمرئٍ فيهـا ولا حَزَنُ

في سـبيل الله أنفسُنا * كلُّنا بالمــوت مُرتَهنُ

كلُّ نفسٍ عند مِيتَتِها * حظُّها من مالها الكَفَنُ

إنّ مالَ المـــرء ليس له * منــه إلّا ذكرُه الحسن

---

(١) الشهرزوري : نسبة الى شهرزور ، وهي كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان .

١٣١ / ٣

فأخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنى محمد بن القاسم قال حدّثنى رجل من أهـل البَصْرة أُنسيتُ آسمَه، قال حدّثنى حَمْدون بن زيد قال حدّثنى رجاء بن مَسْلَمة[1] قال :

قلتُ لسَلْم الخاسر : من أشعرُ الناس؟ فقال : إن شئتَ أخبرتُك بأشعر الجنّ والإنس. فقلتُ : إنمـا أسألك عن الإنس، فإن زدتَنى الجنَّ فقد أحسنتَ. فقال : أشعرُهم الذى يقول :

سَكَنٌ يبـقَى له سَكَنُ * ما بهذا يُؤذِن الزّمنُ

قال : والشعر لأبى العتاهية .

إح جعفر بن يحيى ره بحضرة الفرّاء فوافقــه

حدّثنى اليَزيدىّ قال حدّثنى عمّى الفَضْـل قال حدّثنا عبـد الله بن محمد قال حدّثنا يحيى بن زِيَاد الفَرّاء قال :

دخلتُ على جعفرِ بن يحيى فقال لى : يا أبا زكريّا ، ما تقول فيما أقول؟ فقلت : وما تقـول أصْلَحك الله؟ قال : أزعُم أنّ أبا العتاهيـة أشعرُ أهل هـذا العصر. فقلت : هو والله أشعرُهم عندى .

ى داود بن زيد د الله بن العزيز شـعره

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى محمـد بن موسى قال حدّثنى جعفر آبن النَّضْر الوَاسِطىّ الضَّرير قال حدّثنى محمد بن شِيرَوَيْه[2] الأَنْماطىّ قال :

قلت لداود بن زيد بن رَزِين الشاعر: مَنْ أشعرُ أهل زمانه؟ قال: أبو نُوَاس. قلت : فمـا تقول فى أبى العتاهية؟ فقال : أبو العتاهية أشعرُ الإنس والجنّ .

---

(١) فى حـ : «رجاء بن سلمة» .

(٢) فى أ ، ء : «خرويه» بالخاء المعجمة . وفى ب ، حـ ، مـ : «سرويه» . ولعل الجميع محرف عما أثبتناه .

أخبرنى الصولىّ قال حدّثنى محمد بن موسى قال قال الزّبير بن بَكّار : أخبرنى إبراهيم بن المُنْذِر عن الضحّاك، قال :

قال عبد الله بن عبد العزيز العُمَرىّ : أشعرُ النّاس أبو العتاهية حيث يقول :

ما ضَرّ مَنْ جَعل التّراب مِهادَه * ألّا ينامَ على الحرير إذا قَنِعْ

٥ صَدَق والله وأَحْسن .

مهارته فى الشعر وحديثه عن نفسه فى ذلك

حدّثنى الصّولىّ قال حدّثنى محمد بن موسى قال حدّثنى أحمد بن حَرْب قال حدّثنى المعلّى بن عثمان قال :

قيل لأبى العتاهية : كيف تقول الشعر؟ قال : ما أردتُه قطّ إلا مَثَل لى، فأقول ما أريد وأَترُك ما لا أريد .

١٠ أخبرنى ابن عَمّار قال حدّثنى ابن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى رَوْح بن الفرج الحِرْمَازىّ قال :

جلستُ الى أبى العتاهية فسمعتُه يقول : لو شئتُ أن أجعل كلامى كلّه شِعرا لفعلتُ .

حدّثنا الصُّولىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا أبو عِكْرِمة قال :

١٥ قال محمد بن أبى العتاهية : سُئل أبى : هل تَعْرِف العَرُوض ؟ فقال : أنا أكبر من العروض . وله أَوْزانٌ لا تَدخُل فى العَروض .

نظم شعرا للرشيد وهو مريض فأبلغه الفضل وقرّبه الرشيد

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا أبو عِكرِمة قال :

حُمّ الرّشيدُ، فصار أبوالعتاهية إلى الفضل بن الرّبيع برُقعة فيها :

لو عَلِم النّاسُ كيف أنت لهم * ماتوا إذا ما أَلِمْتَ أَجْمَعُهم

خليفةَ الله أنت ترجح بالـ ـنّـ ـاس إذا ما وُزِنتَ أنت وهُمْ
قد علم الناسُ أنّ وجهك يسـ ـتغني[1] إذا ما رآه مُعدِمُهمْ

فأنشدها الفضلُ بن الربيع الرشيدَ؛ فأمر بإحضار أبى العتاهية، فما زال يُسامره ويُحدّثه إلى أن بَرِئ[2]، ووصل إليه بذلك السبب مالٌ جليلٌ.

إعجاب ابن الأعرابى به وإفحامه من تنقص شعره

قال: وحُدِّثتُ أنّ ابن الأعرابى حدّث بهذا الحديث؛ فقال له رجل بالمجلس: ما هذا الشعر بمُستحق لِما قلتَ. قال: ولِمَ؟ قال: لأنه شعر ضعيف. فقال ابن الأعرابى — وكان أحدَّ الناس —: الضعيفُ والله عقلُك لا شعرُ أبى العتاهية، ألِأبى العتاهية تقول: إنّه ضعيفُ الشعر! فوالله ما رأيتُ شاعرًا قطّ أطبعَ ولا أقدرَ على بيت منه، وما أحسبُ مذهبَه إلا ضَرْبا من السحر، ثم أنشد له:

١٣٢ / ٣

قطّعتُ منك حبائلَ الآمال * وحَطَطتُ عن ظَهْر المَطِىّ رِحالى
ووجدتُ بَرْدَ اليأس بين جَوانحى * فأَرَحْتُ من حَلٍّ ومن تَرْحال
يأيها البَطِرُ الذى هو من غدٍ * فى قبره متمزِّقُ الأوصال
حذَفَ المُنَى عنه المُشَمِّرُ[3] فى الهُدى * وأرى مُناك طويلةَ الأذيال
حِيَلُ ابن آدم فى الأمور كثيرةٌ * والموتُ يَقطَعُ حيلةَ المُحتال
قِستُ السؤالَ فكان أعظمَ قيمةً * من كلّ عارفةٍ جرتْ بسؤال
فإذا ابتُليتَ ببَذْلِ وجهك سائلا * فابذُلْه للمتكرِّم المِفضال

(١) كذا فى جميع النسخ والديوان؛ وهى رواية جيدة وفيها المطابقة بين العدم والغنى. ومع هذا فمن المحتمل أن يكون «يستسق»؛ قال أبو طالب:

وأبيض يستسق الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

(٢) أهل العالية يقولون: برأت من المرض أبرأ برءا وبروءا. وأهل الحجاز يقولون: برأت من المرض برءا بالفتح. وسائر العرب يقولون: برئت من المرض. وبرؤ برءا من باب قرب لغة. (انظر اللسان مادة برأ والمصباح المنير). (٣) فى ب، س، حـ: «عند» وهو تحريف.

وإذا خَشِيتَ تَعَذُّرًا فى بلدةٍ * فاشْدُدْ يَدَيْك بعاجِل التَّرحال

واصْبِرْ على غِيَر الزَّمان فإنّما * فَرَجُ الشدائد مثلُ حَلِّ عِقال

ثم قال للرجل : هل تعرف أحدًا يُحسِنُ أنْ يقول مثلَ هذا الشعر ؟ فقال له الرجل : يا أبا عبد الله ، جعلنى الله فداءَك ! إنى لم أُرِدْ عليك ما قلتَ ، ولكنّ الزهدَ مذهبُ أبى العتاهية ، وشعرُه فى المديح ليس كشعره فى الزُّهد. فقال : أفليس الذى يقول فى المديح :

وهارونُ ماءُ المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى(١) * إذا ما الصَّدِى بالرِّيق غَصَّتْ حَنَاجِرُهْ

وأوْسَطُ بيتٍ فى قريش لَبَيْتُه * وأوّلُ عِزٍّ فى قريش وآخِرُه

وزَحْفٍ له تَحكِى البروقَ سيوفُه * وتَحكِى الرعودَ القاصفاتِ حوافرُه

إذا حَمِيتْ شمسُ النَّهار تضاحكتْ * إلى الشمس فيه بِيضُه(٢) ومَغَافِرُه

إذا نُكِبَ الإسلامُ يومًا بِنَكْبةٍ * فهارونُ من بين البَرِيّة ثائرُه

ومَنْ ذا يفوتُ الموتَ والموتُ مُدرِكٌ * كذا لم يَفُتْ هارونَ ضِدٌّ يُنافرُهْ

قال : فتخلّص الرجل من شرّ ابن الأعرابىّ بأن قال له : القولُ كما قلتَ ، وما كنتُ سمعتُ له مثلَ هذين الشعرين، وكتبهما عنه .

قال أبو نواس لست أشعر الناس وهو حىّ

حدّثنى محمد قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدّثنى ابن الأعرابىّ المُنَجِّم قال حدّثنى هارون بن سَعْدان بن الحارث مولى عَبّاد قال :

حضرتُ أبا نُوَاس فى مجلس وأنشد شعرا. فقال له مَنْ حضر فى المجلس : أنت أشعرُ الناس. قال : أمّا والشيخُ حىّ فلا . (يعنى أبا العتاهية) .

أنشد ثمامة شعره فى ذم البخل فاعترض على بخله فأجابه

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنى علىّ بن مَهْدِىّ قال حدّثنى الحسين ابن أبى السَّرِىّ قال :

(١) الصدى : العطش. (٢) البيض (بفتح الباء) : جمع بيضة وهى الخوذة تصنع من الحديد ليتقى بها فى الحرب. والمغافر : جمع مغفر، وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة. وقيل فيه غير ذلك.

قال ثُمامة بن أَشْرَس أنشدنى أبو العتاهية :

إذا المرءُ لم يُعتِقْ من المـال نفسَه * تملّكه المـالُ الذى هـو مالِكُه

ألَا إنّمـا مالى الذى أنا مُنفِـقٌ * وليس لِيَ المـالُ الذى أنا تارِكُه

إذا كنتَ ذا مالٍ فبادِرْ به الذى * يَحِـقّ وإلّا آستهلَكتْه مَهالِكُهْ

فقلت له : من أين قضيتَ بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : "إنما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبستَ فأبليْتَ، أو تصدّقت فأمضَيْتَ". فقلت له : أتؤمن بأنّ هذا قولُ رسولِ الله صلى الله عليـه وسلّم وأنه الحقّ ؟ قال نعم . قلت : فلِمَ تحبِس عنـدك سبعا وعشرين بدْرةً[1] فى دارك ، ولا تأكل منهـا ولا تشرب ولا تُزكّى ولا تُقدِّمها ذُخْرا ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقـال : يا أبا مَعن، والله إنّ ما قلتَ لهو الحقّ، ولكنّى أخاف الفقرَ والحاجةَ إلى الناس . فقلت : وبِمَ تَزيد حالُ مَنِ آفتقـر على حالِك وأنت دائمُ الحِـرْص دائمُ الجَمْـع شحيحٌ على نفسك لا تشترى اللحمَ إلا من عِيد إلى عيد ؟ ! فترك جوابَ كلامى كلّه، ثم قال لى : والله لقد آشتريتُ فى يوم عاشوراء لحمًا وتَوابِلَه وما يتبَعه بخمسة دراهم . فلما قال لى هذا القولَ أضحكنى حتّى أذهلنى عن جوابه ومُعاتبته، فأمسكتُ عنـه وعلمت أنه ليس ممن شرَح الله صدرَه للإسلام .

بخـله ، ونوادر مختلفة فى ذلك

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنى علىّ بن المهـدىّ قال قال الجاحظ : حدّثنى ثُمـامة قال :

دخلتُ يومًا الى أبى العتاهية فإذا هو يأكل خُبزا بلا شىء . فقلتُ : كأنك رأيتَه يأكل خُبزًا وحده؛ قال : لا ! ولكنّى رأيتُه يتأدّم بلا شىء . فقلت : وكيف ذلك؟ فقال : رأيت قُدّامه خبزًا يابسا من رِقَاقٍ فَطيرٍ وقَدَحًا فيـه لبنٌ حليبٌ، فكان يأخذ

(١) البدرة : عشرة آلاف درهم .

١٣٣ / ٣

القطعة من الخبز فيغمسها من اللبن ويُخرجها ولم تَتعلّق منه بقليل ولا كثير، فقلت له: كأنك آشتهيتَ أن تتأدم بلاشىء، ومارأيتُ أحدًا قبلك تأدّم بلا شىء.

قال الجاحظ: وزعم لى بعضُ أصحابنا قال: دخلتُ على أبى العتاهيةِ فى بعض المتنزّهات، وقد دعا عيّاشًا صاحبَ الجسْر وتهيّأ له بطعام، وقال لغلامه: إذا وضعتَ قُدّامهم الغَدَاء فقَدِّمْ إلىّ ثَريدةً[1] بخَلّ وزَيْت. فدخلت عليه، وإذا هو يأكل منها أكلَ مُتكَمِّشٍ[2] غيرَ مُنكرٍ لشىء. فدعانى فمددت يدى معه، فإذا بثريدة بخَلّ وبِزْر بدلًا من الزّيت. فقلت له: أتدرى ما تأكل؟ قال: نعم ثريدةً بخَلّ وبِزْر. فقلت: ما دعاك الى هذا؟ قال: غَلِط الغلام بين دَبّة[3] الزيت ودَبّة البِزْر، فلمّا جاءنى كَرِهت التجبُّر وقلت: دُهْنٌ كدهن، فأكلتُ وما أنكرتُ شيئا.

١٠ أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنا عبد الله بن عَطِيّة الكوفىّ قال حدّثنا محمد بن عيسى الخُزَيْمىّ، وكان جارَ أبى العتاهية، قال:

كان لأبى العتاهية جَارٌ يلتقط النَّوَى ضعيفٌ سيّئُ الحال مُتجمِّلٌ[4] عليه ثياب، وكان يمرّ بأبى العتاهية طَرَفَى النهار، فيقول أبو العتاهية: اللهم أَغْنه عمّا هو بسبيله، شيخٌ ضعيف سيّئُ الحال عليه ثيابٌ مُتجمّل، اللهم أَعِنْه، اِصنَعْ له، بارِكْ فيه.

١٥ فبقِى على هذا إلى أن مات الشيخ نَحْوًا[5] من عشرين سنة. ووالله إنْ تصدّق عليه بدرهم ولا دانِق قطّ، وما زاد على الدعاء شيئا. فقلتُ له يومًا: يا أبا إسحاق إنى أراك تُكثِر الدعاءَ لهذا الشيخ وتزعُم أنه فقير مُقِلّ، فلِمَ لا تتصدّق عليه بشىء؟ فقال: أخشى أن يعتاد الصَّدَقةَ، والصدقةُ أخِرُ[6] كَسْب العبد، وإنّ فى الدعاء لخيرًا كثيرًا.

---

(١) فى ب، س: «ثردة» والثردة (بالضم): الاسم من ثرد الخبز أى فته ثم بله بمرق. (٢) تكمش الرجل: أسرع. (٣) الدبة: الوعاء للبزر والزيت. (٤) المتجمل: الفقير الذى لم يظهر على نفسه

٢٠ المسكنة والذل. (٥) فى أ، ح، ى: «لا والله». (٦) أى أرذله وأدنؤه، ويجوز مد الألف.

قال محمد بن عيسى الخُزَيْمِىّ هذا : وكان لأبى العتاهية خادمٌ أسودُ طويلٌ كأنه مِحْراك أَتُّون، وكان يُجْرِى عليه فى كل يوم رغيفين . فجاءنى الخادم يوما فقال لى : والله ما أشبَع . فقلت : وكيف ذاك؟ قال : لأنى ما أَفْتُرُ من الكدّ وهو يُجرِى علىّ رغيفين بغير إدَام. فإن رأيتَ أن تكلّمه حتى يزيدَنى رغيفا فتُؤْجَر! فوعدتُه بذلك. فلمّا جلستُ معه مرّ بنا الخادم فكَرِهتُ إعلامَه أنّه شكا إلىّ ذلك ، فقلت له : يا أبا إسحاق، كم تُجرِى على هذا الخادم فى كلّ يوم ؟ قال رغيفين . فقلت له : لا يَكْفِيانه . قال : من لم يَكْفِه القليلُ لم يكفه الكثير، وكلُّ من أَعطى نفسَه شهوتَها هلَك، وهذا خادمٌ يدخُل الى حُرَمِى وبناتى، فإن لم أُعَوِّده القناعةَ والاقتصاد أهلكنى وأهلك عيالى ومالى . فمات الخادم بعد ذلك فكفّنه فى إزارٍ وفراشٍ له خَلَقٍ . فقلت له : سبحان الله! خادمٌ قديمُ الحُرمة طويلُ الخدمة واجبُ الحق، تُكَفّنه فى خَلَق، وإنما يَكفيك له كفنٌ بدينار! فقال : إنه يصير إلى البِلَى، والحىُّ أولى بالجديد من الميّت . فقلت له : يرحمك الله أبا إسحاق ! فلقد عوّدتَه الاقتصادَ حيّا وميّتا .

قال محمد بن عيسى هذا : وقَف عليه ذاتَ يوم سائلٌ من العيّارين[1] الظُّرَفاء وجماعةٌ من جيرانه حولَه ، فسأله مِنْ بين الجيران ؛ فقال : صنَع الله لك ! فأعاد السؤال فأعاد عليه ثانيةً ، فأعاد عليه ثالثةً فردّ عليه مثلَ ذلك ؛ فغضب وقال له : ألستَ القائل :

كلُّ حىٍّ عند ميتته * حظُّه من ماله الكفنُ

ثم قال : فبالله عليك أتريدُ أن تُعِدَّ مالَك كلَّه لثمن كفنك ؟ قال لا . قال : فبالله كم قدّرت لكفنك؟ قال : خمسة دنانير. قال : فهى إذًا حظُّك من مالك

(١) العيار : الكثير الطواف والذى يتردد بلا عمل .

كلّه . قال نعم . قال : فتصدّق علىّ من غير حظّك بدِرْهم واحد . قال : لو تصدّقت عليك لكان حظّى . قال : فاْعمَلْ على أنّ دينارا من الخمسة الدنانير وَضِيعةُ[1] قيراط ، وادفَعْ إلىّ قيراطا واحدا ، و إلا فواحدة أُخرى[2] . قال : وما هى؟ قال : القبور تحفر بثلاثة دراهم ، فأعطنى درهما وأُقيم لك كفيلا بأنّى أحفِر لك قبرك به متى مُتّ ، وتربَح درهمين لم يكونا فى حُسْبانك ، فإن لم أحتفر رددتُه على ورَثَتك أو ردّه كفيلى عليهم . فخجِل أبو العتاهية وقال : اعزُبْ لعنك الله وغضب عليك! فضحك جميع مَنْ حضر . ومرّ السائلُ يضحك ، فالتفت الينا أبو العتاهية فقال : من أجل هذا وأمثاله حُرِّمتِ الصدقةُ . فقلنا له : ومَنْ حرّمها ومتى حُرِّمت! فما رأينا أحداً ادّعى أنّ الصدقة حُرّمت قبله ولا بعده .

قال محمد بن عيسى هذا : وقلت لأبى العتاهية : أتُزكِّى مالَك ؟ فقال : والله ما أُنفق على عيالى إلّا من زكاة مالى . فقلت : سبحانَ الله! إنما ينبغى أن تُخرج زكاةَ مالك إلى الفقراء والمساكين . فقال : لو انقطعتْ عن عيالى زكاةُ مالى لم يكن فى الأرض أفقرُ منهم .

سئل عن أحكم شعره فأجاب

أخبرنى عيسى بن الحُسين الورّاق قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال :

قال سليمان بن أبى شَيْخ قال إبراهيم بن أبى شَيْخ قلت لأبى العتاهية : أىُّ شعرٍ قلتَه أحْكم ؟ قال قوْلى :

عَلِمتَ يا مُجاشعُ بنَ مَسْعَدهْ * أنّ الشّباب والفَراغَ والجِدَهْ
* مَفْسَدةٌ للمرء أىُّ مَفْسدهْ *

(١) الوضيعة : الحطيطة .
(٢) فى ب ، س : « فواحدا آخر قال وما ذلك » .

عاتب عمرو بن مسعدة على عدم قضاء حاجته بعد موت أخيه

أخبرنى عيسى قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو غَزِيّة قال :

كان مُجاشع بن مَسْعَدة أخو عمرو بن مَسْعَدة صَديقًا لأبى العتاهية ، فكان يقوم بحوائجه كلّها ويُخلص مودّته ، فمات ، وعرَضتْ لأبى العتاهية حاجةٌ إلى أخيه عمرو ابن مسعدة فتباطأ فيها ؛ فكتب اليه أبو العتاهية :

غَنِيتَ عن العهد القديم غَنِيتَا * وضَيَّعتَ وُدًّا بيننا ونَسِيتا

ومِن عَجَب الأيّام أن مات مَألَفى * ومَن كُنتَ تَغْشانى به وبَقِيتَا

١٣٥ / ٣

فقال عمرو : استطال أبو إسحاق أعمارَنا وتوعّدنا ، ما بعد هذا خيرٌ ، ثم قَضَى حاجتَه .

فارق أبا غزية فى المدينة وأنشده شعرا

أخبرنى الحَرَمى بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا أبو غَزِيّة قال :

كان أبو العتاهية إذا قدِم من المدينة[1] يجلس إلىّ ؛ فأراد مرّةً الخروجَ من المدينة فودّعنى ثم قال :

إنْ نَعِشْ نجتمعْ وإلّا فما أَشْـ * ـغَلَ مَن مات عن جميع الأنام

صنع له غلام من تجار مال فقال فيه شعرا أخجله

أخبرنى أحمد بن العبّاس العَسْكرى قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزى قال حدّثنى عبد الرحمن بن إسحاق العُذْرى قال :

كان لبعض التُّجّار من أهل باب الطّاق[2] على أبى العتاهية ثمنُ ثياب أخذها منه . فمرّ به يوما ، فقال صاحبُ الدُّكّان لغلام ممن يَخْدُمه حسنِ الوجه : أَدْرِكْ أبا العتاهية فلا تُفارقه حتى تأخذَ منه مالنا عنده[3] ؛ فأدركه على رأس الجسر ،

(١) كذا فى جميع النسخ . والسياق يقتضى حذف «من» كما هو ظاهر . (٢) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقى عرف بطاق أسماء . (٣) فى س ، ب : «ما كان عنده» .

فأخذ بعنان حماره ووقّفه[1] . فقال له : ما حاجتُك ياغلام؟ قال : أنا رسول فلان، بعثني إليك لآخذ ماله عليك. فأمسك عنه أبو العتاهية، وكان كلُّ مَن مرّ فرأى الغلامَ متعلّقا به وقف ينظُر، حتى رضِى أبو العتاهية جَمْعَ الناس وحَفْلَهم، ثم أنشأ يقول :

والله ربِّك إنّني * لأُجِلُّ وجهَك عن فعالكْ
لو كان فعلُك مثلَ وجـ * ـهِك كنتُ مُكتفياً بذلكْ

فخجِل الغلام وأرسل عنانَ الحمار، ورجَع الى صاحبه، وقال: بعثتَني الى شيطان جَمع عليّ الناس وقال فيّ الشعرَ حتى أخجلني فهرَبتُ منه .

حجبه حاجب عمرو ابن مسعدة فقال فيه شعرا

أخبرني أحمد بن العبّاس قال حدّثنا العَنَزيّ قال قال إبراهيم بن إسحاق ابن إبراهيم التّيميّ : حدّثني إبراهيم بن حَكيم قال :

كان أبو العتاهية يختلف إلى عمرو بن مَسعدة لود كان بينه وبين أخيه مُجاشع . فاستأذن عليه يومًا فحُجب عنه، فلَزِم منزلَه . فاستبطأه عمرو، فكتب إليه : إنّ الكسل يمنعني من لقائك، وكتب في أسفل رقعته :

كَسّلني اليأسُ منكَ عنك فما * أرفعَ طَرْفي إليك من كَسَلِ
إنّي إذا لم يكن أخي ثِقةً * قطّعتُ منه حبائلَ الأملِ

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد النَّحْويّ قال :

استأذن أبو العتاهية على عمرو بن مَسْعدة فحُجب عنه، فكتب إليه :

---

(١) حكى عن بعضهم أنه قال: مايمسك باليد يقال فيه : أوقفت (بالألف)، ومالا يمسك باليد يقال فيه : وقفت (بغير ألف) . والفصيح وقفت بغير ألف في جميع الباب إلا في قولك : ماأوقفك هاهنا ؟ وأنت تريد : أيّ شأن حملك على الوقوف . (انظر المصباح المنير مادة وقف) .

مالك قد حُلْتَ عن إخائك وآ * ستبدلت يا عمرو شيمة كَدِرَهْ
إنّى إذا البابُ تاه حاجبُــه * لم يَكُ عنـدى فى هَجْره نَظِــرَهْ
لَسْتُمْ تُرَجَّوْنَ للحساب ولا * يومَ تكونُ السماءُ مُنفطِــرهْ
لكنْ لدنيا كالظلّ بهجتُها * سريعــةُ الإنقضاء مُنْشمِرَهْ
قد كان وجهى لديك معرفةً * فاليـومَ أضحى حَرْفًا من النَّكِرَهْ

قصيدته فى هجو عبد الله بن معن وما كان بينهما

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال حدّثنا أبو عِكْرِمة قال :

كان الرّشيد إذا رأى عبدَ الله بن مَعْن بن زَائدة تمثّل قولَ أبى العتاهية :

أختُ بنى شَيْبان مرّتْ بنا * مَمْشوطةً كُورًا[1] على بَغْـلِ

١٣٦ / ٣

وأوّل هذه الأبيات :

يا صاحِبَىْ رَحْلِى لا تُكْثِرا * فى شَتْم عبد الله من عَذْلِ
سبحانَ من خَصَّ آبنَ معنٍ بما * أرى به من قِــلّة العقل
قال آبنُ مَعْنٍ وجَلا نفسَه * على مَنِ الجَـلْوةُ يا أهـلِى
أنا فتـاةُ الحىّ من وَائـلٍ * فى الشَّرَف الشّامخ والنُّبْل
ما فى بَنى شَيبانَ أهلِ الحِجَا * جاريةٌ واحــدةٌ مثــلى
وَيْـلِى ويا لَهْفِى على أَمْرَدٍ * يُلْصِق منّى القُرْطَ بالحِجْـلِ[2]
صافحتُــه يومًا على خَلْوةٍ * فقال دَعْ كفى وخُذْ رِجْلى
أختُ بنى شيبانَ مرّتْ بنا * ممشوطةً كُورًا على بَغْل
تُكْنَى أبا الفضل ويامَن رأى * جاريةً تُكْنَى أبا الفضل

١٠
١٥

(١) الكور : الرحل .

(٢) الحِجل (بفتح الحاء وكسرها) : الخلخال .

قد نَقَّطتْ فى وجهها نُقطةً * مَخافةَ العينِ من الكُحْلِ
إن زُرتموها قال حُجَّابُها * نحن عن الزُّوَّار فى شُغْلِ
مولاتُنا مشغولةٌ عندها * بَعْلٌ ولا إذنَ على البَعْلِ
يا بنتَ مَعْنِ الخيرِ لا تجهلِى * وأين إقصارٌ عن الجهلِ
أتَجْلِدُ الناسَ وأنت آمرؤٌ * تُجْلَدَ فى الدُّبْر وفى القُبْلِ
ما ينبغى للنَّاس أن يَنْسُبُوا * مَنْ كان ذا جُودٍ إلى البُخلِ
يَبْذُلُ ما يمنع أهلُ النَّدى * هذا لعَمْرى مُنتهى البَذْلِ
ما قلتُ هذا فيك إلّا وقد * جَفَّتْ به الأقلامُ من قَبْلِ

قال : فبعث إليه عبد الله بن مَعْن، فأُتِى به، فدعا بغلمان له ثم أمرَهم أن يَرتكبوا منه الفاحشةَ، ففعلوا ذلك، ثم أجلسه وقال له : قد جزَيتُك على قولك فىّ، فهل لك فى الصُّلح ومعه مَرْكَبٌ وعشرة آلاف درهم أو تُقيم على الحرب؟ قال: بل الصلح . قال : فأسمِعْنى ما تقوله فى الصلح؛ فقال :

ما لعُذَّالى ومالى * أمرونى بالضَّلالِ
عذَلونى فى آغتفارى * لآبنِ مَعْنٍ وآحتمالى
إن يكن ما كان منه * فبِجُرمى وفعالى
أنا منه كنتُ أسوا * عِشْرةً فى كلّ حال
قل لمن يَعْجَب من حُسـ * ـنِ رُجوعى ومَقالى
رُبَّ وُدٍّ بعد صَدٍّ * وهوى بعد تَقَالِى(١)
قد رأينا ذا كثيرًا * جاريًا بين الرِّجال
إنما كانت يمينى * لطَمَتْ منّى شِمالى

(١) التقالى : التباغض .

حب سعدى التى كان يحبها ابن معن ثم هجاها

١٣٧ / ٣

حدّثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى اليزيدىّ قال حدّثنا أبو سُوَيد عبد القَوِىّ بن محمد بن أبى العتاهية ومحمدُ بن سعد قالا[1] :

كان أبو العتاهية يَهوَى فى حَداثته آمرأةً نائحة من أهل الحيرة لها حُسن وجمال يقال لها سُعدَى ؛ وكان عبد الله بن مَعْن بن زائدة المُكَنَّى بأبى الفضل يَهواها أيضا ، وكانت مولاةً لهم ، ثم آتَّهمها أبو العتاهية بالنِّساء ، فقال فيها :

ألَا يا ذَواتِ السُّحْق فى الغرب والشَّرق * أَفِقن فإنّ النَّيْك أَشْفَى من السَّحْقِ

أفِقن فإنّ الخبز بالأُدم يُشتَهَى * وليس يَسُوغُ الخبزُ بالخُبز فى الحَلْق

أَراكُنَّ تَرْقَعن الخُروقَ بمثلها * وأىّ لبيب يرقع الخَرْقَ بالخَرق

وهل يصلُحُ المِهراسُ[2] إلا بعُوده * إذا آحْتِيج منه ذاتَ يوم الى الدَّقّ

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى الغَلَابِىّ قال حدّثنى مَهْدِىّ بنُ سابق قال :

تهدّد عبدُ الله بن معن أبا العتاهية وخوّفه ونهاه أن يَعرِض لمولاته سُعْدى ؛ فقال أبو العتاهية :

ألَا قُل لآبن معنٍ ذا الذى فى الوُدّ قد حالا

لقد بُلِّغتُ ما قال * فما باليتُ ما قالا

ولو كان من الأُسْد * لَمَا صَال ولا هالا

فصُغْ ما كنتَ حلَّيتَ * به سَيفَك خَلْخَالا

وما تصنَع بالسيف * إذا لم تَكُ قتّالا

ولو مَدّ إلى أُذْنيـ * ـه كفّيه لما نَالا

قَصيرُ الطُّولِ والطِّيلـ * ـةِ[3] لا شَبّ ولا طَالا

أرى قومَك أبطالا * وقد أصبحتَ بطّالا

(١) فى جميع النسخ : «قال» بالإفراد. (٢) المهراس : الهاون. (٣) الطيلة هنا : العمر.

ضربه عبد الله بن معن فهجاه

حدّثنا الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنى سُليمان المدائنىّ قال:
احتال عبد الله بن مَعْن على أبى العتاهية حتى أُخذ فى مكان فضربه مائةَ سَوْط ضربًا ليس بالمبرِّح غَيْظًا عليه، و إنما لم يَعنُفْ فى ضربه خوفًا من كثرة من يُعنَى به؛ فقال أبو العتاهية يهجوه:

جَـــلَدَتْنى بكَفّها * بنتُ معن بن زائدهْ
جَـلدتنى فأَوجعتْ * بأبى تِــلك جَالدهْ
وتَراها مـــع الخَصِىّ على البـاب قاعدهْ
تَتَكَنّى كُنَى الرجا * لِ بِعَمْــدٍ مُكَايدهْ
جــلدَتْنى و بالغتْ * مائةً غـــيرَ واحدهْ
اِجْلدينى وٱجْلدى * إنّمــا أنتِ والدهْ

وقال أيضا:

ضربَتْنِى بكَفِّها بنتُ مَعْنٍ * أَوْجَعَتْ كفَّها وما أوجعتنِى
ولَعَمْرِى لولا أذى كفِّها إذ * ضَرَبتْنِى بالسَّوط ما تَرَكَتْنى

توعده يزيد بن معن، لهجائه أخاه فهجاه

١٣٨
٣

قال الصُّولىّ: حدّثنا عَوْن بن محمد ومحمد بن موسى قالا:
لمّا ٱتصل هِجاءُ أبى العتاهية بعبد الله بن معن وكَثُر، غضبَ أخوه يزيدُ بن معن من ذلك وتَوعّد أبا العتاهية؛ فقال فيه قصيدتَه التى أوّلُها:

بَنَى مَعْنٌ ويَهـــدِمُه يزيدُ * كذاك اللهُ يفعـــل ما يُريدُ
فمَعْنٌ كان لِلحُسّاد غمًّــا * وهذا قد يُسَرّ به الحســود
يزيدُ يزيدُ فى مَنْــعٍ وبخلٍ * ويَنقُص فى العطاء ولا يزيد

مصالحته أولاد معن

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى جَبَلَةُ بن محمد قال حدّثنى أبى قال :

مضى بنو مَعْن الى مَنْدَل وحِبّان ابنَىْ علىّ العَنَزِيَّيْن الفقيهين — وهما من بنى عمرو ابن عامر بطنٍ مِنْ يَقْـدُمَ بن عَنَزة، وكانا من سادات أهل الكوفة — فقالوا لهما : نحن بيتٌ واحد وأهلٌ، ولا فرقَ بيننـا، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتانا من بعيد الوَلاء لوجبَ أن تَردعاه. فأحْضَرا أبا العتاهية، ولم يكن يُمكنه الخلافُ عليهما، فأصلحا بينه وبين عبـد الله و يزيد ابنَىْ معن ، وضمِنا عنـه خُلُوصَ النيّة ، وعنهما ألّا يَتْبَعاه بسوء، وكانا ممّن لا يُمكن خلافُهما، فرجَعت الحالُ الى المَودّة والصَّفاء. فجعل النـاس يَعذُلون أبا العتاهية على ما فرَط منـه ، ولامه آخرون فى صُلْحه لهما ؛ فقـال :

ما لعُـذّالى ومالى * أمَروني بالضَّـلال

وقد كُتِبتْ متقدّمة .

رثاؤه زائدة بن معن

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال :

كان زائدةُ بن معنٍ صديقا لأبى العتاهيـة ولم يَعِنْ إخوتَه عليه، فمات؛ فقال أبو العتاهية يَرثيه :

حَزِنتُ لموت زائدةَ بن مَعْنٍ * حقيقٌ أن يطولَ عليـه حُزنى

فَتَى الفتيـانِ زائدةُ المُصَـفَّى * أبو العباس كان أخى وخِدْنى

فتى قومٍ وأىُّ فـتًى توارتْ * به الأكفانُ تحت ثَرًى ولِبْنْ (١)

ألا يا قبرَ زائدةَ بنِ مَعْنٍ * دعوتُك كى تُجيبَ فـلَمْ تُجبْنى

سَلِ الأيّامَ عن أركانِ قـومى * أصبنَ بهنّ رُكنًا بعـد ركن

(١) اللبن (بكسر فسكون لغة فى اللبن ككتف ، و يقال فيه : اللبن بكسرتين مثل إبل) : المضروب من الطين مربعا للبناء .

كان عبد الله ابن معن يخجل اذا لبس السيف لهجوه فيه

أخبرنى الصّولىّ قال حدّثنا الحسن بن علىّ الرازىّ القارىّ قال حدّثنى أحمد ابن أبى قَنَن قال :

كنّا عند ٱبن الأعرابىّ، فذكروا قولَ ٱبن نَوْفَلٍ فى عبد الملك بن عُمَير :

إذا ذاتُ دَلٍّ كلّمتْــــه لحاجةٍ * فَهَمّ بأن يَقْضِى تَنَحْنَحَ أو سَعَلْ

٥ وأن عبــد الملك قال : تركنى والله وإنّ السُّعْلة لتَعرِض لى فى الخلاء فأذكُر قولَه فأهاب أن أسعُل. قال : فقلت لٱبن الاعرابىّ : فهذا أبو العتاهية قال فى عبد الله ابن مَعْن بن زائدة :

فصُغْ ما كنت حَلَّيتَ * به سـيفَك خَلْخَالَا

وما تصـنع بالسّيف * إذا لم تــك قتّالا

١٠ فقال عبــد الله بن مَعْن : ما لبستُ سيفى قطّ فرأيت إنسانا يَلمَحُنى إلا ظننتُ أنه يحفَظ قولَ أبى العتاهية فىّ، فلذلك يتأمّلنى فأخجَل. فقال ٱبن الأعرابىّ : اِعْجَبوا لعبد يهجو مولاه . قال : وكان ٱبن الأعرابىّ مولى بنى شَيْبان .

ناظر مسلم بن الوليد فى قول الشعر

١٣٩/٣ نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : حدّثنى علىّ بن مَهْدِىّ قال حدّثنى الحسين بن أبى السَّرىّ قال :

١٥ اِجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصارىّ فى بعض المجالس، فجرى بينهما كلامٌ ؛ فقال له مُسلم : والله لو كنتُ أرضى أن أقولَ مثل قولك :

الحمــدُ والنعمةُ لك * والملكُ لا شريكَ لكْ

* لبيك إنّ المُلْك لكْ *

لقلتُ فى اليوم عشرة آلاف بيت ، ولكنّى أقول :

مُوف على مُهَجٍ فى يوم ذى رَهَجٍ[1] * كأنّه أجلٌ يسعَى إلى أملِ

ينال بالرفق ما يَعْيا الرجالُ به * كالموت مُستعجِلاً يأتى على مَهَلِ

يكسو السيوف نفوسَ الناكثين به * ويجعل الهامَ تيجانَ القنا الذُّبُلِ

لله من هاشمٍ فى أرضه جبلٌ * وأنت وابنُك رُكْنا ذلك الجبلِ

٥

فقال له أبو العتاهية : قُلْ مثلَ قولى :

الحمدُ والنعمةُ لكْ *

أقُلْ مثل قولك :

* كأنّه أجلٌ يسعى الى أملِ . .

تقارض هو وبشار الثناء على شعريهما

حدّثنى الصولىّ قال حدّثنا الغَلابىّ قال حدّثنا مَهْدِىّ بن سابق قال : ١٠

قال بَشّار لأبى العتاهية : أنا والله أَسْتَحسِنُ اعتذارك من دَمْعك حيث تقول :

كم من صَديقٍ لى أُسا رِقُه البُكاءَ من الحَياءِ

فإذا تأمّلَ لامنى فأقول ما بى مِنْ بُكاءِ

لكن ذهبتُ لأَرتدى * فطَرَفتُ عينى بالرِّداءِ

فقال له أبو العتاهية : لا والله يا أبا مُعاذ ، ما لُذتُ إلّا بمعناكَ ولا اجْتنيتُ إلا من ١٥
غَرْسك حيث تقول :

---

(١) فى يوم ذى رهج : أى فى يوم ذى غبار من الحرب . وفى ديوان مسلم (طبع مدينة ليدن ص ٩) :

* موف على مهج واليوم ذو رهج

صـــوت

شكوتُ إلى الغوانى ما أُلاقِى * وقلتُ لهنّ ما يومى بَعِيـدُ

فقُلْنَ بكيتَ قلتُ لهنّ كلّا * وقد يَبْكى من الشّوق الجَلِيدُ

ولكنّى أصـابَ سَوادَ عينى * عُوَيْدُ قَذًى له طَرَفٌ حديدُ

فقُلْن فما لدَمْعِهما ســواءً * أكلْتا مُقْلتَيْك أصاب عُودُ

لإبراهيم المَوصلىّ فى هذه الأبيات لَحْنٌ من الثّقيل الأوّل بالوُسطى مُطْلَق .

شكا اليه محمد بن الفضل الهاشمىّ جفاء السلطان فقال شعرا

أخبرنى الحســن بن علىّ الخَفَّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثنى محمد بن هارون الأَزْرَقىّ مولى بنى هاشم عن ابن عائشــة عن آبنٍ لمحمد بن الفضل الهاشمىّ قال :

جاء أبو العتاهيــة الى أبى فتحدّثا ساعةً ، وجعل أبى يشكو اليه تَخَلُّفَ الصَّنْعة[1] وجَفاءَ السلطان . فقال لى أبو العتاهية : اكْتُبْ :

كُلٌّ على الدّنيــا له حِرْصُ * والحادثاتُ أَناتُهــا غَفْصُ[2]

وكأنّ من وَارَوْه فى جَدَثٍ * لم يبدُ منه لنــاظرٍ شخصُ

تَبْغِى من الدنيا زيادتَهـا * وزيادةُ الدنيا هى النَّقْصُ

لِيَــدِ المنيّة فى تَلَطُّفهـا * عن ذُخْر كلِّ شفيقةٍ فَحْصُ

حبسه الرشيد ثم عفا عنه وأجازه

حدّثنى عمرو قال حدّثنى علىّ بن محمــد الهشامىّ[3] عن جدّه ابن حَمْــدون قال حدّثنى مُخَارِق قال :

لمّــا تنسَّك[4] أبو العتاهية ولبِس الصوف ، أمره الرشيد أن يقول شعرًا فى الغزَل ، فآمتنع ، فضربه الرشيد ستين عصًا ، وحلَف ألّا يخرُج من حَبْسه حتى يقول شــعرًا

(١) كذا فى الأصول . ولعلها : «الصنيعة» . (٢) الغفص : الختل . (٣) فى جميع النسخ : «الشامى» وهو تحريف . (٤) فى حـ : «تقرأ» ومعناه : تنسك .

فى المنزل. فلمّا رُفعت المَقارِعُ عنه قال أبو العتاهية : كلُّ مملوك له حرّ وآمرأته طالقٌ إن تكلّم سَنةً إلّا بالقرآن أو بلا إله إلا الله محمد رسول الله . فكأنّ الرشيدَ تحزّن ممّا فعله ، فأمر أن يُحبَس فى دار ويُوسَّعَ عليه ، ولا يُمنع من دخول من يُريد اليه . قال مُخارق : وكانت الحالُ بينه وبين إبراهيم الموصلىّ لطيفةً، فكان يبعثُنى اليه فى الأيام أتعرّف خبرَه . فإذا دخلتُ وجدتُ بين يديه ظَهْراً[1] ودواةً ، فيكتب الىّ ما يريد ، وأُكلّمه . فمكث هكذا سنةً . واتّفق أنّ إبراهيم الموصلىّ صنع صوتَه :

صـــــوت

أعَرَفْتَ دارَ الحىّ بالحِجْرِ * فشدوريان فقُنّـةِ الغَمْرِ[2]

وهجرتَنا وألِفتَ رَسْمَ بِلًى * والرسمُ كان أحقّ بالهجْرِ

— لحنُ إبراهيم فى هذا الشعر خفيفُ رَمَلٍ بالوُسْطى . وفيه لإسحاق رمل بالوسطى —

قال مُخارق : فقال لى إبراهيم : اذهَبْ إلى أبى العتاهية حتى تُغَنِّيَه هـذا الصوتَ . فأتيته فى اليوم الذى انقضتْ فيه يمينه، فغنّيته إيّاه . فكتب إلىّ بعد أن غنّيته : هذا اليوم تَنقضى فيه يمينى، فأُحِبّ أن تُقيم عندى الى الليل؛ فأقمتُ عنده نهارى كلّه، حتى اذا أذّن النـاسُ المغربَ كلّمنى، فقال : يا مُخارق . قلت : لَبَّيْكَ . قال : قُلْ لصاحبك : يآبن الزانية ! أمَا واللهِ لقد أبقيتَ للناس فتنةً إلى يوم القيامة، فانظر أين أنت من الله غدًا ! قال مُخارق : فكنتُ أوّل من أفْطَر على كلامه، فقلت : دَعْنى من هذا، هل قلت شيئا للتخلّص من هذا الموضع؟ فقال : نعم، قد قلت فى آمرأتى شعرا . قلت : هاته؛ فأنشدنى :

---

(١) لعله يريد بالظهر هنا الريش الذى يظهر من ريش الطائر وجمعه ظهار كعرق وعراق . ويظهر أنه كان من عادتهم الكتابة به كالأقلام . (٢) القنة : ذروة الجبل وأعلاه . والغمر : جبل بحذاء توز . وتوز : من منازل طريق مكة من البصرة معدود فى أعمال اليمامة . أما «شدوريان» فلم نهتد إليه .

صــــوت

مَنْ لِقلبٍ مُتَيَّمٍ مُشتاقِ * شَفّه شوقُه وطولُ الفراقِ
طالَ شوقى الى قعيدةِ بيتى * ليت شعرى فهل لنا من تَلاقِ
هى حظّى قد اقتصرتُ عليها * من ذوات العُقود والأطواقِ
جَمع اللهُ عاجلًا بكِ شملى * عن قريبٍ وفكّنى من وَثاقِ ٥

قال : فكتبتها وصِرْتُ بها الى إبراهيم ؛ فصنع فيها لحنا ، ودخل بها على الرشيد ؛ فكان أوّل صوت غنّاه إيّاه فى ذلك المجلس ؛ وسأله : لمن الشعرُ والغناء ؟ فقال إبراهيم : أمّا الغناء فلى ، وأما الشعر فلأسيرك أبى العتاهية . فقال : أَوَ قد فَعل؟ قال : نعم قد كان ذلك . فدعا به ، ثم قال لمسرور الخادم : كم ضربنا أبا العتاهية؟ قال : ستّين عصًا ، فأمر له بستّين ألف درهم وخلَع عليه وأطلقه . ١٠

غضب عليه الرشيد وترضاه له الفضل

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنا الحسين بن أبى السّرىّ قال :

١٤١ / ٣

قال لى الفضل بن العباس : وجَد الرشيدُ وهو بالرَّقّة على أبى العتاهية وهو بمدينة السّلام ، فكان أبو العتاهية يرجو أن يَتكلّم الفضلُ بن الربيع فى أمره ، فأبطأ عليه بذلك ؛ فكتب اليه أبو العتاهية : ١٥

أَجَفَوْتَنى فيمن جفانى * وجعلتَ شأنَك غيرَ شانى
ولطالما أَمّنْتَنى * ممّا أرى كلَّ الأمانِ
حتّى اذا انقلب الزّما * نُ علىّ صرتَ مع الزمانِ

فكلّم الفضلُ فيه الرشيدَ فرضى عنه . وأرسل اليه الفضلُ يأمره بالشخوص ، ويذكر له أنّ أمير المؤمنين قد رضى عنه ؛ فشخص اليه . فلما دخل الى الفضل ٢٠ أنشده قوله فيه :

فوجدنا * ه على نأيه قريبًا سميعًا

فأدخله إلى الرشيد ، فرجع الى حالته الأولى .

كان يزيد بن منصور يحبه ويقربه فرثاه عند موته .

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى إجازةً قال حدّثنى علىّ بن مَهْـدىّ قال حدّثنى الحسين بن أبى السَّرِىّ قال :

كان يزيد بن منصور خالُ المهدىّ يتعصب لأبى العتاهية ؛ لأنه كان يمـدح اليمانيةَ أخوالَ المهدىّ فى شعره ؛ فمن ذلك قوله :

صـــــوت

سُقيتَ الغيثَ يا قصرَ السّلامِ * فنِعْم محـلّةُ الملكِ الهُمامِ
لقـد نشرَ الإلهُ عليـك نُورًا * وحفّتـك الملائكةُ الكِرامُ
سأشكُر نعمةَ المهـدىّ حتّى * تدورَ عـلىّ دائرةُ الحِمامِ
له بيتانِ بيتٌ تُبّـعىٌّ * وبيتٌ حلّ بالبـلد الحـرامِ

قال : وكان أبو العتاهية طولَ حياة يزيد بن منصور يدّعى أنه مولًى لليمن ويَنْتفى من عَنَزَة ؛ فلمّـا مات يزيد رجَع إلى ولائه الأوّل . فحدّثنى الفضـل بن العبّاس قال : قلت له : ألم تكن تزعُم أنّ ولاءَك لليمن ؟ ! قال : ذلك شىءٌ آحتجنا إليه فى ذلك الزمن ، وما فى واحدٍ ممّن أنتميتُ إليـه خيرٌ ، ولكنّ الحقَّ أحقّ أن يُتّبع . وكان آدّعى ولاءَ اللَّخْميّين . قال : وكان يزيد بن منصـور من أكرم النّـاس وأحفظهم لحُرْمة ، وأرعاهم لعهد . وكان بارًّا بأبى العتاهية ، كثيرَ فضلِه عليه ، وكان أبو العتاهية منه فى مَنَعة وحِصْنٍ حَصِين مع كَثْرة ما يدفعُه إليه و يمنَعه من المكاره . فلما مات قال أبو العتاهية يرثيه :

أَنْعَى يزيدَ بن منصـورٍ الى البَشَرِ * أَنْعَى يزيدَ لأهلِ البَـدْوِ والحَضَرِ
يا ساكنَ الحُفْرة المهجورِ ساكنُها * بعد المَقَاصر والأبواب والحُجَـرِ
وجدتُ فَقْدَك فى مالى وفى نَشَبِى * وجدتُ فقدك فى شَعْرى وفى بَشَرى[(1)]
فلستُ أَدْرِى جزاكَ اللهُ صالحـةً * أَمنظَرِى اليومَ أَسْوَا فيك أم خَبَرِى

استحسن شعره بشار وقد اجتمعا عند المهدى

١٤٢ / ٣

٥ حدّثنا آبن عَمّار قال حدّثنا محمد بن إبراهيم بن خَلَف قال حدّثنى أبى قال : حُدِّثتُ أنّ المهدىّ جلس للشّعراء يومًا، فأذِن لهم وفيهم بشّار وأشجعُ، وكان أشجع يأخذ عن بشّار ويُعَظِّمــه . وغيرُ هذين، وكان فى القوم أبو العتاهيــة . قال أشجع : فلمّا سمع بشّار كلامَه قال : يا أخا سُلَيم، أهذا ذلك الكوفىّ المُلَقَّب ؟ قلت نعم . قال : لا جزى الله خيرًا مَنْ جمعنا معه . ثم قال له المهدىّ : أَنْشِدْ، فقال :
١٠ ويحك ! أَوَ يَبدأ فيُستَنشَدَ أيضا قبلنا ؟ ! فقلتُ : قد تَرى . فأَنشد :

أَلا ما لسيّـدتى ما لهـا * أَدَلًّا فأَحمِـلَ إدْلالَهـا
وإلّا ففـيمَ تَجَنَّـتْ وما * جَنيتُ سَقَى اللهُ أطلالَهـا
أَلا إنّ جاريـةً للإما * مِ قد أُسْكِنَ الحبُّ سِرْبالَهَا
مَشتْ بينَ حُورٍ قِصارِ الخُطَا * تُجاذِب فى المَشْى أكفالَهـا
١٥ وقـد أَتعب اللهُ نفسى بها * وأَتعب باللّـوْم عُذّالَهـا

قال أشجع : فقـال لى بشّار : ويْحَـك يا أخا سُلَيم ! ما أدرى من أىّ أَمْرَيْه أعجب : أَمِنْ ضعْف شِعْره ، أم من تَشْبيه بجارية الخليفة ، يسمع ذلك بأذنه ! حتى أتى على قوله :

أَتَتْه الخـلافةُ مُنقـادةً * إليــه تُجَـرِّرُ أذيالَهـا
٢٠ ولم تَك تصلُح إلّا له * ولم يَكُ يصلُح إلّا لهـا

(١) فى ديوانه : « شعرى (بكسر الشين) وفى بشرى » .

ولو رامها أحدٌ غيرُه ... لَزُلزلتِ الأرضُ زِلْزالَها
ولو لم تُطِعْه بناتُ القلوب[1] ... لما قَبِل اللهُ أعمالَها
وإنّ الخليفةَ من بُغض لا ... إليه لَيُبغِض مَن قالَها

قال أشجع : فقال لى بشّار وقد ٱهتزّ طربا : ويحك يا أخا سُلَيم ! أترى الخليفةَ لم يَطِرْ عن فَرْشه طَرَبًا لما يأتى به هذا الكوفىّ ؟

شنّع عليه منصور ابن عمار ورماه بالزندقة

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنى ٱبن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى العبّاس ابن مَيمون قال حدّثنى رَجاء بن سَلَمة قال :

سمعتُ أبا العتاهية يقول : قرأتُ البارحة ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾، ثم قلتُ قصيدة أحسنَ منها . قال : وقد قيل : إنّ منصورَ بن عمّار شنّع عليه بهذا .

قال يحيى بن علىّ حدّثنا ٱبن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى أبو عُمَر القرشىّ قال :

لمّا قصّ منصور بن عمّار على الناس مجلسَ البَعُوضة[2] قال أبو العتاهية : إنما سرق منصورٌ هذا الكلامَ من رجل كوفىّ . فبلغ قولُه منصورًا فقال : أبو العتاهية زِنْديقٌ، أمَا تَرَوْنه لا يذكر فى شعره الجنة ولا النار، وإنما يذكر الموت فقط ! فبلغ ذلك أبا العتاهية، فقال فيه :

يا واعظَ الناس قد أصبحتَ مُتَّهَمًا ... إذ عِبتَ منهم أمورًا أنت تأتيها
كالمُلْبِس الثوبَ من عُرْيٍ وعورتُه ... للناس باديةٌ ما إنْ يُواريها

(١) بنات القلوب : النيات .

(٢) يريد بذلك أنه قص ما يتعلق بالبعوضة من خلقها وصفتها وما أودعه الله فيها من الأسرار، فأطلق المكان — وهو المجلس — وأراد مايقع فيه، وهذا المجاز كثير الاستعمال . وقد تكلم الإمام الغزالى فى الإحياء فى باب المحبة على البعوضة (راجع ج ٤ ص ٢٤٠ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٦ هـ) وتكلم عليها الدميرى أيضا فى حياة الحيوان (راجع ج ١ ص ١٥٩ — ١٦٦ طبع بلاق) .

فأعظمُ الإثمِ بعد الشِّركِ نَعلَمُه * في كلّ نفسٍ عَماها عن مَساويها

عِرفانُها بعيوب الناس تُبصرها * منهم ولا تُبصر العيبَ الذي فيها

فلم تَمضِ إلّا أيامٌ يسيرة حتى مات منصور بن عَمّار، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال : يَغفِرُ الله لك أبا السَّرِى ما كنتَ رميتَنى به .

وشى به إلى حمدويه صاحب الزنادقة فتحقق أمره وتركه

٥ أخبرني محمد بن يحيي قال حدّثنا محمد بن موسى قال أخبرني النَّسائيّ عن محمد ابن أبي العتاهية قال :

كانت لأبي العتاهية جارةٌ تُشرِف عليه، فرأته ليلةً يَقنُت ، فروتْ عنه أنه يُكلِّم القمرَ، واتّصل الخبرُ بحَمْدُويَهْ صاحب الزنادقة، فصار إلى منزلها وبات وأشرف على أبي العتاهية ورآه يُصلّي، ولم يَزَلْ يرقُبه حتى قَنَت وانصرف إلى مَضْجَعه ،

١٤٣ / ٣

١٠ وانصرف حَمْدُويه خاسئًا .

قال شعرا يدل على توحيده ليتناقله الناس

حدّثنا محمد بن يحيي قال حدّثنا محمد بن الرِّياشيّ قال حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشَجانيّ قال :

جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زعَم الناس أنّي زنديق ، والله ما دِيني إلا التّوحيد . فقلنا له : فقُلْ شيئا نتحدّث به عنك ؛ فقال :

١٥ ألَا إنّنا كلّنا بائدُ * وأيّ بني آدمٍ خالدُ

وبَدْؤُهمُ كان من ربّهم * وكلٌّ إلى ربّه عائدُ

فيا عجبا كيف يُعصَى الإلٰـ * ـهُ أم كيف يَجحَدُه الجاحدُ

وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ * تدلّ على أنه واحدُ

أرجوزته المشهورة وقوة شعره

أخبرنى أبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال :

تذاكروا يومًا شعرَ أبى العتاهية بحَضرة الجاحظ، إلى أن جرى ذكرُ أُرجُوزتِه المُزدوِجة التى سمّاها "ذاتَ الأمثال"، فأخذ بعضُ مَنْ حضر يُنشِدها حتى أتى على قوله :

يا لَلشَّبابِ المَرِحِ التَّصابِى * روائحُ الجنّة فى الشَّبابِ

فقال الجاحظ للمُنشِد : قِفْ، ثم قال : ٱنظروا إلى قوله :

* روائحُ الجنّة فى الشَّباب *

فإنّ له معنًى كمعنى الطَّرَب الذى لا يقدِر على معرفته إلا القلوبُ، وتَعجِز عن ترجمته الألسنةُ إلا بعد التطويل وإدامة التفكير. وخيرُ المعانى ما كان القلبُ إلى قَبوله أسرعَ من اللسان إلى وَصفه. وهذه الأُرجوزة من بدائع أبى العتاهية. ويقال : إن [له] فيها أربعةَ آلاف مَثَل. منها قوله (١) :

حَسْبُكَ ممّا تَبْتَغيه القوتُ * ما أكثرَ القُوتَ لمن يموتُ
الفقـرُ فيما جاوز الكَفَافا * مَن ٱتّقَى اللهَ رَجا وخافا
هىَ المقاديرُ فلُمْنِى أو فَذَرْ * إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَرْ
لكلِّ ما يُؤذِى وإن قَلَّ أَلَمْ * ما أطولَ الليلَ على من لم يَنَمْ
ما ٱنتفع المرءُ بمثل عقلِه * وخيرُ ذُخْرِ المرءِ حُسْنُ فعلِه
إنّ الفساد ضِدُّه الصلاحُ * ورُبَّ جِدٍّ جَرَّه المُزاحُ
مَن جعل النَّمّامَ عينًا هلَكا * مُبْلِغُك الشرَّ كباغيه لكا
إنّ الشَّبابَ والفراغَ والجِدَه * مَفْسَدةٌ للمرء أىُّ مَفْسَدَه

(١) [illegible]

يُغنيك عن كلّ قبيح تَرْكُهُ * يَرتَهِن الرأىَ الأصيلَ شَكُّهُ

ما عيشُ مَنْ آفتُه بقاؤُه * نَغَّص عيشًا كلَّه فَناؤُه[1]

يا رُبَّ مَنْ أَسخطنا بجَهْده * قد سَرّنا اللهُ بغير حَمْده

ما تطلُع الشمسُ ولا تغيبُ * إلّا لأمرٍ شأنُه عجيبُ

لكلّ شىء مَعْدنٌ وجَوْهَرُ * وأوسطٌ وأصغرٌ وأكبرُ

مَنْ لك بالمَحْض وكلٌّ مُمتزِجْ * وساوسَ فى الصّدر منه تَعتلِجْ

وكلُّ شىء لاحقٌ بجوهرِهْ * أصغرُه مُتّصِلٌ بأكبرِهْ

ما زالتِ الدنيا لنا دارَ أذَى * ممزوجةَ الصَّفو بألوان القَذَى

الخيرُ والشرُّ بها أزواجُ * لِذا نِتاجٌ ولِذا نِتاجُ

مَنْ لك بالمَحْض وليس مَحْضُ * يَخبُث بعضٌ ويَطيب بعضُ

لكلّ إنسانٍ طبيعتانِ * خيرٌ وشرٌّ وهما ضِدّانِ

إنّك لو تَستنشِق الشّحيحَا * وجدتَه أنتنَ شىءٍ رِيحَا

والخيرُ والشرُّ إذا ما عُدّا * بينهما بَوْنٌ بعيدٌ جِدّا

عجبتُ حتى غمّنى السكوتُ * صِرْتُ كأنّى حائرٌ مبهوتُ

كذا قضى اللهُ فكيف أصنعُ * الصمتُ إن ضاق الكلامُ أوسعُ

وهى طويلة جدًا ، وإنما ذكرتُ هذا القدرَ منها حسَب ما اْستاقَ الكلامُ من صفتها .

برمه بالناس وذمهم فى شعره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرُويَهْ عن رَوْح بن الفَرَج قال : شاوَرَ رجلٌ أبا العتاهية فيما ينقُشه على خاتمه ؛ فقال : انقُش عليه : لَعنةُ الله على الناس ؛ وأنشد :

(١) فى ديوانه ص ٣٤٨ : « ... عيشا طيّبا فناؤه » .

بَرِمتُ بالنــاس وأخلاقهم * فصِرْتُ أستأنِس بالوُحدَهْ
ما أكثَرَ الناسَ لعَمْري وما * أقلَّهم فى حاصل العِــدّهْ

مدح عمر بن العلاء فأجازه وفضله على الشعراء

حدّثنــا الصُّولىّ قال حدّثنا الغَلاَبىّ قال حدّثنا عبــد الله بن الضحّاك : أنّ عمر بن العلاء مولى عمرو بن حُرَيث صاحبَ المهدىّ كان ممدَّحا ، فمدحه أبو العتاهية ، فأمر له بسبعين ألف درهم ؛ فأنكر ذلك بعضُ الشعراء وقال : كيف فعل هذا بهذا الكوفىّ ! وأىّ شىء مِقدارُ شعره ! فبلغه ذلك ، فأحضر الرجلَ وقال له : والله إنّ الواحد منكم لَيَدُور على المعنى فلا يُصيبه ، ويتعاطاه فلا يُحسنه ، حتى يُشَبِّب بخمسين بيتا ، ثم يمدحنا ببعضها ، وهذا كأنّ المعانى تُجمع له ، مدحنى فقصّر التشبيبَ ، وقال :

إنّى أَمِنتُ من الزمان ورَيبه * لَمّا عَلِقتُ من الأمير حِبالاَ
لو يستطيع الناسُ من إجلاله * لحَــذَوْا له حُرَّ الوُجوه نِعالاَ

صــــوت

إنّ المطايا تَشتكيك لأنّهـا * قطَعتْ إليك سَباسِباً[1] ورِمالاَ
فإذا وَرَدْنَ بنا وردن مُخِفَّــةً[2] * وإذا رجَعْنَ بنا رجعن ثِقالاَ

أخذ هذا المعنى من قول نُصَيب :

فعاجُوا فأَثْنَوْا بالذى أنت أهــلُه * ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

رأى العتابى فيه

حدّثنــا الصُّولىّ قال حدثنا محمد بن عَوْن قال حدّثنى محمد بن النَّضْر كاتب غَسّان بن عبد الله قال :

(١) سباسب : جمع سبسب ، وهو الأرض القفر البعيدة . (٢) مخفة : قليلة الحمل . وفى ديوانه (طبع بيروت) : « خفافها » .

أخرجتُ رسولًا إلى عبد الله بن طاهر وهو يُريد مصر، فنزلت على العتّابىّ، وكان لى صديقا، فقال: أنشدنى لشاعر العراق — يعنى أبا نواس، وكان قد مات — فأنشدتُه ما كنت أحفظ من مُلَحه، وقلت له: ظَننتُك تقول هذا لأبى العتاهية. فقال: لو أردتُ أبا العتاهية لقلت لك: أنشدنى لأشعر الناس، ولم أقتصر على العراق.

١٤٥ / ٣

ملاحظته على سهولة الشعر لمن يعالجه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى هارون بن سَعْدان عن شيخ من أهل بغداد قال:

قال أبو العتاهية: أكثرُ الناس يتكلّمون بالشعر وهم لا يعلمون، ولو أحسنُوا تأليفَه كانوا شعراء كلُّهم. قال: فبينا نحن كذلك إذ قال رجلٌ لآخر عليه مِسحٌ(1): «يا صاحب المِسحِ تَبيعُ المِسْحَ(2)؟». فقال لنا أبو العتاهية: هذا من ذلك، ألم تسمعوه يقول:

* يا صاحبَ المِسح تَبيع المِسحا *

قد قال شعرا وهو لا يعلم. ثم قال الرجل: «تعال إن كنتَ تريد الرِّبح(2)». فقال أبو العتاهية: وقد أجاز المصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم، قال له:

* تعالَ إن كنتَ تُريد الرِّبحا *

وصف الأصمعىّ شعره

حدّثنا الصُّولىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن بِشْر(3) أبو طاهر الحَلَبىّ قال حدّثنا مَزْيَد الهاشمىّ عن السِّدْرىّ قال:

(1) المسح: كساء من شعر كثوب الرهبان.
(2) فى الأصول: «المسحا» و «الربحا» بالألف، وهو نثر لا داعى فيه لألف الإطلاق.
(3) فى أ، ء، م: «ابن بشر».

سمعت الأصمعىّ يقول : شِعْرُ أبى العتاهية كَساحة الملوك يَقع فيها الجوهرُ والذهب والتراب والخَزَف والنَّوَى .

مدح يزيد بن منصور لشفاعته فيه لدى المهدى

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال :

لمّا حَبس المهدىُّ أبا العتاهية، تكلّم فيه يَزِيد بن منصور الحِميرىّ حتى أطلقه؛ فقال فيه أبو العتاهية :

ما قلتُ فى فَضلِه شيئًا لأَمدحَه * إلّا وفضلُ يَزِيدٍ فوقَ ما قلتُ

مازِلتُ من رَيْبِ دهرى خائفًا وَجِلًا * فقد كفانِىَ بعدَ الله ما خِفْتُ

قدرته على ارتجال الشعر

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنى علىّ بن مَهدىّ قال حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عبد الله بن الحسن قال :

جاءنى أبو العتاهية وأنا فى الديوان فجلس إلىّ . فقلتُ : يا أبا إسحاق، أمَا يصعُب عليك شىءٌ من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج اليه سائرُ من يقول الشعر، أو إلى ألفاظ مُسْتكْرَهة ؟ قال لا . فقلت [له](1) : إنّى لأحسب ذلك من كثرة رُكوبك القوافىَ السَّهلةَ . قال : فاعْرِضْ علىّ ما شئتَ من القوافى الصعبة . فقلت : قل أبياتا على مثل البلاغ . فقال من ساعته :

أىُّ عيشٍ يكون أبلَغ من عيـ * ـشِ كَفافٍ قُوتٍ بقَدْرِ البلاغِ(2)

صاحبُ البَغْىِ ليس يسلَمُ منه * وعلى نَفْسِه بَغَى كلُّ باغِى

رُبَّ ذى نعمة تَعرَّضَ منها * حائلٌ بينه وبين المَساغِ

أَبْلَغ الدهرُ فى مَواعظِه بل * زاد فيهنّ لى على الإبلاغِ

غَبَنَتْنِى الأيّامُ عقلى ومالى * وشَبابى وصِحّتى وفَراغى

(١) زيادة عن ح . (٢) البلاغ هنا : الكفاية .

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثنا علىّ بن مَهْدِىّ قال حدّثنى أبو علىّ اليَقْطِينى قال حدّثنى أبو خَارِجةَ بنُ مسلم قال:

كان مسلم بن الوليد يستخف به فلما أنشده من غزله أكبره

قال مسلم بن الوليد: كنت مُسْتَخِفًّا بشعر أبى العتاهية، فلقِيَنى يومًا فسألنى أن أصير اليه، فصرت اليه فجاءنى بلَونٍ واحد فأكلناه، وأحضرنى تمرا فأكلناه، وجلسنا نتحدّث، وأنشدته أشعارًا لى فى الغزل، وسألته أن يُنْشِدنى، فأنشدنى قولَه:

بالله يا قُـــرّةَ العينَيْنِ زُورِينى * قبل الممــاتِ وإلّا فاسْتَزِيرِينى

إنّى لأَعْجَبُ من حُبٍّ يقرّبنى * ممن يُباعدنى منــه ويُقْصِينى[1]

أمّا الكثير فما أرجوه منكِ ولو * أطمعتِنى فى قليلٍ كان يَكفينى

ثم أنشدنى أيضا:

رأيتُ الهوى جمرَ الغَضَى غيرَ أنّه * على حَرِّه فى صـــدر صاحبه حُلْوُ

صـــوت

أَخِلّاىَ بى شَجْــوٌ وليس بكم شَجْوُ * وكلُّ امرئٍ عن شَجو صاحبه خِلْوُ

وما من مُحِبٍّ نال ممن يُحِبّـــه * هوًى صادقًا إلّا سيدخُله زَهْوُ

بُليتُ وكان المَـــزْحُ بدءَ بَلِيّتى * فأحببتُ حقًّا والبـــلاء له بَدْوُ

وعُلِّقتُ مَن يَزهو علىّ تجبُّرًا[2] * وإنّى فى كلّ الخصـــال له كُفْوُ

رأيتُ الهوى جمرَ الغَضَى غير أنّه * على كلّ حالٍ عنـد صاحبه حُلْوُ

— الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مُطلق فى مَجْرَى الوسطى عن إسحاق، وله فيــه أيضا خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو. ولعمرو بن بانةَ رَمَلٌ بالوسطى من كتابه. ولِعَرِيبَ فيه خفيفُ ثقيلٍ من كتاب ابن المُعتزّ — قال مسلم: ثم أنشدنى أبو العتاهية:

(١) كذا فى أ، ء، م. وفى سائر النسخ: «ويعصينى».
(٢) يزهو: يترفع ويتكبر. والفصيح: «يزهى» بالبناء للمجهول.

صـــوت

خليـــلىَّ مالى لا تَزال مَضَـــرّتى * تكون على الأَقْدار حَتْماً منَ الحَتْمِ
يُصاب فؤادى حين أَرْمى ورَمْيتى * تعودُ إلى نَحرى و يَسْلَمُ من أَرْمى
صَـــبَرتُ ولا والله ما بى جَلَادةٌ * على الصبر لكنّى صبَرتُ على رَغْمى
أَلَا فى سبيل الله جسـمى وقُوّتى * أَلَا مُسْعِدٌ حتى أنوح على جسمى
تَعَـدّ عظامى واحدًا بعـد واحدٍ * بِمَنْحَى[1] مِنَ العُـذّال عَظْماً على عظمِ
كفالكَ بحقّ الله ما قد ظلمتَـــنى * فهــذا مَقام المستجير من الظُّلْمِ

— الغناء لسِيَاط فى هــذه الأبيات ، و إيقاعه من خفيف الثقيل الأوّل بالسبّابة فى مجرى البِنْصر عن إسحاق — قال مسـلم : فقلت له : لا والله يا أبا إسحاق ما يُبالى مَنْ أحسنَ أن يقول مثل هــذا الشّعر ما فاته من الدنيـا ! فقال : يابن أخى، لا تقولنّ مثل هذا؛ فإن الشعر أيضا من بعض مَصايد الدنيا .

وفد مع الشعراء على الرشيد ومدحه فلم يجز غيره

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى عبدالرحمن بن الفضل قال حدّثنى ابن الأعرابىّ قال :

اجتمعت الشـعراء على باب الرشيد، فأذِن لهم فدخلوا وأنشدوا؛ فأنشد أبو العتاهية :

يا مَنْ تَبَـــغّى[2] زمنًا صالحًا * صَلاحُ هارونَ صلاحُ الزمنْ
كلُّ لسانٍ هـــو فى مُلكه * بالشكر فى إحسانه مُرْتَهَنْ

قال : فاهتزّ له الرشيـد ، وقال له : أحسنتَ والله ! وما خرج فى ذلك اليوم أحد من الشعراء بِصلَةٍ غيره .

(١) فى ب ، س : « بمنحى » بتقديم الحاء على النون ، وهو تحريف .
(٢) تبغى : تطلب . (٣) فى ب ، س : « فأدهش له » .

١٤٧ / ٣

قال شعراً فى المشمر فرس الرشيد فأجازه

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنا علىّ بن مهدىّ قال حدّثنا عامر بن عِمْران الضَّبىّ قال حدّثنى آبن الأعرابىّ قال :

أَجرى هارونُ الرشيد الخيلَ، فجاءه فرس يقال له المُشَمِّر سابقاً، وكان الرشيد مُعْجَبًا بذلك الفرس، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه؛ فبدرهم أبو العتاهية فقال :

٥ جاء المشمّرُ والأفراسُ يَقْدُمُها * هَوْناً على رِسْلِه(١) منها وما آنبهَرا

وخلَّف الريحَ حَسْرَى(٢) وهى جاهدةٌ * ومَرّ يختطف الأبصارَ والنظرَا

فأجزَلَ صلتَه، وما جَسَر أحدٌ بعد أبى العتاهية أن يقول فيه شيئاً .

رثاؤه صديقه على ابن ثابت

أخبرنى يحيى إجازةً قال حدّثنى الفضل بن عبّاس بن عُقبة بن جعفر قال :

كان علىّ بن ثابت صديقاً لأبى العتاهية وبينهما مُجَاوبات كثيرة فى الزهد

١٠ والحكمة، فتُوفّى علىّ بن ثابت قبله، فقال يَرْثيه :

مُؤْنِسٌ كان لى هَلَكْ * والسبيلُ التى سَلَكْ

يا علىّ بنَ ثابتٍ * غَفَر الله لى ولَكْ

كُلُّ حىٍّ مُمَلَّكٍ * سوف يَفْنَى وما مَلَكْ

قال الفَضْل(٣) : وحضر أبو العتاهية علىَّ بن ثابت وهو يجود بنفسه، فلم يَزَلْ مُلتزمه

١٥ حتى فاض(٤)؛ فلما شُدّ لَحْياه بكى طويلاً، ثم أنشد يقول :

يا شَرِيكى فى الخير قَرّبك اللّـ * ـهُ فنعم الشريكُ فى الخير كُنتَا

قد لَعَمْرِى حكَيْتَ لى غُصَصَ المو * تِ فحرَّكْتَنى لها وسَكَنْتَا

(١) على رسله : على تؤدته وهينته، ومثله الهون (بالفتح) . (٢) حسرى : كالة معيية .

(٣) فى ب، سـ : «أبو الفضل» وهو تحريف . (٤) فى م : «فاظ» وكلاهما بمعنى مات .

قال : ولمّا دُفن وقف على قبره يبكى طويلًا أحرّ بكاء ، ويردّد هـذه الأبياتَ :

ألا مَنْ لى بأُنسك يا أُخَيّا * ومَنْ لى أن أبثّك ما لديّا

طوتْكَ خُطوبُ دهرك بعد نَشْر * كذاك خُطوبُه نَشْرًا وطيّا

فلو نَشَرتْ قُواك لىَ المنايا * شكوتُ إليك ما صنعتْ إليّا

بكيتُك يا علىُّ بدمع عينى * فما أغنَى البكاءُ عليك شيّا [1]

وكانت فى حياتك لى عِظاتٌ * وأنت اليومَ أوعظُ منك حيّا

اشتمال مرثيته وعلى من أبيات على أقوال الفلاسفة فى موت الإسكندر

قال علىّ بن الحسين مؤلّف هذا الكتاب : هذه المعانى أخذها كلّها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لمّا حضروا تابوت الإسكندر، وقد أُخرج الإسكندر ليُدْفَنَ : قال بعضهم : كان الملك أمسِ أهيبَ منه اليومَ ، وهو اليوم أوعظُ منه أمس . وقال آخر : سَكَنتْ حركةُ الملك فى لذّاته، وقد حرّكنا اليوم فى سكونه جزعًا لفقده . وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية فى هذه الأشعار .

سأله جعفر بن الحسين عن أشعر الناس فأنشده من شعره

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى جعفر ابن الحسين المُهَلَّبىّ قال :

لَقِينا أبو العتاهية فقلنا له : يا أبا إسحاق، مَنْ أشعرُ الناس؟ قال : الذى يقول :

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ به * والبِرُّ خيرُ حقيبة الرَّحْلِ [2]

فقلت : أنشِدْنى شيئًا من شعرك؛ فأنشدنى :

يا صاحبَ الرُّوحِ ذى الأنفاسِ فى البَدَنِ [3] * بين النهار وبين الليل مُرْتَهَنِ

لقلّما يتخطّاك اختلافُهما * حتى يُفرِّق بين الرُّوح والبدنِ

(١) فى ا ، م ، ى : « على » .

(٢) فى ب ، ى : « الرجل » بالجيم المعجمة . (٣) كذا فى ديوانه . وفى جميع الأصول : « والأنفاس والبدن » .

لتجذبنّي يدُ الدنيا بقوّتها * إلى المنايا وإن نازعتُها رَسَنى[1]

لله دُنيا أُناسٍ دائبين لها * قد ارتَعَوْا في رياض الغيّ والفِتَنِ[2]

كسائماتٍ رِتاعٍ[3] تبتغي سِمَنًا * وحَتْفُها لو دَرَتْ في ذلك السِّمَنِ

قال : فكتبتُها، ثم قلت له : أنشدني شيئا من شعرك في الغزل؛ فقال : يابن أخي، إنّ الغزل يُسرع إلى مثلك . فقلت له : أرجو عصمةَ الله جلّ وعزّ . فأنشدني :

كأنّها من حُسنها دُرّةٌ * أخرجها اليَمُّ إلى الساحلِ

كأنّ في فيها وفي طَرفها * سواحرًا أقبلنَ من بابلِ

لم يُبْقِ مِنّي حبُّها ما خلا * حُشاشةً في بَدَنٍ ناحلِ

يا مَنْ رأى قبلي قتيلًا بكى * من شدّة الوَجْد على القاتلِ

فقلت له : يا أبا إسحاق ، هذا قولُ صاحبنا جَميل :

خليليّ فيما عشتُما هل رأيتما * قتيلًا بكى من حبّ قاتله قبلي

فقال : هو ذاك يابن أخي وتبسّم .

شعره في الحسر على الشباب

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أبو عِكْرِمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال :

دخلتُ مسجدَ المدينة ببغداد بعد أن بُويع الأمينُ محمدٌ بسَنة ، وإذا شيخٌ عليه جماعةٌ وهو يُنشد :

---

(1) كذا في الديوان . وفي الأصول : «لتحبسني يد الدنيا ...» .

(2) ورد هذا البيت في الديوان هكذا :

لله در أناس [illegible] * [illegible] في رياض الغيّ والفتن

(3) رتاع : جمع راتعة . وفي الديوان : «رواتع» جمع راتعة ، وهما بمعنى .

لَهْفِى على وَرَقِ الشَّبابِ * وغُصونِه الخُضْرِ الرِّطابِ
ذهب الشَّبابُ وبان عنّى غيرَ مُنْتَظَرِ الإيابِ
فلأَبْكِيَنَّ على الشَّبا * بِ وطِيبِ أيّامِ التَّصابى
ولأَبْكِيَنَّ من البِلَى * ولأبكِينّ من الخِضابِ
إنّى لآمُلُ أن أُخَلَّدَ والمنيَّةُ فى طِلَابى ٥

قال : فجعل يُنشدها وإنّ دموعَه لتَسيل على خدّيه . فلمّا رأيت ذلك لم أصبر أنْ
ماتُ فكتبتُها . وسألت عن الشيخ فقيل لى : هو أبو العتاهية .

كان ابن الأعرابى يعيب شعره

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفِىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِىّ قال
حدّثنى أبو العباس محمد بن أحمد قال :

كان ابن الأعرابىّ يَعيب أبا العتاهية ويَثْلُبُه، فأنشدته : ١٠

كم من سفيهٍ غاظَنى سَفَهًا * فشَفَيْتُ نفسى منه بالحِلْمِ
وكَفَيْتُ نفسى ظُلمَ عادِيَتى * ومنحتُ صفوَ مودّتى سِلْمى (١)
ولقد رُزِقتُ لظالمى غَلَطًا * ورَحِمتُه إذ لجّ فى ظُلْمى

أحب شعره إليه

أخبرنى محمد بن عِمران قال حدّثنى العنزىّ قال حدّثنى محمد بن إسحاق قال ١٤٩/٣
حدّثنى محمد بن أحمد الأزدىّ قال : ١٥

قال لى أبو العتاهية : لم أقل شيئاً قطّ أحبَّ إلىّ من هذين البيتين [فى] (٢) معناهما :

ليت شعرى فإنّنى لستُ أدرى * أىَّ يومٍ يكون آخِرَ عُمْرى
وبأىّ البلادِ يُقبضُ رُوحى * وبأىّ البِقاعِ يُحْفَرُ قبرى (٣)

(١) سلمى : مسالمى ؛ يقال : فلان سلم لفلان، وحرب له ، اذا كان بينهما سلام أو حرب .
(٢) التكملة عن نسخة أ . (٣) فى ب ، س : « البلاد » . ٢٠

راهن فى أول أمره جماعة على قول الشعر فغلبهم

أخبرنى محمد بن العبّاس اليَزيدىّ قال حدّثنى محمد بن الفضل قال حدّثنا محمد ابن عبد الجبّار الفَزَارىّ قال :

اجتاز أبو العتاهية فى أوّل أمره وعلى ظهره قفصٌ فيه فَخَّار يدور به فى الكوفة ويَبيع منه ، فمرّ بفتيان جُلوس يتذاكرون الشعرَ ويتناشدونه ، فسلّم ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال : يا فتيانُ أراكم تَذَاكرون الشـعرَ ، فأقول شيئاً منه فتُجيزونه ، وإن فعلتم فلكم عشرةُ دراهم ، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ؛ فهزئوا منه وسخِروا به وقالوا نعم . قال : لا بدّ أن يُشْتَرى بأحد القِمارين[1] رُطَبٌ يُؤكل فإنه قِمار حاصل ، وجعل رَهْنَه تحت يد أحدهم ، ففعلوا . فقال : أجيزوا :

* ساكِنى الأجداثِ أنتمْ

وجعل بينه وبينهم وقتاً فى ذلك الموضع إذا بلغته الشمسُ ولم يُجيزوا البيتَ ، غُرِّموا الخطر[2] ، وجعل يهزأ بهم وتمّمه :

... ... * مثلَنا بالأمس كُنتمْ

ليت شعرى ما صنعتم * أرَبِحتم أم خَسِرتمْ

وهى قصيدة طويلة فى شعره .

هجاه أبو حبش وذم شعره

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى محمد بن عبـد الله عن أبى خَيْثم العَنَزىّ قال :

لمّا حَبس الرشـيدُ أبا العتاهية وحلَف ألّا يُطلقَـه أو يقولَ شـعراً ، قال لى أبو حَبش : أسمعتَ بأعجبَ من هذا الأمر ، تقول الشعراء الشعرَ الجيّد النادر فلا يُسمع منهم ، ويقول هذا المُخَنَّث المُفَكَّك تلك الأشعارَ بالشفاعة ! ثم أنشدنى :

(١) فى ب ، س ، حـ : «القمرين ... قرية» .
(٢) الخطر : الرهن .

أبا إسحاق راجعت الجماعَهْ * وعُدْتَ إلى القوافى والصِّناعَهْ
وكنت بجامحٍ(١) فى الغَىِّ عاصٍ * وأنت اليومَ ذو سمعٍ وطاعَهْ
فجُرَّ الخَزَّ مما كنتَ تُكْسَى * ودَعْ عنك التَّقَشُّفَ والبَشاعَهْ
وشَبِّبْ بالتى تهوَى وخَبِّرْ * بأنك مَيِّتٌ فى كلّ ساعَهْ
كَسَدنا ما نراد وإنْ أَجدنا * وأنت تقول شعرك بالشفاعَهْ

خرج مع المهدى فى الصيد وقد أمره بهجوه فقال شعرا

أخبرنى أحمد بن العبّاس العَسْكرىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله قال حدّثنى أبو خَيْثَم العَنَزىّ ، وكان صديقاً لأبى العتاهيـة ، قال حدثنى أبو العتاهية قال :

أخرجنى المهدىّ معـه إلى الصَّيْد، فوقعنا منه على شىءٍ كثير. فتفرّق أصحابُه فى طلبه وأخذ هو فى طريق غيرِ طريقهم فلم يَلْتَقُوا(٢)، وعرض لنا وادٍ جرّارٌ وتغيّمت السماءُ وبدأت تُمطر فتحيّرنا ، وأَشرفْنا على الوادى فإذا فيه ملّاح يُعبِّرُ النّاسَ ، فلجأْنا إليه فسألناه عن الطريق ، فجعل يُضَعِّفُ رأيَنا ويُعَجِّزُنا فى بذْلنا أنفسَنا فى ذلك الغَيْم للصيد حتى أبعَـدنا ، ثم أدخَلَنا كُوخاً له . وكاد المهدىّ يموت برداً ؛ فقـال له : أُغَطِّيك بجُبّتى هذه الصوف ؟ فقال نعم ؛ فغطّاه بها ، فتماسك قليـلاً ونام . فافتقده غِلمانُه وتَبِعوا أثرَه حتى جاءونا . فلمّـا رأى الملّاح كثرتَهم علم أنه الخليفـةُ فهرب ، وتبادر الغلمان فنَحَّوُا الجبّةَ عنـه وألقَوْا عليه الخَزَّ والوَشْىَ . فلما انتبه قال لى : وَيْحَك ! ما فعل الملّاح ؟ فقد والله وَجَب حقُّه علينا . فقلت : هرَب والله خوفاً من قُبح ما خاطبنا به . قال : إنّا لله ! والله لقـد أردتُ أن أُغْنيـه ، وبأىّ شىء

١٥٠
٣

(١) فى الأصول : « كمانع » ولا يستقيم بها الكلام ، وما أثبتناه .
(٢) فى ب ، س : « ... ولم يلتقوا » .

خاطبَنا ! نحن والله مُستحقّون لأقبحَ ممّا خاطبنا به ! بحياتى عليك إلّا ما هجوتَنى .
فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، كيف تَطيب نفسى بأن أهجوَك ! قال : والله لتَفعلنّ ،
فإنى ضعيفُ الرأى مُغرَمٌ بالصّيد . فقلت :

يا لابسَ الوَشْيِ على ثوبه * ما أقبحَ الأَشْيبَ فى الراح

٥ فقال : زِدْنى بحياتى ، فقلت :

لو شئتَ أيضًا جُلْتَ فى خَامةٍ (١) * وفى وِشاحَيْنِ وأَوْضَــاحِ (٢)

فقال : وَيْلَك ! هذا معنى سَــوْء يَرْويه عنك الناسُ ، وأنا أستأهل . زِدْنى شــيئًا
آخر . فقلت : أخاف أن تغضَب . قال : لا والله . فقلت :

كَم من عظيم القَدْرِ فى نفسه * قــد نام فى جُبّــة مَــلّاح

١٠ فقال : معنى سَوْء عليك لعنةُ الله ! وقمنا وركبنا وانصرفنا .

وقعت فى عسكر المأمون رقعة فيها شعره فوصله

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا جماعة من
كتّاب الحسن بن سهل قالوا :

وقعتْ رقعةٌ فيها بيتَا شعرٍ فى عسكر المأمون ، فجىء بها إلى مُجَاشِع بن مَسْعَدة ،
فقال : هذا كلام أبى العتاهية ، وهو صديق ، وليستِ المخاطبة لى ولكنّها للأمير
١٥ الفضلِ بن سهل . فذهبوا بها ، فقرأها وقال : ما أعرف هذه العلامةَ . فبلغ المأمونَ
خبرُها فقال : هذه إلىّ وأنا أعرف العلامة . والبيتان :

---

(١) الخام : ثوب من القطن لم يغسل .
(٢) الأوضاح : حلىّ من فضة أو هى الخلاخيل .

صـــــوت

ما على ذا كنّا ٱفترقنا بِسَـنْدا[1] * نَ وما هكذا عهـدْنا الإخاءَ
تَضْرِبُ النـاسَ بالمُهَنَّدة البِيـ * ـضِ على غَدْرِهم وتَنْسَى الوفاءَ

قال : فبعث إليه المأمون بمالٍ .

فى هذين البيتين لأبى عيسى بن المتوكل رَمَلٌ من رواية ٱبن المُعتزّ .

استبطأ عادة ابن يقطين فقال شعرا فعجلها له

قال : وكان علىّ بن يَقطِين صديقا لأبى العتاهية، وكان يَبَرّه فى كل سنة ببِرّ واسع، فأبطأ عليه بالبِرّ فى سنة من السنين. وكان إذا لَقيه أبو العتاهية أو دخل عليه يُسَرّ به ويرفع مجلسَه ولا يَزيده على ذلك . فلقيه ذاتَ يوم وهو يريد دارَ الخليفة ، فاستوقفه فوقف له، فأنشده :

حتّى متى ليت شعرى يا ٱبنَ يَقْطِينِ * أُثنى عليك بمـا لا منـك تُولِينى
إنّ السّلامَ وإنّ البِشْرَ من رجلٍ * فى مثل ما أنت فيه ليس يَكْفِينى
هذا زمانٌ ألحّ الناسُ فيه على * تيـــه الملوك وأخلاقِ المساكينِ
أمَا علمتَ جزاك الله صالحـــةً * وزادك اللهُ فضـــلا يابنَ يَقْطِين
أنّى أُريدك للدّنيـا وعاجلهـا * ولا أُريدك يومَ الدّيـن للدين

فقـال علىّ بن يَقطين : لستُ والله أبرح ولا تَبرح من موضعنا هـذا إلا راضياً ، وأمر له بمـا كان يبعث به إليه فى كل سنة ، فحُمل من وقته وعلىٌّ واقفٌ إلى أن تَسَـــلّمه .

---

(١) سنداد : مدينة ملاصقة للسند .

نظم شعرا فى الحبس فلما سمعه الرشيد بكى وأطلقه

وأخبرنى محمد بن جعفر النحوىّ صِهْرُ المبرِّد قال حدّثنا محمد بن يزيد قال : بلغنى من غير وجه : أنّ الرشيد لمّا ضرب أبا العتاهية وحبَسه ، وَكَّل به صاحبَ خَبَرٍ يكتب إليه بكل ما يسمعه . فكتب إليه أنه سمعه يُنشد :

أمَا والله إنّ الظلمَ لُومُ * وما زال المُسىء هو الظَّلومُ

٥ إلى دَيَّانِ يومِ الدين نَمْضى * وعند الله تجتمع الخصومُ

قال : فبكى الرشيد ، وأمر بإحضار أبى العتاهية و إطلاقه ، وأمر له بألفَىْ دينار .

رماه منصور بن عمار بالزندقة وشنع عليه فاحتقره العامة

أخبرنى محمد بن جعفر قال حدّثنى محمد بن موسى عن أحمد بن حرب عن محمد بن أبى العتاهية قال :

لمّا قال أبى فى عُتْبَة[1] :

١٠ كأنّ عتابة من حسنها * دُمْيَةُ قَسٍّ فتنتْ قَسَّهَا

يا رَبِّ لو أنْسَيْتَنِيها بما * فى جَنَّة الفِرْدوس لم أنْسَها

شَنَّع عليه منصور بن عمّار بالزندقة، وقال : يتهاون بالجنة ويَبتذل ذِكْرَها فى شعره بمثل هذا التهاون ! وشنَّع عليه أيضا بقوله :

إنّ المليكَ رآكِ أحـ * ـسنَ خَلْقه ورأى جَمالكْ

١٥ فحذا بقُدْرة نفسه * حُورَ الجِنان على مثالكْ

وقال : أيُصَوِّر الحورَ على مِثال امرأة آدميّة والله لا يحتاج الى مثال ! وأوقع له هذا على أَلْسنة العامّة ؛ فلَقِى منهم بلاءً .

سأله الباذغيسى عن أحسن شعره فأجابه

حدّثنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا خَليل بن أَسَد قال حدّثنى أبو سَلَمة البَاذَغيسيّ قال :

٢٠ (١) هى عتبة جارية المهدى ، وقد اشتهر بحبه لها وأكثر من تشبيبه بها

قلتُ لأبى العتاهية : فى أىّ شعر أنت أشعرُ ؟ قال : قولى :

النّاسُ فى غَفَلاتهمْ * وَرَحا المنيّة تَطْحَنُ

أنشد المأمون شعره فى الموت فوصله

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزىّ قال حدّثنى يَحيى بن عبد الله القُرَشىّ قال حدّثنى المُعَلّى بن أيّوب قال :

دخلتُ على المأمون يومًا وهو مُقْبِل على شيخ حَسَن اللِّحية خَضيبٍ شديد بياض الثياب على رأسه لاطئة[1]، فقلت للحسن بن أبى سعيد — قال : وهو ابن خالة المُعَلّى بن أيوب . وكان الحسن كاتبَ المأمون على العامّة — : مَنْ هذا ؟ فقال : أمَا تعرفه ؟ فقلت : لو عرفتُه ما سألتُك عنه. فقال : هذا أبو العتاهية . فسمعت المأمونَ يقول له : أنْشِدنى أحسنَ ما قلتَ فى الموت ؛ فأنشده :

أنساكَ مَحْياكَ المماتا * فطلبْتَ فى الدنيا الثّباتا

أوَثِقْتَ بالدنيا وأنْ * تَ ترى جَماعتَها شَتاتا

وعزَمتَ منك على الحيا * ةِ وطُولِها عَزْمًا بَتاتا

يا مَنْ رأى أبَوَيْهِ فيـ * ـمَنْ قد رأى كانا فماتا

هل فيهما لك عِبْرةٌ * أم خِلْتَ أنّ لك انْفلاتا

ومَن الذى طَلَبَ التَّفلُّ * تَ من مَنِيّته ففاتا

كُلٌّ تُصَبِّحه المنـ * ـيّةُ أو تُبَيِّتُه بَياتا

قال : فلمّا نَهض تَبِعتُه فقبضت عليه فى الصَّحْن أو فى الدِّهْليز ، فكتبتها عنه .

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : قال حدّثنى علىّ بن مَهْدىّ قال حدّثنى الجاحظ عن ثُمَامة قال :

(١) اللاطئة : قلنسوة صغيرة تلطأ بالرأس.

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده :

ما أحسنَ الدنيا وإقبالَهـا * اذا أطاع اللهَ مَنْ نالَهـا

مَنْ لم يُواسِ الناسَ من فضلها * عَرَّض للإدبار إقبالَهـا

فقال له المأمون : ما أجود البيتَ الأوّل! فأما الثاني فما صنعتَ فيه شيئا، الدنيا

٥ تُدبِر عمن واسَى منها أو ضَنّ بها، وإنما يُوجِب السماحةُ بها الأجرَ، والضنُّ بها الوِزْرَ.

فقال : صدقتَ يا أمير المؤمنين، أهلُ الفضلِ أَوْلَى بالفضل، وأهلُ النقص أولى

بالنقص . فقال المأمون : ادْفَعْ إليه عَشَرةَ آلاف درهم لاعترافه بالحق . فلمّا

كان بعد أيام عاد فأنشده :

كم غافلٍ أَوْدَى به الموتُ * لم يأخُذِ الأُهبَـةَ للفَوْتِ

١٠ مَنْ لم تَزُلْ نعمتُه قبلَه * زال[1] عن النعمة بالمـوتِ

فقال له : أحسنتَ ! الآن طَيَّبْتَ المعنى؛ وأمر له بعشرين ألف درهم .

تأخرت عنه عادة المأمون سنة فقال شعرا فأعجلها له

أخبرني أحمد بن العبّاس العَسْكَريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال

حدّثني ابنُ سِنَان[2] العِجْليّ عن الحسن بن عائذ قال :

كان أبو العتاهية يَحُجّ في كلّ سنة، فإذا قدم أَهْدَى الى المأمون بُرْدًا ومِطْرَفًا

١٥ ونعلا سوداء ومَساوِيكَ أَرَاك، فيبعث اليه بعشرين ألف درهم. [وكان][3] يُوصِل الهديّة

من جهته مِنْجابٌ مولى المأمون ويجيئه بالمال . فأهدى مرّةً له كما كان يُهدِي كلّ

سنة إذا قَدِم، فلم يُثِبْه ولا بعث إليه بالوظيفة . فكتب إليه أبو العتاهية :

---

(١) كذا في ديوانه . وفي الأصول : « تذعر النعمة بالموت » .

(٢) في أ ، ء ، م : « أبوسنان » . ولم نقف على ما يرجح إحداهما .

٢٠ (٣) هذه الكلمة ساقطة من ب ، س ، حـ .

خَبَّرونى أنّ من ضَرْب السَّنَهْ * جُدُدًا بِيضًا وصُفْرًا حَسَنَهْ
أُحْدِثتْ لكنّنى لم أَرها * مثلَ ما كنتُ أرى كلَّ سَنَهْ

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف درهم ، وقال : أغفلْناه حتى ذكّرنا .

كان الهادى واجدا عليه فلما تولى استعطفه

حدّثنا محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنا المُغيرة بن محمد المُهَلَّبىّ قال حدّثنا الزُّبَير ابن بَكّار قال أخبرنى عُرْوة بن يوسف الثَّقفىّ قال :

لمّا وَلِى الهادى الخلافة كان واجدًا على أبى العتاهية لمُلازمته أخاه هارونَ وانقطاعه اليه وتَرْكه موسى، وكان أيضا قد أَمر أن يَخرُج معه الى الرَّىّ فأبى ذلك؛ فخافه وقال يَستعطفه :

أَلَا شافعٌ عند الخليفةِ يَشْفَعُ * فيدفَع عنّا شرَّ ما يُتَوقَّعُ
و إنّى على عُظْم الرجاء لخائفٌ * كأنّ على رأسى الأسنّةَ تُشْرَعُ
يُروِّعنى موسى على غير عَثْرةٍ * ومالى أرى موسى[1] من العفو أوسعُ
وما آمنٌ يُمسى و يُصبح عائذا * بعفو أمير المؤمنين يُرَوَّعُ

مدح الهادى فأمر خازنه بإعطائه فمطله فقال شعرا فى ابن عقال فعجلها له

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى علىّ بن الصبّاح قال حدّثنى محمد بن أبى العتاهية قال : دخل أبى على الهادى فأنشده :

يا أمينَ اللهِ مالى * لستُ أدرى اليومَ مالِى
لم أَنَلْ منك الذى قد * نال غيرى من نَوالِ
تَبْذُلُ الحقَّ وتُعطى * عن يمينٍ وشِمالِ
وأنا البائسُ لا تَنْـ * ـظُر فى رِقّةِ حالى

(١) كذا فى جميع النسخ والديوان . ولعله : « لدى موسى » .

قال : فأمر المُعَلَّى الخازنَ أن يُعطيَه عشرةَ آلاف درهم . قال أبو العتاهية : فأتيته فأبى أن يُعطيَها . ذلك أن الهادى آمتحننى فى شىء من الشعر، وكان مَهيباً ، فكنتُ أخافه فلم يُطعنى طَبْعى، فأمر لى بهذا المال ، فخرجتُ . فلما مَنعنيه المُعَلَّى صرتُ الى أبى الوليد أحمد بن عِقال، وكان يُجالس الهادى، فقلت له :

أَبْلِغْ سَلِمتَ أبا الوليد سَلامى * عنّى أميرَ المؤمنين إمامى

واذا فرَغتَ من السّلامِ فقل له * قد كان ما شاهدتَ من إفحامى

واذا حَصِرتُ[1] فليس ذاك بمُبْطِلٍ * ما قد مَضَى من حُرْمتى وذمامى

ولطالما وفَدتْ اليك مدائحى * مخطوطةً فَلْيَأْتِ[2] كلُّ ملامِ

أيّامَ لى لَسَنٌ ورِقّةُ جِدّةٍ * والمرءُ قد يَبْلَى مع الأيّامِ

قال : فاستخرج لى الدراهمَ[3] وأنفذها الىّ .

كان الهادى واجدا عليه فلما توسل استعطفه ومدحه فأجازه

حدّثنى الصولىّ ومحمد بن عِمران الصيرفىّ قالا حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنا محمد ابن أحمد بن سليمان قال :

وُلد للهادى ولد فى أوّل يوم وَلِى الخلافة ؛ فدخل أبو العتاهية فأنشده :

أكثرَ موسى غيظَ حُسّاده * وزَيّن الأرضَ بأولادهِ

وجاءنا من صُلْبه سَيّدٌ * أَصْيَدُ فى تقطيع أجداده

فآكتست الأرضُ به بَهْجةً * وآستبشر الملكُ بميلادهِ

وآبتسم المِنْبَرُ عن فَرْحةٍ * عَلَتْ بها ذِرْوةُ أعواده

(١) الحصر : العىّ فى المنطق . (٢) فى ا ، ء ، م : «فطاب» . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فاستخرج الىّ» .

كأنّى بعـد قليـل به * بين مَواليـه وقُـوّاده
فى مَحفِـلٍ تَخفِـق راياتُه * قد طَبَّق الأرضَ بأجناده

قال : فأمر له موسى بألف دينار وطيبٍ كثيرٍ ، وكان ساخطًا عليه فرضِى عنه .

غضب المهدى على أبى عبيد الله وترضاه عنه شعر فرضى عنه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى إجازةً قال حدّثنى علىُّ بن مَهْدىّ قال حدّثنى علىّ ابن يزيد الخَزْرجىّ الشاعر عن يحيى بن الرَّبيع قال :

دخل أبو عُبَيـد الله على المهدىّ ، وكان قد وجَد عليه فى أمرٍ بلَغه عنه ، وأبو العتاهيه حاضرُ المجلسَ ، فجعل المهدىّ يشتُم أبا عُبيد الله ويتغيّظ عليه ، ثم أمر به فجُرّ برِجله وحُبِس ، ثم أطرق المهدىّ طويلًا . فلمّا سكن أنشده أبو العتاهية :

١٥٤
٣

أرى الدُّنيا لمن هى فى يَدَيْه * عذابًا كلّما كَثُرتْ لدَيْه
تُهِين المُكرِمين لهـا بصُغْرٍ(١) * وتُكرِم كلَّ من هانتْ عليـه
إذا ٱستغنيْتَ عن شىءٍ فدَعْهُ * وخُـذْ ما أنت محتاجٌ اليـه

فتبسَّم المهـدىّ وقال لأبى العتاهية : أحسنتَ ! فقام أبو العتاهية ثم قال : والله ياأميرَ المؤمنين ، ما رأيتُ أحدًا أشدَّ إكرامًا للدّنيا ولا أصْونَ لها ولا أشَحّ عليها من هذا الذى جُرّ برجله الساعةَ . ولقد دخلتُ إلى أمير المؤمنين ودخل هو وهو أعزّ الناس ، فما بَرِحتُ حتى رأيتُه أذلَّ الناس ، ولو رضِى من الدنيا بما يَكفيه لٱستوتْ أحوالُه ولم تتفاوت . فتبسّم المهـدىّ ودعا بأبى عُبيد الله فرَضِى عنه . فكان أبو عُبيد الله يشكر ذلك لأبى العتاهية .

٥

مدح شعرًا له إسحاق بن حفص

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثنى محمد ابن الحسن قال حدّثنى إسحاق بن حَفْص قال :

(١) الصغر : الضيم والذل .

أنشدنى هارون بن مُخَلَّد الرازىّ لأبى العتاهية :

ما إن يَطيبُ لذى الرعاية لـ(١) ـأيّام لا لَعِب ولا لَهْـوُ
إذ كان يَطْربُ(٢) فى مَسرّته * فيموت من أجزائه جُزْو

فقلت : ما أحسَنَهما ! فقال : أهكذا تقول ! والله لهما رُوحانيّان يطيران بين السماء والأرض .

فضله ابن مناذر على جميع المحدثين

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال حدّثنى أبى عن ابن عِكْرِمة عن مسعود ابن بِشْر المازنىّ قال :

لَقِيتُ ابنَ مُناذر بمكة، فقلت له : مَنْ أشعرُ أهل الإسلام؟ فقال : أترى مَنْ إذا شئت هزَل، و إذا شئت جدّ؟ قلت : مَنْ؟ قال : مثلُ جرير حين يقول فى النَّسيب :

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّـك غادروا * وَشَلاً بعينك ما يزال مَعِينَا
غَيَّضْنَ من عَبَراتهنّ وقُلْن لى * ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

ثم قال حين جدّ :

إنّ الّذى حَرَمَ المَكارِم تَغلِبـاً * جعـل النُّبوّةَ والخلافةَ فينا
مُضَرٌ أبى وأبو الملوك فهل لكم * يا آل تَغلِبَ من أبٍ كأبينا
هذا ابنُ عمّى فى دِمَشْقَ خليفةٌ * لـو شئتُ ساقكمُ إلىّ قَطِينا(٣)

ومن المُحْدَثين هذا الخبيثُ الذى يتناول شعرَه من كُمّه . فقلت : مَنْ ؟ قال : أبو العتاهية . قلت : فى ماذا ؟ قال : قوله :

(١) فى س، ب : «الوعاية» بالواو وهو تحريف . (٢) فى ديوانه (ص ٢٩٨) : "يسرف" .
(٣) القطين هنا : الخدم والأتباع .

اللهُ بينى وبين مَولاتِى * أَبْدَتْ لِىَ الصَّدَّ والمَلالاتِ
لَا تَغْفِرُ الذنبَ إن أسأتُ ولا * تقبَلُ عُذْرِى ولا مُواتاتِى
منحتُها مُهجتى وخالِصتى * فكان هِجْرانُها مُكافاتِى
أَقلقَنِى حُبُّها وصَيَّرنى * أُحدوثةً فى جميع جاراتِى

٥

ثم قال حين جدّ :

ومَهْمه[1] قد قطعتُ طَامِسَه[2] * قَفْرٍ على الهَوْل والمُحاماةِ
بحُرَّةٍ[3] جَسْرةٍ عُذافِرةٍ * خَوصاءَ عَيْرانةٍ عَلَنْداةِ
تُبادر الشمسَ كلّما طلعتْ * بالسَّير تَبْغى بذاك مَرْضاتِى
ياناقُ خُبّى بنا ولا تَعِدى * نَفسَك مما تَرَيْنَ راحاتِ

١٠

حتّى تُناخى بنا الى مَلِكٍ * تَوَّجَه اللهُ بالمَهَاباتِ
عليه تاجانِ فوق مَفْرِقه * تاجُ جلالٍ وتاجُ إخْباتِ[4]
يقول للريح كلّما عصفتْ * هل لكِ يا ريحُ فى مُباراتِى
مَنْ مثلُ مَنْ عمُّه الرسولُ ومَنْ * أخوالُه أكرمُ الخُؤولاتِ

عيرابن عزيز لقبوله المال عوضا عن عبادة معشوقته

أخبرنى وَكيع قال : قال الزُّبَير بن بَكّار حدّثنى أبو غَزِيّة ، وكان قاضيًا على المدينة ، قال : كان إسحاق بن عُزَيز يتعشّق عَبّادة جارية المُهَلَّبيّة ، وكانت المهلبيّة مُنقطعةً الى الخَيْزُران . فركب إسحاق يومًا ومعه عبدُ الله بن مُصْعَب يُريدان المهدىَّ ، فلقيا عَبّادة ، فقال إسحاق : يا أبا بكر ، هذه عبّادة ، وحرّك دابّته حتى سبَقها فنظر اليها ،

١٥

---

(١) المهمه : المفازة البعيدة . (٢) الطامس هنا : البعيد . (٣) الحرة من الإبل : العتيقة الأصيلة . والجسرة : العظيمة من الإبل وغيرها . والعذافرة : العظيمة الشديدة من الإبل . والخوصاء : وصف من الخوص وهو ضيق العين وصغرها وغؤورها . والعيرانة من الإبل : التى تشبه بالعير فى سرعتها ونشاطها . والعلنداة : الناقة الضخمة الطويلة . (٤) الإخبات : الخشية والخضوع .

٢٠

فجعل عبد الله بن مُصعب يتعجّب من فعله . ومضيا فدخلا على المهديّ، فحدّثه عبد الله بن مصعب بحديث إسحاق وما فعل . فقال : أنا أشتريها لك يا إسحاق. ودخل على الخَيْزُران فدعا بالمهليّة فحضرتْ ، فأعطاها بعبّادة خمسين ألف درهم. فقالت له : يا أمير المؤمنين ، إن كنتَ تُريدها لنفسك فبها فداك الله ، وهي لك . فقال : إنما أريدها لإسحاق بن عُزَيز . فبكت وقالت : أتُؤْثِر عليّ إسحاق بن عُزَيز وهي يدي ورجلي ولساني في جميع حوائجي ! فقالت لها الخيزران عند ذلك : ما يُبكيك ؟ والله لا وَصَلَ إليها آبنُ عُزَيز أبدا ، صار يتعشّق جواريَ النّاس! فخرج المهديّ فأخبر آبنَ عُزَيز بما جرى ، وقال له : الخمسون ألف درهم لك مكانَها ، وأمر له بها ، فأخذها عن عبّادة . فقال أبو العتاهية يعيّره بذلك :

مَنْ صَدَق الحبَّ لأحبابه * فإنّ حُبّ آبن عُزَيْز غُرورْ
أَنساه عبّادةَ ذاتَ الهوى * وأَذهبَ الحبَّ الذى في الضميرْ
خمسون ألفًا كلُّها راجحٌ * حُسْنًا لها في كلِّ كِيسٍ صَرِيرْ

وقال أبو العتاهية في ذلك أيضا :

حُبُّك للمال لا لحبك عبّـ * ـادةَ يا فاضحَ المُحِبِّينا
لو كنتَ أصفيتَها الوِدادَ كما * قُلْتَ لمَا بِعتَها بخمسينا

طال وجع عينه فقال شعرا

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني جَبَلة بن محمد قال حدّثني أبي قال :

رأيتُ أبا العتاهية بعد ما تخلّص من حَبْس المهديّ وهو يلزَم طبيبًا على بابنا ليكحّل عينه . فقيل له : قد طال وَجَع عينك؛ فأنشأ يقول :

صــــوت

أيا وَيْحَ نفسى وَيْحَها ثم وَيْحَها * أمَا من خَلاصٍ من شِباك الحبائل
أيا ويحَ عينى قد أضَرّ بها البُكا * فلم يُغنِ عنها طِبُّ ما فى المكاحل

فى هذين البيتين لإبراهيم الموصلىّ لحنٌ من الثقيل الأوّل .

١٥٦
٣

كان الهادى واجدا عليه لاتصاله بهارون فلما ولى الخلافة مدحه فأجزل صلته

أخبرنى عيسى بن الحسين قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال :

كان الهادى واجِدًا على أبى العتاهية لمُلازمته أخاه هارونَ فى خلافة المهدىّ ، فلمّا ولِى موسى الخلافةَ ، قال أبو العتاهية يمدَحه :

صــــوت

يضطرب الخوفُ والرجاءُ إذا * حَرّك موسى القضيبَ أو فَكَّرْ
ما أَبْيَنَ الفضلَ فى مُغَيَّبِ ما * أوْرَدَ من رأيه وما أَصْدَرْ

— فى هذين البيتين لأبى عيسى بن المتوكل لحن من الثقيل الأوّل فى نهاية الجَوْدة ، وما بان به فضلُه فى الصّناعة —

فكم تَرَى عَزَّ عند ذلك مِنْ * مَعْشَرِ قومٍ وذَلَّ مِنْ مَعْشَرْ
يُثمر مِنْ مَسّه القضيبُ ولو * يَمَسُّه غيرُه لَمَا أَثْمَرْ
مَنْ مِثلُ موسى ومثلُ والدِه الـ * ـمهدىّ أو جَدِّه أبى جعفرْ

قال : فرضى عنه . فلمّا دخل عليه أنشده :

لَهْفِى على الزمن القصير بين الخَوَرْنَق والسَّدِيرِ
إذ نحن فى غُرَف الجنا نِ نَعُومُ فى بحر السُّرورِ
فى فتيةٍ ملكوا عنا نَ الدهر أمثال الصُّقورِ

ما منهمُ إلّا الجَسو * رُ على الهوى غيرُ الحَصُورِ

يَتعاوَرُون مُدامةً * صهباءَ من حَلَب العصيرِ

عَذراءَ ربّاها شُعا * عُ الشمسِ فى حَرِّ الهجيرِ

لم تُدْنَ من نارٍ ولم * يَعْلَقْ بها وَضَرُ القُدورِ

٥ ومُقَرْطَقٍ يمشى أما * مَ القومِ كالرَّشَأ الغَريرِ

بزُجاجةٍ تَستخرج الـ * ـسِّرَّ الدفينَ من الضميرِ

زهراءَ مثلِ الكوكب الـ * ـدُّرِّىِّ فى كفِّ المُديرِ

تدعُ الكريمَ وليس يَد * رِى ما قَبِيلٌ من دَبيرِ (١)

ومُخَصَّراتٍ (٢) زُرْنَنا * بعد الهُدُوِّ من الخُدورِ

١٠ رَيًّا (٣) رَوادِفُهنّ يَلْـ * ـبَسْنَ الخواتمَ فى الخُصورِ

غُرِّ الوجوه محجَّبا * تٍ قاصراتِ الطَّرف حُورِ

مُتَنَعِّماتٍ فى النعيـ * ـمِ مُضَمَّخاتٍ بالعبيرِ

يَرْفُلْنَ فى حُلَلِ المحا * سِنِ والمَجاسِدِ (٤) والحريرِ

ما إنْ يَرَيْنَ الشمسَ إلّا الفَرْطَ (٥) من خَلَل السُّتورِ

١٥ وإلى أمينِ اللهِ مَهْـ * ـرَبُنا من الدهرِ العَثُورِ

وإليه أتعبنا المطـ * ـيَّ بالرَّواحِ وبالبُكورِ

١٥٧/٣ صُعْرَ الخُدودِ كأنّما * جُنِّحْنَ أجنحةَ النُّسورِ

---

(١) القبيل : ماوليك . والدبير : ما خالفك . يقولون : لايعرف قبيله من دبيره ، ولا يدرى قبيلا من دبير ، أى لايعرف شيئا . (٢) مخصرات : دقيقات الخصور . (٣) ريا : ممتلئة .

٢٠ (٤) المجاسد : جمع مجسد ، وهو القميص الذى يلى البدن . (٥) كذا فى أكثر الأصول . والفرط : الحين ؛ يقال : لا ألقاه إلا فى الفرط ، أى فى الأيام مرة . وفى ب ، سـ : « القرط » بالقاف ، وهو تصحيف .

مُتَسَرْبِلاتٍ بالظَّلا * مِ على السُّهولة والوُعور

حتّى وَصَلْنَ بنا الى * رَبّ المدائن والقُصور

ما زال قبل فِطامه * فى سنّ مُكْتَهِل كبير

— قال: قيل لو كان جَزْل اللفظ لكان أشعر الناس — فأجزل صلته. وعاد إلى أفضل ما كان له عليه.

أخبرنى عمّى الحسن بن محمد قال حدّثنى الكَرَانىّ عن أبى حاتم قال:

قَدِم علينا أبو العتاهية فى خلافة المأمون. فصار اليه أصحابُنا فاستنشدوه؛ فكان أوّل ما أنشدهم:

ألم تَرَ رَيْبَ الدهر فى كلّ ساعةٍ * له عارضٌ(١) فيه المنيّة تلمع

أيا بانِىَ الدُّنيا لغيرك تَبْتنِى * ويا جامعَ الدنيا لغيرك تَجْمَعُ

أرى المرءَ وَثّاباً على كل فُرْصة * وللمرء يوماً لا مَحالةَ مَصْرَعُ

تَبارَكَ مَنْ لا يَملِك المُلْكَ غيرُه * متى تنقضى حاجاتُ من ليس يَشْبَعُ

وأىُّ آمرئٍ فى غايةٍ ليس نفسُه * الى غايةٍ أُخرى سواها تَطَلَّعُ

قال: وكان أصحابنا يقولون: لو أنّ طَبْع أبى العتاهية بجزالة لفظ لكان أشعرَ الناس.

تمثل الفضل بشعره حين انحطت مرتبته فى دار المأمون

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا آبن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى سليمان بن جعفر الجَزَرىّ قال حدّثنى أحمد بن عبد الله قال:

كانت مَرْتَبة أبى العتاهية مع الفضل بن الربيع فى موضع واحد فى دار المأمون. فقال الفضل لأبى العتاهية: يا أبا إسحاق، ما أحسنَ بيتين لك وأصدقَهما!

قال: وما هما؟ قال: قولك:

(١) العارض: الأصل فيه السحاب المعترض فى الأفق.

ما النَّاسُ إلا للكثيرِ المالِ أو * لمُسَلَّطٍ ما دام في سُلْطانِهِ
فإذا الزمانُ رماهما ببليّةٍ * كان الثِّقاتُ هناك من أعوانِهِ

يعني: من أعوان الزمان. قال: وإنما تمثّل الفضلُ بن الرَّبيع بهذين البيتين لانحطاط مرتبته[1] في دار المأمون وتقدُّمِ غيره. وكان المأمون أمر بذلك لتحريره مع أخيه.

كان ملازما للرشيد فلما تنسك حبسه ولما استعطفه أطلقه

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال:

قال لي محمد بن أبي العتاهية: كان أبي لا يُفارق الرشيدَ في سَفَرٍ ولا حَضَر إلا في طريق الحجّ، وكان يُجري عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمَعَاون. فلمّا قدِم الرشيدُ الرَّقّة، لبِس أبي الصوفَ وتزهّد وترك حُضورَ المُنادمة والقولَ في الغزل، وأمر الرشيدُ بحبسه فحُبس؛ فكتب إليه من وقته:

صوت

أنا اليومَ لي والحمدُ لله أشهُرُ * يَرُوحُ عليَّ الهمُّ منكم ويَبْكُرُ
تذكَّرْ أمينَ الله حقّي وحُرْمتي * وما كنتَ تُوليني لعلّك تذكُرُ[2]
لياليَ تُدْني منك بالقُرْبِ مجلسي * ووجهُك من ماء البشاشة يَقْطُرُ
فمَنْ لِيَ بالعين التي كنتَ مرّةً * إليَّ بها في سالفِ الدهرِ تنظُرُ

قال: فلمّا قرأ الرشيد الأبيات قال: قولوا له: لا بأس عليك. فكتب اليه:

١٥٨/٣

(١) لعل أصل الكلام «لتحريره نفسه مع أخيه» فسقطت من الناسخ أو حذفها المؤلف للعلم بها.

(٢) كذا في الديوان (ص ٣٢٦) وأشير في هامشه الى رواية أخرى هي: «كذلك يذكر». وفي جميع النسخ: «لعلك يذكر».

صــــوت

أرِقتَ وطار عن عَيْنِي النُّعاسُ * ونام السامرون ولم يُوَاسُوا
أمِينَ الله أَمْنُكَ خيرُ أمنٍ * عليك من التُّقَى فيه لِباسُ
تُساسُ من السماء بكلِّ بِرٍّ * وأنت به تَسُوس كما تُساسُ
كأنّ الخَلْقَ رُكِّبَ فيه رُوحٌ * له جَسَدٌ وأنت عليه رَاسُ
أمِينَ الله إنّ الحَبْسَ بأْسٌ * وقد أَرْسلتَ(١): ليس عليك باسُ

— غنّى فى هذه الأبيات إبراهيم، ولحنه ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى. وفيه أيضا ثقيلٌ أوّل عن الهِشامىّ(٢) — قال: وكتب اليه أيضا فى الحبس:

وكَلَّفتَنى ما حُلْتَ بينى وبينه * وقلتَ سأْمر مَارُ يد وما تهوى
فلو كان لى قلبانِ كَلَّفتُ واحداً * هواك وكَلّفتُ الخَلِيَّ لِمَا يَهْوَى

قال: فأمر بإطلاقه.

حدّثنى عمّى قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى الزبير ابن بَكّار قال حدّثنى ثابت بن الزُّبير بن حبيب قال حدّثنى ابن أُخت أبى خالد الحَرْبِىّ قال:

قال لى الرشيد: احْبِسْ أبا العتاهية وضَيِّقْ عليه حتى يقولَ الشعرَ الرقيق فى الغزل كما كان يقول. فحبستُه فى بيتٍ خمسة أشبارٍ فى مثلها؛ فصاح: الموت، أَخْرِجونى، فأنا أقول كلّ ماشئتم. فقلت: قُلْ. فقال: حتى أتنفّس. فأخرجته وأعطيته دواةً وقِرْطاسا؛ فقال أبياته التى أوّلها:

(١) فى الديوان: «وقد وقعت». (٢) فى أ، ء، م: «من الحبس».

صوت

مَنْ لعبدٍ أذلّه مولاهُ * ما له شافعٌ إليه سِواهُ
يَشتكى ما به إليه ويخشا * هُ ويرجوه مثل ما يخشاهُ

قال : فدفعتُها الى مَسرور الخادم فأَوْصلها ، وتقدّم الرشيد الى إبراهيم الموصلىّ فغنّى فيها ، وأمر بإحضار أبى العتاهية فأحضر . فلما أُحضر قال له : أَنشِدْنى قولك :

صوت

ياعُتْبَ سيّدتى أمَا لكِ دِينُ * حتّى متى قلبى لديك رَهينُ
وأنا الذَّلولُ لكلّ ما حمّلتِنى * وأنا الشقىُّ البائسُ المسكينُ
وأنا الغَداةَ لكلّ باكٍ مُسعِدٌ * ولكلّ صَبٍّ صاحبٌ وخَدِينُ
لا بأسَ إنّ لذاك عندى راحةً * للصّبّ أن يَلْقَى الحزينَ حزينُ
يا عُتْبَ أين أفِرُّ منك أميرتى * وعلىَّ حِصْنٌ من هَواكِ حصينُ

— لإبراهيم فى هذه الأبيات هَزَجٌ عن الهشامىّ — فأمر له الرشيد بخمسين ألف درهم .

ولأبى العتاهية فى الرشيد لمّا حبسه أشعارٌ كثيرة ، منها قوله :

يا رشيدَ الأمرِ أرشِدْنى إلى * وجهِ نُجْحى لاعَدِمتَ الرَّشَدَا
لا أراك اللهُ سُوءًا أبدا * ما رأتْ مثلَك عينٌ أحدَا
أَعِنِ(١) الخائفَ وآرحَمْ صوتَه * رافعًا نحوَك يدعوك يَدَا
وَا بلائى من دَعاوَى أملٍ * كلّما قلتُ تَدانَى بَعُدَا
كم أُمَنِّى بِغَدٍ بعد غدٍ * يَنْفَدُ العمرُ ولم ألقَ غدَا

(١) كذا فى جميع النسخ والديوان . ولعله : « آمن الخائف » .

هجا القاسم بن الرشيد فضربه وحبسه وشكا إلى زبيدة برده الرشيد وأجازه

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : حدّثنى علىّ بن مَهْدِىّ قال حدّثنى الحُسَين بن أبى السَّرِىّ قال :

مرّ القاسم بن الرشيد فى مَوْكِبٍ عظيم وكان من أتْيَهِ الناس ، وأبو العتاهية جالسٌ مع قوم على ظهر الطريق . فقام أبو العتاهية حين رآه إعظامًا له ، فلم يَزَلْ قائمًا حتى جاز ، فأجازه ولم يلتفت اليه ؛ فقال أبو العتاهية :

يَتيهُ ابنُ آدمَ من جهلِهِ * كأنّ رَحَا الموت لا تَطْحَنُهْ

فسمع بعضُ مَنْ فى موكبه ذلك فأخبر به القاسمَ ؛ فبعث الى أبى العتاهية وضربه مائةَ مِقْرعةٍ(١) ، وقال له : يابنَ الفاعلة ! أتُعَرِّض بى فى مثل ذلك الموضع ! وحبَسه فى داره . ودسّ أبو العتاهية الى زُبَيْدة بنت جعفر ، وكانت تُوجِب له(٢) [حقّه](٣) ، هذه الأبيات :

حتّى متى ذو التِّيه فى تِيهِهِ * أَصلحه اللهُ وعافاهُ

يَتيه أهلُ التِّيه من جهلهم * وهم يموتون وإن تاهُوا

مَنْ طلب العِزَّ ليبقَى به * فإنّ عِزَّ المرء تقواهُ

لم يعتصم بالله مِن خَلْقه * مَنْ ليس يرجُوه ويَخْشاهْ

وكتب إليها بحاله وضيق حبسه . وكانت مائلةً اليه ، فرثَتْ(٤) له وأخبرت الرشيد بأمره وكلّمته فيه . فأحضره وكساه ووصله . ولم يرضَ عن القاسم حتى برّ أبا العتاهية وأدناه وٱعتذر اليه .

---

(١) المقرعة : السوط . (٢) كذا فى حـ وهو المناسب ؛ يقال : أوجب لفلان حقه إذا راعاه ، وفى سائر النسخ : « توجه له » وليس لها معنى . (٣) زيادة يقتضيها السياق . (٤) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر النسخ : « فرثت له » .

مدح الرشيد والفضل فأجازاه

ونسختُ من كتاب هارون بن علىّ: قال حدّثنى علىُّ بن مهدىّ قال حدّثنى محمد ابن سهل عن خالد بن أبى الأزهر قال :

بعث الرشيدُ بالحَرَشىّ[1] الى ناحية المَوْصِل، لجبى له منها مالا عظيما من بقايا الخراج، فوافَى به باب الرشيد، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه، فاستعظم الناسُ ذلك وتحدّثوا به ؛ فرأيتُ أبا العتاهية وقد أخذه شِبْهُ الجنون ، فقلتُ له : مالك وَيْحك ؟! فقال لى : سبحان الله! أيُدْفَع هذا المال الجليل إلى امرأة ، ولا تتعلّق كفّى بشىء منه ! ثم دخل إلى الرشيد بعد أيّام فأنشده :

اللهُ هَوّنَ عندك الدنيا وبَغّضَها إليكَا
فأبَيْتَ إلّا أن تُصَغِّر كلّ شىء فى يَدَيْكَا
ما هانتِ الدُّنيا على * أحدٍ كما هانت عَلَيْكا

فقال له الفضل بن الربيع : يا أميرَ المؤمنين، ما مُدِحَ الخلفاء بأصْدَق من هذا المدح . فقال : يافضل ، أَعطِه عشرين ألف درهم . فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده :

إذا ما كنتَ مُتَّخِذًا خليلًا * فمثلُ الفضلِ فاتّخِذِ الخليلَا
يرى الشُّكْرَ القليلَ له عظيمًا * ويُعطى من مَواهبه الجزيلَا
أرانى حيثُما يَمَّمتُ طَرْفى * وجدتُ على مَكارمه دليلَا

فقال له الفضل : والله لولا أن أُساوِىَ أميرَ المؤمنين لأعطيتُك مثلها ، ولكن سأُوصِلُها اليك فى دَفَعات ، ثم أعطاه ما أمر له به الرشيد، وزاد له خمسةَ آلاف درهم من عنده .

(١) فى الأصول : «الجرشى» . ولم نجد هذا الاسم . ولعله محرف عما أثبتناه ، وهو سعيد الحرشى الذى كان معاصرا للرشيد وكان يقوم له بأعمال هامة .

سمع على بن عيسى شعره وهو طفل فأعجب به

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا المبرّد قال حدّثنى عبد الصمد بن المعذّل قال :

سمعتُ الأميرَ علىَّ بنَ عيسى بن جعفر يقول: كنت صبياً فى دار الرشيد، فرأيت شيخًا يُنشد والناسُ حوله :

ليس للإنسان إلّا ما رُزقْ * أستعينُ اللهَ باللهِ أثِقْ
عَلِقَ الهمُّ بقلبى كلِّه * وإذا ما علِق الهمّ عَلِقْ
بأبى مَنْ كان لى من قلبه * مَرّةً وُدٌّ قليلٌ فسرِقْ
يابنى الإسلام فيكم مَلِكٌ (١) * جامعُ الإسلام عنه يفترِقْ
لَنَدَى هارونَ فيكم وَلَهُ * فيكم صَوْبٌ هَطُولٌ وورِقْ
لم يزَلْ هارونُ خيرًا كلّه * قُتِل الشرُّ به يومَ خُلِقْ

فقلتُ لبعض الهاشميّين : أمَا ترى إعجابَ الناس بشعرِ هذا الرجل ؟ فقال : يابُنَىّ، إنّ الأعناقَ لتُقْطَع دون هذا الطبع . قال : ثم كان الشيخ أبا العتاهية، والذى سأله إبراهيمَ بن المهدىّ .

استعطف الرشيد وهو محبوس فأطلقه

حدّثنى الصُّولِىّ قال حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثنى عبد القوىّ ابن محمد بن أبى العتاهية عن أبيه قال :

لبِس أبو العتاهية كساءَ صُوفٍ ودُرّاعةَ صوفٍ، وآلَى على نفسه ألّا يقول شعرًا فى الغزَل، وأمر الرشيدُ بحبسه والتضييق عليه؛ فقال :

---

(١) ورد هذا البيت فى ديوانه (ص ٣١٤) وكذا فيما سيأتى (ص ٧٤) من هذا الجزء هكذا :

يابنى العباس فيكم ملك * شعب الاحسان عنه تفترق

صــــوت

يابنَ عمِّ النبي سمــعًا وطاعه * قــد خلعنا الكساء والدُّرّاعهْ
ورجَعْنا الى الصِّــناعة لمّـا * كان سُخْطُ الإمام تَرْكَ الصِّناعهْ

وقال أيضـا :

أمَا رَحِمْتَنِى يومَ وَلّتْ فأَسْرعتْ * وقــد تَرَكْتنى واقفًا أتلفَّتُ
أُقَلِّبُ طَرْفى كى أراها فلا أرى * وأحلُب عينى دَرَّها وأُصَــوِّتُ

فلم يَزَلِ الرشيد مُتوَانيًا فى إخراجه الى أن قال :

أمَا والله إنّ الظلــمَ لُومُ * وما زال المُسِىء هو الظَّــلومُ
الى دَيَّانِ يومِ الدِّين نَمْضِى * وعنـد الله تجتمع الخصــومُ
لأمرٍ مّا تَصَــرَّفتِ الليـالى * وأمرٍ مّا تُوُلِّيَتِ(1) النُّجــومُ
تموت غــدًا وأنت قَرِيرُ عينٍ * من الغَفَلات فى لُجَجٍ تَعُــومُ
تنـامُ ولم تَنَمْ عنــك المنـايا * تَنَبَّــهْ للمنيّــة يا نَــؤُومُ
سَــلِ الأيّامَ عن أُمَمٍ تَقَضَّتْ * ســتُخبرك المَعالمُ والرُّسُــومُ
تَرُومُ الخُــلْدَ فى دار المنـايا * وكم قــد رام غيرُك ما تَرُومُ
ألَا يأيّهـا الملكُ المُرَجَّى * عليــه نَواهِضُ الدنيـا تَحُومُ
أَقِلْــنِى زَلّةً لم أَجْرِ منهـا * الى لَوْمٍ وما مثــلى مَلُــومُ
وخَلِّصْــنى تُخَلَّصْ يومَ بَعْثٍ * إذا للنـاس بُرِّزَتِ(2) الجَحِــيمُ

فرَقَّ له وأمر بإطلاقه .

---

(1) توليت النجوم (بالبناء للمجهول) : أى تولاها الله ، فطلع ثم تغيب بتأثير قدرته . ولا يصح بناء الفعل للفاعل الا مع ضرورة قبيحة وهى عدم حذف لام الفعل مع تاء التأنيث وقلبها ياء . (2) فى أ : « سعرت » ، وفى هامشها كما فى الأصل .

حديثه عن شعره ورأى أبى نواس فيه

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ : قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى ابن أبى الأَبْيض قال :

أتيتُ أبا العتاهية فقلت له : إنّى رجلٌ أقول الشعرَ فى الزُّهد ، ولى فيه أشعارٌ كثيرة ، وهو مذهب أَستحسِنه؛ لأنى أرجو ألّا آثمَ فيه ، وسمعت شعرك فى هذا المعنى فأَحببت أن أستزيدَ منه ، فأُحِبّ أن تُنشدنى من جَيِّد ما قلتَ؛ فقال : اعلَمْ أنّ ما قلته ردىء . قلت : وكيف ؟ قال : لأنّ الشعر ينبغى أن يكون مثلَ أشعار الفحول المتقدّمين أو مثلَ شعر بشّار وابن هَرْمة . فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظُه مما لا تخفَى على جُمهور الناس مثل شعرى ، ولا سيما الأشعارُ التى فى الزُّهد ؛ فان الزُّهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رُواة الشعر ولا طُلّاب الغريب ، وهو مذهب أَشْغَفُ الناس به الزُّهّادُ وأصحاب الحديث والفقهاءُ وأصحاب الرِّياء والعامّة ، وأعجبُ الأشياء إليهم ما فهِموه . فقلت : صدقتَ . ثم أنشدنى قصيدتَه :

لِدُوا للموت وٱبْنُوا للخراب * فكلّكمُ يَصير الى تَبابِ[1]
ألاَ ياموتُ لم أرَ منك بُدًّا * أتيتَ وما تَحِيفُ وما تُحابى
كأنّك قد هَجَمْتَ على مَشِيبى * كما هجم المشيبُ على شَبابى

قال : فصِرتُ إلى أبى نُوَاس فأَعلمتُه ما دار بيننا ؛ فقال : والله ما أحسب فى شعره مثلَ ما أنشدك بيتًا آخر. فصرت إليه فأخبرته بقول أبى نواس؛ فأنشدنى قصيدتَه التى يقول فيها :

---

(١) التباب : الهلاك .

طُولُ التَّعاشُرِ بين النَّاس مَمْلولُ * ما لآبنِ آدمَ إن فَتَّشتَ معقولُ
يا راعيَ الشاءِ(١) لا تُغفِلْ رِعايتَها * فأنت عن كلِّ ما آسترْعيتَ مسئولُ
إنّي لَفِي مَنزلٍ ما زلتُ أعمُره * على يقينٍ بأنّي عنه منقولُ
وليس من موضعٍ يأتيه ذو نَفَسٍ * إلّا وللموت سيفٌ فيه مسلولُ
لم يُشغَل الموتُ عنّا مذ أُعِدّ لنا * وكلّنا عنه باللذّات مشغولُ
ومَنْ يَمُتْ فهو مَقْطوعٌ ومُجْتَنَبٌ * والحيُّ ما عاش مَغْشِيٌّ ومَوْصولُ
كُلْ ما بدا لك فالآكالُ فانيةٌ * وكُلُّ ذي أُكُلٍ لا بُدَّ مأكولُ

قال : ثم أنشدني عدّة قصائد ما هي بدون هذه ، فصرتُ الى أبي نُوَاس فأخبرته ؛ فتغيّر لونُه وقال : لِمَ خَبَّرتَه بما قلتُ ! قد والله أجاد ! ولم يَقُلْ فيه سوءا .

كان أبو نواس يجله ويعظمه

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثني عليّ ابن عبد الله بن سعد قال حدّثني هارون بن سَعْدان مولى البَجَليِّين قال :

كنتُ مع أبي نُواس قريباً من دُور بني نِيبَخْت(٢) بنهر طابَق(٣) وعنده جماعةٌ ، فجعل يَمُرّ به القُوّاد والكُتّاب وبنو هاشم فيُسلِّمون عليه وهو مُتّكئٌ ممدودُ الرجل لا يتحرّك لأحدٍ منهم ، حتى نظرنا اليه قد قبض رِجليه ووثَب وقام الى شيخ قد أقبل على حمارٍ له ، فآعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يُحادثه ، فلم يزل واقفًا معه يُراوِح بين رجليه يرفع رجلًا ويضع أُخرى ، ثم مضى الشيخ ورجع الينا أبو نواس وهو يتأوّه . فقال له بعضُ مَنْ حضر : والله لأنت أشعرُ منه . فقال : والله ما رأيتُه قطّ إلا ظننت أنه سماءٌ وأنا أرض .

١٦٢ / ٣

(١) في أ ، ء ، م : « ياراعي الناس » . وفي الديوان : « ياراعي النفس » .
(٢) كذا في حـ . وقد وردت محرفة في سائر النسخ . (٣) نهر طابق : محلة كانت ببغداد من الجانب الغربيّ .

رأى بشار فيه

قال محمد بن القاسم حدّثنى علىّ بن محمد بن عبد الله الكوفىّ قال حدّثنى السِّرىّ ابن الصَّبَّاح مولى تَوْبَان بن علىّ قال :

كنتُ عند بَشّار فقلتُ له : مَنْ أشعرُ أهل زماننا ؟ فقال : مُخَنَّث أهل بغداد (يعنى أبا العتاهية) .

عزى المهدى فى وفاة ابنته فأجازه

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى المُنَجِّم إجازةً : قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال ٥ حدّثنى الخَزْرَجىّ الشاعر قال حدّثنى عبد الله بن أيّوب الأنصارىّ قال حدّثنى أبو العتاهية قال :

ماتت بنتُ المهدىّ فحزِن عليها حُزنًا شديدا حتى آمتنع من الطعام والشراب ، فقلت أبياتًا أُعَزِّيه بها ، فوافيته وقد سَلا وضحك وأكل وهو يقول: لابدّ من الصبر على ما لا بدّ منه ، ولئن سَلَوْنا عمن فقدنا لَيَسْلُوَنَّ عنّا من يَفْقِدنا ، وما يأتى الليلُ والنهارُ ١٠ على شىء إلا أَبْلَيَاه . فلمّا سمعتُ هذا منه قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذَن لى أن أُنشدك ؟ قال هاتِ ، فأنشدته :

ما للجديدَيْن لا يَبْلَى آختلافُهما * وكلُّ غَضٍّ جديدٍ فيهما بالِى
يا مَنْ سلا عن حبيبٍ بعد مِيتته * كم بعد موتك أيضًا عنك مِنْ سالى
كأنّ كلَّ نعيمٍ أنت ذائقُه * من لذّة العيش يحكى لُمْعةَ الآلِ ١٥
لا تلعبَنّ بك الدنيا وأنت ترى * ما شئتَ من عِبَرٍ فيها وأَمْثالِ
ما حِيلةُ الموت إلّا كلُّ صالحةٍ * أوْلَا فما حِيلةٌ فيه لمحتالِ

فقال لى : أحسنتَ ويحك ! وأصبتَ ما فى نفسى ووعظت وأَوْجزت ! ثم أمر لى لكلّ بيت بألف درهم .

حبسه الرشيد مع إبراهيم الموصلي ثم أطلقهما

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني أحمد بن خَلّاد قال حدّثني أبي قال :

لمّا مات موسى الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية : قُلْ شعراً في الغَزَل ؛ فقال : لا أقول شعراً بعد موسى أبدًا ، فحَبَسه . وأمر إبراهيمَ المَوْصِليّ أن يغنّي ؛ فقال : لا أُغنّي بعد موسى أبدًا ، وكان مُحسناً إليهما ، فحبسه . فلمّا شَخَص الى الرَّقَّة حفَر لهما حَفِيرةً واسعةً وقطَع بينهما بحائط ، وقال : كونَا بهذا المكان لا تخرُجا منه حتى تَشعُر أنت ويُغَنّي هذا . فصَبَرا على ذلك بُرْهةً . وكان الرشيد يشرب ذاتَ يومٍ وجعفرُ ابن يحيى معه ، فغنّتْ جاريةٌ صوتًا فاستحسناه وطربا عليه طَرَبًا شديدا ، وكان بيتًا واحدا . فقال الرشيد : ما كان أحوجه الى بيتٍ ثانٍ ليطولَ الغناءُ فيه فنَسْتَمتِع مدّةً طويلةً به ! فقال له جعفر: قد أصبتُه . قال : من أين؟ قال : تبعث الى أبي العتاهية فيُلحِقه به لقُدْرته على الشعر وسرعته . قال : هو أنكَدُ من ذلك ، لأَيُجيبنا وهو محبوس ونحن في نعيم وطربٍ . قال : بلى ! فاكتُبْ اليه حتى تعلَم صحّة ما قلتُ لك . فكتب إليه بالقصّة وقال : أَلحِقْ لنا بالبيت بيتا ثانيا [1] . فكتب إليه أبو العتاهية :

شُغِل المسكينُ عن تلك المِحَنْ * فارقَ الرُّوحَ وأَخلَى من بدن
ولقــد كُلِّفتُ أمرًا عَجَبًا * أسْأَلُ التّفريجَ [2] من بيتِ الحَزَنْ

فلمّا وصلتْ قال الرشيد : قد عرّفتك أنه لا يفعل . قال : فتُخرِجه حتى يفعل . قال : لا ! حتى يشعُر ؛ فقد حلَفتُ . فأقام أياما لا يفعل . قال : ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم : إلى كم هذا تُلاجُّ الخلفاء ! هَلُمّ أَقُلْ شعرا وتُغَنّ فيه . فقال أبو العتاهية :

(١) في حـ : « آخر » .
(٢) كذا في ب ، سـ . وفي سائر الأصول : « التفريج » بالجيم .

بأبى مَنْ كان فى قلبى له ... مرّةً حُبٌّ قليـــلٌ فسُرِقْ[1]

يا بنى العبّـاس فيكم مَلِكٌ ... شُعَبُ الإحسان منه تفترقْ

إنّمـا هارونُ خيرٌ كلّه ... مات كلّ الشرّ مُذْ يوم خُلِقْ

وغنّى فيه إبراهيم . فدعا بهما الرشيد، فأنشده أبو العتاهيــة وغناه إبراهيم، فأعطى كلَّ واحد منهما مائة ألف درهم ومائةَ ثوب . ٥

حدّثنى الصُّولىّ بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبد الله بن العبّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع ، فقال فيه : غضِب الرشيد على جارية له فحلَف ألاّ يدخُل إليها أيامًا ، ثم ندِم فقال :

صَـدَّ عنّى إذ رآنى مُفْتَتَنْ * وأطال الصَّدَّ لمّـا أن فَطَنْ

كان مملوكى فأضحى مالكى * إنّ هذا من أعاجيب الزَّمنْ ١٠

وقال لجعفر بن يحيى : اطلُبْ لى مَنْ يَزيدُ على هـذين البيتين . فقـال له : ليس غيرُ أبى العتاهية . فبَعث إليه فأجاب بالجواب المذكور، فأمر بإطلاقه وصلتِه . فقال : الآن طاب القولُ، ثم قال :

عِزّةُ الحبّ أرتْهُ[2] ذِلّتى * فى هواه وله وجهٌ حَسَنْ

ولهذا صِرتُ مملوكًا له * ولهذا شاعَ مابى وعَلَنْ ١٥

فقال : أحسنتَ والله وأصبتَ ما فى نفسى! وأَضْعَفَ صلتَه .

شعره فى ذم الناس

نسخت من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : قال حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى الهَيْثَم بن عثمان قال حدّثنى شَبيب بن منصور قال :

---

(١) تقدّم هذا الشعر فى ص ٦٨ من هذا الجزء مع اختلاف فى الرواية .

(٢) فى أ ، ء ، م : « أرادت » . ٢٠

كنتُ فى الموقف واقفًا على باب الرشيد ، فاذا رجلٌ بَشِع الهيئة على بغل قد جاء فوقف ، وجعل الناس يُسَلِّمون عليه ويُسائلونه ويُضاحكونه ، ثم وقف فى الموقف ، فأقبل الناس يَشْكُون أحوالَهم : فواحد يقول : كنت مُنقطِعًا إلى فلان فلم يصنع بى خيرًا . ويقول آخر : أمّلت فلانًا فخاب أملى وفعل بى . ويشكو آخرُ

٥ من حاله ؛ فقال الرجل :

فَتَّشْتُ ذى الدنيا فليس بها ... أَحَدٌ أراه لآخَرٍ حامِدْ

حتّى كأنّ الناسَ كلَّهمُ ... قد أُفرِغوا فى قالَبٍ واحِدْ

فسألتُ عنه فقيل : هو أبو العتاهية .

هجا سلما الخاسر بالحرص

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْهْ قال حدّثنى أحمد بن خَلّاد

١٠ عن أبيه عن عبد الله بن الحسن قال :

أنشد المأمونُ بيتَ أبى العتاهية يُخاطب سَلْمًا الخاسر :

تَعالى الله يا سَلْمَ بنَ عمرٍو ... أذلَّ الحِرصُ أعناقَ الرجالِ

فقال المأمون : إنّ الحرص لمفسدٌ للدّين والمروءة ، والله ما عرفتُ من رجلٍ قطّ حِرصًا ولا شَرَهًا فرأيت فيه مُصْطَنَعًا . فبلغ ذلك سَلْمًا فقال : ويلى على المخنّث

١٦٤
―
٣

١٥ الجرّار الزنديق ! جمع الأموالَ وكنَزها وعبّأ البدورَ[1] فى بيته ثم تَزهّد مُراءاةً ونِفاقًا ، فأخذ يهتِف بى إذا تَصَدّيتُ للطلب .

اقتص منه الجاز لخاله سلم فاعتذر له

أخبرنى أحمد بن العبّاس العسكرىّ المؤدّب ومحمد بن عِمْران الصَّيْرفىّ قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن أحمد بن سليمان العَتَكىّ قال حدّثنى العبّاس بن عبيد الله بن سِنَان بن عبد الملك بن مِسْمَع قال :

٢٠ (١) البدور : جمع بدرة ، وهى كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم

كنّا عند قُثَمَ بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية يُنشد فى الزهد، فقال قُثَم : ياعبّاس، اطلُبِ الساعةَ الجمّاز حيث كان، ولك عندى سَبَقٌ[1]. فطلبته فوجدته عند رُكن دار جعفر بن سليمان، فقلت : أجِبِ الأمير؛ فقام معى حتّى أتى قُثَم؛ فجلس فى ناحية مجلسه وأبو العتاهية يُنشده؛ فأنشأ الجمّاز يقول :

ما أقبحَ التّزهيدَ من واعظٍ * يُزهِّد النّاسَ ولا يَزْهَدُ
لو كان فى تزهيده صادقاً * أَضحى وأمسى بيتُه المسجدُ
يخاف أن تنفَد أرزاقُه * والرزق عند الله لا ينفَدُ
والرزق مقسومٌ على مَنْ تَرى * ينالُه الأبيضُ والأسودُ

قال : فالتفت أبو العتاهية إليه فقال : مَنْ هذا؟ قالوا : [هذا][2] الجمّاز وهو ابن اخت سَلْم الخاسر، اقتصّ لخاله منك. فأقبل عليه وقال : يابن أخى، إنى لم أذهب حيث ظننتَ ولا ظنّ خالُك، ولا أردتُ أن أهتِف به؛ وإنما خاطبته كما يُخاطب الرجلُ صديقَه، فالله يغفِر لكما، ثم قام.

غناء مخارق بشعره

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنى محمد بن أحمد بن خَلَف الشِّمْرىّ عن أبيه قال :

كنتُ عند مُخارق، فجاء أبو العتاهية فى يوم جمعة فقال : لى حاجةٌ وأريد الصلاةَ؛ فقال مُخارق : لا أبرَح حتّى تعود. قال : فرجَع وطرح ثيابَه، وهى صوفٌ، وغسل وجهه، ثم قال له : غَنِّنى :

(١) أصل السبق (بالتحريك) الخطر يوضع بين أهل السباق، وهو ما يتراهنون عليه.
(٢) زيادة عن ح.

صـــوت

قال لى أحمـدٌ ولم يدرِ ما بى * أتُحِبّ الغـداةَ عُتْبـةَ حقّـا
فتنفّسـتُ ثم قلتُ نعمْ حُـبًّـا جرى فى العُروق عِرْقًا فعرقَا

فجذَب مُخارق دواةً كانت بين يديه فأوْقع عليها ثم غنّاه، فاستعاده ثلاثَ مرّاتٍ فأعاده عليـه، ثم قام وهو يقول : لا يَسمع والله هذا الغناءَ أحدٌ فيُفْلح . وهذا الخبر رواية محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ عنه .

وحدّثنا [به][1] أيضا فى كتاب هارون بن علىّ بن يحيى عن آبن مهرويه عن آبن عَمّار قال حدّثنى أحمد بن يعقوب عن محمد بن حَسّان الضَّبّىّ قال حدّثنا مُخارق قال:

لقينى أبو العتاهية فقال : بلغنى أنك خرّجْتَ قولى :

قال لى أحمدٌ ولم يَدرِ ما بى * أتُحِبُّ الغداةَ عُتْبـةَ حقّا

فقلت نعم . فقـال : غَنِّـه . فمِلْتُ معـه إلى خَرَابٍ ، فيـه قوم فقراء سكّان ، فغنّيتُه إياه؛ فقال : أحسنتَ والله! منذ ابتدأتَ حتّى سكتَّ؛ ثم قال لى : أمَا ترى ما فعل الملك بأهل هذا الخراب !

شعره فى تبخيل الناس

أخبرنى جَحْظَة قال حدّثنى مَيْمُون بن هارون قال :

١٦٥ / ٣

قال مُخارق: لَقِيتُ أبا العتاهية على الجِسْر، فقلت له : يا أبا اسحاق، أنْشِدنى قولَك فى تَبْخيلك الناسَ كلّهم؟ فضحك وقال لى : ها هنا؟ قلت نعم . فأنشدنى :

إن كنتَ مُتّخذًا خليـلاً * فتنَقَّ وآنتقِـدِ الخليـلاَ
مَنْ لم يكن لك مُنصِفًا * فى الودّ فآبْـغِ به بديلاَ
ولربّمـا سُـئِل البخيـ * ـلُ الشيءَ لا يَسْوَى فَتِيلا

[1] هذه الكلمة ساقطة من ب ، س .

فيقـول لا أجد السَّبيـ * ـلَ إليـه يَكْرَهُ أن يُنيلا
فلذاك لا جعَـــل الإلـٰ * ـهُ له إلى خيرٍ سبيـلَا
فآضربْ بطَرْفك حيث شئـ * ـتَ فلن ترى إلّا بخيـلَا

فقلتُ له : أفرَطْتَ يا أبا إسحاق! فقال : فديتُك! فأَكْذِبْنى بجوادٍ واحد. فأحببتُ مُوَافقتَه، فآلتفتُّ يميناً وشمالاً ثم قلت : ما أجد . فقبّل بين عينىّ وقال : فديتُـك يا بُنَىّ! لقد رَفَقْت حتى كِدتَ تُسرف .

كان بعد تنسكه يطرب لحديث هارون بن مخارق

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنى هارون بن مُخَارق قال :

كان أبو العتاهية لمـّا نسَك يقول لى : يابُنَىّ، حدّثنى، فإن ألفاظَك تُطْرِب كما يُطرِب غناؤُك .

جفاه أحمد بن يوسف فعاتبه بشعر

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهَيْثَم الأنبـارىّ قال حدّثنى أبو هَفّان قال حدّثنى موسى بن عبد الملك قال :

كان أحمد بن يوسف صديقًا لأبى العتاهية، فلمّا خدَم المأمونَ وخُصّ به، رأى منه أبو العتاهية جَفْوة، فكتب اليه :

أبا جعفرٍ إنّ الشريفَ يَشينه * تَتَايُهُـه على الأَخِلّاء بالوَفْـرِ
ألم ترأنّ الفقر يُرجَى له الغنَى * وأنّ الغِنى يُخشَى عليه من الفقر
فإن نِلتَ تِيهاً بالذى نِلْتَ من غِنًى * فإنّ غناىَ فى التجمّل والصبر

قال : فبعث اليه بألفى درهم ، وكتب اليه يعتذر مما أنكره .

طلب اليه أن يجيز شعرا فأجازه على البديهة

أخبرنى الحسن بن علىٍّ قال حدّثنا آبن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الكوفىّ قال حدّثنى أبو جعفر المَعْبَدىّ قال :

قلت لأبى العتاهية : أَجِزْ لى قولَ الشاعر :

وكان المـالُ يأتينا فكنّا * نُبَذِّره وليس لنـا عقولُ

فلمّا أن تولّى المـالُ عنّا * عَقَلْنا حين ليس لنا فُضُولُ

قال : فقال أبو العتاهية على المكان :

٥ فقصِّر ما ترى بالصّبر حقًّا * فكلٌّ إن صبرتَ له مُزِيلُ

قال لابنه : أنت ثقيل الظل

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا آبن مُهْرُوَيْهِ قال حدّثنى الحسن بن الفَضْل الزَّعْفَرَانىّ قال : حدّثنى مَنْ سمِع أبا العتاهية يقول لأبنه وقد غضِب عليه : اذْهَبْ فإنك ثقيلُ الظلّ جامد الهواء .

أهدى الى الفضل نعلا فأهداها الخليفة

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا آبن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثنى يَحيى بن خليفة

١٠ الرّازى قال حدّثنا حَبِيب بن الجَهْم النُّمَيْرىّ قال :

حضرتُ الفضلَ بن الربيع مُتَنَجِّزًا جائزتى وفَرْضى ، فلم يدخل عليه أحدٌ قبلى ، فإذا عَوْنٌ حاجِبُه قد جاء فقال : هـذا أبو العتاهية يُسَلِّم عليك وقد قدِم من مكّة ؛ فقال : أَعْفِنى منـه الساعةَ يشغَلُنى عن ركوبى . فخرج إليـه عَوْنٌ فقـال : إنّه على

١٦٦ / ٣

الرّكوب إلى امير المؤمنين . فأَخرَج من كُمّه نعلًا عليهـا شِراكٌ فقال : قل له إنّ

١٥ أبا العتاهية أهداها إليك جُعِلتُ فداءك . قال : فدخل بهـا ؛ فقال : ما هـذه ؟ فقـال[1] : نعلٌ وعلى شراكها مكتوبٌ كتاب . فقـال : ياحبيب ، آقرأ ما عليها . فقرأته فاذا هو :

نعـلٌ بعثتُ بهـا ليلبسَها * قَـرْمٌ[2] بها يمشى إلى المجـدِ

لو كان يَصلُح أن أُشَرِّكها[3] * خدّى جعلتُ شِراكَها خدّى

٢٠ (١) فى الأصول : «قال : فدخلت بها ؛ فقال : ما هذه ؟ فقلت» . (٢) القرم (بالفتح) هنا : السيد العظيم . «ليلبسها قدم بها تمشى» . (٣) أشركها : أجعل لها شراكا . والشراك : سير النعل على ظهر القدم .

فقال لحاجبه عَوْن : احْمِلْها معنا، فحملها . فلمّا دخل على الأمين قال له : يا عبّاسىّ، ما هذه النّعل؟ فقال: أهداها إلىّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين، وكان أمير المؤمنين أُوْلى بلُبْسها لمِا وصف به لابسها . فقال: وما هما ؟ فقرأهما. فقال: أجاد والله ! وما سبَقه الى هذا المعنى أحد، هَبُوا له عشرة آلاف درهم. فأُخرجتْ والله فى بَدْرة وهو راكب على حماره، فقبضها وآنصرف .

قيل إنه كان من أقل الناس معرفة

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مُهْرَوَيْهْ قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله الكوفىّ (١) قال حدّثنا عمروس (٢) صاحب الطعام وكان جارَ أبى العتاهية، قال :

كان أبو العتاهية من أقلّ الناس معرفةً، سمعتُ بِشْرًا المرِّيسىّ يقول له : يا أبا إسحاق، لا تُصلِّ خلفَ فلانٍ جارِك و إمامِ مسجدِكم، فانه مُشَبِّه (٣) . قال: كلّا ! إنّه قرأ بنا البارحةَ فى الصّلاة : «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ» ، واذا هو يظنّ أنّ المشبّه لا يقرأ «قُلْ هو آلله احد» .

شكا اليه بكر بن المعتمر ضيق حبسه فكتب اليه شعرا

أخبرنى الحسن قال حدّثنا آبن مَهرَوَيْهْ قال حدّثنى أحمد بن يعقوب الهاشمىّ قال حدّثنى أبو شَيخ منصور بن سليمان عن أبيه قال :

٥ كتب بَكْر بن المُعْتَمِر الى أبى العتاهية يشكو اليه ضِيقَ القَيْد وغَمّ الحبس؛ فكتب إليه أبو العتاهية :

(١) فى ا ، ى ، م : «ابن اسماعيل بن عبد الله» . (٢) فى ى ، م : «عمرو بن صاحب الطعام» . (٣) المشبه : الذى يرى رأى المشبهة ، وهم فرقة من الشيعة يقولون : إن معبودهم صورة ذات أعضاء وأبعاض إما روحانية وإما جسمانية ، ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن . وقد حكى أن جماعة منهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة ، وأن المخلصين من المسلمين يعانقونه فى الدنيا والآخرة اذا بلغوا فى الرياضة والاجتهاد الى حد الإخلاص والاتحاد المحض . (انظر كتاب الملل والنحل للشهرستانى طبع أوربا ص ٧٥) .

هيَ الأيّام والعِــبَرُ * وأمرُ الله يُنْتَظَــرُ
أتيْأس أن ترى فرجًا * فأين الله والقَدَرُ

ذمه الخيلاء، وشعره في ذلك

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرُويه قال حدّثنا أحمد بن عُبَيْد بن ناصح قال :

كنت أمشي مع أبي العتاهية يدُه في يدي وهو متكئ عليّ ينظر الى النــاس يذهبون ويجيئون، فقال: أمَا تراهم هذا يَتيه فلا يتكلم، وهذا يتكلم بصَلَف ! ثم قال لي : مرَّ بعض أولاد المهلَّب بمالك بن دينار وهو يَخطِرُ، فقال: يا بُنَيّ، لو خَفَّضتَ بعضَ هذه الخُيَلاء ألم يكن أحسنَ بك من هذه الشُّهرة التي قد شهَرت بها نفسك؟! فقال له الفتى : أوَما تعرف مَنْ أنا ! فقال له : بلى ! والله أعرِفك معرفة جيدة، أوّلك نطفة مَذِرة[1]، وآخرك جِيفــةٌ قَذِرة، وأنت بين ذينــك حاملٌ عَذِرة . قال : فأرخى الفتى أُذنيه وكفّ عما كان يفعل وطأطأ رأسه ومشى مُسترسِلًا . ثم أنشدني أبو العتاهية :

أيا واهًا لذِكر اللّــ * ـه يا واهًــا له واهَا
لقــد طَيَّب ذِكرُ اللّـ * ـه بالتســبيح أفواها
فيــا أنتنَ من حُشٍّ[2] * على حُشٍّ إذا تاهــا
أرى قــومًا يتيهون * حُشوشًا رُزقوا جاهًا[3]

(١) مذرة : قذرة . (٢) الحش (بتثليث أوّله) : النخل المجتمع، ويكنى به عن بيت الخلاء لأنه كان من عادتهم التغوّط في البساتين، والجمع : حشوش . وفي ديوان أبي العتاهية : « ... من زبل على زبل ... » . (٣) في الديوان : « بها ما » .

مدح إسماعيل ابن محمد شعره واستنشده إياه

حدّثنى اليزيدىّ عن عمه إسماعيل بن محمد بن أبى محمد قال .

قلت لأبى العتاهية وقد جاءنا : يا أبا إسحاق، شعرُك كلُّه حَسَنٌ عجيب، ولقد مرّت بى منذُ أيام أبياتٌ لك آستحسنتها جدّا؛ وذلك أنها مقلوبةٌ أيضا، فأواخرُها كأنها رأسُها، لو كتبها الإنسان الى صديق له كتابا واللهِ لقد كان حسناً أرفعَ ما يكون شعرا . قال : وما هى ؟ قلت .

المــرءُ فى تأخير مُــدّته * كالثوبِ يَخْلَق بعد جِدّته
وحيــاتُه نَفَسٌ يُعَــدّ له * ووفاتُه آستكمالُ عِدّته
ومصيرُه من بعد مُدّته * لِبِلًى[(1)] وذا من بعد وَحْدته
مَنْ مات مَالَ ذوو مودّته * عنه وحالوا عن مودّته
أزِفَ الرحيلُ ونحن فى لَعِبٍ * ما نستعِدّ له بِعُــدّته
ولقلّمــا تُبْقِى الخطوبُ على * أَشَرِ الشّبابِ وحَرِّ وَقْدته
عَجَبًا لمنتبِــهٍ يُضَــيّع ما * يحتاج فيــه ليوم رَقْــدته

شبه أبو نواس شعرا له بشعره

قال اليزيدىّ : قال عمّى وحدّثنى الحسين بن الضحّاك قال :

كنت مع أبى نُوَاس فأنشدنى أبياته التى يقول فيها :

يابَــنِى النقصِ والغِــيَرْ * وبنى الضعف والخَــوَرْ

فلمّا فرَغ منها قال لى : يا أبا علىّ ، والله لكأنها من كلام صاحبك (يعنى أبا العتاهية) .

سأل أعرابيا عن معاشه ثم قال شعرا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى حُذَيْفَة بن محمد الطائىّ قال حدّثنى أبو دُلَف القاسم بن عيسى العجْلىّ قال :

(1) فى ب، س. وديوانه ص ٥٦ طبع بيروت هكذا : « بِلًى » . وفى سائر الأصول هكذا : « بالبـا » . وقد رجحنا ما أثبتناه .

تحجّجت فرأيت أبا العتاهية واقفا على أعرابيّ في ظلّ ميل[1] وعليه شملة[2] إذا غطّى بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطّى رجليه بدا رأسه. فقال له أبو العتاهية: كيف اخترت هذا البلد القفر على البلدان المخصبة؟ فقال له: ياهذا، لولا أنّ الله أقنع بعض العباد بشرّ البلاد، ما وسع خيرُ البلاد جميعَ العباد. فقال له: فمن أين معاشكم؟ فقال: منكم معشرَ الحاجّ، تمرّون بنا فنتال من فضولكم، وتنصرفون فيكون ذلك. فقال [له][3]: إنما نمرّ ونتصرف في وقت من السنة، فمن أين معاشكم؟ فأطرق الأعرابيّ ثم قال: لا والله لا أدري ما أقول إلّا أنّا نُرزَق من حيث لا نحتسب أكثرَ مما نُرزق من حيث نحتسب. فولّى أبو العتاهية وهو يقول:

ألا يا طالبَ الدُّنيا * دَعِ الدنيا لشانيكا

وما تصنعُ بالدنيا * وظلُّ الميل يكفيكا

شتمه سلم لما سمع هجوه فيه

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال:

لمّا قال أبو العتاهية:

تعالى اللهُ يا سَلْمُ بنَ عَمْرٍو * أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

قال سَلم: ويلي على آبن الفاعلة! كنز البُدورَ ويزعُم أنّي حريصٌ وأنا في ثوبيّ هذين![4]

كان عبد الله بن عبد العزيز يتمثل كثيرا بشعره

أخبرني محمد بن مَزْيَد والحَرَميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمرو بن أَدعَج قال: قلت لعبد الله بن عبد العزيز العُمَريّ وسمعته يتمثّل كثيرا من شعر أبي العتاهية: أشهدُ أنّي سمعته يُنشد لنفسه:

(١) الميل: منار يبنى للمسافر في أنشاز الأرض وأشرافها. (٢) الشملة: كساء يخمل دون القطيفة. (٣) زيادة عن حـ. (٤) في الأصول: «فقال».

١٦٨
٣

مَرّتِ اليومَ شاطرهْ * بَضَّة الجسم ساحرهْ
إنّ دُنيا هى التى * مرّت اليومَ سافرهْ
سَرَقوا نصفَ إسمها * فَهْىَ دنيا وآخرهْ

فقال عبد الله بن عبد العزيز : وكّله الله إلى آخرتها . قال : وما سُمِع بعد ذلك يَتمثّل ببيتٍ من شعره (١) .

قال علىّ بن الحسين مؤلف هذا الكتاب : هذه الأبيات لأبى عُيَيْنة المُهَلّبىّ، وكان يُشَبِّب بدنيا فى شعره ، فإما أن يكون الخبرُ غلطًا ، وإما أن يكون الرجل أنشدها العُمَرىَّ لأبى العتاهية وهو لا يعلم أنّها ليست له .

موازنة بينه وبين أبى نواس

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل قال :
قال لى الحِرْمازىّ : شهدتُ أبا العتاهية وأبا نُوَاس فى مجلس ،وكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جوابًا عند البديهة ، وكان أبو نواس أسرعَهما فى قول الشعر ، فإذا تَعاطَيَا جميعا السرعةَ فضَله أبو العتاهية ، وإذا توقّفا وتمهّلا فضَله أبو نواس .

رأى من صالح المسكين جفوة فعاتبه بجاهره بالعداوة

أخبرنى أحمد بن العبّاس عن ابن عُلَيْل العنزىّ قال حدّثنا أبو أَنَس كَثيرُ بن محمد الحِزَامىّ قال حدّثنى الزُّبَير بن بكّار [عن] (٢) مَعْروف العامِلىّ قال :
قال أبو العتاهية : كنتُ منقطعا إلى صالح المسكين ، وهو ابنُ أبى جعفر المنصور ، فأصبت فى ناحيته مائةَ ألف درهم ، وكان لى ودودا (٣) وصديقا ، فجئتُه يومًا ، وكان لى فى مجلسه مَرْتَبةٌ لا يجلس فيها غيرى ، فنظرت إليه قد قصّر بى عنها ، وعاودتُه ثانيةً فكانت حاله تلك ، ورأيت نظرَه إلىّ ثقيلًا ، فنهضتُ وقلت :

(١) فى الأصول : « وما سمع بعد ذلك بيت يمثّل به ... » .
(٢) زيادة يقتضيها السياق . وفى حـ : « الزبير بن معروف العاملى » .
(٣) فى حـ ، ب : « ودّا » . والود (مثلث الواو) : الكثير الود ، كالودود .

أراني صالحٌ بُغضا * فأظهرتُ له بُغضا
ولا والله لا ينقُـ * ـض إلا زدتُه نَقْضا
وإلّا زدتُـــه مقتا * وإلا زدته رفْضا
ألَا يا مُفْســـد الودّ * وقــد كان له محضا
تغضبت مِنَ الريح * فما أَطلُب أن تَرضى
لئن كان لك المــالُ الـ * ـمُصفى إنّ لى عِرْضا

قال أبو العتاهية : فنَمى الكلامُ الى صالح فنادى بالعداوة، فقلت فيه :

مَدَدْتُ لمُعْرِضٍ حَبْلًا طويلًا * كأطول ما يكون من الحِبَالِ
حبـالٍ بالصَّريمة ليس تَفْنى * مُوَصَّـلةٍ على عَدد الرمال
فلا تنظُـرْ إلىّ ولا تُرِدْنى * ولا تُقْرِبْ حبالَك من حبالى
فليت الرَّدْمَ(1) من يأجوجَ بينى * وبينَك مثبتا أُخرى الليـالى
فكَرِّشْ(2) إن أردتَ لنا كلامًا * وتقطع قِحْفَ(3) رأسك بالقَذَال(4)

استنشده مساور شعرا في جنازة فأبى

حدّثنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا علىُّ بن سليمانَ النَّوْفَلىّ قال : قال مُسَاوِر السبّاق ، وأخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير عن مُسَاوِر السبّاق قال :

شَهِدتُ جنازةً فى أيّام الحاجّ وقت خروج الحسين بن علىّ بن الحسن بن الحسن ابن الحسن المقتول بفَخّ(5)، فرأيتُ رجلًا قد حضر الجنازةَ معنا وقد قال لآخر : هذا

(1) الردم : سدّ يأجوج ومأجوج . (2) كرّش الرجل : قطب وجهه .
(3) القحف : العظم الذى فوق الدماغ من الجمجمة . وقيل لايسمى قحفا حتى ينفلق من الجمجمة فيبين .
(4) كذا فى حـ . والقذال : جماع مؤخر الرأس ما بين نقرة القفا الى الأذن . وفى سائر الأصول : « بالقتال » بالتاء المثناة من فوق . (5) فخ : واد بمكة ، وهو فيما قيل : وادى الزاهر .

١٦٩
٣

الرجل الذى صِفَتُه كذا وكذا أبو العتاهية . فالتفت اليه فقلتُ له : أنت أبو العتاهية؟ فقــال : لا، أنا أبو إسحاق . فقلت له : أنشِــدْنى شيئًا من شعرك ؛ فقــال لى : ما أحمقَك ! نحن على سَفَرٍ وعلى شَفِير قَبْر، وفى أيام العشر، وببلدكم هذا تستنشدنى الشعر! ثم أَدْبَر عنّى ثم عاد إلىّ فقال : وأُخرى أَزِيدُكها، لا والله ما رأيت فى بنى آدم قطُّ أسمجَ منك وجهًا ! ٥

قال النوفلىّ فى خبره : وصدق أبو العتاهية، كان مُسَاوِرٌ هذا مُقَبَّحًا طويلَ الوجه كأنّه ينظُر فى سيف .

حجبه حاجب يحيى ابن خاقان فقال شعرا فاسترضاه فأبى

أخبرنى عمّى الحسن بن محمد وجَحْظَة قالا حدّثنا مَيْمونُ بن هارونَ قال :

قدم أبو العتاهية يومًا منزلَ يحيى بن خاقانَ، فلمّا قام بادر له الحاجب فانصرف. وأتاه يومًا آخرَ فصادفه حين نزل، فسلّم عليــه ودخل الى منزله ولم يأذَنْ له ؛ فأخذ قِرْطاسًا وكتب إليه : ١٠

أَراكَ تُراعُ حين تَرى خَيــالى * فـــا هذا يَرُوعك من خيالى
لعلّك خائفٌ منّى ســـؤالى * ألَا فلكَ الأمانُ مِنَ الســؤالِ
كَفَيتُك إنّ حالَك لم تَمِلْ بى * لأطلُبَ مثلَهـــا بَدَلًا بحـــالى
وإنّ اليُسْرَ مثلُ العُسْر عندى * بأيّهمـــا مُنِيتُ فـــلا أُبَالى ١٥

فلمّــا قرأ الرُّقعةَ أمر الحاجبَ بإدخاله إليه، فطلبه فأبى أن يرجع معه، ولم يَلْتَقِيا بعد ذلك .

كان بينــه وبين أبى الشمقمق شرّ

أخبرنى عبد الله بن محمــد الرّازىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنــا المدائنىّ قال :

اجتمع أبو نواس وأبو الشَّمَقْمَق فى بيت ٱبن أَذَيْن، وكان بين أبى العتاهية وبين أبى الشَّمَقْمَق شرٌّ، فخبّوه من أبى العتاهية فى بيت. ودخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيثٌ(1)، فظنّ أنّه جاريةٌ، فقال لٱبن أُذَيْن: متى ٱستطرفت(2) هذه الجاريةَ؟ فقال: قريبًا يا أبا إسحاق، فقال: قُلْ فيها ما حضر، فمدّ أبو العتاهية يدَه إليه وقال:

٥

مددتُ كَفّى نحوَكم سائلًا * ماذا تَرُدُّون على السائلِ

فلم يَلْبَثْ أبو الشمقمق حتى ناداه من البيت:

نَرُدّ فى كفِّك ذا فَيْشَةٍ * يَشْفِى جوًى فى ٱسْتِك من داخلِ

فقال أبو العتاهية: شمقمق والله! وقام مُغْضَبًا.

استنشد ابن أبى أمية شعره ومدحه

١٠

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنا علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ قال حدّثنى سليمانُ بن عبّاد قال حدّثنا سليمان بن مُناذر قال:

كنّا عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضرٌ فى وسط المجلس، فقال أبو العتاهية لجعفر: جعلنى الله فداك! معكم شاعرٌ يُعْرَف بٱبن أبى أُمَيّة أُحِبّ أن أسمعه يُنْشد، فقال له جعفر: هو أقربُ الناس منك. فأقبل أبو العتاهية على محمد، وكان إلى جانبه، وسأله أن يُنْشِدَه، فكأنّه حَصِر ثم أنشده:

١٥

صوت

رُبَّ وعدٍ منك لا أنساه لى * أوْجَبَ الشكرَ وإن لم تَفعلِ

أَقطَعُ الدهرَ بوعدٍ حَسَنٍ * وأُجَلّى غَمْرةً ما تَنْجَلى

كلّما أمّلتُ وعدًا صالحًا * عَرَضَ المكروهُ دونَ الأملِ

وأرى الأيّامَ لا تُدْنى الذى * أرتَجِى منك وتُدْنى أَجَلى

٢٠

١٧٠
٣

(1) فيه تأنيث: فيه لينٌ وتخنُّث. (2) استطرفت: استحدثت. وفى الأصول: «متى استظرفتها» بالمعجمة.

— فى هذه الأبيات لأبى حَبَشة رَمَلٌ — قال : فأقبل أبو العتاهيــة يُرَدِّد البيت الأخيرو يُقبّل رأسَ آبن أبى أميّة ويبكى، وقال: وَدِدْتُ والله أنّه لى بكثيرٍ من شِعْرى.

لم يرض بتزويج ابنته لمنصور بن المهدى

أخبرنى حَبِيبُ بن نَصْر قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال :

كانت لأبى العتاهية بنتان ، اسم إحداهما «لله» ، والأُخرى «بالله» ؛ فخطَب منصورُ بن المهدىّ "لله" فلم يُزوّجه، وقال: إنمـا طلبها لأنّها بنتُ أبى العتاهية، وكأنّى بها قد مَلّها، فلم يكن لى الى الآنتصافِ منه سبيلٌ، وما كنت لأُزوّجها إلا بائع خَزَفٍ وجِرَارٍ ، ولكنّى أختاره لها مُوسِرًا .

كان له آبن شاعر

وكان لأبى العتاهية آبنٌ يقالُ له محمد وكان شاعرا، وهو القائل :

قد أفلَحَ السَّالِمُ الصَّمُوتُ * كَلَامُ راعِى الكلامِ قُوتُ
ما كُلُّ نُطْـقٍ له جوابٌ * جوابُ ما يُكْرَهُ السُّكوتُ
يا عَجَبًا لآمرىءٍ ظَلُومٍ * مُسْتَيقِنٍ أنّه يمـوت

ساله عبد الله بن الحسن بن سهل أن ينشده من شعره ففعـل

نسخت من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : حدّثنـا زكريّا بن الحُسَين[(1)] عن عبد الله بن الحسن بن سَهْل الكاتب قال :

قلت لأبى العتاهية : أَنشِدْنى من شعرك ما تستحسن، فأنشدنى :

ما أَسرعَ الأيّامَ فى الشّهـرِ * وأسرَع الأشْهـرَ فى العُمْـرِ

صــــوت

ليس لمن ليستْ له حِيــلةٌ * موجودةٌ خيرٌ من الصَّـــبْرِ
فاخْطُ مع الدهرِ إذا ما خطا * وآجْرِ مـــع الدهرِ كما يَجْرِى
مَنْ سَابَقَ الدهرَ كبا كَبْـوةً * لم يَسْـتَقِلْها آخرَ الدهرِ

لإبراهيم فى هذه الأبيات خفيفُ ثَقيلٍ وثقيلٌ أوّل .

(١) فى حـ : « الحسن » .

لما جفاه الفضل وصله ابن الحسن ابن سهل

قال عبد الله بن الحسن : وسمعتُ أبا العتاهية يُحدّث قال : ما زال الفضلُ بن الربيع من أمْيَل النّاس إلىّ ، فلمّا رجع من خُراسان بعد موت الرشيد دخلت اليه ، فاستنشدنى فأنشدتُه :

أفنيتَ عمرَك إدباراً وإقبالاَ * تَبْغِى البنين وتَبْغِى الأهْلَ والمالاَ

الموتُ هَوْلٌ فكُنْ ما شئتَ مُلْتمِساً * من هَوْله حِيلةً إن كنتَ مُحتالا

ألم تَرَ المَلِكَ الأُمْسِىَّ حين مضى * هل نال حىٌّ من الدنيا كما نالاَ

أفناه مَنْ لم يَزَلْ يُفْنِى القُرونَ فَقَدْ * أضحى وأصبح عنه الملكُ قد زالا

كم من ملوكٍ مضى رَيْبُ الزمانِ بهم * فأصبحوا عِبَراً فينا وأمثالاَ

فاستحسنها وقال : أنت تعرف شُغْلى ، فَمُدّ إلىّ فى وقت فراغى اقصد معك وآنَسْ بك . فلم أزَلْ أُراقِب أيّامَه حتى كان يومُ فراغه فصرتُ إليه ؛ فبينا هو مُقْبِلٌ علىّ يَستنشدنى ويسألنى فأُحدّثه ، إذ أنشدتُه :

ولّى الشبابُ فما له من حِيلةٍ * وكَسَا ذُؤَابَتِىَ المشيبُ خِمارَا

أين البرامكةُ الذين عَهِدْتُهُمْ * بالأمسِ أعظمَ أهلِها أخطارا

١٧١ / ٣

فلمّا سمع ذكرى البرامكةَ تَغيّر لونُه ورأيتُ الكراهيةَ فى وجهه ، فما رأيت منه خيراً بعد ذلك .

قال : وكان أبو العتاهية يُحدّث هذا الحديثَ ابنَ الحسن بن سَهْل ؛ فقال له : لئن كان ذلك ضَرّك عند الفَضْل بن الربيع لقد نَفَعك عندنا ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأجْرَى له كلَّ شهر ثلاثة آلاف درهم ، فلم يزل يَقْبَلها دارّةً إلى أن مات .

عاتب مجاشع بن مسعدة فرد عليه من شعره

قال عبد الله بن الحسن بن سهل : وسمعت عمرو بن مَسْعَدة يقول : قال لى أخى مُجاشع : بينا أنا فى بيتى إذ جاءتنى رُقعةٌ من أبى العتاهية فيها :

خَليـلٌ لى أُكاتِمُه * .أرانى لا أُلائِمُــهُ
خليلٌ لا تَهُبّ الرِّيـ * ـحُ إلّا هبّ لائمُـهُ
كذا مَنْ نال سلطانًا * ومن كَثُرتْ دراهمُهُ

قال : فبعثتُ إليه فأتانى، فقلت له : أمَا رَعَيتَ حقًّا ولا ذِمامًا ولا موَدّة ! فقال لى : ما قلتُ سوءا. قلتُ : فما حمَلك على هــذا ؟ قال : أغيبُ عنك عشرةَ أيّام فلا تسألُ عنّى ولا تبعَثُ إلىّ رسولًا ! فقلت : يا أبا إسحاق، أنَسيتَ قولك :

يأبَى المُعَـلّق بالمُـنَى * إلّا رَواحًا وآدّلاجَا
أُرْفُق فعمرُك عُودُ ذى * أَوَدٍ رأيتُ به آعوجاجَا
مَنْ عاج من شىءٍ إلى * شىءٍ أصاب له مَعاجا

فقال : حسبُك ! حسبُك ! أوسعتَنى عُذْرا .

عاب شعر ابن مناذر لاستعماله الغريب والحوشى

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفىّ الزّارع قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزىّ قال حدّثنى محمد بن عِمْران بن عبد الصّمد الزّارع قال حدّثنا آبن عائشة قال :

قال أبو العتاهية لآبن مُناذر[1] : شـعرك مُهَجَّن لا يَلْحَق بالفحول، وأنت خارجٌ عن طبقة المُحْـدَثين . فإن كنتَ تَشَبّهت بالعَجّاج ورُؤْبة فما لحِقْتهما ولا أنت

(١) فى شرح القاموس مادة «نذر» ما نصه : «وابن مناذر بالفتح ممنوع من الصرف وبضم فيصرف . قال الجوهرىّ : هو محمد بن مناذر شاعر بصرى ، فن فتح الميم منه لم يصرفه و يقول إنه جمع منذر، لأنه محمد بن المنذر بن المنذر بن المنذر، ومن ضمه صرفه » اه . وقد ورد فى معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينة ليدن) ما يؤكد أنه بالضم ليس غير، قال : «ذكر المبرد أن محمد بن مناذر الشاعر كان اذا قيل ابن مناذر بفتح الميم يغضب و يقول : أمَناذر الكبرى أم مناذر الصغرى ، وهما كورتان من كور الأهواز ، انما هو مُناذر على وزن مُفاعل من ناذر يناذر فهو مناذر، مثل ضارب فهو مُضارب» . وقد ورد فى المشتبه فى أسماء الرجال للذهبىّ (ص ٤٥٧ طبع مدينة ليدن) بالضم أيضا .

فى طريقهما ، وإن كنت تذهب مَذْهبَ المُحْدَثين فما صنعتَ شيئاً . أَخْبِرْنى عن قولك : * ومَنْ عاداك لاقَى المَرْمَرِيسا (١) *

أَخْبِرْنى عن المرمريس ماهو؟ قال : تخجيل آبن مناذر وما راجعه حرفا . قال : وكان بينهما تَنَاغُر (٢) .

عرف عبيد الله ابن إسحاق بمكة وسأله أن يجيز شعره.

٥ نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى الحُسَين بن إسماعيل المَهْدىّ قال حدّثنى رَجَاء بن سَلَمة قال :

وَجَد المأمونُ علىّ فى شىء ، فاستأذنتُه فى الحجّ فأذن لى ، فقَدِمتُ البصرة وعُبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشمىّ (٣) عليها وإليه أمرُ الحجّ ، فزاملتُه إلى مكة . فبينا نحن فى الطّواف رأيت أبا العتاهية ، فقلت لعُبيد الله : جُعِلْتُ فداك ! أتُحِبّ ١٠ أن ترى أبا العتاهية ؟ فقال : والله إنّى لأُحِبُّ أن أراه وأعاشِرَه . قلت : فافرُغْ من طَوافك وآخْرُجْ ، ففعل . فأخذتُ بيد أبى العتاهية فقلت له : يا أبا إسحاق ، هل لك فى رجلٍ من أهل البصرة شاعرٍ أديب ظريف؟ قال : وكيف لى بذلك ؟ فأخذت بيده فجئتُ به إلى عُبيد الله ، وكان لا يعرفه ، فتحدّثنا ساعةً ، ثم قال له أبو العتاهية : هل لك فى بيتين تُجيزهما؟ فقال له عُبيد الله : إنه لا رَفَثَ ولا فُسوقَ ١٥ ولا جِدالَ فى الحجّ . فقال له : لا تَرْفُث ولا تفسُق ولا تُجادِل . فقال : هات إذًا . فقال أبو العتاهية :

إنّ المنونَ غُدُوَّها ورَواحَها ... فى الناس دائبة تُجيل قِداحَها

يا ساكنَ الدنيا لقد أُوطِنْتَها ... ولتنزَحنّ وإن كرِهت نَزَاحها

---

(١) المرمريس : الداهية . (٢) التناغر : التناكر . وفى حـ : « تباعد » .
(٣) كذا فى حـ ، ء . وفى سائر النسخ : « الهشامى » وهو تحريف .

فأطرَق عبيد الله ينظُر الى الأرض ساعةً ، ثم رفع رأسه فقال :

خُــذْ لا أبالك للنيّــة عُدّةً * واحْتَلْ لنفسك إن أردتَ صلاحَها

لا تَغْــتَرِرْ فكأنّنى بعُقــاب رَيْــ * ــبِ الموت قد نَشَرتْ عليك جَناحَهَا

قال : ثم سمعتُ النــاس يَنحَلون أبا العتاهية هذه الأربعــةَ الأبيات كلّها ، وليس له إلّا البيتان الأوّلان .

قصته فى السجن مع داعية عيسى بن زيد

أخبرنى عمّى الحسن بن محمد قال حدّثنا مَيْمون بن هارون قال حدّثنى إبراهيم ابن رَبَاح قال أخبرنى إبراهيم بن عبد الله ، وأخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنا هارون بن مُخَارِق قال حدّثنى إبراهيم بن دَسْكَرة ، وأخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنى أحمد بن سُليمان بن أبى شَيخ قال :

قال أبو العتاهية : حبسنى الرشيدُ[1] لمّا تركتُ قولَ الشعر ، فأدخلتُ السجنَ وأغلِق البابُ علىّ ، فدَهِشتُ كما يدهَش مثلى لتلك الحال ، وإذا أنا برجل جالس فى جانب الحبس مُقيّد ، فجعلت أنظر اليه ساعةً ، ثم تمثّل :

صــــوت

تَعــوّدتُ مُرَّ الصبر حتى ألِفْتُــهُ * وأسلمنى حسنُ العَــزاء إلى الصبرِ

وصــيّرنى يأسى من النّاس راجيــاً * لحُسْن صنيع الله من حيثُ لا أدرى

فقلت له : أعِدْ ، يرحمك الله ، هذين البيتين . فقال لى : ويلَك أبا العتاهية ! ما أسوأ أدبَك وأقلّ عقــلَك ! دخلتَ علىّ الحبْسَ فــا سلّمتَ تسليمَ المُسْلِم على المُسْــلم ، ولا سألتَ مسئلةَ الحُرّ للحُرّ ، ولا توجّعت توجُّع المُبتلَى للمُبتَلَى ، حتى إذا سمعتَ بيتين

(١) فى وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ١ ص ١٠٢) : « أمر المهدى بحبسى ... » .

من الشعر الذى لا فضلَ فيك غيرُه ، لم تصبِر عن آستعادتهما ، ولم تُقدِّم قبلَ
مسألتك عنهما عُذرًا لنفسك فى طلبهما ! فقلتُ : يا أخى إنّى دَهِشتُ لهذه الحال ، فلا
تَعذُلْنى وآعذِرْنى مُتفضِّلا بذلك . فقال : أنا والله أولى بالدَّهَش والحَيْرة منك ؛ لأنك
حُبِستَ فى أن تقول شعرًا به آرتفعتَ وبلغت ، فإذا قُلتَ أُمِّنتَ ، وأنا مأخوذٌ بأن
٥ أَدُلَّ على آبن رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيُقتَلَ أو أُقتَلَ دونه ، ووالله لا أدُلّ عليه
أبدا ، والساعةَ يُدعى بى فأُقتل ، فأيُّنا أحقُّ بالدَّهَش ؟ فقلت له : أنت والله أولى ،
سَلَّمك الله وكفاك ، ولو علمتُ أنّ هذه حالُك ما سألتُك . قال : فلا تَجِلُّ عليك إذًا ،
ثم أعاد البيتين حتى حَفِظتُهما . قال : فسألته مَنْ هو ؟ فقال : أنا حاضر(١) داعيةُ
عيسى بن زيد وآبنه أحمد . ولم نَلْبَثْ أن سمعنا صوتَ الأقفال ، فقام فسكب عليه
١٠ ماءً كان عنده فى جَرّة ، ولبِس ثوبًا نظيفا كان عنده ، ودخل الحَرَسُ والجند معهم
الشمع فأخرجونا جميعا ، وقُدِّم قبلى إلى الرشيد . فسأله عن أحمد بن عيسى ؛ فقال :
لا تسألْنى عنه وآصنعَ ما أنت صانع ، فلو أنه تحت ثوبى هذا ما كشفتُه عنه . وأمر
بضَرْب عُنقه فضُرِب . ثم قال لى : أظنّك قد آرتعتَ يا إسماعيل ! فقلت : دون
ما رأيته تَسِيل منه النفوس . فقال : ردّوه إلى مَحْبِسه فرُدِدْتُ ، وآنتحلت هذين
١٥ البيتين وزِدتُ فيهما :

إذا أنا لم أقْبَل من الدّهر كلَّ ما * تكرَّهتُ منه طال عَتْبى على الدهر

لِزُرْزُور غلامِ المَارِقىّ فى هذين البيتين المذكورَين خفيفُ رَمَل . وفيهما لعَريب
خفيفُ ثقيل .

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ بن يحيى : حدّثنى علىّ بن مَهْدىّ قال حدّثنى
٢٠ ناجيةُ بن عبد الواحد قال :

١٧٣ / ٣

كان خلفا فى شعره له منه الجيد والردى .

قال لى أبو العبّاس الخُزَيْمىّ :

كان أبو العتاهية خَلَقًا فى الشعر، بينما هو يقول فى موسى الهادى :

لَهْفِى على الزمنِ القصيرِ * بين الخَوَرْنَقِ والسَّديرِ

إذ قال :

أيا ذَوِى الوَخامهْ * أكثرتُمُ المَـلامهْ

فليس لى على ذا * صـبرٌ ولا قُلامهْ

نعمْ عَشِقتُ مُوقًا * هل قامتِ القيامهْ

لأَرْكَبنّ فيـمن * هَوِيتُـه الصَّرامهْ

عرض شعرا له على سلم الخاسر فذمه فأجابه

ونسختُ من كتابه[1] : حدّثنى علىّ بن مَهدىّ قال حدّثنى أحمد بن عيسى قال حدّثنى الجَمّاز قال :

قال سَلْمٌ الخاسر : صار إلىّ أبو العتاهية فقال : جئتُك زائرًا ؛ فقلت : مقبولٌ منك ومشكورٌ أنت عليه، فأقِمْ . فقال : إنّ هذا مما يَشتدّ علىّ . قلت : ولِمَ يشتدّ عليك ما يَسهُل على أهـل الأدب ؟ فقال : لِمَعرفتى بضيق صدرك . فقلت له وأنا أضحك وأعجب من مُكابرته : «رَمَتْنى بدائها وآنسلَّتْ»[2] . فقال : دَعْنى من هذا وآسمعْ منّى أبياتًا . فقلت : هات ؛ فأنشدنى :

نغَّص الموتُ كلَّ لذّة عيش * يا لَقومى لِلْـموت ما أَوْحاهْ[3]

عجبًـا أنّه إذا مات مَيْتٌ * صَـدّ عنـه حبيبُه وجَفاهْ

حيثُما وجّه آمرؤٌ ليفوتَ الـ * ـموت فالموتُ واقفٌ بحِذاهْ

إنّمـا الشَّيْبُ لآبن آدمَ ناعٍ * قام فى عارِضَـيْه ثم نعَـاهْ

---

(١) يريد كتاب هارون بن على الوارد فى الصفحة السابقة . (٢) هذا مثل يضرب لمن يعيّر آخر عيبًا هو فيه . (٣) ما أوحاه : ما أسرعه .

مَنْ تمنّى المُنَى فأغرق فيها * مات من قبلِ أن ينالَ مُناهُ
ما أذَلّ المُقِلّ فى أعْيُنِ النّا * س لإقلاله وما أقْماهُ (١)
إنما تنظر العيونُ من النا * س إلى من تَرْجوه أو تَخْشاهُ

ثم قال لى : كيف رأيتَها ؟ فقلت له : لقد جوّدتَها لو لم تكن ألفاظُها سُوقيّة.
٥ فقال : والله ما يُرَغّبنى فيها إلاّ الذى زهّدك فيها .

مرّ به حميد الطوسى متكبرا فقال شعرا

ونسخت من كتابه : عن علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى عبد الله بن عطيّة عن محمد ابن عيسى الحربىّ قال :

كنت جالسًا مع أبى العتاهيــة ، إذ مرّ بنا حُمَيْدٌ الطُّوسىّ فى موكبه وبين يديه الفُرسانُ والرَّجّالةُ ، وكان بقُرب أبى العتاهية سَوادىٌّ (٢) على أتان ، فضربوا وجه الأتان ١٠ ونحّوه عن الطريق ، وحُميد واضعٌ طَرْفَه على مَعْرَفَة فرسه والناسُ ينظرون إليــه يعجبون منه وهو لا يلتفت تيهاً ؛ فقال أبو العتاهية :

لِلْمــوت أبنــاءٌ بهـــمْ * ماشِئْتَ من صَلَفٍ وتيهِ
وكأنّنى بالمـــوت قـــد * دارَتْ رَحاه على بَنيـــهِ

١٧٤/٣

قال : فلمّا جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية :

١٥ ما أذلّ المُقِلّ فى أعين النا * س لإقــلاله وما أقْمــاهُ
إنمـا تنظر العيونُ من النا * س إلى من تَرْجوه أو تَخْشاهُ

اعترض عليه فى بخله فأجاب

قال علىّ بن مهدىّ وحدّثنى الحسين بن أبى السَّرِىّ قال :

قيل لأبى العتاهية : مالك تَبْخَل بما رزقك الله ؟ قال : والله ما بَخِلتُ بما رزقنى الله قطّ . قيل له : وكيف ذاك وفى بيتك من المــال ما لا يُحْصَى ؟ قال : ليس ٢٠ ذلك رزقى ، ولو كان رزقى لأنفقتُه .

(١) ما أقماه : ما أذله . (٢) السوادىّ : القروىّ ، من سواد البلدة وهو ما حولها من القرى ، أو هو الرجل من عامة الناس .

طلب من صالح الشهرزورى حاجة فلم يقضها فعاتبه حتى استرضاه فمدحه

قال علىّ بن مهدى وحدّثنى محمد بن جعفر الشَّهْرَزُورِىّ قال حدّثنى رَجاء مولى صالح الشَّهْرَزُورِىّ قال :

كان أبو العتاهية صديقا لصالح الشهرزورىّ وآنس الناس به، فسأله أن يُكلّم الفضلَ بن يحيى فى حاجة له ؛ فقال له صالح : لست أُكلّمه فى أشباه هذا، ولكن حمِّلنى ما شئت فى مالى . فانصرف عنه أبو العتاهية وأقام أيّاما لا يأتيه؛ فكتب اليه أبو العتاهية :

أَقْلِلْ زيارتَك الصديقَ ولا تُطِلْ * إتيانَه فتَلِجَّ فى هِجْرانه
إنّ الصديقَ يَلِجّ فى غِشْيانه * لصديقه فيَمَلُّ من غِشْيانه
حتّى تراه بعد طول مَسرّةٍ * بمكانه مُتَبرِّماً بمكانه
وأقلُّ ما يُلْفَى الفتى ثِقَلًا على * إخوانه ما كفّ عن إخوانه
وإذا توانَى عن صِيانة نفسه * رجلٌ تُنُقِّص واستُخِفّ بشانه

فلمّا قرأ الأبياتَ قال : سبحانَ الله ! أَتَهجُرنى لمنعى إيّاك شيئًا تعلم أنّى ما ابتذلتُ نفسى له قطّ، وتَنْسَى مودّتى وأخوّتى، ومِنْ دون ما بينى و بينك ما أَوجب عليك أن تَعْذِرنى ! فكتب اليه :

أهلَ التخلّق لو يَدوم تَخلُّقُ * لسكنتُ ظلّ جَناح مَنْ يَتخلّقُ
ما الناس فى الإمساك إلا واحدٌ * فبأيّهم إنْ حُصِّلوا[1] أَتعلّقُ
هذا زمانٌ قد تعوّد أهلُه * تيهَ الملوك وفعلَ مَنْ يَتصدّقُ[2]

فلمّا أصبح صالحٌ غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى وحدّثه بالحديث ؛ فقال له : لا والله ما على الأرض أبغضُ إلىّ من إسداء عارفةٍ إلى أبى العتاهية ؛ لأنه ممن ليس

(١) حصلوا : خبروا وميزوا . (٢) تصدّق هنا : يسأل .

يظهر عليه أثر صنيعة، وقد قضيتُ حاجته لك؛ فرجع وأرسلنى اليه بقضاء حاجته[1].
فقال أبو العتاهية :

جَزَى اللهُ عنِّى صالحًا بوفائه * وأضعفَ أضعافًا له فى جَزائه
بَلَوْتُ رجالًا بعده فى إخائهم * فما ٱزددتُ إلّا رغبةً فى إخائه
٥ صديقٌ إذا ماجئتُ أبغيه حاجةً * رجعتُ بما أبغى ووجهى بمائه

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى محمد بن موسى قال حدّثنى أحمد بن حرب قال: أنشدنى محمد بن أبى العتاهية لأبيه يعاتب صالحا هذا فى تأخيره قضاء حاجته :

صــــوت

أَعَيْنَىَّ جُودَا وٱبكِيَا وُدَّ صالحٍ * وهِيجَا عليه مُعْوِلاتِ النّوائحِ
١٠ فما زالَ سلطانًا أخٌ لى أَوَدُّه * فيَقْطَعُنى جُرْمًا[2] قطيعةَ صالحِ

الغناء فى هذين البيتين لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر فى مجرى البِنْصِر .

١٧٥ / ٣

أمر الرشيد مؤدّب ولده أن يرويهم شعره

أخبرنى محمد بن أبى الأزهر قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال :

كان الرشيد مُعْجَبًا بشعر أبى العتاهية ، فخرج إلينا يومًا وفى يده رُقْعتان على
١٥ نسخةٍ واحدة، فبعث بإحداهما إلى مُؤَدِّبٍ لوَلَده وقال : لِيُرَوِّهِمْ مافيها، ودفع الأُخرى إلىّ وقال : غَنِّ فى هذه الأبيات . ففتحتُها فإذا فيها :

صــــوت

قُلْ لِمَنْ ضَنَّ بوُدِّهْ * وكَوَى القلبَ بصَدِّهْ
ماٱبتلَى اللهُ فؤادى * بكَ إلّا شُؤْمَ جَدِّهْ

٢٠ (١) أى رجع الفضل وأرسلنى إلى أبى العتاهية بقضاء حاجته .
(٢) فى ء : « جزما » . وفى سائر النسخ : « حزما » بالحاء المهملة . ويظهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه .

أَيُّها السارقُ عَقْلِى * لا تَضُنَّنَّ بِـرَدِّهْ
ما أرى حُبَّكَ إلّا * بالغًا بى فوقَ حَدِّهْ

تمثل المعتصم عند موته بشعر له

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنى عبد الله بن محمد الأُمَوِىّ العُتْبِىّ قال قال لى محمد بن عبد الملك الزيّات :

لمّا أحسّ المعتصم بالموت قال لابنه الواثق : ذَهَب والله أبوك يا هارون! ٥ لله درُّ أبى العتاهية حيث يقول :

الموتُ بين الخَلْقِ مُشْتَرَكُ * لا سُوقَةٌ يَبْقَى ولا مَلِكُ
ما ضَرَّ أصحابَ القليلِ وما * أَغْنَى عن الأملاكِ ما مَلَكُوا

عدّ أبو تمام خمسة أبيات من شعره وقال لم يشركه فيها غيره

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ وعمّى الحسن والكوكبىّ قالوا حدّثنا عبد الله ابن أبى سعد قال : ١٠

قال لى أبو تمّام الطائىّ : لأبى العتاهية خمسةُ أبياتٍ ما شَرِكَه فيها أحدٌ، ولا قَدَر على مثلها مُتقدِّم ولا متأخّر ، وهو قوله :

النـاسُ فى غَفَلاتِهِـمْ * ورَحَى المَنِيَّـةِ تَطْحَنُ

وقوله لأحمد بن يوسف :

ألم تَرَ أنّ الفقرَ يُرْجَى له الغِنَى * وأنّ الغِنَى يُخْشَى عليه مِنَ الفَقْرِ ١٥

وقوله فى موسى الهادى :

ولمّا ٱستقلُّوا بأثقالِهِمْ * وقد أَزْمَعُوا للّذى أزمعوا
قرنتُ ٱلتفاتى بآثارِهِمْ * وأَتْبَعْتُهُمْ مُقْلَةً تَدْمَعُ

وقوله :

هَبِ الدنيا تصير إليك عَفْوًا * أليس مصيرُ ذاك إلى زَوالِ ٢٠

عزاؤه صديقا له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنى محمد بن سعيد المَهْدىّ عن يحيى بن سَعِيد الأنصارىّ قال :

مات شيخٌ لنا ببغداد، فلمّا دفنّاه أقبل الناسُ على أخيه يُعَزُّونه، فجاء أبو العتاهية إليه و به جَزَعٌ شديد، فعزّاه ثم أنشده :

٥ لا تأمنِ الدَّهْرَ والْبَسْ * لكلِّ حينٍ لِبَاسَا
لَيَدْفِنَنَّا أُنَاسٌ * كما دَفَنَّا أُنَاسَا

١٧٦ / ٣

قال : فانصرف الناس ، وما حفِظوا غيرَ قول أبى العتاهية .

أرسل لخزيمة من شعره فى الزهد فغضب وذمه

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى حبيب ابن عبد الرحمن عن بعض أصحابه :

١٠ قال : كنت فى مجلس خُزَيمة[1] ، فجرى حديثُ ما يُسْفَكُ من الدماء ، فقال : والله مالنا عند الله عذرٌ ولا حُجَّةٌ إلّا رجاء عفوه ومغفرته . ولولا عزُّ السلطان وكراهةُ الذلّة ، وأن أصير بعد الرياسة سُوقةً وتابعاً بعد ما كنتُ متبوعا ، ما كان فى الأرض أزهدُ ولا أعبدُ منّى ؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برُقعة من أبى العتاهية فيها مكتوبٌ :

١٥ أراكَ آمرأً ترجو من الله عَفْوَهُ * وأنت على ما لا يُحِبُّ مُقِيمُ
تَدُلُّ على التقوى وأنت مُقَصِّرٌ * أيا مَنْ يُدَاوِى الناسَ وهو سَقِيمُ
و إنّ آمرأً لم يُلْهِهِ اليومُ عن غَدٍ * تَخَوُّفَ ما يأتى به لحكيمُ
و إنّ آمرأً لم يجعلِ البِرَّ كنزَه * و إنْ كانتِ الدنيا له لعديمُ

(١) هو خزيمة بن خازم أحد قواد الرشيد .

فغضب خُزَيمةُ وقال : والله ما المعروفُ عند هذا المعتوه المُلْحِف من كنوز البرّ فيرغَبَ فيه حُرٌّ . فقيل له : وكيف ذاك ؟ فقال : لأنّه من الذين يكنِزون الذهب والفضّة ولا يُنفقونها فى سبيل الله .

مدح يزيد بن مزيد فوصله

ونسخت من كتابه : عن علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى الحسين بن أبى السَّرِىّ قال قال لى الفضل بن العبّاس :

قال لى أبو العتاهية : دخلتُ على يزيدَ بن مَزْيَد، فأنشدتُه قصيدتى التى أقول فيها :

وما ذاك إلّا أنّنى وَاثقٌ بما * لديك وأنّى عالمٌ بوفائكا

كأنّك فى صدرى إذا جئتُ زائرًا * تُقَدِّر فيه حاجتى بٱبتدائكا

وإنّ أميرَ المؤمنين وغيرَه * لَيعلمُ فى الهيجاء فضلَ غَنائكا

كأنّك عند الكَرّ فى الحرب إنّما * تَفِرُّ من السِّلْم الذى من وَرائكا ١٠

فما آفةُ الأملاكِ غيرُك فى الوَغَى * ولا آفةُ الأموال غيرُ حِبائكا

قال : فأعطانى عشرة آلاف درهم، ودابّةً بسَرْجها ولجامها .

وعظ راهب رجلا عابدا بشعره

وأخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق وعمّى الحسن بن محمد وحبيب بن نصر المهلّبى قالوا : حدّثنا عمر بن شبّة قال :

مرّ عابدٌ براهبٍ فى صَوْمعة ؛ فقال له : عِظْنى . فقال : أَعِظُك وعليكم نَزَل ١٥ القرآن، ونبيُّكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم[1] ؟ قلت نعم . قال : فٱتّعظ ببيتٍ من شعر شاعركم أبى العتاهية حين يقول :

تَجَرَّدْ مِنَ الدنيا فإنّك إنّما * وقعتَ إلى الدنيا وأنت مُجَرَّدُ

فضله العتابى على أبى نواس

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرفىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنى الفضل بن محمد الزّارع قال حدّثنى جعفر بن جَميل قال : ٢٠

(١) فى جميع الأصول : «ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم صلى الله عليه وسلم وعلى آله» . ويظهر أن هذا تكرار من النساخ .

قدم العتّابي الشاعر على المأمون، فأنزله على إسحاق بن إبراهيم، فأنزله على كاتبه ثَوَابة بن يونس، وكنّا نختلف إليه نكتب عنه. فجرى ذات يوم ذكر الشعراء؛ فقال: لكم يا أهلَ العراق شاعرٌ معوَّه الكُنْية، ما فعل؟ فذكر القوم أبا نُوَاس؛ فانتهرهم ونفض يده وقال: ليس ذاك، حتى طال الكلام. فقلت: لعلّك تريد ٥ أبا العتاهية. فقال: نعم! ذاك أشعرُ الأوّلين والآخرين في وقته.

١٧٧ / ٣

لام أبا نواس في استماع الغناء

أخبرني محمد بن عِمْران قال حدّثني العَنَزِيّ قال حدّثني محمد بن إسحاق عن عليّ بن عبد الله الكِنْديّ قال:

جلس أبو العتاهية يومًا يَعْذِلُ أبا نُوَاس ويلومه في ٱستماع الغِناء ومجالسته لأصحابه؛ فقال له أبو نواس:

١٠ أتُرَاني يا عَتَاهي * تاركًا تلك المَلَاهي

أتُراني مفسِدًا بالنُّسْك عند القوم جاهي

قال: فوثب أبو العتاهية وقال: لا بارك الله عليك! وجعل أبو نواس يضحك.

بلغه أن إبراهيم ابن المهدي رماه بالزندقة فبعث إليه يعاتبه فردّ عليه إبراهيم

أخبرني جَحْظةُ قال حدّثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ قال:

بلغ أبا العتاهية أنّ أبي رماه في مجلسه بالزندقة وذكَّره بها؛ فبعث إليه يُعاتبه ١٥ على لسان إسحاق الموصلي، فأدّى إليه إسحاق الرسالة؛ فكتب إليه أبي:

إنّ المنيّة أمهلتْك عَتَاهي * والموتُ لا يسهو وقلبُك ساهي

ياويحَ ذي السنّ الضعيف أمَا لَهُ * عن غَيِّه قبل المماتِ تَنَاهي

وُكِّلْتَ بالدنيا تُبَكّيها وتَنْـ * ـدُبها وأنت عن القيامة لاهي

والعيشُ حُلْوٌ والمنونُ مَريرةٌ * والدارُ دارُ تفاخُرٍ وتَباهي

فاختَرْ[(١)] لنفسك دونها سُبُلًا ولا * تَتَحامَقَنْ لها فإنّك لاهى

لا يُعْجِبَنّكَ أنْ يُقال مُفَوَّهٌ * حَسَنُ البَلاغة أو عَرِيضُ الجاه

أَصْلِحْ جَهُولًا من سَرِيرتك الّتى * تخلو بها وارْهَبْ مَقامَ اللّهِ

إنّى رأيتُك مُظْهِرًا لِزَهادةٍ * تحتاجُ منك لها إلى أشباه

كان عبد الله بن العباس بن الفضل مشغوفا بالغناء فى شعره

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال حدّثنى الحُسَين بن يحيى الصولىّ قال ٥
حدّثنى عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الرَّبيع قال :
رآنى الرشيد مشغوفا بالغناء فى شعر أبى العتاهية :

صــــوت

أحمدٌ قال لى ولم يَدْرِ ما بى * أَتُحِبُّ الغداةَ عُتْبةَ حَقّا

فَتَنَفَّسْتُ ثم قلتُ نَعَمْ حُبًّا * جَرَى فى العُروق عِرْقًا فعِرقا ١٠

لو تَجُسِّين يا عُتَيبةُ قلبى * لَوَجَدْتِ الفؤادَ قَرْحًا تَفَقّا

قد لَعَمْرى مَلَّ الطبيبُ ومَلَّ الأهلُ منّى مما أُقاسِى وأَلْقَى

ليتَنى مُتُّ فاسترحتُ فإنّى * أبدًا ما حَيِيتُ منها مُلَقَّى[(٢)]

ولا سيما من مُخَارِق ، وكان يُغَنّى فيه رَمَلًا لإبراهيم أخذه عنه . وفيه لحنٌ لفَرِيدة
رمل . هكذا قال الصُّولِى : "فريدة" بالياء، وغيره يقول : "فِرِندة" بالنون . ١٥

أمره الرشيد أن يقول شعرا يغنى فيه الملاحون فلما سمعه بكى

حدّثنى الصُّولِى قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا محمد بن صالح العَدَوِىّ
قال أخبرنى أبو العتاهية قال :
كان الرشيدُ مما يُعجبه غناءُ المَلّاحين فى الزَّلّالات[(٣)] إذا رَكِبها، وكان يتأذّى بفساد
كلامهم ولحنهم، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعرًا يُغَنّون فيه .

(١) فى ح : «فاحتل» . (٢) الملق : الممتحن الذى لا يزال يلقاه مكروه . (٣) لم نجد ٢٠
هذا الاسم فى كتب اللغة التى بين أيدينا بالمعنى المراد منه هنا . وظاهر أن المراد به نوع من السفن .

١٧٨/٣

فقيل له : ليس أحدٌ أقدرَ على هذا من أبى العتاهية، وهو فى الحَبْس . قال: فوجّه إلىّ الرشيد : قُل شعرًا حتّى أسمعه منهم، ولم يأمُرْ بإطلاق ؛ فغاظنى ذلك فقُلْتُ : والله لأقولنّ شعرًا يحزُنه ولا يَسُرُّه به، فعملتُ شعرًا ودفعتُه إلى مَنْ حفّظه الملّاحين . فلمّا ركب الحرّاقة[1] سمعه، وهو :

خانَكَ الطّرْفُ الطَّمُوحُ * أيُّها القلبُ الجَمُوحُ
لِدَوَاعِى الخَيْرِ والشَّرِّ * دُنُوٌّ ونُزُوحُ
هل لمطلوبٍ بِذَنْبٍ * توبةٌ منه نَصُوحُ
كيف إصلاحُ قُلُوبٍ * إنّما هُنّ قُروحُ
أحْسَنَ اللهُ بنا أنّ * الخطايا لا تَفُوحُ
فإذا المستورُ مِنّا * بينَ ثوبَيْه نَضُوحُ[2]
كَمْ رأينا مِنْ عزيزٍ * طُوِيتْ عنه الكُشُوحُ
صاحَ منه بِرَحِيلٍ * صائحُ الدّهرِ الصَّدُوحُ
موتُ بعضِ الناسِ فى الأرْ * ضِ على قومٍ فُتُوحُ
سيصيرُ المرءُ يومًا * جَسَدًا ما فيه رُوحُ
بينَ عَيْنَىْ كُلِّ حَىٍّ * عَلَمُ الموتِ يلوحُ
كُلُّنا فى غفلةٍ والْ * مَوْتُ يغدو ويروح
لِبَنِى الدُّنيا مِنَ الدُّنْ * يا غَبُوقٌ[3] وصَبُوحُ
رُحْنَ فى الوَشْىِ وأصْبَحْ * نَ عليهِنّ المُسُوحُ

(١) الحرّاقة : ضرب من السفن الحربية الكبيرة فيها مرامى نيران يُرمى بها العدوّ فى البحر. وكان منها أنواع تستعمل للنزهة والرياضة والتنقل عند الخلفاء والملوك والأمراء فى أوّل العصر العباسى (مثل الذهبية عندنا) وهى المرادة هنا . (٢) فى الديوان : « فضوح » بالفاء . (٣) الغبوق : ما شرب أو أكل آخر النهار ، و يقابله الصبوح وهو ما أكل أو شرب أوّل النهار .

كلُّ نَطَّاحٍ مِنَ الدَّهْـ * ـرِ له يـومٌ نَطُـوحُ

نُحْ على نفسك يا مِسْكِينُ إنْ كنتَ تنوح

لتَمُوتَنَّ وإنْ عُمِّرْتَ ما عُمِّرَ نُوحُ

قال : فلمّا سمع ذلك الرشيدُ جعل يبكى وينتحب ، وكان الرشيدُ من أغزر الناس دموعًا فى وقت الموعظة ، وأشدّهم عَسْفًا فى وقت الغضب والغِلْظة . فلمّا ٥ رأى الفضلُ بن الرّبيع كثرةَ بكائه ، أومأ إلى المَلّاحين أن يسكتوا .

هجا منجابا الذى كان موكلا بحبسه

حدّثنى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسن بن جابر كاتب الحسن بن رَجَاء[1] قال :

لمّا حبَس الرشيدُ أبا العتاهية دفَعه إلى مِنجَاب ، فكان يَعنُف به ؛ فقال أبو العتاهية :

١٠ مِنجَابُ مات بِدائه * فاعجَلْ له بِدوائه

إنّ الإمامَ أعلّه * ظُلْمًا بحَدّ شقائه

لا تُعنِفَنّ[2] سِيَاقَهُ * ما كُلُّ ذاك بِرائه[3]

ما شِمْتُ هذا فى مَخَا * يِلِ بارقات سَمائه

مدح الرشيد حين عقد ولاية العهد لبنيه

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيرَفىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنى أحمد بن ١٥ مُعَاوِيةَ القُرَشىّ قال :

١٧٩ / ٣

لمّا عَقَد الرشيدُ ولايةَ العهد لبنيه الثلاثة : الأمين ، والمأمون ، والمؤتمن ، قال أبو العتاهية :

رَحَلْتُ عن الرَّبْعِ المُحِيلِ قَعُودِى * إلى ذى زُحُوفٍ[4] جَمّةٍ وجُنُودِ

وَراعٍ يُراعِى اللَّيلَ فى حِفظِ أُمّةٍ * يُدَافِع عنها الشَّرَّ غيرِ رَقُودِ

٢٠ بِألْوِيَةٍ جبريلُ يَقْدُمُ أهلَها * ورَاياتِ نَصْرٍ حولَه وبُنُودِ

(١) فى الأصول : «الحسين» وهو تحريف . (٢) أعنف الشىء : أخذه بشدة .
(٣) يريد : «برأيه» . (٤) الزحوف : جمع زحف وهو الجيش .

تجافى عن الدنيا وأيقن أنها * مفارقة ليست بدار خلود

وشد عرا الإسلام منه بفتية * ثلاثة أملاك ولاة عهود

هم خير أولاد ، لهم خير والد * له خير آباء مضت وجدود

بنو المصطفى هارون حول سريره * فخير قيام حوله وقعود

تقلب ألحاظ المهابة بينهم * عيون ظباء فى قلوب أسود

جدودهم[1] شمس أتت فى أهلة * تبدت لراء فى نجوم سعود

قال : فوصله الرشيد بصلة ما وصل بمثلها[2] شاعرا قط .

ذكر ملك الروم فالتمسه من الرشيد فاستعفى هو ، فكتب من شعره فى مجلسه وعلى باب مدينته

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدى إجازة قال حدثنى الرياشى قال : قدم رسول لملك الروم إلى الرشيد ، فسأل عن أبى العتاهية وأنشده شيئا من شعره ، وكان يحسن العربية ، فمضى الى ملك الروم وذكره له ؛ فكتب ملك الروم إليه ، ورد رسوله يسأل الرشيد أن يوجه بأبى العتاهية ويأخذ فيه رهائن من أراد ، وألح فى ذلك . فكلم الرشيد أبا العتاهية فى ذلك ، فاستعفى منه وأباه . واتصل بالرشيد أن ملك الروم أمر أن يكتب بيتان من شعر أبى العتاهية على أبواب مجالسه وباب مدينته ، وهما :

صوت

ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء فى الفلك

إلا لنقل السلطان عن ملك * قد انقضى ملكه الى ملك

انقطع بعذر وجه من الحبس فلامه الرشيد فكتب له شعرا معتذرا ومادحا

أخبرنى عمى قال حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدثنا الربيع بن محمد الختلى الوراق قال أخبرنى ابن أبى العتاهية :

---

(١) كذا فى الديوان . وفى الأصول : « خدودهم » بالخاء .

(٢) فى الأصول : « ما وصل مثلها » .

أنّ الرشيدَ لمّا أطلق أباه من الحَبْس ، لَزِم بيتَه وقَطَع الناسَ؛ فذكَره الرشيد فعُرِّفَ خبرَه، فقال : قولوا له : صِرْتَ زِيرَ نساء وحِلْسَ بيت[1] ؛ فكتب اليه أبو العتاهية :

بَرِمْتُ بالنّاس وأخلاقِهم * فصِرْتُ أستأنِسُ بالوَحْدَهْ
ما أكثرَ النّاسَ لعَمْرِى وما * أقلّهم فى مُنْتَهى العِدّهْ

ثم قال : لا ينبغى أنْ يمضى شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدحٌ له ، فقرَن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها، وهى :

صـــوت

عادَ لى من ذِكْرِها نَصَبُ * فدموعُ العينِ تَنْسكِبُ
وكذاكَ الحُبُّ صاحِبُه * يَعْتَرِيه الهَمُّ والوَصَبُ
خيرُ مَنْ يُرْجَى ومَنْ يَهَبُ * مَلِكٌ دانتْ له العَرَبُ
وحقيقٌ أنْ يُدانَ له * مَنْ أبوه للنّبىّ أبُ

١٨٠ / ٣

أمره الرشيد أن يعظه فقال شعرا فبكى

حدّثنا الصُّولىّ قال حدّثنا عَوْن بن محمد قال حدّثنا محمد بن أبى العتاهية قال: قال الرشيدُ لأبى: عِظْنى؛ فقال له : أخافك . فقال له : أنت آمِنٌ . فأنشده :

لا تأْمَنِ الموتَ فى طَرْفٍ ولا نَفَسٍ * اذا تَسَتَّرْتَ بالأبواب والحَرَسِ
واعْلَمْ بأنّ سِهامَ الموت قاصدةٌ * لكلِّ مُدَّرِعٍ منّا ومُتَّرِسِ
ترجو النجاةَ ولم تَسْلُكْ طَرِيقَتَها * إنّ السفينةَ لا تَجْرى على اليَبَسِ

قال : فبكى الرشيد حتى بلّ كُمّه .

---

(١) حلس بيت : ملازمه لا يبرحه ، وهو مما يذم به الرجل .

تناظر ابن أبى فنن وابن خاقان فيه وفى أبى نواس ، ثم حكما ابن الضحاك ففضله

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال :

قال لى أحمد بن أبى فَنَنٍ : تناظرت أنا والفَتْحُ بن خاقان فى منزله : أيُّما [الرجلين] أشعر : أبو نُوَاس أم أبو العتاهية . فقال الفتح : أبو نواس ، وقلت : أبو العتاهية . ثم قلت : لو وُضعتْ أشعارُ العرب كلُّها بإزاء شعر أبى العتاهية لَفَضَلها ، وليس بيننا خلافٌ فى أنّ له فى كلّ قصيدة جَيِّدًا ووَسَطًا وضعيفًا ، فاذا جُمِع جَيِّده كان أكثرَ من جَيِّد كلِّ مُجَوِّد . [ثم] قلتُ له : بِمَن تَرْضَى ؟ قال : بالحسين بن الضحّاك . فما آنقطع كلامُنا حتّى دخل الحسين بن الضحّاك ، فقلتُ : ما تقول فى رجلين تَشَاجرا ، فَضَّل أحدُهما أبا نُوَاس وفضّل الآخَرُ أبا العتاهية ؟ فقال الحسين : أُمُّ مَنْ فَضَّل أبا نُوَاس على أبى العتاهية زانيةٌ ؛ فخَجِل الفَتْح حتى تبيّن ذلك فيه ، ثم لم يُعَاوِدْنى فى شيء من ذِكْرِهما حتّى آفترقنا .

جتمع مع مخارق فما زال يغنيه وهو يشرب ويبكى ثم كسر الآنية وتزهد

وقد حدّثنى الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهدىّ فيما تقدّم ، فقال : حدّثنى هارون بن مُخَارِق قال حدّثنى أبى قال :

جاءنى أبو العتاهية فقال : قد عزمتُ على أنْ أتزوّد منك يومًا تَهَبُهُ لى ، فمتى تَنْشَطُ ؟ فقلتُ : مَتَى شِئتَ . فقال : أخاف أنْ تقطع بى . فقلت : والله لا فعلتُ وإنْ طَلَبَنِى الخليفة . فقال : يكون ذلك فى غد . فقلت : أفعل . فلمّا كان من غد باكَرنى رسولُه بجِئتُه ، فأدخلنى بيتًا له نظيفًا فيه فَرْشٌ نظيفٌ ، ثم دعا بمائدة عليها خُبْزٌ سَمِيذٌ(١) وخَلٌّ وبَقْلٌ(٢) ومِلْحٌ وجَدْىٌ مَشْوِىّ فأكلنا منه ، ثم دعا بسَمَكٍ مَشْوِىّ فأصبنا منه حتّى آكتفينا ، ثم دعا بحَلْواء فأصبنا منها وغَسَلْنا أيدِيَنا ، وجاءونا بفاكهة ورَيْحان وألوانٍ

(١) السميذ : الدقيق الأبيض وهو لباب الدقيق . (٢) كذا فى الأصول . ويحتمل أيضا أن يكون « نقل » إذ هو المناسب للقام .

من الأنبذة، فقال: آختَرْ ما يصلُح لك منها؛ فاخترتُ وشربت، وصبَّ قدَحاً ثم قال: غَنِّنى فى قولى:

أحمدُ قال لى ولم يَدْرِ مابى * أتُحِبُّ الغَداةَ عُتْبةَ حقّا

فغنّيتُه، فشرب قدحاً وهو يبكى أحَرَّ بكاء. ثم قال: غَنِّنى فى قولى:

ليس لِمَنْ ليستْ له حِيلةٌ * موجودةٌ خيرٌ مِنَ الصَّبرِ

فغنّيته وهو يبكى ويَنْشِج[1]، ثم شرب قدحا آخر ثم قال: غَنِّنى، فديتك، فى قولى:

خَلِيلَىَّ مالى لا تزالُ مَضَرَّتى * تكونُ مع الأقدارِ حَتْماً من الحَتْمِ

فغنّيته إيّاه. وما زال يقترح علىّ كلّ صوتٍ غُنِّىَ به فى شعره فأُغَنِّيه ويشرب ويبكى حتى صار العتمة. فقال: أحِبُّ أن تَصْبِر حتَّى ترى ما أصنع فجلست. فأمر آبنَه وغلامه فكَسَرا كلَّ ما بين أيدينا من النبيذ وآلته والملاهى، ثم أمر بإخراج كلّ ما فى بيته من النَّبيذ وآلته، فأُخرِجَ جميعُه، فما زال يكسره ويَصُبُّ النبيذ وهو يبكى حتى لم يبقَ من ذلك شىءٌ، ثم نَزَع ثيابَه وآغتسل، ثم لَبِس ثياباً بِيضاً من صُوف، ثم عانقنى وبكى، ثم قال: السلامُ عليك يا حبيبى وفَرَحى من النّاس كلِّهم سلامَ الفِراق الذى لا لِقاءَ بعده؛ وجعل يبكى، وقال: هذا آخِرُ عَهْدى بك فى حال تَعاشُرِ أهل الدنيا؛ فظننتُ أنّها بعضُ حماقاته، فانصرفت، وما لَقيتُه زماناً. ثم تشوّقته[2] فأتيته فاستأذنتُ عليه فأذِن لى فدخلت، فاذا هو قد أخذ قَوْصَرَّتين[3] وثقَب إحداهما وأدخل رأسَه ويديه فيها وأقامها مقام القميص، وثَقَب الأُخرى[4] وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السَّراويل. فلمّا رأيته نَسِيتُ كلّ ما كان عندى من الغمّ عليه والوحشة لِعشْرته،

(١) نشج الباكى: غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب. (٢) فى معاجم اللغة التى بين أيدينا أن «تشوّق» يتعدّى بالحرف. فلعل ما هاهنا من باب الحذف والإيصال، والأصل: «تشوّقت اليه». (٣) القوصرة (بتشديد الراء وتخفيفها): وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوارى.
(٤) فى الأصول: «أخرى».

وضحكتُ والله ضحكًا ما ضحكت مثله قطُّ. فقال : مِنْ أىّ شىء تضحك؟ فقلت : أسخن(١) الله عينك ! هذا أىّ شىء هو؟ مَنْ بلغك عنه أنّه فعل مثل هذا من الأنبياء والزّهاد والصحابة والمجانين، انزِعْ عنك هذا ياسخين العين ! فكأنه آستحيا منّى. ثم بلغنى أنّه جلس حجّامًا، فجهدتُ أن أراه بتلك الحال فلم أره. ثم مرض، فبلغنى أنه آشتهى أنْ أغنّيه، فأتيتُه عائدًا، فخرج إلىّ رسولُه يقول: إن دخلتَ إلىّ جدّدتَ لى حزنًا وتاقتْ نفسى من سماعك إلى ما قد غلبتْها عليه، وأنا أستودعك الله وأعتذر إليك من ترك الالتقاء، ثم كان آخر عهدى به .

تمنى عند موته أن يجىء مخارق فيغنيه فى شعره

حدّثنى جحظة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

قيل لأبى العتاهية عند الموت: ماتشتهى؟ فقال: أشتهى أن يجىء مُخارق فيضع فمه على أذنى ثم يغنّينى :

سيعرض عن ذكرى وتُنسى مودّتى * ويحدُثُ بعدى للخليل خليلُ
إذا ما انقضتْ عنّى من الدهر مُدّتى(٢) * فإنّ غناء الباكيات قليلُ

وأخبرنى به أبو الحسن الأسدىّ قال حدّثنا محمد بن صالح [بن] النطّاح قال : قال بِشر بن الوليد لأبى العتاهية عند الموت : ما تشتهى؟ فذكر مثل الأوّل .

وأخبرنى به ابن عمّار أبو العبّاس عن ابن أبى سعد عن محمد بن صالح : أنّ بِشْرًا قال ذلك لأبى العتاهية عند الموت، فأجابه بهذا الجواب .

آخر شعر قاله فى مرضه الذى مات فيه

نسختُ من كتاب هارون بن علىّ : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال حدّثنى عبد الله بن عطيّة قال حدّثنى محمد بن أبى العتاهية قال: آخرُ شعرٍ قاله أبى فى مرضه الذى مات فيه :

إلهى(٣) لا تعذّبنى فإنّى * مُقرٌّ بالّذى قد كان منّى
فمالى حيلةٌ إلّا رجائى * لعفوك إنْ عفوتَ وحُسنُ ظنّى

(١) أسخن الله عينه : أبكاه وأحزنه . (٢) كذا فى وفيات الأعيان لابن خلكان وديوانه طبع بيروت (ص ٢٢١) . ومدته : أجله . وفى الأصول : « ليلة » . (٣) ورد هذا الشعر فى ديوانه (ص ٢٦٣) باختلاف يسير فى الرواية عما هنا .

وكَم مِنْ زَلةٍ لى فى الخَطَايا * وأنتَ علىَّ ذو فَضْلٍ ومَنِّ
إذَا فَكَّرْتُ فى نَدَمِى عليها * عَضِضْتُ أَنامِلِى وقَرَعْتُ سِنِّى
اجنُّ بزَهْرةِ الدُّنيا جُنُونا * وأَقْطَعُ طولَ عُمْرِى بالتمنِّى
ولَوْ أنّى صَدَقْتُ الزُّهْدَ عنها * قلبتُ لِأهلِها ظَهْرَ المِجَنِّ
يَظُنّ الناسُ بى خيرًا وإنّى * لَشَرُّ الخَلْقِ إنْ لم تَعْفُ عنِّى

٥

أمر بنته فى علته التى مات فيها أن تندبه بشعر له

١٨٢
٣

أخبرنى محمد بن عِمْران الصيْرَفى قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدّثنى أحمد ابن حمزة الضُّبَعى قال أخبرنى أبو محمد المؤدِّب قال :

قال أبو العتاهية لابنته رُقَيَّةَ فى عِلّته التى مات فيها : قُومِى يا بُنَيَّة فَانْدُبِى أباك بهذه الأبيات ؛ فقامتْ فَنَدَبَتْه بقوله :

لَعِبَ البِلَى بمَعَالِمِى ورُسُومِى * وقُبِرْتُ حَيًّا تحت رَدْمِ هُمُومِى
لَزِمَ البِلَى جِسْمِى فأَوْهَنَ قُوّتى * إنّ البِلَى لَمُوَكَّلٌ بلُزُومِى

١٠

تاريخ وفاته ومدفنه

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثنى علىّ بن محمد قال حدّثنى مُخَارِق المُغَنِّى قال :

تُوُفِّىَ أبو العتاهية، وإبراهيم الموصلىّ، وأبو عَمْرو الشَّيْبانى عبد السلام (١) فى يومٍ واحد فى خِلافة المأمون، وذلك فى سنة ثلاثَ عَشْرةَ ومائتين .

١٥

(١) كذا فى أ كثر الأصول . وظاهر الكلام أن عبدالسلام اسم لأبى عمرو الشيبانى ، وهو غير صحيح ؛ فان أبا عمرو الشيبانى الذى توفى فى اليوم الذى توفى فيه أبو العتاهية اسمه إسحاق بن مرار (وزان كتاب) وهو من رمادة الكوفة ، ونزل إلى بغداد وجاور شيبان للتأدب فيها فنسب إليها ، وكان من الأئمة الأعلام فى اللغة والشعر . وفى ى : «وعبد السلام» بزيادة واو العطف ، وهو ما يفيد أنه اسم لشخص آخر ذكر فى وفيات هذه السنة . وقد بحثنا فى كتب التاريخ والتراجم عمن توفوا فى سنة ٢١٣ فلم نعثر فيهم على من تسمى بعبد السلام . وفى نسخة أ : «أبو عمرو الشيبانى ... السلام» . والظاهر أن البياض فى «أ» وكلمة «عبد» فى باقى الأصول أصله «بمدينة» . ومدينة السلام هى بغداد . ويؤيد هذا ما ورد فى وفيات الأعيان فى ترجمة أبى عمرو الشيبانى من قوله : «... مات إسحاق بن مرار فى اليوم الذى مات فيه أبو العتاهية وإبراهيم النديم الموصلىّ سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد» .

٢٠

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْهِ عن أحمد بن يوسف عن أحمد ابن الخليل عن إسماعيل بن أبى قُتَيْبَةَ قال :

مات أبو العتاهية، ورَاشِدٌ الخَنَّاق، وهشيمة الخَمَّارة فى يوم واحد سنة تسع ومائتين.

وذكر الحارثُ بن أبى أُسامةَ عن محمد بن سَعْد كاتب الوَاقدىّ : أنّ أبا العتاهية مات فى يوم الاثنين لثمانٍ خَلَوْنَ من جُمَادَى الأُولى سنة إحدَى عَشْرةَ ومائتين، ودُفِن حِيالَ قَنْطَرة الزيّاتين فى الجانب الغَرْبىّ ببغداد.

أخبرنى الصُّولىّ عن محمد بن موسى عن أبى محمد الشَّيْبانى عن محمد بن أبى العتاهية : أنّ أباه توفّى سنة عَشْرٍ ومائتين.

الشعر الذى أمر أن يكتب على قبره

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنى محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم ابن عبد الله بن الجُنَيْد عن إسحاق بن عبد الله بن شُعَيْب قال :

أَمَر أبو العتاهية أنْ يُكْتَبَ على قَبْره :

أُذْنَ حَىٍّ تَسَمَّعِى * اِسْمَعِى ثُمَّ عِى وعِى

أنا رَهْنٌ بِمَضْجَعِى * فاحْذَرِى مِثْلَ مَصْرَعِى

عِشْتُ[1] تسعينَ حِجَّةً * أَسْلَمَتْنِى لمَضْجَعى

كَمْ تَرَى الحَىَّ ثابتًا * فى دِيَارِ التزعزُعِ

ليس زادٌ سوى التُّقَى * فَخُذِى منه أو دَعِى

رثاه ابنه بشعر

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثَمةَ قال :

لمّا مات أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبى العتاهية فقال :

(١) فى الديوان بدل هذا البيت والذى يليه بيت واحد، وهو :

عشت تسعين حجة * فى ديار التزعزع

يا أبى ضمّكَ الـثّرَى * وطوَى الموتُ أجمَعكْ

ليتَنِى يـومَ مُتَّ صِرْ * تُ إلى حُفْرةٍ معَـكْ

رحِـمَ اللهُ مَصْرَعَكْ * بَـرَّدَ اللهُ مَضْجَعكْ

انكرابنه أنه أوصى أن يكتب شعر على قبره

أخبرنى الحسن قال حدّثنى أحمد بن زهير قال :

قال محمد بن أبى العتاهية : لقيَنِى محمد بن أبى محمد اليَزِيدىّ[1] فقال : أنْشِدْنى ٥ الأبياتَ التى أَوْصَى أبوك أن تُكْتَب على قبْره ، فأنشأتُ أقول له :

كَذَبْتَ على أخٍ لك فى مَمَـاتهْ * وكَمْ كَذِبٍ فشَا لك فى حَياتهْ

وأَكْذَبُ ماتكونُ على صَدِيقٍ * كَذَبْتَ عليـه حيًّا فى مَمَـاتهْ

١٨٣/٣

فخَجِل وآنصرف . قال : والنّاس يقولون : إنّه أَوْصَى أنْ يُكْتَبَ على قبره شعرٌ له ، وكان آبنُه يُنْكِر ذلك . ١٠

وذكر هارون بن علىّ بن مَهْدِىّ عن عبد الرحمن بن الفضل أنّه قرأ الأبياتَ العينيّة التى أوّلها :

* أُذْنَ حَىٍّ تَسَمَّعِى *

على حَجَرٍ عند قبر أبى العتاهية .

ولم أذكُرْها هنا مع أخبار أبى العتاهية أخبارَه مع عُتبةَ، وهى من أعظم أخباره ؛ ١٥ لأنّها طويلة ، وفيها أغانٍ كثيرة ، وقد طالت أخباره هاهنا فأفردتُها .

---

(١) فى الأصول : « الزبدى » . والتصويب من كتاب الأنساب للسمعانى .

أخبار فريدة

أخبار فريدة الكبرى ونشأتها ومصيرها

قال مؤلف هذا الكتاب : هما اثنتان مُحسِنتان لهما صَنعةٌ تُسَمَّيان بفَرِيدة. فأمّا إحداهما، وهى الكبرى ، فكانت مُوَلَّدةً نشأتْ بالحجاز، ثم وقعتْ إلى آل الربيع، فعُلِّمَتِ الغناءَ فى دُورهم، ثم صارتْ إلى البرامكة . فلمّا قُتِل جعفر بن يحيى ونُكِبُوا هَرَبتْ، وطلبها الرشيد فلم يجدها، ثم صارت إلى الأمين، فلمّا قُتِل خرجتْ، فتزوّجها الهَيْثَم بن مُسْلِم[1] فولدتْ له ابنَه عبدَ الله، ثم مات عنها، فتزوّجها السِّنْدِىّ بن الحَرَشِىّ[2] وماتت عنده . ولها صنعةٌ جيِّدة، منها فى شعر الوليد بن يَزِيد :

بعض الشعر الذى لها فيه صنعة

صــــوت

وَيْحَ سَلْمَى لو تَرَانِى * لَعَنَاها ما عَنَانِى
واقفًا فى الدّار أبكى * عاشقًا حُورَ الغَوَانِى

ولحنُها فيه خفيفُ رَمَلٍ .

ومن صَنْعتها :

صــــوت

أَلاَ أيُّها الرَّكْبُ النِّيامُ أَلاَ هُبُّوا * نُسَائلكُمْ هل يقتُل الرَّجُلَ الحُبُّ[3]
أَلاَ رُبَّ رَكْبٍ قد وقفتُ مَطِيَّهُمْ * عليكِ ولولا أنتِ لم يَقِفِ الرَّكْبُ

لحنُها فيه ثانى ثقيل . وفيه لابن جامع خفيفُ رَمَلٍ بالسَّبّابة فى مجرى الوسطى .

---

(١) كذا فى ب ، س . وفى سائر النسخ : « سلم » . (٢) كذا فى الطبرى (ص ٦٨٠ و ٧٣٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ من القسم الثالث) وهو أحد رجالات الرشيد والمأمون . وفى الأصول : « الجرشى » بالجيم . (٣) الرواية المشهورة لهذين البيتين :

ألا أيها النــوام وَيْحكمْ هبّوا * نسائلكم هل يقتــل الرجل الحبُّ
ألا رب ركب قد دفعت وجيفهم * اليك ولولا أنت لم يوجف الركبُ

سأل صالح بن حسان الهيثم بن عدى عن بيت نصفه بدوى والآخر حضرى ثم ذكره

حدّثنى محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنا الخليل بن أَسَد قال حدّثنى العُمَرِىّ قال حدّثنى الهيثم بن عَدِىّ قال :

قال صالح بن حَسّان يوماً : ما نِصفُ بيتٍ كأنّه أعرابىّ فى شَمْلةٍ، والنصفُ الآخَرُ كأنّه مُخَنَّثٌ مُفكَّكٌ ؟ قلت : لا أدرى . فقال : قد أَجَّلْتُك حولاً . فقلت : لو أجّلتنى عشرةَ أحوالٍ ما عرفتُه . فقال : أَوَّهْ ! أُفٍّ لك ! قد كنتُ أحْسَبك أجودَ ذِهْناً ممـا أرى . فقلت : فمـا هو الآن ؟ قال : قولُ جميل :

* أَلَا أيّها الرَّكْبُ النِّيامُ أَلَا هُبُّوا *

هذا كلام أعرابىّ ، ثم قال :

* أُسائلكم هل يقتل الرَّجلَ الحبُّ *

كأنّه والله من مُخَنَّثِى العقيق .

أخبار فريدة وهى المحسنة دون فريدة الكبرى

وأمّا فريدةُ الأُخرى فهى الّتى أرى بل لا أَشُكُّ فى أنّ اللحن المختارَ لها ؛ لأنّ إسحاق آختار هذه المـائةَ الصوتِ للواثق، فاختار فيها لِمُتَيَّم لحناً، ولأبى دُلَف لحناً ، ولِسُلَيْم بن سَلّام لحناً ، ولِرِياضَ جاريةِ أبى حَمّـاد لحناً . وكانت فريدةُ أَثيرةً عند الواثق وحَظِيّةً لديه جدًّا ، فآختار لها هذا الصوت ، لمكانها من الواثق، ولأنّها ليستْ دون مَن آختار له من نُظَرائها .

قدمت هى وشارية فى الطيب وإحكام الغناء

١٨٤ / ٣

أخبرنى الصُّولىّ قال حدّثنـا الحسين بن يحيى عن رَيِّق : أنّها آجتمعت هى وخُشْف الواضحيّة يومًا ، فتذاكرتا أحسنَ ما سَمِعناه من المُغَنِّيات ؛ فقالت رَيِّق : شارِيةُ أحْسَنُهنّ غنـاءً ومُتَيَّمُ ، وقالت خُشْف : عَرِيبُ وفريدة ؛ ثم آجتمعتا على تَساوِيهنّ ، وتقديم متيّم فى الصّنعة ، وعَرِيبَ فى الغَزارة والكثرة ، وشاريةَ وفريدةَ فى الطِّيب و إحكام الغناء .

حدّثنى جَحْظةُ قال حدّثنى أبو عبد الله الهشامىّ قال :

أهداها ابن بانة للواثق

كانت فَريدةُ جارية الواثق لعَمْرو بن بانة ، وهو أهداها إلى الواثق ، وكانت من الموصوفات المُحسِنات ، ورُبِّيتْ عند عمرو بن بانة مع صاحبةٍ لها اسمُها «خِلّ» ، وكانت حسنةَ الوجه ، حسنةَ الغِناء ، حادّة الفِطْنة والفَهْم .

سألت ابن بانة عن صاحبة لها بالإشارة

٥ قال الهشامىّ فحدّثنى عمرو بن بانةَ قال : غنّيتُ الواثقَ :

قلتُ حِلًّا[1] فاقبَلى مَعذِرَتى ✱ ما كذا يَجزِى مُحِبٌّ مَن أحَبّ

فقال لى : تَقدّمْ إلى السِّتارة فألقه على فَريدةَ ، فألقيتُه عليها ؛ فقالت : هو حِلٌّ أو خِلٌّ[2] كيف هو ؟ فعلمتُ أنها سألتنى عن صاحبتها فى خَفاءٍ من الواثق .

تزوّجها المتوكل ثم ضربها حتى غنت

ولمّا تزوّجها المتوكل أرادها على الغناء ، فأبتْ أن تُغنّىَ وفاءً للواثق ، فأقام على ١٠ رأسها خادمًا وأمَره أن يضرب رأسها أبدًا أو تُغنّىَ ؛ فآندفعتْ وغنّتْ :

فَلا تَبْعَدْ[3] فكُلُّ فتًى سيأتى ✱ عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادِى

نقل ابن بسخنر قصة هامع الواثق وغيرته من جعفر المتوكل

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى علىّ بن يحيى المنجم قال حدّثنى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال :

كانت لى نَوْبةٌ فى خدمة الواثق فى كل جمعة ، إذا حضرتُ رَكِبتُ إلى الدار ؛ ١٥ فإنْ نَشِط إلى الشُّرْب أقمتُ عنده ، وإن لم يَنشَط آنصرفت . وكان رَسْمُنا ألّا يحضر أحدٌ منّا إلّا فى يوم نوبتـه . فإنّى لفى منزلى فى غير يوم نوبتى إذا رُسُل الخليفة قد هجموا علىّ وقالوا لى : آحضُرْ . فقلت : ألِخَيْرٍ ؟ قالوا : خير . فقلت : إنّ هذا يومٌ لم يُحضِرْنى فيه أمير المؤمنين قطُّ ، ولعلكم غلِطتم . فقالوا : الله المستعان ، لا تُطِلْ

(١) كذا فى ترجمة عمر بن أبى ربيعة الواردة فى هـذا الكتاب (ج ١ ص ١٣٤ من هذه الطبعة) . ٢٠ وفى الأصول هنا : «خلا» بالخاء المعجمة . (٢) فى الأصول : «خل» بالخاء المعجمة والياء فى آخره . (٣) لا تبعد : لا تهلك .

وبادِرْ، فقد أُمِرنا ألّا نَدَعَك تستقرّ على الأرض . فداخلنى فزع شديد، وخِفتُ أن يكون ساعٍ قد سعى بى، أو بَلِيّةٌ قد حدثتْ فى رأى الخليفة علىّ؛ فتقدّمتُ بما أردت وركبت حتى وافيتُ الدار ، فذهبت لأدخل على رَسْمى من حيث كنتُ أدخل ، فُنِعتُ، وأخذ بيدى الخَدَم فأدخلونى وعدَلوا بى إلى مَمَرّات[1] لا أعرِفها، فزاد ذلك فى جَزَعى وغَمّى. ثم لم يَزَلِ الخَدَم يُسْلِمونى من خدمٍ الى خَدَم حتى أُفضيتُ إلى دار مفروشة الصَّحْن، مُلْبَسة الحِيطان بالوَشْى المنسوجِ بالذهب، ثم أفضيتُ إلى رِواقٍ أرضُه وحيطانُه مُلْبَسَةٌ بمثل ذلك ، وإذا الواثق فى صَدْره على سَريرٍ مُرَصَّع بالجوهر وعليه ثيابٌ منسوجة بالذهب، وإلى جانبه فَريدةُ جاريتُه، عليها مثلُ ثيابه وفى حِجرها عُودٌ . فلمّا رآنى قال : جَوَّدْتَ[2] والله يا محمد إلينا . فقبّلت الأرضَ ثم قلت : يا أميرَ المؤمنين خيرًا! قال : خيرًا، أمَا ترانا[3] ! طلبتُ والله ثالثًا يُؤنسنا فلم أرَ أحقَّ بذلك منك، فبحياتى بادِرْ فكُلْ شيئًا وبادِرْ إلينا . فقلتُ : قد والله ياسيّدى أكلتُ وشَرِبْت أيضا . قال: فاجْلِسْ فجلستُ، وقال: هاتوا لمحمد رِطْلًا فى قَدَح، فأُحضِرْتُ ذلك، واندفعتْ فريدةُ تُغَنّى :

أُهابُك إجلالًا وما بك قدرةٌ * علىّ ولٰكنْ مِلْءُ عينٍ حَبيبُها
وما هَجَرَتْكِ النفسُ يا لَيْلَ أنّها * قَلَتْكِ ولا أنْ قَلَّ منكِ نَصيبُها[4]

فجاءت والله بالسِّحْر، وجعل الواثق يُجاذِبُها ، وفى خلال ذلك تُغَنّى الصوتَ بعد الصوت، وأُغَنّى أنا فى خلال غِنائها، فمرّ لنا أحسنُ ما مَرّ لأحد. فإنا لكذلك إذ رَفَع

(١) فى جميع الأصول: «مبرات» بالباء، وهو تحريف . (٢) جوّدت هنا : اسرعت . قال فى اللسان : «يقال : جوّد فى عدوه تجويدا» . (٣) فى ب، سـ : «خيرا ما ترى أنا طلبت...» .
(٤) ورد هذا البيت فى شرح ديوان حماسة أبى تمام (ص ٥٩٨ طبع أوربا) هكذا :

وما هجرتك النفس أنك عندها * قليل ولكن قل منـك نصيبها

رِجْلَه فضرب بها صَدْرَ فَريدةَ ضربة تدحرجت منها من أعلَى السرير إلى الأرض وتفتَّتَ عُودُها ومَرَّتْ تعدو وتَصيح، وبَقيتُ أنا كالمنتزوع الرُّوح، ولم أشُكَّ فى أنّ عينَه وقعتْ علىّ(١) وقد نظرتُ إليها ونظرتْ إلىّ؛ فأطرقَ ساعة إلى الأرض متحيرًا وأطرقتُ أتوقّع ضرب العُنُق. فإنّى لكذلك إذ قال لى: يا محمد، فوثبتُ. فقال:

٥ وَيْحَك! أرأيتَ أغربَ مما تَهيَّأ علينا! فقلتُ: ياسيّدى، الساعةَ والله تخرج رُوحى، فعلَى منَ أصابنا بالعين لعنةُ الله! فما كان السبب؟ ألِذَنْبٍ؟ قال: لا والله! ولكن فكّرت أنّ جعفرًا يقعُد هذا المقعَد ويقعُد معها كما هى قاعدة معى، فلم أطِق الصبرَ وخامرنى ما أخرجنى إلى ما رأيتَ. فسُرِّىَ عنّى وقلت: بل يقتُل الله جعفرا، ويحيا أمير المؤمنين أبدًا، وقبّلت الأرض وقلت: ياسيّدى اللهَ اللهَ! ارْحَمْها ومُرْ بردّها.

١٠ فقال لبعض الخَدَم الوقوف: منْ يجىء بها؟ فلم يكن بأسرعَ من أن خرجت وفى يدها عُودُها وعليها غيرُ الثياب التى كانت عليها. فلما رآها جذبها وعانقها، فبكتْ وجعل هو يبكى، واندفعتُ أنا فى البكاء. فقالت: ما ذَنْبى يا مولاى ويا سيّدى؟ وبأىّ شىء استوجبتُ هذا؟ فأعاد عليها ماقاله لى وهو يبكى وهى تبكى. فقالت: سألتُك بالله يا أمير المؤمنين إلّا ضربتَ عُنقى الساعةَ وأرَحْتَنى من الفكر فى هذا، وأرحتَ قلبك

١٥ من الهمّ بى، وجعلت تبكى ويبكى، ثم مسحا أعينَهما ورجعتْ إلى مكانها؛ وأومأ إلى خَدم وُقُوف بشىء لا أعرِفه، فمضوا وأحضروا أكياسًا فيها عَيْنٌ(٢) ووَرِقٌ، ورزَمًا فيها ثياب كثيرة، وجاء خادمٌ بدُرْجٍ ففتحه وأخرج منه عِقْدًا ما رأيتُ قطُّ مثلَ جوهرٍ كان فيه، فألبسَها إيّاه، وأُحْضِرت بَدْرة فيها عشرةُ آلاف درهم فجُعِلَتْ بين يدى وخمسةُ تُخُوتٍ فيها ثياب، وعُدْنا إلى أمرنا وإلى أحسنِ مما كنّا؛ فلم نَزَلْ كذلك

---

٢٠ (١) فى الأصول: «وقعت الىّ»، على أنه يجوز أن يكون التحريف فى العمل وأن أصله: «رفعت الىّ».

(٢) العين: الذهب المضروب وهو الدنانير. والورق: الدراهم المضروبة من الفضة.

قصتها مع المتوكل بعد الواثق

إلى الليل، ثم تفرّقنا . وضَرب الدهر ضَرْبَهُ(١) وتقلّد المتوكل . فوالله إنى لفى منزلى بعد يومِ نَوْبَتى إذ هَجَم علىّ رُسُلُ الخليفة ، فما أمهلونى حتى رَكِبْتُ وصِرْتُ إلى الدّار، فأُدخلْتُ والله الحجرةَ بعينها ، وإذا المتوكّل فى الموضع الذى كان فيه الواثقُ على السرير بعينه وإلى جانبه فَريدةُ . فلمّا رآنى قال : وَيحَك ! أمَا ترى ما أنا فيه من هذه ! أنا منذ غُدْوةٍ أطالبها بأنْ تُغَنِّينى فتأبَى ذلك ! فقلت لها : يا سبحانَ الله ! أتُخالفين سيِّدك وسيِّدنا وسيد البشر ! بحياته غَنِّى ! فعرفتْ والله ثم آندفعتْ تُغَنِّى :

مُقيمٌ بالمَجَازة(٢) من قَنَونَى(٣) * وأهلُك بالأُجَيْفِرِ(٤) فالثِّمادِ(٥)

فلا تَبْعَدْ فكلُّ فَتًى سيأتى * عليه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادى

ثم ضربتْ بالعود الأرضَ، ثم رمتْ بنفسها عن السرير ومرّت تعدو وهى تصيح واسيِّداه ! فقال لى: ويحك ! ما هذا؟ فقلتُ : لا أدرى والله ياسيِّدى. فقال : فما ترى ؟ فقلت : أرى أن أنصرف أنا وتحضُرَ هذه ومعها غيرُها ؛ فإنّ الأمر يؤول إلى ما يُريد أمير المؤمنين . قال : فآنصرِفْ فى حِفْظ الله ! فانصرفتُ ولم أدرِ ما كانت القصة .

١٨٦ / ٣

مدح محمد بن عبد الملك غناءها

أخبرنى جعفر بن قدامةَ قال حدّثنى محمد بن عبد الملك قال :

سمعتُ فريدة تغنِّى :

أخِلّاىَ بى شَجْوٌ وليس بكم شَجْوُ * وكلُّ آمرئٍ ممّا بصاحبه خِلْوُ

أذابَ الهوى لحمى وجسمى ومَفصِلى * فلم يبقَ إلّا الرُّوحُ والجَسَدُ النِّضْوُ

فما سمعتُ قبلَه ولا بعده غناءً أحسنَ منه .

(١) يقال : ضرب الدهر ضربانه ومن ضربانه ، وضرب الدهر ضربه ومن ضربه أى مرّ من مروره وذهب بعضه . (٢) المجازة : منزل من منازل طريق مكة بين ماوية و ينسوعة . (٣) قنونى : واد من أودية السراة يصب إلى البحر فى أوائل أرض اليمن من جهة مكة . (٤) الأجيفر : موضع فى أسفل السبعان من بلاد قيس . وقال الأصمعىّ : هو لبنى أسد . (٥) الثماد : موضع فى ديار بنى تميم قرب المروت .

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ثقيلٌ أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي ، وله أيضا فيه خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة والبنصر عن ابن المكي . وفيه لعمرو بن بانة رملٌ بالوسطى من مجموع أغانيه . وفيه لعريب خفيفُ ثقيلٍ آخرُ صحيحٌ في غنائها من جمع ابنِ المعتز وعليّ بن يحيى . وتمام هذه الأبيات :

٥ وما مِنْ مُحِبٍّ نال ممن يُحِبُّهُ * هوًى صادقًا إلا سَيَدْخُلُه زَهْوُ

— وفيها كلُّها غناء مُفْتَرِقُ الألحان في أبياته[(١)] —

بُلِيتُ وكان المَزْحُ بدءَ بلِيّتي * فأحببتُ جهلًا والبلايا لها بَدْوُ

وعُلِّقْتُ مَنْ يَزْهو عليَّ تجبُّراً * وإنّي في كلّ الخصال له كُفْوُ

صوت

١٠ من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه :

باتت همومي تَسْرِي طوارقها * أكُفُّ عيني والدمعُ سابِقُها

لمّا أتاها مِنَ اليقين ولم * تَكُنْ تراه يُلِمُّ طارقُها

الشعر لأُميّة بن أبي الصَّلْت ، والغناءُ للهُذَلي خفيفُ ثَقِيلٍ أوّل بالوسطى . وفيه لابن مُحْرِز لحنان : هَزَجٌ وثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشامي وحبش . وذكر

١٥ يونس : أنّ فيه لابن مُحْرِز لحنًا واحدا مجنّسا .

---

(١) وردت هذه الجملة في الأصول هكذا : « وفيها كلها غناء مفترق في أبياته الألحان » . وكان ينبغي أن تكون هذه الجملة عقب الأبيات .

ذكر أميّة بن أبى الصَّلت ونسبه وخبره

نسبه من قبل أبويه

وٱسمُ أبى الصَّلت عبدُالله بن أبى ربيعة بن عَوْف بن عُقْدةَ بن عَنَزة[1] بن قَسِىّ، وهو ثَقِيف بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوَازِن. هكذا يقول مَنْ نَسَبهم إلى قَيْس[2]، وقد شُرِح ذلك فى خبر طُرَيْح[3]. وأمّ أميّة بن أبى الصلت رُقَيّةُ بنت عبد شمس بن عبد مَنَاف.

وكان أبو الصلت شاعرًا، وهو الذى يقول فى مدح سيف بن ذى يَزَن:

لِيَطْلُبِ الثأرَ أمثالُ ٱبنِ ذى يَزَنٍ * إذ صارَ فى البَحْرِ للأعداء أحْوَالا[4]

وقد كُتِب خبر ذلك فى موضعه.

أولاد أمية

وكان له أربعة بنين: عمرٌو وربيعة ووَهْبٌ والقاسم. وكان القاسم شاعرًا، وهو الذى يقول — أنشدَنيه الأخْفَش وغيرُه عن ثعلب، وذكر الزُّبير أنها لأميّة —:

١٨٧/٣

صـــوت

قومٌ إذا نَزَل الغـــريبُ بدارِهمْ * رَدُّوه ربَّ صَواهِـــلٍ وقِيَـانِ

لا يَنْكُتون الأرضَ عند سُؤالهمْ * لِتَلَمُّسِ العِـــلّاتِ بالعِيـــدانِ

يمدَح عبدَ الله بن جُدْعان بها، وأوّلها:

قومى ثَقِيفُ إنْ سألتَ وأُسْرتى * وبهم أُدافـع رُكْنَ مَنْ عادانى

غنّاه الغَرِيض، ولحنه ثقيـلٌ أوّلُ بالبِنْصَر. ولابن مُحْرِز فيه خفيفُ ثقيلٍ أوّلُ بالوسطى، عن الهشامىّ جميعا.

---

(١) فى كتاب الشعر والشعراء: «غيرة». وغيرة (وزان عنبة): اسم قبيلة أيضا. (٢) يريد قيس عيلان وهو الجد الأعلى لهوازن؛ لأن هوازن هو ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان.

(٣) ستأتى أخبار طريح فى هذا الجزء (ص ٣٠٢). (٤) فى الشعر والشعراء:

لن يطلب الوتر أمثال ابن ذى يزن * لجج فى البحر للأعداء أحوالا

وفى شعراء النصرانية: * فى البحر خيّم للأعداء أحوالا *

وفى سيرة ابن هشام: * فى البحر ريّم للأعداء أحوالا *

(٥) فى الشعر والشعراء: «الحريب» بالحاء المهملة، وهو الذى سلب ماله.

وكان ربيعة ٱبنُه شاعرا، وهو الذي يقول:

وإنْ يَكُ حيًّا من إيادٍ فإنّنا * وقيْسًا سَواءٌ ما بَقِينا وما بَقُوا[1]

ونحن خيارُ النّاسِ طُرًّا بِطانةً * لِقَيْسٍ وهُمْ خيرٌ لنا إنْ هُمُ بَقُوا[2]

كان يستعمل في شعره كلمات غريبة

أخبرني إبراهيم بن أيُّوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم قال:

٥ كان أُمَيّة بن أبي الصَّلْتِ قد قرأ كتاب الله عزّ وجلّ الأوّل، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تَعْرِفها العرب؛ فمنها قولُه:

* قَمَرٌ وساهورٌ يُسَلُّ ويُغْمَدُ[3] *

وكان يسمّي اللهَ عزّ وجلّ في شعره السَّلْطِيطَ، فقال:

* والسَّلْطِيطُ فوق الأرض مُقْتَدِرُ[4] *

١٠ وسمّاه في موضع آخَرَ التغرور فقال: «وأيّده التغرور»[5]. وقال ٱبن قُتَيْبَةَ: وعلماؤنا لا يحتجّون بشيءٍ من شعره لهذه العِلّة.

هو أشعر ثقيف بل أشعر الناس

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّةَ قال:

(١) كذا في الأصول. (٢) كذا في الأصول. وفيه الإيطاء، وهو تكرار القافية لفظا ومعنى، وهو عيب. (٣) هذا عجز بيت وصدره:

١٥ * لا نقص فيه غير أن خبيئه *

والساهور فيما يذكر أهل الكتاب: غلاف القمر يدخل فيه اذا كسف. (٤) هكذا في الأصول. وهذه الصيغة لا يتزن بها الشطر. وقد ورد البيت كاملا في اللسان (مادة سلط) هكذا:

إنّ الأنام رعايا الله كلهم * هو السَّلِيطَطُ فوق الأرض مستطر

قال ابن جني: هو القاهر، من السَّلاطة. قال: ويروى السُّلَيطَط (بكسر السين) وكلاهما شاذ.

٢٠ قال صاحب التهذيب: سليطط جاء في شعر أمية بمعنى المسلط، قال: ولا أدرى ما حقيقته. وورد في الشعر والشعراء: «السلطليط». وفي القاموس: «والسلطيط» بالكسر: المسلط، ثم قال شارحه: «هكذا في سائر أصول القاموس، والصواب السَّلطيط كما في العباب، وقد وجد هكذا أيضا في بعض النسخ على الهامش، وهو صحيح. ويروى السليطط بفتح السين وبكسرها... وبكل هذا يروى شعر أمية... الخ».

(٥) عبارة ابن قتيبة في الشعر والشعراء: «وأبدت التغرورا»، يريد الثغر. وهذه أشياء منكرة،

٢٥ وعلماؤنا لا يرون شعره حجة في اللغة».

قال أبو عُبَيدة : اتّفقت العرب على أنّ أشعرَ أهل المُدُن أهلُ يَثْرِب ثم عبدُ القيس ثم ثَقيف ، وأنّ أشعرَ ثَقيف أُمَيّة بن أبى الصَّلْت .

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال :

قال يحيى بن محمد : قال الكُمَيْتُ : أُمَيّة أشعرُ النـاس ، قال كما قُلْنا ولم تَقُـلْ كما قال .

تعبد والتمس الدين وطمع فى النبوّة

قال الزُّبَيْر وحدّثنى عَمّى مُصْعَب عن مُصْعَب بن عثمان قال .

كان أُمَيّة بن أبى الصلت قد نَظَر فى الكُتُب وقرأها ، ولَبِس المُسُوحَ تَعَبُّدًا ، وكان ممن ذَكَرَ إبراهيمَ و إسماعيل والحَنيفيّة ، وحرّم الخمرَ وشكَّ فى الأوثان ، وكان مُحَقِّقا[1] ، والتمس الدِّين وطَمِع فى النبوّة ؛ لأنه قرأ فى الكُتب أنّ نبيًّا يُبْعَثُ من العرب ، فكان يرجو أن يكونَه[2] . قال : فلمّـا بُعِث النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم قيل له : هـذا الذى كُنْتَ تَسْـتَرِيثُ[3] وتقول فيـه ؛ فحَسَده عدوُّ الله وقال : إنّمـا كنتُ أرجو أنْ أكونَه ؛ فأنزل الله فيه عزّ وجلّ : ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا﴾ . قال : وهو الذى يقول :

كُلُّ دِينٍ يومَ القيامةِ عند اللّهِ إلّا دِينَ الحَنِيفـةِ زُورُ

كان يحرض قريشا بعد بدر

قال الزُّبير وحدّثنى يحيى بن محمد قال : كان أُمَيّة يُحَرِّض قريشًا بعد وَقْعة بَدْر، وكان يَرْثِى مَنْ قُتِل من قريش فى وَقْعة بدر؛ فمن ذلك قولُه :

ماذا بِبَـــدْرٍ والعَقَنْـ * ـقَلِ مِنْ مَرَازِبةٍ جَحاجِحْ[4]

(١) فى ح : « وصام محققا » . (٢) فى جميع الأصول : « أن يكون هو » .
(٣) تستريث : تستبطئ . (٤) العقنقل : كثيب رمل ببدر . ومرازبة : جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع المقدّم على القوم دون الملك ، وهو معرّب وأصله فارسى . وجحاجح : جمع جَحْجَح ، وهو السيد المسارع فى المكارم .

وقال : وهى قصيدةٌ نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن روايتها . ويقال: إنّ أُميّـة قَدِم على أهل مكّة « باسمك اللّهـمّ » ؛ فجعلوها فى أوّل كُتبهـم مكان (بسم الله الرحمن الرحيم) .

أسف الحجاج على ضياع شعره ١٨٨ / ٣

قال الزُّبير وحدّثنى علىّ بن محمد المدائنىّ قال :

قال الحجّاج على المنبر : ذهب قومٌ يعـرفون شعر أُميّة ، وكذلك آندراسُ الكلام . ٥

كان يتحسس أخبار نبىّ العرب فلما أخبر ببعثته تكدر

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير عن عُمَر بن أبى بكر المُؤَمّلى[1] وغيره قال :

كان أُميّـة بن أبى الصلت يلتمس الدِّين ويطمع فى النبوّة ، فخرج الى الشأم فمرّ بكنيسة ، وكان معه جماعةٌ من العرب وقريش، فقال أُميّة : إنّ لى حاجةً فى هذه الكنيسة فانتظرونى ، فدخل الكنيسةَ وأبطأ ، ثم خرج إليهم كاسفاً متغيّر اللّون ، فرمى بنفسه ، وأقاموا حتى سُرّى عنه ، ثم مَضَوْا فقَضَوْا حوائجهم ثم رجعوا . فلمّا ١٠ صاروا إلى الكنيسة قال لهم: آنتظرونى، ودخل إلى الكنيسة فأبطأ، ثم خرج إليهم أسوأ من حاله الأولى ؛ فقال أبو سُـفْيان بن حَرْب : قـد شَقَقْتَ على رُفَقائك . فقال: خَلّونى؛ فإنّى أرتاد على نفسى لمَعادى[2]، إنّ هاهنا راهباً عالمـاً أخبرنى أنه تكون بعد عيسى عليه السلامُ سِتُّ رَجَعاتٍ، وقد مضتْ منها خمسٌ وبَقِيتْ واحدةٌ، وأنا أطمَع فى النبوّة وأخاف أن تُخْطِئنى ، فأصابنى ما رأيتَ . فلمّـا رجعتُ ثانيةً أتيتُه ١٥ فقال : قد كانت الرجعة ، وقد بُعث نبىٌّ من العرب؛ فيئستُ من النبوّة ، فأصابنى ما رأيتَ؛ إذ فاتنى ما كنتُ أطمع فيه .

---

(١) كذا ورد هذا الاسم هنا فى أكثر الأصول، وهو الموافق لمـا فى الطبرى (ص ١١١٦ قسم أوّل طبعة أوربا) وأشير بهامشه الى أن فى بعض النسخ : « الموصلى » . وفى م ، ء هنا وفى جميع الأصول فيما يأتى (ص ١٢٥) : « عمرو بن أبى بكر الموصلى » . ٢٠

(٢) فى حـ : « لنفسى لمعادى » .

أخبره شيخ راهب أن ليست فيه أوصاف النبي

قال : وقال الزُّهْرِىّ : خرج أميّة فى سفر فنزلوا منزلًا ، فأمّ أميّة وجها وصعِد فى كَثِيب ، فرُفعتْ له كنيسةٌ فانتهى إليها ، فإذا شيخٌ جالسٌ ، فقال لأميّة حين رآه : إنّك لَمتبوع ، فمِنْ أين يأتيك رئيُّك(١)؟ قال : من شِقّى الأيسر . قال : فأىُّ الثياب أَحبُّ(٢) إليك أن يلقاك فيها؟ قال : السواد . قال : كِدْتَ تكون نبيَّ العرب ولستَ به ، هذا خاطرٌ من الجنّ وليس بمَلَك ، وإنّ نبيَّ العرب صاحبَ هذا الأمر يأتيه من شِقّه الأيمن ، وأَحبّ الثياب اليه أن يلقاه فيها البياضُ .

حديثه مع أبى بكر

قال الزُّهْرِىّ : وأتى أُميّةُ أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، عَمِىَ الخبر ، فهل أحسستَ شيئا ؟ قال : لا والله ! قال : قد وجدتُه يخرُج العامَ .

سأل أباسفيان عن عتبة بن ربيعة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال :

سمعتُ خالد بن يزيد يقول : إنّ أُميّة وأبا سُفْيان اصطحبا فى تجارة إلى الشأم ، ثم ذكر نحوه ، وزاد فيه : فخرج من عند الراهب وهو ثقيل . فقال له أبو سفيان : إنّ بك لَشَرا ، فما قِصّتُك ؟ قال : خيرٌ ، أخبِرْنى عن عُتْبة بن رَبيعةَ كَمْ سِنُّه؟ فذكر سِنًّا . وقال : أَخبِرْنى عن ماله فذَكَر مالاً . فقال له : وضعتَه . فقال أبو سفيان : بل رفعتَه . فقال له : إنّ صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذى مالٍ . قال : وكان الراهبُ أَشْيَبَ ، وأخبره أنّ الأمر لرجلٍ من قريش .

زعم أنه فهم ثغا شاة

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنى الزُّبير قال حُدِّثْتُ عن عبد الرحمن بن أبى حَمّاد المِنْقَرِىّ قال :

كان أُميّة جالساً معه قوم ، فمرّتْ بهم غنمٌ فثغَتْ(٣) منها شاة ، فقال للقوم : هل تدرُون ما قالتِ الشاة ؟ قالوا لا . قال : إنّها قالت لِسَخْلتها : مُرِّى لايجىء الذئب

(١) رئىّ (بفتح الراء وقد تكسر) : جنىّ كانت العرب تزعم أنه يرى صاحبه كهانة وطبا ويلقى على لسانه شعرا .
(٢) لعله : «أحب اليه» . وانظر الخبر فى ص ١٢٦ (٣) ثغت الشاة : صاحت وصوّتت .

فيأكلك كما أكل أختك عامَ أوّلَ في هذا الموضع. فقام بعض القوم إلى الراعي فقال له: أخبِرْني عن هذه الشاة التي تَغثَتْ ألها سَخْلةٌ؟ فقال: نعم، هذه سخلتها. قال: أكانت لها عامَ أوّلَ سخلةٌ؟ قال: نعم، وأكلها الذئب في هذا الموضع.

قال الأصمعي: كل شعره في بحث الآخرة

قال الزُّبَير وحدّثني يحيى بن محمد عن الأصمعيّ قال: ذهب أُمَيّة في شعره بعامّة ذِكْرِ الآخرة، وذهب عَنْتَرَةُ بعامّة ذكر الحَرْب، وذهب عُمَر بن أبي ربيعة بعامّة ذكر الشباب.

جاءه طائران وهو نائم فشق أحدهما عن قلبه

قال الزبَيْر حدّثني عمرَ بن أبي بكر المؤمّلي[1] قال حدّثني رجلٌ من أهل الكوفة قال:

١٨٩ / ٣

كان أميّة نائمًا فجاء طائران فوقع أحدُهما على باب البيت، ودخل الآخر فشقّ عن قلبه ثم ردّه الطائر، فقال له الطائر الآخر: أَوَعَى؟ قال نعم. قال: زَكَا؟ قال: أَبَى.[2]

خرج مع ركب إلى الشام فعرضت لهم جنية فاسترشد راهبا للوقاية منها

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابيّ عن ابن دَأْب قال:

خرج رَكْبٌ من ثَقِيف إلى الشام، وفيهم أميّة بن أبي الصَّلْت، فلمّا قفَلوا راجعين نزلوا منزلًا لِيَتعشَّوْا بعَشاء، إذ أقبلتْ عَظَايةٌ[3] حتى دَنَتْ منهم، فحَصَبها بعضُهم بشيء في وجهها فرجعتْ، وكَفَتُوا[4] سُفْرتَهم ثم قاموا يرحلون مُمْسِين، فطلعتْ عليهم

(١) في الأصول: «عمرو بن أبي بكر الموصلي». وانظر الحاشية رقم ١ في الصفحة ١٢٣

(٢) ورد هذا الخبر في طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (ص ٦٧ طبع أوربا) مع زيادة في العبارة واختلاف في بعض الكلمات. وسيعيده المؤلف بتفصيل أوفى في ص ١٢٧ (٣) العظاية: دويبة ملساء تشبه سام أبرص وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل، وهي أنواع كثيرة وكلها منقطة بالسواد، ومن طبعها أنها تمشي مشيا سريعا ثم تقف. (٤) كذا في أ، ء، م. وكفت الشيء: ضم بعضه إلى بعض. وفي سائر الأصول: «ركفوا». والسفرة: ما يبسط تحت الخوان من جلد أو غيره.

عجوزٌ من وراء كَثِيب مُقَابِلٍ لهم تتوكّأ على عصًا ، فقالت : ما منعكم أن تُطعِموا رَجِيمةَ[1] الجارية اليتيمة التى جاءتكم عَشِيّةً؟ قالوا : ومَنْ أنت؟ قالت : أنا أُمّ العَوّام، إمْتُ[2] منذ أعوام ، أمَا وربِّ العباد، لَتفْتَرِقُنّ فى البلاد، وضربتْ بعصاها الأرض ثم قالت : بَطّئى إيابَهم، ونَفّرى رِكابَهم؛ فوثبت الإبلُ كأنّ على ذِرْوَة كل بعير منها شيطانًا ما يُمْلَكُ منها شيءٌ، حتى آفترقتْ فى الوادى . فجمعناها فى آخر النهار من الغد ولم نَكَدْ[3] . فلمّا أنخناها لِنَرْحَلَها طلعتْ علينا العجوزُ فضربتِ الأرضَ بعصاها ثم قالت كقولها الأوّل؛ ففعلت الإبل كفعلها بالأمس ، فلم نجمعها إلا الغَدَ[4] عَشِيّةً . فلمّا أنخناها لِنَرْحَلَها أقبلتِ العجوزُ ففعلتْ كفعلها فى اليومين ونفرت الإبلُ . فقُلْنا لأُميّة : أين ما كنت تُخبرنا به عن نفسك ؟ فقال : اذهَبُوا أنتم فى طلب الإبل ودَعُونى . فتوجّه إلى ذلك الكثيب الذى كانت العجوز تأتى منه حتى علاه وهَبَط منه إلى وادٍ، فإذا فيه كنيسةٌ وقناديل ، وإذا رجلٌ مضطجع معترض على بابها، وإذا رجلٌ أبيض الرأس واللّحية؛ فلمّا رأى أُميّة قال : إنّك لمتبوع، فمن أين يأتيك صاحبُك؟ قال : من أُذنى اليسرى . قال فبأىّ الثياب يأمرك ؟ قال : بالسواد. قال : هذا خطيب الجنّ ، كِدتَ والله أن تكونَه ولم تفعل ؛ إنّ صاحب النبوّة يأتيه صاحبه من قِبَل أُذنه اليمنى ، ويأمره بلباس البياض ؛ فما حاجتك؟ فحدّثه حديثَ العجوز؛ فقال : صدقتْ ، وليست بصادقة ! هى آمرأةٌ يهودية من الجنّ هَلَك زوجُها منذ أعوام ، وإنّها لن تزال تصنَع ذلك بكم حتى تُهْلِكَكم إن آستطاعت . فقال أُميّة : وما الحيلة؟ فقال : جَمّعوا ظَهْرَكم[5] ، فإذا جاءتكم ففعلتْ كما كانت تفعل فقولوا لها : سَبْعٌ من فوقُ وسبعٌ من

(١) فى حـ : « رحيمة » بالحاء المهملة . (٢) آمت المرأة (من باب ضرب) : فقدت زوجها . (٣) فى الأصول : « نكد » بالتاء المثناة من فوق . (٤) فى الأصول : « إلى الغد » . (٥) الظهر : الركاب التى تحمل عليها الأثقال فى السفر، لحملها إياها على ظهورها .

أسفل ، بٱسمك اللّهُمّ ، فلن تَضُرّكم . فرجع أميّة إليهم وقد جمعوا الظَّهْر . فلمّا أقبلتْ قال لها ما أمره به الشيخ ، فلم تَضُرّهم . فلمّا رأت الإبلَ لم تتحرّك قالت : قد عرفتُ صاحبَكم ، ولَيَبْيَضّنّ أعلاه ، ولَيَسْوَدّنّ أسفلُه ؛ فأصبح أميّة وقد بَرِص في عِذَارَيْه وٱسوَدّ أسفلُه . فلمّا قَدِموا مكّةَ ذكروا لهم هذا الحديثَ ؛ فكان ذلك أوّلَ ما كَتَب أهلُ مكّة "بٱسمِك اللّهم" في كُتبهم .

خبر الطائرين اللذين شق أحدهما صدره ومحاورتهما

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد ابن يحيى قال حدّثنا عبد العزيز بن عِمْران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن مسعود عن الزُّهْرِيّ قال :

دخل يومًا أُميّة بن أبي الصّلت على أخته وهي تَهيء[1] أَدَمًا لها ، فأدركه النومُ فنام على سرير في ناحية البيت . قال[2] : فٱنشقّ جانبٌ من السقف في البيت ، وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخَرُ مكانَه ، فشقّ الواقعُ صدرَه فأخرج قلبَه فشَقّه ؛ فقال الطائرُ الواقفُ للطائر الذي على صدره : أَوَعى ؟ قال : وَعَى . قال : أقَبِلَ ؟ قال : أَبَى . قال : فردّ قلبه في موضعه فنَهَض ؛ فأتبعهما أُميّة طَرْفَه فقال :

لَبّيْكُما لبيكما * هأنذا لَدَيْكُما

لا بَرِيءٌ فأَعتَذِر ، ولا ذو عَشِيرةٍ فأَنْتَصِر . فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه ، ثم أخرج قلبه فشقّه ؛ فقال الطائر الأعلى : أَوَعَى ؟ قال : وَعَى . قال : أقَبِلَ ؟ قال : أبَى ، ونَهَض ؛ فأتبعهما بَصَره وقال :

لَبّيْكُما لبيكما * هأنذا لديكما

---

(١) في حـ : « تهنأ » . وفي اللسان (مادة خلق) : «وقالت فدخل عليّ وأنا أخلق أديمالى» . والخلق : التقدير ؛ يقال : خلق الأديم يخلقه خلقا ، إذا قدره قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة أو قربة أو خفا . (٢) كذا في ب ، س ، حـ . وفي سائر الأصول : «فقالت» أي أخته .

لا مالٌ يُغْنِينِي، ولا عشيرةٌ تَحْمِينى . فرجع الطائر فوقع على صـدره فشقّه ، ثم أخرج قلبه فشقّه، فقال الطائر الأعلى : أَوَعَى؟ قال : وَعَى . قال : أَقَبِل؟ قال : أَبى. ونَهَض، فأتبعهما بصره وقال :

لبّيكما لبيكما * هأنذا لديكما

محفوفٌ بالنِّعم ، محوطٌ من الريب . قال : فرجع الطائر فوقع على صـدره فشقّه وأخرج قلبه فشقّه، فقال الأعلى : أَوَعَى؟ فقال : وَعَى. قال : أَقَبِل؟ قال : أبى. قال : ونَهَض، فأتبعهما بصرَه وقال : ٥

لَبَّيْكُما لبيكما * هأنذا لديكما

إنْ تَغْفِرِ اللّهمّ تَغْفِرْ جَمّاً * وأىُّ عبدٍ لك لا أَلَمَّا(١)

قالت أخته : ثم ٱنطبق السَّقْفُ وجلس أُمَيَّةُ يمسح صدرَه . فقلت : يا أخى، هل تجد شيئا؟ قال : لا ، ولكنِّى أجد حرّاً فى صَدْرِى . ثم أنشأ يقول : ١٠

ليتنى كنتُ قبـل ما قـد بدالى * فى قِنَانِ(٢) الجبـالِ أَرْعَى الوُعولاَ

اجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عينِك وٱحْذَر * غَـوْلَةَ الدَّهْرِ إنّ للدّهر غُـولاَ

تصديق النبيّ له فى شعره

حدّثنى محمد بن جرير الطبرىّ قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنى سَلَمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عُتْبة عن عِكْرِمة عن ابن عبّاس : ١٥

أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صَدّق أُمَيَّةَ فى قوله :

رَجُلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يَمِينِـه * والنَّسْرُ للأُخرى وليثٌ مُرْصَـدُ(٣)

---

(١) ألم : باشر اللمم أى صغار الذنوب . (٢) القنان : أعالى الجبال ، واحدها قنّة .

(٣) قال الجاحظ فى كتاب الحيوان (ج ٦ ص ٦٨) طبع مصر : «وقد جاء فى الخبر أن من الملائكة من هو فى صورة الرجال ، ومنهم من هو فى صورة الثيران ، ومنهـم من هو فى صورة النسور، و يدل على ذلك تصديق النبىّ صلى الله عليه وسلم لأمية بن أبى الصلت ... » وأورد هذا البيت . ٢٠

فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . «صَدَقَ»[1] .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني حمّاد بن عبد الرحمن بن الفضل الحَرّانيّ قال حدّثنا أبو يوسف — وليس بالقاضي — عن الزُّهريّ عن عُروةَ عن عائشة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بمثل هذا .

أنشد النبيّ بعض شعره فقال : «إن كاد أمية ليسلم »

٥ أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا جعفر بن الحسين المُهَلَّبيّ قال حدّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عِكْرِمة قال : أُنْشِدَ[2] النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم قولَ أُميّةَ :

الحمدُ لله مُمْسانا ومُصْبَحَنا * بالخير صَبَّحَنا ربِّي ومَسّانا

رَبُّ الحنيفة لم تَنْفَدْ خزائنُها * مملوءةً طَبَّقَ الآفاقَ سُلْطانا

١٠ ألَا نَبِيٌّ لنا مِنّا فيُخبِرَنا * ما بعدَ غايتِنا من رأس مَحْيانا

بينا يُرَبِّينا آباؤنا هلَكُوا * وبينا نَقْتَني الأولادَ أفنانا

وقد عَلِمْنا لَوَ اَنَّ العلمَ ينفعنا * أنْ سوف يَلْحَقُ أُخرانا بأُولانا

فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : "إنْ كاد أُميّةُ لَيُسلِمُ" .

شعره في عتاب ابنه وتوبيخه ١٩١/٣

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن

١٥ مُعاوية قال حدّثنا عبد الله بن أبي بكر، وحدّثنا خالدُ بن عُمارةَ :

---

(١) هذه الكلمة تتطلب أن يكون الكلام قبلها هكذا : وأُنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قول أمية كذا فقال صلى الله عليه وسلم : « صدق » .

(٢) في حـ : « استنشدني » . و ب : « أنشدني » .

أن أمية عتب على ابن له فأنشأ يقول :

غذوتك مولوداً ومنتك[1] يافعاً * تعلّ بما أجنى[2] عليك وتنهل

إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت * لشكواك إلا ساهراً أتململ

كأنى أنا المطروق دونك بالذى * طرقت به دونى فعينى تهمل

تخاف الردى نفسى عليك وإننى * لأعلم أن الموت حتم مؤجل

فلما بلغت السن والغاية التى * إليها مدى ما كنت فيك أؤمل

جعلت جزائى غلظة وفظاظة * كأنك أنت المنعم المتفضل

محاورة بين أبى بكر الهذلى وعكرمة فى شعره

قال الزبير قال أبو عمرو الشيبانى قال أبو بكر الهذلى قال[4] : قلت لعكرمة : رأيت من يبلغنا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لأمية : "آمن شعره وكفر قلبه" ؛ فقال : هو حق . وما الذى أنكرتم من ذلك ؟ فقلت له : أنكرنا قوله :

والشمس تطلع كل آخر ليلة * حمراء مطلع لونها متورد

تأبى فلا تبدو لنا فى رسلها[5] * إلا معذبة وإلا تجلد

فما شأن الشمس تجلد ؟ قال : والذى نفسى بيده ما طلعت قط حتى ينخسها سبعون ألف ملك يقولون لها : اطلعى ، فتقول : أأطلع على قوم يعبدوننى من دون الله ! قال : فيأتيها شيطان حين[6] تستقبل الضياء يريد أن يصدها عن الطلوع فتطلع على قرنيه ، فيحرقه الله تحتها . وما غربت قط إلا خرت لله ساجدة ، فيأتيها شيطان

(١) فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى (ص ٣٥٤ طبع أوربا) : «وعلتك» . (٢) أجنى عليك : أكسب . ويجوز أن يكون من جنيت الثمرة جنى وجناية . (عن شرح الحماسة للتبريزى) . وفيه رواية أخرى : « بما أدنى إليك » . (٣) كذا فى شرح ديوان الحماسة . وفى الأصول : « آبتك بالشكو » . (٤) كذا ورد فى جميع النسخ لفظ « قال » ، ولا لزوم له . (٥) الرسل هنا : الرفق والتؤدة . (٦) فى ب : « حتى يستقبل » .

يريد أن يَصُدَّها عن السجود، فتغرُب على قَرْنيه فيُحْرِقه الله تحتها؛ وذلك قول النبيّ صلى الله عليه وسلم : "تطلُع بين قرْنَيْ شيطان وتغرب بين قرنَيْ شيطان".

تمثل ابن عباس بشعره عند معاوية

حدّثني أحمد بن محمد بن الجَعْد[1] قال حدّثنا محمد بن عبّاد قال حدّثنا سُفْيان ابن عُيَينة عن زِياد بن سَعْد أنّه سمِع ابن حاضر[2] يقول :

اختلف ابن عبّاس وعمرو بن العاصى عند معاوية، فقال ابن عباس : ألا أُغنيك ؟ قال بلى ! فأنشده :

والشمسُ تغرُب كلَّ آخرِ ليلةٍ * في عين ذي خُلُبٍ وثَأْطٍ حَرْمَدِ[3]

حادثه وأقواله في مرض موته

أخبرني الحَرَمىّ قال حدّثنا عمّي عن مُصْعَب بن عثمان عن ثابت بن الزُّبير قال : لمّا مرض أميّة مَرَضَه الذى مات فيه، جعل يقول : قد دنا أجلى، وهذه المَرْضةُ مَنِيّتي، وأنا أعلم أنّ الحنيفيّة حقّ، ولكن الشكّ يُداخلُني في محمد. قال : ولمّا دنت وفاته أُغْمِي عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول :

لَبَّيْكُما لبيكما * هأنذا لديكما

---

(١) كذا في حـ. وفي سائر الأصول : «أحمد بن محمد الجعد». وهو من شيوخ أبي الفرج الذين يروى عنهم كثيرا في هذا الكتاب. (٢) اسمه عثمان بن حاضر الحميرى، ويقال : الأزدى أبو حاضر القاص. وقال عبد الرزاق : عثمان بن أبي حاضر (انظر تهذيب التهذيب في اسم عثمان).

(٣) الخلب : الحمأة بلغة حمير. والثأط : الطين الحمأة (أى الأسود)، وقيل : الطين حمأة كان أو غير حمأة. والحرمد : الأسود من الطين. ورواية هذا الشعر في اللسان مادة (ثأط) :

بلغ المشارق والمغارب يبتغي * أسباب أمر عن حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند مآبها * في عين ذي خلب وثأط حرمد

وقد أورده صاحب اللسان لأمية، ثم قال : وأورد الأزهرى هذا البيت مستشهدا به على الثأطة الحمأة، وكذلك أورده ابن برى وقال : إنه لتبع يصف ذا القرنين.

لا مالٌ يفديني ، ولا عشيرةٌ تحميني . ثم أغمي عليه أيضاً بعد ساعة حتى ظنّ من حضره من أهله أنه قد قضى ، ثم أفاق وهو يقول :

لَبَّيْكُما لبيكما * هأنذا لديكما

لا بَرِىءٌ فأعتذر، ولا قويٌّ فأنتصر . ثم إنه بقي يحدّث مَنْ حَضَره ساعةً، ثم أغمي عليه مثل المرتين الأُولَيَيْنِ حتى يئسوا من حياته، وأفاق وهو يقول :

لبيكما لبيكما * هأنذا لديكما

محفوفٌ بالنّعم ،

إنْ تَغفِرِ اللّهُمَّ تغفرْ جَمّا * وأيُّ عبدٍ لك لا أَلَمّا

ثم أقبل على القوم فقال : قد جاء وقتي ، فكونوا في أُهْبتي ؛ وحدّثهم قليلاً حتى يئس القوم من مَرَضه ، وأنشأ يقول :

١٩٢
٣

١٠

كلُّ عيشٍ وإنْ تطاولَ دَهْراً * مُنْتَهى أمرِه إلى أن يَزُولا

ليتني كنتُ قبل ما قد بَدَا لي * في رُءوس الجبال أَرْعَى الوُعولا

اِجْعلِ الموتَ نُصْبَ عينيك(١) واحذَرْ * غَوْلةَ الدهرِ إنّ للدهرِ غُولا

ثم قَضَى نَحْبَه، ولم يُؤْمن بالنبيّ صلى الله عليه وسلم . وقد قيل في وفاة أُميّة غيرُ هذا .

١٥

لما بعث النبي هرب بابنتيه الى اليمن ثم مات بالطائف

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عم أبي قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال : سمعت في خبر أُميّة بن أبي الصّلْت، حين بُعث النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أنه أخذ بِنْتَيْه وهرَب بهما الى أقصى اليمن ، ثم عاد إلى الطائف؛ فبينا هو يشرب مع

(١) كذا في ص . وفي سائر الأصول : « عينك » .

إخوانٍ له فى قَصْر غَيْلانَ[1] بالطائف، وقد أودع آبنتَيْه اليمن ورجع إلى بلاد الطائف، إذ سَقَط غرابٌ على شُرْفةٍ فى القصر فنَعَب نَعْبةً؛ فقال أُمية: بفيك الكَثْكَثُ! — وهو التُّراب — فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: يقول إنّك إذا شَرِبتَ الكأسَ التى[2] بيدك مُتَّ، فقلتُ: بفيك الكَثْكَث. ثم نَعَب نعبةً أُخرى، فقال أُمَيّة نحو ذلك؛

٥ فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: زَعَم أنّه يَقَع على هذه المَزْبَلة أسفلَ القصر، فيستثير عَظْمًا فيبتلعه فيَشْجَى به فيموت، فقلتُ نحو ذلك. فوقع الغرابُ على المَزْبَلة، فأثار العَظْمَ فشَجِيَ به فمات؛ فانكسر أُمَيّة، ووضع الكأسَ من يده، وتغيّر لونُه. فقال له أصحابه: ما أكثرَ ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلا! فألحّوا عليه حتى شرب الكأس، فمال فى شِقّ وأُغمِى عليه ثم أفاق، ثم قال: لا بَرِىءٌ فأعتذر، ولا قوىٌّ فأنتصر،

١٠ ثم خرجتْ نفسُه.

صــــوت

من المـــائة المختــارة

تَبَلَتْ[3] فؤادَك فى المنامِ خَرِيدةٌ[4] * تَشْفى الضَّجيعَ ببارِدٍ بَسّامِ
كالمِسْكِ تَخْلِطُه بمــاءِ سَحابةٍ * أو عاتِقٍ[5] كَدَمِ الذَّبِيحِ مُدَامِ

١٥ عَرُوضه من الكامل. الشعرُ لحسّان بن ثابت، والغناء لموسى بن خارِجةَ الكوفىّ ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوَتَر فى مجرى البِنْصر. وذكر حمّاد عن أبيه أنّ فيه لحنًا لِعَزّة المَيْلاء. وليس موسى بكثير الصنعة ولا مشهور، ولا ممن خَدَم الخلفاء.

---

(١) هو غيلان بن سلمة بن معتّب، وكان وفد على كسرى وحاوره فأُعجب به واشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها وكساه وبعث معه من الفرس من بنى له هذا القصر بالطائف؛ فكان أوّل قصر بنى بها. (راجع الأغانى ج ١٢ ص ٤٨، ٤٩ طبع بلاق). (٢) فى جميع الأصول: «الذى».

٢٠ (٣) تبلت فؤادك: أسقمته. والخريدة: الحيية. (٤) فى ديوان حسان: «تسق» وعلى هذه الرواية تكون الباء فى «ببارد» زائدة. (٥) العاتق هنا: الخمر القديمة التى حبست زمانا حتى عتقت وجادت؛ وقيل: هى التى لم يفض أحد ختامها كالجارية العاتق التى قد أدركت ولما تتزوج.

أخبار حسّان بن ثابت ونسبه

نسبه من قبل أبويه وكنيته

هو حسّان[(١)] بن ثابت بن المُنْذِر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَناة بن عَدِىّ بن عمرو ابن مالك بن النجّار، وآسمُه[(٢)] تيمُ الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخَزْرَج بن حارثةَ بن ثعلبة، وهو العَنْقاء بن عمرو؛ وإنما سُمّى العنقاء لطُول عُنُقه . وعمرو: هو مُزَيْقِياء بن عامر ابن ماء السماء بن حارثة الغِطْرِيف بن آمرئ القيس البِطْرِيق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الازد، وهو ذرى — وقيل : ذِرَاء[(٣)] ممدود — بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك ابن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان .

قال مُصْعَبٌ الزُّبَيْرِىّ فيما أخبرنا [به] الحسن بن علىّ عن أحمد بن زُهَيْر عمّه قال: بنو عَدِىّ بن عمرو بن مالك [بن] النجّار يُسَمَّوْن بنى مَعَالَةَ . ومعالةُ أُمّه[(٤)]، وهى آمرأةٌ من القَيْن وإليها كانوا يُنْسَبون . وأُمّ حسّان بن ثابت بن المنذر، الفُرَيْعةُ بنت خالد ابن قيس[(٥)] بن لَوْذان بن عبدوُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخَزْرَج بن ساعدةَ بن كعب بن الخزرج . وقيل : إنّ آسم النجّار تَيْمُ اللّات؛ وفى ذلك يقول حسّان بن ثابت :

وأُمّ ضِرارٍ تَنْشُدُ النّاسَ وَالِهًا * أَمَا لِآبن تَيمِ اللهِ ماذا أَضَلَّتِ

(١) هذا الاسم إن جعلته فعّالا من الحسن أجريته، وإن جعلته فعلان من الحس (بالفتح) وهو القتل أو المس بالشىء لم تجره . قال ابن سيده : وقد ذكرنا أنه من الحَسّ أو الحِسّ، وقال : ذكر بعض النحويين أنه فعّال من الحُسْن، وليس بشىء . (انظر اللسان مادة حسن) . (٢) كذا فى أُسد الغابة فى ترجمة حسان . وفى سائر الأصول : «وهم تيم الله» . وبنو النجار هم تيم الله بن ثعلبة . (٣) نقل صاحب شرح القاموس مادة أزد عن الشيخ عبد القادر البغدادى أن اسمه «درء» بكسر فسكون وآخره همزة، وعن أبى القاسم الوزير أنه دراء ككتاب . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ : «أمة» . (٥) فى تهذيب التهذيب طبع الهند : «الفريعة بنت خالد بن حبيش» . وفى أُسد الغابة طبع بلاق : «الفريعة بنت خالد بن خنيس» . وفى خزانة الأدب للبغدادى (ج ١ ص ١١١ طبع بلاق) : «الفريعة بنت حنس» .

يعني ضِرَارَ بنَ عبد المطَّلب، وكان ضَلَّ فنَشَدَتْه أُمُّه. وإنما سمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تيمَ الله؛ لأنّ الأنصار كانت تَنْسب إليه. فكره أن يكون في أسمائها ذكرُ اللّات.

ويُكْنَى حَسّان بن ثابت أبا الوليد. وهو فَحْلٌ من فُحُولِ الشعراء. وقد قيل: إنّه أشعر أهل المَدَر[2]. وكان أحدَ المُعَمَّرين من المُخَضْرَمين، عُمِّر مائةً وعشرين سنةً: ستّين في الجاهليّة وستّين في الإسلام.

عاش حسان مائة وعشرين سنة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عُبيدةَ قال: عاش ثابتُ ابن المنذر مائةً وخمسين سنةً[3]، وعاش حسّان مائةً وعشرين سنة. ومما يحقّق ذلك ما أخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن حسين[4] عن إبراهيم بن محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعيد بن زُرَارةَ عن حَسّان بن ثابت قال: إنّي لغلامٌ يَفَعَةٌ ابنُ سبعِ سنين أو ثمانٍ، إذا بيهوديٍّ بيثرب يَصْرُخ ذاتَ غَداةٍ: يا معشرَ يهود، فلما اجتمعوا إليه قالوا: ويلَك! مالَكَ؟ قال: طَلَع نجمُ أحمدَ الذي يُولَد به في هذه الليلة. قال: ثم أدركه اليهوديّ ولم يُؤْمِن به. فهذا يدلّ على مُدّة عُمْره في الجاهليّة؛ لأنه ذكر أنه أدرك ليلةَ وُلِد النبي صلى الله عليه وسلم، وله يومئذ ثمانِ سنين، والنبيّ

(١) ويكنى أيضا أبا الحُسام، كما في خزانة الأدب للبغدادي وأسد الغابة، لمناضلته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقطيعه أعراض المشركين. ويكنى أيضا أبا عبد الرحمن. ويلقب بذي الأُكلة (بالضم) كما في القاموس مادة «أكل». (٢) المدر (بالتحريك): المدن والحضر. وفي ء، أ، م: «المدن». (٣) في أسد الغابة وتهذيب التهذيب والنجوم الزاهرة: أنّ عمر حسان مائة وعشرون سنة، وكذلك عاش أبوه ثابت وجده المنذر وأبو جده حرام، ولا يعرف في العرب أربعة تناسلوا من صلب واحد وعاش كل منهم مائة وعشرين سنة غيرهم. (٤) في ح: «محمد بن الحسن».

صلى الله عليه وسلم بُعث وله أربعون سنةً، وأقام بمكة ثلاثَ عَشرةَ سنةً، فقَدِم المَدينةَ ولحسَّان يومئذ، على ما ذكره، ستون سنةً أو إحدى وستون سنة، وحينئذ أسلم.

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثنى آبن أبى الزِّناد قال:

عُمِّر حسّان بن ثابت عشرين ومائة سنة: ستّين فى الجاهليّة، وستّين فى الإسلام.

قال أخبرنى الحسن بن علىّ قال أخبرنى أحمد بن زُهَير قال حدّث سليمان بن حَرْب عن حمّاد بن زيد عن يَزيد بن حازم عن سليمان بن يَسار قال:

رأيتُ حسّان بن ثابت وله ناصيةٌ قد سَدَلها بين عينيه.

كان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنى علىّ بن محمد النَّوْفَلىّ عن أبيه قال:

كان حسّان بن ثابت يَخْضِب شاربَه وعَنْفَقَته[1] بالحِنّاء، ولا يَخْضِب سائرَ لِحْيته. فقال له آبنه عبد الرحمن: يا أبتِ، لِمَ تفعل هذا؟ قال: لأكونَ كأنّى أسدٌ والِغٌ فى دَمٍ.

فضل الشعراء بثلاث

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عُبيدة قال:

فَضَل حسّان الشعراء بثلاث: كان شاعرَ الأنصار فى الجاهليّة، وشاعرَ النبىّ صلى الله عليه وسلم فى النبوّة، وشاعرَ اليمن كلِّها فى الإسلام.

أجمعت العرب على أنه أشعر أهل المدر

قال أبو عُبَيدة: وأجمعتِ[2] العربُ على أنّ حسّان أشعر أهل المَدَر. أخبرنا بذلك أيضًا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن أبى عُبَيدة قال:

---

(١) العنفقة: شعرات بين الشفة السفلى والذقن.

(٢) كذا فى أُسد الغابة. وفى جميع الأصول: «اجتمعت».

اتّفقت العرب على أنّ أشعر أهل المَدَر أهلُ يَثْرِب، ثم عبدُ القيس ثم ثَقيفٌ؛ وعلى أنّ أشعر أهلِ يَثْرِب حَسّان بن ثابت .

سأل أبا هريرة عن حديث في شأنه فأجابه

أخبرني حبيب بن نَصر المُهَلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عَفّان قال حدّثنا عبد الواحد بن زِيَاد قال حدّثنا مَعْمَر عن الزُّهْريّ عن سَعيد بن المُسَيَّب قال :

جاء حَسّــان إلى نَفَرٍ فيهم أبو هُرَيرَة، فقال : أَنْشُــدُك اللهَ : أسَمِعْتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أَجِبْ عَنّي" ثم قال : "اللّهُمَّ أَيِّدْه بِرُوح القُدُس"؟ قال أبو هريرة : اللّهُمّ نعم .

كان أحد الأنصار الثلاثة الذين عارضوا شعراء قريش

أخبرني حبيب بن نَصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنا وَهْب بن جَرِير قال حدّثنـا أبي قال سمعتُ محمد بن سِـيرِينَ، قال أبو زيد وحَدّثنا هَوْذَةُ بن خليفة قال حَدّثنا عَوْف عن محمد بن سيرين قال :

كان يهجو رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثةُ رَهْط[1] من قريش : عبد الله بن الزِّبَعْرَى، وأبو سُفْيان بن الحارث بن عبدالمطَّلِب، وعمرُو بن العاصي؛ فقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضوانُ الله عليه : اهْجُ عنّا القومَ الذين قد هَجَوْنا . فقال عليٌّ رضي الله عنه : إنْ أذِن لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فعلتُ . فقال رجلٌ : يا رسول الله، ائذن لعليّ كي يهجو عنّا هؤلاء القوم الذين قد هجونا . قال : "ليس هُنَاك" أو "ليس عنده ذلك"؛ ثم قال للأنصار : "ما يَمْنَع القَوْمَ الذين نَصَروا رسولَ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسلاحهم أن يَنْصُرُوه بألسنتهم؟". فقال حسّان بن ثابت : أنا لها، وأخذ بطَرَف لسانه وقال : والله ما يَسُرُّني به مِقْوَلٌ[2] بين بُصْرَى وصَنْعاء . فقال : "كيف

(١) زاد في أسد الغابة رابعا هو ضرار بن الخطاب . (٢) المقول : اللسان .

تهجوهم وأنا منهم"؟ فقال: إنّى أسُلّك منهم كما تُسَلّ الشَّعرةُ من العَجين. قال: فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حَسان بن ثابت، وكَعْبُ بن مالك، وعبدُ الله بن رَوَاحةَ. فكان حَسّان وكَعْبٌ يُعارِضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام والمآثر ويُعَيِّرانهم بالمَثالِب، وكان عبد الله بن رَوَاحةَ يُعيِّرهم بالكفر. قال: فكان فى ذلك الزمان أشدُّ القول عليهم قولَ حسّان وكعب، وأهونُ القول عليهم قولَ ٱبن رواحة. فلمّا أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشدُّ القول عليهم قولَ ٱبن رواحة.

استأذن النبىّ فى هجو قريش فأمره أن يأخذ أنسابهم عن أبى بكر

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المُهَلّبىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهْمىّ قال حدّثنا أبو يونس القُشَيْرىّ وهو حاتم بن أبى صَغيرةَ[1] قال حدّثنا سِمَاكُ بن حَرْب قال:

قام حَسّان أبو الحُسَام فقال: يارسولَ الله، ٱئذَنْ لى فيه، وأخرج لسانًا له أسود، فقال: يا رسول الله، لو شئْتُ لَفَرَيْتُ به المَزَادَ[2]، ٱئذَنْ لى فيه. فقال: "اذْهَبْ إلى أبى بكر فَلْيُحَدِّثْك حديثَ القوم وأيّامهم وأحسابهم ثم ٱهْجُهم وجبريلُ معك". قال أبو زيد قال ٱبن وَهْب وحدّثنا بهذا الحديث حاتم عن السُّدّىّ عن البراء بن عازب وعن سِمَاك بن حَرْب ــ فأنا أشكّ: أهو عن أحدهما أم عنهما جميعا ــ قال أبو زيد: وحدّثنا علىّ بن عاصم قال حدّثنا حاتم بن أبى صَغيرةَ[1] عن سِمَاك بن حَرْب

(١) كذا فى طبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ٢ ص ٣١ طبع أوربا) وتهذيب التهذيب (ج ٢ ص ١٣٠ طبع الهند) والخلاصة طبع مصر؛ وهو مولى بنى قشير، وٱسم أبيه مسلم، وأبو صغيرة أبو أمه، وهو يروى عن عمرو بن دينار وسماك بن حرب. (انظر الأنساب للسمعانى). وقد ورد هذا الاسم مضطربا فى جميع الأصول. (٢) المزاد: جمع مزادة، وهى التى يحمل فيها الماء، وهى ما فئم بجلد ثالث بين الجلدين ليتسع؛ سميت بذلك لمكان الزيادة.

بِنَحْوِه، وزادَ فيه : فأخرج لسانَه أسودَ، فوضعه على طَرَف أرْنَبَتِه، وقال : يا رسولَ الله، لو شئتَ لَفَرَيْتُ به المَزَادَ؛ فقال : " يا حَسَّان وكيف وهو مِنِّي وأنا منه[١] "؟ قال : والله لأَسُلَّنَّه منك كما يُسَلُّ الشَّعر من العجين ! قال : " يا حسَّان فأْتِ أبا بكر فإنّه أعلم بأنساب القوم منك " . فأتى أبا بكر فأعلمَه ما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال : كُفَّ عن فُلانة واذْكُرْ فلانةَ . فقال :

هَجَوْتَ[٢] محمداً فأجبْتُ عنه ⁂ وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزَاءُ

فإنّ أَبِي ووالدَه وعِرْضي ⁂ لِعِرْضِ محمّدٍ منكم وِقَاءُ

أتهجوه ولستَ له بكُفْءٍ ⁂ فشَرُّكُما لخَيْرِكما الفِدَاءُ

لما بلغ قريشا شعر حسان اتهموا فيه أبا بكر

أخبرني الحسن بن عليّ[٣] قال حدّثنا أحمد بن زُهَيْر قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنَاد قال :

لمَّا أَنْشِدتْ قريشٌ شعرَ حَسّان قالت : إنّ هذا الشَّتْمَ[٤] ما غاب عنه ابنُ أبي قُحَافةَ .

قال الزُّبير : وحدّثني محمد بن يحيى عن يعقوب بن إسحاق بن مُجَمِّع[٥] عن رجلٍ من بني العَجْلان قال :

(١) يريد ابن عمه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . (٢) وردت هذه الأبيات في السيرة لابن هشام (ص ٨٣٠ طبع أوربا) ضمن قصيدة مطلعها :

عفت ذات الاصابع فالجواء ⁂ إلى عذراء منزلها خلاء

على غير ترتيب الأغاني بذكر البيت الثالث بعد الأوّل و بزيادة بيتين بعده هما :

هجوت مباركا برا حنيفا ⁂ أمين الله شيمته الوفاء

أمن يهجو رسول الله منكم ⁂ ويمدحه وينصره سواء

ويليهما البيت «فإن أبي الخ» . وانظر هذا الشعر أيضا في صحيح مسلم (ج ٢ ص ٢٦٠ — ٢٦١ طبع بلاق) . (٣) كذا في حـ . وفي سائر الأصول : «أخبرني الحسن بن علي قال قال ...» بتكرير كلمة «قال» . (٤) هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه . (٥) لم نعثر على هذا الاسم في كتب التراجم التي بين أيدينا والذي بها هو : «يعقوب بن مجمع» أو «يعقوب بن إسحاق بن زيد» كما في تهذيب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال . وفي لسان الميزان (ج ٦ ص ٣٠٢) : «يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم بن مجمع» ولعله هذا .

لمّا بلغ أهلَ مكة شعرُ حسّان ولم يكونوا علموا أنه قوله . جعلوا يقولون : لقد قال أبو بكر الشِّعْرَ بعدنا .

أسمعه ابن الزبعرى وضرار من هجوهما وفرّا فاستعدى عمر فردّهما وأنشدهما مما قال فيهما

قال الزُّبير: وحدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَيْر قال حدّثنا الزُّبير ابن بَكّار قال حدّثنى محمد بن فَضَالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن فَضَالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن ثابت بن قيس بن شَمّاس[1] قال :

نَهَى عمرُ بن الخطّاب الناسَ أن يُنْشِدوا شيئاً من مُناقضة الأنصار ومُشْركى قُرَيْش ، وقال : فى ذلك شَتْمُ الحىّ بالميّت[2] ، وتجديدُ الضغائن ، وقد هدم الله أمرَ الجاهليّة بما جاء من الإسلام . فقدِم المدينةَ عبدُالله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمىّ وضرار ابن الخطّاب الفِهْرىّ ثم المُحَارِبىّ ، فنزلا على أبى أحمد بن جَحْش ، وقالا له : نُحبّ أن تُرْسِلَ إلى حسّان بن ثابت حتّى يأتيك ، فنُنْشِده ويُنْشِدَنا ممّا قلنا له وقال لنا . فأرسل إليه فجاءه ؛ فقال له : يا أبا الوليد ، هذان أخَوَاك ابنُ الزِّبَعْرَى وضرارٌ قد جاءا أن يُسْمِعاك ويَسْمَعاك ويُسْمِعهما ما قالا لك وقلتَ لهما . فقال ابن الزِّبعرى وضرارٌ : نعم يا أبا الوليد ، إن شعرك كان يُحْتَمَلُ فى الإسلام ولا يُحتمل شعرُنا ، وقد أحببنا أن نُسْمِعك وتُسْمِعنا . فقال حسّان : أفتبدآن أم أبدأ ؟ قالا : نبدأ نحن . قال : ابتدئا ؛ فأنشداه حتى فار فصار كالمِرْجَل غَضَباً ، ثم آستويا على راحلتيهما يريدان مكة ؛ فخرج حسّان حتى دخل على عمر بن الخطّاب فقصّ عليه قِصَّتَهما وقِصَّتَه . فقال له عمر : لن يَذْهبا عنك بشىء إن شاء الله ، وأرسل مَنْ يَرُدُّهما ، وقال له عمر: لو لم تُدْرِكْهما إلّا بمكة فآرْدُدْهما علىّ . وخرجا فلمّا كانا بالرَّوْحاء[3] رجع ضرارٌ إلى صاحبه بكَرْه ، فقال له يا بنَ الزِّبَعْرَى : أنا أعرف عمر وذبّه عن الإسلام وأهله ،

(١) لم نعثر على خالد هذا فى كتب التراجم ، وليس فى ولد محمد بن ثابت بن قيس بن شماس من يسمى خالدا ، وقد أحصاهم ابن سعد فى الطبقات (ج ٥ ص ٩ ٥ — ٩ ٥ طبع أوربا) . على أن السند كله مضطرب ولم نوفق لتحقيقه .
(٢) فى أ ، م النابة : « وقال فى ذلك شتم الحىّ والميت الخ » .
(٣) الروحاء : موضع بين مكة والمدينة على نحو ثلاثين ميلا من المدينة .

وأعرف حسّان وقلّةَ صَبْرِه على ما فعلنا به، وكأنّى به قد جاء وشَكَا إليه ما فعلنا، فأرسلَ فى آثارنا وقال لرسوله : إن لَمْ تَلْحَقْهُما إلا بمكةَ فَارْدُدْهما علىّ؛ فَارْبَعْ بنا تَرْكَ العناء وأَقِمْ بنا مكانَنا؛ فإنْ كان الذى ظننتُ فالرجوعُ من الرَّوْحاء أسهلُ منه من أبعد منها، وإنْ أخطأ ظَنِّى فذلك الذى نُحِبُّ ونحن من وراء المُضِىّ. فقال آبن الزِّبَعْرَى : نِعْمَ ما رأيتَ . قال : فأقاما بالرَّوْحاء، فما كان إلا كَرّ الطائرِ حتّى وافاهما رسول عمر فردّهما إليه؛ فدعا لهما بحسّان، وعُمَرُ فى جماعةٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لحسّان : أَنْشِدْهما مما قلتَ لهما ؛ فأنشدهما حتّى فَرَغ مما قال لهما فوقف . فقال له عمر : أَفَرَغْتَ ؟ قال نعم . فقال له : أَنْشَداك فى الخَلاء وأنشدتَهما فى الملا . وقال لهما عمر : إن شئتُما فَأَقِيما، و إن شئتما فانصرفا. وقال لمن حَضَره : إنّى قد كنتُ نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئا دَفْعاً للتضاغُن عنكم وبَثّ القبيح فيما بينكم، فأمّا إذ أَبَوْا فاكْتُبوه واحتفظوا به . فدوّنوا ذلك عندهم . قال خَلّاد بن محمد[1]: فأدركتُه والله و إنّ الأنصار لَتُجَدِّدُه عندها إذا خافتْ بِلاه .

شعره فى هجو أبى سفيان بن الحارث

أخبرنا أحمد[2] بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عَفّان بن مُسْلِم قال حدّثنا عِمْران بن زيد قال : سمعتُ أبا إسحاق قال فى قصة حَسّان وأبى سُفْيان ابن الحارث نحوَ ما ذكره مما قدمنا ذِكْرَه، وزاد فيه : فقال حسّان فيه :

وإنّ سَنَامَ المَجْـدِ من آلِ هاشمٍ * بنو بِنْتِ مَخْزومٍ[3]، ووالدُك العَبْـدُ

(١) لم نجد هذا الاسم فى كتب التراجم التى بين أيدينا . وقد تقدم فى سند هذا الخبر رجلان كل منهما يسمى خالد بن محمد، فلعله أحدهما . (٢) فى الأصول : «محمد بن عبدالعزيز» وظاهر جدا أنه أحمد ابن عبدالعزيز الجوهرى الذى يروى عن عمر بن شبة، و يروى عنه كثيرا أبو الفرج . (٣) بنت مخزوم : يريد بها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وهى أم عبد الله (أبى النبى صلى الله عليه وسلم) والزبير وأبى طالب أبناء عبد المطلب . ووالدك العبد : يريد به الحارث بن عبد المطلب وهو أبو أبى سفيان، وكانت أمه أمة ولد .

ومَنْ ولدتْ أبناءُ زُهْرةَ[1] منكمُ * كِرَامٌ ولم يَلْحَقْ عجائزَك المَجْدُ

وإنّ آمرأً كانتْ سُمَيَّةُ[2] أُمُّهُ * وسَمْراءُ[3] مغلوبٌ إذا بَلَغ الجَهْدُ

وأنت هَجِينٌ[4] نِيطَ فى آل هاشمٍ * كما نِيطَ خَلْفَ الرّاكبِ القَدَحُ الفَرْدُ

فقال العبّاس : ومالى وما لحسّان ! يعنى فى ذكره نُتَيْلةَ[5]، فقال فيها :

ولَسْتَ كَعبّاسٍ ولا كابنِ أُمِّهِ[6] * ولكن هَجِينٌ ليس يُورِى له زَنْدُ

أعانه جبريل فى مديح النبى

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا القَعْنَبىّ قال حدّثنا مَرْوان بن مُعاوية قال حدّثنا إيَاس السُّلَمىّ عن آبن بُرَيْدةَ قال :

أعان جبريلُ عليه السلام حسّان بن ثابت فى مَديح النبىّ صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتا .

مدحه النبى ومدح كعبا وعبد الله ابن رواحة

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عُمَر قال حدّثنا محمد بن منصور قال حدّثنا سعيد بن عامر قال حدّثنى جُوَيْرِية بن أسماء قال :

---

(١) يريد فى هذا البيت مدح آمنة أم النبىّ صلى الله عليه وسلم وهالة أم حمزة وصفية، وكلتاهما زهرية؛ إذ هما ابنتا وهب بن عبد مناف بن زهرة . وقوله : « ولم يلحق عجائزك المجد » يهجو أبا سفيان بأن أمهاته لسن بأحرار؛ إذ كانت أم أبى سفيان نفسه أم ولد وأم أبيه كذلك أم ولد . ورواية الديوان فى هذا البيت (ص ٩١ طبع ليدن) :

وما ولدت أفناء زهرة منكم * كريم ولم يقرب عجائزك المجد

(٢) كذا فى الديوان . وسمية هى أم الحارث بن عبد المطلب، وأبوها موهب غلام لبنى عبد مناف . وفى الأصول : « ثميلة » بالثاء المثلثة وهو تحريف . (انظر شرح النووى على صحيح مسلم ج ٥ ص ٢٠٠ طبع بلاق) . (٣) سمراء : هى أم أبى سفيان المهجو . (٤) الهجين : من أبوه عربىّ وأمه ليست بعربية . ونيط فى آل هاشم : نسب إليهم وليس منهم . يريد أنه ليس من خالصهم .

(٥) كذا فى المعارف لابن قتيبة وشرح القاموس (مادة نتل)؛ وهى نتيلة بنت كليب بن مالك بن جناب أم العباس وضرار ابنى عبد المطلب ، وهى إحدى نساء بنى النمر بن قاسط . وفى الأصول « نثيلة » بالثاء المثلثة وهو تصحيف . (٦) يريد ضرار بن عبد المطلب .

بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أمرتُ عبد الله بن رَوَاحة فقال وأحْسَنَ، وأمرتُ كَعْبَ بن مالك فقال وأحسن، وأمرتُ حسّان بن ثابت فَشَفَى وٱشْتَفَى " .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا ٱبن وهْب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مَرْوان بن عثمان و يَعْلَى بن شَدّاد بن أَوْس عن عائشة قالت :

أخبره النبيّ أن روح القدس يؤيده

سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسّان بن ثابت الشاعر: " إنّ رُوحَ القُدُس لا يزال يُؤيِّدك ما كافحتَ عن الله عزوجل وعن رسول الله " صلّى الله عليه وسلّم .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عُمَر قال حدّثنا هَوْذَةُ بن خليفة قال حدّثنا عَوْفُ ٱبن محمد قال :

استنشده النبيّ وجعل يصغي اليه

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلةً وهو في سَفَر : " أين حَسّان بن ثابت "؟ فقال حسّان : لَبَّيْكَ يا رسولَ الله وسَعْدَيْك . قال : " آحْدُ "، فجعل يُنْشِد و يُصْغِي إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم ويستمع ، فما زال يستمع إليه وهو سائقٌ رَاحِلتَه حتّى كان رأسُ الراحلة يَمَسُّ الوَرِكَ حتى فَرَغ من نشيده . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " لَهَـذَا أَشَدُّ عليهم من وَقْع النَّبْل " .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أبو عاصم النبيل قال أخبرنا ٱبن جُرَيْج قال أخبرنا زِياد بن أبي سَهْل قال حدّثني سعيد بن المُسَيّب :

انتهره عمر لإنشاده في مسجد الرسول فرد عليه

أنّ عمر مرّ بحسّان بن ثابت وهو يُنْشِد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهره عمر ، فقال حسّان : قد أَنْشدتُ[1] فيه مَنْ هو خيرٌ منك ، فٱنطلق عمر .

(١) رواية صحيح مسلم (ج ٢ ص ٢٥٩ طبع بلاق) : «قد كنت أنشد فيه من هو خير منك» .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا أبو داود الطّيالسىّ قال حدّثنا إبراهيم بن سعد عن الزّهرىّ عن سعيد بن المسيّب :

أنّ عمر مرّ على حسان وهو يُنشد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله وزاد فيه : وعلِمْتُ أنّه يريد النبىّ صلى الله عليه وسلم .

٧/٤ أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا شُجاع بن الوليد ٥ عن الإفريقىّ عن مُسْلِم بن يَسار :

أنّ عمر مرّ بحسّان وهو يُنشد الشعرَ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ بأذُنه وقال : أرُغاءٌ كرُغاءِ البعير! فقال حسّان : دَعْنا عنك يا عمر! فوالله لتَعْلَمُ أنّى كنت أُنشد فى هذا المسجد مَنْ هو خيرٌ منك فلا يُغيِّر علىّ ! فصدّقه عمر .

مدح الزبير بن العوام لقومه قوما لم يحسنوا الاستماع له

١٠ حدّثنا محمد بن جرير الطبرىّ والحَرَمىّ بن أبى العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبى وجماعةٌ غيرهم قالوا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو غَزِيّة محمد بن موسى قال حدّثنى عبد الله بن مُصْعَب عن هشام بن عُرْوة عن فاطمة بنت المُنذِر عن جدّتها أسماء بنت أبى بكر قالت :

مرّ الزُّبير بن العوّام بمجلس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ١٥ وحسّان بن ثابت يُنشِدُهم من شِعْره وهم غيرُ نِشاط لِمَا يسمعون منه ، فجلس معهم الزُّبير فقال : مالى أراكم غيرَ آذِنين لِمَا تسمعون من شعر ابن الفُرَيعة ! فلقد كان يَعْرِض لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيُحسِن استماعه ويُجْزِل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه بشىء . فقال حسّان :

أقامَ على عهدِ النبىّ وهَدْيِه ٭ حَوارِيُّه[1] والقولُ بالفعل يُعْدَلُ

٢٠ (١) حوارىّ النبىّ صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام ، لقوله عليه الصلاة والسلام : «إن لكل نبى حواريا وإن حوارىّ الزبير» . وفى رواية : «الزبير ابن عمتى وحوارىّ من أمتى» أى خاصتى من أصحابى وناصرى .

أقامَ على مِنْهاجِه وطَرِيقِهِ * يوالِى وَلِىَّ الحقِّ والحقُّ أعدل

هو الفارسُ المشهورُ والبَطَلُ الذى * يَصُولُ إذا ما كان يومٌ مُحَجَّل

إذا كَشَفتْ عن ساقها الحربُ حَشَّها[1] * بأبيضَ سَباقٍ إلى الموتِ يُرقِل[2]

وإنَّ امرأً كانتْ صَفِيةُ أُمَّهُ * ومِنْ أسَدٍ فى بيتها لَمُرَفَّل[3]

له من رسول الله قُربَى قريبةٌ * ومِنْ نُصْرة الإسلامِ نصرٌ مؤثَّل

فكَمْ كُرْبةٍ ذَبَّ الزُّبَيرُ بسيفه * عَنِ المصطفى واللهُ يُعْطِى فيُجْزِلُ

فما مثلُه فيهم ولا كانَ قبلَه * وليس يكون الدَّهْرَ ما دام يَذْبُلُ[4]

ثناؤك خيرٌ من فِعالِ مَعاشِرٍ * وفِعْلُكَ يابنَ الهاشميّة أفضلُ

تقدم هو وكعب وابن رواحة لحماية أعراض المسلمين فاختاره النبىّ دونهما

أخبرنى أحمد بن عيسى العِجْلىّ قال حدّثنا واصلُ بن عبد الأعْلَى قال حدّثنا ابن فُضَيْل عن مُجَالِد عن الشَّعْبىّ قال :

لمّا كان عامُ الأحزاب[5] وردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرًا، قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : "مَنْ يَحْمِى أعراض المسلمين"؟ فقال كعب : أنا يا رسولَ الله، وقال عبدالله ابن رَوَاحة : أنا يارسول الله، وقال حَسّان بن ثابت : أنا يارسول الله؛ فقال : "نعمْ اُهْجُهم أنت فإنّه سَيُعِينُك عليهم رُوحُ القُدُس".

سبه قوم فى مجلس ابن عباس فدافع عنه

أخبرنى أحمد بن عبد الرحمن[6] قال حدّثنا عمر بن شَبَّةَ قال حدّثنا أبو داوُد قال حدّثنا حُدَيْج بن مُعاوية عن أبى إسحاق عن سَعيد بن جُبَيْر قال :

(١) حشّ الحرب : أسعرها وهيجها . (٢) الإرقال : ضرب من السير السريع؛ قال النابغة :

إذا استنزلوا للطعن عنهنّ أرقلوا * إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

(٣) المرفل : المعظم المسوّد . (٤) يذبل : اسم جبل فى بلاد نجد . (٥) الأحزاب : قريش وغطفان و بنو قريظة تألبوا على حرب النبىّ صلى الله عليه وسلم . (٦) كذا فى جميع الأصول . والذى يروى عن عمر بن شبة كثيرا فى كتاب الأغانى هو أحمد بن عبد العزيز الجوهرى؛ فلعله هذا .

كنّا عند آبن عبّاس بجاء حسّان ، فقالوا : قد جاء اللّعين . فقال آبن عبّاس : ما هو بلعين ؛ لقد نَصر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ويده .

حدّثنيه أحمد بن الجَعْد قال حدّثنا محمد بن بَكّار قال حدثنا حُدَيج بن معاوية قال حدّثنا أبو إسحاق عن سَعيد بن جُبير قال :

جاء رجلٌ إلى ابن عبّاس فقال : قد جاء اللعين حَسّان من الشأم . فقال آبن عباس : ما هو بلعين ؛ لقد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ونفسه .

قدم وفد تميم على النبيّ مفتخرين فأمره النبيّ أن يجيب شاعرهم

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الله بن عمرو وشُرَيْح بن النّعمان قالا حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عُرْوةَ عن أبيه عن عائشة قالت :

لمّا قَدِم وفد بنى تميم وضَع النبيُّ صلى الله عليه وسلم لحسّان مِنْبَراً وأجلسه عليه ، وقال : " إنّ الله لَيُؤَيِّد حَسّانَ بُروح القُدُس ما كافح عن نبيّه "(١) صلى الله عليه وسلم . هكذا روى أبو زيد هـذا الخبر مختصرًا . وأتينا به على تمامه ها هنا ؛ لأنّ ذلك حسنٌ فيه : أخبرنا به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا محمد بن الضحّاك عن أبيه قال :

قَدِم على النبيّ صلى الله عليه وسلم وفدُ بنى تميم وهم سبعون أو ثمانون رجلاً ، فيهم الأَقْرَع بن حابِس ، والزِّبْرِقان بن بَدْر ، وعُطَارِد بن حاجب ، وقَيْس بن عاصم ، وعمرو بن الأَهْتَم ، وانطلق معهم عُيَيْنة بن حِصْن ، فقَدِموا المدينةَ ، فدخلوا المسجدَ ، فوقفوا عند الحُجُرات ، فنادَوْا بصوتٍ عالٍ جافٍ : أُخْرُجْ إلينا يا محمد ؛ فقد جئنا لنُفَاخِرَك ، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا . فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) فى حـ : « ما نافح » بالحاء المهملة ، وهما بمعنى واحد .

فجلس . فقام الأَقرعُ بن حابِس فقال : والله إنّ مَدْحِى لَزَيْن، وإنّ ذَمِّى لَشَيْن . فقال النبى صلى الله عليه وسلم " ذلك الله " . فقالوا : إنّا أكرمُ العرب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أكرمُ منكم يوسفُ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام " . فقالوا : ائذَنْ لشاعرنا وخطيبنا . فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلس معه الناس ، فقام عُطارِد بن حاجِب فقال :

الحمدُ لله الذى له الفضلُ علينا وهو أهلُه ، الذى جعلنا ملوكًا وجعلنا أعزَّ أهل المَشْرِق[1]، وآتانا أموالًا عِظَامًا نفعل فيها المعروفَ، ليس فى الناس مثلُنا؛ ألسنا برءوس النّاس وذوى فَضْلهم ! فمَنْ فاخرنا فليَعْدُدْ مثلَ ما عَدَدْنا ، ولو نشاء لأكثرنا، ولكنّا نستحيى من الإكثار فيما خَوَّلَنا الله وأعطانا . أقول هذا ، فأْتُوا بقَوْلٍ أفضلَ من قولنا، أو أمرٍ أَبْيَنَ من أمرنا . ثم جلس .

فقام ثابت بن قيس بن شَمّاس فقال : الحمدُ لله الذى السمٰوَاتُ والأرضُ خَلْقُه، قضَى فيهنّ أمرَه ووَسِع كُرْسِيَّه علمُه[2] ، ولم يَقْضِ شيئًا إلّا من فضله وقُدْرته؛ فكان من قدرته أن اصطفى من خَلْقِه لنا رسولًا أكرمَهم حَسَبًا وأصدقَهم حديثًا وأحسنَهم رأيًا[3]، فأنزل عليه كتابًا، وأْتَمَنه على خَلْقه، وكان خِيرةَ الله من العالمين. ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان، فأجابه مِنْ قومه وذوى رَحِمه المهاجرون أكرمُ الناس أنسابًا ، وأَصْبَحُ الناس وجوهًا ، وأفضلُ الناس فِعالًا . ثم كان أوّل مَن اتّبع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من العرب واستجاب له نحن مَعْشَرَ الأنصار؛

---

(١) فى الطبرى (ص ١٧١١ من القسم الأول طبع أوربا) : « وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا وأيسره عدة ... الخ » . (٢) كذا فى سيرة ابن هشام (ص ٩٣٥ طبع أوربا) والطبرى . وفى الأصول : « ووسع كرسيه وعلمه » بواو العطف . وقد وردت هاتان الخطبتان فى السيرة والطبرى باختلاف يسير عما هنا . (٣) فى سيرة ابن هشام والطبرى : « ثم دعا الناس إلى ... الخ » .

فنحن أنصارُ الله ووزراءُ رسولِه، نُقَاتِلُ الناسَ حتى يُؤْمنوا ويقولوا: لا إلهَ إلّا اللهُ. فمَنْ آمن بالله ورسُولِه مَنَع منّا مالَه ودمَه، ومَنْ كَفَر بالله ورسوله جاهَدْناه فى الله، وكان جهادُه علينا يسيرا. أقول قولى هذا، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات.

فقام الزِّبْرِقان فقال:

نحنُ(١) الملوكُ فلا حَىٌّ يُقَارِبُنا * مِنّا الملوكُ وفينا يُؤْخَذُ الرُّبُعُ(٢)

تلك المكارمُ حُزْناها مُقَارَعةً * إذا الكرامُ على أمثالها اقترعوا

كَمْ قد نَشَدْنا مِنَ الأحياءِ كُلِّهِمُ * عند النِّهاب وفضلُ العزِّ يُتَّبَعُ

ونَنْحَرُ الكُومَ(٣) عُبُطًا(٤) فى منازِلنا * للنازلين إذا ما اسْتَطْعَموا شَبِعوا

ونحن نُطْعِم عند المَحْلِ ما أَكَلوا * من العَبِيطِ إذا لم يَظْهَرِ القَزَعُ(٥)

وننصر الناسَ تأتينا سَرَاتُهُمُ * مِنْ كُلِّ أَوْبٍ فتَمْضِى ثم نُتَّبَعُ

فأرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى حسّان بن ثابت فجاء، فأمره أن يُجيبه.

فقال حسان:

إنّ الذوائبَ(٦) مِنْ فِهْرٍ وإخْوَتِهِمْ * قد بَيَّنُوا سُنّةً للناسِ تُتَّبَعُ

---

(١) ورد هذا الشعر فى ديوان حسان وسيرة ابن هشام (ص ٩٣٥ طبع أوربا) والطبرى (قسم ١ ص ١٧١٢ طبع أوربا) باختلاف عما هنا. (٢) كان من عادة العرب فى الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضا وغنموا، أخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصا دون أصحابه، وذلك الربع يسمى المِرْباع. ورواية البيت فى السيرة والطبرى:

نحن الكرام فلا حَىّ يعادلنا * منا الملوك وفينا تنصب البِيَع

(٣) الكوم: جمع أكوم وهو البعير الضخم السنام، والأنثى كوماء. (٤) عبط الذبيحة عبطا: نحرها من غير داء ولا كسر وهى سمينة فتية. ويقال للناقة: عبيطة، والجمع عبط (بضمتين) وقد تسكن عينه.

(٥) ورد هذا البيت فى نهاية ابن الأثير واللسان (مادة سدف) هكذا:

ونطعم الناس عند القحط كلهم * من السديف إذا لم يُؤْنَس القزع

والسديف: شحم السنام. والقزع: السحاب، أى نطعم الشحم فى المحل. وفى الأصول: «الفزع» بالفاء والزاى، وهو تصحيف. (٦) ورد هذا الشعر أيضا فى السيرة (ص ٩٣٦ طبع أوربا) والطبرى (قسم ١ ص ١٧١٤ طبع أوربا) والديوان باختلاف يسير عما هنا.

يَرْضَى بها كلُّ مَنْ كانت سريرتُه * تقوى الإلهِ وبالأمرِ الذى شَرَعُوا

قومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عدوَّهمُ * أو حاولوا النَّفعَ فى أشياعهم نفَعُوا

سجيّةٌ تلك منهم غيرُ مُحْدَثةٍ * إنّ الخلائقَ فاعلمْ شرُّها البِدَعُ

لا يرقعُ[1] النّاسُ ما أوهتْ أكُفُّهمُ[2] * عند الدِّفاع ولا يُوهُون ما رَقَعُوا

إنْ كان فى النّاسِ سبَّاقون بعدَهمُ * فكلُّ سَبْقٍ لأدْنَى سَبْقِهمْ تَبَعُ ٥

أعِفّةٌ ذُكِرَتْ فى الوَحْيِ عِفّتُهمْ * لا يطْمَعون ولا يُزْرِى بهم طَمَعُ[3]

ولا يَضَنُّونَ عن جارٍ بفَضْلِهمُ * ولا يمَسُّهمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ[4]

يَسْمُون للحرب تبدو وهى كالحةٌ * إذا الزَّعانفُ[5] من أظفارِها خَشَعُوا

لا يَفْرَحون إذا نالوا عدوَّهمُ * وإنْ أُصيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ

كأنّهم فى الوَغَى والموتُ مُكتَنِعٌ[6] * أُسُودُ بِيشَةَ[7] فى أرساغها فَدَعُ[8] ١٠

خُذْ منهمُ ما أتى عفوًا[9] وإنْ مَنَعُوا * فلا يكُنْ همَّكَ الأمرُ الذى مَنَعُوا

فإنّ فى حَرْبِهم ـ فاتْرُكْ عداوتَهم ـ * سُمًّا يُخاضُ[10] عليه الصّابُ والسَّلَعُ

أكْرِمْ بقومٍ رسولُ الله قائدُهمْ * إذا تفرّقتِ الأهواءُ والشِّيَعُ

(١) كذا فى أ ، ى ، وديوانه (ص ٢٣ طبع أوربا) . وفى سائر الأصول : «يرفع» بالفاء .

(٢) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « الرقاع » . (٣) فى الديوان : ١٥

* لا يطبعون ولا يرديهم الطمع *

(٤) ورد هذا البيت فى أ ، ى . وذكر محرّفا فى م ، وسقط فى سائر النسخ .

(٥) الزعانف : أرذال النـاس . (٦) المكتنع : الدانى القريب .

(٧) بيشة : من عمل مكة مما يلى اليمن ، على خمس مراحل من مكة ، وفى وادى بيشة موضع مشجر

كثير الأسد . وفى السيرة : « أُسد بحَلْيَة ... » . وحلية : مأسدة بناحية اليمن . ٢٠

(٨) الفدع : اعوجاج فى الرسغ . (٩) كذا فى ديوانه والسيرة . وفى الأصول : « ... ما أتوا

عفوا ... الخ » . (١٠) يخاض : يخلط . والصاب والسلع : ضربان من الشجر مرّان .

أَهْـدَى لهمْ مِدَحِى قلبٌ يؤازِرُهُ * فيما أراد لسانٌ حائكٌ صَنَعُ
فإنّهم(١) أفضـلُ الأحيـاء كلِّهمُ * إنْ جَدّ بالناس جِدُّ القول أو شَمَعُوا(٢)

فقام عُطَارِد(٣) بن حاجب فقال :

أتينـاك كيما يعلمَ النـاسُ فضلَنا * إذا آجتمعوا وقتَ آحتضارِ المَوَاسِمِ
بأنّا فُروعُ النـاسِ فى كلِّ موطنٍ * وأنْ ليس فى أرض الحجاز كَدَارِمِ(٤)

فقام حسّان بن ثابت فقال :

مَنَعْنا رســولَ الله من غَضَبٍ له * على أنْفِ راضٍ(٥) من مَعَـدٍّ وراغِمِ
هَلِ المجدُ إلّا السُّؤْدُدُ العَوْدُ(٦) والنَّدَى * وجاهُ المـلوكِ وآحتمالُ العظـائمِ

قال : فقال الأَقْرَع بن حابس : والله إنّ هذا الرجلَ لَمُؤَتًّى(٧) له ! والله لَشاعرُه أشـعرُ من شاعرنا ، ولَخَطيبُـه أخطبُ [من خطيبنا](٨) ، ولَأصواتُهـم أرفعُ من أصـواتنا ! أَعطِنى يا محمد فأعطاه . فقال : زِدْنِى فزاده . فقال : اللّهمّ إنّه سـيد

(١) هذه رواية السيرة والديوان . وفى الأصول : « وإنهم » بالواو . (٢) كذا فى ديوانه طبع أوربا وسـيرة ابن هشام والطبرى . ومعناه : مزحوا ، وهو أنسب للقام ، لمقابلته لقوله : « إن جدّ بالناس الخ» . قال أبو ذؤيب يصف حُمُرا :

فلبثن حينا يعتلجن بروضـة * فيجدّ حينا فى العلاج ويشمع

وفى الأصول وديوانه طبع مصر : « سمعوا » بالسين المهملة . (٣) الذى فى سيرة ابن هشام (ص ٩٣٧ طبع أوربا) أن هذا الشعر من قول الزبرقان بن بدر . (٤) دارم : أبو حىّ من تميم .
(٥) فى الأصول : « على رغم أنف » . ورواية الديوان وسيرة ابن هشام :

نصـرنا وآوينا النبىّ محمدا * على أنف راض من معد وراغم

ورواية الطبرى :

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا * على كل باغ من معدّ وراغم

(٦) العود : القديم . (٧) كذا فى الطبرى وسيرة ابن هشام . ومؤتى له : مسهّل وميسر له . وفى الأصول : « لمؤثر له » تحريف . (٨) التكملة عن سيرة ابن هشام والطبرى .

العرب. فنزلت فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾.

إسلام وفد تميم وإكرام النبي لهم

ثم إن القوم أسلموا، وأقاموا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم يتعلّمون القرآن، ويتفقّهون في الدّين. ثم أرادوا الخروج إلى قومهم، فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم، وقال: «أما بقيَ منكم أحدٌ؟»، وكان عمرو بن الأهتم في رِكابهم، فقال قيس بن عاصم، وهو من رَهْطِه وكان مُشَاحِنًا له: لم يبق منّا أحدٌ إلّا غلامٌ حديثُ السنّ في رِكابنا؛ فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مِثْلَ ما أعطاهم. فبلغ عمرًا ما قال قيس؛ فقال عمرو بن الأهتم لقيس:

مناقضة عمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباء[1] تَشْتُمني * عند الرسول فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ

إنْ تُبغِضونا فإنّ الرُّومَ أصلُكُمُ * والرومُ لا تملِك البغضاء للعَرَبِ

فإنّ[2] سُؤْدُدَنا عَوْدٌ وسُؤْدُدكم * مُؤخَّرٌ عند أصل العَجْبِ والذَّنَبِ

فقال له قيس:

لولا دفاعي كنتمُ أعْبُدًا * دارُكمُ الحيرةُ والسَّيْلَحُونْ[3]

شعر حسان الذي يسرّ به إيمانه بالرسل

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحَبيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني عمر بن عليّ بن مُقَدَّم عن يحيى بن سَعيد عن أبي حَيّان التَّيْمِيّ عن حَبيب ابن أبي ثابت، قال أبو زيد وحدّثنا محمد بن عبد الله بن الزُّبير قال حدّثنا مِسْعَر عن سعد بن إبراهيم، قالوا:

---

(١) الهلباء: الاست. (٢) رواية هذا البيت في سيرة ابن هشام:

سدنا كم سؤددا رَهْوًا وسؤددكم * باد نواجذه مُقْعٍ على الذنب

والعجب من كل دابة: ما انضم عليه الوركان من أصل الذنب المغروز في مؤخر العجز.

(٣) السيلحون: موضع قرب الحيرة، وقيل: هو بين الكوفة والقادسية.

قال حسّان بن ثابت[1] للنبيّ صلى الله عليه وسلم :

صـــوت

شهِـدتُ بإذن الله أنّ محمّدًا * رسولُ الذى فوق السّموات من عَلُ
وأنّ أخا الأحقاف[2] إذ يَعذُلونه * يقومُ بدين الله فيهم فيَعـدِلُ
وأنّ أبا يحيى[3] ويحيى كلاهما * له عمـلٌ فى دينـه مُتقبَّلُ
وأنّ الذى عادَى اليهودَ ابنَ مريمٍ * رسولٌ أتى من عندذى العرش مُرسَلُ
وأنّ الذى بالجِزْع[4] من بطن نخلةٍ * ومَنْ دونَها فَلٌّ[5] من الخير مَعزِلُ

— غنّى فى هـذه الأبيات مَعْبَد خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر من رواية يونس وغيره — فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " أنا أشهد معك " .

---

(١) نسب هذا الشعر فى اللسان (مادة فلل) الى عبدالله بن رواحة يصف العُزّى ، وهى شجرة كانت تعبد ، وذكر بيتين من هذا الشعر نذكرهما لاختلافهما فى بعض الألفاظ عما هنا ، وهما :

شهدت ولم أكذب بأن محمدا * رسول الذى فوق السموات من علُ
وأن التى بالجزع من بطن نخلة * ومن دانها فل من الخـير معزل

ثم أعقبهما بالجملة التفسيرية الآتية : « أى خال من الخير . ويروى « ومن دونها » أى الصنم المنصوب حول العزى » . (٢) هو هود عليه السلام ، وهو المشار اليه فى قوله تعالى : (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف) . والأحقاف هنا : واد بين عُمَان وأرض مَهْرة ، أو هو رمل فيا بين عمان وحضرموت ، أو رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن . (٣) يعنى بأبى يحيى زكريا عليه السلام .

(٤) الجزع : قرية عن يمين الطائف وأخرى عن شماله . ورواية الديوان فى هذا البيت :

وأن التى بالسد من بطن نخلة * ومن دانها فل من الخير معزل

(٥) الفلّ : الذى لا خير عنده ، كالأرض الفل وهى التى لا نبت فيها ولا خير . (انظر التعليقات التى على ديوان حسان المطبوع بأوربا الذى أشرف على طبعه المستشرق الانجليزى جيب) . وبطن نخلة : موضع بين مكة والطائف .

أنكرت عليه عائشة شعرا له فى مدحها

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا زُهَيْر بن حَرْب قال حدّثنى جرير عن الأعمش عن أبى الضُّحَى عن مَسْروق، وأخبرنى بها أحمد بن عيسى العِجْلىّ قال حدّثنا سُفْيان بن وكيع قال حدّثنا جرير عن الأعمش عن أبى الضُّحَى عن مسروق قال :

دخلتُ على عائشة وعندها حَسّانُ وهو يَرْثِى بنتاً له[1]، وهو يقول :

رَزَانٌ[2] حَصَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَـــةٍ * وتُصْبِحُ غَرْثَى[3] من لحُوم الغَوَافِلِ

فقالت عائشة : لكن أنت لستَ كذلك . فقلت لها : أيدخل عليك هذا وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُـمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ! فقالت : أمَا تراه فى عذاب عظيم قد ذَهَب بصرُه !

أخبر بوقعة صفين قبل وقوعها

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى قال حدّثنا ابن أبى أُوَيْس قال حدّثنى أبى ومالك بن الربيع بن مالك حدّثانى جميعا عن الرَّبيع ابن مالك بن أبى عامر عن أبيه أنه قال :

بينَا نحن جُلُوسٌ عند حَسّان بن ثابت، وحسّان مضطجعٌ مُسْنِدٌ رِجْلَيه الى فَارِعٍ[4] قد رفعهما عليه، إذ قال : مَهْ ! أمَا رأيتم ما مرَّ بكم الساعةَ؟ قال مالك : قلنا : لا والله، وما هو ؟ فقال حسّان : فَاخِتَةٌ[5] مَرَّتْ الساعةَ بينى و بين فارع فصدمتنى، أو قال : فزَحَمتنى . قال : قلنا : وما هى ؟ قال :

(١) رجعنا الى هذه القصيدة فى ديوانه فلم نجد فيها شيئا من الرثاء، وكلها فى مدح عائشة والاعتذار عما رماها به هو وغيره من الإفك . (راجع ديوانه صفحة ١٦٢ من هذا الجزء) وهى غير القصيدة التى رثى بها ابنته و إن كانت على قافيتها . (٢) رواية الديوان : « حصان رزان الخ » . وامرأة رزان اذا كانت ذات ثبات ووقار وعفاف وكانت رزينة فى مجلسها . وامرأة حصان (بفتح الحاء) : عفيفة بينة الحصانة . (٣) الغرثى : الجائعة ؛ أى إنها تصبح جائعة من لحوم الناس . والمراد أنها لا تغتابهم . (٤) فارع : اسم أُطم، وهو حصن بالمدينة كان لحسان بن ثابت . (٥) الفاختة : واحدة الفواخت، وهى ذوات الأطواق من الحمام ؛ قيل لها ذلك للونها لأنه يشبه الفَخْت الذى هو ضوء القمر .

١١/٤

ستأتيكمُ غدْوًا أحاديثُ جَمَّةٌ * فأَصغُوا لها آذانَكم وتَسَمَّعُوا

قال مالك بن أبى عامر : فصبَحَنا من الغد حديثُ صِفِّين .

سمعه المغيرة بن شعبة ينشد شعرا فبعث إليه بمال

أخبرنا وكيع قال حدّثنا اللّيث بن محمد عن الحَنْظَلىّ عن أبى عَبْدةَ عن العَلاء ابن جَزْء العَنْبَرىّ قال :

بينَا حَسّان بن ثابت بالخَيْف وهو مكفوفٌ ، إذ زَفَر زَفرةً ثم قال :

وكأنّ حافرَها بكلّ خَمِيلةٍ[1] * صاعٌ يَكِيلُ به شَحِيحٌ مُعْدِمُ

عارِى الأَشَاجِعِ[2] من ثَقيفٍ أصلُه * عبدٌ ويزعُمُ أنّه مِن يَقْدُمِ[3]

قال : والمُغيرة بن شُعبة جالسٌ قريباً منه يسمَع ما يقول ، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم . فقال : مَنْ بَعَث بهذا ؟ قال[4] : المُغيرة بن شُعْبة سمِع ما قلتَ . قال : واسَوْءتاه ! وقَبِلها .

استجار الحارث ابن عوف من شعره بالنبى

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى الأَصمعىّ قال :

جاء الحارث بن عَوْف بن أبى حارثةَ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : أَجِرْنى من شعر حسّان ، فلو مُزِج البحرُ بشِعْره لمَزَجه . قال : وكان السببُ فى ذلك — فيما أخبرنى به أحمد بن عبد الله العزيز عن عمر بن شبّة عن الأصمعىّ ، وأخبرنى به الحسن ابن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عمّى مُصْعَب — أنّ الحارث بن عَوْف أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : ابْعَثْ معى

(١) الخميلة : الأرض السهلة التى تنبت ، شبه نبتها بخمل القطيفة . (٢) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف ، وقيل : هى عروق ظاهر الكف ، واحدها : أشجع . (٣) يقدم : أبو قبيلة ، وهو يقدم بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وهو يحتمل أن يكون بضم الميم ، فيكون علما منقولا عن جملة ، نحو * نبئت أخوالى بنى يزيدُ * وأن يكون بكسرها ، وبفتحها على أنه ممنوع من الصرف ، فيكون فيه إقواء . (٤) كذا فى جميع الأصول . وكان الأولى أن يكون « قيل » أو « قالوا » .

مَنْ يدعو إلى دِينك وأنا له جار . فأرسل معه رجلاً من الأنصار . فغَدَرتْ بالحارث عشيرتُه فقتلوا الأنصاريَّ ، فقَدِم الحارثُ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤنّب أحدًا فى وجهه ، فقال : « ادْعُوا لى حسّان » ، فدُعى له . فلمّا رأى الحارثَ أنشده :

٥

يا حارِ مَنْ يَغْدُرْ بذِمّة جاره * منكُمْ فإنّ محمّدًا لم يَغْدِرِ

إنْ تَغْدُروا فالغَدْرُ منكم شِيمةٌ * والغدرُ ينبُت فى أُصول السُّخْبُرِ[1]

فقال الحارثُ : اكْفُفْه عنّى يا محمد ، وأُؤدّى إليك دِيَةَ الخُفارة[2] ؛ فأدّى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم سبعين عُشَرَاء[3] ، وكذلك دِيةُ الخُفَارة ، وقال : يا محمد ، أنا عائذٌ بك من شَرّه ، فلو مُزِج البحرُ بشِعْره مزجَه .

أنشد شعرا بلغ النبى فآله فضربه ابن المعطل وعوّضه النبى

١٠

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى إبراهيم بن المُنذِر قال حدّثنا عبد الله بن وَهْب قال أخبرنا العَطّاف بن خالد قال :

كان حسّان بن ثابت يجلس إلى أُطُمِه فارِع ، ويجلس معه أصحابٌ له ويَضع لهم بِساطًا يجلِسون عليه ؛ فقال يومًا ، وهو يرى كثرةَ مَنْ يأتى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من العرب فيُسْلِمون :

١٥

(١) السخبر : شجر إذا طال تدلت رءوسه وانحنت ، وقيل : هو شجر من شجر الشام له قضب مجتمعة وجرثومة . وفى اللسان يقال : ركب فلان السخبر إذا غدر ، وذكر البيت .

(٢) الخفارة (مثلثة الخاء) : الذمام .

(٣) العشراء من النوق : التى مضى على حملها عشرة أشهر ، وقيل : ثمانية .

أرى الجَلَابيبَ[1] قد عَزُّوا وقد كَثُرُوا * وابنُ الفُرَيْعَةِ امسَى بَيْضَةَ[2] البَلَدِ

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " مَنْ لى بأصحاب البِساط بفارع ؟ " . فقال صَفْوان بن المعَطَّل : أنا لك يا رسول الله منهم ؛ فخرج إليهم فاخترط سيفَه ، فلمّا راوْه عَرَفوا الشرّ فى وجهه ففرّوا وتبدّدوا ، وأدرك حَسّانَ داخلاً بيتَه ، فضربه وفَلَق أَلْيَتَه . قال : فبلَغنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم عوّضه وأعطاه حائطا[3] ، فباعه من مُعاوية بعد ذلك بمالٍ كثير ، فبناه معاوية قصرًا ، وهو الذى يقال له : «قصر الدّارَين» . وقد قيل : إنّ صَفْوان بن المُعَطَّل إنما ضرب حسّان لِما قاله فيه وفى عائشة زَوْجِ النبيّ صلى الله عليه وسلم من الإفْك[4] ؛ لأن صفْوان هو الذى رَمَى أهلُ الإفك عائشة به .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول ، وهو الموافق لما فى الطبرى (ص ١٥٢٦ من القسم الأوّل) واللسان مادة «بيض» والتنبيه : (ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية) والأضداد فى اللغة (ص ١١٨ طبع بيروت) . وقال البكرى فى التنبيه : «وكان المنافقون يسمون المهاجرين رضى الله عنهم الجلابيب» . وفى اللسان : «أراد بالجلابيب سِفْلة الناس وغَثْراءهم» . وفى س ، وتاج العروس شرح القاموس (ج ٥ ص ١٢) والديوان : «الخلابيس» . وقال فى الشرح : «الخلابيس : الأخلاط من كل وجه» . (انظر ديوانه المطبوع فى ليدن سنة ١٩١٠ ص ٩١) .

(٢) العرب تقول للرجل : هو بيضة البلد ، يمدحونه بذلك ، وتقول للآخر : هو بيضة البلد ، يذمونه بذلك . والممدوح يراد به البيضة التى يحضنها الظليم ويقيها ؛ لأن فيها فرخه . والمذموم يراد به البيضة المنبوذة بالعراء المذرة التى لا حافظ لها ولا يدرى لها أب وهى تريكة الظليم . قال الرمّانى : إذا كانت النسبة إلى مثل المدينة ومكة والبصرة فبيضة البلد مدح ، وإذا نسب إلى البلاد التى أهلها أهل ضعة فبيضة البلد ذم .

(٣) الحائط : البستان . وفى كتاب التنبيه للبكرى : فأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم عوضا : بيرحاء (وهى قصر بنى جُدَيلة اليوم بالمدينة) ، وسيرين (أمة قبطية وهى أم عبد الرحمن بن حسان رضى الله عنهما) . وسيذكر المؤلف هذه الرواية فى ص ١٦٢ من هذا الجزء .

(٤) يعنى أبو الفرج بالإفك هنا الحديث الذى تخرّصه قوم على عائشة رضى الله عنها ، وكان ذلك عقب غزوة غزاها النبى صلى الله عليه وسلم كان يستصحب فيها عائشة ؛ فحدث أنه أمر بالرحيل ، وكانت عائشة منطلقة لبعض شأنها ، فأمر بهودجها فحمل على بعيره ، وظن القوم أنها فيه ولم تكن هناك . فلما رجعت عائشة الى الهودج ألفت النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد ارتحلوا ؛ فمكثت مكانها حتى عثر بها صفوان بن المعطل ؛ فرجعها الى المدينة ؛ فأرجف بها أُناس ورموها بالإفك ، وكان منهم حسان بن ثابت رضى الله عنه .

وأخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عُتْبةَ قال :

اعترضَ صَفْوان بن المُعَطَّل حسّان بن ثابت بالسَّيْف لما قَذَفه به من الإفْك حين بلَغه ما قاله . وقد كان حسّان قال شِعْرًا يعرِّض بآبن المعطَّل و بمن أسلَم من العرب من مُضَر فقال :

أمسَى الجَلابِيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا * وآبنُ الفُرَيْعةِ أمسَى بَيْضَةَ البَلَدِ
قد ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَنْ كنتُ صاحبَه * أو كان مُنْتَشِباً فى بُرْثُنِ الأَسَدِ
ما للقتيلِ الذى أَعدُو فآخُذُه * من دِيَةٍ فيه أُعطِيها ولا قَوَدِ[1]
ما البحرُ حين تَهُبُّ الرِّيحُ شَامِيَةً[2] * فَيَغْطَئِلُّ[3] ويَرْمِى العِبْرَ بالزَّبَدِ
يومًا بأغلبَ مِنِّى حين تُبْصِرُنى * بالسيف أَفْرِى كفَرْيِ العارِضِ[4] البَرِدِ

فاعترضه صَفْوان بن المعطَّل بالسيف فضربه وقال :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْف عنِّى فإنّنى * غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ

قبض ثابت بن قيس على ابن المعطل لضربه له، ثم انتهى الأمر إلى النبي فآسترضاه

وحدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا [آبن] حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِىّ :

أنّ ثابت بن قيس بن الشَّمّاس أخا بَلْحارث بن الخَزْرَج وَثَب على صَفْوان بن المعطَّل فى ضَرْبه حسّان فجمع يديه على عُنُقه، فآنطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج، فلَقِيَه عبدُ الله بن رَوَاحةَ فقال : ما هذا ؟ فقال : ألَا أُعْجِبُك[5] ! ضَرَب

(١) القود : القصاص . (٢) فى ديوانه ص ٦٢ : « شاملة » . (٣) كذا فى ديوانه . واغطالّ الشيء : ركب بعضه بعضا . وفى حـ : « فيغضئل » بالغين والضاد المعجمتين . وفى سائر الأصول : « فيعضئل » بالعين المهملة والضاد المعجمة ، وكلاهما تحريف . والعبر : جانب النهر . وعبر الوادى : شاطئه وناحيته . (٤) العارض : السحاب المعترض فى الأفق . وسحاب برد (بكسر الراء) : فيه قر وبرد . (٥) يقال : عجبه بالشيء، اذا نبه على التعجب منه .

حسّانَ بالسيف ! والله ما أُراه إلّا قد قتَله . فقال له عبـد الله بن رَواحةَ : هل علِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بشيء من هذا ؟ قال : لا والله. قال : لقدِ اجترأت ! أَطْلِقِ الرجلَ ، فأطلقه . ثم أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فذَكر ذلك له ، فدعا حسّان وصَفْوان بن المعطّل ؛ فقال ابن المعطّل : يارسولَ الله ، آذاني وهجاني فضربتُه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسّان : "ياحسّان أتَعيبُ على قومى أنْ هداهم الله عزّ وجلّ للإسـلام ! " ، ثم قال : "أَحْسِنْ ياحسّان فى الذى أصابك" . قال : هى لك يا رسول الله .

إيراد المتقدم برواية أخرى مفصلة

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى المَدائنيّ قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن أبيـه إسحاق بن يَسارٍ(١) عن بعض رجال بنى النجّار بمثـل ذلك ، وزاد فى الشعر الذى قاله حسان زيادةً ، ووافقه عليها مُصْعَب الزُّبَيرىّ ، فيما أخبرنا به الحسن بن علىّ ، قال قال حدّثنا أحمد ابن زُهَير قال حدّثنـا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى عمى مُصْعَب فى القصّـة ، فذكر أنّ فِتيةً من المهاجرين والأنصار تنـازعوا على المـاء وهم يَسْقُون خيولَهم ، فغضب من ذلك حسّان فقال هذا الشعر .

وذكر الزُّهْرِى ، فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجَعْد ، قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبى قال حدّثنا محمد بن فُلَيح عن موسى بن عُقْبة عن ابن شِهَاب الزُّهْرِىّ أنّ هذا الخبر كان بعد غَزْوة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بنى المُصْطَلِق(٢) . قال :

(١) كذا فى م وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم أول ص ١٥٢٥ طبع أوربا) وهو الصواب ؛ لأنه يعنى محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة . وقد اضطربت بقية الأصول فى هذا السند ؛ ففى س : «محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق عن ابن يسار» . وفى غيرها : «محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق عن يسار» وكلاهما تحريف . (٢) بنو المصطلق : بطن من خزاعة . والمصطلق : لقب جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة ؛ وسمى بالمصطلق لحسن صوته ، وهو أوّل من غنى من خزاعة .

وكان فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ يقال له : سِنَانٌ[1] ، ورجل من بنى غِفَار يقال له : جَهْجاه[2] ؛ فخرج جَهْجاهٌ بفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفَرَس له يومئذ يَسْقيهما ، فأوردهما الماء ، فوجد على الماء فِتْيَةً من الأنصار ، فتنازعوا فاقتتلوا ؛ فقال عبد الله بنُ أُبَىّ ابنُ سَلُولَ : هذا ما جَزَوْنا به ، آويناهم ثم هم يُقاتلوننا ! وبلغ حسّانَ بن ثابت الذى بين جَهْجاه وبين الفِتْية الأنصار ، فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الإسلام — وهذا الشعرُ من رواية مُصْعَب دون الزُّهْرِىّ — :

أمسى الجلابيبُ[3] قد عَزُّوا وقد كَثُروا * وٱبنُ الفُرَيعة أمسى بيضةَ البَلَدِ
يمشون بالقول سِرًّا فى مُهَادَنةٍ * تَهَدُّدًا لى كأنّى لستُ من أحَدِ
قد ثَكِلتْ أُمُّه مَنْ كنتُ صاحبَه * أو كان مُنْتَشِبًا فى بُرْثُن الأسَدِ
ما للقتيل الذى أسمو فأقتُلُه * من دِيَةٍ فيه أُعطيها ولا قَوَدِ
ما البحرُ حين تَهُبُّ الريحُ شاميةً * فيَغْطَئِلُّ ويَرْمى العِبْرَ بالزَّبَدِ
يومًا بأغلبَ منّى حين تُبْصِرُنى * أَفْرِى من الغَيْظ فَرْىَ العارضِ البَرِدِ
أمّا قريشٌ فإنّى لستُ تارِكَهم * حتى يُنيبُوا مِنَ الغَيّاتِ بالرَّشَدِ

---

(١) كذا فى سيرة ٱبن هشام (ص ٧٢٦ طبع أوربا) والطبرى (ص ١٥١١ من القسم الأول طبع أوربا) . وفى الأصول : «جعان» . وقد ساق ابن هشام والطبرى هذه القصة هكذا : «فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا ، فصرخ الجهنى : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ؛ فغضب عبد الله بن أبىّ الخ» .

(٢) هو جهجاه بن سعيد الغفارى ، كما فى الطبرى والمعارف لابن قتيبة (ص ١٦٥) . وفى سيرة ٱبن هشام (ص ٧٢٦ طبع أوربا) : «جهجاه بن مسعود» . وفى أسد الغابة : «هو جهجاه بن قيس وقيل ابن سعيد بن سعد بن حرام بن غفار الغفارى من أهل المدينة» .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ ص ١٥٦ من هذا الجزء . وانظر هذا الشعر فى الديوان وسيرة ٱبن هشام (ص ٧٣٨ وفيما تقدم من هذا الجزء (ص ١٥٧) تجده مختلفا عما هنا فى بعض ألفاظه .

ويتركوا اللّاتَ والعُــزّى بمَعْــزِلَةٍ * ويَسْـجُدوا كلُّهم للواحد الصَّـمَدِ
ويَشْهدوا أنَّ ما قال الرسـولُ لهم * حقٌّ ويُوفُوا بعهــد الله فى سَـدَدِ[1]
أَبْلِـغْ بَنِيّ بأنّى قـد تركتُ لهــم * من خير ما تَرَكَ الآباء للــوَلَدِ
الدّارُ واسِــطَةٌ والنخلُ شارعةٌ * والبِيضُ يَرْفُلْنَ فى القَسِّيّ[2] كالبَرَدِ

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ياحسان نَفِستَ[3] علىّ إسلامُ قومى " وأغضبه كلامُه . فغدا صفوان بن المعطَّل السُّلَمىّ على حسّان فضربه بالسيف. وقال صفوان :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْـفِ عنّى فإننى * غلامٌ اذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ

فوثب قومُه على صَـفْوان فحبسوه ، ثم جاءوا سـعدَ بن عُبادةَ بن دُلَيْم بن حارثة بن أبى حَزِيمَـةَ[4] بن ثعلبـة بن طَرِيف[5] بن الخَزْرَج بن سَاعِدَةَ بن كَعْب بن الخَزْرَج بن حَارِثَةَ بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وهو مُقْبِلٌ على نَاضِحه بين القَرْيَتَيْن ، فذكروا له ما فعَل حسّان وما فعلوا؛ فقال: أشاورتُم فى ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا لا . فقعد إلى الأرض . وقال : وَا ٱنْقِطاعَ ظَهْراه! أتأخذون بأيديكم ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين ظَهْرَانَيْكم! ودعا بصَفْوان فأُتى به ، فكساه وخلّاه . فجاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ كَسَاكَ كساه الله " . وقال حسّان لأصحابه : احملونى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) السدد : القصد . (٢) القسىّ : ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر؛ نسبت الى قرية على ساحل البحر قريبا من تِنِّيس يقال لها القس (بفتح القاف وكسرها) .
(٣) نفس عليه الشىء : حسده عليه ولم يره أهلا له . (٤) كذا فى حـ ، وهو الموافق لما فى القاموس (مادة حزم) وطبقات ابن سعد (ج ٥ قسم ٢ ص ١١٥) . وفى سائر الأصول : «خزيمة» بالخاء المعجمة، وهو تصحيف . (٥) كذا فى الطبقات . وفى الأصول : «ظريف» بالظاء المعجمة .

أَرْضَاه ففعلوا، فأعرض عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ، فردّوه. ثم سألهم حملوه إليه الثانية، فأعرض عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فانصرفوا به . ثم قال لهم : عُودوا بي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا له : قد جئنا بك مرّتين كلّ ذلك يُعرِض فلا نُبْرِمُه[1] بك. فقال : احملوني إليه هذه المرّةَ وحدَها، ففعلوا . فقال : يارسولَ الله، بأبي أنت وأُمّي! احْفَظْ قولي :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه * وعند الله في ذاك الجزاءُ

فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضي * لِعرض محمدٍ منكم وِقاءُ

فرضِي عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ووَهَب له سِيرِينَ[2] أُخت ماريةَ أُمِّ ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيمَ . هذه روايةُ مُصعب[3] . وأمّا الزُّهْرِيُّ فإنّه ذكر أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمّا بلغه ضربُ السُّلَمِيِّ حسّانَ قال لهم : "خُذُوه فإنْ هلك حسّان فاقتلوه". فأخذوه فأسروه وأَوْثقوه، فبلغ ذلك سعدَ بنَ عُبادةَ، فخرج في قومه إليهم فقال : أَرْسِلُوا الرجلَ ، فأَبَوْا عليه، فقال : أعمدتم إلى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم تُؤْذُونهم وتَشْتُمونهم وقد زعمتم أنكم نصرتموهم! أَرْسِلُوا الرجلَ، فأبوا عليه حتى كاد يكون قتالٌ، ثم أرسلوه. فخرج به سعدٌ إلى أهله فكساه حُلّةً، ثم أرسله سعدٌ إلى أهله. فبلغنا أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم دخل المسجد لِيُصَلِّيَ فيه، فقال : "مَنْ كساكَ كساه اللهُ من ثياب الجنّة" . فقال : كساني سعد ابن عُبادة . وذكر باقيَ الخبر نحوه .

(١) أبرمه : أضجره وأمله . (٢) كذا في الأصول وسيرة ابن هشام (ص ٧٣٩ طبع أوروبا) والطبري (ص ١٠٢٨، ١٠٩١، ١٧٨١ قسم أول) والإصابة لابن حجر العسقلاني (ج ٨ ص ١١٨) والتنبيه للبكري (ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية)، وضبطها الزرقاني أيضا في شرحه على المواهب (ج ٣ ص ٢٢٥ طبع بولاق) بقوله : «سيرين بكسر السين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الراء» . وفي تاريخ ابن الأثير (ج ٢ ص ١٥٢) ومعجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٧٨٤) : «شيرين» بالشين المعجمة . (٣) في الأصول : «أبي مصعب» وهو تحريف .

وحدّثنى محمد بن جرير الطبرى قال حدّثنى ابن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عِوَضًا منها بيرحاء[1]، وهى قصرُ بنى حُدَيْلة[2] اليومَ بالمدينة، كانت مالًا لأبى طَلْحةَ[3] بن سَهْل تَصَدَّق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاه حسّانَ فى ضَرْبته، وأعطاه سِيرِينَ (أَمَةً قِبْطيّة) فولدتْ له عبدَ الرحمن بن حسّان. قال: وكانت عائشة تقول: لقد سُئل عن صَفْوان ابن المُعَطَّل، فإذا هو حَصُورٌ (لا يأتى النساء)، قُتِل بعد ذلك شهيدًا. قال ابن إسحاق فى روايته عن يعقوب بن عُتْبَةَ : فقال حسّان يعتذر من الذى قال فى عائشة :

شعره فى مدح عائشة والاعتذار عما رماها به.

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ * وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحُومِ الغَوَافِلِ
فإنْ كنتُ قد قلتُ الذى قد زعمتُمُ * فلا رفعتْ سَوْطِى إلىَّ أَنَامِلِى
وكيفَ ووُدِّى من قديمٍ ونُصْرَتِى * لِآلِ رسولِ الله زَيْنِ المَحَافِلِ
فإنّ الّذى قد قِيلَ ليس بِلَائطٍ[4] * ولكنّه قولُ امرئٍ[5] بِىَ مَاحِلِ[6]

(١) فى النهاية لابن الأثير (مادة برح) : « هذه اللفظة كثيرا ما تختلف ألفاظ المحدّثين فيها، فيقولون : بيرحاء بفتح الباء وكسرها وبفتح الراء وضمها والمدّ فيهما وبفتحهما والقصر، وهى اسم مال وموضع بالمدينة » . (٢) كذا فى اللسان (مادة جدل) ومعجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٧٨٤ طبع أوربا) وتاريخ ابن الأثير (ج ٢ ص ١٥٢ طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ص ٧٣٩ طبع أوربا). وقد جاء فى اللسان : «حديلة بضم الحاء وفتح الدال، هى محلة بالمدينة نسبت الى بنى حديلة بطن من الأنصار» . وفى الأصول وكتاب التنبيه للبكرى (ص ٧٦) : «جديلة» بالجيم المعجمة، وهو تصحيف . (٣) كذا فى اللسان (مادة برح) ومعجم البلدان (ج ١ ص ٧٨٤ طبع أوربا) وسيرة ابن هشام . وفى الأصول : «لطلحة» بدون «أبى» وهو تحريف . (٤) كتب فى حـ بين السطور بخط رميع فوق هذه الكلمة تفسيرا لها : «لائق» . وفى اللسان (مادة ليط) : « ... أبو زيد : يقال : ما يليط به النعيم ولا يليق به، معناه واحد» . (٥) رواية الديوان : «بك الدهر بل سعى امرئ بك ماحل» (٦) محل به الى السلطان محلا ومحالا : كاده بسعاية إليه.

هجاه رجل بما فعل به ابن المعطل

قال الزبير وحدثني محمد بن الضحاك : أن رجلاً هجا حسان بن ثابت بما فعل به ابن المُعَطَّل فقال :

وإنّ ٱبنَ المُعَطَّلِ من سُلَيْمٍ * أَذَلَّ قِيادَ رأسِك بالخِطَامِ[1]

سبه أناس فدافعت عنه عائشة

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عُمَر بن شَبَّة قال أخبرنا أبو عاصم قال أخبرنا ٱبن جُرَيْج قال أخبرني محمد بن السائب عن أمّه : أنها طافتْ مع عائشة ومعها أُمُّ حكيم وعاتكة : (ٱمرأتان من بني مخزوم) . قالت : فٱبْتَدَرْنا حسّانَ نَشْتُمه وهو يطوف ؛ فقالتْ : أٱبْنَ الفُرَيْعةِ تَسُبَّبْنَ ! قلنَ : قد قال فيك فبرّأكِ الله . قالت : فأين قولُه :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه * وعنـد الله في ذاك الجزاءُ

فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضي * لِعِرْضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زُهَيْر قال حدثني إبراهيم بن المُنْذِر عن سُفْيان بن عُيَيْنَةَ عن محمد بن السائب بن بَرَكَةَ عن أمّه نحو ذلك ، وزاد فيه : إني لأرجو أن يُدْخِله الله الجنّة بقوله .

أخبرني الحسن قال حدثنا الزبير عن عبد العزيز بن عمْران عن سُفيان بن عُيينة وسَلْم بن خالد عن يوسف بن مَاهَك عن أُمّه قالت :

كنتُ أطوف مع عائشة بالبيت ، فذكرتُ حسّان فسبَبْتُه ؛ فقالت : بئس ما قُلْتِ ! أتَسُبِّينَه وهو الذي يقول :

فإنّ أبي ووالده وعِرْضي * لِعِرْضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

---

(١) الخطام : الحبل الذي يقاد به البعير .

فقلت : أليس ممن لَعَن اللهُ فى الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت : لم يَقُلْ شيئا، ولكنه الذى يقول :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنّ بريبةٍ * وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغَوَافِلِ

فإنْ كان ما قد جاء عنّى قلتُه * فلا رفعتْ سَوْطِى إلىَّ أناملى

أخبرنى الحسن قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى مُصْعَب عَمِّى قال حدّثنى بعضُ أصحابنا عن هشام بن عُرْوَة عن أبيه قال :

كنتُ قاعدًا عند عائشة، فمُرَّ بجنازة حسّان بن ثابت فنِلْتُ منه، فقالت : مَهْلًا ! فقلتُ : أليس الذى يقول ! قالت : فكيف بقوله :

فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى * لِعِرْضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

ـاره بلسانه

أخبرنى الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثنى أحمد بن سَلْمان عن سليمان بن حَرْب قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن أيوب[1] عن محمد بن سيرين :

أنّ حسّان أخذ يومًا بطَرَف لسانه وقال : يارسولَ الله، مايسُرّنى أنّ لى به مِقْوَلًا[2] بين صَنْعاءَ وبُصْرى[3]، ثم قال :

لسانى مِقْوَلٌ لا عيبَ فيه * وبَحْرى ما تُكَدِّره الدِّلاءُ

عن مناصرة ـبة بنت عبد ـيوم الخندق

أخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة قال حدّثنى محمد بن إسحاق عن يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير عن أبيه قال :

---

(١) يريد أيوب بن أبى تميمة السختيانى، كما فى الخلاصة للخزرجى . (٢) كذا فى ب، حـ . والمقول : سيف دقيق له حد ماض . وفى الديوان (ص ٢) : « لسانى صارم ... الخ » . وفى سائر الأصول : « لسانى مقول » . (٣) بصرى : اسم لموضعين : بصرى الشام من أعمال دمشق وهى قصبة كورة حوران، وبصرى بغداد وهى إحدى قراها قرب عكبراء .

كانت صَفيَّةُ بنت عبد المُطّلب فى فارِع (حِصْنِ حسّان بن ثابت)، يعنى يومَ الخَنْدَق . قالت : وكان حسّان معنا فيه والنساء والصِّبْيان . قالتْ : فمرّ بنا رجلٌ من يَهُودَ فجعل يُطيف بالحِصْن، وقد حاربتْ بنو قُرَيْظةَ وقطعتْ ما بينها وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ليس بيننا و بينهم أحدٌ يدفع عنّا، ورسولُ الله والمسلمون فى نُحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم، إذْ أتانا آتٍ . قالت : فقلتُ : يا حسّان، إنّ هذا اليهوديّ كما ترى يُطيفُ بالحِصْن، وإنّى والله ما آمَنُه أن يَدُلّ على عَوْرَاتنا مَنْ وراءنا مِنْ يَهُودَ، وقد شُغِل عنّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه، فَٱنْزِلْ اليه فٱقْتُلْه ؛ فقال : يَغْفِرُ اللهُ لكِ يا بنةَ عبد المُطّلب ! لقد عَرَفْتِ ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلمّا قال ذلك ولم أرَ عنده شيئا ٱحتَجَزْتُ[1] ثم أخذتُ عمودًا ثم نزلتُ إليه من الحِصْن فضربتُه بالعمود حتى قتلتُه، فلمّا فرغت منه رجعت الى الحصن، فقلت : يا حسّان، ٱنزِلْ إليه فاسْلُبْه ؛ فإنّه لم يمنعنى من سَلْبِه إلّا أنّه رجلٌ . قال : مالى بِسَلْبِه من حاجةٍ يا بنتَ عبد المطّلب .

حديث ابن ا[لزبير] عن يوم الخنـ[ـدق] وفى حديثه ما [يدل على] جبن حسا[ن]

وأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا علىّ بن صالح عن جَدّى عبد الله بن مُصْعَب عن أبيه قال :

كان ابن الزُّبير يحدِّث أنه كان فى فَارِعٍ (أُطُمِ حسّان بن ثابت) مع النساء يوم الخندق ومعهم عُمَرُ بن أبى سَلَمَة . قال ٱبن الزُّبير : ومعنا حسّان بن ثابت ضاربًا وَتِدًا فى آخر الأُطُم ، فإذا حَمَل أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على المشركين حَمَل على الوَتِد فضربه بالسيف ؛ وإذا أقبل المشركون ٱنحاز عن الوَتِد حتّى كأنه يُقاتل قِرْنًا ، يتشبّه بهم كأنّه يُرى أنّه مُجاهِدٌ حين جَبُن . وإنّى لأظلم ٱبنَ أبى سلمة

(١) يقال : احتجز بردائه ، إذا شدّه على وسطه .

١٦ / ٤

وهو أكبرُ منّى بسنتين فأقول له : تحملُنى على عُنقك حتّى أنظُرَ، فإنّى أحمِلُك إذا نزلتُ. قال : فإذا حملنى ثم سألنى أن يركب قلتُ له : هذه المرّةَ أيضا. قال : وإنّى لأنظر إلى أبى مُعْلَماً بصُفْرة، فأخبرتُها أبى بعدُ، فقال : [أين كنتَ حينئذ؟ فقلتُ : على عُنُق ابن أبى سَلَمَة يحملُنى . فقال] : أَمَا والّذى نفسى بيده إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ليَجْمَع لى أبوَيْه .(٢) ٥

قال ابن الزُّبير : وجاء يهودىٌّ يرتقى إلى الحصْن . فقالت صَفيّة له : أعطِنى السيف، فأعطاها . فلمّا ارتقى اليهودىّ ضربتْه حتّى قتلتْه، ثم احتَزّتْ(٣) رأسَه فأعطته حسّانَ وقالتْ : طوِّحْ به ؛ فإنّ الرجلَ أقوى وأشدُّ رميةً من المرأة . تريد أن تُرْعِبَ به أصحابَه .

كان حسان مقطوع الأكحل.

قال الزُّبَير : وحدّثنى عَمّى عن الوَاقِدىّ قال : كان أكحَلُ(٤) حسّانَ قد قُطِع فلم يكن يَضْرِب بيده . ١٠

أنشد النبي شعرا فى شجاعة فضحك

قال الزُّبير وحدّثنى علىّ بن صالح عن جَدّى أنّه سَمِع أن حَسّانَ بن ثابت أنشد رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم :

لقد غدوتُ أمامَ القوم مُنتطِقاً * بِصَارِمٍ مثلِ لَوْنِ المِلْحِ قَطّاعِ
يَحفِزُ(٥) عنّى نِجادَ السيفِ سابغةٌ(٦) * فَضْفَاضةٌ(٧) مثلُ لَوْنِ النِّهْيِ بالقاعِ ١٥

(١) هذه العبارة موجودة فى س وساقطة من سائر الأصول . (٢) يعنى أن النبي صلوات الله عليه كان يقول له : فداك أبى وأمى . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب، س : «اجتزت» بالجيم المعجمة . وما اخترناه أصوب فى هذا المقام ؛ لأن الحز قطع العنق ونحوه، والجز للشعر والحشيش ونحوهما . (٤) الأكحل : عرق فى وسط الذراع ؛ قال ابن سيده : يقال له عرق النسا فى الفخذ، وفى الظهر الأبهر، ويسمى : عرق الحياة ونهر البدن . (٥) يحفز : يدفع . (٦) يقال : درع سابغة، اذا كانت طويلة تامة . (٧) فضفاضة : واسعة . والنهى : الغدير . وفى الديوان (ص ٦٦ طبع أوربا) ورد هذا الشطر هكذا : * تنفى الأنامل مثل النهى بالقاع *
وفسره فى (ص ٩٥) بقوله : « شبه الدرع فى بياضها واطرادها بالغدير » . ٢٠

قال : فضحك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فظنّ حسّان أنه ضحك من صفته نفسَه مع جبنه .

قال النابغة : إنه شاعر والخنساء بكاءة

قال الزُّبير وحدّثنى محمد بن الحسن قال :

قال حسّان بن ثابت : جئتُ نابغةَ بنى ذُبْيان ، فوجدتُ الخنساءَ بنتَ عَمْرو حين قامتْ من عنده ، فأنشدتُه ؛ فقال : إنّك لشاعرٌ ، و إنّ أُختَ بنى سُلَيْم لبَكّاءة .

سمعه الحطيئة ينشد فسأله وهو لا يعرفه فأجابه الحطيئة بما لم يرضه

قال الزُّبير وحدّثنى يحيى بن محمد بن طَلْحة بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصّدّيق قال أخبرنى غير واحد من مَشايخى [1] :

أنّ الحُطَيْئةَ وقَف على حَسّان بن ثابت وحَسّانُ يُنْشِدُ من شعره ؛ فقال له حسّان وهو لا يعرفه : كيف تَسْمَع هذا الشعرَ يا أعرابىّ ؟ قال الحُطَيْئة : لا أرى به بأسًا . فغضب حَسّان وقال : اسْمَعُوا إلى كلام هذا الأعرابىّ ! ما كُنْيتُك ؟ قال : أبو مُلَيْكة . قال : ما كنتَ قطُّ أهْوَنَ علىّ منك حين كُنّيتَ بآمرأة ، فما آسْمُك ؟ قال : الحُطَيْئة فقال حَسّان : امْضِ بسَلام .

اتهمه أعشى بكر عند خمار بالبخل فاشترى كل الخمر وأراقها

أخبرنى محمد بن العباس اليَزيدىّ قال حدّثنى محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقىّ [2] قال حدّثنا عبد الله بن شَبِيب قال حدّثنى الزُّبير ، وأخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنى الزُّبير قال حدّثنى بعضُ القرشيين قال :

دخل حسّان بن ثابت فى الجاهليّة بيتَ خَمّارٍ بالشّأم ومعه أعْشَى بكْر بن وائل ، فاشتريا خمرًا وشَرِبا ، فنام حَسّان ثم آنتبه ، فسَمِع الأعشى يقول للخمّار : كَرِه الشيخ

---

(١) فى الأصول : «من مشايخه» . (٢) الزرقىّ : نسبة الى بنى زريق ، بطن من الأنصار ، وهم بنو زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم الخزرجى . (راجع أنساب السمعانى) .

القَوْمَ . فتركه حسّانُ حتّى نام، ثم اشترى خمر الخمّار كلّها. ثم سكبها فى البيت حتّى سالتْ تحت الأعشى ؛ فعلِم أنّه سَمِع كلامه فاعتذر إليه ؛ فقال حسّان :

وَلَسْنَا بِشَرْبٍ فَوقَهُمْ ظِلُّ بُرْدَةٍ * يُعِدُّونَ لِلْخَمَّارِ تَيْساً ومِفْصَدَا[1]

وَلٰكِنَّنا شَرْبٌ كِرَامٌ إِذَا ٱنْتَشَوْا * أهانوا الصَّرِيحَ[2] والسَّدِيفَ المُسَرْهَدَا

كَأَنَّهُمُ ماتُوا زَمانَ حَلِيمَةٍ[3] * فإِنْ تَأْتِهِمْ تَحْمَدْ نِدَامَتَهُمْ[4] غَدَا

وإِنْ جِئْتَهُمْ أَلْفَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ * مِنَ المِسْكِ والجَادِىِّ[5] فَتِيتاً مُبَدَّدَا

تَرَى حَوْلَ أَثْنَاءِ الزَّرَابِىِّ[6] ساقِطاً * نِعَالاً وقُسُّوباً[7] ورَيْطاً[8] مُنَضَّدَا

وذا نُمْرُقٍ[9] يَسْعَى ومُلْصِقَ خَدِّهِ * بِدِيباجَةٍ تَكْفافُها قد تَقَدَّدَا

(١) كذا فى أكثر من خمس نسخ مختلفة من ديوانه . والمفصد : آلة الفصد . يريد أنهم ملوك لا يفصدون التيس ويأكلون دمه . وفى الأصول : « ومقصدا » بالقاف وهو تصحيف . وفى أكثر نسخ الديوان : « للحانوت » بدل « للخمار » . (٢) رواية الديوان :

ملوك وأبناء الملوك اذا انتشوا * أهانوا الصبوح والسديف المسرهدا

والصريح : اللبن ذهبت رغوته . والسديف : لحم السنام، وقيل شحمه . والمسرهد : السمين من الأسنمة . (٣) فى ديوانه : * وتحسبهم ماتوا زمين حليمة * يقول : تراهم من سكرهم كأنهم موتى . وزمان حليمة، يشير به الى أحد أيام العرب المعروفة ، وهو يوم التقى المنذر الأكبر والحارث الأكبر الغسانى . والعرب تضرب به المثل فى كل أمر متعالم مشهور ، والشريف النابه الذكر، فتقول : « ما يوم حليمة بسر » . وحليمة هذه هى بنت الحارث بن أبى شمر . وسبب إضافة اليوم اليها أنها أخرجت طيبا فى مِركَن فطيبت به جيش أبيها الذى وجّه به الى المنذر . قال النابغة يصف سيوفا :

تُوُرِّثن من أزمان يوم حليمة * الى اليوم قد جُرِّبن كل التجارب

(انظر: لسان العرب مادة حلم ونهاية الأرب ج ٣ ص ١٠ طبع دار الكتب المصرية) . (٤) ندامتهم : منادمتهم ومجالستهم . (٥) الجادىّ : الزعفران . (٦) الزرابى : الطنافس . وفى الصحاح : النمارق، الواحد من كل ذلك زربية (بفتح الزاى وسكون الراء) . وقد ورد هذا البيت فى اللسان مادّة قسب وبعض نسخ الديوان هكذا :

ترى فوق أذناب الروابى سواقطا * نعالا وقسوبا وريطا معضدا

(٧) كذا فى ديوانه ولسان العرب . والقسوب : خفاف لا واحد له . وفى الأصول : « قسيا » . (٨) الريط : جمع ريطة ، وهى الملاءة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين، أوهى كل ثوب لين رقيق . (٩) النمرق والنمرقة : وسادة صغيرة يتكأ عليها، وما يفترشه الراكب فوق الرحل، وهو المراد هنا . وفى بعض نسخ الديوان : * وذو نُطَف يسعى ملصق خده * والنطف : القرط . والتكفاف، لعله يريد به الخياطة الثانية بعد الأولى التى هى الشل . وتقدد : تقطع وبلى .

تعييره الحارث بن هشام بفراره عن أخيه وردّ الحارث عليه

وهذه القصيدة يقولها حَسّان بن ثابت فى وَقْعة بَدْرٍ يفخَر بها ويعيّر الحارث ابن هشام بفِرارِه عن أخيه أبى جهل بن هشام . وفيها يقول :

صـــوت

إنْ كُنْتِ كاذبةَ الذى حَدَّثْتِنِى * فنَجَوْتِ مَنْجَى الحارثِ بن هشامِ
تَرَكَ الأَحِبَّـةَ أنْ يُقَاتِلَ دونَهم * ونجَا برأسِ طِمِرَّةٍ (١) ولِجَامِ

— غنّاه يحيى المكىّ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى . ولعَزَّةَ المَيْلاء فيه خفيفُ رملٍ بالبِنْصَر . وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصَر لموسى بن خارجةَ الكوفىّ — فأجاب الحارث ابن هشام ، وهو مشرك يومئذ ، فقال :

صـــوت

اللهُ (٢) يعلَمَ ما تركتُ قِتالَهم * حتّى رَمَوْا فَرَسى بأشْقَرَ (٣) مُزْبِدِ
وعلمتُ أنّى إنْ أقاتِلْ واحـدًا * أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عدوّى مَشْهَدِى
ففَرَرْتُ منهـمْ والأَحِبَّـةُ فِيهِمُ * طَمَعًا لهم بعِقَاب يومٍ مُرْصَـدِ

غَنّى فيه إبراهيم المَوْصِلىّ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبِنْصَر، وقيل : بل هو لفُلَيْح .

تمثل رتبيل بشعر حسان فأنشده الأشعث ردّ الحارث فأعجب به

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنى سليمان بن أيّوب قال حدّثنا محمد بن سلّام عن يونس قال :

---

(١) الطمرة : الأنثى من الجياد . وهى المستفزة للوثب والعدو ، وقيل : الطويلة القوائم الخفيفة .
(٢) انظر هذه الأبيات فى أشعار الحماسة وسيرة ابن هشام (ص ٥٢٣ طبع أوربا) . (٣) الأشقر من الدم : الذى صار علقا ولم يعله غبار . وزبده : البياض الذى يعلوه .

لمّا صار ابنُ الأشعث إلى رُتْبيل[1]، تمثّل رُتْبيل بقول حسّان بن ثابت فى الحارث ابن هشام :

تَرَكَ الأحِبّةَ أنْ يُقَاتِلَ دونَهُمْ * ونجا برأسِ طِمِرّةٍ ولِجامِ

فقال له ابن الأشعث : أوَ ماسمعتَ ماردّ عليه الحارثُ بن هشام ؟ قال : وما هو ؟ فقال قال :

اللهُ يعلَمُ ما تركتُ قتالَهم * حتى رَمَوْا فرسى بأشْقَرَ مُزْبِدِ
وعلمتُ أنّى إنْ أُقاتِلْ واحدًا * أُقتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدُوّى مَشْهَدِى
فصددتُ عنهمْ والأحِبّةُ فيهمُ * طمعًا لهم بعقاب يوم مُرْصَدِ

فقال رُتْبيل : يامعشرَ العرب، حسّنتم كلّ شىء حتى حسّنتم الفِرارَ .

ذكر الخبر عن غزاة بدر

أخبار غزاة بدر

حدّثنى بخبرها محمد بن جرير الطبرى فى المَغَازى قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمةُ قال حدّثنى محمد بن إسحاق قال حدّثنى محمد بن مُسْلِم الزُّهْرىّ وعاصم بن عُمَر بن قَتادةَ وعبدُ الله بن أبى بكر ويزيد بن رُومانَ عن غَزْوةِ بدْرٍ وغيرُهم من علمائنا عن عبد الله بن عبّاس، كلٌّ قد حدّثنى بعضَ هذا الحديث، فاجتمع حديثُهم فيما سمعتُ من حديث بدر، قالوا :

(١) رتبيل (ويقال فيه زنبيل كما فى الطبرى وابن الأثير) : صاحب الترك، كان بنواحى سجستان، وقد غزاه فى سنة ٧٩ هـ عبيد الله بن أبى بكرة، وكان واليا بسجستان، وتوغل فى بلاده وأصاب منه غنائم وأموالا وهدم قلاعا وحصونا . وغزاه فى سنة ٨٠ هجرية عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث من قبل الحجاج، فدخل بلاده وأخذ منها الغنائم واستولى على الحصون . وكتب إلى الحجاج بذلك ويشير عليه ألا يتوغل فى البلاد؛ فأبى الحجاج ذلك وكتب له ثلاثة كتب يأمره فيها بمحاربته والتوغل فى بلاده؛ وكان من جراء ذلك أن خرج عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج وبايعه الناس، وكان من أمرهما ما كان مما تراه مفصلا فى كتب التاريخ .

ندب النبي المسلمين للسير واستنفار أبي سفيان لقريش

لمّا سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأبي سُفيان مُقبِلًا من الشام ندَب المسلمين إليهم، وقال: "هذه عِيرُ قريش فيها أموالُهم فاخرُجوا إليها، فلعلّ الله أن يُنفِّلَكُموها"(١). فانتدب الناسُ، فخفّ بعضُهم وثقُل بعضهم، وذلك أنّهم لم يظنّوا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَلْقَى حربا. وكان أبو سفيان استقدم حين دنا من الحجاز وجعل يتجسّس(٢) الأخبارَ، ويسأل مَنْ لَقِيَ من الرُّكبان، تخوُّفًا على أموال الناس، حتى أصاب خبرًا من بعض الرُّكبان أنّ محمدا استنفر أصحابَه لك ولعيرك، فحذِر(٣) عند ذلك فاستأجر ضَمْضَمَ بن عَمْرو الغِفاريّ فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتيَ قريشًا يستنفِرهم إلى أموالهم ويُخبِرُهم أنّ محمدًا قد عرَض لها في أصحابه؛ فخرج ضمضم بن عمرو سريعًا إلى مكة.

١٨/٤

رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

قال ابن إسحاق: وحدّثني مَنْ لا أتّهِمُ عن عِكْرِمة مولى ابن عبّاس ويزيد بن رُومان عن عُروةَ بنِ الزُّبَير قال(٤): وقد رأتْ عاتكةُ بنت عبد المُطّلب قبل قدوم ضمضم [مكّةَ](٥) بثلاثِ [ليالٍ](٥) رُؤيا أفزعتْها، فبعثت إلى أخيها العبّاس بن عبد المطلب، فقالت: يا أخي، والله لقد رأيتُ الليلةَ رؤيا أفظعتني وتخوّفتُ أن يدخلَ على قومك [منها](٥) شرٌّ أو مُصيبة، فاكتُمْ عنّي(٦) ما أحدّثك. قال لها: وما رأيتِ؟ قالت: رأيتُ راكبًا أقبل على بعيرٍ له حتى وقف بالأبطح، ثم صرَخ بأعلى صوته: أن انفِروا

(١) نفّله النفل ونفّله (بالتضعيف) وأنفله: أعطاه الغنيمة أو الهبة.

(٢) في ح والسيرة: «يتحسس» (بالحاء المهملة). والتجسس والتحسس كلاهما بمعنى واحد وهو تطلّب الأخبار والبحث عنها.

(٣) في السيرة (ص ٤٢٨ طبع أوروبا): «فحذر».

(٤) الذي في السيرة: «عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قالا». وعكرمة هذا هو عكرمة أبو عبد الله البربري مولى ابن عباس ويروى عنه.

(٥) الزيادة عن سيرة ابن هشام. (٦) كذا في السيرة. وفي الأصول: «على».

يا آلَ غُدَرَ(١) لمصارعكم فى ثلاث؛ وأرى(٢) الناسَ قد آجتمعوا إليه، ثم دخل المسجد والناسُ يتبعونه؛ فبينما هُم حولَه مَثَلَ به بعيرُه على ظهر الكعبة، ثم صرخ بأعلى صوته: انْفِرُوا يا آلَ غُدَرَ لمصارعكم فى ثلاث، ثم مَثَل به بعيرُه على رأس أبى قُبَيْس فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرةً فأرسلها فأقبلتْ تَهْوِى، حتّى إذا كانت بأسفل الجبل آرفَضّتْ(٣)، فما بَقِىَ بيتٌ من بيوت مكةَ ولا دارٌ من دُورها إلّا دخلتْها منها فِلْقة. قال العباس: إنّ هذه لَرؤيا، وأنتِ فآكْتُميها ولا تذكريها لأحد. ثم خرج العبّاس فلَقِىَ الوليدَ بن عُتْبة ابن ربيعة، وكان له صديقًا، فذكرها [له](٤) وآستكتمه إيّاها؛ فذكرها الوليدُ لأبيه عُتْبة، ففشا الحديثُ [بمكة](٤) حتى تحدثتْ به قريش. قال العبّاس: فغدوتُ أطوف بالبيت، وأبو جهل بن هشام ورهطٌ من قريش قُعُودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة. فلمّا رآنى أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغتَ من طَوَافك فأقبِلْ إلينا؛ فلمّا فرغتُ أقبلتُ إليه حتى جلست معهم. فقال لى أبو جهل: يا بنى عبد المطّلب(٥)، متى حَدَثتْ فيكم هذه النّبِيّة؟! قال: قلتُ: وما ذاك؟ قال: الرؤيا التى رأتْ عاتكة. قلت: وما رأتْ؟ قال: يا بنى عبد المطّلب، أما رضيتم أن تتنبّأ رجالُكم حتى تتنبّأ نساؤكم! قد زعمتْ عاتكة فى رؤياها أنّها(٦) قالت: انفِروا فى ثلاث؛ فسنتربّص بكم هذه الثلاثَ؛ فإن يكن ما قالتْ حقًّا فسيكون، وإن تَمْضِ الثلاثُ ولم يكن من ذلك شىء نَكْتُبْ كتابًا عليكم أنكم أكذَبُ أهلِ بيتٍ فى العرب. قال العبّاس:

(١) عدر: كصرد، وأكثر ما يستعمل فى النداء فى الشتم؛ فيقال للفرد يا غدر، وللجمع يا آل غدر. وقال ابن الأثير: غدر معدول عن غادر للمبالغة. ويقال للذكر: غدر، والأنثى غدار (كقطام)؛ وهما مختصان بالنداء فى الغالب. (٢) فى السيرة: «فأرى». (٣) ارفضت: تفرقت. (٤) الزيادة عن سيرة ابن هشام. (٥) كذا فى السيرة. وفى الأصول: «يا بنى عبد مناف». ولا يخفى أن عبد مناف جد عبد المطلب. (٦) فى سيرة ابن هشام: «أنه قال انفروا الخ» ويكون المراد بضمير المذكر الهاتف الذى رأته.

فوالله ما كان إليه منّى كبيرٌ إلّا أن جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأت شيئا . قال :
ثم تفرّقنا . فلمّا أمسينا لم تبقَ امرأةٌ[(١)] من بنى عبد المُطَّلب إلّا أتتنى فقالت :
أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ، و يتناول النساءَ وأنت تسمع ، ولم يكن
عندك غيرٌ[(٢)] لشىء ممّا سمعتَ ؟ ! قلتُ : قد والله فعلتُ ، ما كان منّى إليه من كبير ،
٥ وأيْمُ الله لأتعرّضنّ له ، فإنْ عاد لأكْفِيَنّكُنّه[(٣)] . قال : فغدوتُ فى اليوم الثالث من
رؤيا عاتكة وأنا حَديدٌ مُغْضَبٌ أرَى [أنّى][(٤)] قد فاتنى منه أمرٌ أحبُّ أن أُدْرِكَه منه .
قال : فدخلتُ المسجدَ فرأيتُه ، فوالله إنّى لأمشى نحوَه العَرْضَنَةَ[(٥)] ليعود لبعض ما كان
فأُوقعَ به . وكان رجلًا خفيفًا حديدَ الوَجْهِ حديدَ اللّسان حديدَ النَّظَر ، إذ خرج
نحو باب المسجد يشتدّ[(٦)] . قال : قلت فى نفسى : مالَه لَعَنه الله ! أ كُلّ هذا فَرَقًا أنْ
١٠ أُشاتِمه ! فإذا هو قد سمع ما لم أسمَعْ ، صوتَ ضَمْضَم بن عمرو الغِفَارىّ وهو يصرُخ
ببطن الوادى [واقفًا على بعيره قد جدَّع بعيرَه وحوّل رَحْلَه وشقّ قميصَه وهو يقول][(٤)] :
يا معشرَ قريش اللَّطِيمةَ[(٧)] [اللطيمةَ !][(٤)] أموالُكم مع أبى سفيان بن حَرْب قد عَرَض لها
محمد فى أصحابه ، لا أَرَى أنْ تُدرِكوها ! الغَوْثَ الغوثَ ! قال : فشغَلَنى عنه وشغَلَه
عنّى ما جاء من الأمر . قال : فتجهّز الناسُ سِرَاعًا ، وقالوا : لا يظُنّ محمدٌ
١٥ وأصحابُه أن تكون كعِيرِ ابن الحَضْرَمىّ[(٨)] ! كلّا والله ليَعْلَمُنّ غيرَ ذلك ! فكانوا بين
رجلين : إمّا خارجٌ و إمّا باعثٌ مكانَه رجلا . وأوعبتْ قريشٌ فلم يتخلّف من

١٩/٤

خروج قريش وإرسال أبى لهب العاصى بن هشام مكانه.

(١) فى السيرة : « أمسيت » . (٢) مصدر قولك : غار الرجل على امرأته غيرة وغيرًا . (٣) كذا فى السيرة . وفى الأصول : « لأكفينكموه » وهو تحريف إذ الخطاب لجماعة الإناث . (٤) زيادة عن السيرة . (٥) يقال : فلان يمشى العرضنة والعرضنى أى
٢٠ فى مشيته بغى من نشاطه . وفى السيرة لابن هشام : « إنى لأمشى نحوه أتعرضه » . (٦) يشتد : يعدو .
(٧) اللطيمة : العير تحمل الطيب و بز التجار . (٨) هو عمرو بن الحضرمى . وقد أورد ابن هشام فى السيرة (ص ٤٣٠) خبر هذه العير .

أشرافها أحدٌ إلا أبو لَهَب بن عبد المُطلب تخلّف فبعث مكانَه العاصيَ بن هشام ابن المُغيرة، وكان لَطَّ[1] له بأربعة آلاف درهم كانتْ له عليه، فأفلس[2] بها، فاستأجره بها على أن يُجزِئَ عنه بَعْثَه ، فخرج عنه وتخلّف أبو لهب . هكذا فى الحديث .

فذكر أبو عُبَيدة وابنُ الكلبيّ : أنّ أبا لهب قامَر العاصيَ بن هشام فى مائةٍ من الإبل ، فقَمَره[3] أبو لهب ، ثم عاد فقَمَره أيضًا ، ثم عاد فقَمَره أيضا الثالثةَ ، فذهب بكلّ ما كان يَمْلِكه . فقال له العاصى : أرى القِداحَ قد حالفتْك يا بنَ عبد المطّلب ، هلمّ نجعلْها على أيّنا يكون عبدًا لصاحبه؛ قال : ذلك لك؛ فدَحاها[4] فقَمَره أبو لهب، فأسْلَمه قينًا ، وكان يأخذ منه ضريبةً . فلما كان يومُ بَدْرٍ وأخذتْ قريش كلَّ مَنْ لم يخرُج بإخراج رجلٍ مكانَه أخرجه أبو لهب عنه وشَرَط له العِتْقَ؛ فخرج فقتَله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

رجع الحديث إلى وقعة بدر

قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى نَجِيح :

تو بيخ ابن أبى معيط أميــة بن خلف لإجماعه القعــود فخــرج

أنّ أُميَّةَ بن خَلَف كان قد أجمع القعودَ، وكان شيخًا [جليلاً جسيما][5] ثقيلا ، فجاءه عُقْبة بن أبى مُعَيط وهو جالسٌ فى المسجد بين ظَهْرانَى قومه بمِجْمَرةٍ يحملها ، فيها نارٌ ومِجْمَرٌ[6] ، حتّى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علىّ ، استجْمِرْ فإنّما أنت

---

(١) كذا فى هامش تاريخ الطبرى (ص ١٢٩٥ من القسم الأوّل) . ولط الغريم بالحق : ماطل فيه ومنعه ، ولط حقته : جحده . وفى حديث طهفــة : " لا تلطط فى الزكاة " أى لا تمنعها . وفى الأصول : « لاط » وهو تحريف . (٢) فى السيرة : « أفلس » بدون الفاء .

(٣) قمره : غلبه فى المقامرة . (٤) دحاها : رماها . والدحو : رمى اللاعب بالحجر أو الجوز وغيره . وذلك أنهم كانوا يحفرون حفرة بمقدار الحجر الذى يريدون رميه ، ثم يتنحون عنها قليلا و يرمون بالأحجار إليها ؛ فإن وقعت الأحجار فى الحفرة غلب صاحبها و إن لم تقع فيها غُلب . وتسمى تلك الأحجار المداحى ، واحدها : مدحاة . (٥) الزيادة عن السيرة . (٦) المجمر : العود يتبخر به .

من النساء ! قال : قبّحك الله وقبّح ماجئتَ به ! ثم تجهّز وخرج مع الناس .
فلمّا فرغوا من جهازهم وأجمعوا السيرَ، ذكروا ما [كان](١) بينهم وبين بنى بكر بن عبد مَنَاةَ بن كِنانةَ(٢) من الحرب ، فقالوا : إنّا نخشى أن يأتُوا من خَلْفِنا .

تخوف قريش من كنانة وتأمين إبليس لهم .

قال محمد بن إسحاق : فحدّثنى يزيد بن رُومان عن عُرْوةَ بن الزُّبير قال : لمّا أجمعتْ قريش المسيرَ ذكرتِ الذى بينها وبين بنى بكر بن عبد مَنَاةَ(٣)، فكاد ذلك أن يُثَبِّطهم، فتبدّى لهم إبليسُ فى صورة سُرَاقةَ بن جُعْشُم المُدْلِجىّ، وكان من أشراف بنى كِنانةَ، فقال : إنّى جارٌ لكم مِنْ أن تأتيكم كِنانةُ [من خَلْفِكم](١) بشىء تكرَهونه، فخرجوا سِرَاعا .

خروج النبىّ وعدد جيشه والطريق التى سلكها

وخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما بلَغنى عن غير ابن إسحاق — لثلاثِ ليالٍ خَلَوْن من شهر رمضان المعظّم فى ثلاثمائةٍ وبِضْعةَ عَشَر رجلًا من أصحابه . فاختُلِفَ فى مبلغ الزيادة على العشرة، فقال بعضُهم : كانوا ثلاثمائة وثلاثةَ عَشَر رجلاً . وكان المهاجرون يومَ بَدْرٍ سبعةً وسبعين رجلًا، وكان الأنصار مائتين وستةً وثلاثين رجلا، وكان صاحبُ راية رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان صاحبُ راية الأنصار سَعْدَ بن عُبَادةَ .

---

(١) الزيادة عن السيرة . (٢) كذا فى السيرة . وفى الأصول : « كنانة بن الحارث» وهو تحريف . (٣) كانت الحرب التى بين قريش وبين بنى بكر فى ابن لحفص بن الأخيف أحد بنى معيص بن عامر بن لؤى ، قتله بنو بكر بضجنان ، وكان خرج يبتغى بها ضالة له ، بإيعاز من سيدهم عامر ابن يزيد بن عامر بن الملوح ، فثار للغلام أخوه مكرز من عامر بن يزيد بأن قتله وخاض بطنه بسيفه ، ثم أتى به الكعبة ليلا فعلقه بأستارها . فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد معلقا بأستار الكعبة فعرفوه ، فقالوا : إن هذا لسيف عامر بن يزيد عدا عليه مكرز بن حفص فقتله . (انظر السيرة لابن هشام ج ١ ص ٤٣١ طبع أوربا) .

حدّثنا محمد قال حدّثنا هارون بن إسحاق قال حدّثنا مُصْعَب بن المِقْدَام ، قال أبو جعفر وحدّثنى محمد بن إسحاق الأَهْوازىّ قال حدّثنا أبو أحمد الزُّبَيْرىّ قال حدّثنا إسرائيل قال حدّثنا أبو إسحاق عن البراء قال[1] :

كنّا نتحدّث أنّ عِدّة أصحاب بَدْرٍ على عِدّة أصحاب طالوتَ الذين جازوا معه النهر — ولم يَجُزْ معه إلّا مؤمن — ثلاثمائةٍ وبِضْعةَ عشَرَ .

قال ابن إسحاق فى حديثه عمّن روَى عنه : وخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى أصحابه ، وجعل على السّاقة[2] قَيْسَ بن أبى صَعْصَعةَ أخا بنى مَازِن بن النجّار ، فى ليالٍ مضتْ من رمضان ، فسار حتّى إذا كان قريبًا من الصَّفْراء بعث بَسْبَسَ بن عمرو الجُهَنِىّ حليفَ بنى ساعِدةَ وعَدِىّ بن أبى الزَّغْباء حليفَ بنى النجّار إلى بدرٍ يتجسّسان[3] له الخبرَ عن أبى سُفيان بن حَرْب وغيره ، ثم ارتحل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقدّمهما . فلمّا استقبل الصَّفْراءَ ، وهى قريةٌ بين جبلين ، سأل عن جبلَيْها ما اسماهما ؟ فقيل : يقال لأحدهما هذا مُسْلِح ، وللآخر هذا مُخْرِئ ؛ وسأل عن أهلها فقالوا : بنو النّار ، وبنو حُرَاق (بطنان من غِفَار) ؛ فكرِههما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمرورَ بينهما ، وتفاءل[4] بآسميهما وأسماءِ أهاليهما ، فتركهما والصفراءَ يسارًا ، وسلك ذَاتَ اليمين على وادٍ يقال له ذَفِرَان فخرج منه ، حتّى إذا كان ببعضه نَزَل ، وأتاه الخبرُ عن قريش بمسيرهم ليمنَعوا عِيرَهم ؛ فاستشار النبىّ صلّى الله عليه وسلّم النّاسَ وأخبرهم

استشارة النبىّ لأصحابه وتأييد الأنصار له

---

(١) كذا فى الأصول . ولعله : « قالا » . (٢) ساقة الجيش : مؤخرته .

(٣) فى ح : «يتحسسان» . (انظر الحاشية رقم ٢ ص ١٧١ من هذا الجزء) .

(٤) تفاءل هنا بمعنى تطير . والفأل يكون فيما يحسن ويسوء ، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء . وفى الحديث عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "لا عدوى ولا طِيَرةَ ويعجبنى الفألُ الصالح" . والفأل الصالح : الكلمة الحسنة . وهذا يدل على أن من الفأل ما يكون صالحا ومنه ما يكون غير صالح .

عن قريش، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قام المِقْدادُ بن عمرو فقال : يارسولَ الله، امضِ لِمَا أمرك الله فنحن معك . والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذْهَبْ أنت وربُّك فقاتِلا إنّا هاهُنا قاعدون، ولكن اذهَبْ أنت وربُّك فقاتِلا إنّا معكما مُقاتِلون مُعْلِمُون[1]. فوالّذى بعثك بالحقّ لو سِرتَ بنا إلى بَرْكِ الغِماد[2] — يعنى مدينةَ الحبشة — لجالدنا معك حتّى تَبْلُغَه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير .

حدّثنا محمد قال حدّثنا محمد بن عُبَيد المُحَارِبيّ قال حدّثنى إسماعيلُ بن إبراهيم أبو يحيى قال حدّثنا المُخَارِق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال :

شَهِدْتُ من المِقْداد مَشْهَدًا لَأَنْ أكونَ صاحبَه أحَبُّ إلىّ ممّا فى الأرض من كلِّ شىء ، كان رجلاً فارسا، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا غَضِبَ احمارّتْ وَجْنتاه، فأتاه المِقْدادُ على تلك الحال ، فقال : أَبْشِرْ يا رسول الله، فوالله لا نقولُ لك كما قالتْ بنو إسرائيل لموسى : اذْهَبْ أنت وربُّك فقاتِلا إنّا هاهنا قاعدون ، ولكن والذى بَعَثك بالحقّ لنكوننّ بين يديك ومِنْ خَلْفك وعن يمينك وشِمالك أو يَفْتَحَ اللهُ تبارك وتعالى .

(١) أعلم نفسه: وسمها بسيما الحرب كلّها . (٢) برك الغماد (بفتح الباء وكسرها ، و بكسر الغين وضمها وقيل مثلث الغين) ، اختلف فيه فقيل : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر ، وقيل : موضع فى أقصى أرض هَجَر ، وقيل : بلد باليمن ، وقيل غير ذلك . وورد فى تاريخ الطبرى (ص ١٣٠٠ من القسم الأوّل طبع أوربا) ما يؤيد التفسير الذى ذكره أبو الفرج . وورد أيضا فى معجم ما استعجم للبكرى (ص ١٤٨) ما نصه : « ... وفى حديث هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا الى الحبشة ، حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة ... الخ » .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشيروا علىّ أيها الناس". وإنما يريد الأنصار؛ وذلك أنهم كانوا عدد الناس، وأنهم حين بايعوا بالعقبة قالوا: يارسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصير إلى دارنا، فإذا وصلتَ فأنت فى ذمامنا، نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا. فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتخوّف ألّا تكونَ الأنصارُ ترى عليها نُصرته إلّا ممن دَهمه بالمدينة من عَدُوّه، وأنْ ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوّ فى غير بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سَعْدُ بن مُعَاذ: والله لكأنك تُريدنا يا رسولَ الله. قال: "أجل". قال: فقد آمنّا بك يا رسول الله وصدّقناك وشَهِدْنا أنّ ما جئتَ به هو الحقّ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السمع والطاعة، فآمضِ بنا يا رسولَ الله لِمَا أردت [فنحن معك][1]. فوالذى بعثك بالحقّ لو استعرضتَ[2] بنا هـذا البحرَ وخُضْتَه لخُضْناه معـك ما يتخلّف منّـا رجلٌ واحد، وما نكره أن تلقَى بنا عدوًّا غدًا. إنّا لَصُبُرٌ عند الحرب، صُدُقٌ[3] عند اللقاء، لعل اللهَ تعالى أن يُرِيَك [منّا][1] ما تَقَرّ به عينُك، فسِرْ بنا على بركة الله. فسُرّ[4] رسولُ الله صـلى الله عليه وسـلم [بقول سعد][1] ونَشّطه ذلك، ثم قال: "سِيرُوا على بركة الله وأَبْشِروا، فإنّ الله قـد وعَدَنى إحدى الطائفتين[5]، والله لكأنّى أنظر إلى مصارع القوم". ثم آرتحل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ذَفِرَانَ[6]، وسَلَك على ثَنَايا يُقال لها

(١) زيادة عن السيرة. (٢) استعرض البحر: أتاه من جانبه عرضا. (٣) يقال: رجل صَدْق اللقاء، وقوم صُدُق (بالضم)، ومثاله فرس وَرْد وأفراس وُرْد. (انظر اللسان مادة صدق).
(٤) فى الأصول: «فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه ذلك». وما أثبتناه عن السيرة والكشاف للزمخشرى فى تفسير سورة الأنفال. (٥) يشير الى قوله تعالى فى سورة الأنفال: (وإذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إحْدَى الطَّائفَتَيْنِ أنَّهَا لَكُمْ وتَوَدُّونَ أنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ويُرِيدُ اللهُ أنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ويَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ). والطائفتان هما العير وهم ركب أبى سفيان، والنفير وهم أهل مكة الذين نفروا لمساعدته.
(٦) ذفران: واد قرب وادى الصفراء.

الأَصَافِر[1]، ثم انحطّ منها على بلدٍ يقال له الدَّبَّة[2]، ثم ترك الحَنَّانَ[3] بيمينٍ، وهو كثيبٌ عظيم كالجبل، ثم نزل قريبًا من بَدْرٍ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه – قال الطبرى[4]: قال محمد بن إسحاق: حدّثنى محمد بن يحيى بن حَبَّانَ – حتّى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلَغه عنهم؛ فقال الشيخ: لا أُخبركما حتى تُخبرانى ممن[5] أنتما. فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أخبرتَنا أخبرناك". فقال: أَوَ ذاك بذاك؟ فقال "نعم". قال الشيخ: فإنّه بلغنى أنّ محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإنْ كان صَدَقنى الذى أخبرنى، فهم اليومَ بمكان كذا وكذا (للمكان الذى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم). وبلغنى أنّ قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذى حدّثنى صَدَقنى، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذى به قريش). فلمّا فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نحن من ماء". ثم انصرف الشيخ عنه. قال يقول الشيخ: ما من ماء؟ أمِنْ ماء العراق؟ ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه. فلما أمسى بعث علىَّ بن أبى طالب، رضى الله عنه، والزُّبَيْر بن العوّام، وسَعْدَ بن أبى وقّاص فى نَفَرٍ من أصحابه إلى بَدْرٍ يلتمسون له الخبر عليه – قال محمد بن إسحاق: حدّثنى يزيد ابن رُومانَ عن عُرْوَةَ بن الزُّبير: – فأصابوا رَاوِيَةً[6] لقريش فيها أَسْلَمُ غلامُ

نزول النبىّ قريبا من بدر وسؤاله شيخا عن قريش

أرسل النبى نفرا من أصحابه إلى بدر يلتمسون له الخبر

قبض هؤلاء النفر على غلامين لقريش ومعرفة أخبارهم منهما

(١) الأصافر: جبال قريبة من الجحفة عن يمين الطريق من المدينة إلى مكة، سميت بذلك لأنها هضبات صفر. (٢) الدبة: موضع قرب بدر. (٣) كذا فى السيرة ومعجم البلدان لياقوت. وفى جميع الأصول: «ثم نزل الحنان»، وهو تحريف. (٤) كذا فى مصرى والسيرة. وفى جميع الأصول وردت هذه العبارة هكذا: «قال الطبرى: قال محمد بن إسحاق: حدّثنى محمد بن [illegible] حدّثنى محمد بن يحيى ابن حبان ... الخ». ومحمد بن إسحاق المذكور هنا شخص واحد هو محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة الذى ينقل عنه الطبرى والذى يروى عن محمد بن يحيى بن حبان. (راجع تهذيب التهذيب وتراجم من روى عنهم محمد بن إسحاق المطبوع بليدن). (٥) كذا فى [illegible] والطبرى. وفى الأصول: «من». (٦) يراد بالراوية هنا القوم يستقون الماء على الدواب.

بنى الحجّاج ، وعَرِيضٌ[1] أبو يَسَار غلامُ بنى العاصى بن سعيد ، فأتَوْا بهما رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يصلّى . فسألوهما فقالا[2] : نحن سُقَاةٌ لقريش بعثونا نَسْقيهم من الماء . فكرِه القومُ خبرَهما ورجَوْا أن يكونا لأبى سُفْيان فضربوهما ، فلمّا أذلقوهما[3] قالا : نحن لأبى سفيان، فتركوهما . وركَع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتين ثم سلّم ، ثم قال : " إذا صَدَقا كم ضربتموهما ، فإذا كذَبا كم تركتموهما، صَدَقَا والله إنّهما لقريش. أَخْبِرانى أين قريش" ؟ قالا : هم وراء [هذا الكثيب الذى ترى بالعُدْوة القُصْوى — و][4] الكثيبُ : العَقَنْقَل — فقال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "كَمِ القومُ" ؟ قالا : لا ندرى . قال: "كَمْ يَنْحَرون كلَّ يوم"؟ قالا : يومًا تِسْعًا و يومًا عَشْرًا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " القوم ما بين التِّسعمائة والألف[5] " . ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فمَنْ فيهم من أشراف قريش" ؟ قالا : عُتْبةُ بن رَبِيعَة، وشَيْبةُ بن ربيعة، وأبو البَخْتَرِىّ بن هشام، وحَكِيمُ بن حِزَام، ونَوْفَلُ بن خُوَيْلِد، والحارثُ بن عامر بن نَوْفَل، وطُعَيْمةُ بن عَدِىّ، والنَّضْرُ بن الحارث، وزَمْعَةُ[6] بن الأَسْوَد، وأبو جهل بن هشام، وأُمَيّةُ بن

(١) كذا فى السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٤٣٦) والطبرى (ص ١٣٠٣ من القسم الأوّل . وفى الأصول : «غريض بن يسار» بالغين المعجمة . (٢) كذا فى الطبرى والسيرة . وفى الأصول : « فقالوا » . (٣) أذلقه : أضعفه وأقلقه . وفى حديث عائشة أنها كانت تصوم فى السفر حتى أذلقها الصوم أى أجهدها وأذابها وأقلقها . (٤) التكملة عن الطبرى والسيرة . (٥) الفصيح فى العدد المضاف أن يعرف المضاف إليه ، وجوز بعضهم تعريف الطرفين . أما تعريف الأوّل دون الثانى فغير صواب . وعلى هذا يحمل ما ورد من الأحاديث من هذا النوع على أنه مروى بالمعنى . على أن بعضهم خرجه بتقدير مضاف نكرة ، فيقول فى مثل ما هنا : « بين التسع تسع مائة » . (٦) ضبطه صاحب المغنى فى أسماء رجال الحديث المطبوع بهامش تقريب التهذيب (ص ١٠١ طبع الهند) بالعبارة هكذا : «زمعة بزاى وميم مفتوحتين وعين مهملة وأكثر الفقها، والمحدّثين بسكون الميم ، والدسودة ... الخ » . وقال صاحب القاموس : « وزمعة بالفتح ويحرّك» . وضبطه الفيومى فى المصباح بفتح الميم ، ثم قال : « والمحدّثون يقولون : زمعة بالسكون ، ولم أظفر به فى كتب اللغة » . وفى شرح المواهب اللدنية (ج ٣ ص ٢٧١) قال : « زمعة بزاى فميم فعين مهملة مفتوحات» . وقال ابن الأثير : « وأكثر ما سمعنا أهل الحديث والفقهاء يقولونه بسكون الميم . وقول المصباح : لم أظفر بالسكون فى كتب اللغة قصور ؛ فقد قدّمه القاموس ثم حكى الفتح ، فظاهره أن السكون أكثر لغة » .

٢٢
―
٤

خَلَف، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج، وسُهَيْل بن عمرو، وعمرو بن وُدّ. فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال: "هذه مكة قد رمتْ إليكم أفلاذَ كَبِدها".

قال ابن إسحاق (١): وقد كان بَسْبَس بن عمرو وعَدِىّ بن أبى الزَّغْباء مَضَيا حتى نزلا بدرًا فأناخا إلى تَلّ قريبٍ من الماء، ثم أخذا شَنًّا (٢) يستقيان فيه، ومَجْدِىّ بن عمرو الجُهَنِىّ على الماء، فسمع عَدِىٌّ وبَسْبَس جاريتين من جوارى الحاضر وهما ٥ تتلازمان (٣) على الماء، والملزومة تقول لصاحبتها: إنما تأتى العيرُ غدا أو بعد غدٍ فأعمَلُ لهم ثم أقضيك الذى لكِ. قال مَجْدِىٌّ: صَدَقْتِ، ثم خَلَّص بينهما. وسمع ذلك عدىٌّ وبَسْبَس فجلسا على بعيرَيْهما ثم انطلقا حتى أتيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم فأخبراه بما سَمِعا. وأقبل أبو سُفيان قد تقدّم (٤) العيرَ حَذِرًا حتى ورد الماءَ،

قدم أبو سفيان الى بدر متجسسا ثم اتجه بالعير نحو الساحل

١٠ فقال لمجدىّ بن عمرو: هل أحسستَ أحدًا؟ قال: ما رأيتُ أحدًا أُنكره، إلا أنّى رأيتُ راكبين أناخا إلى هذا التلّ ثم استقيا فى شَنٍّ لهما ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مُنَاخَهما فأخذ من أبعار بعيرَيْهما ففَتّه فإذا فيه النَّوَى، فقال: هذه والله علائفُ يَثْرِب! فرجع إلى أصحابه سريعًا فصرف (٥) وَجْهَ عِيره عن الطريق [فساحَل بها (٦)] وترك بدرًا يَسارًا، ثم انطلق حتّى أسرع.

رؤيا جهيم بن أبى الصلت

١٥ وأقبلت قريش، فلمّا نزلوا الجُحْفَةَ (٧) رأى جُهَيْم بن أبى الصَّلْت بن مَخْرَمَةَ بن عبد المُطَّلِب بن عبد مَنَاف رُؤْيَا، فقال: إنّى رأيت فيما يرى النائم، وإنّى

(١) فى الأصول: «قالوا وقد كان بسبس الخ»، والتصويب عن السيرة. (٢) الشنّ: القربة الخلق الصغيرة. (٣) يقال: لزم فلان غريمه، اذا تعلق به. (٤) كذا فى صلب الطبرى (ص ١٣٠٥ قسم أوّل طبع أوربا). وفى الأصول: «حين تقدم». وفى سيرة ابن هشام: «حتى
٢٠ تقدم» وكلتا الروايتين أشير اليها فى هامش الطبرى. (٥) فى الطبرى والسيرة: «فضرب». (٦) زيادة عن السيرة. وساحل بها: اتجه بها نحو الساحل. (٧) الجحفة (بالضم): ميقات أهل الشأم، وكانت قرية جامعة، على اثنين وثمانين ميلا من مكة، وكانت تسمى مَهْيَعة فنزل بها بنو عَبيل وهم إخوة عاد، وكان أخرجهم العماليق من يثرب، فجاءهم سيل الجحاف فأجحفهم؛ فسميت الجحفة.

لَبَيْنَ النائم واليَقْظان إذْ نظرتُ إلى رجلٍ أقبلَ على فَرَسٍ ومعه بعيرٌ له ثم قال: قُتِل عُتْبةُ بن ربيعة، وشَيْبةُ بن ربيعة، وأبو الحكم بن هِشَام، وأُمَيَّةُ بن خَلَف، وفلانٌ وفلان — فعدّد رجالًا ممن قُتِل يومئذٍ من أشراف قريش — ورأيتُه ضَرَب فى لَبَّةِ(١) بعيره ثم أرسله فى العسكر، فما بَقِى خِباءٌ من أخبية العسكر إلّا أصابه نَضْحٌ من دمه. قال: فبلغتْ أبا جهل فقال: وهذا أيضا نبىٌّ آخَرُ من بنى عبد المطّلب! سيعلم غدًا مَنِ المقتول إنْ نحن التقينا. ولمّا رأى أبو سفيان أنّه قد أحرز عيره، أرسل إلى قريش: إنّكم إنّما خرجتم لتمنعوا عِيرَكم ورِحَالَكم(٢) وأموالَكم فقد نجّاها الله فارْجِعوا. فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتّى نَرِدَ بدرًا — وكان بدرٌ مَوْسِمًا من مواسم العرب تجتمع به، لهم بها سُوقٌ كلَّ عام — فنقيم عليه ثلاثًا، ونَنْحَرُ الجُزُرَ ونُطْعِم الطعامَ ونسقى الخمور، وتَعْزِف علينا القِيَان، وتسمع بنا العربُ [بمسيرنا وجمعنا](٣)، فلا يزالون يهابوننا أبدًا، فامْضُوا. فقال الأَخْنَس بن شَرِيق ابن عمرو بن وَهْبٍ الثَّقَفِىّ، وكان حليفًا لبنى زُهْرةَ، وهم بالجُحْفَة: يا بنى زُهرة قد نجّى اللهُ لكم عِيرَكم وخلّص لكم صاحبَكم مَخْرَمةَ بن نَوْفَل، وإنّما نَفَرتم لتمنعوه ومالَه، فاجعلوا بى جُبْنَها(٤) وارجِعوا، فإنّه لا حاجةَ بكم فى أن تخرُجوا فى غير ضَيْعةٍ لِما يقول هذا (يعنى أبا جهل)، فلم يَشْهَدْها زُهْرِىٌّ، وكان فيهم مُطاعا. ولم يكن بَقِى من قريش بطنٌ إلّا نَفَر منهم ناسٌ، إلّا بنى عَدِىّ بن كعب لم يخرج منهم رجلٌ واحد. فرجعتْ بنو زُهْرةَ مع الأَخْنَس بن شَرِيق، فلم يشهد بدرًا من هاتين القبيلتين أحد. ومضى القوم. وقد كان بين طالب بن أبى طالب — وكان فى القوم — وبين بعض قريش محاورةٌ، فقالوا: والله لقد عرفنا يابنى هاشم — وإنْ خرجتم معنا — أنّ هواكم

نصح أبو سفيان إلى قريش أن يرجعوا فأبى أبو جهل

رجوع بنى زهرة

اتهام قريش بنى هاشم

(١) اللبة: المنحر وموضع القلادة من الصدر كاللبب. (٢) فى السيرة لابن هشام: «رجالكم» بالجيم المعجمة. (٣) زيادة عن السيرة. (٤) كذا فى السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٤٣٨) وتاريخ الطبرى (ص ١٣٠٧ من القسم الأوّل). وفى الأصول: «فاجعلونى جنبها» وهو تحريف.

[لم] (١) محمد؛ فرجع طالبٌ إلى مكة فيمن رجع. وأمّا ابنُ الكلبي فإنه قال فيما حُدِّثْتُ عنه: شَخَص طالبُ بن أبى طالب إلى بَدْرٍ مع المشركين، أُخرِجَ كَرْهًا، فلم يُوجَد فى الأَسْرى ولا فى القَتْلى ولم يرجع إلى أهله، وكان شاعرًا، وهو الذى يقول:

٢٣ / ٤

يا رَبِّ إمّا يَغـزُوَنّ طـالِبْ * فى مِقْنَبٍ (٢) من هـذه المَقانِبْ

٥ فَلْيَكُنِ المسلوبَ غيرَ السالِبْ * وليكنِ المغلوبَ غيرَ الغالِبْ

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

نزول قريش بالعدوة القصوى من الوادى

قال: ومضت قريشٌ حتّى نزلوا بالعُدْوَة القُصْوَى من الوادى خَلْفَ العَقَنْقَل. وبطنُ الوادى، وهو يَلْيَل (٣)، بين بَدْرٍ وبين العقنقل: الكثيب الذى خَلْفَه قريشٌ. والقَلِيب ببدر من العُدوة الدُّنيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة. وبعث الله عزّ وجلّ ١٠ السماءَ، وكان الوادى دَهْسًا (٤)، فأصاب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم [وأصحابَه منها] (١) ما لَبَّدَ لهم الأرضَ ولم يمنعهم المسيرَ، وأصاب قريشًا منها ما لم يَقْدِروا على أن يرتحلوا معه. فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يبادرهم إلى الماء حتّى حاذى ماءً من مياه بَدْرٍ فنزل به.

أشار الحباب بن المنذر على النبيّ برأى فاتبعه

قال ابن إسحاق: فحدّثنى عشرة (٥) رجالٍ من بنى سَلِمة ذكروا أنّ الحُبَابَ بن ١٥ المُنْذِر بن الجَمُوح قال: يارسولَ الله، أرأيتَ هذا المنزلَ، أمنزلٌ أَنْزَلَكَهُ اللهُ ليس لنا

(١) الزيادة عن السيرة لابن هشام (ج١ ص ٤٣٨ طبع أوربا). (٢) المقنب: جماعة الخيل والفرسان، وقيل: هى دون المائة. (٣) يليل (بتكرير الياء المفتوحة): اسم واد يدفع فى بدر. وفى معجم ما استعجم (فى الكلام على رضوى): «ووادى يَنْبُع يليل يصب فى غَيْقَة». وفى الأصول: «تليل» بالتاء المثناة من فوق فى أوّله، وهو تصحيف. (٤) الدهس. ٢٠ هو كل لين سهل لايبلغ أن يكون رملا وليس بتراب ولاطين كالدّهاس، وقيل أيضا: الأرض السهلة يثقل فيها المشى. (٥) فى السيرة: «قال ابن إسحاق: فحدّثت عن رجال من بنى سلمة أنهم ذكروا الخ».

أن نتقدّمه ولا نتأخّر عنه، أم هو الرأى والحربُ والمَكِيدة؟ قال: "بل هو الرأى والحرب والمكيدة". فقال: يا رسولَ الله، إنّ هذا ليس لك بمنزل، فانْهَضْ بالناس حتّى تأتىَ أدنى ماءٍ من مياه القوم فتنزلَه، ثم تُعَوِّرَ[1] ما سواه من القُلُب ثم تبنىَ عليه حوضًا فتملأَه ماءً، ثم نُقاتلَ القومَ فنشربَ ولا يشربوا. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم: "لقد أشرتَ بالرأى". فنهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ومَنْ معه من الناس حتّى أتى أدنى ماءٍ من القوم فنزل عليه، ثم أَمَر بالقُلُب فعُوِّرَتْ[2] وبَنَوْا حوضًا على القَليب الذى نزل عليه فمُلِئَ ماءً ثم قذفوا فيه الآنية.

بناء عريش من جريد للنبي

قال محمد بن إسحاق: فحدّثنى محمد بن أبى بكر أنّ سعدَ بن مُعَاذ قال: يا رسول الله، نَبْنِى لك عَرِيشًا من جريدٍ فتكون فيه ونُعِدّ عندك ركائبَك، ثم نَلْقَى عدوّنا، فإن نحن أعزّنا الله وأظهَرَنا على عدوّنا كان ذلك[3] ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك فلَحِقتَ بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلّف عنك أقوامٌ يا نبيّ الله ما نحن بأشدَّ حُبًّا لك منهم، [ولو ظنّوا[4] أنّك تلقَى حربًا ما تخلّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يُناصحونك ويُجاهدون معك][5]. فأثنى [عليه] رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا، ودعا له بخير.

إقبال قريش ودعاء النبي عليها

ثم بُنِى لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عَرِيشٌ فكان فيه. وقد ٱرتحلت قريشٌ حين أصبحتْ وأقبلتْ. فلمّا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تَصَوَّبُ[6] من العقنقل — وهو الكثيب الذى منه جاءوا — إلى الوادى قال: "اللّهمّ هذى قريشٌ قد أقبلتْ بخُيَلائها وفخرها تُحَادُّك وتكذّب رسولَك. اللّهمّ فنصرَكَ الذى وعدتَنى. اللّهمّ فأَحِنْهُم[7]

(١) كذا فى الطبرى والسيرة. وعوّر العين أو القليب: طمّه وردمه. وفى الأصول: «تغوّر» بالغين المعجمة، وهو تصحيف. (٢) كذا فى السيرة والطبرى. وفى الأصول: «فغوّرت» بالغين المعجمة. (٣) كذا فى السيرة. وفى الأصول: «ذلك مما». (٤) زيادة عن السيرة وتاريخ الطبرى. (٥) الزيادة عن السيرة (ج ١ ص ٤٤٠ طبع أوربا). (٦) التصوّب: الانحدار من علو. (٧) الحين (بالفتح): الهلاك. وحان الرجل: هلك. وأحانه الله: أهلكه.

الغــداة " . وقد قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ورأى عُتْبةَ بن ربيعةَ في القوم على جمل له أحمرَ : " إنْ يَكُنْ عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إنْ يُطيعوه يَرْشُدوا ". وقد كان خُفَاف [بن إيماء](١) بن رَحَضة الغِفَارىّ، أو أبوه أيْمَا(٢) ابن رَحَضةَ، بعث إلى قريش حين مرُّوا به ابنًا له بجزائر أهداها لهم وقال لهم : إنْ أحببتم أن نُمِدَّكم(٣) بسلاحٍ ورجالٍ فعلنا . فأرسلوا [إليه](١) مع ابنه : أنْ وَصَلَتْك رَحِمٌ! فقد قضيتَ الذى عليك . فلعَمْرى لئن كنّا إنّما نُقاتل الناسَ فما بنا ضعفٌ [عنهم](١)، ولئن كنّا نُقاتل الله كما يزعُم محمد فما لأحدٍ بالله من طاقة . فلمّا نزل الناسُ أقبل نفرٌ من قريش حتّى وردوا الحوضَ حَوْضَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : "دَعُوهم". فما شَرِب منهم رجلٌ إلّا قُتِل يومئذ، إلّا ما كان من حَكِيم ابن حِزَام فإنّه لم يُقتَل، نجا على فرس له يقال له الوَجِيه ، وأسلمَ بعــد ذلك فحَسُنَ إسلامُه ؛ فكان إذا اجتهد [في](١) يمينه قال : والذى نجّانى من يوم بدرٍ .

عرض خفاف بن إيماء معونتــه على قريش

٢٤/٤

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يَسَار وغيرُه من أهل العــلم عن أشياخ من الأنصار قالوا :

بعث قريش عميــر ابن وهب متجسسا فأخبرهم بمقاتلهم

لمّا اطمأنّ القوم بعثوا عُمَيْر بن وَهْبٍ الجُمَحىّ فقالوا : احْزُرْ(٤) لنا أصحابَ محمد ؛ فاستجال بفرسه حولَ العسكر ثم رجَع إليهم ، فقال : ثلاثمائة رجل يَزيدون قليــلًا أو ينْقُصونه ، ولكن أمهلُونى حتّى أنظر : أللقومِ كَمِينٌ أو مَدَدٌ . قال : فضرب في الوادى حتى أمعنَ ، فلم يرشيئا ، فرجع فقال : لم أرَ شــيئًا ، ولكن قد رأيتُ

(١) الزيادة عن السيرة وتاريخ الطبرى . (٢) في الأصول : « أخوه » . والتصويب عن السيرة وتاريخ الطبرى . و إيماء بكسر الهمزة مع المد أو بفتحها مع القصر . ورحضة بالتحريك أو بالفتح ، أو بالضم ، أقوال فيه . (انظر شرح القاموس مادة رحض) . (٣) كذا في السيرة . وفي الأصول والطبرى : « أمدّكم » . (٤) الحزر : التخمين والتقدير .

يا معشر قريش الوَلَايَا[1] تحمل المَنَايَا ! نَوَاضِحُ[2] يَثْرِب تحمل الموت الناقع ! قومٌ ليس لهم مَنَعة ولا ملجأٌ إلّا سيوفُهم. والله ما أُرَى أن يُقْتَل رجلٌ منهم حتّى يقتلَ رجلًا منكم! فإذا اصابوا منكم أعدادَهم، فما خيرُ العَيْش بعد ذلك! فرَوْا رأْيكم. فلمّا سَمِع حَكِيم بن حِزَامٍ ذلك مشى فى الناس فأتى عُتْبَةَ بن ربيعة وقال: يا أبا الوليد، إنّك كبيرُ قريش الليلةَ وسيِّدُها والمطاعُ فيها، هل لك إلى أمرٍ لا تزالُ تُذْكَرُ منه بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: تَرْجِع بالناس وتَحْمِل دَمَ حَلِيفك عمرو بن الحَضْرَمىّ. قال: قد فعلتُ، أنت على ذلك شهيدٌ، إنما هو حليفى فعلىّ عَقْلُه[3] وما أُصيبَ من ماله؛ فَأْتِ ٱبنَ الحَنْظَلِيّة[4] فإنّى لا أخشَى أن يَشْجُرَ الناسَ غيرُه (يعنى أبا جهل بن هشام).

يقص حكيم بن حزام حديث بدر لمروان بن الحكم

حدّثنا محمد قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنا غَمامةُ[5] بن عمرو السَّهْمِىّ قال حدّثنا مِسْوَرُ بن عبد الملك اليَرْبُوعىّ عن أبيه عن سَعيد بن المُسَيَّب قال:

بينا نحن عند مَرْوانَ بنِ الحَكَم إذ دخل عليه حاجبُه فقال: هذا أبو خالدٍ حَكِيمُ ابنُ حِزَامٍ. قال: إيذَنْ له. فلمّا دخل حَكِيمُ بن حِزَام، قال: مرحبًا بك يا أبا خالد، ٱدْنُ؛ فحال له مَرْوان عن صَدْرِ المجلس حتّى كان بينه وبين الوسادة، ثم ٱستقبله مروانُ فقال: حَدِّثْنا حديثَ بَدْرٍ. قال: خرجْنا حتّى إذا نزلنا الجُحْفَةَ رجعتْ قبيلةٌ من قبائل قُرَيش بأَسْرِها، فلم يَشْهَدْ أحدٌ من مشركيهم بدرًا؛ ثم خرجْنا حتّى نزلنا العُدْوَةَ التى

(١) الولايا: جمع ولية، وهى البرذعة أو ما تحتها. (٢) النواضح: جمع ناضح. والناضح: البعير يستق عليه، ثم استعمل فى كل بعير وإن لم يحمل الماء. (٣) العقل: الدية.
(٤) قال ابن هشام: الحنظلية أم أبى جهل، وهى أسماء بنت مُخَرِّبة أحد بنى نهشل بن دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. (٥) كذا فى الأصول بالغين المعجمة. وقد ذكر الطبرى (قسم أوّل ص ١٣١٣) هذا القصة بهذا الإسناد، وفيه: «عمامة بن عمرو السهمى» بالعين المهملة. وفى هامشه فى الصفحة نفسها نقلا عن نسخة أخرى: «غمامة» بالغين المعجمة كما فى الأصول. وفى القسم الثالث من الطبرى (ص ٢٦٨): «عُثامة بن عمرو السهمى». وفى هامشه فى الصفحة نفسها نقلا عن نسختين أخريين: «غمانة» بالغين و«عثامة» بالعين والثاء. ولم نعثر على هذا الاسم فى كتب التراجم حتى نستطيع ترجيح أحد هذه الأسماء.

قال الله عزّ وجلّ؛ فجئتُ عُتْبةَ بن ربيعة فقلتُ: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهبَ بشَرَف هذا اليومِ ما بَقِيتَ؟ قال: أفعلُ ماذا؟ قال: قلتُ: إنّكم لا تطلبون من محمد إلّا دَمَ واحدٍ: (ابن الحضرمىّ) وهو حليفُك، فتحمّلْ دِيَتَه فيرجعَ الناسُ. قال: أنت وذاك، وأنا أتحمّل دِيَتَه، فاذهبْ إلى ابن الحَنْظَلِيّة (يعنى أبا جهل) فقل له: هل لك أن ترْجِع اليومَ بمن معك عن ابن عمّك؟ فجئتُه فإذا هو فى جماعة من بين يديه ومِنْ ورائه، فإذا ابنُ الحضرمىّ واقفٌ على رأسه وهو يقول: قد فسختُ عَقْدى من بنى عبد شمس، وعَقْدِى إلى بنى مخزوم. فقلتُ له: يقول لك عُتْبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليومَ عن ابن عمّك بمن معك؟ قال: أمَا وجد رسولًا غيرَك؟ قلتُ: لا، ولم أكن لأكونَ رسولًا لغيره. قال حكيم: فخرج مُبادِرًا إلى عُتْبة وخرجتُ معه لئلا يفوتَنى من الخبر شىء، وعُتْبةُ يتّكئ على إيماء بن رَحَضَة الغِفَارىّ، وقد أهدَى إلى المشركين عَشْرَ جزائرَ، فطلَع أبو جهل والشرُّ فى وجهه، فقال لعُتْبة: انْتَفَخ سَحْرُك[1]! فقال عُتْبة: فستعلم. فسَلَّ أبو جهل سيفَه فضرب به مَتْنَ فرسه؛ فقال إيماء بن رَحَضة: بئس المُقَامُ هذا! فعند ذلك قامت الحرْب.

رجع الحديث إلى ابن إسحاق

نصح عتبة بن ربيعة قريشا بالرجوع فأبى أبو جهل

ثم قام عُتْبة بن ربيعة خطيبًا، فقال: يا معشَرَ قريش، والله ما تصنعون بأن تَلْقَوْا محمدا وأصحابَه شيئا! والله لئن أصبتموه، لا يزال الرجلُ منكم ينظُر فى وجه رجلٍ يكره النظرَ إليه، رجلٍ قتَل ابنَ عمّه أو ابنَ خاله أو رجلًا من عشيرته، فارجعُوا وخلُّوا بين محمد وبين سائر العرب؛ فإن أصابوه فذلك الذى أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم[2]

(١) يكنى بانتفاخ السحر عن مجاوزة القدر، ولكنه هنا كناية عن الجبن؛ وذلك أن الجبان يملأ الخوف جوفه فينتفخ سحره. والسحر: الرئة وما حولها مما يعلق به الحلقوم فوق السرة.

(٢) فى ط: «ألفاكم ولم تعرضوا منه لما تريدون».

ولم تعدَموا منه ما تُريدون. قال حكيم : فانطلقتُ حتّى جئتُ أبا جهل، فوجدتُه قد نَثَل[1] دِرعًا له من جِرابها[2] وهو يُهيّئها؛ فقلتُ له : يا أبا الحكم، إنّ عُتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا (الذى قال)؛ فقال : انتفخَ والله سَحْرُه حين رأى محمدًا وأصحابه . كلّا والله ! لا نَرجِعَ حتّى يحكمَ الله بيننا وبين محمد وأصحابه؛ وما بِعُتْبة ما قال، ولكنه قد رأى أنّ محمدا وأصحابَه أَكَلَةُ جَزُورٍ[3]، وفيهم ٱبنُه قد تخوّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحَضْرَمىّ فقال له : هذا حليفُك يُريد أن يرجعَ بالناس وقد رأيتَ ثأرَك بعينك، فقُمْ فانْشُد خُفْرَتَك[4] ومقتلَ أخيك . فقام عامر بن الحضرمىّ فٱكتشف[5] ثم صرخ : وا عَمْراهْ ! واعمراه ! فحَمِيَت الحربُ، وحَقِبَ[6] أمرُ الناس، وٱستوسقُوا[7] على ماهم عليه من الشرّ، وأُفسِدَ على الناس الرأيُ الذى دعاهم إليه عُتْبة بن ربيعة . ولمّا بلغ عُتْبةَ قولُ أبى جهل : «ٱنتفخ سَحْرُه» قال : سيعلم مُصَفِّرُ الإسْتِ مَن انتفخ سَحْرُه : أنا أم هو ! ثم التمس عُتْبةُ بَيْضةً ليُدْخلَها فى رأسه فلم يجد فى الجيش بيضةً تَسَعُه من عِظَم هامته ؛ فلمّا رأى ذلك ٱعتجرَ[8] على رأسه ببُرْدٍ له . وقد خرج الأسْوَدُ بن عبد الأَسَد المخزومىّ، وكان رجلًا شَرِسًا سَيِّئَ الخُلُق، فقال : أُعاهد اللهَ لأشربَنَّ من حَوْضِهم أو لأهْدِمَنَّه أو لأموتَنَّ دونه . فلمّا خرج خرج له حمزةُ بن عبد المُطّلب، فلمّا ٱلتقَيَا ضربه حمزةُ فأبان قَدَمَه بنصف ساقه وهو دونَ الحَوْض، فوقع على ظهره

أقسم الأسود بن عبد الأسد ليشربن من حوض المسلمين فقتل

(١) نثل : أخرج . (٢) كذا فى م ، وهو الموافق لما فى السيرة والطبرى . وفى سائر الأصول : «عن جرابها» . (٣) يريد أنهم قلة تكفيهم جزور واحدة لطعامهم . (٤) كذا فى السيرة وتاريخ الطبرى . والخفرة : الذمة والعهد . وفى الأصول : «حقوقك» . (٥) كذا فى م والسيرة والطبرى . وفى القاموس : «واكتشفت المرأة لزوجها : بالغت فى التكشف له عند الجماع» . فلعله يريد أنه أشرف على شىء عال أو نحو ذلك حتى انكشف للناس ثم صرخ فيهم . وفى سائر الأصول : «فاكتنف» ، وهو تحريف . (٦) حقب أمر الناس : فسد . (٧) استوسقوا : اجتمعوا . (٨) الاعتجار : لف العمامة على الرأس .

تَشْخَبُ رجلُه دمًا نحوَ أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يُريد أن يُبِرَّ يمينَه، وأتبعه حمزةُ فضربه حتَّى قتله فى الحوض. ثم خرج بعده عُتْبة بن ربيعة بين أخيه شَيْبةَ بن ربيعة وابنه الوليد بن عُتْبةَ، حتَّى إذا نَصَل[1] من الصَّفّ دعا إلى المُبارزة، فخرج إليه فِتْيةٌ مِنَ الأنصار ثلاثةُ نَفَر، وهم: عَوْف[2] ومُعَوِّذ ابنا الحارث، وأُمُّهما عَفْراء، ورجلٌ آخر يقال[3]: هو عبد الله بن رَوَاحَةَ، فقالوا: مَنْ أنتم؟ قالوا: رَهْطٌ من

٥ الأنصار. قالوا: مالنا بكم حاجة. ثم نادى مناديهم: يا محمد، أَخْرِجْ إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "قُمْ يا حمزةُ بنَ عبد المطّلب، قُمْ يا عُبَيدةُ ابنَ الحارث، قم يا عليّ بن أبى طالب". فلمّا قاموا ودَنَوْا منهم، قالوا: مَنْ أنتم؟ فقال عُبَيدة: عُبَيْدةُ، وقال حمزة: حمزة، وقال عليٌّ: عليّ. قالوا: نعم[4] أكفاءٌ كِرَامٌ. فبارز عُبَيدةُ بنُ الحارث، وكان أسنَّ القوم، عُتْبَةَ بن ربيعة، وبارز حمزةُ

١٠ شيبةَ بن ربيعة، وبارز عليٌّ الوليدَ بن عُتْبَة. فأمّا حمزةُ فلم يُمْهِلْ شيبةَ أنْ قتله. و[أمّا][5] عليٌّ فلم يُمْهِلِ الوليدَ بن عُتْبَة أنْ قتله. واختلف عُبَيْدةُ وعُتْبةُ بينهما بضربتين كلاهما أَثْبَتَ[6] صاحبَه، فكرَّ حمزة وعليٌّ على عتبة بأسيافهما فذَفَّفا[7] عليه فقتلاه، واحتملا صاحبَهما عُبيدة، فجاءا به إلى أصحابه وقد قُطعتْ رِجْلُه ومُخُّه يَسيل.

١٥ فلمّا أَتَوْا بعُبيدة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: ألستُ شهيدًا يا رسولَ الله؟

طلب عتبة بن ربيعة وابنه وأخوه المبارزة فندب لهم النبيّ من قتلهم

٣٦/٤

(١) كذا فى سيرة ابن هشام. ونصل: خرج. وفى الأصول والطبرى: «فصل» بالفاء.
(٢) كذا فى م، وهو الموافق لما فى سيرة ابن هشام (ص ٤٤٣ طبع أوربا) وتاريخ الطبرى (ص ١٢١٠، ١٢١٢، ١٣١٧، ١٣٢٢، ١٣٣٦ من القسم الأوّل طبع أوربا) وطبقات ابن سعد. وفى الأصول: «عوذ» بالذال المعجمة فى آخره، وهو قول لبعضهم فى اسمه حكاه ابن عبد البر فى الاستيعاب

٢٠ وابن حجر فى الإصابة. (٣) كذا فى السيرة. وفى الأصول والطبرى: «يقال له عبد الله بن رواحة». ولا يخفى ما بين التعبيرين من خلاف. (٤) فى حـ، ب: «نحن». (٥) زيادة عن م والسيرة والطبرى. (٦) أثبت صاحبه: أثخنه بالجراح. (٧) ذفف على الجريح: أجهز عليه.

قال "بلى". فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حيًّا لعلم أنّى بما قال أحقُّ منه حيث يقول:

ونُسْلِمُه[1] حتّى نُصَرَّعَ حولَه * ونَذْهَلَ عن أبنائنا والحلائلِ

قال محمد بن إسحاق: وحدّثنى عاصمُ بن عُمَر بن قَتَادَةَ: أنّ عُتْبَةَ بن ربيعة قال للفِتْيَة من الأنصار حين انتسبوا له: أكفاءٌ كرامٌ، إنما نُريد قومنا. ثم تزاحفَ الناسُ ودنا بعضُهم من بعض — وقد أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم [أصحابَه][2] ألّا يحملوا حتى يأمُرَهم، وقال: "إن اكتنفكم القومُ فانْضَحُوهم بالنَّبْل" — ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى العَرِيش معه أبو بكر.

وكانت وَقْعةُ بدرٍ يومَ الجمعة صَبِيحةَ سبعَ عَشْرةَ من شهر رمضان، قال ابن إسحاق: كما[3] حدّثنى أبو جعفر محمد بن علىّ بن الحسين.

تعديل النبى لصفوف أصحابه وقصة سواد بن عزية

قال محمد بن جرير وحدّثنا ابن حُمَيد[4] قال حدّثنا سَلَمةُ قال قال لى محمد بن إسحاق حدّثنى حَبّان[5] بن واسِع بن حَبّان عن أشياخ من قومه:

(١) هذا البيت من قصيدة أبى طالب التى مطلعها:

خليلىّ ما أذنى لأوّل عاذل * بصغواء فى حق ولا عند باطل

وقبل هذا البيت:

كذبتم وبيتِ الله نُبْزَى محمدا * ولما نُطاعِن دونه ونُناضِلِ

ونبزى: نغلب ونقهر، وهو على تقدير النفى. ومحمد نصب على نزع الخافض، أى لا نغلب عليه. ونسلمه (بالرفع) معطوف على نبزى أى لا نسلمه. وقد ورد هذا البيت فى اللسان مادة (بزا) هكذا:

كذبتم وحق الله يبزى محمد * ... ... الخ

ومعناه، كما فى اللسان، يقهر ويستذل. وهو على تقدير النفى أيضا. (٢) زيادة عن السيرة والطبرى.

(٣) كذا فى سيرة ابن هشام وتاريخ الطبرى. وفى الأصول: «قال ابن إسحاق حدّثنى الخ» وهو خطأ.

(٤) كذا فى الطبرى وتهذيب التهذيب، وهو محمد بن حميد بن حيان التميمى أبو عبدالله الرازى أحد شيوخ ابن جرير الطبرى وممن رووا عن سلمة بن الفضل. وفى الأصول: «أبو أحمد» وهو خطأ.

(٥) كذا فى السيرة (ص ٤٤٤ طبع أوربا)، وهو حبان بن واسع بن حبان بن منقذ أحد شيوخ محمد ابن إسحاق (راجع تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٧٠، وكتاب من روى عنهم محمد بن إسحاق ص ٩ طبع ليدن). وفى الطبرى: «حبان بن واسع بن حبان بن واسع». وفى جميع الأصول: «واسع حبان ابن واسع».

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم عدّل صفوفَ أصحابه يوم بدر، وفى يده قِدح[1] يعدِّل به القومَ ، فمرّ بسَواد بن غَزِيّة[2] حليف بنى عَدِىّ بن النجّار وهو مُستنتِل[3] من الصفّ ، فطعَن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى بطنه بالقِدْح ، ثم قال : "استوِ يا سواد بن غزيّة". فقال : يا رسول الله ، أوجعتَنى ! وقد بعثك الله بالحقّ ، فأقِدْنى .

٥ قال : فكشَف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن بطنه وقال : "استَقِدْ" ، فاعتنقه وقبّل بطنَه . فقال : "ما حمَلك على هذا يا سَوَاد"؟ فقال : يارسول الله ، حضر ما ترى ، فلم آمَن الموتَ ، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يَمَسّ جِلْدى جلدَك ؛ فدعا له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بخير وقال له خيرا . ثم عدّل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الصفوف ، ورجع إلى العريش ودخله ومعه أبو بكر ليس معه غيرُه ، ورسولُ الله

١٠ صلّى الله عليه وسلّم يُناشد ربَّه ما وَعده من النصر ، ويقول فيما يقول : "اللّهمّ إنْ تَهلِكْ هـذه العِصابة اليومَ — يعنى المسلمين — لا تُعبَد بعد اليوم" ، وأبو بكر يقول : يا نبىَّ الله خَلِّ بعضَ مُناشدتك ربَّك ؛ فإنّ اللهَ مُنجِزٌ لك ما وعدك .

دعاء النبىّ يوم بدر

حدّثنا محمد بن جَرير قال حدّثنا محمد بن عُبَيد المُحَارِبىّ قال حدّثنا عبد الله بن المُبارَك عن عِكْرِمة بن عَمّار قال حدّثنى سِمَاكٌ الحَنَفىّ قال سمعتُ ابنَ عبّاس يقول :

١٥ حدّثنى عمر بن الخطاب قال :

لمّا كان يومُ بدر ونظر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المشركين وعِدّتهم وإلى أصحابه وهم نَيِّف على ثلاثمائة ، استقبل الكعبة وجعل يدعو ويقول : "اللّهمّ

(١) القدح (بالكسر) : السهم قبل أن ينصل ويراش . (٢) ورد هذا الاسم هكذا فى تاريخ الطبرى (ص ١٣١٩ قسم أول) وأسد الغابة (ج ٢ ص ٣٧٤) وطبقات ابن سعد (ج ٣ ص ٧٢ من القسم الثانى) . وفى سيرة ابن هشام (ص ٤٤٤ ، ٥٠٤ طبع أوربا) قال ابن هشام فى الموضعين :

٢٠ « ويقال سَوَّاد بن غزية » . وفى الإصابة (ج ٣ ص ١٤٨ طبع مصر) فى الكلام على سواد بن غزية : « المشهور أنه بتخفيف الواو ، وحكى السهيلى تشديدها » . (٣) كذا فى سه والطبرى والسيرة . ونتل من بين الصف واستنتل : تقدّم . وفى سائر الأصول : « استنثل » بالثاء المثلثة .

أَنجِز لى ما وعدتَنى . اللّهمّ إن تَهْلِكْ هذه العِصابةُ من أهل الإسلام لا تُعْبَدْ فى الأرض"، فلم يَزَل كذلك حتى سَقَط رداؤُه ، فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه من ورائه فقال : كفاكَ يا نبيَّ الله ، بأبى أنت وأُمّى ، مناشدتُك لربّك ، سيُنجزُ لك ما وعدك . فأنزل الله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ(١) ﴾ .

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن وَكِيع قال حدّثنا الثَّقَفِىّ (يعنى عبدالوهّاب) عن خالد عن عِكْرِمة عن ابنِ عبّاس :

أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال وهو فى قُبّتِه(٢) يومَ بدرٍ " اللّهمّ أسألُك عهدَك ووَعْدَك . اللّهمّ إن شئتَ لم تُعْبَدْ بعد اليوم " . قال : فأخذ أبو بكر بيده فقال : حَسْبُك يا نبىّ الله ، فقد ألححتَ على ربّك ، وهو فى الدِّرْع ؛ فخرج وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

أخذت النبىّ سنة ثم انتبه مبشرا بالنصر ومحرضا على القتال

قال : وقد خَفَق رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خَفقةً وهو فى العَرِيش ، ثم انتبه فقال : " يا أبا بكر أتاك نَصْرُ الله ، هذا جبريلُ آخذٌ بعِنَانِ فَرَسه يقوده وعلى ثناياه النَّقْع(٣) " . قال : وقد رُمِى مِهْجَعٌ مولى عُمَر بن الخطّاب بسهمٍ فقُتِل ، فكان أوّلَ قتيلٍ من المسلمين . ثم رُمِى حارثةُ بن سُرَاقةَ أحدُ بنى عَدِىّ بن النجّار وهو يشرب من الحوض [بسهمٍ فأصاب نَحْرَه(٤)] فقُتِل . ثم خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الناس فحرّضهم ونَفَّل كلَّ امرئٍ ما أصاب ، وقال : "والذى نَفْسِى بيده لا يُقاتلهم

(١) مردفين : متتابعين بعضهم فى إثر بعض . (٢) كذا فى تاريخ الطبرى . والمراد بالقبة العريش الذى نصب له . وفى الأصول : « فى فتية » وهو تحريف . (٣) النقع : الغبار .
(٤) زيادة عن السيرة .

استماتة أصحاب النبي بالموت في سبيل حسن الثواب

اليومَ رجلاً فيُقتَل صابرًا محتسبًا مُقبِلاً غير مُدْبِرٍ إلّا أدخله اللهُ الجنة ". فقال عُمَيْر ابن الحُمَام أخو بني سَلِمَة وفي يده تمراتٌ يأكلها : بَخٍ بَخٍ ! أمَا بيني وبين أن أدخلَ الجنّةَ إلّا أن يقتلَني هؤلاء! قال: ثم قَذَف التمَراتِ من يده وأخذ سيفَه فقاتلَ القومَ حتى قُتِل، وهو يقول :

٥ رَكْضاً إلى اللهِ بغيرِ زادِ * إلّا التُّقَى وعَمَلَ المَعَادِ

والصَّبْرَ في اللهِ على الجهادِ * وكلُّ زادٍ عُرْضةُ النَّفادِ

* غيرَ التُّقَى والبِرِّ والرَّشادِ *

حدّثنا محمد بن جَرير قال حدّثنا ٱبن حُمَيْد قال حدثنا سَلَمَةُ قال حدثنا محمد ابن إسحاق عن عاصم بن عُمَر بن قَتَادةَ :

١٠ أنّ عَوْفَ بنَ الحارث، وهو ابنُ عَفْراء، قال: يا رسولَ الله، ما يُضحِك الربَّ من عبده ؟ قال : " غَمْسُه يدَه في العدوّ حاسرا "؛ فنزَع دِرعاً كانت عليه فقذَفها، ثم أخذ سيفَه فقاتل القومَ حتى قُتِل .

التقاء الفريقين وهزيمة المشركين

حدّثنا محمد قال حدثنا ٱبن حُمَيْد قال حدثنا سَلَمَةُ عن ابن إسحاق قال وحدّثني محمد بن مُسْلِم الزُّهْرِيّ عن عبد الله بن ثَعْلَبَةَ بن صُعَيْر العُذْرِيّ حليف بني زُهْرَةَ قال :

١٥ لمّا ٱلتقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعضٍ [1]، قال أبو جهل : اللّهُمّ أقْطَعُنا للرَّحِم وآتانا بما لا يُعرَف فأحِنْهُ الغداةَ؛ فكان هو المُستَفتِحَ على نفسه . ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم أخذ حَفْنةً من الحصباء وٱستقبل بها قريشا، ثم قال: " شاهتِ الوجوهُ " ثم نَفَحهم [2] بها ، وقال لأصحابه : " شُدُّوا "؛ فكانتِ الهزيمةُ، فقتَل اللهُ مَنْ قتَل من صَناديد قريش، وأسَرَ مَنْ أسَر منهم. فلمّا وضع القومُ أيديَهم

٢٠ (١) كذا في م والسيرة. وفي باقي الأصول : «ودنا بعضهم من بعضهم». (٢) نفحهم : ضربهم.

يأسِرون — ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى العَرِيش، وسعدُ بن مُعاذَ قائمٌ على باب العريش الذى فيه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مُتَوَشِّحًا بالسيف فى نَفَرٍ من الأنصار، يحرُسون رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، يخافون عليه كَرّةَ العَدو — رأى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما ذُكِرَ لى — فى وجه سعد بن مُعاذ الكراهــةَ فيما يصنع الناس؛ فقال له : "كأنّك كَرِهْتَ ما يصنَع الناسُ" ! قال : أجَلْ يا رسولَ الله ! كانت أوّلَ وَقعــةٍ أوقعها الله عزّ وجلّ بأهل الشِّرْك؛ فكان الإثخانُ فى القَتْــل أعجبَ إلىّ مِنَ استبقاءِ الرجال .

نهى النبيّ عن قتل جماعة خرجوا مستكرهين مع قريش

حدّثنــا محمد قال حدّثنا ابن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن محمد بن إسحاق قال، وحدّثنى العبّاس بن عبد الله بن مَعْبَد[1] عن بعض أهله عن ابن عبّاس :

أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لأصحابه يومئذ : "إنّى قد عرفتُ أنّ رجالًا من بنى هاشم [وغيرهم][2] قد أُخرِجوا كَرْهًا لاحاجةَ لهم بقتالنا؛ فمَنْ لَقِيَ منكم أحدًا من بنى هاشم فلا يقتُلْه، ومَنْ لَقِيَ أبا البَخْتَرِىّ [بن هشام] بن الحارث فلا يقتُلْه ومن لَقِيَ العبّاسَ بن عبد المُطّلِب — عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم — فلا يقتُلْه، فإنّما خرج مُسْتَكْرَهًا". قال : فقال أبو حُذَيفةَ بن عُتْبةَ بن ربيعة : أيُقْتَلُ آباؤنا وأبناؤنا وإخوانُنا[3] وعشيرتُنا ونترك العبّــاسَ ! والله لئن لَقِيتُه لَأُلْحِمَنَّه[4] السيفَ ! فبلغتْ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، فجعل يقول لعُمَر بن الخطّاب : "يا أبا حَفْصٍ أمَا تسمَع إلى قول أبى حُذَيفةَ يقول أضرِب وجهَ عمّ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - بالسيف". فقال عمر : يا رسولَ الله، دَعْنى فَلَأَضْرِبَنَّ عُنُقَه بالسيف، فوالله لقد نافقَ . قال

(١) كذا فى تاريخ الطبرى (ص ١٣٢٣ من القسم الأوّل طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ص ٤٤٦ طبع أوربا) وتهذيب التهذيب (ج ٥ ص ١٢٠ طبع الهند). وفى الأصول : « مصعب » وهو تحريف .
(٢) زيادة عن م والسيرة والطبرى . (٣) فى السيرة : « وإخوتنا » .
(٤) لأجعلن لحمه طعاما للسيف . وفى الأصول : « لألجمه » .

عمر : والله إنّه لأوّلُ يومٍ كنّانى فيه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بأبى حفص .
قال: فكان أبو حُذَيفةَ يقول : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمةِ التى قلتُ يومئذ ولا أزالُ
منها خائفًا إلّا أن تُكفّرها عنّى الشهادة، فقُتِل يومَ اليمامة [شهيدًا] (١) . قال : وإنّما
نهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن قتل أبى البَخْتَرِىّ ، لأنه كان أكفَّ القومِ
عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو بمكّة ، كان لا يُؤْذِيه ولا يبلُغه عنه بمكة
شىءٌ يكرَهُه ، وكان ممن قام فى نَقْض الصحيفة التى كتبتْ قريش على بنى هاشم وبنى
المُطّلب . فلَقِيه المُجَذَّر بن ذِياد البَلَوِىّ (٢) حليفُ الأنصار من بنى عَدِىّ ، فقال المجذّر
ابن ذِياد لأبى البَخْتَرِىّ : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم قد نهى عن قتلك ،
ومع أبى البخترىّ زميلٌ له خرج معه من مكّة ، وهو جُنَادةُ بن مُلَيْحةَ بنِ زُهَيْر
ابن الحارث بن أَسَد — وجُنادة رجلٌ من بنى ليث . واسم أبى البَخْتَرِىّ العاصى
ابن هشام بن الحارث بن أَسَد — قال : وزميلى ؟ فقال المجذّر : لا واللهِ ما نحن
بتاركى زميلك ، ما أَمَرنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلّا بك وحدَك . قال : واللهِ
إذًا لأموتن [أنا] (١) وهو جميعا ! لا تتحدّث عنّى نساءُ قريش بين أهل مكة أنّى
تركتُ زميلى حرصًا على الحياة . فقال أبو البَخْتَرِىّ حين نازله المُجَذَّر وأبَى إلّا القتالَ (٣)
وهو يرتجز :

لن يُسْلِمَ ابنُ حُرَّةٍ أكِيلَهُ (٤) * حتّى يموتَ أو يرى سبيلَه

(١) زيادة عن م والسيرة والطبرى . (٢) كذا فى الطبرى وسيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد (ج ٣ ص ٩٨ من القسم الثانى طبع أوربا) وأسد الغابة (ج ٤ ص ٣٠٢) والمشتبه فى أسماء الرجال للذهبى (ص ٤٦٤) وشرح القاموس مادة ذود . وورد فيه : « والمجذر بن ذياد بالكسر ويقال ذَبّاد ككتّان ، والأول أكثر » . وفى الأصول « زياد » بالزاى . وفى سيرة ابن هشام (ص ٤٤٧) : « ويقال المجذر بن ذئاب » . (٣) كذا فى م والسيرة . وفى سائر الأصول : « القتل » .
(٤) فى سيرة ابن هشام : « زميله » .

سبب نهى النبى عن قتل أبى البخترى وقصة قتله

فاقتتلا ، فقتله المُجَذَّر بن ذِياد . ثم أتى المجذَّر بن ذِياد رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : والّذى بعثك بالحق ، لقد جَهِدتُ عليه أن يستأسِرَ فآتيك به ، فأبى إلّا القتالَ ، فقاتلتُه فقتلته .

عبد الرحمن بن عوف وأمية بن خلف

قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير عن أبيه ، قال : وحدّثنيه[1] أيضا عبدُ الله بن أبى بكر وغيرُهما عن عبد الرحمن بن عَوْف قال : ٥

كان أُمَيَّةُ بن خَلَف لى صديقًا بمكة . قال : وكان اسمى عبدَ عَمْرو ، فسُمِّيتُ حين أسلمتُ عبدَ الرحمن ونحن بمكة . قال : وكان يلقانى بمكة فيقول : يا عبد عمرو ، أرَغِبتَ عن اسمٍ سمّاك به أبوَاك ؟ فأقول نعم ؛ فيقول : فإنّى لا أعرف الرحمن ، فاجعلْ بينى و بينك شيئا أدعوك به ، أمّا أنت فلا تُجيبنى بآسمك الأوّل ، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعانى : يا عبدَ عمرو ، لم أجبه . ١٠ فقلت : اجعَلْ بينى و بينك يا أبا علىّ ما شئت . قال : فأنت عبدُ الإله . فقلت نعم . قال : فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبدَ الإله فأُجيبه فأتحدّث معه . حتى إذا كان يومُ بَدْرٍ ، مررتُ به وهو واقفٌ مع علىٍّ ابنه آخذاً بيده ، ومعى أدراعٌ قد سلبتُها وأنا أحملها . فلمّا رآنى قال : يا عبدَ عمرو ، فلم أجبه . فقال : يا عبدَ الإله ، قلت نعم . قال : هل لك فىّ فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع ؟ قلتُ : نعم ، ١٥ هَلُمَّ إذًا . فطرحتُ الأدراعَ من يدى وأخذتُ بيده وبيد آبنه علىٍّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم قطُّ ، أمَا لكم حاجةٌ فى اللبن[2] ؟ ثم خرجتُ أمشى بينهما .

٢٩ / ٤

(١) كذا فى السيرة . وفى الأصول : « حدثنى » . (٢) قال ابن هشام : « يريد باللبن أن من أسرنى افتديت منه بإبل كثيرة اللبن » .

مقتل أمية بن خلف وابنه

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الواحد بن أبى عَوْن[1] عن سعد بن إبراهيم ابن عبد الرحمن عن أبيه[2] عن عبد الرحمن بن عَوْف قال :

قال لى أمَيَّةُ بن خَلَف وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما : يا عبدَ الإله ، مَن الرجلُ المُعْلَمُ[3] منكم بريش نَعامة فى صدره ؟ قال قلت : ذلك حمزةُ بن عبد المطّلب . قال : ذلك الذى فَعَل بنا الأفاعيل . قال عبدالرحمن : فوالله إنّى لأقودهما إذ رآه بلالٌ معى — وكان هو الذى يعذّب بلالا بمكة على أن يترك الإسلام ، فيُخرجه إلى رَمْضاءِ مكة[4] إذا حَمِيتْ فيُضْجِعه على ظهره ، ثم يأمر[5] بالصخرة العظيمة فتُوضَع على صدره ، ثم يقول : لا تزالُ هكذا حتى تفارقَ دينَ محمد ، فيقول بلالٌ : أَحَدٌ أَحَدٌ — فقال بلالٌ حين رآه : رأسُ الكفْر أميّةُ بن خَلَف ، لانجوتُ إن نَجَوَا ! قال : قلتُ : أىْ بلالُ ، أبأسيرَىَّ ! قال : لانجوتُ إن نَجَوَا ! قلت : أىْ بلالُ ، أبأسيرَىَّ تُسْمِعُ[6] يا بنَ السوداء ! قال : لانجوتُ إن نَجَوا ! ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصارَ الله ، رأسُ الكفر أميّة بن خلف ، لا نجوتُ إن نَجَوا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المَسَكة[7] وأنا أذُبُّ عنه . قال : فأخلفَ رجلٌ السيفَ فضَرَب رِجْلَ ابنه[8] فوقع ، وصاح أميّة

(١) كذا فى الطبرى . وفى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى أن عبدالواحد بن أبى عون يروى عن سعد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . وقد ورد فى الأصول : «... أبى عون بن سعيد بن إبراهيم الخ» وهو خطأ . (٢) كذا فى م وسيرة ابن هشام والطبرى . وفى سائر الأصول : «عن أبيه عبد الرحمن» وهو خطأ . (٣) كذا فى م والسيرة والطبرى . وفى سائر الأصول : «المتعلم» . (٤) كذا فى م والسيرة والطبرى . وفى سائر الأصول : «رمضاء بمكة» . (٥) كذا فى م والسيرة . وفى سائر الأصول : «يأتى» . (٦) كذا فى م . والتسميع : التشهير ؛ يقال : سَمّع بالرجل ، إذا أذاع عنه عيبا وندّد به وشهره وفضحه . وفى ج والطبرى : «أى بلال تسمع يابن السوداء» . وفى سائر الأصول : «أى بلال أتسمع يابن السوداء» . (٧) كذا فى م والسيرة والطبرى . والمسكة (بالتحريك) : السوار . وفى سائر الأصول : «السكة» وهو تحريف . (٨) كذا فى السيرة . وفى الأصول : «قال : فضرب رجل أمية فوقع الخ» .

صيحةً ما سمعتُ بمثلها قطُّ . قال قلتُ : انْجُ بنفسك ولا نَجاءَ[1] ! فوالله ما أُغْنى عنك شيئا . قال : فهبَروهما[2] بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : رَحِم اللهُ بلالًا ! ذَهَب بأدْراعى وفَجَعنى بأسيرىّ .

قتال الملائكة فى غزوة بدر

قال ابن إسحاق حدّثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن ابن عباس قال حدّثنى رجلٌ من بنى غِفَار[3] قال :

أقبلتُ أنا وابنُ عمٍّ لى حتى أصعدنا فى جبلٍ يُشْرِف بنا على بَدْر، ونحن مشركان ننتظر الوَقْعةَ على مَنْ تكون الدَّبْرة[4] ، فننْهَب مع مَن ينْهَبُ . فبينا نحن فى الجبل إذ دنتْ منّا سحابةٌ ، فسَمِعْنا فيها حَمْحَمةَ الخيل، وسمعتُ قائلًا يقول: أَقْدِمْ[5] حيْزُومُ . قال : فأمّا ابن عمِّى فانكشف قِناعُ[6] قلْبه فمات مكانه . وأما أنا فكِدْتُ أَهْلِك ، ثم تماسكتُ .

قال محمد بن إسحاقُ حدّثنى أبى إسحاق بن يسارٍ عن رجالٍ من بنى مَازِن بن النجّار عن أبى داودَ المازنىّ، وكان شَهِد بدرًا، قال :

إنّى لأتْبَعُ رجلًا من المشركين يوم بَدْرٍ لأضربه، إذ وَقَع رأسُه قبل أن يصلَ إليه سيفى، فعلمتُ أنه قد قتَله غيرى .

---

(١) فى السيرة : «انج بنفسك ولا نجاء به» . (٢) هبروهما : قطعوهما . (٣) كذا فى سيرة ابن هشام وتاريخ الطبرى . وفى الأصول : «بنى عفان» . (٤) الدبرة (بالفتح) : العاقبة؛ يقال : لمن الدبرة أى الدولة والنصر والظفر، وعلى من الدبرة أى الهزيمة . (٥) أقدم حيزوم : أمر بالإقدام ، وهو التقدّم فى الحرب، والإقدام : الشجاعة . وقد تكسر همزة «إقدم» فيكون أمرا بالتقدّم لا غير، والصحيح الفتح من أقدم . وحيزوم : اسم فرس جبريل عليه السلام . (انظر ابن الأثير واللسان مادتى قدم وحزم) . (٦) قناع القلب : غشاؤه، تشبيها بقناع المرأة .

حدّثنا محمد بن جَرير قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكَم المصْرىّ قال حدّثنا يحيى بن بُكَيْر قال حدّثنى محمد بن إسحاق عن العَلاء بن كَثِير عن أبى بكر ابن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمة عن أبى أمامةَ بن سَهْل بن حُنيف قال :

قال لى أبى : يا بُنَىّ ، لقد رأيْتنا يومَ بَدْرٍ وإنّ أحدنا لَيُشيرُ إلى المُشْرِك بسيفه فيقَع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيفُ . ٥

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن محمد قال، وحدّثنى الحسن بن عُمَارَةَ قال أخبرنا سَلَمةُ عن الحَكَم بن عُتَيْبةَ[1] عن مِقْسَم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عباس قال :

لباس الملائكة يوم بدر وحنين
٣٠
٤

كانت سِيمَا الملائكة يوم بدرٍ عمائم بيضا قد أرسلوها على ظهورهم[2]، ويومَ حُنَيْنٍ عمائمَ حُمْرًا، ولم تُقاتل الملائكةُ فى يومٍ من الأيّام سِوى يومِ بدر، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام مَدَدًا وعَدَدًا ولا يضربون . ١٠

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُميد قال حدّثنا سَلَمةُ قال ، قال محمد وحدّثنى ثَوْر بن زيد[3] مولى بنى الدِّيل[4] عن عِكْرِمةَ مولى ابن عبّاس عن ابن عباس، قال وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر، قالا : كان مُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح أخو بنى سَلِمَةَ يقول :

مقتل أبى جهل
ابن هشام

لمّا فرَغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أمر بأبى جهل أن يُلْتَمس فى القَتْلَى، وقال: "اللّهمّ لا يُعْجِزنَّك". وكان أوّلُ مَنْ لقِى أبا جهل مُعاذَ بن عمرو بن الجَمُوح، قال : سمعتُ القوم، وأبو جهل فى مثل الحَرَجة[5]، وهم يقولون : أبو الحَكَم ١٥

(١) كذا فى المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى وتهذيب التهذيب . وفى الأصول : «عيينة» وهو تصحيف .
(٢) كذا فى السيرة . وفى الأصول : «فى» . (٣) فى الأصول: «يزيد» والتصويب عن تهذيب التهذيب والطبرى . (٤) كذا فى م . وفى سائر الأصول : «ابن الديل» . (٥) الحرجة بالتحريك : مجتمع شجر ملتف كالغيضة ، والجمع : حَرَج وحراج . ٢٠

لا يُخْلَص إليه . فلما سمعتها جعلتُها من شأنى، فعمَدتُ نحوه، فلما أمكننى حملتُ عليه، فضربته ضربةً أطَنَّتْ(١) قدمَه بنصف ساقه، فوالله ما شبّهتها حين طاحت إلّا كالنواة تَطيح من تحت مِرْضَخَة(٢) النَّوَى حين يُضرَب بها. قال : وضربنى ٱبنه عكرِمةُ على عاتقى فطرح يدى، فتعلّقتْ بجلدةٍ من جنبى، وأجهضنى القتالُ عنها؛ فلقد قاتلتُ عامّةَ يومى وإنّى لأسحَبُها خلفى، فلمّا آذتنى جعلتُ عليها رجلى ثم تمطّيتُ بها حتى طرحتُها . قال : ثم عاش مُعاذ بعد ذلك حتى كان فى زمن عثمان بن عفّان .

قال: ثم مرّ بأبى جهل، وهو عَقِيرٌ(٣)، مُعوِّذ بن عفراء، فضربه حتى أثبته(٤)، فتركه وبه رمَقٌ، وقاتل معوذ حتى قُتِل . فمرّ عبد الله بن مسعود بأبى جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُلتَمَس فى القتلَى ، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى : " انظُروا إنْ خَفِى عليكم فى القتلَى إلى أثر جُرح بركبته، فإنّى ٱزدحمتُ أنا وهو يومًا على مأدُبة لعبد الله بن جُدْعان [ونحن غلامان](٥) وكنت أشَبَّ ـ أو أشَفَّ ـ منه بيسير، فدفعته فوقع على ركبتيه نخُدِش [فى](٥) إحداهما خَدْشًا لم يَزَل أثرُه فيها بعدُ(٦)".

فقال عبد الله بن مسعود : فوجدتُه بآخر رَمَقٍ فعرفتُه ، فوضعتُ رجلى على عُنقه .

قال : وقد كان ضَبَث(٧) بى مرّةً بمكة فآذانى ولكزنى، ثم قلتُ : هل أخزاكَ اللهُ

(١) أطنت : قطعت . (٢) كذا فى الطبرى . وفى النهاية لابن الأثير : « شبهتها النواة تنزو من تحت المراضخ » جمع مرضخة ، وهى حجر يرضخ به النوى . والرضخ : الكسر . وفى الأصول : « مرضة النوى » . ورض الشىء : دقه وجرشه . (٣) كذا فى م والسيرة والطبرى . والعقير : المجروح . وفى سائر الأصول : « عفير » بالفاء ، وهو تصحيف . (٤) أى جرحه جراحة لا يتحرك معها ولا يقوم . (٥) زيادة عن م والسيرة . (٦) كذا فى م . وفى سائر الأصول : « بعده » . (٧) ضبث بالشىء ضبثا : قبض عليه بكفه .

يا عدوّ الله؟ قال: و بماذا أخزانى! أَعْمَدُ[1] من رجلٍ قتلتموه! لمن الدَّبْرَةُ اليومَ؟ قال: قلت: لله ولرسوله صلّى الله عليه وسلّم.

حدّثنا محمد بن جَرير قال حدّثنا ابن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمَةُ عن محمد قال: زعم رجالٌ من بنى مخزومٍ أنّ ابن مسعود كان يقول: قال لى أبو جهل: لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِىَ الغنم مُرْتَقًى صعبًا؛ ثم احتززتُ رأسه، ثم جئتُ به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، فقلت: يا رسولَ الله، هذا رأسُ عدوّ الله أبى جهل. فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "آللهِ الذى لا إله غيره"! — وكانت يمينَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — قلت: نعم واللهِ الذى لا إلهَ غيرُه، ثم ألقيتُ رأسه بين يَدَىْ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ قال: الحمد لله.

تكليم النبى أصحاب القليب بعد موتهم

قال محمد بن إسحاق وحدّثنى يزيدُ بن رُومانَ عن عُرْوةَ بن الزُّبَير عن عائشةَ قالت: لمّا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقَتْلَى أن يُطْرَحُوا فى القَلِيبِ طُرِحوا فيها إلّا ما كان من أُمَيّةَ بنِ خَلَف، فإنّه انتفخ فى دِرْعه فملأها؛ فذهبوا به ليُخْرِجوه فتَزايَل، فأقرّوه[2] وألقَوْا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة. فلمّا ألقَوْهم فى القَلِيب، وقف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: "يا أهلَ القَلِيبِ هَلْ وجدتُمْ ما وَعَدَكم رَبُّكم حقًّا فإنى وجدتُ ما وعدنى ربّى حقًّا". فقال له أصحابُه: يا رسولَ الله، أتكلّم قومًا

٣١ / ٤

(١) أعمد: أى أعجب. قال أبو عبيد: معناه هل زاد على سيد قتله قومه! هل كان إلا هذا! أى إن هذا ليس بعار. يريد أن يهوّن على نفسه ما حل به من الهلاك، وأنه ليس بعار عليه أن يقتله قومه. وقال شمر: هذا استفهام أى أأعجب من رجل قتله قومه! قال الأزهرى: كأن الأصل أأعمد الخ فخففت إحدى الهمزتين. والمراد بالدبرة: الدولة والظفر كما مرّ فى الحاشية رقم ٤ ص ١٩٨ من هذا الجزء.

(٢) كذا فى السيرة. وفى الأصول: «فأفروه» بالفاء، وهو تصحيف.

موتى؟ قال: "لقد علموا أنّ ما وعدهم ربُّهم حقّ". قالت عائشة: والناسُ يقولون: «لقد سمعُوا ما قلتُ لهم»، وإنما قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: "لقد علموا".

قال ابن إسحاق وحدّثنى حُمَيْدٌ الطويلُ عن أنس بن مالك قال:

لمّا سمع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يقول من جَوْف الليل: "ياأهلَ القليب يا عُتْبةُ بن ربيعةَ وياشيبةُ بن ربيعة ويا أبا جهل بن هشام — فعدّد منْ كان منهم فى القليب — هل وجدتُم ما وَعَدكم ربُّكم حقًّا فإنّى قد وجدتُ ما وعدنى ربّى حقًّا" قال المسلمون: يا رسولَ الله، أتُنادى قومًا قد جَيَّفُوا! فقال: "ما أنتم بأسْمَعَ لِما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يُجيبونى".

قال محمد بن إسحاق وحدّثنى بعض أهل العلم: أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يوم قال هذه المقالةَ قال: "ياأهلَ القَلِيب بئس عشيرةُ النبيّ كنتم لنبيّكم! كذّبتمونى وصدّقنى الناسُ، وأخرجتمونى وآوانى الناسُ، وقاتلتمونى ونصرنى الناسُ". ثم قال: "هل وجدتُم ما وَعَدكم ربُّكم حقًّا" للمقالة التى قالها. ولمّا أَمَر بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُلْقَوْا فى القليب، أخذ عُتْبةُ فسُحِبَ إلى القليب، فنظر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، فيما بلغنى، إلى وجه أبى حُذَيفةَ بن عُتْبةَ، فإذا هو كئيبٌ قد تغيّر، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: "يا أبا حُذَيفةَ لعلّك قد دخلك من شأن أبيك شىء" أو كما قال. قال فقال: لا والله يا رسولَ الله ما شَكَكتُ فى أبى ولا فى مَصْرَعه، ولكنّى كنتُ أَعْرِف من أبى رأيًا وفضلًا وحِلْمًا، فكنتُ أرجو أن يَهْديَه اللهُ إلى الإسلام، فلمّا رأيتُ ما أصابه وذكرتُ ما مات عليه من الكفر بعد الذى كنتُ أرجوله، أحزننى[1] ذلك. قال: فدعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم له بخير وقال له خيرا.

(١) كذا فى السيرة. وفى الأصول: «فلما رأيت ما أصابه ذكرت .... فحزننى ذلك».

اختلاف المسلمين على الفىء

ثم إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أمر بما فى العسكر مما جمع الناسُ بجُمِع ، وٱختلف المسلمون فيه : فقال مَنْ جَمَعه : هو لنا ، وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم نَفَّل كلَّ آمرئ ما أصاب . فقال الذين كانوا يُقاتلون العدوّ ويطلبونهم : لولا نحن ما أصبتموه ، لَنَحنُ[1] شَغَلْنا القومَ عنكم حتّى أصبتم ما أصبتم . وقال الذين كانوا يحرُسون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مخافةَ أن يُخَالِفَ[2] إليه العدوّ : والله ما أنتم بأحقَّ منّا ، ولقد رأينا أن نقتل العدوَّ إذ ولّانا الله ومَنَحنا أكتافَهم ، ولقد رأينا أن نأخُذ المتاعَ حين لم يكن دونه مَنَ يَمْنَعُه ، ولكن خِفْنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كَرَّةَ العدوّ ، فقُمْنا دونه ، فما أنتم بأحقَّ به منّا .

مقتل النضر بن الحارث

قال ٱبن إسحاق وحدّثنى عاصم بن عُمَر بن قَتَادةَ و يزيد بن رُومَانَ : أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جمع الأسارىَ من المشركين ، وكانوا أربعةً وأربعين أسيرًا ، وكان من القَتْلَى مثلُ ذلك ، وفى الأسارى عُقْبةُ بن أبى مُعَيْط ، والنَّضْرُ بن الحارث ابن كَلَدَة ، حتّى إذا كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالصَّفراء ، قُتِل النَّضرُ بن الحارث بن كَلَدة ، قتَله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

تعنيف سودة لسهيل بن عمرو حين أُسر وعتاب النبىّ لها فى ذلك

قال محمد بن إسحاق حدّثنى عبد الله بن أبى بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ٱبن سعد[3] بن زرارة قال :

(١) كذا فى السيرة . وفى الأصول : « فقال » . (٢) أى مخافة أن يأتيه العدوّ فى غيبة أصحابه . (٣) فى الأصول : « أسعد » وهو خطأ ؛ والتصويب عن طبقات ابن سعد (ج٣ص١٣٨ من القسم الثانى طبع أوربا) . قال ابن سعد ما نصه : «وكان لأسعد بن زرارة من الولد حبيبة مبايعة ، وكبشة مبايعة ، والفريعة مبايعة ؛ وأمهم عميرة بنت سهل بن ثعلبة بن الحارث بن يزيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، ولم يكن لأسعد بن زرارة ذكر وليس له عقب إلا ولادات بناته هؤلاء ، والعقب لأخيه سعد بن زرارة » .

٣٢
٤

قُدِم بالأسارى حين قُدِم بهم ، وسَوْدةُ بنتُ زَمْعةَ (زوجُ النبي صلّى الله عليه وسلّم) عنـد آل عَفْراءَ فى مَنَاحَتِهم على عَوْف ومُعَوِّذ ٱبْنى عفراء ، وذلك قبلَ أن يُضْرَبَ عليهنّ الحجاب . قال : تقول سَوْدةُ : والله إنّى لعندهم إذْ أُتِينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أُتِىَ بهم ، فرُحْتُ إلى بيتى ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيه ، وإذا أبو يَزِيدَ سُهَيْلُ بنُ عمرو فى ناحية الحُجْرة مجموعةً يداه إلى عُنُقه بحَبْـل . قالت : فوالله ما ملكتُ نفسى حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلتُ : يا أبا يزيد ، أَعْطَيْتُمْ بأيديكم ، ألَا مُتُّمْ كِرَامًا ! فوالله ما أَنبهنى إلّا قولُ رسـول الله صلّى الله عليه وسـلّم من البيت : "يا سَوْدة أعَلَى اللهِ وعلى رسولِه" ! قالت فقلت : يا رسولَ الله ، والذى بَعَثَـك بالحقّ ما ملكتُ نفسى حين رأيتُ أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عُنُقـه بحَبْـل أن قلتُ ما قلت .

إخبار الحيسمان أهل مكة عن قتلى بدر

قال محمد بن إسحاق : وكان أوّلُ مَنْ قَدِم مكةَ بمُصاب قريش ، الحَيْسُمَانَ[1] ابنَ عبد الله بن إياس بن ضُبَيْعةَ بن رُومَان بن كعب بن عمرو الخُزَاعىّ . قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتِل عُتْبةُ بن ربيعة ، وشَيْبةُ بن ربيعة ، وأبو الحَكَم بن هِشَام ، وأُمَيّةُ بن خَلَف ، وزَمْعةُ بن الأَسْوَد ، وأبو البَخْتَرِىّ بن هشام ، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحَجّاج . قال : فلمّا جعل يُعَدِّد أشرافَ قريش قال صَفْوانُ بن أُمَيّـةَ وهو قاعدٌ فى الحِجْر : والله إن يَعْقِلْ هذا فسَلُوه عنّى . قالوا : ما فعل صَفْوان بن أُمَيّة ؟ قال : هو ذاك جالس فى الحِجْر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلا .

(١) كذا فى تاريخ الطبرى (ص ١٣٣٨ من القسم الأوّل طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ص ٤٦٠) وشرح القاموس مادة «حسم» . وفى الأصول : «الحيثمان» بالثاء المثلثة ، وهو تحريف . ثم ذكر الطبرى خلافا فى نسب الحيسمان هـذا فقال : «وقال الواقدىّ : الحيسمان بن حابس الخزاعى» . وفى الاشتقاق لابن دريد (ص ٢٨٠) : «الحيسمان بن عمرو» . وفى أسد الغابة : «الحيسمان بن إياس بن عبد الله بن إياس بن ضبيعة بن عمرو بن مازن» . وذكر فى الإصابة فى نسبه أقوالا كثيرة ، فراجعها .

أبو لهب وتخلفه عن الحرب ثم موته

قال محمد بن إسحاق حدثني حُسَين بن عبد الله بن عُبَيْد الله بن عبّاس عن عِكْرِمة[1] مولى ابن عبّاس قال :

قال أبو رافع مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : كنتُ غلاماً للعبّاس بن عبد المُطَّلِب ، وكان الإسلامُ قد دَخَلَنا أهلَ البيت ، [فأسلم العبّاس][2] وأسلمتْ أمّ الفضل، وأسلمتُ، وكان العبّاس يَهَاب قومَه، ويكره خلافهم، وكان يكتُم إسلامَه، وكان ذا مالٍ كثير متفرِّق فى قومه، وكان أبو لَهَب عدوُّ الله قد تخلّف عن بدر، وبعث مكانَه العاصىَ بن هشام بن المُغيرة، وكذلك صَنَعوا، لم يتخلّف رجلٌ إلّا بعث مكانَه رجلًا . فلمّا جاء الخبر عن مُصاب أهل بَدرٍ من قريش، كَبَته الله وأخزاه، ووَجَدْنا فى أنفسنا قوّةً وعزًّا ؛ وكنتُ رجلًا ضعيفا، وكنتُ أعمَل القِدَاحَ أَنْحَتُها فى حُجْرة زَمْزَم ؛ فوالله إنّى لجالسٌ فيها أَنْحَتُ القِدَاحَ ، وعندى أمّ الفضل جالسة وقد سَرَّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسقُ أبو لَهَب يجُرّ رِجلَيه[3] يسير حتى جلس على طُنُب الحُجْرة، فكان ظهرُه إلى ظهرى . فبينا هو جالس إذ قال الناسُ : هذا أبو سُفْيان بن الحارث بن عبد المُطَّلِب قد قَدِم؛ فقال أبو لهب : هَلُمَّ إلىَّ يا بنَ أخى، فعندك لَعَمْرى الخبر . فجلس إليه والنّاسُ قيامٌ عليه . فقال يا بنَ أخى أَخْبِرْنى كيف كان أمْرُ الناس ؟ قال : لا شىءَ والله ، إنْ كان إلّا أنْ لَقِيناهم فأَمْنَحْنَاهم أكْتَافَنا يقتُلون ويأسرون كيف شاءوا . وَآيْمُ الله مع ذلك ما لُمْتُ الناسَ ، لَقِينا رجالًا بِيضًا على خَيْلٍ بُلْقٍ بين السماء والأرض ما تُلِيق[4] شيئاً ولا يقوم لها شىء . قال أبو رافع : فرفعتُ طُنُبَ الحُجْرة بيدى، ثم قلتُ : تلك والله الملائكة! فرفع أبو لَهَب

(١) كذا فى سيرة ابن هشام . وفى سائر النسخ : « عن عكرمة بن إسحاق مولى ابن عباس » تحريف . (٢) الزيادة عن السيرة . (٣) فى السيرة : « بشرّ » .

(٤) ما تليق شيئا : ما تبقى على شىء ؛ يقال : هذا سيف لا يليق شيئا أى لا يمر بشىء إلا قطعه . وفى ب ، حـ : « ما تلين » ؛ وهو تحريف .

يَدَه فضرب وجهى ضربةً شديدة. قال : فساورتُه فاحتملنى فضرب بى الأرض، ثم بَرَك علىّ يضربنى، وكنتُ رجلاً ضعيفا؛ فقامت أُمّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحُجْرة فأخذتْه فضربته به ضربةً ، فشجّتْ فى رأسه شجّةً مُنكَرة وقالت : آستضعفته أنْ غاب عنه سيّده ! فقام مُوَلِّيًا ذليلا . فوالله ما عاش فيها إلّا سبعَ ليالٍ حتى رماه الله جلّ جلاله بالعَدَسة[1] فقتلْته؛ فلقد تركه آبناه ليلتين أو ثلاثًا لا يَدْفِنانه حتى أنْتَن فى بيتـه — وكانت قريش تتّقى العَدَسـةَ كما يُتّقَى الطاعون — حتى قال لهما رجلٌ من قريش وَيْحكما! لا تَسْتَحِيان أنّ أبا كما قد أنتن فى بيته لا تُغيِّبانه! فقالا: نخشى هذه القَرْحة . قال : فآنطلِقا فأنا معكما . فما غسّلوه إلّا قَذْفًا بالماء عليه من بعيـدٍ ما يَمَسُّـونه ، فاحتملوه فدفنـوه بأعلى مكة على جدار ، وقذفوا عليـه الحجارةَ حتّى وارَوْه .

العباس بن عبد المطلب وتألم النبى لأسره

قال محمد بن إسحاق وحدّثنى العبّاس بن عبد الله بن مَعْبَد عن بعض أهله عن الحَكَم ابن عُتَيْبةَ عن ابن عبّاس قال :

لمّـا أمسى القومُ من يوم بَدْرٍ، والأسارى محبوسون فى الوَثَاق ، بات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ساهرا أوّلَ ليلته . فقال له أصحابه : يا رسـول الله، مالك لا تنام؟ فقال : "سمعتُ تَضَوُّرَ العبّاس فى وثَاقه"، فقاموا إلى العبّاس فأطلقوه؛ فنام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال آبن إسحاق وحدّثنى الحسن بن عُمَارةَ عن الحكم بن عُتَيْبةَ عن ابن عبّاس قال :

كان الذى أَسَر العبّـاس أبو اليَسَر كعبُ بن عمرو أخو بنى سَلِمةَ، وكان رجلاً مجموعا، وكان العبّاس رجلا جسيما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى اليَسَر :

[1] العدسة : بثرة قاتلة تخرج بالبدن .

" كيف أسَرْتَ العبّاسَ يا أبا اليَسَر " ؟ فقال : يا رسول الله ، أعانني عليه رجلٌ ما رأيتُه قبل ذلك ولا بعده ، هيئته كذا وكذا . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : " لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم " .

طلب منه النبي الفداء، وأخبره عن أمواله بمكة

قال ابن إسحاق عن الكلبيّ(1) عن أبي صالح عن ابن عبّاس :

٥ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال للعبّاس بن عبد المطلب حين آنتُهِي به إلى المدينة : " يا عبّاس آفْدِ نَفْسَك ، وابنَ أخيك عَقيل بن أبي طالب ، ونوفلَ ابن الحارث ، وحليفَك عُتْبةَ بن عمرو بن جَحْدَم أخا بني الحارث بن فِهْر ؛ فإنك ذو مال " . فقال : يا رسول الله ، إنّي كنتُ مُسْلِمًا ولكنّ القومَ آستكرهوني . فقال " الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما تذكُر حقًّا فالله يَجْزِيك به ، فأمّا ظاهرُ أمرك فقد

١٠ كان علينا ؛ فآفْدِ نفسك " . وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أخذ منه عشرين أُوقيّةَ من ذهب . فقال العبّاس : يا رسول الله ، احْسُبْها لي في فِدائي . قال : " لا ، ذلك شيء أعطاناه الله منك " . قال : فإنّه ليس لي مال . قال قال : " فأين المالُ الذي وضعته بمكة حين خرجتَ من عند أمّ الفضل بنت الحارث ليس معكما أحدٌ ، ثم قلت لها إن أُصِبْتُ في سَفْرتي هذه فلِلْفَضْل كذا ولعبد الله كذا ولِقُثَم كذا

١٥ ولِعُبَيد الله كذا " ؟ قال : والذي بعثك بالحقّ ما عَلِم هذا أحدٌ غيري وغيرُها ، وإنّي لأعلم أنّك رسولُ الله . ففَدَى العبّاسُ نفسَه وابنَ أخيه وحليفَه .

---

(1) كذا في أكثر الأصول والطبري . وفي س : « عن ابن الكلبي » ، والذي يروي عنه ابن إسحاق ، كما في الأنساب للسمعاني ، هو محمد بن السائب الكلبي . ومحمد هذا يسميه الرواة كثيرا " الكلبي " . وفي بعض الأحيان " ابن الكلبي " . وأما هشام ابنه فيعرف بالكلبي قولا واحدا ، ولم نعرف أن ابن إسحاق

٢٠ روى عنه .

قدمت زينب زوجها أبا العاصى فردّ عليها النبى الفداء

قال آبن إسحاق : وحدّثنى يحيى بن عَبّاد[1] بن عبد الله بن الزُّبَير عن أبيه عن عائشة قالت :

لمّا بعث أهلُ مكة فى فِداء أَسْرَاهم، بعثتْ زينبُ بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى فداء أبى العاصى بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقِلادةٍ لها كانت خديجةُ أدخلتْها بها على أبى العاصى حين بَنَى عليها. فلمّا رآها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رَقَّ لها[2] رِقّةً شديدة وقال : "إنْ رأيتم أن تُطْلِقوا لها أسيرَها وتَرُدُّوا عليها الذى لها فآفعلوا"! فقالوا : نعم يا رسول الله؛ فأطلقوه وردّوا عليها الذى لها.

٣٤ / ٤

رثاء الأسود بن المطلب لأولاده

قال آبن إسحاق : حدّثنى يحيى بن عَبّاد عن أبيه قال :

ناحتْ قريش على قَتْلاها، ثم قالت : لا تفعلوا فيبلُغَ ذلك محمدا [وأصحابه][3] فيَشْمَتُوا بكم ، ولا تبعثوا فى فِداء أَسْرَاكم حتى تَسْتَأْنُوا[4] بهم ، لا يتأرَّب[5] عليكم محمد وأصحابُه فى الفداء. قال : وكان الأَسْوَد بن المُطَّلِب[6] قد أُصيب له ثلاثةٌ من ولده : زَمَعَةُ[7] وعَقِيلٌ والحارث بنو الأسود، وكان يُحِبّ أن يبكى على بَنِيه. فبينا هو

(١) كذا فى م والسيرة (ص ٤٦٥) والطبرى (قسم أوّل ص ١٣٤٧) وفيما سيأتى فى هذه الصفحة فى جميع الأصول. وفى سائر الأصول هنا : «محمد بن عباد». ومحمد بن عباد هذا هو أخو يحيى بن عباد، ولم تعرف لابن إسحاق رواية عنه. (٢) كذا فى السيرة لآبن هشام (ص ٤٦٥ طبع أوربا). وفى الأصول : « فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة الخ » ولعل هذا تكرار من الناسخ. (٣) زيادة عن سـ. (٤) كذا فى الطبرى (قسم ١ ص ١٣٤٢) والسيرة (ص ٤٦١). واستأنى : تربص وانتظر. وفى ب، حـ : « حتى يستأنسوا بهم ». وفى سـ : « حتى تيأسوا منهم ». (٥) كذا فى الطبرى. ويتأرب : يتأبى ويتشدد. وفى السيرة واللسان مادة أرب : « لا يأرب ». وأرب : تشدد. وفى الأصول : «ولا يتأوب» بالواو. (٦) كذا فى السيرة وهو الموافق لما فى حماسة أبى تمام (ص ٣٩٧ — شرح التبريزى طبع أوربا) والاشتقاق لابن دريد. وفى الأصول والطبرى : «ابن عبد يغوث» وهو خطأ. (٧) انظر الحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من هذا الجزء.

كذلك إذ سمع نائحةً فى الليـل ، فقـال لغلامه وقد ذهب بصرُه : أنْظُرْ هل أحِلّ النَّحيب؟ وهل بكت قريش على قتلاها؟ لعلِّى أبكى على أبى حَكِيمة (يعنى زَمْعَةَ)؛ فإنّ جَوْفى قد ٱحترق . فلمّا رجع إليه الغلامُ قال : إنما هى ٱمرأةٌ تبكى على بعيرٍ لها أضَلّتْه؛ فذلك حين يقول الأسْوَد :

أتبكى أنْ أُضِلَّ لها بعيرٌ * ويَمْنَعُها البكاءُ من الهُجودِ[1]

ولا تَبْـكِى على بَكْرٍ ولَـكِنْ[2] * على بَدْرٍ تَقَاصَرتِ الجُـدُودُ[3]

على بَدْرٍ سَرَاةِ[4] بنى هُصَيْصٍ * ومَخْزومٍ ورَهْطِ أبى الوَليـدِ

وبَكِّى[5] إنْ بَكَيْتِ على عَقِيلٍ * وبَكِّى حارِثًا أَسَـدَ الأُسودِ

وبَكِّيهم ولا تُسْـمِى جميعـا * فـا لأبى حَكِيمةَ من نَدِيدِ

ألَا قـد ساد بَعْـدَهُمُ رجالٌ * ولولَا يومُ بَدْرٍ لم يَسُـودُوا

(١) ورد هذا البيت فى حماسة أبى تمـام والسيرة ص ٤٦٢ والطبرى هكذا :

أتبـكى أن يضـل لها بعير * ويمنعها من النـوم السهود

وذكر معه فى الحماسة الثانى والأخير من هذه الأبيات ، وهما البيتان المتفقان معه فى حركة الروى .

(٢) فى الحماسـة والطبرى والسـيرة : « فلا ... ... الخ » . (٣) البكر : الفتىّ من الإبل . وتقاصرت الجدود أى تواضعت الحظوظ . يريد أنه يستهين فقد المـال ويستعظم فقد النفوس . وتقاصرت : تقاعست من القصور والعجز، كأنها تبارت فى القصور . ويحتمل أن تكون من القصر الذى هو ضـد الطول، وتكون كلمة "على" من "على بدر" موضوعة موضع الباء ؛ كما يقال : هم على ماء كذا وهم بماء كذا . وقال أبو هلال : تقاصرت الجدود : عثرت . والعاثر يتطأطأ عند العثار فيتقاصر . والعثار فى الجدّ مثل ، وكذلك التقاصر . ويجوز أن يقال : إنه أراد بالجـدود الأعمار أى إنه قتل من قتل من المشركين فذهب بهسم عن قريش ، أى لا تبكى على بكر وابكى على من تقاصرت جدودهم ببدر فهلكوا . (عن شرح الحماسة للتبريزى باختصار) . (٤) سراة : جمع سرى وهو السيد الكريم . (٥) بكّاه بالتضعيف مثل بكاه المخفف .

رثاء هند بنت عتبة أباها

ومما قيل فى بَدْرٍ من الشّعر وغُنّىَ به قولُ هند بنت عُتْبَةَ ترثِى أباها:

صـــوت

مَنْ حَسَّ(1) لى الأَخَوَيْنِ كالْـ * ـغُصْنَيْنِ أو مَـنْ رآهُمَا(2)

قَرْمَانِ(3) لا يَتَظالمَا * نِ ولا يُـرامُ حِماهُمـا

وَيْـلِى على أَبَوَىَّ والْـ * ـقَـبْرِ الذى وَارَاهُمـا

لا مِثْـلَ كَهْلِى فى الكُهُو * لِ ولا فَتًى كَفَتَاهُمَا

— ذكر الهشامىّ أنّ الغناء لابن سُرَيج رملٌ، وفى الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنه للغريض — وتمـام هذه الأبيات :

أَسَـدَانِ لا يَتَـذَلَّلا * نِ ولا يُـرامُ حِماهمـا

رُمْحَيْنِ خَطِّيَّيْنِ فى * كَبِدِ السماءِ تَراهمـا

ما خَلَّفَـا إذ وَدَّعا * فى سُـودَدٍ شَرْوَاهمـا(4)

سَـادَا بغَـيرِ تَكَلُّفٍ * عَفْـوًا بفَيضٍ نَداهُمـا

مساجلتها الخنساء بعكاظ وشعرهما فى مصابهما

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى الحارث بن أبى أُسامة قال حدّثنا محمد بن سعد عن الواقدىّ ، وأخبرنى ابن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدىّ عن عبد الرحمن بن أبى الزّناد قال :

لمّـا كانت وَقْعةُ بَدْرٍ، قُتِل فيها عُتْبة بن ربيعة، وشَيْبةُ بن ربيعة، والوليدُ بن عتبة ؛ فأقبلتْ هنـد بنت عُتبة تَرثيهم، وبلغها تَسْوِيمُ(5) الخنساءِ هَوْدَجَها فى المَوْسِم

---

(1) حس من باب نصر كأحس . (2) أصل راها : رأْهما؛ فخففت فيه الهمزة على حدّ : «لاهناك المرتع» ؛ فاجتمعت ألفان، فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين . (انظر اللسان مادة رأى) .

(3) القرم : السيد العظيم . (4) شرواهما : مثلهما . (5) سوّم الشىء : جعل له سومة وعلامة ليعرف بها ويتميز .

ومُعاظمتُها العربَ بمُصيبتها بأبيها عمرو بن الشَّريد وأخوَيْها صخْرٍ ومُعاوية ، وأنها جعلتْ تَشْهد المَوسمَ وتَبْكيهم ، وقد سوّمت هودجَها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبةً ، وأنّ العربَ قد عرفتْ لها بعضَ ذلك . فلمّا أُصيبتْ هندُ بما أُصيبتْ به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظمُ من الخنساء مصيبةً ، وأمرتْ بهودجها فسُوِّمَ براية ، وشَهِدَتِ الموسمَ بعُكَاظ ، وكانت سوقًا يجتمع فيها العرب ، فقالت : اقْرنوا جَملى بجمل الخنساء ، ففعلوا . فلمّا أن دنتْ منها ، قالت لها الخنساء : مَنْ أنتِ يا أُخيّة ؟ قالت : أنا هند بنت عُتْبة أعظمُ العرب مصيبةً ، وقد بلغنى أنّكِ تُعاظِمين العرب بمصيبتك ، فبِمَ تُعاظِمينَهم ؟ فقالتِ الخنساء : بعَمْرو بن الشَّريد ، وصخْرٍ ومُعَاوية ابنَى عمرو ، وبِمَ تُعاظِمينَهم أنتِ ؟ قالت : بأبى عُتْبة بنِ ربيعة ، وعمّى شيبةَ بنِ ربيعة ، وأخى الوليد . قالت الخنساء : أوَ سَواءٌ هُمْ عندكِ ؟ ثم أنشدتْ تقول :

أُبَكِّى أبى عَمْرًا بعينٍ غَزِيرةٍ * قليلٌ إذا نامَ الخَلِىُّ هُجودُها

وصِنْوَىَّ لا أنْسَى مُعاويةَ الذى * له من سَراةِ الحَرَّتين[1] وفُودُها

وصخرًا ، ومَنْ ذا مثلُ صخرٍ إذا غَدَا * بساهمةِ الآطالِ[2] قُبًّا يَقُودُها

فذلكِ يا هندُ الرَّزِيّةُ فاعلَمِى * ونيرانُ حَرْبٍ حينَ شَبَّ وَقودُها

---

(١) الحرّة : الأرض ذات الحجارة السود النخرة . والمراد بالحرّتين : حرة بنى سليم وحرة بنى هلال بالحجاز . أى هو مقصد الأشراف من القبائل تأتيه وفودها فيا يلم بها . (٢) كذا فى ديوان الخنساء (طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٨٩٥) . والساهمة : الدقيقة . والآطال : جمع إطل (بالكسر وبكسرتين) وهو الخاصرة . وفى ٢ : « بساهية الآطال » والساهية : من الخيل الطويلة على وجه الأرض . وفى سائر الأصول : « الأبطال » وهو تحريف . وفى نسخة مخطوطة من الديوان محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٧٠ أدب ص ٨٦) : « بساهمة الأبصار قبا » . والقب : جمع أقب وقباء ، وهى الفرس الدقيقة الخصر الضامرة البطن .

فقالت هندٌ تُجيبها :

أبكّى عَميـدَ الأبطَحَيْنِ[1] كلَيْهما * وحاميهما من كل باغ يُريدها

أبى عُتْبةُ الخيْراتِ ويْحَكِ فاعْلَمى * وشَيْبةُ والحامى الذِّمارَ وليدُها

أولئك آلُ المجْدِ من آلِ غالبٍ * وفى العزّ منها حين يَنْمِى عَديدُها[2]

وقالت لها أيضا يومئذ :

مَنْ حَسَّ لِى الأخَوَيْنِ كالـ * ـغُصْنَيْنِ أو مَنْ رَاهُمـا

لم ينكر معاوية على عبد الله بن جعفر سماعه الغناء

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثنى بعض القُرَشيّين قال: قَدِم عبدُ الله بن جعفر على معاوية وافدا ، فدخل عليـه إنسانٌ ثم ذهب إلى معاوية فقال : هذا ٱبنُ جعفر يشرَب النَّبيذَ ، ويسمَع الغناء ، ويُحَرِّك رأسَه عليه . فجاء مُعاويةُ مُتغَيِّرا حتّى دخل على ٱبن جعفر، وعَزّةُ المَيْلاءُ بين يديه كالشمس الطالعة فى كِوَاء[3] البيت يُضِىء بها البيتُ، تُغنِّيه على عُودها :

تَبَلَتْ فُؤادَك[4] فى الظلامِ خَريدةٌ * تَشْـفِى الضَّجيعَ ببـاردٍ بَسّامِ

و بين يديه عُسٌّ[5]؛ فقال: ما هذا يا أبا جعفر ؟ قال: أقسمتُ عليك يا أميرَ المؤمنين لَتَشْرَبَنَّ منه ، فإذا عسلٌ مَجْدُوحٌ[6] بمِسْك وكافور . فقال : هذا طَيِّبٌ، فما هذا الغِناء ؟ قال : هذا شعرُ حَسّانَ بن ثابت فى الحارث بن هشام. قال : فهل تُغَنِّى بغير هذا ؟ ١٥

(١) عميد القوم : سندهم وسيدهم . وتريد بالأبطحين : بطحاء مكة وسهل تهامة . وأصل الأبطح : المسيل الواسع فيه دقاق الحصى . (٢) عديدها : جموعها . (٣) كواء البيت : منافذه وثقوبه ، واحدها كُوّة . وفى م : « كسر البيت » . وفى سائر الأصول : « كذا البيت » بالدال المهملة ، وهو تحريف . (٤) ورد هذا البيت فى ديوان حسان (طبع أوربا ص ٣) هكذا :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة * تسـقى الضجيع ببارد بسام ٢٠

وتبلت فؤادك : أسقمته وذهبت به . (٥) العس (بالضم) : القدح الكبير . (٦) مجدوح : مخلوط .

قال : نعم، بالشعر الذى يأتيك به الأعرابىّ الجافى[1] الأدْفَر، القبيحُ المَنْظَر، فيُشافهك به، فتُعطيه عليه، وآخذه أنا، فأختار محاسنه ورقيق كلامه، فأعطيه هذه الحسَنة الوجه، اللّيِّنة اللَّمْس، الطيبة الريح، فترتّله بهذا الصوت الحسن. قال : فما تحريكُكَ رأسَك ؟ قال : أَرْيَحيّةٌ أجدُها إذا سمعت الغناء، لو سُئلتُ عندها لأَعطيتُ، ولو لَقيتُ لَأَبْلَيْتُ. فقال معاوية : قبّح الله قوماً عرّضونى لك. ثم خرج وبعث اليه بصلة.

٣٦
٤

صــــوت

من المـائة المختـارة

عمر بن أبى ربيعة ونصيم

أَيُّها القلبُ لا أراكَ تُفيقُ ✽ طَالَمَا قد تَعَلَّقَتْكَ العَلُوقُ[2]

مَنْ يَكُنْ مِنْ هَوَى حبيبٍ قريبًا ✽ فأنا النازحُ البعيدُ السَّحيقُ

قُضِيَ الحُبُّ بيننا فآلتقينا ✽ وكلانا إلى اللّقاء مَشُوقُ

الشعر فى البيت الأوّل والثالث لعُمَر بن أبى ربيعة، والبيت الثانى ليس له، ولكن هكذا غُنّى؛ وليس هو أيضا مُشاكلًا لحكاية ما فى البيت الثالث. والغناء لِبَابَوَيْهِ[3] الكُوفىّ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل. وهذا الشعر يقوله عمر بن أبى ربيعة فى آمرأة من قريش، يقال لها نعم، كان كثيرَ الذِّكر لها فى شعره. أخبرنى بذلك محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان عن أبى عبد الله التَّيْمىّ عَنِ القَحْذَمىّ والمَدائنىّ. قال : وهى التى يقول فيها :

✽ أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ ✽

(١) الجافى : الغليظ فى المعاشرة. والأدفر (بالدال المهملة) : النتن. (٢) يريد به ما علقه من كلف الحب وجهده. (٣) فى الأصول : «لبَتويه» بالتاء المثناة، وهو تصحيف.

قال: وكانت تُكْنَى أُمَّ بَكْر، وهى من بنى جُمَح . وتمامُ هذه الأبيات على ما حكاه ابن المَرْزُبان عمّن ذكرتُ :

فالتقينا ولم نخف ما لقينا * ليلةَ الخَيْف ، والمُنى قد تَشُوقُ (١)

وجرى بيننا بجِدّ وصلا * قُلَّبٌ (٢) حُوَّلٌ أريبٌ رفيقُ

لا تظنّى أنّ التراسُلَ والبذ * لَ لكلّ النساء عندى يليقُ

هل لكِ اليومَ إنْ نأتْ أُمُّ بَكْرٍ * وتولّتْ إلى عزاءٍ طريقُ

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حُدِّثت عن محمد بن حُمَيْد عن عبد الله ابن سَوّار القاضى عن بِشْر بن المُفَضَّل قال :

بلغ عُمَرَ بنَ أبى ربيعة أنّ نُعْمًا اغتسلتْ فى غَدِير، فأتاه فأقام عليه، وما زال يشرب منه حتى جَفّ .

أخبرنى محمد بن خَلَف قال : قال محمد بن حَبيب الراوية :

بلغنى أنّ نُعْمًا استقبلتْ عمرَ بن أبى ربيعة فى المسجد الحرام، وفى يدها خَلُوقٌ (٣) من خَلُوق المسجد ، فمسحتْ به ثوبه، ومضتْ وهى تضحك؛ فقال عمر :

أدخل اللهُ ربُّ موسى وعيسى * جنّةَ الخُلْدِ مَنْ مَلَانِى خَلُوقَا

مسحتْه من كفّها فى قميصى * حين طافتْ بالبيت مسحًا رفيقَا

غضبتْ أنْ نظرتُ نحوَ نساءٍ * ليس يعرفْنَنِى سلكْنَ طريقَا

وأرى بينها وبين نساءٍ * كنتُ أهذى بهنّ بونًا سحيقَا

وهذا البيت الأوّل مما عِيب على عمر .

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى م وجميع نسخ ديوانه : «تسوق» بالسين المهملة .

(٢) القُلَّب الحُوَّل : المحتال البصير بتقليب الأمور . (٣) الخلوق : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة؛ لأن أعظم أجزائه من الزعفران .

ومما غُنّي فيه من تشبيب عمر بنُعْم هذه :

صـــوت

دِينَ(١) هذا القلبُ مِنْ نُعْمِ * بسَقامٍ(٢) ليس كالسُّقْمِ
إنّ نُعْمًا أقصدتْ(٣) رجلًا * آمنًا بالخَيْف إذ تَرْمِى
بشَتِيتٍ(٤) نَبْتُه رَتِلٍ * طَيِّبِ الأنيابِ والطَّعْمِ
وبِوَحْفٍ(٥) مائلٍ رَجِلٍ * كعناقيدَ مِنَ الكَرْمِ

ومنها :

صـــوت

خليليَّ أرْبِعا(٦) وسَلَا * بمَغْنَى الحَيِّ قد مَثَلَا
بأعلَى الوادِ(٧) عند البئـ * ـرِ هيَّجَ عَبْرةً سَبَلَا(٨)
وقد تَغْنَى به نُعُمٌ * وكنتَ بوَصْلِها جَذِلَا

(١) دين : جوزى وكوفئ . (٢) كذا فى اللسان (مادة دين) . وفى الأصول : «وسقام» بواو العطف . وورد هذا البيت فى ديوان عمر بن أبى ربيعة (ص ٥٠٧ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١١ هـ وطبع أوربا ص ٨٤) هكذا :

قد أصاب القلب من نعم * سُقْمُ داء ليس كالسقم

(٣) أقصده : أصابه فقتله . (٤) الثغر الشتيت : المفلّج، وهو أن يكون بين أسنانه تباعد . ورتل (وزان كتف وسبب) : مستو حسن التنضيد . (٥) الوحف : الشعر الكثيف المسودّ . والرجل من الشعر (بفتح الراء وكسر الجيم، ومثله الرجل بفتح الراء والجيم) : ما كان بين السبوطة والجعودة . (٦) اربعا : أقيما . ومغنى الحيّ : محل إقامتهم . ومثل : قام وانتصب . (٧) الوادى : كل منفرج بين الجبال والتلال والآكام يكون مسلكا للسيل ومنفذا . وربما اكتفى فيه بالكسرة عن الياء ؛ كما قال أبو الرُّبَيس التغلبي :

لا صلح بيني فاعلموه ولا * بينكم ما حملت عاتقى
سيفى وما كنا بنجد وما * قرقر قُمْرُ الواد بالشاهق

(٨) سبل (بالتحريك) : اسم المصدر من أسبل المطر والدمع اذا هطلا ؛ ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع اذا وصف به .

لَيَالِىَ لا نُحِبُّ لنــا * بعَيْش قـد مضَى بَدَلَا
وتَهْـــوَانَا ونَهْــوَاهــا * ونَعصِى قَوْلَ مَنْ عَذَلَا
وتُرْســـِلُ فى مُلَاطَفةٍ * ونُعمِلُ نحوَها الرُّسُـلَا

غَنّاه الهذلىّ، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثقيــل الأوّل بالسبّابة فى مجــرى الوُسْطَى عن إسحاق. وفيه لابن سُرَيج لحنانِ: رَمَلٌ بالبِنْصَر فى مجراها عن إسحاق، وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها عن إسحاق ثانى ثقيــلٍ، ولسُلَيْم خفيفُ رملٍ، جميعًا عن الهشامىّ. قال: ويقال: إنّ اللحنَ المنسوب إلى سُلَيْم[1] لحَكَم الوادىّ.

ومنها من قصيدة أوّلها:

لقــد أرسلتْ نُعْمٌ إلينا أن ٱئْتِنَــا * فأَحبِبْ بها من مُرْسِلٍ مُتغضِّبِ

يُغَنَّى منها فى قوله:

صــــوت

فقلتُ لِجَنّادٍ خُذِ السيفَ وٱشْتَمِلْ * عليه برِفْقٍ وٱرْقُبِ الشمسَ تَغرُبِ
وأَسْرِجْ لِىَ الدَّهْماءَ وٱعْجَلْ بمِمْطَرِى[2] * ولا تُعْلِمَنْ حَيًّا مِنَ النّاسِ مَذْهَبِى[3]
فلمّا ٱلتقينــا سَــلَّمتْ وتَبسَّمتْ * وقالتْ مقالَ المُعْرِضِ المُتَجنِّبِ
أَمِنْ أجــلِ واشٍ كاشِحٍ[4] بنَمِيمــةٍ * مَشَى بيننا صَدَّقْتَــه لم تُكَذِّبِ
وَقَطَّعْتَ حبلَ الوصلِ منّا، ومَنْ يُطِعْ * بذى ودِّه قولَ المُؤَرِّشِ[5] يُعتَبِ

(١) فى م: «لسليمان». وفى سائر الأصول: «لسليم الوادى». (٢) الممطر والممطرة (بكسر الميم فيهما): ثوب من صوف يلبس فى المطر يتوقى به منه. (٣) هذه رواية الديوان فى هذا الشطر. وفى الأصول:

* ولا يعلمن حىّ من النـاس مذهبى *

وفى هذه الأبيات اختلاف يسير عما فى الديوان. (٤) الكاشح: العدوّ المضمر العداوة؛ لأنه يطوى كشحه على العداوة أو لأنه يتباعد عنك و يوليك كشحه. (٥) أرّش بين القوم: أفسد. وفى س: «المحرش». والمحرّش: الذى يغرى بعض القوم ببعض.

صـــــوت

ما بالُ أهلكِ يا رَبابُ * خُزْراً[1] كأنّهمُ غِضَابُ
إنْ زُرْتُ أهلكِ أوْعَدُوا * وتَهِرّ دونَهُمُ الكلابُ

عروضه من الكامل . الشعر لعَلَس ذى جَدَنٍ[2] الحِمْيرىّ ، أخبرنا بذلك محمد بن
الحسن بن دُرَيْد عن عمّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه . والغناء لطُوَيْس ، ولحنُه
المختار خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر .

نسب عَلَس ذى جَدَنٍ وأخباره

نسبه وسبب لقبه

هو عَلَس بن زيد بن الحارث بن زيد بن الغَوْث بن سَعْد بن عَوْف بن عَدِىّ بن مالك
ابن زيد الجُمهور بن سَهْل بن عمرو بن قَيْس بن مُعاوية بن جُشَم[3] بن عبد شمس بن
وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهَيْر بن أعز[4] بن الهمَ بن الهَمَيْسَع بن حِمْيَر
ابن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان . وهو مَلِكٌ من ملوك حِمْيَر . ولُقِّب ذا جَدَنٍ
لحسن صوته — والجَدَن : الصوت بلغتهم — ويقال : إنه أوّل من تَغَنَّى باليمن .

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبىّ وأبى مِسْكين قالا :
إنّما سُمّى ذا جَدَنٍ لحسن صوته .

٣٨/٤

(١) خزرا : جمع أخزر . والأخزر : الذى ينظر بلحظ عينه .
(٢) هو من مجزوء الكامل المرفّل . (٣) فى نهاية الأرب (ج ٢ ص ٣٠٨ طبعة أولى) عند كلامه على نسب أحد ولد الهميسع بن حمير : « ... زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدىّ بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة ، وهم حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو ... الخ » ويلاحظ أن بين سياق النسبين خلافا . (٤) فى نهاية الأرب (ص ٣٠٩) : « ابن زهير بن أيمن بن الهميسع » . وفى كتاب العبر لابن خلدون (ج ٢ ص ٥١ طبع بلاق) : « زهير بن أيمن بن الهميسع » .

قبره بصنعاء وآثاره

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال حدّثنا علىُّ بن الصَّبّاح عن ابن الكَلْبىّ عن إسماعيل بن إبراهيم بن ذى الشَّعار الهَمْدانىّ عن حَيّان بن هانئ الأرْحَبىّ عن أبيه قال :

أخبرنى رجلٌ من أهل صَنْعاء : أنّهم حفَروا حفيرًا فى زمن مَرْوان ، فوقفوا على أَزَجٍ(1) له بابٌ ، فإذا هم برجل على سرير كأعظم ما يكون من الرجال ، عليه خاتمٌ من ذهب وعِصابةٌ من ذهب ، وعند رأسه لَوْحٌ من ذهب مكتوبٌ فيه : « أنا عَلَس ذو جَدَنٍ القَيْلُ ، لخليلى منّى النَّيْل ، ولعَدُوّى منّى الوَيْل . طلبت فأدركتُ وأنا ابن مائة سنة من عمرى ، وكانت الوَحْشُ تَأْذَنُ(2) لصوتى . وهذا سيفى ذو الكَفّ عندى ، ودِرْعى ذاتُ الفُروج و رُمْحى المِزْبرىّ ، وقوسى الفَجْواء(3) ، وقَرَنى(4) ذاتُ الشرّ فيها ثلاثمائة حَشْر ، من صَنْعة ذى نَمِر(5) أعددت ذلك لدفع الموت عنّى فخاننى . » قال : فنظرْنا فإذا جميعُ ذلك عنده . ووجدت هذا الخبر عن ابن الكلبىّ فى بعض الكتب من غير رواية ابن عَمّار ، فوجدت فيه : فإذا طولُ السيف اثنا عشر شبرًا ، وعليه مكتوبٌ تحت شاربه(6) بالمُسْنَد(7) : « بِآسِتِ آمرئٍ كنتَ فى يده فلم يَنْتَصِر » .

انقضت أخباره .

(1) عبارة القاموس وشرحه مادة أزج : « الأزج محركة : ضرب من الأبنية » . وفى الصحاح والمصباح واللسان : الأزج : بيت يبنى طولا و يقال له بالفارسية أوستان . (2) تأذن كتفرح : تسمع . يشير بذلك الى جمال صوته . (3) القوس الفجواء : هى التى يبين وترها عن كبدها ، ومثل الفجواء الفَجّاء والمنفجّة . (4) القرن : الجعبة . والحشر : الدقيق من الأسنة . (5) ذو نمر : واد بنجد فى ديار بنى كلاب . (انظر معجم ياقوت فى نمر ، وكتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه فى « ذى نمر ») . (6) للسيف شاربان وهما ، كما قال ابن شميل ، أنفان طويلان أسفل القائم ، أحدهما من أحد الجانبين والآخر من الجانب الآخر ، وتحتهما الناشبة . والشارب والناشبة يكونان من حديد وفضة وأدم . (7) المسند : خط حمير ، وهو موجود بكثرة فى الحجارة وقصور اليمن ، وترى صورته فى كتاب منتخبات فى أخبار اليمن (ص ٢ ٥ طبع ليدن) وكتاب تاريخ الأدب للمرحوم حفنى ناصف بك (ج ١ ص ٥٠ طبع مصر) .

أخبار طُوَيْس ونسبه[1]

أوّل من صنع الهزج والرمل واشتهر بالهزج

طُوَيْسٌ لَقَبٌ، واسمه طاوُس[2]، مولى بنى مخزوم. وهو أوّلُ مَنْ غنّى الغناءَ المُتْقَنَ من المخنّثين. وهو أوّلُ من صنع الهَزَجَ والرَّمَلَ فى الإسلام. وكان يقال: أحسنُ الناس غناءً فى الثَّقيل ٱبنُ مُحْرِز، وفى الرمل ٱبنُ سُرَيْج، وفى الهزج طُوَيْس. وكان الناس يَضْرِبون به المَثَل، فيقال: «أَهْزَجُ من طُوَيْس».

غنى أبان بن عثمان بالمدينة فطرب وسأله عن عقيدته وعن سنه وعن شؤمه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر والحسين بن يحيى قالا: حدّثنا حمّاد ابن إسحاق عن أبيه عن ٱبن الكلبىّ عن أبيه وأبى مِسْكين، قال إسحاق: وحدّثنى المدائنىّ والهَيْثَم بن عَدِىّ عن صالح بن كَيْسان:

أنّ أبَانَ بن عثمان وفَد على عبد الملك بن مَرْوان، فأمّره على الحجاز؛ فأقبل حتّى إذا دنا من المدينة تلقّاه أهلُها، وخرج إليه أشرافُها، فخرج معهم طُوَيْس؛ فلمّا رآه سلّم عليه، ثم قال له: أيها الأمير، إنّى كنتُ أعطيت الله عهدًا لئن رأيتُك أميرًا لأَخْضِبَنّ يدىّ إلى المِرْفَقَيْن، ثم أَزْدُو[3] بالدُّفّ بين يديك، ثم أبدى عن دُفّه وتغنّى بشعر ذى جَدَنٍ الحِمْيَرىّ:

ما بالُ أهلِك يا رَبابُ * خُزْرًا كأنّهمُ غِضابُ

قال: فطَرِب أبَان حتى كاد أن يطير، ثم جعل يقول له: حَسْبُك يا طاوُس — ولا يقول له: يا طُوَيْس لِنُبْلِه فى عينه — ثم قال له: اجْلِسْ فجَلَس. فقال له أبان: قد زعموا أنّك كافر. فقال: جُعِلْتُ فِداءَك! والله إنّى لأَشْهَدُ أنْ لا إلٰه

---

(١) تقدمت لطويس ترجمة أخرى فى الجزء الثالث من هذه الطبعة (صفحة ٢٧ — ٤٤). وقد ذكرنا هناك ما قد يكون سببا فى تكرار الترجمة، وبينا سبب عدم ضمنا إحدى الترجمتين إلى الأخرى. (٢) تقدم فى ترجمته فى الجزء الثالث من هذا الكتاب أن اسمه عيسى بن عبد الله. (٣) أزدو: أضرب.

إلّا اللهُ وأنّ محمدًا رسولُ الله، وأُصَلِّى الخمسَ ، وأصوم شهرَ رمضان، وأَحُجُّ البيتَ .
فقال : أفأنت أكبرُ أم عمرو بن عثمان ؟ — وكان عمرٌو أخا أبَان لأبيه وأمّه —
فقال له طوَيس : أنا والله، جُعِلتُ فداءك، مع جلائل[1] نساء قومى، أُمسِكُ بذُيولهنّ
يومَ زُفّتْ أُمُّكَ المباركةُ إلى أبيك الطيِّب[2] . قال : فآستحيا أبَان ورمَى بطَرْفه إلى الأرض .

39/4 وأخبرنى بهذه القصة إسماعيل بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة ٥
قال حدّثنا العُتْبِىّ عن أبيه بمثل هذه القصة عن أبان وطُوَيس . وزاد فيها أنّ طُوَيْسًا
قال له : نَذْرِى أيّها الأمير ! قال : وما نَذْرُك؟ قال : نذرتُ إنْ رأيتُك أميرًا فى هذه
الدار أنْ أُغَنّىَ لك وأَزْدُوَ بِدُفّى بين يديك . فقال له : أَوْفِ بنَذْرك؛ فإنّ الله عزّوجلّ
يقول : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ . قال : فأخرجَ يديه مخضوبتين ، وأخرج دُفَّه وتَغَنَّى :

* ما بالُ أهلِكِ يارَبابُ * ١٠

وزاد فيه : فقال له أبَان : يقولون : إنّك مشئوم ، قال : وفوق ذلك ! قال :
وما بلَغ من شُؤْمك ؟ قال : وُلِدتُ ليلةَ قُبِض النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وفُطِمْتُ
ليلةَ مات أبو بكر رضى الله عنه، وآحتلمتُ ليلةَ قُتِل عُمَر رضوانُ الله عليه، وزُفّتْ
إلىّ أهلى ليلةَ قُتِل عثمانُ رضى الله عنه . قال : فآخرُجْ عنّى عليك الدَّبَارُ[3] .

أهدر دمه أمير المدينة مع المخنثين

أخبرنى إسماعيل قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن الوليد قال حدّثنى ١٥
مُصْعَب بن عثمان عن نَوْفَل بن عُمَارةَ قال :

---

(١) كذا فى حـ ، ط ، ء . وفى سائر النسخ : « حلائل » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .
(٢) قال ابن عبد ربه فى العقد الفريد (ج٣ص ٢٤٢) بعد أن ساق هذه القصة : «انظر الى حذقه ورقة
أدبه كيف لم يقل أُمك الطيبة الى أبيك المبارك» . وفسر ذلك الجاحظ فى كتابه الحيوان (ج ٤ ص١٩) فقال :
«ولو قال شهدت زفاف أمك الطيبة الى أبيك المبارك لم يحسن ذلك ؛ لأن قولك طيب إنما يدل على قدر ما اتصل به ٢٠
من الكلام ، وقد قال الشاعر : * والطيبون معاقد الأُزر * وقد يخلو الرجل بالمرأة فيقول وجدتها طيبة ،
يريد طيبة الكوم (الوطء) لذيذة نفس الوطء» . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى م :
« الدمار » ومعناهما : الهلاك .

خرج يحيى بن الحَكَم[1] وهو أمير على المدينة ، فبَصُر بشخص بالسَّبخة مما يلى مسجدَ الأحزاب ، فلمّا نظر إلى يحيى بن الحكم جلَس ، فآستراب به ، فوجّه أعوانه فى طَلَبه ، فأُتِى به كأنه آمرأةٌ فى ثياب مُصَبَّغة مصقولة وهو مُمْتَشِطٌ مُخْتَضِبٌ . فقال له أعوانه : هذا آبن نُغَاش[2] المُخَنَّث . فقال له : ما أحْسَبُك تقرأ من كتاب الله عزّ وجلّ شيئا ، اقرأْ أُمَّ القرآن . فقال : يا أبانا لو عرفت أُمّهن عرفتُ البناتِ . فقال له : أتَتَهزّأ بالقرآن لا أُمّ لك ! وأمر به فضُرِبتْ عُنُقه . وصاح فى المخنّثين : مَنْ جاء بواحدٍ منهم فله ثلاثمائة[3] درهم . قال زَرَجُون المخنّث : فخرجتُ بعد ذلك أريد العالِيَةَ ، فإذا بصوت دُفٍّ أعجبنى ، فدنوتُ من الباب حتى فَهِمْتُ نَغَماتِ قومٍ آنَسُ بهم ، ففتحتُه ودخلتُ ، فإذا بطُوَيْس قائمٌ فى يده الدُّفُّ يتغنّى ؛ فلمّا رآنى قال لى : إيه يا زَرَجون ! قَتَل يحيى بنُ الحَكَم ابنَ نُغَاش[4] ؟ قلتُ نعم . [قال][5] : وجَعَل[6] فى المخنّثين ثلاثمائة درهم ؟ قلتُ نعم . فآندفع يُغَنّى :

ما بالُ أهلكِ يا ربابُ * خُزْرًا كأنّهمُ غضابُ
إن زرتُ أهلكِ أوعدوا * وتَهِرّ دونهمُ كلابُ

ثم قال لى : وَيْحك ! أفما جعل فىّ زيادةً ولا فَضّلنى عليهم فى الجُعْلِ بفضلى [شيئا][7] .

---

(١) ساق المؤلف هذا الخبر فى الجزء الثالث من هذا الكتاب (ص ٢٩ من هذه الطبعة) منسوبا لأخيه مروان ، وكلاهما ولى المدينة . (٢) فى الخبر السابق بالجزء الثالث : «النغاشى» . (٣) فى الخبر السابق : «عشرة دنانير» . (٤) فى ب ، سـ : «قال ابن نغاش» بزيادة «قال» . ولا يستقيم معها السياق . (٥) زيادة فى ط ، ى . (٦) فى ب ، سـ : «أوجعل» بهمزة الاستفهام . على أن الاستفهام مفهوم من سياق الكلام . (٧) زيادة عن م ، سـ .

مالك بن أنس وحسين بن دحمان الأشقر

أخبرنى محمد بن عمرو العَتّابىّ[1] قال حدّثنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان — ولم أسمعه أنا من محمد بن خلف — [2] قال حدّثنى إسحاق بن محمد بن أبان الكوفىّ قال حدّثنى حُسين بن دَحْمان الأشقر قال :

كنتُ بالمدينة، فخَلَا لى الطريق وَسَطَ النهار، فجعلتُ أتغنّى :

ما بالُ أهلكِ يا رَبابُ * خُزْرًا كأنّهـمُ غِضابُ

قال : فإذا خَوْخةٌ[3] قـد فُتِحتْ، وإذا وجهٌ قـد بدا تَتبَعه لِحيـةٌ حمراء، فقال : يا فاسقُ أسأتَ التأدية، ومنعتَ القائلةَ، وأذعتَ الفاحشةَ، ثم اندفع يُغنّيه[4]، فظننتُ أنّ طُوَيْسًا قـد نُشِر بعينه ؛ فقلت له : أصلحك اللهُ ! مِنْ أين لك هـذا الغناءُ ؟ فقال : نشأتُ وأنا غلامٌ حَدَثٌ أتبـعُ المُغنّين وآخُذ عنهم، فقالت لى أُمّى : يا بُنَيّ إنّ المُغنّى إذا كان قبيحَ الوجه لم يُلتفَتْ إلى غِنائه، فدَعِ الغِناءَ واطلُبِ الفقه، فإنه لا يضرّ معه قبحُ الوجه ـ فتركتُ المُغنّين واتّبعتُ الفقهاء، فبلغ الله بى عزّ وجلّ ما ترى . فقلتُ له : فأعِدْ جُعِلتُ فداءك ! قال : لا ولا كَرامةَ ! أتريد أن تقول : أخذتُه عن مالك بن أنس ! وإذا هو مالك بن أنس ولم أعلم .

---

(١) كذا فى ط، ء . وفى حـ : «محمد بن عمرو العباسى القرشى» . وفى ب، س : «محمد ابن عمر العباسى القرشى» . وفى م : «محمد بن العمرو العتابى القرشى» . وقد بحثنا عنه فى إيضاح الرواة للقفطى ومعجم الأدباء لياقوت وتاريخ ابن خلكان ونزهة الألبا لابن الأنبارى وبغية الوعاة للسيوطى وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى، فلم نجده حتى نرجح إحدى هذه الروايات . (٢) هذه الجملة المعترضة ساقطة من ء، ط . (٣) الخوخة : البويب، أو الباب الصغير فى الباب الكبير . (٤) كذا فى حـ، س، م . وفى باقى الأصول : «يغنيه» بصيغة الفعل المضارع .

صـــوت
من المـائة المختـارة

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْـ * ـشِ أمسى دارساً خَلَقا
وقفتُ به أُسـائلُهُ * ومرّتْ عِيسُهم حِزَقا(1)
علَوا بك ظاهرَ البَيْدا * ءِ والمحزونُ قد قَلِقا

٥

حديث النبي عن انخساف الأرض بجيش يغزو الكعبة

— ذات الجيش : موضع . ذكر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ جيشاً يغزو الكعبة ، فيُخسَف بهم إلّا رجلًا واحدًا يُقلَب وجهُه إلى قفاه ، فيرجع إلى قومه كذلك ، فيخبرهم الخبر . حدّثني بهذا الحديث أحمد بن محمد الجَعدىّ قال حدّثنا محمد ابن بَكّار قال حدّثنا إسماعيل بن زكريّا عن محمد بن سُوقة قال سمعتُ نافعَ(2) بن جُبير ابن مُطْعِم يقول حدّثتني عائشةُ قالت :

١٠

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : "يغزو جيشٌ الكعبةَ حتى إذا كانوا ببَيْداءَ من الأرض خُسِف بأوّلهم وآخرهم" . قالت عائشة : فقلت يا رسولَ الله ، كيف يُخسَف بأوّلهم وآخرهم وفيهم سِواهم ومَنْ ليس منهم ؟ قال : "يُخسَف بأوّلهم وآخرهم ثم يُبعثون على [قدرِ](3) نيّاتهم" — الشعر للأحوص، والغناء في هذا اللحن المختار للدّلال المخنّث وهو أحد مَنْ خَصاه ابن حَزْم بأمر الوليد بن عبد الملك مع المخنّثين . والخبرُ في ذلك يُذْكَرُ بعدُ . ولحنُه المختـار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر في الأوّل والثالث . ولإسحاق فيه ثقيلٌ أوّلُ آخر . وفيه لمالك لحنٌ من خفيف الرمل عن يونس والمشاميّ وغيرهما . وفيه رملٌ يُنسَب إلى ابن سُرَيج ، وهو مما يُشَكّ في نسبته إليه . وقيل : إنّ خفيف الرمل لابن سُرَيج، والرمل لمالك . وذكر حَبَش أنّ فيه للدّلال خفيفَ ثقيلٍ بالبِنْصَر أيضا .

١٥

٢٠

(1) حزقا : جماعات ، واحده حزقة . (2) كذا في أكثر الأصول، وهو الموافق لما في الطبرى وتهذيب التهذيب . وفي ء ، ط : «نافع بن حسن بن مطعم» وهو تحريف . (3) الزيادة عن م ، ء .

ذكر الأحوص وأخباره ونسبه

اسم الأحوص ولقبه ونسبه

هو الأحوص . وقيل : إن آسمه عبد الله، وإنه لُقِّبَ الأحْوَص لحَوَص[1] كان فى عينيه . وهو ابن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح — وآسم أبى الأقلح قيس — بن عُصَيمة بن النُّعمان بن أُمَيّة بن ضُبَيْعة بن زيد بن مالك بن عَوْف آبن عَمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأَوْس . وكان يقال لبنى ضُبَيْعة بن زيد فى الجاهلية : بنو كَسْر الذَّهَب . وقال الأحوص حين نُفِى إلى اليمن :

بَدَّل الدهرُ من ضُبَيْعةَ عَكًّا[2] * جيرةً وهو يُعْقِبُ الأبدالا

سبب تسمية جده عاصم حمى الدبر

وكان جدّه عاصمٌ يقال له حَمِىّ الدَّبْر، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعثه بَعْثًا، فقتله المشركون، وأرادوا أن يصلُبوه فحمتْه الدَّبْر، وهى النَّحْل، فلم يقدروا عليه، حتى بعث الله عزّ وجلّ الوادِىَ[3] فى الليل فآحتمله فذهب به . وفى ذلك يقول الأحْوَص مفتخرًا :

وأنا آبنُ[4] الذى حمتْ لحمَه الدَّبْـ * ـرُ قتيلِ اللِّحيانِ[5] يومَ الرَّجيع

قصة وفد عضل والقارة وقتل البعث الذى أرسل معهم

حدّثنا بالخبر فى ذلك محمد بن جرير الطَّبَرى قال حدّثنا آبن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمَة بن الفَضْل قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمَر بن[6] قتادةَ قال :

(١) الحوص (بالتحريك وبابه كفرح) : ضيق فى مؤخر العينين أو فى إحداهما .

(٢) عك : قبيلة من قحطان باليمن . (٣) الوادى : كل مفرج بين الجبال والتلال والآكام، والمراد هنا : السيل الذى يجرى فيه . (٤) صحح العلامة الشنقيطى بقلمه بهامش نسخته من كتاب معجم ما استعجم للبكرى (المحفوظ بدار الكتب المصرية طبع أوربا تحت رقم ٢ جغرافيا ص ١٠٤) كلمة «وأنا» بكلمة «وأبى» . (٥) لحيان (بفتح اللام وكسرها) : حىّ من هذيل . (٦) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : «عن قتادة» . والصواب فى حـ ؛ لأن الذى فى تهذيب التهذيب والخلاصة أن عاصم بن عمر لم يروعن جدّه قتادة بل روى عن أبيه عمر .

قَدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد أُحُد رَهْطٌ من عَضَل والقَارَة[(١)]، فقالوا: يا رسولَ الله، إنّ فينا إسلامًا وخيرًا، فابْعَثْ معنا نفرًا من أصحابك، يُفقّهونا[(٢)] فى الدِّين، ويُقرِئونا[(٢)] القُرْآن، ويُعلّمونا[(٢)] شرائعَ الإسلام؛ فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم معهم نفرًا ستّةً[(٣)] من أصحابه: مَرْثَد بن أبى مَرْثَد الغَنَوىّ حليفَ حمزة بن عبد المُطّلب، وخالدَ بن البُكَيْر حليفَ بنى عَدىّ بن كَعْب، وعاصمَ بن ثابت بن أبى الأَقْلَح أخا بنى عَمْرو بن عَوْف، وخُبَيْبَ بن عدىّ أخا بنى جَحْجَبى بن كُلْفة بن عمرو ابن عَوْف، وزيدَ بن الدَّثِنَّة[(٤)] أخا بنى بَياضةَ بن عامر، وعبدَ الله بن طارق حليفًا[(٥)] لبنى ظَفَر من بَلِىّ، وأمّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم [عليهم][(٦)] مَرْثَد بن أبى مَرْثَد،

---

(١) قال القسطلانى فى شرح البخارى (ج ٦ ص ٣٧٣ طبع بلاق): «عضل: بطن من الهون ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، ينسبون إلى عضل بن الديش. والقارة: بطن من الهون ينسبون إلى الديش المذكور. أو القارة: أكمة سوداء، كأنهم نزلوا عندها فسموا بها». وقد ذكر ابن دريد فى الاشتقاق (ص ١١٠): أن الهون وعضل والقارة إخوة لهذيل وفسر أسماءهم. وسأل الأخفش المبرد عنهما فقال: «هذان حيان كانا فى نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم». (راجع الكامل ص ٦٣٢ طبع أوربا). (٢) كذا فى حـ بحذف النون مجزوما فى جواب الطلب. وفى سائر الأصول بإثبات نون الرفع، على أن تكون الجملة صفة لنفر. (٣) وردت هذه الأسماء مضطربة فى بعض الأصول. وما أثبتناه عن ط، ب. وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم أول ص ١٤٣٢ طبع أوربا) والسيرة لابن هشام (ص ٦٣٨ طبع أوربا). وقد ذكرت هذه الأسماء فى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٣٧٥ طبعة أولى) وشرح القاموس (مادة رجع) كما هنا بزيادة سابع هو معتب بن عبيد أخو عبد الله بن طارق لأمه. إلا أنه ذكر بدل معتب بن عبيد هذا فى شرح القاموس «مغيث بن عبيدة» وهو تحريف. (٤) الدثنه: بفتح الدال المهملة وكسر الثاء المثلثة والنون المفتوحة المشددة ثم تاء تأنيث، قال ابن دريد: من قولهم: دثن الطائر إذا طاف حول وكره ولم يسقط عليه. (انظر الاشتقاق ص ٢٧٢ وشرح الزرقانى على المواهب اللدنية ج ٢ ص ٨٠ طبع بلاق). (٥) كذا فى حـ، م. وهو الموافق لما فى الطبرى والسيرة. وفى سائر الأصول: «حلفاء» وهو تحريف. (٦) زيادة عن ء.

فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرَّجيع (ماء لهذيل بناحية من الحجاز من صَدر الهَدْأة[1][2]) غدروا بهم، واستصرخوا عليهم هُذَيلاً، فلم يَرُع القومَ وهم فى رحالهم إلا بالرِّجال فى أيديهم السيوفُ قد غَشُوهم؛ فأخذوا أسيافَهم ليقاتلوا القومَ؛ فقالوا: [إنّا[3]] والله ما نُريد قتلكم، ولكنّا نُريد أن نُصيبَ بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهدُ الله وميثاقُه ألّا نقتلكم. فأمّا مَرْثَدُ بن أبى مَرْثَد، وخالدُ بن البُكَير، وعاصمُ بن ثابت بن أبى الأَقْلَح فقالوا: إنّا والله لا نَقْبَلُ من مُشرِك عهداً ولا عقداً أبداً! فقاتلوهم حتّى قتلوهم جميعاً. وأمّا زيد بن الدَّثِنَّة، وخُبَيْبُ بن عَدِىّ، وعبدُ الله بن طارق فلانُوا ورَقُّوا ورَغِبوا فى الحياة وأعطَوْا بأيديهم[4]؛ فأَسَروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكّة لِيَبيعوهم بها؛ حتّى إذا كانوا بالظَّهْران[5] انتزع عبدُ الله بن طارق يدَه من القِرَان[6]، ثم أخذ سيفَه واستأخر عن القوم، فرَمَوْه بالحجارة حتى قتلوه، فقَبْرُه[7] بالظَّهْران. وأمّا خُبَيْبُ بن عَدِىّ وزيد بن الدَّثِنَّة، فقدِموا بهما مكّة فباعوهما. فابتاع خُبَيْباً حُجَيْرُ بن أبى إهَاب التَّميمىّ حليفُ بنى نَوْفَل لعُقْبةَ بن الحارث بن عامر بن نَوْفَل — وكان حُجَيْرٌ أخا الحارث بن عامر بن نَوْفَل لأمّه — ليقتلَه بأبيه[8]. وأمّا زيدُ بن الدَّثِنَّة فابتاعه صَفوانُ

---

(١) فى معجم ما استعجم للبكرى: «ماء لهذيل لبنى لحيان منهم بين مكة وعُسفان بناحية الحجاز... الخ».

(٢) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى نقلا عن ابن إسحاق. وضبط البكرى «الهدأة» بالعبارة فقال: «بفتح الهاء وإسكان الدال المهملة بعدها همزة مفتوحة». وفى جميع الأصول: «الهدة» بدون همز. وفى السيرة وتاريخ الطبرى: «صدور الهدأة». وفى ب، س، حـ: «حدود» بالدال المهملة، وهو تحريف. والهدأة: موضع بين عسفان ومكة.

(٣) زيادة عن ء، ط، م.

(٤) أعطوا بأيديهم: انقادوا.

(٥) الظهران: واد بين مكة وعسفان.

(٦) القران: الحبل.

(٧) فى ط، ء: «فقبروه».

(٨) كذا فى: حـ: م، وهو الموافق لما فى السيرة والطبرى. وفى سائر الأصول: «بابنه» وهو تحريف؛ لأن الذى قتله خبيب يوم بدر هو الحارث بن عامر بن نوفل والد عقبة، كما يجىء بعد فى حديث أبى كريب.

ابن أميّة ليقتله بأميّة بن خلف أبيه . وقد كانت هُذَيل حين قُتِل عاصمُ بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سُلافة بنت سَعْد بن شُهَيد[1]، وكانت قد نَذَرتْ حين قَتَل عاصمٌ ابنَيها[2] يومَ أُحُدٍ لئن قَدَرتْ على رأس عاصمٍ لَتَشْرَبَنَّ في قِحْفه[3] الخمر، فمنعته الدَّبْر. فلمّا حالت بينهم و بينه قالوا : دَعُوه حتى يُمْسِيَ ، فتذهب عنه فنأخذه . فبَعث الله عزّ وجلّ الوادىَ فاحتمل عاصمًا فذهب به . وكان عاصمٌ قد أعطى اللهَ عزّ وجلّ عهدًا لا يَمَسُّه مشركٌ أبدًا ولا يَمَسّ مشركًا أبدًا تَنَجُّسًا[4] منه . فكان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يقول حين بلغه أن الدَّبْر منعته : «عجبًا لحفظ الله عزّ وجلّ العبدَ المؤمن! كان عاصم نَذَر ألّا يَمَسَّه مشركٌ ولا يَمَسّ مشركًا أبدًا فى حياته ، فمنعه الله بعد مماته كما امتنع منه فى حياته ! » .

رواية أخرى عن البعث ومصيره

قال محمد بن جرير : وأمّا غير ابن إسحاق ، فإنّه قصّ من خبر هذه السَّرِيّة غيرَ الذى قَصّه غيرُه :

من ذلك ما حدّثنا أبو كُرَيْب قال حدّثنا جعفر بن عَون العَمْرِى قال حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل عن عُمَر[5] أو عمرو بن أَسِيد عن أبى هُرَيرة :

(١) كذا فى طبقات ابن سعد (ق ٢ ج ٣ ص ٣٣ طبع أوربا) وتاريخ الطبرى وسيرة ابن هشام ومعجم ما استعجم للبكرى . وفى الأصول : «سهيل» وهو خطأ . (٢) فى معجم ما استعجم : «ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد أم مسافع والجلاس ابنى طلحة ، وكان عاصم قتلهما يوم أحد فنذرت ... الخ» . وفى طبقات ابن سعد أنها جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة . (٣) القحف (بالكسر) : العظم الذى فوق الدماغ . (٤) يقال : فلان يتنجس إذا فعل فعلا يخرج به عن النجاسة ، كما يقال : يتأثم ويتحرج ويتحنث إذا فعل فعلا يخرج به عن الإثم والحرج والحنث . (٥) كذا فى تاريخ الطبرى (قسم أوّل ص ١٤٣٤ طبع أوربا) وقد ذكره صاحب تهذيب التهذيب فى اسم عمرو بن أبى سفيان بن أسيد وأورد اسمه أيضا فى «عمر» وأحاله على «عمرو» ، وهذا يفيد ترجيحه اسم «عمرو» ، كما أنه أثبت فى ترجمة أبى هريرة رواية عمرو بن أبى سفيان بن أسيد عنه . وفى حـ : «عن عمر أو عمرو بن أسد» . وفى سائر الأصول : «عمرو بن عمرو بن أسد» وهما تحريف ؛ لأنه لم يوجد فى أسماء الرواة من تسمى بهذا الاسم .

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث عشرةَ رهْطٍ، وأمَّر عليهم عاصمَ بن ثابت ابن أبى الأقْلح، فخرجوا، حتّى إذا كانوا بالهَـدْأة ذُكِرُوا لِحَىٍّ من هُذَيْل يقال لهم بنو لحْيان، فبعثوا إليهم مائةَ رَجُلٍ رامياً، فوجدوا مأْكَلَهم حيث أكلوا التمْر، فقالوا: نَوَى يَثْرِب! ثم اتَّبَعُوا آثارَهم، حتّى إذا أَحَسَّ بهم عاصمٌ وأصحابُه التجئوا إلى جبل، فأحاط بهم الآخَرُون فاستنزلوهم، وأعْطَوْهم العهدَ. فقال عاصم: والله لا أنزل على عهدِ كافرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ نَبِيَّك عنَّا. ونَزَل إليهم ابن الدَّثِنَة البَيَاضىّ وخُبَيْبٌ ورجلٌ آخَر، فأطلق القومُ أوتارَ قِسِيِّهم، ثم أَوْثَقُوهم، فجرحوا رجلاً من الثلاثة، فقال: هذا والله أوّلُ الغَدْر، والله لا أَتْبَعُكم، فضربوه وقتلوه، وانطلقوا بخُبَيب وابن الدَّثِنَة إلى مكّة، فدفعوا خُبَيْبًا إلى بنى الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان خبيبٌ هو الذى قتل الحارثَ بأُحُد. فبينما خُبَيْبٌ عند بنات الحارث، استعار من إحدى بنات الحارث مُوسَى لِيَسْتَحِدّ[1] بها لِلقَتْل، فما راعَ المرأةَ ولها صَبِىٌّ يدرج إلا خُبَيْبٌ قد أجلس الصبىَّ على فَخِذه والمُوسَى بيده، فصاحتِ المرأة؛ فقال خُبيب: أتحسَبِينَ أنّى أقتُله! إنّ الغَدْرَ ليس من شأننا. قال: فقالت المرأة بعدُ: ما رأيت أسيرًا قَطُّ خيرًا من خُبَيْب، لقد رأيته وما بمكّةَ من ثَمَرةٍ وإنّ فى يده لَقِطْفًا من عِنَبٍ يأكُله، إنْ كان إلا رزقًا رَزَقه الله خُبَيْبًا. وبَعَثَ حىٌّ من قُرَيش إلى عاصم لِيُؤْتَوْا من لحمه بشىء، وقد كان لعاصمٍ فيهم آثارٌ[2] بأُحُد، فبعَث الله عليه دَبْرًا فحمتْ لحمَه

(١) يستحدّ: يحلق شعر عانته. قال فى اللسان مادة حدد: «وفى حديث خبيب أنه استعار موسى استحدّ بها لأنه كان أسيرا عندهم وأرادوا قتله، فاستحدّ لئلا يظهر شعر عانته عند قتله». ومنه الحديث حين قدم من سفر فأراد الناس أن يطرقوا النساء ليلا فقال: «أمهلوا كى تمتشط الشَّعِثة وتستحدّ المُغِيبة». قال أبو عبيد: «وهو استفعال من الحديدة يعنى الاستحلاق بها، استعمله على طريق الكناية والتورية».

(٢) كذا فى أكثر النسخ. وآثار: جمع ثأر على القلب. وفى حـ: «أوتار» جمع وتر، وهو الجناية التى يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبى.

فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئا. فلمّا خرجوا بخُبَيْب من الحَرَم ليقتلوه، قال: ذَرُونى أُصَلِّ ركعتين، فتركوه فصلَّى ركعتين — فجرت سُنّةً لمن قُتِل صَبْرًا أن يُصَلِّىَ ركعتين — ثم قال: لولا أن يقال جَزِعَ لزِدْتُ، وما أُبَالِى:

* علَى أىِّ شِقٍّ كان لله مَصْرَعِى [1] *

ثم قال:

وذلك فى ذاتِ الإلٰهِ وإنْ يَشَأْ [2] * يُبَارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

اللّٰهمّ أَحْصِهِم عَدَدًا [3]، وخُذْهُم بِدَدًا. ثم خرج به أبو سَِرْوَعَة [4] بن الحارث بن عامر ابن نَوْفَل بن عبد مَنَاف فضربه فقتله.

حدّثنا محمد قال حدّثنا أبو كُرَيْب قال حدّثنا جعفر بن عَوْن عن إبراهيم ابن إسماعيل، قال وأخبرنى جعفر بن عمرو بن أُمَيّة عن أبيه عن جَدّه:

---

(١) هذا الشطر من قصيدة نسبها ابن هشام فى السيرة (ص ٦٤٣ طبع أوربا) لخبيب هذا، ومطلعها:

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

(٢) فى ذات الإله: فى طاعته وطلب رضاه وثوابه. والأوصال: جمع وِصل وهو العضو. والشلو (بكسر الشين المعجمة وسكون اللام): الجسد. وممزع: مقطع. (٣) أحصهم: أهلكهم بحيث لا تبق من عددهم أحدا. وخذهم بددا: قال ابن الأثير: يروى بكسر الباء، جمع بِدّة وهى الحصة والنصيب، أى اقتلهم حصصا مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه، ويروى بالفتح من التبديد أى متفرقين فى القتل واحدا بعد واحد. (٤) أبو سروعة (بكسر السين المهملة وفتحها، كما فى شرح القسطلانى على صحيح البخارى ج ٦ ص ٢٧٦ طبع بلاق): كنية عقبة بن الحارث النوفلى القرشى الصحابى، وهو الذى قتل خبيب بن عدى. وقال فى القاموس مادّة سرع: «وأبو سروعة، ولا يكسر وقد تضم الراء، عقبة ابن الحارث الصحابى». قال شارحه: «وفى التكملة: وأصحاب الحديث يقولون: أبو سروعة بكسر السين، وقد ضبطه النووى بالوجهين»، ثم قال: «وبعضهم يقول: أبو سروعة مثال فَرُوقة وركوبة، والصواب كما عليه أهل اللغة».

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعثه وحدَه عينًا إلى قُرَيْش . قال : فجئتُ إلى خَشَبة خُبَيْب وأنا أتخوّف العيونَ، فرَقِيتُ فيها، فحللتُ خُبَيْبًا فوقع إلى الأرض، فآنتبذتُ[1] غيرَ بعيد، ثم التفتُّ فلم أرَ لخبيب أثرًا، فكأنّما الأرضُ آبتلعتْه، فلم تظهرْ لخبيب رِمّةٌ حتّى الساعة .

قال محمد بن جرير : وأمّا زيدُ بن الدَّثِنَّة، فإنّ صفوانَ بن أُمَيَّة بعث[به][2] — فيما حدّثنا آبن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمَةُ عن ابن إسحاق — [مع][2] مولًى له يقال له نِسْطَاس إلى التَّنْعيم، فأخرجه من الحَرَم ليقتله؛ وآجتمع [إليه][2] رهطٌ من قريش فيهم أبو سُفْيان بن حَرْب؛ فقال له أبو سفيان حين قُدِّم لِيُقتَل : أَنْشُدُكَ اللهَ يازيد، أتُحِبُّ أنّ محمدًا عندنا الآن مكانَك فنضربَ عُنُقَه وأنّك فى أهلك ؟ فقال : واللهِ ما أُحِبُّ أنّ محمدًا الآن فى مكانه الذى هو فيه تُصيبُه شوكةٌ تُؤذيه وأنا جالس فى أهلى ! قال يقول أبو سفيان : ما رأيتُ من الناس أحدًا يُحِبُّ أحدًا كحُبِّ أصحاب محمدٍ محمدًا ! ثم قتله نِسْطَاس .

نزول عبد الله وأبى أحمد آبنى جحش من المهاجرين على عاصم بن ثابت

أخبرنى أحمد بن الجَعْد قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبِى[3] قال حدّثنا محمد ابن فُلَيح عن موسى بن عُقْبةَ عن ابن شِهَاب[4] قال :

(١) كذا فى الطبرى (قسم أوّل ص ١٤٣٦ طبع أوربا) . وانتبذ : تنحى . وفى حـ ، م : «فآستدرت» . وفى سائر الأصول : «فاشتددت» . (٢) الزيادة عن الطبرى (قسم أوّل ص ١٤٣٧) . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «محمد بن القاسم» . والذى فى تهذيب التهذيب أن الذى روى عن محمد بن فليح هو محمد بن إسحاق المسيبى . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ط ، ء : «أبى شهاب» ، وهو تحريف . وفى تهذيب التهذيب أن ابن شهاب اسمه محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الزهرى ، وهو الذى روى عنه موسى بن عقبة .

نزل عبد الله وأبو أحمد ابنا جَحْش[1]، حين قَدِما مُهاجِرَيْنِ، على عاصم بن ثابت، وكنيته أبو سليمان.

شعر لعاصم بن ثابت وكنيته

وقال عاصم:

أبو سليمانَ وريشُ المُقْعَدِ[2] * ومُجْنأٌ من جلد ثورٍ أَجْرَدِ

٤٣ / ٤

وذكر لنا الحَرَمىُّ بن أبى العلاء عن الزُّبير أنّ عاصمًا، فيما قيل، كان يُكْنَى أبا سُفْيان. قال: وقال فى يوم الرَّجيع:

أنا أبو سُفْيانَ[3] مِثْلِى رَامَا * أَضْرِبُ كَبْشَ العارِضِ[4] القَدّامَا

كنية الأحوص واسم أمه وبعض صفاته

أخبرنى الحَرَمىُّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله[5] عن إسماعيل ابن إبراهيم بن عُقْبَة عن عمّه قال:

---

(١) هو عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر أبو محمد الأسدى. وأمه أُمية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو وأخوه أبو أحمد صحابيان، وأُختهما زينب بنت جحش زوج النبى صلى الله عليه وسلم. (انظر أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٣ ص ١٣١ طبع بلاق). (٢) كذا فى حـ، وهو الموافق لما فى سيرة ابن هشام (ص ٦٣٨ طبع أوربا). وفى م:

أبو سليمان وصنع المقعد * ومجنأ من جلد ثور أجلد

وفى سائر الأصول: «أبو سليمان وضيع المقعد». والمقعد: فرخ النسر، وريشه أجود الريش، وقيل: المقعد: النسر الذى نُشب له (خلط له السم فى اللحم) حتى صيد فأخذ ريشه. وقيل: المقعد: اسم رجل كان يريش السهام. والمجنأ: الترس الذى لا حديد به. يريد: أنا أبو سليمان ومعى سهام راشها المقعد، وترس من جلد قوى، فما عذرى إذا لم أقاتل. (٣) فى السيرة:

أبو سليمان ومثلى راما * وكان قومى معشرا كراما

ولم يذكر فى السيرة أن عاصما تكنّى بأبى سفيان. (٤) فى ب، س: «العارض» تحريف. والكبش: الرئيس. والعارض: الجيش تشبيها له بالسرب العظيم من الجراد فى انتشاره، أو بالسحاب. والقدّام (بفتح القاف وضمها مع تشديد الدال) والقديم (بكسر القاف): السيد ومن يتقدّم الناس بالشرف. (٥) كذا فى ى، ط، م، وهو الصواب؛ لأن الذى روى عن إسماعيل بن إبراهيم هو إسماعيل بن عبد الله كما فى الطبقات لابن سعد (ج ٥ ص ٣١٠) وتهذيب التهذيب (ج ١ ص ٢٧٢). وفى سائر الأصول: «عن عبد الله» تحريف.

كُنية الأحْوَص أبو محمد . وأُمّه أُثَيْلَة بنت عُمَيْر بن مَخْشِيّ[(١)]؛ وكان أحمرَ أحْوَصَ العينين .

رأى الفرزدق فى شعره

قال الزبير فحدّثنى محمد بن يحيى قال :

قَدِمَ الفَرَزْدَقُ المدينةَ ، ثم خرج منها ، فسُئل عن شُعَرائها ، فقال : رأيتُ بها شاعرَيْن وعَجِبتُ لهما: أحدُهما أَخْضَرُ يسكن خارجاً من بُطْحانَ[(٢)] (يريد ابن هَرْمَةَ) ؛ والآخر أحمرُ كأنّه وَحَرَةٌ على بُرُودةٍ فى شعره (يريد الأَحْوَص) . والوَحَرَة[(٣)]: يَعْسُوبٌ أحمرُ يتزل الأنبار[(٤)] .

هجاؤه لابنه

وقال الأحوصُ يهجو نَفْسَه[(٥)] ويذكر حَوَصَه :

أَقْبِحْ[(٦)] به من وَلَدٍ وأَشْقِحِ * مِثْلِ جُرَيِّ الكلبِ لم يُفَقِّحِ[(٧)]

إنْ يَرَ سُوءاً لم يَقُمْ فَيَنْبَحِ * بالبابِ عندحاجةِالمُسْتَفْتِحِ

قال الزُّبير : ولم يبقَ للأحوص من وَلَدِه غيرُ رجلين .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ى ، ط : « مخشى » بالحاء المهملة . (٢) بطحان (بضم الأوّل وسكون الثانى أو بفتح الأوّل وكسر الثانى) : واد بالمدينة ، وهو أحد أوديتها الثلاثة : العقيق وبطحان وقناة . (انظر القاموس وشرحه مادة بطح) ومعجم البلدان (فى بطحان) .

(٣) كذا فى ى ، ط . وفى سائر الأصول : « قال : والوحرة يعسوب الخ » . وكلمة «قال» غير محتاج اليها هنا فى الكلام . (٤) كذا فى أكثر الأصول . والأنبار، كما فى ياقوت ، : حدّ بابل ؛ سميت بذلك لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير والقت والتبن ، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها ، وكان يقال لها الاهراء . فلما دخلها العرب عرّبتها فقالت الأنبار . وهذا التفسير الذى ذكره المؤلف للوحرة غريب ؛ إذ أجمعت كتب اللغة التى بين أيدينا على أن الوحرة (بالتحريك) : دويبة تشبه سام أبرص ، وقال الجوهرى : الوحرة بالتحريك : دويبة حمراء تلزق بالأرض . وفى حـ : « يلزم البثار » . (٥) لعل هاهنا سقطا ؛ فانه يهجو بهذا الشعر ابنه لا نفسه . (٦) أثبتنا هذين البيتين كما رواهما الجاحظ فى كتابه الحيوان (ج ١ ص ٢٥٤ طبع الحلبى) وقد قال : إنه هجا بهما ابنه . وقد وردا فى ب ، س هكذا :

أسمج به من ولد وأقبح * مثل جرى الكلب لم يفقح

يشر سوءا لم يقم فينبح * بالباب عند حاجة المستفتح

وفى ى ، ط : « يسرى شوا مالم يقم فينبح » . وفى م : « يشر سوء لم يقصر فينبح » .

(٧) يقال : فقح الجرو وفقح (بالتضعيف) ، وذلك أوّل ما يفتح عينيه وهو صغير .

طبقته في الشعر عند ابن سلام ورأي أبي الفرج فيه

قال الزُّبير : وجعل محمدُ بن سَلّام الأحوصَ، وآبنَ قيس الرُّقَيّات، ونُصَيْبًا ، وجَمِيلَ بن مَعْمَر طبقةً سادسةً من شعراء الإسلام؛ وجعله بعد آبن قيس[1]، وبعد نُصَيب. [قال أبو الفرج][2] : والأَحْوَص، لولا ما وَضَع به نَفْسَه من دَنِيء الأَخلاق والأفعال ، أَشَدُّ تقدُّما منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرُّواة ؛ وهو أَسْمَحُ طبعًا ، وأسهلُ كلامًا ، وأَصَحُّ معنًى منهم ؛ ولشعره رونقٌ وديباجةٌ صافية وحلاوةٌ وعُذوبةُ ألفاظٍ ليست لواحدٍ منهم . وكان قليل المُروءة والدِّين، هَجَّاءً للناس، مأْبونًا فيما يُرْوَى عنه .

جلد سليمان بن عبد الملك إياه والسبب في ذلك

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدّثني أبو عُبَيدة أنّ جماعةً من أهل المدينة أخبروه :

أنّ السبب في جَلْد سُليمانَ[3] بن عبد الملك ، أو الوليد بن عبد الملك إيّاه ونَفْيِه له ، أنّ شهدوا شهدوا عليه عنده أنه قال : إذا أخذتُ جَرِيري[4] لم أُبالِ أيّ الثلاثة لَقِيتُ ناكحًا أو منكوحًا أو زانيًا . قالوا[5] : وآنضاف إلى ذلك أنّ سُكَيْنَةَ

---

(١) كذا في س ، ب ، حـ . وفي ط ، ء ورد هذان الاسمان بتقديم الثاني على الأوّل . وفي م وردا هكذا : «بعد ابن قيس وقبل نصيب» . وقد ورد في طبقات الشعراء لمحمد بن سلام المذكور (ص ١٣٧ طبع ليدن) أن شعراء الطبقة السادسة هم : عبيد الله بن قيس الرقيات ، والأحوص ، وجميل ، ونصيب . (٢) زيادة عن م . (٣) في م : «في ضرب ابن حزم» . وابن حزم هذا هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كان عاملا لسليمان بن عبد الملك على المدينة .

(٤) الجرير : الزمام ، وهذا كناية عن إطلاق سراحه . وفي الحديث أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله زمامه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خلوا بين جرير والجرير" أي دعوا له زمامه . وفي حـ ، م : «صريرتي» . وفي سائر الأصول : «صريري» ، وهما تحريف .

(٥) في ء ، ط : «قال» .

بنت الحسين رضى الله عنهما فخرت يومًا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقد حرشه بقصيدته التى يقول فيها :

ليس جهل أتيته ببديع *

فزاده ذلك حنقًا عليه وغيظًا حتّى نفاه .

فخرت سكينة بالنبى فساجرها بجده وخاله

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عُمَر بن شبّة :

أنّ الأحوص كان يومًا عند سُكَينة ، فأذّن المؤذّن ، فلمّا قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أنّ محمّدا رسولُ الله ، فخرت سُكَينةُ بما سمعت ، فقال الأحوص :

فخرتْ وانتمتْ فقلتُ ذَرِينى * ليس جهلٌ أتيته ببديع

فأنا ابنُ[1] الذى حمتْ لحمَه الدّبْـ * ـرُ قتيلِ اللّحيان يومَ الرَّجيع

غسّلتْ خالىَ الملائكةُ الأبْـ * ـرارُ ميْتًا طُوبَى له من صريع

قال أبو زيد : وقد لعَمْرى فخَر بفخرٍ لو على غير سُكَيْنة فخَر به ! وبأبى سُكينة صلّى الله عليه وسلّم حمتْ أباه الدّبْرُ[2] وغسّلتْ خالَه الملائكةُ .

٤٤ / ٤

هجاؤه لابن حزم عامل المدينة

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنى محمد بن يحيى عن أيّوب بن عُمَر عن أبيه قال :

لمّا جاء ابن حَزم عَمَله من قِبَل سُليمانَ بن عبد الملك على المدينة والحجّ ، جاءه ابنُ أبى جَهْم بنِ[3] حُذَيفةَ وحُمَيد بن عبد الرحمن بنِ عَوْف وسُراقةُ ، فدخلوا عليه

(١) نبهنا فيا تقدّم أن المرحوم الأستاذ الشنقيطى صحح هذه الكلمة بـ « وأبى ابن الذى ... » .

(٢) كذا فى حـ . وفى أكثر الأصول : « لحمه » . (٣) كذا فى ط ، ء ، وهو الموافق لما فى تاريخ الطبرى ، وهو أبو بكر بن عبد الله بن أبى الجهم بن حذيفة العدوى ، كما فى تهذيب التهذيب . وفى ب ، س ، حـ : « ابن أبى جهم حذيفة » بدون ذكر « ابن » وهو خطأ . وفى م : « ابن خذيفة » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

فقالوا له : إيه يابن حَزم! ما الذى جاء بك؟ قال : استعملنى والله أميرُ المؤمنين على المدينة على رَغْم أَنْف من رَغِم أنفُه . فقال له ابنُ أبى جهم : يا بنَ حزم، فإنّى أوّلُ مَنْ يَرْغَمُ من ذلك أنفُه . قال فقال ابن حزم : صادقٌ ، واللهُ يُحِبّ الصّادقين . فقال الأحوص :

سليمانُ إذْ وَلَّاكَ رَبُّك حُكْمَنا ... وسُلْطانَنا فاحْكُمْ إذا قلتَ واعْدِلِ

يَؤُمُّ حجيجَ المسلمين ابنُ فَرْتَنَى ... فهَبْ ذاكَ حَجًّا ليس بالمُتَقَبَّلِ

فقال ابنُ أبى عَتِيق[1] للأحوص : الحمدُ لله يا أحوص، إذْ لم أحُجَّ ذلك العامَ بمعمة ربّى وشُكْره . قال : الحمدُ لله الذى صَرَف ذلك عنك يا بنَ أبى بكرٍ الصِّدّيق، فلم يُضَلِّلْ دِينَك، ولم تُعنِّ[2] نَفْسك ، وتَرَ ما يَغيظُك ويَغيظ المسلمين معك .

وفد على الوليد وتعرض للخبازين فأمر عامل المدينة بجلده

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن عمّه موسى بن عبد العزيز قال :

وَفَد الأحوص على الوليد بن عبد الملك وامتدحه، فأنزله منزلًا ، وأمر بمَطْبَخه أن يُمَال عليه ؛ ونزل على الوليد بن عبد الملك شُعَيب بن عبد الله بن عمرو بن العاصى، فكان الأحْوَصُ يُراوِد وُصَفاءَ للوليد خَبّازين عن[3] أنفسهم ويُريدهم أن يفعلوا به . وكان شُعَيبٌ قد غَضِب على مولًى له ونَحّاه . فلمّا خاف الأحوصُ أن يَفْتضِح بمُراودته الغلمانَ، اندسّ لمولَى شُعَيْب ذلك فقال : ادْخُل على أمير المؤمنين فاذْكُرْ له أنّ شُعَيبًا أرادك عن نفسك ، ففعل المولى . فالتفت الوليدُ إلى شُعَيب

(١) أبو عتيق : لقب محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر . (٢) كذا فى حـ ، م . وعنّى نفسه وأعناها : أنصبها وكلفها ما يشق عليها . وفى سائر الأصول : « وتغر نفسك » . (٣) فى جميع الأصول : « على أنفسهم » .

فقال: ما يقول هذا؟ فقال: لكلامه غَوْرٌ[1] يا أميرَ المؤمنين، فاشْدُدْ به يَدَك يَصْدُقْك. فشدد عليه، فقال: أَمَرنى بذلك الأَحْوَص. فقال قَيِّم الخبّازين: أصلحك الله! إنّ الأَحوص يُرَاوِد الخبّازين عن أنفسهم. فأرسل به الوليدُ إلى ابن حَزْم بالمدينة، وأمَره أن يَجْلِدَه مائةً، ويَصُبَّ على رأسه زيتًا، ويُقيمه على البُلُس[2]؛ ففعل ذلك به. فقال وهو على البُلُس أبياتَه التى يقول فيها:

ما مِنْ مُصيبةِ نَكْبَةٍ أُمْنَى بها[3] * إلّا تُشَرِّفُنى وتَرْفَعُ[4] شانى

شعره الذى أنشده حين شهر به

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنى أَيُّوب بن عمر قال أخبرنى عبد الله بن عِمْران بن أبى فَرْوَةَ قال:

رأيتُ الأَحوص حين وَقَفه ابنُ حَزْم على البُلُس فى سوق المدينة وإنّه لَيَصيح ويقول:

ما مِنْ مُصيبةِ نَكْبَةٍ أُمْنَى بها * إلّا تُعَظِّمُنى وترفع شانِى

وتَزولُ حين تزولُ عن مُتَخَمِّطٍ[5] * تُخْشَى بَوادِرُه على الأَقْرانِ

إنّى إذا خَفِىَ اللِّئامُ[6] رأيتَنى * كالشمسِ لا تَخْفَى بكلِّ مكانِ

(١) أى فى كلامه معنى خفىّ غير واضح. (٢) البلس (بضمتين): جمع بلاس كسحاب، وهى غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه. ومن دعائهم: «أرانيك الله على البلس». (٣) فى ط، ء: «أعيا». وفى ديوان الحماسة:

ما تعترينى من خطوب ملمة * إلا تشرفنى وتعظم شانى

وأوّل الأبيات فيه:

إنى على ما قد علمت محسَّد * أنمى على البغضاء والشنآن

(٤) فى ط، ء: «وتعظم». (٥) المتخمط: المتكبر. (٦) فى طبقات ابن سلام الجمحى: «إنى إذا جُهِل ... الخ».

شعره في هجو ابن حزم

٤٥ / ٤

قال : وهجا الأحوص ابن حزم بشعر كثير، منه :

أقولُ وأبصرت ابنَ حَزْمِ بن فَرْتَنَى * وُقوفًا له بالمأزِمَين[1] القبائلُ

تُرى فَرْتَنى كانت بما بلَغ ابنُها * مُصَدِّقةً لو قال ذلك قائلُ

ـــ [...] الحَرَمىُّ قال حدّثنا الزُّبير عن أبى عُبَيدة قال: كلُّ أَمَة يقال لها فَرْتَنى .

وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سَلّام قال : فَرْتَنى[2] : الأَمَةُ بنت الأَمَة ــ قال الزُّبير : فقال ابنُ حَزْم حين سَمِع قولَ الأحوص فيه « ابن فَرْتَنى » لرجلٍ من قومه له علمٌ : أنحنُ من ولد فَرْتَنى ؟ أَوَ تَعرِفها[3] ؟ فقال : لا والله ! قال : ولا أنا أعلمُ والله ذلك ! ولقد عَضَهنى به، ولو كانت ولدتْنى لم أَجْهَلْ ذلك .

قال الزُّبير : وحدّثنى عَمّى مُصْعَبٌ عن عبد الله بن محمد بن عُمارةَ قال : فَرْتَنى : أَمٌ لهم فى الجاهليّة من بَلْقَيْنِ[5] ، كانوا يُسَبُّون بها، لا أدرى ما أمرُها، قد طرحوها من كتاب النَّسَب وهى أمّ خالد [بنت خالد][6] بن سِنان بن وَهْب بن لَوْذانَ الساعِديّة أمّ بنى حَزْم .

---

(١) المأزمان، كما في ياقوت : جبلا مكة . قال أهل اللغة : هما مضيقا جبلين . وقيل : هو اسم موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة، وفيه أقوال غير هذا . (٢) وفرتنى : المرأة الفاجرة والأمة . ذهب ابن جنى الى أن نونه زائدة، وجعله سيبويه رباعيا . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «أو نعرفها» بالنون . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وعضهنى : بهتنى أى رمانى بالزور والبهتان وقال فىّ ما لم يكن . وفى م : «عضبنى» والعضب : الشتم والتناول . (٥) بلقين بفتح فسكون : حىّ من بنى أسد كما قالوا : بلحارث وبلهجيم، وأصلها بنو القين . قال ابن الجوانى : « العرب تعتمد ذلك فيما ظهر فى واحده النطق باللام، مثل الحارث والخزرج والعجلان، ولا يقولون ذلك فيما لم تظهر لامه، فلا يقولون بلنجار فى بنى النجار؛ لأن اللام لا تظهر فى النطق بالنجار فلا تجوزه العربية ولم يقل فى الأنساب» . (٦) هذه العبارة ساقطة فى حـ، وقد وردت فى م : « ابن خالد » .

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عبدَ الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجُشُون[١] : أنّ الأَحْوَص قال لابن حَزْم :

لَعَمْرِى لقد أجرى ابنُ حَزْم بن فَرْتَنَى * إلى غايةٍ فيها السَّمامُ المُثَمَّلُ[٢]
وقد قلتُ مهلًا آلَ حَزْم بن فَرْتَنَى * ففى ظُلْمِنا صابٌ[٣] مُمَرٌّ وحَنْظَلُ

وهى طويلة . وقال أيضا :

أَهْوَى أُمَيَّةَ إنْ شَطَّتْ وإنْ قَرُبتْ * يومًا وأُهْدِى لها نُصْحِى وأَشْعارِى
ولو وردتُ عليها الفَيْضَ[٤] ماحَفَلتْ * ولا شَفَتْ[٥] عَطَشِى من مائه الجارى
لا تَأْوِيَنَّ[٦] لِحَزْمِىّ رأيتَ به * ضُرًّا ولو طُرِحَ[٧] الحَزْمِىّ فى النّارِ
الناخِسِين بمَرْوانٍ[٨] بِذى خُشُب * والمُقْحِمِين على عثمانَ فى الدّارِ

---

(١) الماجشون ذكره القاموس (فى مادّة مجش) بضم الجيم . وقال شارحه : «ويكسر الجيم ويفتح فهو إذًا مثلث» . ثم نقل عن حاشية المواهب اللدنية أنه «بكسر الجيم وضم الشين» . وقال : «وعلى كسر الجيم وضم الشين اقتصر النووى رحمه الله فى شرح مسلم والحافظ ابن حجر فى التقريب» . واقتصر السمعانى فى الأنساب أيضا على كسر الجيم . وهو معرّب ماه كون . ومعناه الورد ، أو الأبيض المشرب بحمرة ، أو لون القمر .

(٢) المثمل : السم المقوّى بالسَّلَع وهو شجر مرّ . وقال ابن سيده : وسم مثمَّل : طال إنقاعه وبق . وقال الأزهرى : ونرى أنه الذى أُنقع فبق وثبت .

(٣) الصاب : عصارة شجر مرّ ، وقيل : هو شجر إذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن ، وربما نزت منه نزية (قطرة) فتقع فى العين كأنها شهاب نار ، وربما أضعف البصر . ومُمِرّ ، من أمرّ الشيء فهو ممرّ اذا كان مرّا .

(٤) الفيض : نهر بالبصرة .

(٥) كذا فى ح . وفى سائر الأصول : «سقت» .

(٦) أوى لفلان : رحمه ورق له . والرواية فيما تقدّم (ج ١ ص ٢٦ من هذه الطبعة) «لا ترثين» كما فى ح هنا .

(٧) فى ب ، س : «ولو أُلقى» . وفى الجزء الأوّل : «ولو سقط» .

(٨) الناخسين بمروان ، يريد الطاردين لمروان والمزعجين له ؛ يقال : نخسوا بفلان اذا نخسوا دابته من خلفه وطردوه حتى سيروه فى البلاد . وتفسير «ذى خشب» وقصة طرد مروان مذكوران فى الجزء الأوّل (ص ٢٣ وما بعدها من هذه الطبعة) .

دفع عنه بنو زريق فمدحهم

أخبرنا الحرمىّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنى جماعةٌ من مشايخ الأنصار:

أنّ ابن حَزْم لمّا جلَد الأحوصَ [و](1) وَقَفه على البُلُس يضربه، جاءه بنو زُرَيق(2) فدفعوا عنه، واحتملوه من أعلى البُلُس. فقال فى ذلك — قال ابن الزبير: أنشدنيه عبدُ الملك بن الماجشون عن يوسف بن أبى سَلَمة الماجشون —:

إمّا تُصِبْنِى المَنَايَا وهْىَ لاحقةٌ ✱ وكلُّ جَنْبٍ له قد حُمَّ مُضْطَجَعُ

فقد جَزَيتُ بنى حَزْم بظُلْمِهمُ ✱ وقد جزيتُ زُرَيْقًا بالّذى صنعوا

قومٌ أبَى طَبَعُ(3) الأخلاق أوَّلَهُمْ ✱ فهُمْ على ذاك من أخلاقهم طُبِعوا

وإنْ أُنَاسٌ وَنَوْا عن كلّ مَكْرُمَةٍ ✱ وضاق باعُهُمُ عن وُسْعِهمْ وَسِعوا

إنّى رأيتُ غداةَ السُّوق مَحْضَرَهُمْ ✱ إذ نحنُ ننظر ما يُتْلَى ونَسْتَمِعُ

نفاه ابن حزم إلى دهلك وشعره فى ذلك

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثنى عُمَر بن أبى بكر المؤمّلىّ(4) قال حدّثنى غيرُ واحدٍ من أهل العلم:

أنّ أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جَلَد الأحوصَ فى الخُنْث(5)، وطاف به وغرّبه إلى دَهْلَك(6) فى مَحْمِلٍ(7) عُرْيانًا. فقال الأحوصُ وهو يُطَافُ به:

---

(1) التكلة عن م. (2) بنو زريق: حىّ من الأنصار، وهم بنو زريق بن عامر بن زريق الخزرجىّ، إليه يرجع كل زرقى ما خلا زُرَيق بن ثعلبة طىّ. (انظر القاموس وشرحه مادة زرق). (3) الطبع (بالتحريك): الدنس والعيب، وكل شين فى دين أو دنيا فهو طَبَع. وأصله من الوسخ والدنس يغشيان السيف، ثم آستعير فيما يشبه ذلك من الأوزار والآثام وغيرهما من المقابح. (4) فى حـ: «الموصلى» وانظر الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من هذا الجزء. (5) كذا فى أكثر الأصول. والخنث (بالضم): اسم من التخنث. وفى ب، سـ: «الخبث» بالباء وهو تصحيف. (6) دهلك (بفتح أوّله وسكون ثانيه ولام مفتوحة وآخره كاف): اسم أعجمىّ معرب، وهى جزيرة فى بحر القلزم، فى طريق المسافرين فى بحر عيذاب الى اليمن، بينها وبين اليمن نحو ثلاثين ميلا، وهى ضيقة حرجة حارّة، كان بنو أمية اذا سخطوا على أحد نفوه اليها. (7) فى ط، ء: «فى محمل عرى». وكانت تكون هذه الرواية جيلة لو أنها كانت: على فرس عُرْى أو على دابة عرى.

* ما مِنْ مُصيبةِ نَكْبةٍ أُبْلَى بها *

الأبيات . وزاد فيها :

إنِّى على ما قد تَرَوْن محسَّد * أَنْمِى على البَغضاء والشَّنآنِ

أصبحتُ للأنصارِ فيما نابَهم * خَلَفًا وللشُّعراء من حسّانِ

٤٦
٤

قال الزُّبير : ومما ضُرِب فيه أيضا قولُه[1] :

٥

شَرُّ الحِزاميّين ذو السِّنّ منهمُ * وخيرُ الحِزاميِّين يَعْدِلُه الكَلْبُ

فإنْ جئتَ شيخًا من حِزامٍ وجدتَه * من النُّوكِ والتقصيرِ ليس له قلبُ

فلَوْ سَبَّنِى عَوْنٌ إذًا لَسَبَبْتُه * بشِعْرِى أو بعضُ الأولَى جَدُّهم كَعْبُ

— عَوْن ، يعنى عَوْنَ بن محمد بن علىّ بن أبى طالِب عليه رضوان الله . وكعب ، يعنى كَعْبَ بن لُؤَىّ —

١٠

أولئك أكفاءٌ لبيتى بيوتُهم * ولا تستوى الأَعْلاثُ[2] والأَقْدُحُ القُضْبُ

أعانه فتى من بنى جحجبى فدعا عليه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى محمد بن ثابِت الأنصارىّ عن محمد بن فَضَالةَ قال :

كان الأحوص بن محمد الأنصارىّ قد أوسع قومه هجاء فلاهم شرًّا، فلم يبقَ له فيهم صديقٌ، إلّا فتًى من بنى جَحْجَبِى[3] . فلمّا أراد الأحوص الخروجَ إلى يزيد بن عبد الملك، نَهض الفتى فى جَهَازه وقام بحوائجه وشَيَّعه؛ فلمّا كان بِسِقَايةِ سليمانَ وَرَكِب الأحوصُ مَحْمِلَه، أقبل على الفتى فقال : لا أَخْلَفَ اللهُ عليك بخير! فقال :

١٥

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «ومما صرف فيه» . (٢) الأعلاث من الشجر: القطع المختلطة مما يقدح به من المرخ والبيس ، واحدها علث بالكسر . والأقدح : جمع قدح وهو السهم قبل أن يراش وينصل . والقضب : كل شجر سبطت أغصانه وطالت ، وما قطع من الأغصان للسهام أو القسىّ . (انظر القاموس وشرحه مادتى علث وقضب) . (٣) جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف ابن مالك بن الأوس وهو جدّ أُحيحة بن الجُلاح اليثربى : حى من الأنصار ثم من الأوس . (انظر القاموس وشرحه مادة جحجب) .

٢

مَهْ! غفر اللهُ لك ! قال الأحوص : لا والله أو أُعَلِّقها حربا ! يعنى قُبَاء[1] وبنى عمرو ابن عَوْف .

هجا معن بن حميد الأنصارى فعفا عنه ثم هجا ابن أبى جرير فأهانه وهدده

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثنى محمد بن يحيى قال قال غَسّان بن عبد الحميد :

٥ أقبل الأَحوصُ حتّى وقف على مَعْن بن حُمَيْد الأنصارىّ ، أحد بنى عمرو ابن عوف بن جَحْجَبَى ، فقال :

رأيتُك مَزْهُوًّا كأنّ أباكُمُ * صُهَيْبَةَ أَمْسَى خيرَ عَوْف مُرَكَّبَا
تُقِرُّ بكم كُوثَى[2] إذا ما نُسِبْتُمُ * وتُنكِرُكم عَمْرُو بن عَوْف بن جَحْجَبَى
عليكَ بأدنى الخَطْبِ إنْ أنت نِلْتَهُ * وأَقْصِرْ فلا يَذْهَبْ بك التِّيهُ مَذْهَبَا

١٠ فقام إليه بنوه ومَوَاليه، فقال : دَعُوا الكلب ، خَلُّوا عنه ، لا يَمَسَّه أحدٌ منكم؛ فانصرَف . حتّى إذا كان عند أحجار المِرَاء بقُبَاءَ لَقِيَه ابن أبى جرير أحد بنى العَجلان ، وكان شديدًا ضابطا[3]، فقال له الأحوصُ :

إنّ بقومٍ سَوَّدُوكَ لَحاجةً * إلى سَيِّد لو يَظْفَرون بسَيِّدِ

فألقى ثيابَه وأخذ بحَلْق الأحوص ، ومع الأحوص راويتُه ، وجاء الناسُ ١٥ [ليخلِّصوه[4]]، فحلف لئن خَلَّصه أحدٌ من يديه لَيأخُذَنَّه ولَيَدَعَنّ الأحوص؛ فخنقه حتى ٱسترخَى، وتركه حتى أفاق، ثم قال له : كلُّ مملوكٍ لى حُرٌّ[5]، لئن سُمِعَ أو سمعتُ هذا البيت من أحدٍ من الناس لأضربنّك ضربةً بسيفى أريد بها نفسَك ولو كنتَ

(١) كذا بالأصول . (٢) كوثى : محلة بمكة لبنى عبد الدار . (٣) ضابط : شديد البطش والقوة والجسم . (٤) زيادة عن م . (٥) كذا فى م . وفى ط :
٢٠ « لئن سمعت هذا البيت ... » . وفى سائر الأصول : « كل مملوك لى حر إن سمع أو سمعت ... » .

تحت أستار الكعبة . فأقبل الأحوص على راويتـه فقال : إنّ هـذا مجنون ، ولم يسمع هذا البيتَ غيرُك ، فإيّاك أن يسمَعه منك خَلْق .

لقي عباد بن حمزة ومحمد بن مصعب فلم يهشا له ثم تهدداه إن هجاهما

أُخبرني الحَرَميّ والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني بعض أصحابنا :

أنّ الأحوص مرّ بعَبّاد بن حَمْزَة بن عبد الله بن الزُّبَير ومحمد بن مُصْعَب بن الزُّبير بخَيمتَيْ أُمّ مَعْبَد(١) ، وهما يُريدان الحَجّ مَرْجِعَه من عند يَزيدَ بن عبد الملك ، وهو على نَجِيبٍ له فارِهٍ ورَحْلٍ فاخرٍ وبِزّة مرتفعة ، فحدّثهما أنّه قَدِم على يزيد بن عبد الملك ، فأجازه وكساه وأَخْدَمه(٢) ، فلم يَرَهما يَهَشّان لذلك . فجعل يقول : خَيْمتَيْ أُمّ مَعْبَد ، عبّاد ومحمّد ، كأنه يَرُوض القوافيَ للشعر يُريد قولَه . فقال له محمد بن مُصْعَب : إنّي أراك في تهيئة شـعر وقَوافٍ وأراكَ تُريد أن تهجوَنا ! وكلّ مملوكٍ لي حُرٌّ(٣) لئن هجوتَنا بشيء إنْ لم أضرِبْك بالسيف مجتهِدًا(٤) على نفسك . فقال الأحوصُ : جعلني الله فـداك ! إنّي أخاف أن تَسْمعَ هذا في عدوًّا فيقول شـعرًا يهجوكما به فيَنْحَلُنِيه(٥) ، وأنا أبرئكما الساعةَ ، كلّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن هجوتُكما ببيت شعرٍ أبدًا .

٤٧ / ٤

أراد أن يصحب محمد بن عباد في طريقه الى مكة فأبى محمد

أُخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عَمّي مُصْعَب قال حدّثنا الزبير ابن خُبَيْب(٦) عن أبيه خُبَيْب بن ثابت قال :

---

(١) خيمة أم معبد و يقال بئر أم معبد : موضع بين مكة والمدينة نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرته ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، وقصته مشهورة . قالوا : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل مساحلا حتى انتهى الى قديد فانتهى الى خيمة منتبذة . وذكروا الحديث ، وسمع هاتف ينشد :

جزى الله خيرا والجزاء بكفه * رفيقين قالا خيمتي أم معبد

(٢) أخدمه : وهب له خادما . (٣) في الأصول : «وكل مملوك له» . (٤) الاجتهاد : بذل الوسع والمجهود في طلب الأمر ، وهو افتعال من الجهد بمعنى الطاقة . فأصل معنى قوله : «مجتهدا على نفسك» : باذلا ما في وسعي وطاقتي في القضاء على نفسك . (٥) نحله القول : نسبه اليه وهو لم يقله . (٦) كذا في المشتبه للذهبي (ص ١٤٧) وفهرس الطبري . وفي الأصول : «حبيب» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

خرجنا مع محمد بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير إلى العُمْرة ، فإنّا لَبِقُرْب قُدَيْد[1] إذ لَحِقَنا الأحوصُ الشاعر على جملٍ برَحْلٍ ، فقال : الحمد لله الذى وفّقكم لى[2] ، ما أُحِبُّ أنّكم غيرُكم ، وما زِلتُ أُحَرِّكُ فى آثاركم مذ رُفِعتم لى[3] ؛ فقد ازددت بكم غِبْطةً . فأقبل عليه محمد ، وكان صاحبَ جِدٍّ يكره الباطلَ وأهلَه ، فقال : لكنّا والله ما اغتبطْنا بك ولا نُحِبُّ مُسايرتَك ، فتقدّمْ عنّا أو تأخّرْ . فقال : والله ما رأيتُ كاليوم جوابًا ! قال : هو ذاك . قال : وكان محمد صاحبَ جدّ [يكره الباطلَ وأهلَه][4] ، فأشفقنا ممّا صنع ، ومعه عِدّةٌ من آل الزبير[5] ، فلم يقدرْ أحدٌ منهم أن يَرُدَّ عليه . قال : وتقدّم الأحوصُ ، ولم يكن لى شأنٌ غيرَ أن أعتذرَ إليه . فلمّا هبَطْنا من المُشَلَّل[6] على خيمتَىْ أمّ معبد سمعتُ الأحوصَ يهمهِم[7] بشىء ، فتفهّمتُه فإذا هو يقول : خيمتَىْ أمِّ معبد ، محمد ، كأنّه يُهَيِّئُ القوافى ؛ فأمسكتُ راحلتى حتّى جاءنى محمد ، فقلتُ : إنّى سمعتُ هذا يُهَيِّئُ لك القوافىَ ؛ فإمّا أذِنْتَ لنا أن نعتذرَ إليه ونُرْضِيَه ، وإمّا خَلَّيْتَ[8] بيننا وبينه فنضربه[9] ؛ فإنّا لا نُصادفه فى أخْلَى من هذا المكان . قال : كلّا ! إنّ سعد بن مُصْعَب قد أخذ عليه ألّا يهجوَ زُبَيْرِيًّا أبدًا ، فإن فعل رجوتُ أن يُخْزِيَه الله ، دَعْه .

---

(١) قال ياقوت فى معجمه : « قديد بالتصغير : اسم موضع قرب مكة . قال ابن الكلبى : لما رجع تبّع من المدينة بعد حربه لأهلها نزل قديدا فهبت ريح قلعت خيم أصحابه ، فسمى قديدا » . وقال فى اللسان مادة قدد : « قديد : ماء بالحجاز وهو مصغر ، وورد ذكره فى الحديث ؛ قال ابن سيده : وقديد موضع ، وبعضهم لا يصرفه ويجعله اسما للبقعة » . (٢) وفقكم لى : جعلكم تصادفوننى وتلاقوننى . وفى اللسان (مادة وفق) : « ويقال : وفقت له ووفّقت له ووفقته ووافقنى ، وذلك إذا صادفنى ولقينى » .

(٣) رفع لى الشىء : أبصرته من بعد . (٤) زيادة عن ط ، م ، ء .

(٥) فى ط ، م ، ء : « من ولد الزبير » . (٦) المشلل (بالضم فالفتح وفتح اللام المشدّدة) : جبل يهبط منه الى قديد من ناحية البحر . (انظر ياقوت فى المشلل) .

(٧) الهمهمة : الكلام الخفىّ . وقيل : الهمهمة : تردّد الزئير فى الصدر من الهمّ والحزن ؛ يقال : همهم الأسد ، وهمهم الرجل ، اذا لم يبين كلامه . (٨) فى الأصول : « وإما أن خليت » بزيادة « أن » . (٩) فى ط ، م ، ء : « فضربناه » .

هجا سعد بن مصعب فلما أراد ضربه حلف له ألا يهجو زبيريا فتركه

قال الزبير : وأمّا خبره مع سَعْد بن مُصْعَب ، فحدّثنى به عمّى مُصْعَب قال أخبرنى يحيى بن الزّبير بن عبّاد أو مُصْعَب بن عثمان — شكٌّ : أيُّهما حدّثه — قال : كانت أَمَةُ الملك بنت حَمْزة بن عبد الله بن الزُّبير ، تحت سعد بن مُصْعَب ابن الزُّبير ، وكان فيهم مأتمٌ ، فاتّهمته بآمرأة . فغارتْ عليه وفضحته . فقال الأحوص يُمازحه :

وليس بسَعْدِ النّارِ مَنْ تزعُمونه * ولكنّ سَعْدَ النارِ سعدُ بن مُصْعَبِ
ألم تَرَ أنّ القومَ ليلةَ نَوْحِهِم * بغَوْهُ فألفَوْهُ على شرّ مَرْكَبِ
فما يبتغى بالغَىّ لا دَرَّ دَرُّه * وفى بيتِه مثلُ الغزَالِ المُرَبَّبِ

— قال : وسعدُ النار رجلٌ يقال له سعد حضنة ، وهو الذى جدّد لزياد بن عُبَيْد الله[1] الحارثىّ الكتابَ الذى فى جدار المسجد ، وهو آياتٌ من القرآن أحسَبُ أنّ منها ﴿ إنّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإحْسَانِ وإيتاءِ ذى القُرْبَى ويَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْىِ ﴾ . فلمّا فرغ منه قال لزياد : أَعْطِنى أَجْرى . فقال له زياد : انتظِرْ ، فإذا رأيتَنا نعمل بما كتبتَ ، فخُذْ أجرك — .

قال : فعمِلَ سعدُ بن مُصْعَبٍ سُفْرةً ، وقال للأَحْوَص : اذْهَبْ بنا إلى سَدّ عُبَيد الله بن عمر نتغدَّ عليه ، ونشرَبْ من مائه ، ونستنقِعْ فيه ؛ فذهب معه . فلمّا صارا إلى الماء ، أمر غلمانَه أن يَرْبِطُوه وأراد ضربَه ، وقال : ما جَزِعتُ من هجائك إيّاى ، ولكن ما ذِكْرُكَ زوجتى ؟ ! فقال له : يا سَعْدُ ، إنك لَتعلم أنّك إن ضربتَنى لم أَكْفُف عن الهجاء ، ولكن خيرٌ لك من ذلك أَحلِفُ لك بما يُرضيك ألّا أهجوَك ولا أحدًا من آل الزُّبير أبدًا ، فأحلفه وتركه .

(١) كذا فى م ، وهو الموافق لما فى الطبرى . وفى ح : « لعبيد الله بن زياد الحارثى » . وفى أكثر الأصول : « لزياد بن عبد الله » . (٢) سياق الكلام يقتضى وجود « أن » المصدرية ، فهى إذًا محذوفة مقدّرة .

هجا مجمع بن يزيد فسبه

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني مُصْعَبٌ عمّي عن مُصْعَب بن عثمان قال :

قال الأحْوص لمُجَمِّع بن يزيدَ بنِ جارِيَةَ[1] :

وجُمِّعْتَ من أشياءَ شتّى خبيثةٍ * فسُمِّيتَ لمّا جئتَ منها مُجَمِّعَا

فقال له مجمِّع : إنّي لا أُحسن الشعرَ ، ثم أخذ كُرْنافةً[2] فغَمَسها في ماءٍ فغاصتْ ، ثم رفَع يده عنها فطفتْ ، فقال : هكذا والله كانت تصنَع خالاتُك السَّواحِرُ .

طلب من أم ليث أن تدخله إلى جارة لها فأبت فعرض بها في شعره

أخبرني الحَرَميّ قال وحدّثنا الزُّبَير قال :

كانت امرأةٌ يقال لها أُمُّ لَيْث امرأةَ صِدْقٍ[3] ، فكانت قد فتحتْ بينها و بين جارةٍ لها من الأنصار خَوخة ، وكانت الأنصاريّة من أجمل أنصاريّةٍ خُلِقَتْ . فكلّم الأحْوَس أمّ ليث أن تُدخِله في بيتها يكلّم الأنصاريّة من الخَوْخة التي فتحتْ بينها و بينها ، فأبت ؛ فقال : أمَا لأُكافِئنّك ، ثم قال :

هيهاتَ منكَ بنو عَمْرٍو ومَسْكَنُهم * إذا تَشَتَّيْتَ قِنَّسْرِينَ[4] أو حَلَبَا

قامتْ تراءَى وقد جَدّ الرحيلُ بنا * بين السَّقيفةِ والباب الذي ثُقِبَا

إني لَمَانِحُها وُدّي ومُتَّخِذٌ * بأُمّ لَيْث إلى معروفها سَبَبَا

فلمّا بلغتِ الأبياتُ زوجَ المرأة ، سَدّ الخَوْخة ؛ فاعتذرت إليه أُمّ ليث ، فأبى أن يقبَل و يُصَدّقَها . فكانت أُمّ لَيْث تدعو على الأحوص .

(١) مجمع ، بضم أوّله وفتح الجيم وتشديد الميم المكسورة . وجارية ، بالجيم والراء والياء المثناة من تحت كما في تهذيب التهذيب في اسم مجمع . وقد ورد هذا الاسم في الأصول : «حارثة» بالحاء والراء والثاء المثلثة ، وهو تصحيف . (٢) الكرنافة : واحدة الكرناف (بكسر الكاف وضمها) ، وهو أصول الكرب التي تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف . (٣) إذا قلت : رجل صدق أو امرأة صدق بالإضافة كسرت الصاد ، وإن نعتّ به فتحتها . (٤) قنسرين (بكسر القاف وفتح النون مشدّدة) : كورة بالشأم بالقرب من حلب ، وهي أحد أجناد الشام . فتحها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في سنة سبع عشرة .

وعده مخزومى أن يعيبه عند الوليد ثم أخلف

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى عُمَر بن شَبَّة قال حدّثنى أبى قال :

ركب الأَحْوَص إلى الوليد بن عبد الملك قبل ضَرْب ابن حَزْم إيّاه، فلقيه رجلٌ من بنى مخزوم يقال له محمد بن عُتْبَة ، فوعَده أن يُعِينه . فلمّا دخل على الوليد قال : وَيْحَك ! ما هذا الذى رُمِيتَ به يا أحوص ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ، لو كان الذى رمانى به ٱبنُ حزم من أمر الدّين لاجتنبتُه ، فكيف وهو من أكبر مَعَاصى الله ! فقال ابنُ عُتْبَةَ : يا أمير المؤمنين ، إنّ من فضل ٱبن حزم وعَدْلِه كذا وكذا ، وأثنى عليه . فقال الأحوص : هذا والله كما قال الشاعر[1] :

وكنتَ كذئب السَّوْءِ لمّا رأى دَمًا * بصاحبه يوماً أحالَ[2] على الدّمِ

شكاه أهل المدينة فنفى الى دهلك ثم استعطف عمر ابن عبد العزيز فلم يعطف عليه

فأمّا خبره فى بقيّة أيّام سليمانَ بن عبد الملك وعُمَر بن عبد العزيز، فأخبرنى به أبو خَلِيفةَ الفَضْلُ بن الحُبَاب [الجُمَحىّ][3] قال حدّثنا عَوْنُ بن محمد بن سَلّام قال حدّثنى أبى عمّن حدّثه عن الزُّهرىّ ، وأخبرنى به الطُّوسىّ والحَرَمىّ بن أبى العلاء قالا : حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى عَمّى مُصْعَبٌ عن مُصْعَب بن عثمان قال :

كان الأَحْوَصُ يَنْسُبُ بنساءٍ ذواتِ أخطار من أهل المدينة، و يتغنَّى فى شعره مَعْبَدٌ ومالك ، ويَشِيع ذلك فى الناس، فنُهِى فلم يَنْتَهِ، فشُكِىَ إلى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتابَ فيه إليه، ففعل ذلك . فكتب سليمانُ إلى عامله يأمُره أن يضربه مائةَ سَوْطٍ و يُقِيمه على البُلُس للناس ، ثم يُصَيِّره إلى دَهْلَك[4] ففعل ذلك به ؛ فثوى هناك سُلْطانَ[5] سليمانَ بنِ عبد الملك . ثم وَلِى عمر

(١) هو الفرزدق . (٢) أحال على الدم : أقبل عليه . ومثله قول الشاعر :

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى * بصاحبه يوما دما فهو آكله

(٣) زيادة عن حـ ، حـ . (٤) دهلك : جزيرة فى بحر اليمن وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة ، بلدة ضيقة حرجة حارة ، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها . (راجع ياقوت) .

(٥) يريد : مدة سلطانه .

ٱبنُ عبد العزيز، فكتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدحه، فأبى أن يأذن له. وكتب فيما كتب إليه به :

٤٩/٤

أيا راكبًا إمّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ * هُدِيتَ أميرَ المؤمنين رسائلي

وقُلْ لأبي حَفْصٍ إذا ما لَقِيتَهُ * لقد كنت نَفّاعًا قليلَ الغوائل

وكيف ترى للعيش طِيبًا ولَذّةً * وخالُك أمسى مُوثَقًا في الحبائل!

٥

- هذه الأبيات من رواية الزُّبَيْر وحده، ولم يذكرها ابنُ سَلّام - قال : فأتى رجالٌ من الأنصار عُمَرَ بن عبد العزيز، فكلّموه فيه وسألوه أن يُقْدِمَه، وقالوا له : قد عرفتَ نَسَبه وموضعَه وقديمَه، وقد أُخرِجَ إلى أرض الشِّرْك، فنطلب إليك أن تَرُدَّه إلى حَرَم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ودارِ قومه. فقال لهم عمر : فمن الذي يقول :

١٠

فما هُوَ إلّا أن أَرَاها فُجَاءَةً * فأُبْهَتَ حتّى ما أكادُ أُجِيبُ

قالوا : الأحوص. قال : فمن الذي يقول :

أَدُورُ ولولا أنْ أَرى أمَّ جَعْفَرٍ * بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ[1]

وما كنتُ زَوّارًا ولكنّ ذا الهوى * إذا لم يَزُرْ لا بُدَّ أنْ سيَزُورُ

قالوا : الأحوص. قال : فمن الذي يقول :

١٥

كأنّ لُبْنَى صَبِيرُ غاديةٍ[2] * أو دُمْيَةٌ زُيِّنَتْ بها البِيَعُ

اللهُ بيني وبين قَيِّمها * يَفِرُّ منّي بها وأَتَّبِعُ

(١) هذا البيت لعروة بن حزام العذري، كما ذكره المؤلف في ترجمته ضمن شعره، وكما ذكره ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء، لا للأحوص. (٢) الصبير : السحاب الأبيض الذي يُصَيِّر بعضه فوق بعض درجا. والغادية : السحابة تنشأ غدوة.

٢٠

قالوا : الأحوص . قال : بَل اللهُ بين قَيِّمها و بينه . قال : فمن الذى يقول :

سَتَبقَى لها فى مُضْمَر القلب والحَشَا (١) * سريرةُ حُبٍّ يومَ تُبلَى السَّرائر

قالوا : الأَحْوَص . قال : إنّ الفاسق عنها يومئذ لمشغولٌ، والله لا أرُدُّه ما كان لى سلطان . قال : فمكث هناك بقيّة ولاية عُمَر وصَدْرًا من ولاية يزيدَ بن عبد الملك.

عنت حبابة يزيد ابن عبد الملك بشعر فلما علم أنه للأحوص أطلقه وأجازه

قال : فبينا يزيدُ وجاريته حَبَابةُ ذاتَ ليلةٍ على سطح تُغَنِّيه بشعر الأحوص، قال لها : مَنْ يقول هـذا الشعر؟ قالت : لا وعينيك ما أدرى ! — قال : وقد كان ذهب من الليل شَطْرُه — فقال : ٱبعثوا إلى ٱبن شِهَابٍ الزُّهْرِىّ، فعسى أن يكون عنده علمٌ من ذلك. فأُتِىَ الزُّهْرِىُّ فقُرِع عليه بابُه فخرج مُرَوَّعًا إلى يزيد . فلمّا صعد إليه قال له يزيد : لا تُرَعْ، لم نَدْعُك إلّا لخير، اجلِسْ، مَنْ يقول هذا الشعر ؟ قال : الأحوص بن محمد ياأمير المؤمنين. قال : ما فَعَل ؟ قال : قد طال حَبْسُه بدَهْلَك. قال : قد عَجِبْتُ لعُمَر كيف أغفله . ثم أمر بتَخْلِيَة سبيله ، ووَهَب له أربعمائة دينار. فأقبل الزُّهْرِىّ من ليلته إلى قومه من الأنصار فبَشَّرهم بذلك .

قصيدته التى يعاتب بها عمر بن عبد العزيز على إدنائه زيد بن أسلم وإقصائه له

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل ومحمد ابن زيد الأنصارىّ قالا :

لَمّا وَلِى عُمَرُ بن عبد العزيز الخلافةَ أدْنَى زيدَ بن أَسْلَمَ، وجفا الأَحْوَص. فقال له الأحوص :

ألستَ أبا حَفْصٍ هُـدِيتَ مُخَبِّرِى * أفى الحَقّ أَنْ أُقْصَى ويُدْنَى ٱبنُ أَسْلَمَا

فقال عمر : ذلك هو الحق .

(١) فى الشعر والشعراء (ص ٣٢٠ طبع أوربا) : « سَتُبْلَى لكم »

قال الزّبير: وأنشدنيها عبدُ الملك بن الماجشون عن يوسف بن الماجشون:

ألا صِلَةَ الأرحامِ أدنَى إلى التُّقَى * وأظهرُ في أكفائه لو تَكَرَّمَا[(1)]

فما تركَ الصُّنْعُ الذى قد صنعتَه * ولا الغيظُ منِّى ليس جِلْدًا وأعظُما

وَكُنّا ذوِى قُربَى لديك فأصبحتْ * قرابتُنا ثَـدْيًا أَجَدَّ مُصَرَّمَا[(2)]

٥ وكنتَ وما أمّلتُ منك كبارقٍ * لَوَى قَطْرَه من بعد ما كان غَيَّما

وقد كنتَ أرجَى الناس عندى مَوَدَّةً * لياليَ كان الظنُّ غَيبًا مُرَجَّما

أُعِدُّك حِرْزًا إن جَنيتُ ظُلامةً * ومالًا ثَرِيًّا حين أحمِلُ مَغْرَما

تَدارَكْ بعُتْبَى عاتبًا ذا قَرابةٍ * طَوَى الغيظَ لم يَفْتَحْ بسُخْطٍ له فَمَا

قيل إنه دس إلى حبابة الشعر الذى غنت يزيد به فأطلقه وأجازه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: كتب إلىّ إسحاق بن إبراهيم

١٠ أنّ أبا عُبيدة حدّثه:

أنّ الأحوص لم يَزَلْ مقيمًا بدَهْلَك حتّى مات عمرُ بن عبد العزيز، فدَسّ إلى حَبَابةَ فغنَّتْ يزيدَ بأبيات له — قال أبو عُبيدة: أظنّها قولَه:

صوت

أيُّهذا المُخَبِّرى عن يزيدٍ * بصَلاحٍ فِدَاكَ أهلى ومالى

١٥ ما أُبالى إذا يزيدُ بَقِى لى * مَنْ تَوَلَّتْ به صُروفُ الليالى

لم يجنِّسه. كذا جاء فى الخبر أنها غنّته به، ولم يذكر طريقتَه. قال أبو عُبيدة: أُراه عَرَّض بعمر بنِ عبد العزيز ولم يَقْدِرْ أن يصرِّح مع بنى مَرْوان — فقال: مَنْ

---

(1) فى ط: «وأطهر فى أكمانه». (2) كذا فى ى، ط والشعر والشعراء. وثدى أجد: يابس لا لبن به. ومصرّم: منقطع اللبن. وفى ب، س: «أحذ» بالحاء والذال

٢٠ المعجمة، وهو تصحيف.

يقول هذا؟ قالت : الأحوص، وهوّنتْ أمرَه، وكلّمته فى أمانه فأمّنه. فلمّا أصبح حضَر فاستأذنت له، ثمّ أعطاه مائةَ ألفِ درهم .

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن صالح ابن حسّان :

أنّ الأحوصَ دسّ إلى حَبَابة، فغنّتْ يزيدَ قولَه :

كريمُ قُرَيْشٍ حين يُنْسَبُ والذى * أقرّتْ له بالمُلْك كَهْلاً وأمْرَدَا

وليس و إن أعطاك فى اليوم مانِعًا * إذا عُدْتَ من أضعاف أضعافه غَدَا[(1)]

أهان تِلادَ المالِ فى الحمد إنّه * إمامُ هُدًى يجرى على ما تَعَوّدا

تَشرّفَ مجدًا من أبيه وجَدّه * وقد وَرِثَا بُنْيانَ مجدٍ تَشَيّدا[(2)]

فقال يزيد : و يلكِ يا حَبَابةُ! مَنْ هذا من قريش؟ قالت: ومَنْ يكون! أنت هو يا أميرَ المؤمنين . فقال : ومن قال هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص يمدَح به أميرَ المؤمنين؛ فأمر به أميرُ المؤمنين أن يُقْدَمَ عليه من دَهْلَك، وأمر له بمالٍ وكُسْوة.

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى بعضُ أهل العلم قال :

أخبره يزيد بن عبد الملك بأنه معجب بشعر له فى مدحهم

دخل الأحوصُ على يزيدَ بن عبد الملك وهو خليفةٌ؛ فقال له يزيد : والله لو لم تَمُتّ إلينا بحُرْمة، ولا توسّلتَ بدالّة ، ولا جدّدتَ لنا مَدْحًا[(3)]، غيرَ أنك مُقْتَصِرٌ على البيتين اللذين قلتَهما فينا ، لكنتَ مُستوجبًا لجزيل الصِّلَة منّى حيث تقول :

وإنّى لأَستحييكمُ أنْ يقودَنى * إلى غيركم من سائر الناس مَطْمَعُ

(١) كذا فى ح ، م . وفى سائر الأصول : « أضعاف إعطائه » . (٢) فى م : « مشيدا » وفى ى ، ط : « وشيدا » . (٣) كذا فى الأمالى لأبى علىّ القالى (ج ١ ص ٦٩ طبع دار الكتب المصرية) . وفى الأصول : «ولم تضر بنا بدالة ولم تجدد لنا مديحة ... الخ» .

وأنْ أَجْتَدِى للنفع غيرَك منهمُ * وأنت إمامٌ للرعيّة مَقْنَعُ[1]

قال : وهذه قصيدةٌ مدَح بها عمرَ بن عبد العزيز .

لما ولى يزيد بعث اليه فأكرمه فدحه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهرىّ قال حدّثنى عمر بن موسى بن عبد العزيز قال :

لمّا وَلِى يزيدُ بن عبد الملك بعث إلى الأحوص، فأُقْدِمَ عليه، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألفَ درهم . فلمّا قَدِم قُبَاء صَبّ المالَ على نِطْعٍ ودعا جماعةً من قومه ، وقال : إنّى قد عَمِلتُ لكم طعامًا . فلمّا دخلوا عليه كشَف لهم عن ذلك المال ، وقال : ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ﴾ .

٥١/٤

قال الزُّبَير : وقال فى يزيدَ بن عبد الملك يمدحه حينئذ بهذه القصيدة :

صَرَمتْ حَبْلَك الغداةَ نَوَارُ * إنّ صَرْمًا لكلّ حبلٍ قُصَارُ[2]

وهى طويلة، يقول فيها :

مَنْ يَكُنْ سائلًا فإنّ يزيدًا * مَلِكٌ مِنْ عَطَائه الإكثارُ

عَمَّ معروفُه فعَزّ به الدِّيـ * ـنُ وذَلّتْ لمُلْكه الكُفّارُ

وأقامَ الصِّراطَ فٱبْتَهجَ[3] الحَـ * ـقُّ منيرًا كما أنار النّهارُ

ومن هذه القصيدة بيتان يُغَنَّى فيهما، وهما :

صوت

بَشَرٌ او يَدِبُّ ذَرٌّ عليه * كان فيه من مَشْيِه آثارُ

إنّ أَرْوَى إذا تذكّر أَرْوَى * قلبُه كاد قلبُه يُستَطارُ

---

(١) رجل مقنع (بفتح الميم) : يقنع به ويرضى برأيه وقضائه . (٢) القصار : الغاية .

(٣) فى حـ ، م : « فانتهج » بالنون بدل الباء . وعلى هذه الرواية يكون الفعل مبنيا للفعول .

غنّت فيه عَريبُ لحنًا من الثقيل الأوّل بالبنصر ، وذكر ابنُ المكىّ أنه لحنه يحيى .

بعث يزيد اليه والى ابن حزم فأراد أن يكيد عنده لابن حزم فلم يقبل منه وأهانه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عَمّى مُصْعَبٌ عن مُصْعَب بن عثمان قال :

حَجّ يزيدُ بن عبد الملك فتزوّج بنتَ عَوْن بن محمد بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وأَصْدَقها مالًا كثيرا ، فكتب الوليدُ بن عبد الملك إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حَزْم : إنّه بلغ أميرَ المؤمنين أنّ يزيدَ بن عبد الملك قد تزوج بنتَ عَوْن بن محمد ابن علىّ بن أبى طالب وأَصْدَقها مالًا كثيرا ، ولا أُراه فعل ذلك إلّا وهو يراها خيرًا منه ، قَبَّح الله رأيَه ! فإذا جاءك كتابى هذا فادْعُ عونًا فاقْبِض المالَ منه ، فإنْ لم يدفعه إليك فاضرِبْه بالسِّياط حتى تَسْتَوْفِيَه منه ثم ٱفْسَخْ نِكاحَه . فأرسل أبو بكر بن محمد بن عمرو إلى عَوْن بن محمد وطالَبه بالمال . فقال له : ليس عندى شىءٌ وقد فرّقتُه . فقال له أبو بكر : إنّ أمير المؤمنين أمرنى إن لم تَدْفَعه إلىّ كلَّه أن أضربَك بالسِّياط ثم لا أرفعها عنك حتى أَستوفِيَه منك . فصاح به يزيد : تعالَ إلىّ ، فجاءه ؛ فقال له فيما بينه و بينه : كأنّك خَشِيتَ أن أُسْلِمَك إليه ، ادْفَعْ إليه المالَ ولا تُعَرِّضْ له نفسك ؛ فإنّه إنْ دفعه إلىّ رددتُه عليك ، وإن لم يَرُدّه علىّ أخلفتُه عليك ، ففعل . فلمّا وَلِى يزيدُ بن عبد الملك ، كتب فى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم وفى الأحوص ، فحُملا إليه ، لِمَا بين أبى بكر والأحوص من العداوة ؛ وكان أبو بكر قد ضرَب الأحوص وغَرَّبه إلى دَهْلَك وأبو بكر مع عمر بن عبد العزيز ، وعمر إذ ذاك على المدينة . فلمّا صارا بباب يزيدَ أَذِنَ للأحوص ، فرفع أبو بكر يديه يدعو ، فلم يَخْفِضْهما حتى خرج الغلمان بالأحوص مُلَبَّبًا[1] مكسور الأنف ، و إذا هو لمّا دخل على يزيد

(١) ملببا : مأخوذا بتلابيبه ، وهو أن يجمع ثيابه عند صدره ونحره ثم يجر منها .

قال له : أصلحك الله ! هذا ٱبنُ حَزْم الذى سفَّه رأيَك وردّ نكاحَك . فقال يزيد : كذبتَ ! عليك لعنةُ الله وعلى مَنْ يقول ذلك ! اكسِروا أنفه، وأمر به فأُخرج مُلبَّباً.

قصته مع عبد الحكم ابن عمرو الجمحى

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو الجُمَحىّ(١) قال :

٥٢ / ٤

كان عبدُ الحَكَم(٢) بن عمرو بن عبد الله بن صَفْوان الجُمَحىّ قد ٱتّخذ بيتاً فجعل فيه شِطْرَنْجاتٍ ونَرْدَاتٍ وقِرْقاتٍ(٣) ودفاترَ فيها من كلّ علم، وجعل فى الجدار أوتاداً، فمَنْ جاء علّق ثيابَه على وَتِدٍ منها، ثم جرّ دفتراً فقرأه، أو بعض ما يُلعَب به فلعِب به مع بعضهم . قال : فإنّ عبد الحكم يوماً لفى المسجد الحرام إذا فتًى داخلٌ من باب الحَنَّاطين، باب بنى جُمَح، عليه ثوبان مُعَصْفَرانِ مَدْلُوكان وعلى أذنه ضِغْثُ(٤) رَيْحان وعليه رَدْعُ(٥) الخَلُوق، فأقبل يَشُقّ النـاسَ حتى جلس إلى عبد الحَكَم بن عمرو بن عبد الله، فجعل مَنْ رآه يقول : ماذا صُبَّ عليه من هذا ! ألم يَجِدْ أحدًا يجلس إليه غيرَه ! ويقول بعضهم : فأىّ شىء يقوله له عبد الحكم وهو أكرمُ مِن أن يَجْبَهَ مَنْ يقعُد إليه ! فتحدّث إليه ساعةً ثم أهْوَى فشبَّك يدَه فى يد عبد الحكم وقام يَشُقّ المسجدَ حتّى خرج من باب الحَنَّاطين — قال عبد الحكم : فقُلت فى نفسى : ماذا سَلَّط اللهُ علىّ منك ! رآنى معك نِصْفُ الناس فى المسجد ونِصْفُهم فى الحَنَّاطين — حتّى دخَل مع عبد الحكم بيتَه، فعلَّق رداءَه على وَتِدٍ وحَلّ أزرارَه وٱجْتَرّ الشِّطْرَنْج

---

(١) فى حـ ، م : « عمر » . (٢) فى حـ ، م : « عبد الحكيم » .

(٣) النردات : جمع نرد وهو ما يعرف اليوم "بالطاولة" . والقرقات : جمع قِرْق وهى لعبة للصبيان يخطون بها أربعة وعشرين خطا مربعة، كل مربع منها داخل الآخر، ويصفون بين تلك المربعات حصيات صغيرة على طريقة مخصوصة . (٤) الضغث : كل ما ملأ الكف من النبات . (٥) الردع : اللطخ بالزعفران . والخلوق : ضرب من الطيب، وقيل : الزعفران .

وقال : مَنْ يلعَب ؟ فبينا هو كذلك إذ دخل الأَبْجَرُ المُغَنِّى، فقال له : أىْ زِنْدِيقُ ما جاء بك إلى ها هنا ؟ وجعل يشتُمه ويُمَازِحه. فقال له عبد الحكم : أتشتُم رجلًا فى منزلى ! فقال : أتعرفه ؟ هذا الأحوص . فاعتنقه عبد الحكم وحيّاه. وقال له : أمّا إذ كنتَ الأحوصَ(1) فقد هان علىّ ما فعلتَ .

حطب عبد الملك ابن مروان أهل المدينة وتمثل بشعر له

أخبرنى الطُّوسِىّ والحَرَمىّ قالا حدّثنا الزُّبَير بن بكار قال حدّثنى حُمَيْد بن عبد العزيز عن أبيه قال :

لمّا قَدِم عبدُ الملك بن مَرْوانَ حاجًّا سنة خمس وسبعين، وذلك بعد ما آجتمع النّاسُ عليه بعامين، جلس على المنبر فشَتَم أهلَ المدينة ووبّخهم، ثم قال : إنّى والله بأهلَ المدينة قد بلوتكم فوجدتكم تَنْفَسُون القليلَ وتحسُدون على الكثير، وما وجدتُ لكم مثلًا إلّا ما قال مُخَنَّثُكم وأخوكم الأَحْوَصُ :

وكَمْ نزلتْ بى من خُطوبٍ مُهِمّةٍ * خَذَلْتُمْ(2) عليها ثم لم أَتَخَشَّعِ
فأَدْبَرَ عنّى شَرُّها لم أُبَلْ(3) بها * ولم أَدْعُكُمْ فى كَرْبِها المُتَطَلَّعِ

فقام إليه نَوْفَلُ بن مُسَاحِق فقال : يا أميرَ المؤمنين، أقْرَرْنا بالذَّنْب وطلبنا المعْذرةَ، فعُدْ بحِلْمِك، فذلك ما يُشْبِهُنا منك ويُشْبِهُك منّا، فقد قال مَنْ ذكرتَ من بعد بيتيه الأوّلين :

وإنّى لَمُسْتأْنٍ ومُنْتَظِرٌ بكم * وإنْ لم تقولوا فى المُلِمّاتِ دَعْدَعِ(4)
أُؤَمِّلُ منكم أنْ تَرَوْا غيرَ رأيكم * وشيكًا وكيما تَنْزِعُوا خيرَ مَنْزَعِ

---

(1) كذا فى م . وفى سائر النسخ : « فقال اذا كنت ... الخ » . (2) فى م : « ... خطوب ملمة ... صرت عليها ... » . (3) أُبَل : أصله أبالى ، لحذف آخره للجازم ، ثم حذفت حركة اللام تخفيفا كما تحذف نون يكون بعد الجازم ، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين .

(4) هذه كلمة تقال للعاثر، ومعناها : دع العثار وقم وانتعش واسلم ، وقد تجعل اسما كالكلمة وتعرب ؛ قال الشاعر :

لحى الله قوما لم يقولوا لعاثر * ولا لابن عم ناله العثْرُ دعدعا

أثر أهل دهلك عنه الشعر وعن عراك بن مالك الفقه

أخبرني الحرَمىّ والطُّوسىّ قالا حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى محمد بن الضحّاك عن المُنْذر بن عبد الله الحِزامىّ :

أنّ عِراكَ[1] بن مالك كان من أشدّ أصحاب عمر بن عبد العزيز على بنى مَرْوانَ فى آنتزاع ما حازوا من الفَىْء والمَظالم من أيديهم. فلمّا وَلِىَ يزيدُ بن عبد الملك ولّى عبدَ الواحد بن عبد الله النَّصْرى[2] المدينَةَ، فقرّبَ عِراكَ بن مالك وقال : صاحبُ الرجل الصالح، وكان لا يقطَع أمرًا دونه، وكان يجلس معه على سَريره. فبينا هو معه إذ أتاه كتابُ يزيدَ بن عبد الملك : أنِ آبْعَثْ مع عِراكِ بن مالك حَرَسيًّا حتى يُنْزِلَه أرض دَهْلَكَ وخُذْ من عِراكِ حَمُولَتَه. فقال لحَرَسىٍّ بين يديه وعِراكٌ معه على السرير : خُذْ بيد عِراكٍ فآبْتَعْ من ماله راحلةً ثم تَوَجَّهْ به نحو دَهْلَكَ حتى تُقِرَّه فيها ؛ ففعل ذلك الحرسىّ . قال : وأَقْدَم الأحوصَ، فمدحه الأحوصُ ؛ فأكرمه وأعطاه . قال : فأهلُ دَهْلَكَ يأثُرون الشعرَ عن الأحوص، والفقهَ عن عِراكِ ابن مالك .

كاد له الجراح الحكمي بأذربيجان لهجائه يزيد بن المهلب وأهانه

أخبرنى أبو خليفةَ الفَضْلُ بن الحُباب عن محمد بن سَلّام عن أبى الغَرّاف[3] عمن يثق به قال :

بعث يزيدُ بن عبد الملك حين قُتِل يزيدُ بن المُهَلَّب فى الشعراء، فأمر بهجاء يزيد ابنِ المُهَلَّب ، منهم الفرزدقُ وكُثَيِّرٌ والأَحْوَصُ . فقال الفرزدق : لقدِ آمتدحتُ بنى

(١) هو عراك بن مالك الغفارى التابعى ، مات فى ولاية يزيد بن عبد الملك . وقد ورد هذا الاسم محرّفا فى أكثر الأصول . (٢) كذا فى حـ ، م . وهو الموافق لما فى الخلاصة (ص ٢٤٧) وتهذيب التهذيب (ج ٢ ص ٤٣٦) والأنساب للسمعانى . وينتسب كما هو مذكور فى الأخيرين إلى نصر ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن مالك بن عوف . وقد أصلح المرحوم الأستاذ الشنقيطى نسخته بما صوبناه . وفى ب ، س : « البصرى » وهو تصحيف . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « أبو العوّام » وهو تحريف . وأبو الغراف هذا من شيوخ ابن سلام .

المهلَّب بمدائح ما ٱمتدحتُ بمثلها أحدًا، و إنه لقبيحٌ بمثلى أن يُكَذِّب نفسه على كِبَر السِّنّ، فَلْيُعفِنى أميرُ المؤمنين؛ قال : فأعفاه . وقال كُثَيِّرٌ : إنّى أكرَه أن أُعَرِّضَ نفسى لشعراء أهل العراق إن هجوتُ بنى المهلَّب . وأمّا الأحوص فإنّه هجاهم . ثم بَعَث به يزيدُ بن عبد الملك إلى الجرَّاح بن عبد الله الحَكَمىّ وهو بأَذْرَبِيجانَ، وقد كان بلغ الجرّاحَ هجاءُ الأَحْوَص بنى المُهَلَّب، فبعث إليه بِزِقٍّ من خَمْرٍ فأُدخِلَ منزلَ الأحوص، ثم بعث إليه خيلاً فدخلتْ منزلَه فصَبُّوا الخمر على رأسه ثم أخرجوه على رُءوس النـاس فأتَوْا به الجرّاحَ، فأمَر بحَلْقِ رأسه ولحيته، وضربه الحَدَّ بين أوجُه الرجال، وهو يقول : ليس هكذا تُضْرَبُ الحدود؛ فجعل الجرّاح يقول : أجَلْ ! ولكن لِمَـا تعلَم. ثم كتب إلى يزيدَ بن عبد الملك يَعْتَذِر فأغْضَى له عليها .

رأى أبى الفرج فيه واستدلاله على هذا الرأى

قال أبو الفرج الأصبهانىّ : وليس ماجرى من ذكر الأحوص إرادةً للغَضّ منه فى شعْره، ولكنّا ذكرنا من كلّ مايؤثَر عنه ماتُعرَفُ به حالُه من تَقَدُّمٍ وتأخُّرٍ، وفضيلةٍ ونَقْصٍ؛ فأمّا تفضيلُه وتقدُّمه فى الشعر فمُتَعَـالَمٌ مشهور، وشِعرُه يُنْبِئُ عن نفسه ويَدُلّ على فضله فيه وتَقَدُّمِه وحُسْنِ رَوْنَقِه وتَهذيبه وصَفائه .

رأى الفرزدق وجرير فى نسيبه

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء والطُّوسىّ قالا حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز قال حدّثنى عبد الله بن مُسْلِم بن جُنْدُب الهُذَلىّ[1] قال حدّثنا شيخٌ لنا من هُذَيْل كان خالاً للفرزدق من بعض أطرافه قال :

سمعتُ بالفـرزدق وجَرير على باب الحَجّاج، فقلتُ : لو تَعَرّضتُ ٱبنَ أُختِنا ! فٱمتطيتُ إليه بعيرًا، حتى وجدتُهما قبل أن يَخْلُصا[2]، ولكلّ واحدٍ منهما شيعةٌ، فكنتُ

(١) كذا فى ء، ط، م، وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون . وفى سائر الأصول : « قال حدّثنا عبد العزيز » وفيه حذف؛ لأن الزبير بن بكار روى عن عبد الملك ولم يرو عن أبيه .

(٢) يخلصا : يصلا؛ يقال : خلص فلان الى كذا اذا وصل اليه .

في شيعة الفرزدق ؛ فقام الآذِن يومًا فقال : أين جرير ؟ فقال جرير : هذا أبو فِرَاس ؛ فأظهرتْ شيعتُه لَوْمَه وأسَرَتْه . فقال الآذِن : أين الفرزدق ؟ فقام فدخل . فقالوا لجرير : أتناوئه وتُهاجيه وتُشاخصه ، ثم تُبَدِّى عليه فتأبى وتُبَدِّيه ؟ ! قضيتَ له على نفسك ! فقال لهم : إنّه نَزْرُ القول ، ولم يَنْشَبْ[1] أن يَنْفَدَ ما عنده وما قال فيه فيُفاخِرَه ويرفَع نفسَه عليه ؛ فما جئتُ به بعدُ حُمِدْتُ عليه واستُحْسِن . فقال قائلُهم : لقد نظرت نَظَرًا بعيدا . قال : فما نَشِبُوا أنْ خرَج الآذنُ فصاح : أين جرير ؟ فقام جرير فدخل . قال : فدخلتُ ، فإذا ما مدَحه به الفرزدق قد نفِد ، وإذا هو يقول :

أيْنَ الذين بِهِمْ تُسَامِي دَارِمًا[2] * أَمْ مَنْ إلى سَلْفَى[3] طُهَيَّةَ تَجعلُ

قال : وعمامتُه على رأسه مثل المِنْسَف[4] ، فصحْتُ من ورائه :

هذا ٱبنُ يوسُفَ فاعلَموا وتفهّموا * بَرِحَ الخَفَاءُ فليس حين تَنَاجِى

مَنْ سَدّ مُطَّلَعَ[5] النِّفاقِ عليكمُ * أَمْ مَنْ يَصُولُ كصَوْلةِ الحَجّاجِ

أَمْ مَنْ يَغَارُ على النِّساء حفيظةً * إذ لا يَثِقْنَ بغَيْرَةِ الأزواجِ

قُلْ لِلْجَبَانِ إذا تأخّرَ سَرْجُهُ * هل أنتَ من شَرَكِ المَنِيّةِ ناجِى

قال : وما تشبيبها ؟ وطرِب : فقال جرير :

---

(١) لم ينشب : لم يلبث . وهذا اللفظ عند العرب عبارة عن السرعة . وأصله من نشب العظم فى الحلق والصيد فى الحبالة . أى لم يعلق به شىء يمنعه من ذلك . (٢) دارم : اسم قبيلة . (٣) فى ب ، س : «سفلى طهية» وهو تحريف . والتصويب عن بقية الأصول والنقائض (ص ١٨٣) . وطهية : بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، كانت عند مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد ، فولدت له أبا سود وعوفا وجشيشا ، فغلبت على بنيها فنسبوا إليها . (٤) المنسف : الغربال الكبير . (٥) المطلع : المأتى ؛ تقول : من أين مُطَّلَع هذا الأمر ، أى من أين مأتاه .

لَجَّ الهَــوَى بفُــؤادِكَ المِلْجاجِ[(1)] * فَاحْبِسْ بتُوضِحَ باكِرَ الأَحْداجِ

وأمرّها ، أو قال : أمضاها . فقال : أَعْطُوه كذا وكذا ؛ فاستقللت ذلك . فقال المُذَلِّىّ : وكان جريرٌ عربيًّا قَرَوِيًّا ، فقال للحجّاج : قد أمر لى الأمير بما لم يُفْهَمْ عنه ، فلو دعا كاتباً وكتب بما أمر به الأمير ! فدعا كاتباً واحتاط فيه بأكثر من ضِعْفه ، وأعطى الفرزدقَ أيضا . قال المُذَلِّىّ : فجئتُ الفرزدقَ فأمر لى بستّين دينارًا وعبدٍ ، ودخلتُ على رُوَاته فوجدتُهم يُعَدِّلون ما انحرف من شِعْره ، فأخذتُ من شعره ما أردتُ . ثم قلتُ له : يا أبا فِراس ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أشعرُ الناس بعدى ابنُ المَرَاغة . قلت : فمَنْ أنسَبُ الناس ؟ قال الذى يقول :

لِى ليلتان فليــلةٌ مَعْسُولةٌ * أَلْقَى الحبيبَ بها بنَجْمِ الأَسْعُدِ

ومُرِيحــةٌ هَمِّى علىَّ كأنّنى[(2)] * حتّى الصَّباحِ مُعَــلَّقٌ بالفَرْقَدِ

قلتُ : ذاك الأحوص . قال : ذاك هو . قال المذلىّ : ثم أتيتُ جريرًا فجعلتُ أستقلّ عنده ما أعطانى صاحبى أستخرجُ به منه ؛ فقال : كم أعطاك ابنُ أُخْتِك ؟ فأخبرته . فقال : ولك مثله ؛ فأعطانى ستين دينارا وعبدا . قال : وجئتُ رُوَاتَه وهم يُقَوِّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السِّنادِ[(3)] ، فأخذتُ منــه ما أردت ، ثم قلتُ : يا أبا حَزْرَةَ ، مَنْ أنْسَبُ الناس ؟ قال الذى يقول :

---

(1) الملجاج : اللجوج . وقد ورد هذا البيت فى الأمالى (ج ٣ ص ٤٢ طبع دار الكتب المصرية) وديوانه المطبوع والمخطوط هكذا :

هاج الهوى لفؤادك المهتاج * فانظر بتوضح باكر الأحداج

وتوضح : موضع معروف فى بلاد بنى يربوع . والأحداج : جمع حِدج وهو مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة . يريد ، على هذه الرواية ، هاج باكر الأحداج الهوى لفؤادك ، فارم بطرفك نحو توضح .

(2) مريحة : من أراح الإبل إذا ردّها إلى المراح من العشىّ ، والمراد أنها تسوق إليه همه . (3) السناد : كل عيب يوجد فى القافيــة قبل الروىّ ، وفسره ابن سيده بأنه المخالفة بين الحركات التى تلى الأرداف فى الروىّ . (انظر الحاشية رقم ١ ص ١٤٣ من الجزء الأوّل والحاشية رقم ١ ص ٣٤٨ من الجزء الثانى من هذه الطبعة) .

ياليتَ شِعْرِى عَمَّنْ كَلِفتُ به * من خَثْعَمٍ إذ نَأَيْتُ ما صَنَعُوا
قومٌ يُحُلُّون بالسَّدِير(١) وبالْـ * ـحِيرَةِ منهـم مَرْأًى ومُسْتَمَعُ
أنْ شَـطَّتِ الدارُ عن دِيارِهِمُ * أأمسكوا بالوِصال أم قَطَعُـوا
بل هُمْ على خَيْرِ ما عَهِدْتُ وما * ذلكَ إلّا التأميـلُ والطَّمَعُ

٥ قلت : ومَنْ هو ؟ قال : الأحوص . فآجتمعا على أن الأحوص أنسبُ الناس .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغنـاء

منهـا الأبيات التى يقول فيها الأحوص :

* لى ليلتان فليلةٌ معسولةٌ *

وأوّل ما يُغَنَّى به فيها :

١٠ صـــوت

يا لَلرِّجالِ لِوَجْدِكَ المُتَـجَدِّدِ * ولِمَـا تُؤَمِّلُ من عَقِيلةَ فى غَدِ
ترجو مَوَاعِدَ بَعْثُ آدَمَ دونها * كانتْ خَبَالًا للفـؤاد المُقْصَدِ
هل تذكُرِين عَقِيلُ أو أنْساكِهِ * بَعْدِى تَقَلُّبُ ذا الزَّمانِ المُفْسِدِ
يومِى ويومَكِ بالعَقِيقِ إذِ الهَوَى * مِنَّـا جَمِيعُ الشَّمْلِ لم يَتَبَـدَّدِ
١٥ لى ليلتانِ فليلةٌ معسـولةٌ * أَلْقَى الحبيبَ بهـا بنَجْمِ الأَسْعَدِ
ومُرِيحـةٌ هَمِّى علىَّ كأنَّنى * حتَّى الصبـاحِ مُعَلَّقٌ بالفَرْقَدِ

ـــ عروضه من الكامل . يقـال : يا لَلرِّجال ويا لِلرِّجال(٢) بالكسر والفتح

وفى الحـديث أنّ عمر رضى الله عنـه صاح لَمَّـا طُعِن : يالَلّه يالِلْمسلمين . وقوله

(١) السدير: نهر بالحيرة ، وقيل : السدير: قصر فى الحيرة من منازل آل المنذر. (انظر الحاشية رقم ٢ ص ١٣٧ ج ٢ من هذه الطبعة) . (٢) لام الاستغاثة تفتح مع المستغاث وتكسر مع المستغاث لأجله . فإذا دخلت على ضمير ، مثل يالك ، فتحت دائمـا ، وكسرت مع ياء المتكلم ، واحتمل الكلام حينئذ الأمرين .

« فى غد »، يريد فيما بعد وفى باقى الدهر؛ قال الله سبحانه : ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ . والخَبَل والخَبَالُ : النُّقصان من الشىء . والمُخَبَّل ، أصله مأخوذ من النقص لأنه ناقص العقل . والمعسولة : الحُلْوة المشتهاة — .

الشعر للأحوص . والغناء فى البيت الأوّل والثانى لمالك خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر عن الهشامى وحَبَش . وفى الثالث والرابع لسليمان[(1)] أخى بَابَوَيْهِ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . وفيهما وفى الخامس والسادس لحنٌ لابن سُرَيج ذكره يونس ولم يجنِّسه . وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ لمَعْبَدٍ فى الأبيات كلها لحنًا وأنه من صحيح غنائه، ولم يُجَنِّسه .

سألت امرأة ابنا للأحوص عن شعر له

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أيّوب بن عَبَايَةَ قال :

بلغنى أنّ ابنًا للأحوص بن محمد الشاعر دخل على امرأة شريفة ، وأخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بكّار قال حدّثنى إبراهيم بن زيد عن عَنْبَسَةَ[(2)] بن سعيد بن العاصى قال أخبرنى أَشْعَبُ[(3)] بن جُبَيْر قال :

حضرتِ امرأةٌ شريفةٌ ودخل عليها ابن الأحوص بن محمد الشاعر، فقالت له : أتروى قولَ أبيك :

لى ليلتانِ فليلةٌ معسولةٌ * ألقَى الحبيبَ بها بنجم الأسْعُدِ
ومُرِيحةٌ هَمّى علىّ كأنّنى * حتّى الصباح معلّق بالفَرْقَدِ

(١) فى م : « لسليم » . (٢) كذا فى ى، ط، م . وفى سائر النسخ : « إبراهيم بن زيد بن عنبسة »، وهو تحريف . (٣) كذا فى ب، حـ، م . وفى سائر النسخ : « أشعث » وهو تصحيف .

قال نعم . قالت : أتدرى أىّ الليلتين التى يبيت فيها معلّقا بالقَرْقَد؟ قال : لا والله .
قالت : هى ليلةُ أُمّك التى يبيت معها فيها . قال إبراهيم فى خبره: فقلتُ لأشعب :
يا أبا العلاء ، فأىُّ ليلتيه المسولة ؟ فقال :

سَتُبْدِى لك الأيّامُ ما كنتَ جاهلًا * ويأتيـــكَ بالأخبـار مَنْ لم تُزَوِّدِ

٥ هى ليلة الإسراف[1] ، ولا تسأل عمّا بعدها .

ماقاله ابن جندب حين أنشد شعر الأحوص

أخبرنى عبد العزيز آبن بنت المـاجشون قال :
أُنشِدَ آبن جُنْدَبٍ قولَ الأحوص :

لى ليلتانِ فليلةٌ معســـولةٌ * أَلقَى الحبيبَ بها بنجم الأَسْعُدِ
ومُريحـةٌ هَمّى علىّ كأنّنى * حتّى الصباح معلّق بالقَرْقَدِ

١٠ فقال : أمَا إنّ الله يعـلم أنّ الليلةَ المُريحةَ هَمّى لَأَلَذُّ الليلتين عندى . قال الحَرَمىّ
ابن أبى العلاء : وذلك لِكَلَفِه بالغَزَل والشَّوْق والحنين وتَمَنّى اللقاء .

من هى عقيلة التى شغف بها الأحوص

وللأحوص مع عَقِيلةَ هذه أخبارٌ قد ذُكِرتْ فى مواضعَ أُخَر . وعقيلةَ آمرأةٌ
من وَلَد عَقِيـلِ بن أبى طالب رضى الله عنه . وقـد ذكر الزُّبَير عن آبن بنت
المـاجشون عن خاله أنّ عَقِيلةَ هذه هى سُكَيْنةُ بنت الحُسَين عليهما السلام، كَنَى
١٥ عنها بعقيلة .

أعجب أبو عبيدة ابن محمد بن عمار ببيت له وحلف لا يسمعه إلا جرّ رسنه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عمر بن أبى بكر المُؤَمّلى :
أنّ إنسانًا أَنْشد عند إبراهيم بن هِشَامٍ وهو والى المدينة قولَ الأَحْوَص :

إذْ أنتِ فينا لِمَنْ يَنْهَاكِ[2] عاصيةٌ * وإذْ أَجُرُّ إليكم سـادرًا رَسَنِى

(١) كذا فى ط . وفى سائر الأصول : «ليلة الاشراف» بالشين المعجمة .
٢٠ (٢) كذا فى حـ ، م ، وقد اتفقت عليها الأصول فيما بعد . وفى سائر النسخ هنا : «يهواك» .

٥٦ / ٤

فوثب أبو عُبَيدة بن عمّار بن ياسر[١] قائمًا ثم أرخى رداءه ومضى يمشى على تلك الحال ويجرّه حتى بلغ العِرْض[٢] ثم رجع . فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس : ما شأنك ؟ فقال : أيها الأمير ، إنى سمعت هذا البيت مرّة فأعجبنى ، فحلفت لا أسمعه إلا جررت رسنى .

نسبة هذا البيت وما غُنّى فيه من الشعر

صــــوت

سَقْيًا لِرَبعِك من رَبْعٍ بذى سَلَمٍ * وللزّمانِ به إذ ذاكَ من زَمَنِ
إذ أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ * وإذ أَجُرّ إليكم سادرًا رَسَنِى

عروضه من البسيط . غنّى ابن سُرَيج فى هذين البيتين لحنًا من الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو . وذكر إسحاق فيه لحنًا من الثقيل الأوّل بالسبّابة فى مجرى[٣] الوسطى ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر حَبَش[٤] أنه للغَرِيض .

كان حماد الراوية يفضله على الشعراء فى النسيب

أخبرنى أبو خَلِيفة عن محمد بن سَلّام عن سالم بن أبى السَّمْحاء وكان صاحب حمّادٍ الراوية :

أنّ حمّادًا كان يُقَدّم الأحوصَ فى النَّسيب .

هجا رجلا فاستعدى عليه الفرزدق وجريرا فلم ينصراه فعاد فصالحه

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا عمر بن أبى سليمان عن يوسف ابن أبى سليمان بن عُنَيْزة[٥] قال :

(١) نسبه الى جده لشهرته ؛ فان أبا أبى عبيدة محمد بن عمار بن ياسر .
(٢) العرض (بالكسر) : الوادى فيه زروع ونخل ؛ يقال : أخصبت أعراض المدينة ؛ وهى قراها التى فى أوديتها . والمراد به هنا مكان بعينه . (٣) فى حـ : « بالسبابة فى مجرى الوسطى » .
(٤) فى ط ، ء : « يونس » . (٥) فى حـ : « عنزة » .

هجا الأحوصُ رجلًا من الأنصار من بنى حَرامٍ يقال له آبن بِشير، وكان كثيرَ المال ؛ فغَضِب من ذلك ، فخَرج حتّى قَدِم على الفرزدق بالبَصْرة وأهدى إليه والطفه[1]، فقبِل منه ، ثم جلسا يتحدّثان؛ فقال الفرزدق : ممن أنت ؟ قال : من الأنصار . قال : ما أقْدَمَك ؟ قال : جئتُ مستجيرًا بالله عزّ وجلّ ثم بك من رجلٍ هجانى . قال : قد أجارك الله منه وكفاكَ مُؤنته، فأين أنت عن الأحوص؟ قال : هو الذى هجانى. فأطرق ساعةً ثم قال : أليس هو الذى يقول :

ألَا قِفْ بِرَسْمِ الدّارِ فاسْتَنْطِقِ الرَّسْمَا * فقد هاجَ أحزانى وذَكَّرنى نُعْمَا[2]

قال بلى . قال : فلا والله لا أهجو رجلا هذا شِعره . فخرج آبن بشير فآشترى أفْضَلَ من الشِّراء الأوّل من الهدايا، فقَدِم بها على جرير، فأخذها وقال له : ما أقْدَمَك ؟ قال : جئتُ مستجيرًا بالله وبك من رجلٍ هجانى . فقال : قد أجارك الله عزّ وجلّ منه وكفاكَ ، أين أنت عن آبن عمِّك الأحْوَص بن محمد ؟ قال : هو الذى هجانى. قال : فأطرق ساعةً ثم قال : أليس هو الذى يقول :

تَمَشَّى بِشَتْمِى فى أكارِيسِ[3] مالكٍ * تُشِيدُ به كالكَلْبِ إذ يَنْبَحُ النَّجْمَا
فما أنا بالمَخْسُوسِ فى جِذْمِ[4] مالكٍ * ولا بالمُسَمَّى ثم يَلْتَزِمُ الإسْمَا
ولكنّ بيتى إنْ سألتَ وجدتَه * تَوَسَّطَ منها العِزَّ والحَسَبَ الضَّخْمَا

قال : بلى والله . قال : فلا والله لا أهجو شاعرا هذا شعره . قال : فآشترى أفضل من تلك الهدايا وقَدِم على الأحوص فأهداها إليه وصالحه .

---

(١) الطفه : أكرمه وبره بطرف التحف، والاسم "اللطف" بالتحريك . (٢) ورد فى بعض الأصول : « نعمى » بالياء فى آخره؛ وقد سموا «بنعم» «ونعمى» . (٣) أكاريس : جمع الجمع لكرس وهو هنا الجماعة من الناس . (٤) الجذم : الأصل .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صـــوت

ألَا قف بِرَسْمِ الدَّارِ فاسْتَنْطِقِ الرَّسْمَا * فقــد هاجَ أحزانى وذكَّرنى نُعْمَى

فبِتُّ كأنِّى شاربٌ مِن مُدَامةٍ * إذا أذهبتْ هَمًّـا أتاحتْ له هَمَّـا

غنّاه إبراهيم المَوْصلىّ خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى عن الهِشَامىّ . وذكر عبــد الله ابن العبَّاس الرَّبيعى أنّه له . ٥

٥٧/٤

أُنشد أبو السائب المخزومى شعرا له فطرب ومدحه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنى الزُّبَير قال حدّثنى عبد الملك بن عبد العزيز قال: قال لى أبو السائب المخزومىّ : أَنْشِدْنى للأحوص ؛ فأنشدتُه قوله :

قالتْ وقلتُ تَحَرَّجِى وصِـــلِى * حَبْــلَ امْرِئٍ بوصالكم صَبِّ

وَاصِلْ إذًا بَعْــلِى فقُلْتُ لهــا * الغَــدْرُ شىءٌ ليس من ضَرْبِى[1] ١٠

صـــوت

ثِنْتَــانِ لا أدنو لِوَصْــلِهما[2] * عِرْسُ الخليلِ وجارةُ الجَنْبِ[3]

أمّا الخليـــلُ فلستُ فاجعَــه * والجـــارُ أوصـانى به رَبِّى

عُوجُــوا كذا نَذْكُرْ لغانِيَـــةٍ * بعضَ الحديثِ مَطِيَّكم صَحْبِى

ونَقُـــلْ لهـا فِيمَ الصُّدودُ ولَمْ * نُذْنِبْ بَلَ انْتِ بَدَأْتِ بالذَّنْبِ ١٥

إنْ تُقبِــلِى نُقْبِلْ ونُنْزِلْكم * مِنّـا بدار السَّهْـــلِ والرُّحبِ

أو تُدْبِرِى تَكْدُرْ مَعِيشَتُنا * وتُصَــدِّعِى مُتَــلائمَ الشَّعْبِ

---

(١) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «شعبى» . (٢) فى ب ، سـ : «بوصلهما» تحريف .

(٣) جار الجنب بالفتح : الملازق لك الى جنبك .

— غنّى فى «ثنتان لا أدنو» والذى بعده آبنُ جامع ثقيلًا أوّلَ بالوسطى. وغنّى فى «عُوجُوا كذا نذكر لغانيةٍ» والأبياتِ التى بعده آبنُ مُحْرِز لحنًا من القَدْر الأوسطِ من الثقيل الأوّل مطلقًا فى مجرى البِنْصَر — قال: فأقبل علىّ أبو السائب فقال: يآبنَ أخى، هذا والله المُحِبُّ عَيْناً لا الذى يقول:

٥ وكنتُ إذا خليلٌ رامَ صُرْمى * وجدتُ وراىَ مُنْفَسَحًا عَرِيضًا

اذْهَبْ فلا صَحِبك اللهُ ولا وسّع عليك (يعنى قائلَ هذا البيت).

سأل المهدى عن أنسب بيت قالته العرب فأجاب رجل من شعره فأجازه

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنى الزُّبَير قال حدّثنا خالد بن وَضّاح قال حدّثنى عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صَفْوان الجُمَحىّ قال:

حملتُ دَيْنًا بعسكر المَهْدىّ، فركب المهدىّ بين أبى عُبَيْد الله وعُمَرَ بن بَزِيع، ١٠ وأنا وراءه فى مَوْكبه على بِرْذَوْن قَطُوف[1]؛ فقال: ما أَنْسَبُ بيتٍ قالتْه العرب؟ فقال له أبو عُبَيد الله: قولُ امرئِ القيس:

وما ذَرَفَتْ عَيْناكِ إلا لتَضرِبى * بسَهْمَيْكِ فى أعشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ

فقال: هذا أعرابىٌّ قُحٌّ. فقال عمر بن بَزِيع: قولُ كُثَيِّر يا أمير المؤمنين:

أُرِيدُ لأَنْسَى ذِكْرَها فكأنما * تَمَثَّلُ لى لَيْلَى بكلِّ سَبيلِ

١٥ فقال: ما هذا بشىءٍ، وماله يُريد أن يَنْسَى ذِكْرَها حتى تَمَثَّلَ له! فقلتُ: عندى حاجتُك يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداك! قال: الْحَقْ بى. قلتُ: لا لَحَاقَ بى، ليس ذلك فى دابّتى. قال: احْمِلُوه على دابّة. قلتُ: هذا أوّلُ الفَتْح؛ فحُمِلْتُ على دابّة، فلَحِقْتُ. فقال: ما عندك؟ فقلتُ: قولُ الأَحْوَص:

(١) القطوف: الدابة التى تبطئ فى سيرها.

إذا قلتُ إنّى مُشْتَفٍ بلقائها * فحُمّ التلاقى بيننا زادَنى سُقْمَا

فقال : أحسنَ واللهِ! اقضُوا عنه دَيْنَه؛ فقُضِى عنّى دَيْنى .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

٥٨/٤

منها الشعر الذى هو[1] :

أريد لأنْسَى ذِكْرَها فكأنّما * تَمَثَّلُ لى لَيْلَى بكلّ سبيلِ

صــــوت

ألا حَيِّيَا ليــلَى أجَدّ رَحيلِى * وآذَنَ أصحابى غَدًا بقُفُولِ

ولم أرَ من لَيْلَى نَوالًا أعُدُّهُ * ألا رُبَّما طالبتُ غيرَ مُنيلِ

أريد لأنْسَى ذِكْرَها فكأنّما * تَمَثَّلُ لى لَيْلَى بكلّ سبيلِ

وليس خَليلِى بالمَلُولِ ولا الذى * إذا غِبْتُ عنه باعَنِى بخليلِ

ولكنْ خَليلِى مَنْ يَدُومُ وِصالُهُ * ويَحْفَظُ سِرِّى عند كلِّ دَخيلِ

عروضه من الطويل . الشعر لكُثَيِّر . والغناء فى ثلاثة الأبيات الأُوَل لإبراهيم، ولحنُه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوَتَر فى مجرى البِنْصَر . ولابنه إسحاق فى :

* وليس خليــلى بالمَلُول ولا الّذى *

ثقيلٌ آخَرُ بالوسطى .

حديث ابن سلام عن كثير وجميل

أخبرنى أبو خَليفةَ قال حدّثنا محمد بن سَلّام، وأخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير عن محمد بن سَلّام قال :

كان لِكُثَيِّر فى النَّسيب حظٌّ وافر، وجميلٌ مُقَدَّمٌ عليه وعلى أصحاب النسيب جميعا، ولكُثَيِّر من فنون الشِّعر ما ليس لجميل . وكان كُثَيِّر راويةَ جميل، وكان جميلٌ

(١) كذا فى ب ، وفى س : « الذى هو أوّله » . وفى سائر النسخ : « الذى أوله » .

صادقَ الصَّبابةِ والعِشق، ولم يكن كُثَيِّرٌ بعاشق، وكان يتقوّل . قال : وكان الناس يستحسنون بيتَ كُثَيِّرٍ فى النَّسيب :

أُريد لأنْسَى ذِكْرَها فكأنّما * تَمَثَّلُ لى ليلَى بكلِّ سبيلِ

قال : وقد رأيتُ مَنْ يُفَضِّل عليه بيتَ جميل :

٥ خليلَىَّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما * قتيلًا بَكَى من حُبِّ قاتِلِه قَبلى

حديث ابن مصعب الزبيرى عن كثير

قرأت فى كتابٍ منسوبٍ إلى أحمد بن يحيى البَلَاذُرىّ : وذكر إسحاقُ بن إبراهيم المَوْصِلىّ أنّ عبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيْرىّ كان يومًا يذكُر شعرَ كُثَيِّرٍ ويَصِفُ تفضيلَ أهل الحجاز إيّاه، إلى أن انتهى إلى هـذا البيت . قال إسحاق : فقلتُ له : إنّ الناس يَعِيبُون عليه هذا المعنى ويقولون : ما لَه يُريد أن ينساها ! فتبسّم ابنُ مُصْعَبٍ ثم قال : ١٠ إنّكم يأهلَ العراق لَتقُولون ذلك .

سئل كثير عن أنسب بيت قاله فأجاب

أخبرنى أحمد بن عبـد العزيز الجَوْهَرىّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَةَ قال حدّثنى أبو يحيى الزُّهْرِىّ(١) قال حدّثنى الهَزْبَرِىّ(٢) قال :

قيل لكُثَيِّرٍ : ما أنسبُ بيتٍ قلتَه؟ قال : الناس يقولون :

أُريد لأنْسَى ذِكْرَها فكأنّما * تَمَثَّلُ لى ليلَى بكلِّ سبيلِ

١٥ وأنسبُ عندى منه قولى :

وقُلْ أُمُّ عَمْرٍو داؤه وشِفاؤه * لديها وريّاها الشِّفاءُ مِنَ الخَبْلِ(٣)

وقد قيل : إنّ بعض هذه الأبيات للمتوكّل اللَّيْثِىّ .

(١) فى م : « الزبيرى » . (٢) فى ط ، ء ، م : « الهديرى » .
(٣) كذا فى ط ، ء ، م . ولعله من القصيدة التى منها :
٢٠ خليلىّ فيما عشتما هـل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبـلى
وفى سائر الأصول : * لديها وريّاها إليه طبيب *

قال محرز بن جعفر إن الشعر فى الأنصار واستشهد بشعر صاحبهم الأحوص

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عثمان — قال الحَرَمىّ : أحْسَبُه ابنَ عبد الرحمن المخزومىّ — قال حدّثنا إبراهيم بن أبى عبد الله قال :

قيل لمُحْرِز بن جعفر : أنتَ صاحبُ شِعْرٍ، وَنَراك تَلْزَم الأنصار، وليس هناك منه شيء؛ قال: بلى والله، إنّ هناك للشِّعْرَ عَيْنَ الشِّعْرِ، وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبُهم الأحوص الذى يقول :

يقولون لو ماتت لقد غاض حبُّهُ * وذلك حِينُ الفاجعاتِ وحِينى
لعَمْرُك إنّى إنْ تُحَمَّ وفاتُها * بنُصْحَبة مَنْ يَبْقَ لَغَيْرُ ضَنِينِ

وهو الذى يقول :

وإنّى لمِكْرَامٌ لسادات مالكٍ * وإنّى لِنَوْكَى مالكٍ لَسَبُوبُ
وإنّى على الحِلْم الذى من سَجِيّتى * لحَمَّالُ أضْغانٍ لهُنّ طَلُوبُ

ما قاله الأحوص من الشعر فى مرض موته

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنى الزُّبَير قال حدّثنى عَمّى مُصْعَبٌ قال حدّثنى يحيى ابن الزُّبَير بن عَبَّاد بن حَمْزة بن عبد الله بن الزُّبَير، قال الزُّبَير وحدّثنى علىّ بن صالح عن عامر بن صالح :

أنّ الأحوص قال فى مَرَضه الذى مات فيه — وقال عامر بن صالح : حين هرَب من عبد الواحد النَّصْرىّ إلى البَصْرة — :

يابِشْرُ يارُبَّ محزونٍ بمَصْرَعنا * وشامتٍ جَذِلٍ ما مَسَّهُ الحَزَنُ
وما شَماتُ آمرئٍ إن ماتَ صاحبُه[1] * وقد يَرى أنّه بالموت مُرْتَهَنُ
يابِشْرُ هَبِّى فإنّ النَّوْمَ أرّقَهُ * نأىٌ مُشِتٌّ وأرضٌ غيرُها الوَطَنُ

(١) فى ط، م : «قد مات».

ذكر الدَّلَال وقصّته حين خُصِىَ ومَنْ خُصِىَ معه والسبب فى ذلك وسائر أخباره

اسمه وكنيته وولاؤه

الدَّلَالُ ٱسمه نَاقِد[1]، وكُنيته أبو زَيْد[2]. وهو مَدَنِىٌّ مولَى بنى فَهْم.

وأخبرنى علىُّ بن عبد العزيز عن ٱبن خُرْدَاذْبَهْ قال:

٥ قال إسحاق: لم يكنْ فى المُخَنَّثِين أحسنُ وجهًا ولا أنظفُ ثوبًا ولا أظرفُ من الدَّلَال. قال: وهو أحدُ مَنْ خَصَاه ٱبنُ حَزْمٍ. فلمّا فُعِل ذلك به قال: الآن تَمَّ الخُنْث.

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبى عبد الله مصعب الزُّبَيرىّ قال:

١٠ الدَّلَالُ مولَى عائشةَ بنت سعيد بن العاص.

كان ظريفا صاحب نوادر وكان يغنى غناء كثير العمل

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبى عبد الله مصعَب الزُّبَيرى قال:

كان الدَّلَالُ من أهل المدينة، ولم يكن أهلُها يَعُدُّون فى الظُّرَفاء وأصحاب النوادر من المخنَّثين بها إلّا ثلاثةً: طُوَيْس، والدَّلَال، وهِنْب[3]؛ فكان هِنْبٌ أقدمَهم،

١٥ والدلالُ أصغرَهم. ولم يكن بعد طُوَيْس أظرفُ من الدَّلَال ولا أكثرُ مُلَحًا.

---

(١) كذا فى شرح القاموس (مادة دلل) ونهاية الأرب (ج ٤ ص ٢١٥). وفى س، م: «نامد» بالفاء والدال المهملة. وفى باقى الأصول: «نافذ» بالفاء والذال المعجمة. (٢) كذا فى شرح القاموس ونهاية الأرب. وفى جميع الأصول: «أبو يزيد». (٣) كذا فى ب، س. وفى شرح القاموس (مادة هنب) أن النبى صلى الله عليه وسلم نفى مخنثين أحدهما «هيت» والآخر «ماتع».

٢٠ قال إنما هو «هنب» فصحفه أصحاب الحديث. وقال الأزهرى: رواه الشافعى وغيره «هيت»، وأظنه صوابا. وقد ورد فى المشتبه: «هيت». وقد ورد هذا الاسم فى باقى الأصول مضطربا.

قال إسحاق : وحدّثنى هِشام بن المُرِّيّة عن جَرِير، وكانا نديمين مدنيّين، قال: ما ذكرتُ الدَّلالَ قطّ إلا ضحكتُ لكثرة نوادره . قال : وكان نَزْرَ الحديث، فإذا تكلّم أضحك الثَّكْلَى، وكان ضاحكَ السنّ، وصَنْعَتُه نَزْرةٌ جيِّدة، ولم يكن يُغَنِّى إلا غناءً مُضْعَفًا، يعنى كثيرَ العمل .

كان أهل المدينة يفخرون به

قال إسحاق : وحدّثنى أيُّوب بن عَبَايةَ قال :

شَهِدتُ أهلَ المدينة إذا ذكروا الدَّلالَ وأحاديثَه، طوّلوا رقابَهم وفخروا به؛ فعلمتُ أنّ ذلك لفضيلةٍ كانت فيه .

كان يلازم النساء

قال وحدّثنى ابن جامع عن يونسَ قال :

كان الدَّلال مُبْتَلًى بالنِّساء والكَوْن معهنّ ، وكان يُطْلَب فلا يُقْدَرُ عليه، وكان بديعَ الغِناء صحيحَه حَسَنَ الجِرْم[1] .

سبب لقبه ، وتوسطه بين الرجال والنساء

قال إسحاق وحدّثنى الزُّبيرى قال :

إنّما لُقِّب بالدَّلال لِشَكْلِه[2] وحُسْنِ دَلّه وظَرْفه وحَلاوة مَنْطقه وحُسْنِ وجهه وإشارته . وكان مشغوفًا[3] بمخالطة النِّساء ووَصْفِهنّ للرجال . وكان مَنْ أراد خِطْبةَ امرأةٍ سأله عنها وعن غيرها ، فلا يزال يَصِف له النساءَ واحدةً فواحدةً حتّى ينتهى إلى وصف ما يُعْجِبه، ثم يتوسَّط بينه وبين من يُعْجِبه منهنّ حتّى يتزوّجها؛ فكان يُشَاغِل كلَّ مَنْ جالسه عن الغِناء بتلك الأحاديث كراهةً منه للغناء .

٦٠ / ٤

(١) كذا فى أكثر الأصول . والجرم بالكسر هنا : الصوت أو جهارته . وفى م ونهاية الأرب (ج ٤ ص ٢١٦) : «الجزم» والجزم : وضع الحروف مواضعها فى بيان ومهل .
(٢) الشكل (بالكسر) : الدل . والشكل (بالفتح) : الهيئة والمذهب . (٣) فى ء ، ح ، م : «مشعوفا» بالعين المهملة ، وكلاهما بمعنى واحد . وقد قرئ بهما فى قوله تعالى : (قد شغفها حبا) .

قال إسحاق وحدثني مُصْعَب الزُّبَيرى قال[1] :

أنا أعلمُ خَلْقِ الله بالسبب الذى من أجله خُصِى الدَّلَّال ؛ وذلك أنه كان القادم يَقْدَمُ المدينةَ ، فيسأل عن المرأة يتزوجها فيُدَلُّ على الدَّلَّال ؛ فإذا جاءه قال له : صِفْ لى مَنْ تعرف من النساء للتزويج ؛ فلا يزال يَصِفُ له واحدةً بعد واحدة حتّى ينتهىَ إلى ما يُوافق هواه ؛ فيقول : كيف لى بهذه ؟ فيقول : مَهْرُها كذا وكذا ؛ فإذا رَضِى بذلك أتاها الدَّلَّال، فقال لها : إنّى قد أصبتُ لكِ رجلًا من حالِه وقصّته وهَيْئته ويَساره ولا عهدَ له بالنساء، وإنما قدم بلدَنا آنفًا ؛ فلا يزال بذلك يُشَوِّقها ويُحَرِّكها حتى تُطيعَه ؛ فيأتى الرجلَ فيُعْلِمه أنه قد أحكم له ما أراد . فإذا سُوِّىَ الأمرُ وتزوّجته المرأة، قال لها : قد آن لهذا الرجل أن يدخلَ بك، والليلة موعدُه، وأنتِ مُغْتَلِمةٌ شَبِقة جامّة[2] ؛ فساعةَ يدخل عليك قد دَفَقت عليه مثلَ سَيْل العَرِم، فيَقْذَرُكِ ولا يُعاودُك، وتكونين من أشأم النِّساء على نفسك وغيرك . فتقول : فكيف أصنع ؟ فيقول : أنتِ أعلمُ بدواء حِرِك ودائه وما يُسَكِّن غُلْمَتَك . فتقول : أنت أعرَفُ . فيقول : ما أجدُ له شيئًا أشْفَى من النَّيْك . فيقول لها : إن لم تخافى الفضيحةَ فابعثى إلى بعض الزُّنوج حتّى يقضىَ بعضَ وَطَرك ويَكُفَّ عاديةَ حِرك ؛ فتقول له : ويلَك ! ولا كلَّ هذا ! فلا تزال المحاورة بينهما حتّى يقولَ لها : فكما جاء علىَّ أقوم[3]، فأُخَفِّفك وأنا والله إلى التخفيف أحوجُ . فتفرح المرأة فتقول : هذا أمرٌ مستور ، فيَنيكها ؛ حتّى إذا قضى لَذّته منها، قال لها : أمّا أنتِ فقد استرحتِ وأمِنْتِ العيبَ، وبَقِيتُ أنا . ثم يجىء إلى الزوج فيقول له : قد واعدتُها

(١) اشتمل هذا الخبر على ألفاظ صريحة فى الفحش، وقد آثرنا إبقاءه كما هو احتفاظا بكيان الأغانى الذى يعد من أجل مصادر التاريخ والأدب العربى . (٢) يقال : جم الفرس وغيره ، اذا ترك الضراب فتجمع ماؤه . (٣) فى م : « فكما حكم على أقوم » .

أن تدخل عليك الليلة، وأنت رجلٌ عَزَبٌ(١)، ونساءُ المدينة خاصّةً يُردْنَ المُطاولةَ فى الجماع، وكأنّى بك كما تُدخله عليها تُفرغ وتقوم، فتُبْغِضُك وتَمْقُتُك ولا تُعاودك بعدها ولو أعطيتَها الدنيا، ولا تنظر فى وجهك بعدها. فلا يزال فى مثل هذا القول حتّى يعلم أنّه قد هاجتْ شَهْوته؛ فيقول له: كيف أعمل؟ قال: تطلُب زَنْجيّةً فتَنيكها مرّتين أو ثلاثاً حتى تَسْكُنَ غُلْمتُك؛ فإذا دخلتَ الليلةَ إلى أهلك لم تجد أمرَك إلّا جميلا. فيقول له ذاك: أعوذُ بالله من هذه الحال، أزناً وزنجيّة! لا والله لا أفعل! فإذا أكثر محاورتَه قال له: فكما جاء علىّ قُمْ فنِكْنى أنا حتّى تَسْكُنَ غُلْمتُك وشَبَقُك؛ فيفرَح فيَنيكه مَرّةً أو مرّتين. فيقول له: قد استَوَى أمرُك الآن وطابت نفسك، وتدخل على زوجتك فتَنيكها نَيْكاً يملؤها سروراً ولَذّة. فيَنيكُ المرأةَ قبل زوجها، ويَنيكُه الرجلُ قبل آمرأته. فكان ذلك دأبَه، الى أن بلغ خبره سليمان آبن عبد الملك، وكان غَيُوراً شديد الغَيْرة، فكَتَب بأن يُخْصَى هو وسائرُ المخنّثين [بالمدينة ومكّة](٢)، وقال: إنّ هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويُفْسِدونهنّ. فورد الكتابُ على آبن حَزْم فخصاهم. هذه رواية إسحاق عن الزُّبَيرى. والسبب فى هذا أيضًا مختلَفٌ فيه، وليس كلُّ الرواة يَرْوُون ذلك كما رواه مُصْعَب.

رواية أخرى فى السبب الذى خصى من أجله الدلال وسائر المخنثين بالمدينة

فممّا رُوِى من أمرهم ما أخبرنى به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَرِىّ — وهذا الخبر أصحُّ ما رُوِى فى ذلك إسنادًا — قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شَبّةَ عن مَعْن بن عيسى، هكذا رواه الجوهرىّ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال حدّثنى أبو غَسّان قال: قال آبن جَنَاح حدّثنى مَعْنُ بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبى الزِّنَاد عن أبيه وعن(٣) محمد بن مَعْنٍ الغِفَارىّ قالا:

(١) فى م: «غريب عزب». (٢) زيادة عن م. (٣) فى ء، ط: «عن أبيه محمد ابن معن الغفارى» وهو تحريف؛ إذ أن أبا عبد الرحمن هذا هو عبد الله بن ذكوان المعروف بأبى الزناد.

كان سبب ما خُصِى له المخنَّثون بالمدينة أنّ سليمان بن عبد الملك كان فى نادية[1] له يَسْمُر ليلةً على ظهر سَطح، فتفرّق عنــه جلساؤه، فدعا بوضُوء فجاءت به جارية له. فبينا هى تَصُبّ عليه إذ أومأ بيده وأشار بها مرّتين أو ثلاثًا، فلم تَصُبّ عليه؛ فأنكر ذلك فرفع رأســه، فإذا هى مُصْغية بسمعها إلى ناحية العَسْكَر، و إذا صوتُ رجل يغنّى، فأنصتَ له حتى سمع جميعَ ما تغنّى به. فلمّـا أصبح أذن للناس، ثم أجرى ذِكْرَ الغناء فليّن فيه حتى ظنّ القومُ أنه يَشتهيه و يريده، فأفاضُوا فيه بالتّسهيل وذِكْرِ مَنْ كان يسمَعه. فقال سليمان: فهل بقى أحد يُسمَع منه الغناء؟ فقال رجل من القوم: عنــدى يا أمير المؤمنين رجلانِ من أهــل أَيْلَةَ مُجيدان مُحْكمان. قال: وأين منزلُك؟ فأومأ إلى الناحية التى كان الغناء منها. قال: فٱبعَثْ إليهما، ففعل. فوجد الرسولُ أحدَهما، فأدخله على سليمان؛ فقال: ما ٱسْمك؟ قال: سُمَير. فسأله عن الغناء، فاعترف به. فقال: متى عهــدُك به؟ قال: الليلةَ المـاضية. قال: وأين كنتَ؟ فأشار إلى الناحية التى سَمِــع سليمانُ منها الغناء. قال: فما غنّيت به؟ فأخبره الشــعرَ الذى سمعه سليمانُ. فأقبل على القوم فقــال: هَدَر الجمــلُ فضَبِعت[2] الناقةُ، ونَبّ التّيْسُ فشَكِرَت الشاةُ، وهدَر[3] الحمامُ فزافتِ[4] الحمامةُ، وغنّى الرجلُ فطَربت المرأةُ، ثم أمر به فخُصِى. وسأل عن الغناء أين أصلُه؟ فقيل: بالمدينة فى المخنّثين، وهم أئمّته والحُذَّاقُ فيه. فكتب إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصارى - وكان عامِلَه عليهــا، أنِ ٱخْصِ[5] مَن قِبَلَك من المخنّثين المغنّين - فزعَم موسى بن جعفر بن

(١) كذا فى م. والنادية: مؤنث النادى وهو مجلس القوم ومتحدثهم. وفى سائر النسخ: «بادية» بالباء الموحدة.
(٢) ضبعت الناقة: اشتهت الفحل. ونبّ التيس: صاح عند الهياج. وشكِرت الشاة: امتلأ ضرعها، و يكنى بذلك عن حنينها.
(٣) فى م: «هدل»، والهديل: كالهدير، وقيل هو صوت الذكر خاصة.
(٤) زافت الحمامة: تبخترت فى مشيتها بين يدى الذكر وأقبلت عليه ناشرة جناحيها وذنابَاها.
(٥) ذكر الجاحظ فى كتاب الحيوان (ج ١ ص ٥٥ طبع مصر): أن الذى أمر بخصاء المخنثين هو هشام ابن عبد الملك، وأن الذى تولى ذلك هو عثمن بن حيّان والى المدينة. ثم ساق بعد ذلك طرفا من القصة.

أبى كَثير قال أخبرنى بعض الكُتّاب قال : قرأت كتابَ سـليمان فى الديوان، فرأيتُ على الخاء نقطةً كتمرة العَجْوة. قال: ومَنْ لايعلمَ يقول: إنه صحّف القارئُ، وكانت أَحْصِ — قال: فتتبّعهم آبنُ حزم فخَصَى منهم تسعةً، فمنهم الدَّلَالُ، وطَرِيفٌ[1]، وحَبِيبٌ نَوْمةُ الضُّحَى . وقال بعضهم حين خُصِى : سَلِمَ الخاتن والمختون . وهذا كلام يقوله الصبىّ إذا خُتِن.

قال : فزعم آبن أبى ثابت الأعرج قال أخبرنى حماد بن نَشِيط الحَسَنىّ قال : أقبلْنا من مكة ومعنا بَدَراقُس[2] وهو الذى خَتَنَهم،وكان غلامُه قد أعانه على خِصائهم، فنزلنا على حبيبٍ نَوْمة الضُّحَى، فآحتفل لنا وأكرمنا. فقـال له ثابت[3] : مَنْ أنت؟ قال : يآبنَ أخى أتجهلُنى وأنت وَلِيتَ خِتَانى ! أو قال : وأنت ختنتَنى . قال : واسوءتاه! وأيّهم أنت؟ قال أنا حَبيب . [قال ثابت[4] :] فآجتنبتُ طعامَه وخفتُ أن يسمنى . قال : وجعلتْ لحيةُ الدّلَال بعد سنة أو سنتين تتناثر. وأمّا آبن الكلبىّ فإنه ذكر عن أبى مِسْكين ولَقِيط أن ايمَن كتب بإحصاء مَنْ فى المدينة من المخنّثين ليعرفهم، فيُوفِد عليه مَنْ يختاره للوِفَادة، فظَنّ [الوالى[4]] أنه يُريد الخصاء، فخصاهم.

أخبرنى وَكيع قال حدّثنى أبو أيّوب المدينىّ قال حدّثنى محمد بن سـلّام قال حدّثنى آبن جُعْدُبة، ونسختُ أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدينىّ عن ابن جُعْدُبة واللفظُ له :

أنّ الذى هاج سليمانَ بن عبد الملك على ما صنعه بمن كان بالمدينـة من المخنّثين، أنّه كان مستلقيًا على فراشــه فى الليل، وجاريةٌ له إلى جنبــه، وعليها غِلَالةٌ ورِداءٌ

(١) فى ط، م : «طريفة» . (٢) كذا ورد هذا الاسم مضبوطا فى ط .
(٣) لم يتقدّم لثابت هذا ذكر فى الكلام . ولعله اسم آخر لبدراقس أو اسم غلامه الذى كان يعينه .
(٤) زيادة يقتضيها السياق .

مُعَصْفَران، وعليها وِشَاحانِ من ذهب، وفى عُنُقها فصلانِ من لؤلؤ وزَبَرْجَد و ياقوت، وكان سليمان بها مشغوفا(١)، وفى عسكره رجلٌ يقال له سُمَير الأَيْلِيّ يغنّى، فلم يفكّر سليمان فى غنائه شُغْلًا بها و إقبالًا عليها، وهى لاهيةٌ عنه لا تُجيبه مُصْغيةٌ إلى الرجل، حتى طال ذلك عليه، فحوّل وجهه عنها مُغْضَبا، ثم عاد الى ما كان مشغولا عن فهمه بها، فسمع سُمَيْرًا يغنّى بأحسن صوت وأطيب نغمة :

صـــوت

محجوبةٌ سَمِعتْ صوتى فأَرّقَها * من آخر الليل حتّى شَفَّها(٢) السَّهَرُ
تُدْنِى على جِيدِها ثِنْيَىْ(٣) مُعَصْفَرةٍ * والحَلْىُ منها على لَبّاتِها خَصِرُ
فى ليلة النصف ما يدرى مُضَاجِعُها * أَوجهُها عنده أبهَى أَمِ القمرُ
ــ ويروى : * أوجهُها ما يَرى أم وجهُها القمرُ * ــ
لَوْ خُلِّيَتْ لَمَشتْ نَحْوِى على قَدَمٍ * تكاد من رِقّةٍ للمشى تَنْفَطِرُ

ــ الغناء لسُمَيْر الأَيْلِيّ رملٌ مطلق بالبنصر عن حَبَش . وأخبرنى ذُكَاء وجه الرُّزّة أنّه سمع فيه لحنًا للدلّال من الثقيل الأوّل ــ فلم يَشْكُكْ سليمان أنّ الذى بها ممّا سمعتْ ، وأنّها تهوَى سُمَيرا ، فوجّه مِنْ وقته مَنْ أحضره وحبسه ، ودعا لها بسيف ونِطْع ، وقال : والله لَتَصْدُقِنّى أو لأَضْرِبَنّ عنقك ! قالت : سَلْنِي عمّا تريد . قال : أخبرينى عمّا بينك و بين هذا الرجل . قالت : والله ما أعرفه ولا رأيته قطّ ، وأنا جاريةٌ مَنْشَئِى الحجاز ، ومن هناك حُمِلْتُ إليك ، ووالله

(١) فى م : « مشعوفا » بالعين المهملة ، وكلاهما بمعنى واحد . (٢) فى ط : « حتى طلها السحر » . وفى المحاسن والأضداد ص ٢٩٣ : « لما بلها السحر » . (٣) كذا فى ى ، ط ، م . وفى ح : « ثنى » . وفى سائر النسخ : « ثنى » وكلاهما تصحيف .

ما أعرف بهـذه البلادِ أحدًا سواك . ففرّق لها، وأحضر الرجلَ فسأله، وتلطّف له فى المسألة، فلم يجد بينه وبينها سبيلا، ولم تَطِبْ نفسه بتخليته سوِيًّا[1] فخصاه؛ وكتب فيهِ المخنّثين بمثل ذلك . هذه الرواية الصحيحة .

أسف ابن أبى عتيق لخصاء الدلال

وقد أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى عمّى قال:

قيـل للوليد بن عبد الملك : إنّ نساء قريش يدخل عليهنّ المخنّثون بالمدينـة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يدخل عليكنّ هؤلاء" . فكتب إلى آبن حَزْم الأنصارىّ أنِ آخْصِهم، فخصاهم . فمرّ آبن أبى عَتيـق فقال : أَخَصَيتم الدَّلَال؟ أمَا والله لقد كان يُحْسِن :

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْـ * ـشِ أمسى دارسًا خَلَقَا
تأبّد[2] بعـــد ساكنـه * فأصبـح أهـــلُه فِرَقَا
وقفتُ به أُسـائلُه * ومَرّتْ عِيسُهم حِزَقَا[3]

ثم ذهب ثم رجع، فقال : إنما أعنى خَفيفَه، لستُ أعنى ثَقيلَه .

أسف الماجشون لذلك

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن الوَاقدىّ عن آبن الماجُشُون:

أنّ خليفةَ صاحبَ الشُّرطة لمّا خُصِى المخنّثون مرّ بأبيه[4] المـاجشون وهو فى حَلْقته؛ فصاح به : تعالَ، فجاءه؛ فقال : أَخَصَيتم الدَّلَال ؟ قال نعم . قال : أمَا إنه كان يُجيد :

لِمَنْ ربعٌ بذات الجيد * ـش أمسى دارسًا خَلَقَا

ثم مضى غيرَ بعيد فردّه، ثم قال : أستغفر الله! إنما أعنى هزجَه لا ثقيلَه .

---

(١) سويا : كاملا . (٢) تأبد : توحش . (٣) حزقا : جماعات . (٤) فى الأصول : «مرّ بابن الماجشون» وهو تحريف؛ إذ الذى كان يعجبه الدلال ويستحسن غناءه ويدنيه ويقرّبه هو الماجشون لا آبنه . وآبن الماجشون هذا لم ير الدلال، وإنما تحدّث اليه عنه أبوه . (انظر ص ٢٨ من هذا الجزء) .

٦٣
٤

أضحك الناس في الصلاة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني حمزة النَّوْفَلِيّ قال :
صلّى الدَّلال المخنّث إلى جانبي في المسجد، فضَرَط ضرطةً هائلةً سمعها مَنْ في المسجد، فرفعْنا رءوسَنا وهو ساجد، وهو يقول في سجوده رافعًا بذلك صوتَه: سبَّح لك أعلايَ وأسفلي؛ فلم يبقَ في المسجد أحدٌ إلّا فُتِن وقطع صلاتَه بالضحك .

طرب شيخ في مجلس ابن جعفر للغناء وكان يكرهه

٥ أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن المَدائنيّ عن أشياخه :
أنّ عبد الله بن جعفر قال لصديق له : لو عَنَّتْك جاريتي فلانة :

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجيـ * ـشِ أمسَى دارسًا خَلَقَا

لَمَا أدركتَ دُكّانَك(١) . فقال : جُعلتُ فِداك ، قد وجبتْ جُنُوبُها فكُلُوا منها وأَطْعِمُوا البائسَ الفَقِير . فقال عبد الله : يا غلام، مُرْ فلانةَ أن تخرج؛ فخرجتْ معها عُودُها . فقال عبد الله : إن هذا الشيخ يكره السماعَ . فقالت : وَيْحَه ! لو كَرِهَ الطعامَ

١٠ والشرابَ كان أقرب له إلى الصواب ! فقال الشيخ : فكيف ذاك وبهما الحياة؟ فقالت : إنّهما رُبَّما قتلا وهذا لا يقتُل . فقال عبد الله غَنِّي :

لِمَنْ ربعٌ بذات الجيـ * ـشِ أمسى دارسا خَلَقَا

فغنّت؛ فجعل الشيخ يصفِّق ويرقُص ويقول :

١٥ * هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّي زِيَمْ *

ويحرِّك رأسه ويدور حتى وقع مَغْشِيًّا عليه، وعبدُ الله بن جعفر يضحَك منه .

غنى الدلال الغمر ابن يزيد فطرب

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثني أبو غَسّان قال :
مرّ الغَمْر بن يَزِيد بن عبد الملك حاجًّا، فغنّاه الدَّلَال :

---

(١) الدكان : بناء يسطح أعلاه ويجلس عليه كالمصطبة في مصر . أي لأصابك من غنائها ما يعوقك
٢٠ عن أن تصل إلى المكان الذي تجلس فيه . وفي حـ ، م : "ذكاتك" .

بانَتْ سُعادُ وأمسى حَبْلُها ٱنْصرما (١) * وٱحْتَلَّت الغَمْرَ (٢) فالأجراعَ من إضَما (٣)

فقال له الغَمْر : أحسنتَ والله ، وغلبتَ فيه ٱبنَ سُرَيج ! فقال له الدَّلال : نعمةُ الله علىّ فيه أعظمُ من ذلك . قال : وما هى ؟ قال : الشُّهْرة ، لا يسمَعه أحدٌ إلّا عَلِم أنه غناء مُخَنَّثٍ حقًّا .

نسبة هذا الصوت :

صــــوت

بانَتْ سعادُ وأمسى حبلُها ٱنصرما * واحتلّتِ الغَمْرَ فالأجراعَ من إضَمَا

إحْدَى بَلِى (٤) وما هامَ الفؤادُ بها * إلّا السَّفاهَ وإلّا ذُكْرةً حُلُمَا

هَلّا سألتِ بنى ذُبْيانَ ما حَسَبى * إذا الدُّخَانُ تَغَشَّى (٥) الأشمطَ البَرَمَا

الشعر للنابغة الذُّبيانىّ . والغناء للدَّلال خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى عن الهشامى . وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر لمَعْبَد عن عمرو بن بانةَ . وفيه لٱبن سُرَيْج ثقيلٌ أوّل (٦)

(١) تقدّم فى الجزء الأوّل (ص ٩٤ من هذه الطبعة) : «الغمر» ، والغمر : الماء الكثير ، أو بئر قديمة بمكة ، أو موضع بينه وبينها يومان . (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى حـ ، م : «فالأجزاع» بالزاى المعجمة . والأجراع : جمع جرع وهو مفرد أو جمع جرعة وهى الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها . (٣) بضم (وبكسر ففتح) : واد يحمل تهامة ، وهو الوادى الذى فيه المدينة . وقد ورد هذا البيت فى ديوان النابغة الذبيانى هكذا :

بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما * واحتلت الشرع فالأجزاع من إضما

والشرع : قرية على شرقىّ ذرة فيها مزارع ونخيل على عيون ، وواديها يقال له رحيم . والأجزاع : جمع جزع (بالكسر) — وقال أبو عبيدة : اللائق به أن يكون مفتوحا — : منعطف الوادى . وفى تاج العروس (أضم) :

* واحتلت الشرع فالخبتين من إضم *

والخبت : المتسع من بطون الأرض . (انظر القاموس وشرحه وياقوت فى هذه المواد) .

(٤) بلىّ كغنىّ : قبيلة من قضاعة . والسفاه : الطيش وخفة الحلم . والذكرة (بالكسر والضم) : نقيض النسيان . (٥) تغشى : تلبس . والأشمط : الذى خالطه الشيب . وخص الأشمط لأنه أحرج للبرد من الشاب فهو يغشى النار قبله . والبرم : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لبخله .

(٦) فى م : «ثقيل أوّل بالبنصر» .

بالبنصر عن حَبَش . وفيه لَنَشِيطٍ ثانى ثقيلٍ بالبنصر عنه . وذكر الهشامىّ أنّ لحن مَعْبَدٍ ثقيلٌ أوّل، وذكر حمّاد أنّه للغَرِيض . وفيه لجَمِيلةَ ودَحْمان لحنان، ويقال : إنهما جميعا من الثقيل الأوّل .

احتكم اليه شيعى ومرجىء

أخبرنى الحُسَين بن يحيى قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق إجازةً عن أبيه عن المَدَائنىّ قال :

اختصم شِيعِىٌّ ومُرْجِىءٌ[1]، فجعلا بينهما أوّلَ مَنْ يَطْلُع، فطلَع الدَّلَال. فقالا له : أبا زَيْد، أيُّهما خيرٌ : الشِّيعىّ أمِ المُرْجِىءُ ؟ فقال : لا أدرى إلّا أنّ أعلاىَ شِيعىّ وأسفلى مرْجِىءٌ !

هرب من المدينة الى مكة ٦٤/٤

قال إسحاق قال المَدَائنىّ وأخبرنى أبو مِسْكِينٍ عن فُلَيْح بن سليمان قال :

كان الدَّلَال ملازماً لأُمّ سَعيد الأسلميّة وبنتٍ ليحيى بن الحَكَم بن أبى العاصى، وكانتا من أَمْجَنِ النِّساء، كانتا تخرُجان فتركَبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدوَ خَلَاخيلُهما . فقال معاوية لمَرْوان بنِ الحَكَم : اِكْفِنى بنتَ أخيك، فقال : أفعل. فاستزارها، وأمر ببئر فحُفِرتْ فى طريقها، وغُطِّيتْ بحَصِيرٍ، فلمّا مشتْ عليه سقطتْ فى البئر فكانت قبرَها . وطُلِب الدَّلَال فهرَب إلى مكة . فقال له نساء أهلِ مكة : قتلتَ نساء أهل المدينة وجئتَ لتقتلنا ! فقال : والله ماقتَلهنّ الا الحُكَاك[2]. فقلن : اعْزُبْ أخزاك الله، ولا أدنى بك [داراً[3]، ولا آذانا بك]! قال : فَمَنْ لَكُنّ

(١) المرجئة : جماعة كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، وكانوا يقولون : لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وهم فرق أربع : مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية، ومرجئة الجبرية، والمرجئة الخالصة . (انظر الملل والنحل للشهرستانى ص ١٠٣ طبع أوربا) . (٢) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : «ما قتلهنّ أحد إلا الحكاك» . (٣) زيادة عن س ، م .

بعدى يدلّ على دائكنّ و يعلم موضع شِفائكنّ ؟ والله ما زنيتُ قطُّ ولا زُنِى بى، وإنّى لأشتهى ما تشتهى نساؤكم ورجالكم .

كان الماجشون يقرب الدلال ويستحسن غناءه

قال إسحاق وحدّثنى الواقدىّ عن ابن الماجشُون قال :

كان أبى يُعجِبه الدّلال ويستحسن غناءه ويُدنيه ويُقرّبه ، ولم أره أنا ، فسمعتُ أبى يقول : غنّانى الدّلال يومًا بشعر مجنون بنى عامر ، فلقد خفتُ الفتنة على نفسى . فقلت : يا أبتِ ، وأىّ شعر تغنّى ؟ قال قوله :

صـــوت

عَسَى اللهُ أن يُجرِى المَودّةَ بيننا * ويُوصِلَ حبلًا منكمُ بحِبالِيَا
فكَمْ من خليلَيْ جَفوةٍ قد تقاطَعَا * على الدّهر لمّا أنْ أطالا التّلاقِيَا
وإنّى لفى كَرْبٍ وأنتِ خَلِيّةٌ * لقد فارقتْ فى الوصف حالُكِ حاليا
عتبتُ فما أعتبتِنى بمودّةٍ * ورُمْتُ فما أسعفتِنى بسؤاليا

الغناء فى هذا الشعر للغَرِيض ثقيلٌ أوّل بالوسطى، ولا أعرف فيه لحنًا غيره . وذكر حماد فى أخبار الدّلال أنه للدّلال، ولم يجنّسه .

عرّج بمخنث فصاحت خثيم بن عراك صاحب الشرطة

قال إسحاق وحدّثنى الواقدىّ عن عثمان بن إبراهيم الحاطبىّ قال :

قَدِم مخنّث من مكّة يقال له مُخّة، فجاء إلى الدّلال فقال : يا أبا زيد، دُلّنى على بعض مُخَنّثى أهلِ المدينة أكايِدْه وأُمازِحْه ثم أُجاذِبْه . قال : قد وجدته لك — وكان خُثَيم[1] بن عِراك بن مالك صاحبِ شُرطة زياد بن عُبَيد الله[2] الحارثىّ جارَه، وقد خرج فى ذلك الوقت ليصلّىَ فى المسجد — فأومأ إلى خُثَيْم فقال : الحَقْه فى المسجد، فإنّه

(١) كذا فى ح ، وهو الموافق لما فى تهذيب التهذيب وطبقات ابن سعد (ج ٥ ص ١٨٧) وتقريب التهذيب وشرح القاموس . وفى ب، س : «خيثم» . وورد فى ى، ط مضطربا غير واضح .
(٢) كذا فى ى ، ط ، م ، وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم ٢ ص ١٤٦٨ طبع أوربا) وابن الأثير (ج ٥ ص ٣٤٥ طبع أوربا) . وفى سائر الأصول : «زياد بن عبد الله» وهو تحريف .

يقوم فيه فيصلّي لِيُرائِيَ النـاسَ ، فإنّك ستظفر بمـا تُرِيد منـه . فدخل المسجدَ (١) وجلس إلى جنب آبن عِرَاك، فقال: عَجِّلي بصلاتك لا صَلَّى اللهُ عليكِ! فقال خُثَيْم: سبحانَ الله! فقال المخنَّث: سبَّحتِ فى جامعةِ قَرَاصِيةٍ (٢)، انصرفى حتّى أتحدّث معك. فآنصرف خُثَيْمٌ من صلاته، ودعا بالشُّرَط والسِّياط فقال: خُذُوه (٣) فأخذوه، فضربه مائةً وحبسه .

أضحك الناس فى الصلاة فتهدده الوالى

أخبرنى الحسين عن حمّاد عن أبيه قال :

صلّى الدَّلاَلُ يومًا خلفَ الإمام بمكة، فقرأ: ﴿ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾، فقال الدَّلاَل : لا أدرى والله ! فضَحِك أكثرُ الناس وقطعوا الصلاة. فلمّا قضى الوالى صـلاتَه دعا به وقال له : ويلَك ! أَلَا تَدَعُ هذا المجونَ والسَّفَهَ ! فقال له : قد كان عنـدى أنّك تعبد الله، فلمّا سَمِعتُك تستفهم، ظننتُ أنّك قـد تشكّكت فى ربِّك فثبّتُّك . فقـال له : أنا شككتُ فى ربِّى وأنت تُثَبِّتُنى (٤) ! اذهَبْ لعنك الله ! ولا تُعاوِدْ (٥) فأُبالغَ والله فى عُقوبتك !

قصته مع رجل زوجه امرأة لم يدخل بها

قال إسحاق وحدّثنى الواقدىّ عن عثمان بن إبراهيم قال :

سأل رجلٌ الدَّلاَلَ أنْ يزوّجه آمرأةً فزوّجه . فلمّا أعطاها صَدَاقَها وجاء بها إليه فدخلتْ عليـه ، قام إليها فواقعها . فضَرَطتْ قبل أن يطأها ، فكَسِل عنها الرجل ومَقَتها وأَمَر بها فأُخرجتْ . و بعث إلى الدَّلال، فعرّفه ماجرى عليه. فقال له الدَّلاَل:

٦٥ / ٤

(١) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : « بجلس فى المسجد وجلس الخ » . ولعلها « فجلس فى المسجد » . (٢) الجامعة : الغل لأنها تجمع اليدين الى العنق .

(٣) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : « فأخذه » .

(٤) كذا فى ح . وفى ى ، ط : « أنا أشك فى ربى وأنت تثبتنى » . وفى سائر النسخ : « أنا أشك فى ربى وأنت تثبتنى » . (٥) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : « ولا تعاوده » .

فديتُك! هذا كلّه من عزّة نفسها. قال: دَعْنى منك، فإنّى قد أبغضتها، فارْدُدْ علىّ دَرَاهمى، فَرَدّ بعضها. فقال له: لم رددتَ بعضها وقد خرجتْ كما دخلتْ؟ قال: للرَّوْعة التى أدخلتَها على آسْتِها. فضحك وقال له: اذهَبْ فأنت أقضَى الناسِ وأفقهُهم.

سكر مع فتية من قريش وسيق الى الأمير فأراد أن يحده ثم عفا عنه

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أبو أيُّوب المَدينىّ قال حدّثنى محمد بن سلّام عن أبيه قال، [و] أخبرنى به الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلّام عن أبيه [قال]:

أنّ الدّلال خرج يومًا مع فِتْيةٍ من قريش فى نزهةٍ لهم، وكان معهم غلامٌ جميلُ الوجه، فأعجبه، وعلِم القوم بذلك، فقالوا: قد ظَفِرْنا به بقيّة يومنا، وكان لا يصبِر فى مجلس حتّى ينقضى، وينصرف عنه استثقالاً لمحادثة الرجال ومحبةً فى محادثة النساء. فغمَزوا الغلامَ عليه، وفَطِن لذلك فغضب، وقام لينصرف، فأقسم الغلامُ عليه والقومُ جميعًا فجلس. وكان معهم شرابٌ فشربوا، وسَقَوْه وحَمَلوا عليه لئلّا يبرَح، ثم سألوه أن يُغنّيهم فغنّاهم:

صــــوت

زُبَيْرِيّةٌ بالعَرْجِ منها منازلٌ * وبالخَيْف من أدنى مَنازِلها رَسْمُ[1]
أُسائلُ عنها كلَّ رَكْبٍ لَقِيتُه * ومالى بها من بعد مَكّتِنا عِلْمُ
أيا صاحب الخَيْماتِ من بَطْنِ أَرْثَدٍ[2] * إلَى النخل من وَدّانَ ما فعلتْ نُعْمُ
فإنْ تكُ حَرْبٌ بين قومى وقومِها * فإنّى لها فى كلّ نائرةٍ[3] سِلْمُ

(١) ورد فى ‹ م › بعد هذا البيت: «ورواه آخرون: وبالخيف من أعلى منازلها رسم».
(٢) كذا فى ح و ياقوت. وأرثد: اسم واد بين مكة والمدينة فى وادى الأبواء. وودّان: قرية جامعة من نواحى الفرع، بينها وبين هَرْشَى ستة أميال، وبينها وبين الأبواء نحو ثمانية أميال. وفى سائر الأصول: «أربد» بالباء الموحدة. وأربد: قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب. وقد رجحنا رواية ح و ياقوت لأنها الأشبه بشعر الأحوص وليكون بين الموضعين تناسب مكانى.
(٣) النائرة: العداوة والشحناء، مشتقة من النار.

– ذكر يحيى المكّى وعمرو بن بانة أن[1] الغناء فى هـذا الشعر لمَعْبَد ثانى ثقيل بالوسطى . وذكر غيرهما أنه للدّلال . وفيه لمُخارق رملٌ . وذكر إسحاق هذا اللحن فى طريقة الثقيل الثانى ولم ينسبه إلى أحد – قال : فآستُطير القومُ فرحاً وسروراً وعلا نَعيرُهم، فَنذِر[2] بهم السُّلْطان، وتَعادت[3] الأشراط . فأحسّوا بالطَّلَب فهربوا، وبقى الغلام والدَّلال ما يُطيقان بَرَاحا من السُّكر، فأُخِذا فأُتى بهما أمير المدينة . فقال للدّلال : يا فاسق ! فقال له : مِنْ فِيكَ إلى السماء . قال : جَئُوا[4] فكّه، قال : وعُنُقَه أيضا . قال : يا عدوّ الله ! أما وَسِعك بيتُك حتّى خرجتَ بهذا الغلام إلى الصحراء تفسُق به ! فقال : لو علمتُ أنّك تَغارُ علينا وتشتهى أن نفسُق[5] سِرًّا ما خرجتُ من بيتى . قال : جَرِّدُوه وآضربوه حدًّا . قال : وما ينفعك من ذلك ! وأنا والله أُضرَبُ فى كلّ يوم حدودا . قال : ومَنْ يتولّى ذلك منك ؟ قال : أُيُورُ المسلمين . قال : ابطَحُوه على وجهه واجلسوا على ظهره . قال : أحسَب أنّ الأمير قد آشتهى أن يرى كيف أُنَاك . قال : أقيموه لعنه الله وآشهَروه فى المدينة مع الغلام . فأُخْرِجا يُدار بهما فى السِّكَك . فقيل له : ما هذا يا دَلَالُ ؟ قال : اشتهى الأميرُ أن يجمع بين الرأسين، فجمع بينى وبين هذا الغلام ونادى علينا، ولو قيل له الآن : إنّك قوّاد غضب ! فبلغ قولُه الوالى فقال : خَلُّوا سبيلَهما، لعنة الله عليهما !

شهادة معبد فى غناء الدلال

قال إسحاق فى خبره خاصّةً – ولم يذكره أبو أيّوب – فحدّثنى أبى عن آبن جامع عن سِيَاط قال :

(١) كذا فى ط . وقد تقدّم كذلك مرارا . وفى سائر النسخ : «يحيى بن المكى» وهو تحريف وله ترجمة فى الجزء السادس من الأغانى طبع بولاق . (٢) نذر : علم . (٣) تعادت : من العدو وهو سرعة الجرى . (٤) جئوا : اضربوا ؛ يقال : وجأ عنقه يجؤه مثل وضع يضع . (٥) فى جميع الأصول : «تفسق» بالتاء .

سمعت يونسَ يقول قال لى مَعْبَدٌ : ما ذكرت غناءَ الدَّلَال فى هذا الشعر :

* زُبَيْرِيَّةٌ بالعَرْج منها مَنازِلُ *

إلا جدّد لى سرورا ، ولَوددْتُ أنّى كنت سبقتُه إليه لحُسْنه عندى . قال يونس : فقلت له : ما بلَغ من حُسْنه عندك ؟ قال : يكفيك أنى لم أسمَعْ أحسنَ منه قطُّ .

ما كان بينه مع بعض المخنثين وبين عبد الرحمن ابن حسان

أخبرنى الحسين عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِىّ عن صالح بن حَسّان قال :

كان بالمدينة عُرْس ، فاتّفق فيه الدَّلَال وطُوَيْس والوليد المخنّث ، فدخل عبد الرحمن بن حَسّان ، فلمّا رآهم قال : ما كنتُ لأجلسَ فى مجلس فيه هؤلاء . فقال له طُوَيس : قد علمتَ يا عبد الرحمن نِكايتى فيك وأنّ جَرْحى إيّاك لم يندمل — يعنى خبَره معه بحضرة عبد الله بن جعفر، وذِكْرَه لعَمّته الفارِعة — فأرِبَحْ نفسَك وأقبِلْ على شأنك ؛ فانّه لا قِيامَ لك بمن يَفْهَمك فَهْمى . وقال له الدَّلال : يا أخا الأنصار ! إنّ أبا عبد النَّعيم أعلَمُ بك منّى ، وسأُعْلِمُك بعضَ ما أعلم به . ثم اندفع ونَقَر بالدُّفّ ، وكلُّهم ينقُر بدُفّه معه ، فتغنّى :

صـــوت

أتهجُر يا إنسانُ مَنْ أنت عاشقُهْ * ومَنْ أنت مشتاقٌ إليه وشائقُهْ[1]

وريم أحَمّ المقلتين مُوَشَّحٍ * زَرابِيُّه[2] مبثوثةٌ ونَمارِقُهْ

ترى الرَّقْمَ[3] والدِّيباجَ فى بيته معًا * كما زيّن الروضَ الأنيقَ[4] حدائقُهْ

(١) فى ى ، ط ، ب : « وروامقه » . (٢) الزرابىّ : البسط . وقيل : كل ما بسط واتكئ عليه . والنمارق : الوسائد . (٣) الرقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز أو البرود . (٤) فى حـ : « الروض الأثيث » . والأثيث : الكثير العظيم .

وسِرب ظباء تَرْتعى جانبَ الحِمَى * إلى الجَوّ فالخَبْتَيْنِ بِيضٍ عَقائقُهْ (١) (٢)

وما مِنْ حِمًى فى الناس إلّا لنا حِمًى * وإلّا لنا غَرْبِيُّهُ ومَشارقُهْ

فآستضحك عبدُ الرحمن وقال : اللّهُمّ غَفْراً ، وجلس .

لحن الدّلال فى هذه الأبيات هَزَجٌ بالبِنْصَر عن يحيى المكىّ وحمّاد .

استدعاء سليمان بن عبد الملك سرا لغناء فطرب وأعاده الى الحجاز مكرما

٥ أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبى عبد الله الجُمَحىّ عن محمد ابن عثمان عن عبد الرحمن بن الحارث بن هِشام قال : سمعتُ عمّى عُتْبة يقول حدّثنى مولًى للوليد بن عبد الملك قال :

كان الدّلالُ ظريفًا جميلاً حسنَ البيان ، مِنْ أَحْضَرِ الناس جوابًا وأحَجِّهم ؛ وكان سليمان بن عبد الملك قد رقّ له حين خُصِى غَلَطًا ، فوجّه إليه مولًى له وقال له :

١٠ جئنى به سِرًّا ، وكانت تبلغه نوادرُه وطِيبُه ، وحذّر رسولَه أن يعلمَ بذلك أحدٌ . فنفذ المولى إليه وأعلمه ما أَمَره به ، وأَمَره بالكِتْمان وحَذّره أن يَقِفَ على مقصده أحد ، ففعل . وخرج به إلى الشام . فلمّا قَدِم أنزله المولى منزلَه وأعلم سليمانَ بمكانه ؛ فدعا به ليلاً فقال : وَيْلَكَ ما خَبَرُك ؟ فقال : جُبِبْتُ من القُبُل مَرّةً أخرى يا أمير المؤمنين ، فهل تريد أن تَجُبَّنِى المرّة من الدُّبُر ؟ ! فضحك وقال : اعْزُبْ أخزاك الله ! ثم قال له :

١٥ غَنِّ . فقال : لا أُحْسِن إلاّ بالدُّفّ . فأمر فأُتِىَ له بدُفّ ؛ فغنّى فى شعر العَرْجِىّ :

أفى رسْمِ دارٍ دَمْعُكَ المُتَحَدِّرُ * سَفَاهًا وما آستنطاقُ ما ليس يُخْبِرُ

تغيّر ذاك الربعُ من بعد جِدّةٍ * وكلُّ جديدٍ مَرّةً متغيِّرُ

لأسماءَ إذ قلبى بأسماءَ مُغْرَمٌ * وما ذِكْرُ أسماءَ الجميلةِ مُهْجِرُ

(١) الجوّ والخبتان : كلاهما موضع . (٢) الأقرب أن يكون « بيض عقائقه » مرتبطا

٢٠ بالموضع الذى قبله ، وأن يكون المراد بالعقائق : النهاء (جمع نهى بكسر أوّله وفتحه) الغدران فى الأخاديد المنعقة (العميقة) .

وتَمْشي ثلاثٌ بعد هَــدْءٍ(١) كَواعبٌ * كمِثْل الدُّمى بل هُنّ من ذاك أنضَرُ

فَســلَّمْنَ تسليمًا خفيًّا وسَــقَّطتْ * مَصَاعِبةٌ(٢) ظُلْعٌ مِنَ السيرِ حُسَّرُ

لهـا أَرَجٌ من زاهرِ البَقْلِ والثَّرَى * وبَرْدٌ إذا ما باشر الجِــلْدَ يَخْصَرُ(٣)

فقالت لِتِرْبَيْها الغَــداةَ تَبَقَّيَا(٤) * بعينٍ ولا تَسْتَبعِدا حين أُبْصِرُ

ولا تُظْهِـرَا بُرْدَيْكما وعليكما * كِساءانِ من خَزٍّ بنَقْشٍ(٥) وأخضرُ

فعَدِّى فما هذا العتابُ بنافعٍ * هوايَ ولا مُرْجِي الهوى حين يَقْصُرُ

٦٧
٤

٥

فقال له سليمان : حُقَّ لك يادَلَالُ أن يقال لك الدَّلال ! أحسنتَ وأجملتَ ! فوالله ماأدري أيُّ أمرَيْك أعجب : أَسُرْعةُ جوابك وجودةُ فهمك أم حُسْنُ غنائك، بل جميعًا عَجَب! وأمر له بصلة سنيّة . فأقام عنده شهرا يشرب على غنائه، ثم سرَّحه إلى الحجاز [مُكرَما](٦) .

١٠

قصته مع شامي من قواد هشام أراد أن يتزوج من المدينة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعيّ قال :

حَجّ هِشامُ بن عبد الملك، فلمّا قَدِم المدينةَ نزل رجلٌ من أشراف أهــل الشأم وقوّادهم بجنب(٧) دار الدَّلَال، فكان الشاميّ يسمَع غناء الدَّلَال ويُصْغِي إليــه ويصعَد فوق السطح ليقرُبَ مِن الصوت؛ ثم بعث إلى الدَّلال : إمّا أن تزورنا وإمّا

(١) الهدء : الهزيع من الليل، وقيل : من أوّله الى ثلثه وذلك ابتداء سكونه. (٢) مصاعبة : جمع مُصْعَب وهو الفحل الذى تركته فلم تركبه ولم يمسه حبل حتى صار صعبا. (٣) يخصر : يبرد.

١٥

(٤) كذا في م. وتبقيا بعين أى انتظرا بمرأى منى؛ يقال : تبقّاه وبقّاه وأبقاه وتبقّاه، كله بمعنى انتظره. في ى، ط : «فقالت لتربيها فديت تبقيا بعين ...». وفي سائر النسخ : «فقالت لتربيها الغداة تبقيا * لعين ...».

(٥) في حـ، ى، ط : «بنفس». (٦) زيادة عن ى، ط، م.

٢٠

(٧) كذا في م. وفي سائر النسخ : «تحت».

أن نزورك ؛ فبعث إليه الدّلال : بل تزورنا . فتهيأ الشامىّ ومضى إليه[1]، وكان للشامىّ غلمانٌ رُوقَةٌ[2]، فمضى معه بغلامين منهم كأنّهما دُرّتان . فغنّاه الدّلال :

قد كنتُ آمُلُ فيكمُ أمَلًا * والمرءُ ليس بمُدْرِكٍ أمَلَهْ
حتّى بدا لى منكمُ خُلُفٌ * فزجرتُ قلبى عن هوًى جَهِلَهْ[3]
ليس الفتى بمُخَلَّدٍ أبدًا * حقًّا وليس بفائتٍ أجَلَهْ
حَىِّ العَمُودَ ومَنْ بعَقْوتِه[4] * وقِفَا العَمُودِ وإن جَلَا أهلُهْ[5]

قال : فاستحسن الشامىّ غناءه، وقال له : زِدْنى؛ فقال : أوَ مَا يكفيك ما سمعتَ ؟ قال : لا والله ما يكفينى . قال : فإنّ لى إليك حاجةً . قال : وما هى؟ قال : تبيعنى أحد هذين الغلامين أو كليهما . قال : آختَرْ أيُّهما شئت؛ فآختار أحدهما . فقال الشامىّ : هو لك ؛ فقبِله الدّلال ، ثم غنّاه :

دَعَتْنى دَوَاعٍ من أُرَيّا فهيّجتْ * هوًى كان قِدْمًا من فؤادٍ طَرُوبِ
لعلَّ زمانًا قد مضى أن يعودَ لى * فتَغْفِرَ أَرْوَى عندَ ذاك ذُنوبى
سَبَتْنى أُرَيّا يوم نَعْفِ مُحَسِّرٍ[6] * بوجهٍ جميلٍ للقلوبِ سَلُوبِ

فقال له الشامىّ : أحسنتَ ! ثم قال له : أيها الرجل الجميل، إن لى إليك حاجة . قال : وما هى ؟ قال : أريد وصيفةً وُلدتْ فى حِجْرٍ صالحٍ ، ونشأت فى خير، جميلةَ الوجه مجدولةً، وَضِيئةً، جَعْدَةً[7]، فى بياض مُشْرَبةً حمرةً، حسنةَ القامة، سَبْطةً[8]، أَسِيلةَ الخدّ،

(١) فى م : «فبعث الشامى بما يصلح ومضى الخ» . (٢) الروقة : الحسان ؛ يقال : غلمان روقة وجارية روقة . (٣) فى حـ ، م : * فزجرت قلبى فارعوى جهله *
(٤) العقوة : الساحة . (٥) كذا فى جميع الأصول . وفيه إقواء . (٦) النعف : المرتفع من الأرض فى اعتراض . وقيل : ما انحدر عن السفح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط . (ومحسر بالضم فالفتح وكسر السين المشدّدة) : موضع بين مكة وعرفة ، وقيل : بين منى وعرفة ، وقيل : بين منى والمزدلفة . (٧) الجعدة : التى فى شعرها جعودة . (٨) كذا فى أكثر الأصول ؛ يقال : غلام سبط الجسم أى حسن القدّ لطيفه . وفى ى ، ط : «شاطّة» أى حسنة القوام فى اعتدال .

عَذْبةَ اللسان ، لها شِكْلٌ ودَلٌّ ، تملأ العـين والنفس . فقال له الدَّلال : قد أصبتُها لك ، فمالى عليك إن دَلَلْتُك ؟ قال : غلامى هذا . قال : إذا رأيتَها وقَبِلْتَها [1] فالغلامُ لى؟ قال نعم . فأتى آمرأةً كَنَى عن آسمها ، فقـال لها : جُعِلتُ فِداكِ ! إنّه نزل بقُرْبى رجلٌ من أهل الشأم من قوّاد هشام له ظَرْفٌ وسخاء، وجاءنى زائرًا فأكرمتُه، ورأيت معـه غلامين كأنّهما الشمس الطالعة والقمر المنـير والكواكب الزاهرة، ماوقعتْ عينى على مثلهما ولا ينطلق لسانى بوصفهما ، فوَهَب لى أحدَهما والآخرُ عنـده ؛ وإن لم يَصِـلْ إلىّ فنفسى خارجة . قالت : فتُريد ماذا ؟ قال : طَلَب منّى وصيفةً يشتريها على صِفَة لا أعلَمُها فى أحدٍ إلّا فى فلانة بنْتِك ، فهل لك أنـ تُرِيَها له ؟ قالت : وكيف لك بأن يدفَع الغلامَ إليك إذا رآها ؟ قال : فإنّى قد شرطتُ عليه ذلك عند النظر لا عنـد البيع . قالت : فشأنَك ولا يعلَمْ أحدٌ بذلك . فمضى الدلّال فجاء الشامىّ معه . فلمّا صار إلى المرأة أدخلتْه . فإذا هو بحَجَلةٍ [2] وفيها آمرأةٌ على سرير مُشْرِف بَرْزَةٌ جميـلةٌ ، فوُضِع له كرسىٌّ فجلس . فقالت له : أمِنَ العرب أنت ؟ قال نعم . قالت : من أيِّهـم ؟ قال : من خُزاعة . قالت : مرحبًا بك وأهلًا ، أىَّ شىء طلبتَ ؟ فوَصَف الصـفة ؛ فقالت : أصبتَها ، وأصغتْ [3] إلى جارية لهـا فدخلتْ فمكثتْ هنيهةً ثم خرجتْ ؛ فنظرتْ إليها المرأة فقالت لها : أىْ حبيبتى ، اخرُجى؛ فخرجتْ وصـيفةٌ ما رأى الراءون مثلَها . فقالت لها : أَقْبِلى فأقبلتْ، ثم قالت لها : أَدْبِرى، فأدبرتْ تملأ العين والنفس؛ فما بقى منها شىء إلّا وضع يدَه عليه . فقالت: أتُحبّ أن نُؤَزِّرها لك ؟ قال نعم . قالت : أىْ حبيبتى آئْتَزِرى ، فضَـمَّها الإزارُ وظهرت محاسنُها الخفيّة، وضَرَب بيده على عَجيزتها وصَدْرها . ثم قالت : أتُحبّ أن

---

(١) كذا فى : حـ . وفى سائر الأصول : «قلبتها» . (٢) الحجلة : بيت يزين بالثياب والأسرّة والستور . (٣) أى مالت إليها برأسها .

٦٨
٤

نُجَرِّدها لك؟ قال نعم . قالت: أىْ حبيبتى وَضِّحى، فألقت إزارَها فإذا أحسنُ خَلْقِ الله كأنّها سبيكة . فقالت : يا أخا أهلِ الشام كيف رأيتَ ؟ قال : مُنْية المتمنّى[1] . قال : بكَمْ تقولين؟ قالت: ليس يومُ النظرِ يومَ البيع، ولكن تعود غداً حتى نُبايعك ولا تنصرف إلّا على الرِّضا ، فانصرف من عندها . فقال له الدّلال: أرَضيتَ؟قال: نعم، ما كنت أحسب أنّ مثل هذه فى الدنيا؛ فإن الصفة لَتَقْصُر دونها. ثم دفع إليه الغلام الثانى . فلمّا كان من الغد قال له الشامىّ : امْضِ بنا ، فَمَضَيا حتّى قَرَعا البابَ؛ فأُذِن لهما، فدخلا وسلّما ، ورحَّبت المرأةُ بهما، ثم قالت للشامىّ: اعْطِنا ما تبذُل؛ قال : مالها عندى ثمنٌ إلّا وهى أكرُم منه، فقُولى يا أَمَةَ الله. قالت : بل قُلْ؛ فإنّا لم نُوطِئك أعقابنا ونحن نُريد خِلافَك وأنت لهـا رِضًا . قال : ثلاثة آلاف دينار . فقالت : والله لَقُبْلةٌ من هذه خيرٌ من ثلاثة آلاف دينـار . قال : بأربعة آلاف دينار. قالت : غَفَر الله لك ! أَعْطِنا أيُّها الرجل. قال : والله ما معى غيرها — ولو كان لزدتُك — إلّا رَقيقٌ ودوابُّ وخُرْثِىٌّ[2] أحمله إليك. قالت: ما أَراك إلّا صادقا، أتدرى مَنْ هذه؟ قال: تُخبِرينى. قالت: هذه ٱبنتى فلانةُ بنت فلان،وأنا فلانة بنت فلان، وقد كنتُ أردتُ أن أَعْرِض عليك وصيفةً عندى ، فأحببتُ إذا رأيتَ غداً غلَظَ أهلِ الشام وجفاءَهم، ذكرتَ ابنتى فعلمت أنّكم فى غير شىء ، قُمْ راشدًا . فقـال للدّلال : خدعتَنى ! قال: أوَ لا تَرْضَى أن ترى ما رأيتَ من مثلها وتَهَب مائةَ غلامٍ مثل غلامك؟ قال : أمّا هذا فنعم . وخرجا من عندها .

(١) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : « منتهى المتمنى » .

(٢) الخرثى : متاع البيت وأثاثه ، وهو أيضا أردأ المتاع .

نسبة ما عُرِفتْ نسبته من الغناء المذكور فى هذا الخبر

صــــوت

قــد كنتُ آمُــلُ فيكُمُ أَمَلاً * والمــرءُ ليس بمُــدْرِكٍ أَمَلَهْ
حــتّى بدا لى منكُم خُلُفٌ * فزجرتُ قلبي عن هَوَى جَهِلَهْ

الشــعر للمُغيرة بن عمرو بن عثمان . والغناء للدّلال، ولحنُه من القَــدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر فى مجْراها، وجدتُه فى بعض كتب إسحاق بخطّ يده هكذا. وذكر علىّ بن يحيى المنجِّم أنّ هذا اللحن فى هــذه الطريقة لابن سُرَيج ، وأنّ لحن الدّلال خفيفُ[1] ثقيلٍ نَشِــيد . وذكر أحمد بن المكّىّ أنّ لحن الدّلال ثانى ثقيلٍ بالوسطى ، ولحنَ ابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل . وفيه لمُتيَّم وعَرِيبَ خفيفاً[2] ثقيلٍ، المُطْلَقُ المُسَجَّحُ منهما لعَرِيبَ.

ومنهــا :

صــــوت

دعتْنى دَوَاعٍ من أُرَيَّا فهيَّجَتْ * هوًى كان قِدْماً من فُؤادٍ طَرُوبِ
ســبتْنى أُرَيّا يومَ نَعْفِ مُحَسِّرٍ * بوجــهٍ صبيحٍ للقلوب سَــلُوبِ
لعلّ زماناً قد مضى أن يعــودَ لى * وتَغفِــرَ أَرْوَى عنــدَ ذاك ذُنوبى

الغناء للدّلالِ خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوســطى فى مجراها من رواية حمّاد عن أبيــه ، وذكر يحيى المكّىّ أنه لابن سُرَيج .

غنى نائلة بنت عمار الكلبي فأجازته

أخبرنى الحسين[3] بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبى قَبِيصةَ قال :

(١) فى ح : « ثانى ثقيل » . (٢) فى ح : « خفيف ثقيل » .
(٣) فى ح ، سـ ، ب : « محمد بن الحسين عن حماد » .

جاء الدَّلال يومًا إلى منزل نائلةَ بنت عمّار الكَلْبيّ، وكانتْ عند معاويةَ فطلّقها، فقَرَع البابَ فلم يُفْتَح له، فغنّى فى شعر مجنون بنى عامرٍ ونَقَر بدُفّه[1]:

خَليلَىَّ لا واللهِ ما أَمْلِكُ البُكَا * إذا عَلَمٌ من أرض ليلَى بَدَا لِيَا

خليلَىَّ إنْ بانُوا بليلَى فهَيِّئا * لِىَ النَّعْشَ والأكفانَ واسْتَغْفِرَا لِيا

٥ فخرج حَشَمُها فزجروه وقالوا: تَنَحَّ عن الباب. وسَمِعَتِ الجَلَبَةَ فقالت: ما هذه الضَّجّةُ بالباب؟ فقالوا: الدَّلال. فقالت: ائذَنُوا له. فلمّا دخل عليها شقّ ثيابَه وطَرَح الترابَ على رأسه وصاح بوَيْله وحَرَبه؛ فقالت له: الوَيْلُ وَيْلُك! ما دهَاك؟ وما أَمْرُك؟ قال: ضربنى حَشَمُك. قالت: ولِمَ؟ قال: غَنّيتُ صوتًا أُريد أن أُسمِعَكِ إيّاه لأدخل إليك؛ فقالت: أُفٍّ لهم وتُفٍّ! نحن نبلُغ لك ما تُحِبُّ

١٠ ونُحسن تأديبَهم. يا جاريةُ هاتى ثيابًا مقطوعة. فلمّا طُرِحتْ عليه جلَس. فقالت: ما حاجتُك؟ قال: لا أسألكِ حاجةً حتّى أُغَنّيَكِ. قالت: فذاك إليك؛ فآندفع يغنّى شعرَ جميل:

ارْحَميِنى فقد بَلِيتُ فحَسْبِى * بعضُ ذا الدّاءِ يا بُثَيْنةُ حَسْبِى

لامَنِى فيكِ يا بثينةُ صَحْبِى * لا تَلُومُوا قد أَقرح الحبُّ قلبى

١٥ زَعَم الناسُ أنّ دائى طِبِّى[2] * أنتِ واللهِ يا بثينةُ طِبِّى

ثم جلس فقال: هل من طعام؟ قالت: علىَّ بالمائدة؛ فأُتِى بها كأنها كانت مهيّأة عليها أنواع الأطعمة، فأكل، ثم قال: هل من شراب؟ قالت: أمّا نبيذٌ فلا، ولكن غيره. فأُتِى بأنواع الأشربة، فشَرِب من جميعها. ثم قال: هلْ من فاكهة؟ فأُتِى بأنواع الفَوَاكه فتفكّه، ثم قال: حاجتى خمسةُ آلاف درهم، وخمسُ

(١) كذا فى ى، ط. وفى سائر النسخ: «ونقر بدفه عليه».

٢٠ (٢) كذا فى س، م. وفى سائر الأصول: * أنت والله يا حبيبك طبى

حُلَلٍ من حلل مُعاويةَ، وخمسُ حلل من حلل حبيب بن مَسْلَمةَ، وخمسُ حلل من حلل النُّعمان بن بَشير. فقالت: وما أردتَ بهذا؟ قال: هو ذاك، والله ما أرضى ببعضٍ دون بعضٍ، فإمّا الحاجة وإما الردّ. فدعتْ له بما سأل، فقبضه وقام. فلمّا توسّط الدارَ غنّى ونَقَر بدُفّه:

ليتَ شِعْري أجَفْوةٌ أم دَلالٌ * أمْ عَدُوٌّ أتى بُثَينةَ بعدى

فمُرِيني أطِعْكِ فى كلّ أمرٍ * أنتِ والله أوجهُ الناس عندى

وكانت نائلةُ عند معاوية. فقال لفاختةَ بنتِ قَرَظَةَ[1]: اذْهبي فانْظُرى إليها، فذهبتْ فنظرتْ إليها، فقالت له: ما رأيتُ مثلَها، ولكنّى رأيتُ تحت سُرّتها خالًا لَيُوضَعَنّ منه رأسُ زوجها فى حِجْرها. فطلّقها معاوية، فتزوّجها بعده رجلان: أحدهما حبيبُ بن مَسْلَمةَ، والآخر النُّعمان بن بَشير، فقُتِل أحدُهما فوُضِع رأسُه فى حِجرها.

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

صـــوت

خليلَىَّ لا والله ما أملكُ البكا * إذا علَمٌ من أرض ليلى بدا ليا

خليلَىَّ إن بانوا بليلى فهيّئا * لِىَ النَّعْشَ والأكفانَ واستغفرا ليا

أمضروبةٌ ليلى علىّ أنْ أزورها * ومُتّخَذٌ ذنبًا لها أنْ ترانيا

خليلَىَّ لا والله ما أملك الذى * قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا

قَضَاها لغيرى وابتلانى بحُبّها * فهلّا بشىءٍ غيرِ ليلى ابتلانيا

الشعر للمجنون. والغناء لابن مُحْرِز ثانى ثقيل بالإطلاق فى مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر الهشامىّ أنّ فيه لحنًا لمَعْبد ثقيلًا أوّل لا يُشكّ فيه. قال: وقد قال

(١) كذا فى أكثر الأصول، وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم أول ص ٢٨٨٩ طبع أوروبا) وفى حـ: «قرصة» بالصاد المهملة.

قوم : إنه منحول يحيى المكىّ . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل عن الهشامىّ أيضا . وفيه ليحيى المكىّ رَمَلٌ من رواية ابنه أحمد . وفيه خفيفُ رَمَلٍ عن أحمد بن عُبَيد لا يُعْرَف صانعه .

ومنهـا :

صـــوت

لَيتَ شِعْرِى أَجَفْوةٌ أم دَلَالٌ * أم عَدُوٌّ أَتَى بثينـــةَ بعدى

فَـرِينِى أُطِعْكِ فى كلِّ أمرٍ * أَنتِ واللهِ أَوجُه الناس عندى

الشـعر لجميل . والغنـاء لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيـلٍ بالسبّابة فى مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لعَلُّوَيْهْ خفيفُ ثقيـلٍ آخر . وذكر عمرو بن بانةَ أنّ فيه خفيفَ ثقيل بالوسطى لمَعْبَد . وذكر إسحاق أن فيه رَمَلًا بالبِنصر فى مجراها ولم ينسُـبه إلى أحد، وذكر الهِشَامىّ أنّه لمـالك . وفيه لمُتَيَّم خفيفُ رَمَلٍ . وفيه لعَرِيبَ ثقيلُ أوّل [بالبنصر][1] . وذكر حبش أنّ فيه للغَرِيض ثقيلا أوّل بالبنصر . ولمعبد فيه ثقيل أوّل بالوسطى . وذكر ابن المكىّ أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمـالك وعلُّويَه .

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمـاد عن أبيه عن المدائنىّ عن عَوَانةَ بن الحَكَم قال :

لمـّا أراد عبدُ الله بن جعفر إهداءَ[2] بنته إلى الحجّاج ، كان ابن أبى عَتيق عنده ، فجاءه الدّلال متعرِّضا فاسـتأذن . فقال له ابن جعفر : لقـد جئتنا يا دَلَال فى وقت حاجتنا إليـك . قال : ذلك قصدتُ . فقال له ابن أبى عَتِيق : غَنِّنـا ، فقال ابن جعفر : ليس وقت ذلك ، نحن فى شغل عن هذا . فقال ابن أبى عتيـق : وربِّ

(١) زيادة فى ء ، ط ، م . (٢) الإهداء : الزفاف .

الكعبة لَيُغَنِّيَنَّ . فقال له ابن جعفر : هات . فغنَّى ونَقَر بالدُّفِّ — والهوادجُ والرَّواحل قد هُيِّئتْ ، وصُيِّرتْ بنتُ ابنِ جعفر فيها مع جَوَارِيها والمشيِّعين لها — :

يا صاح لو كنتَ عالمًا خَبِرًا * بما يُلاقِى المُحِبُّ لم تَلُمُهْ (١)
لا ذنبَ لى فى مُقَرَّطٍ (٢) حَسَنٍ * أعجبنى دَلُّهُ ومُبْتَسَمُهْ
شيمتُه البُخْلُ والبِعادُ لنا * يا حبَّذا هُوَ وحبَّذا شِيَمُهْ
مُضَمَّخٌ بالعَبِيرِ عارِضُه * طُوبَى لِمَنْ شَمَّه ومَنْ لَثِمُهْ (٣)

— قال : ولابن مُحْرِز فى هذا الشعر لحنٌ أجودُ من لحن الدَّلَّال — فطَرِب ابن جعفر وابنُ أبى عتيق . وقال له ابن جعفر : زِدْنِى وطَرِب . فأعاد اللحنَ ثلاثًا ثم غنَّى :

بَكَرَ العواذِلُ فى الصَّبا * ح يَلُمْنَنِى وأَلُومُهُنَّهْ
ويقُلْنَ شيبٌ قد علَا * كَ وقد كَبِرْتَ فقُلْتُ إنَّهْ

ومضتْ بنتُ ابن جعفر، فأتبعها يُغَنِّيها بهذا الشعر — ولعبد آل الهذلى فيه لحن وهو أحسنها — :

إنَّ الخَلِيطَ أجَدَّ فاحتملا * وأراد غَيْظَكَ بالذى فَعَلا
فوقفتُ أنظر بعضَ شأنِهِمُ * والنَّفْسُ مما تأمُلُ الأمَلا
وإذا البِغالُ تُشَدُّ صافِنةٌ (٤) * وإذا الحُداةُ قد أزمعوا الرِّحَلا
فهناك كاد الشَّوْقُ يقتُلُنى * لَوْ أنَّ شوقًا قبلَه قَتَلا

(١) لم تلمه ، أصل ميمه الإسكان فنقلت إليه ضمة الهاء ؛ كقوله :

عجبت والدهرُ كثير عجبه * من عنزىّ سبنى لم أضرِبُهْ

نقل ضمة الهاء إلى الباء . (٢) كذا فى ء ، ط . والمقرط : المتحلى بالقرط . وفى سائر الأصول : « مقرطق » . والمقرطق : لابس القرطق ، وهو قباء ذو طاق واحد . (٣) لثمه ، أصل ميمه الفتح ، فنقلت إليه ضمة الهاء بعده على لغة لخم ؛ لأنهم يجيزون فى الوقف نقل حركة الحرف الأخير إلى المتحرك قبله ؛ كقوله : « من يأتمر بالخير فيما قصدُهْ » . (٤) تشدّ : تهيأ عليها الرحال . والصافن من الخيل ونحوه : القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر .

فدمعت عينا عبدِ الله بن جعفر، وقال للدّلال: حَسْبُك ! فقد أوجعت قلبي! وقال لهم : امْضُوا في حفظ الله على خير طائر وأيْمَنِ نَقِيبة .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صــــوت

بَكَرَ العــواذلُ في الصَّبا ٭ ح يَلُمْنَني وأَلُومُهُنَّـــهْ
ويقلنَ شيبٌ قــد علا ٭ كَ وقد كَبِرْتَ فقلتُ إنَّهْ
لابُدَّ من شيبٍ فدَعْـ ٭ ـنَ ولا تُطِلْنَ مَلامَكُنَّهْ
يَمْشِينَ كالبَقَرِ الثِّقا ٭ لِ عَمَدْنَ نحو مُرَاحِهِنَّهْ (١)
يَحْفَيْنَ في المَمْشَى القَرِيـ ٭ ـبِ إذا يُرِدْنَ صَدِيقَهُنَّهْ

١٠ الشعر لابن قيس الرقيّات . والغناء لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالسبّابة في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه ثقيلٌ أوّلُ للغَرِيض عن الهشاميّ . وفيه خفيفُ ثقيـلٍ آخرَ بالوسطى ليعقوب بن هَبّار عن الهشاميّ ودَنانِيرَ ، وذكر حَبَشٌ أنه ليعقوب .

ومنهـا :

١٥ صــــوت

إنّ الخليطَ أجدّ فاحتملا ٭ وأراد غيظَك بالذي فعلا

الأبيات الأربعة .

الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة . والغناء للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة عن يحيى المكيّ . وفيه ليحيى أيضا ثقيلٌ أوّل بالوسطى من رواية أحمد ابنه ، وذكر حَبَشٌ أنّ هـذا ٢٠ اللحن لبَسْبَاسةَ بنتِ مَعْبَد .

(١) المراح (بالضم) : مأوى الإبل والبقر والغنم .

سأله ابن أبي ربيعة الغناء في شعر له فغناه فأجازه

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثقفي قال :

كان للدلال صوت يغني به ويجيده، وكان عمر بن أبي ربيعة سأله الغناء فيه وأعطاه مائة دينار ففعل ، وهو قول عمر :

صـــوت

ألم تسأل الأطلال والمتربعا * ببطن حليات دوارس بلقعا(١)

إلى السرح من وادي المغمس بدلت * معالمه وبلا ونكباء زعزعا

وقربن أسباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلما قسن إصبعا

فقلت لمطريهن في الحسن إنما * ضررت فهل تسطيع نفعا فتنفعا

٧٢ / ٤

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض فيه لحنان : أحدهما في الأول والثاني من الأبيات ثقيل أول بالبنصر عن عمرو ، والآخر في الثالث والرابع ثاني ثقيل بالبنصر . وفي هذين البيتين الآخرين لابن سريج ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفي الأول والثاني للهذلي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو . وفيهما لابن جامع رمل بالوسطى عنه أيضا . وقال يونس : لمالك فيه لحنان، ولمعبد لحن واحد .

روى هشام بن المرية عن جرير صوتين له

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال حدثني هشام بن المرية قال :

كنا نعرف للدلال صوتين عجيبين، وكان جرير يغني بهما فأعجب من حسنهما. فأخذتهما عنه وأنا أغني بهما. فأما أحدهما فإنه يفرح القلب. والآخر يرقص كل من سمعه . فأما الذي يفرح القلب فلابن سريج فيه أيضا لحن حسن وهو :

(١) تقدم هذا الشعر والتعليق عليه في صفحتي ١٣١ ، ١٧٦ من الجزء الأول من هذه الطبعة .

ولقد جرى لك يوم سَرحةِ مالكٍ[1] * مما تَعيَّفُ سانحٌ وبَريحُ
أَحْوَى القَوادِمِ بالبياض مُلَمَّعٌ * قَلِقُ المَواقِعِ بالفراقِ يَصيحُ
الحُبُّ أبغضُه إليَّ أقلُّه * صَرِّحْ بذاك فراحتي التَّصريحُ
بانتْ عُوَيْمةُ[2] فالفؤادُ قَرِيحُ * ودموعُ عينِك في الرِّداءِ سُفُوحُ

والآخر:

كلَّما أبصرتُ وجهًا * حَسَنًا قلتُ خَليلي
فإذا ما لم يَكُنْهُ * صِحْتُ وَيْلي وعَويلي
فصِلي حبلَ مُحِبٍّ * لكِ مُجِدٍّ وَصُولِ
وانْظُري لا تَخْذُلِيهِ * إنَّه غيرُ خَذُولِ

نسبة هذين الصوتين

للدَّلال في الشعر الأوّل الذي أوّلُه:

* ولقد جرى لك يوم سرحةِ مالكٍ *

خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى. وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ. وقال حَبَشٌ: إنّ الدّلال فيه لحنين: خفيفَ ثقيل أوّل[3] وخفيفَ رَمَلٍ. وأوّلُ خفيفِ الرَّمَل:

* بانتْ عويمةُ فالفؤادُ قَريحُ *

وذكر أنّ لحن ابن سرَيج ثاني ثقيلٍ، وأنّ لابن مِسْجَح فيه أيضا خفيفَ ثقيلٍ.

والصوت الثاني الذي أوّلُه:

كلَّما أبصرتُ وجهًا * حَسَنًا قلتُ خليل

---

(١) في ى، ط، م: «سرحة رائع».
(٢) في ى، ط: «عوينة».
(٣) كلمة «أوّل» ساقطة في ط، ى.

الغناء فيه لعَطَرّد خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش . ويقال إنه للدَّلال . وفيه ليونس خفيفُ رَمَلٍ . وفيه لإبراهيم المَوصِلىّ خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر عن عمرو .

شرب النبيذ وكان لا يشربه فسكر حتى خلع ثيابه

أخبرنى الحسين عن حماد عن أبيه عن مُصْعَب بن عبد الله الزُّبَيرىّ قال : كان الدَّلالُ لا يشرَب النبيذ . فخرج مع قومٍ إلى مُتَنَزَّهٍ لهم ومعهم نبيذٌ، فشربوا ولم يشرَب منه، وسَقَوْه عَسَلًا مجدوحًا[1]، وكان كلّما تغافَل صيّروا فى شرابه النبيذَ فلا يُنكِره، وكثُر ذلك حتى سَكِر وطَرِب، وقال: اسْقُونى من شرابكم، فسقَوْه حتى ثَمِل، وغنّاهم فى شعر الأَحْوَص :

طاف الخيالُ وطاف الهَمُّ فاعتكَرَا * عنـد الفِراش فبات الهَمُّ مُحتضِرا[2]

أُرَاقِبُ النَّجْمَ كالحَيْرانِ مُرتقِبًا * وقَلَّصَ النومُ عن عينىّ فانْشَمَرا

من لوعةٍ أورثتْ قَرْحًا على كَبِدى * يومًا فأصبح منهـا القلبُ مُنفطِرا

ومَن يَبِتْ مُضمِرًا همًّا كما ضَمِنَتْ * منّى الضُّلوعُ يَبِتْ مُسْتَبْطِنًا غِيَرا

فاستحسنه القومُ وطَرِبوا وشَرِبوا . ثم غنّاهم :

طَرِبْتَ وهاجَك مَنْ تَذْكُرُ * ومَنْ لستَ من حُبّه تَعتذِرْ

فإنْ نِلتُ منها الذى أرتجى * فذاك لَعَمْرِى الذى أَنْتظِرْ

و إلّا صبرتُ فلا مُفْحِشًا * عليها بِسُوءٍ ولا مُبْتَهِرْ[3]

— لحن الدلال فى هذا الشعر خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش . قال : وذكر قوم أنه للغريض —

(١) المجدوح : المخلوط . (٢) فى ء ، ط :

طاف الخيال وطال الليل فاعتكرا * عند الفراش فآب الهم محتضرا

واعتكر الليل : اشتدّ سواده . واعتكر أيضا : اختلط . ومحتضرًا : حاضرًا ؛ يقال : حضر الهمّ واحتضر .

(٣) الابتهار : قول الكذب والحلف عليه . وفى جميع الأصول : « منتهر » بالنون .

قال : وسكِر حتّى خلَع ثيابَه ونام عُرْياناً ، فغطّاه القوم بثيابهم وحملوه إلى منزله ليلاً فنوّموه وانصرفوا عنه . فأصبح وقد تقيّأ ولوّث ثيابَه بقَيْئه ، فأنكر نفسه ، وحلف ألّا يُغَنِّيَ أبدًا ولا يُعاشِرَ مَنْ يشرب النبيذ؛ فوفَى بذلك إلى أن مات . وكان يُجالِس المَشْيَخةَ والأشرافَ فيُفيض معهم فى أخبار الناس وأيّامهم حتى قضَى نَحْبَه .

[انقضتْ(1) أخبار الدلال] .

ومما فى شعر الأحوص من المائة المختارة

صــــوت

من المائة المختارة

يا دِينَ(2) قَلْبِك منها لستَ ذاكِرَها * إلا تَرَقْرَقَ ماءُ العين أو دَمَعا
أدعو إلى هَجْرِها قلبي فيَتْبَعُني * حتّى إذا قلتُ هذا صادقٌ نَزَعا
لا أستطيعُ نُزُوعًا عن مَحَبّتها * أو يَصْنَعَ الحُبُّ بى فوقَ الذى صنَعا
كَمْ مِنْ دَنِيٍّ(3) لها قد صرتُ أتْبَعُه * ولو سلا القلبُ عنها صار لى تَبَعَا
وزادَنى كَلَفًا فى الحُبِّ أنْ منعتْ(4) * وحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعا(5)

---

(1) زيادة عن م . (2) المراد بالدين هنا الداء؛ قال الشاعر:

* يا دين قلبك من سلمى وقد دينا *

قال المفضل : معناه يا داء قلبك القديم . وقال اللحيانى : المعنى يا عادة قلبك . (انظر اللسان وشرح القاموس مادة دين) . (3) الدنى (بالهمز و بتشديد الياء بدون همز) : الخسيس الحقير .

(4) يحتمل أن يكون «منعت» مبنيا للفاعل أو للفعول . (5) أورد النحويون هذا البيت شاهدا على أن « حب » أفعل تفضيل حذفت همزته مثل خير وشر، إلا أن الحذف فيهما هو الكثير والحذف فى أحب قليل . وفى اللسان (مادة حبب) : " وأنشد الفراء :

وزاده كلفا فى الحب أن منعت * وحب شيئا إلى الإنسان ما منعا

قال : وموضع «ما» رفع ، أراد حبب فأدغم " .

الشعر للأحوص . والغناء ليحيى بن واصل المكىّ ، وهو رجلٌ قليل الصَّنعة غير مشهور، ولا وجدتُ له خبراً فأذكره. ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى فى مجْراها عن إسحاق . وذكر يونس أنّ فيه لحنًا لمَعْبَد ولم يجنِّسه .

محبوبة الأحوص فى كبرها

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا مُطَرِّف ابن عبد الله المدنىّ[1] [قال] حدّثنى أبى عن جدّى قال :

بينا أطوفُ بالبيت ومعى أبى ، إذا بعجوزٍ كبيرة يضرب أحد لَحْيَيْها الآخر. فقال لى أبى : أتعرف هذه ؟ قلت : لا ، ومَنْ هى ؟ قال : هذه التى يقول فيها الأحوص :

يا سَلْمَ ليت لسانًا تَنْطِقين به * قبلَ الذى نالنى من حُبّكم قُطِعا
يلومنى فيكِ أقوامٌ أُجالسهم * فما أُبَالى أطارَ اللومُ أم وَقَعا
أدعو إلى هَجْرِها قلبى فيَتْبَعُنى * حتّى إذا قلتُ هذا صادقٌ نَزَعا

قال : فقلت له : يا أبتِ، ما أُرى أنّه كان فى هذه خيرٌ قطُّ . فضحك ثم قال : يا بُنَىّ هكذا يصنع الدهرُ بأهله .

حدّثنا به وَكيع قال حدّثنا ابن أبى سَعْد قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذر قال حدّثنا أبو خُوَيْلد[2] مطرِّف بن عبد الله المدنىّ[1] عن أبيه، ولم يقل عن جدّه، وذكر الخبر مثل الذى قبله .

(١) فى جميع الأصول : « المدلى » وهو تحريف (انظر الحاشية رقم ٢ صفحة ٢٩ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة).

(٢) كذا فى أكثر النسخ . وفى م : حدّثنا أبو خويلد عن مطرف... الخ» وليس فى ترجمة مطرف بن عبد الله أنه يكنى أبا خويلد بل كنيته أبو مصعب . وليس هناك من الرواة من يسمى أبا خويلد يروى عنه إبراهيم بن المنذر ويروى هو عن مطرف ، حتى نرجح ما فى م .

صـــوت

من المـائة المختـارة

كالبَيْض بالأُدْحِىّ يلمع فى الضُّحى * فالحُسْنُ حسنٌ والنَّعيمُ نعيمُ
حلَّيْنَ من[1] دُرِّ البُحور كأنّه * فـوق النُّحور إذا يلوح نجـومُ

الأُدْحِىّ : المواضع التى يبيض فيها النَّعام، واحدتها أُدْحِيَة[2] . وذكر أبو عمرو[3] الشَّيْبانىّ أنّ الأدحىّ البَيْضُ نفسه . ويقال فيه أُدْحِىّ وأَدَاحٍ[4] أيضا .

الشعر لطُرَيْح بن إسماعيل الثَّقَفىّ . والغناء لأبى سَعيد مولى فائد . ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه للهُذَلىّ خفيف ثقيل من رواية الهِشَامىّ . وقد سمعنا مَنْ يغنّى فيه لحنًا من خفيف الرَّمَل، ولستُ أعرف لمن هو .

---

(١) فى ء، ب : «حلين مرجان البحور» . (٢) ظاهر كلام المؤلف فى تفسير الأدحىّ أنه جمع . والذى فى لسان العرب والقاموس وشرحه : أن الأدحىّ ، والأدحية (بضم الهمزة فيهما وكسرها) والأدحوة : مبيض النعام فى الرمل ، وجمع الكل : الأداحىّ ومثلها مدحى (بوزان مسعى) .

(٣) فى ب ، س : «أبو عمر» وهو تحريف .

(٤) لعله على حذف الياء من «أفاعيل» ، وإلا لحقه «أداحىّ» .

ذكر طريح وأخباره ونسبه

نسبه

هو — فيما أخبرنى به محمد بن الحسن بن دُرَيد عن عمّه عن ٱبن الكَلْبىّ فى كتاب النسب إجازةً، وأخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبى أيُّوب المَدِينى عن ٱبن عائشة ومحمد بن سَلّام ومُصْعَب الزُّبَيرىّ، قال: — طُرَيح بن إسماعيل بن عُبَيد بن أَسِيد بن عِلَاج بن أبى سَلَمَة بن عبد العُزّى بن غِيَرَة بن عَوف بن قَسِىّ — وهو ثَقِيف — بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمَة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر.

ثقيف والخلاف فى نسبه

قال ٱبن الكَلْبىّ: ومن النسّابين مَنْ يذكُر أنّ ثَقِيفًا هو قَسِىّ بن مُنَبِّه بن النَّبِيت بن منصور بن يَقْدُم بن أَفْصَى بن دُعْمِىّ بن إيَاد بن نِزَار. ويقال: إنّ ثقيفًا كان عبدًا لأبى رِغَال، وكان أصلُه من قوم نَجَوْا من ثَمُودَ، فٱنتمى بعد ذلك إلى قَيْس. ورُوِى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرّم وجهَه: أنّه مرّ بثَقِيف، فتغامزوا به، فرجَع إليهم فقال لهم: يا عَبِيدَ أبى رِغَال، إنما كان أبوكم عبدًا له فهرَب منه، فثَقِفَه[1] بعد ذلك، ثم ٱنتمى إلى قَيْس.

وقال الحجّاج فى خُطْبة خَطَبها بالكوفة: بلَغنى أنّكم تقولون إنّ ثقيفًا من بقيّة ثمود، وَيْلَكم! وهل نجا[2] من ثَمُود إلّا خِيارُهم ومَنْ آمن بصالح فبَقِىَ معه عليه السلام! ثم قال: قال الله تعالى: ﴿وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾. فبلغ ذلك الحسنَ البصرىّ: فتضاحكَ ثم قال: حَكَمَ لُكَعُ لنفسه، إنما قال عزّ وجلّ: ﴿فَمَا أَبْقَى﴾ أى لم يُبْقِهم بل أهلكهم. فرُفِع ذلك إلى الحجّاج فطلَبه، فتوارَى عنه حتى هلَك الحجّاج. وهذا كان سببَ تَوَارِيه منه. ذكر ٱبن الكَلْبىّ أنّه بلغه عن الحسن.

(١) ثقفه: أدركه وظفر به. (٢) فى ى، ط: «وهل بقى».

وكان حمّادٌ الراوية يذكر أنّ أبا رِغَال أبو ثَقِيف كلِّها، وأنّه من بقيّة ثمود، وأنّه كان مَلِكًا بالطائف، فكان يَظلِم رعيّته . فمرّ بامرأةٍ تُرضِع صبيًّا يتيمًا بلَبَنِ عَنْزٍ لهـا، فأخذها منها ، وكانت سَنَةً مُجْدِبةً؛ فبَقِي الصبيُّ بلا مُرْضِعة[1] فمات، فرماه الله بقارِعةٍ فأهلكه ، فرجمتِ العربُ قبرَه ، وهو بين مكّة والطائف . وقيـل : بل كان قائدَ الفيل ودليـلَ الحَبَشة لـمّا غَزَوُا الكعبةَ ، فهلَك فيمن هلَك منهم، فدُفِن بين مكّة والطائف ؛ فمرّ النبيّ صـلّى الله عليه وسـلّم بقبره، فأَمَر برَجْمـه فرُجِم؛ فكان ذلك سُنّةً .

قال ٱبن الكَلْبيّ وأخبرني أبي عن أبي صالح[2] عن ٱبن عبّاس قال :

كان ثَقِيفٌ والنَّخَع من إِيَاد؛ فثَقِيفٌ قَسِيّ بن مُنَبِّه بن النَّبِيت بن يَقْـدُم بن أَقْصَى بن دعْمِيّ بن إِيَاد . والنَّخَع[3] ابنُ عمرو بن الطُّمْنان بن عبد مَنَاةَ بن يَقْدُم بن أَقْصَى ، فخرجا ومعهما عَنْزٌ لهما لَبُونٌ يشربان لبنَها ، فعرَض لهما مُصَـدِّقٌ[4] لملك اليمن فأراد أَخْذَها؛ فقالا له : إنّما نعيش بدَرِّها؛ فأبى أن يدَعها؛ فرماه أحدُهما فقتله . ثم قال لصاحبه : إنّه لا يحملني وإيّاك أرض فأمّا النَّخَعُ فمضى إلى بِيشَةَ[5] فأقام بها

---

(١) المرضع : المرأة لها ولد ترضعه ، ولا تلحقها التاء اكتفاء بتأنيثها في المعنى ؛ لأنها خاصة بالإناث كما في طالق . فاذا ألقمت الصبيّ ثديها فهي مرضعة (بالهاء) . قال أبو زيد في قوله تعالى : (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) هي التي ترضع وثديها في في ولدها . (٢) هو أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب ويقال له باذان أو باذام ، وهو الذي يروي عنه ابن الكلبي ويروي هو عن ابن عباس . (راجع تهذيب التهذيب) . (٣) في صبح الأعشى (ج ١ ص ٣٢٧) وأنساب السمعاني في الكلام على النخع : « النخع واسمه جَسْر بن عمرو بن عُلَةَ بن جَلْد بن مذحج » . وفي كتاب الاشتقاق لابن دريد : « فمن بني عُلة النخع قبيلة وأخوه جسر » . وفي كتاب المعارف لابن قتيبة : « فولد علة عمرا ، فولد عمرو جسرا وكعبا . فأما جسر فهو أبو النخع بن جسر بن عمرو » . (٤) المصدق : عامل الزكاة الذي يأخذها من أربابها .
(٥) بيشة : قرية باليمن .

ونزل القَسِيُّ موضعاً قريباً من الطائف ، فرأى جاريةً ترعَى غنماً لعامر بن الظَّرِب العَـدْوانىّ ، فطَمِع فيهـا ، وقال : أقتل الجارية ثم أَحْوِى الغنم . فأنكرتِ الجارية مَنْظَره ، فقالت له : إنى أراك تُرِيد قتلى وأَخْذَ الغنم ، وهذا شىءٌ إن فعلتَـه قتلتَ وأُخِذَتِ الغنمُ منك ، وأظنّك غريبا جائعا ؛ فدلّته على مولاها . فأتاه وآسـتجار به فزوّجه بنته ، وأقام بالطائف . فقيل : للهِ درُّه ما أثْقَفَه حين ثَقِف عامراً فأجاره . وكان قد مرّ بيهوديّة بوادى القُرَى[1] حين قُتل المصدّق ، فأعطتْه قُضْبانَ كَرْم فغرَسها بالطائف فأطعمتْه ونفعته .

قال ابن الكَلْبىّ فى خبرٍ طويلٍ ذكَره : كان قَسِيٌّ مقيماً باليمن ، فضاق عليـه موضعه ونَبا به ، فأتى الطائف ــ وهو يومئذ منازلُ فَهْم وعَدْوان آبنى عمرو بن قَيْس آبن عَيْلان ــ فانتهى إلى الظَّرِب العَـدْوانىّ ، وهو أبو عامر بن الظَّرِب ، فوجده نائمـا تحت شجرة ، فأيقظه وقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الظَّرِب . قال : علىّ أَلِيَّةٌ إن لم أقتُلْك أو تُحـالِفْنِى[2] وتُزَوِّجْنى آبنَتَك ، ففعل . وآنصرف الظَّرِب وقَسِيٌّ معه ، فلقيه آبنه عامر بن الظَّرِب فقال : مَنْ هــذا معك يا أبتِ ؟ فقصّ قِصّته . قال عامرٌ : للهِ أبوه ! لقــد ثَقِفَ أمرَه ؛ فسُمِّى يومئــذ ثَقيفًا . قال : وعُيِّر الظَّرِبُ تزويجَه[3] قَسِيًّا ، وقيل : زوّجت عبدًا . فسار إلى الكُهّان يسألهم ، فانتهى إلى شِقّ

---

(١) وادى القرى : واد بين المدينة والشام كثير القرى ، فتحه النبىّ صلى الله عليه وسلم عنوة سنة سبع من الهجرة ، ثم صالح أهله على الجزية .

(٢) كذا فى م . وفى ى ، ط : « أو تحالفنى لتزوّجنى » . وفى سائر النسخ : « أو تحلف لى لتزوّجنى » .

(٣) كذا فى ى ، ط . وفى سائر النسخ : « بتزويجه » . قال فى المصباح : « وعيرته كذا وعيرته به : قبحته عليه ونسبته اليه ، يتعدّى بنفسه و بالباء ؛ قال المرزوقى فى شرح الحماسة : « والمختار أن يتعدّى بنفسه ؛ قال الشاعر :

أعيّرتنا ألبانها ولحومها * وذلك عار يابن ريطة ظاهر » .

آبن صَعْب البَجَلِيّ[1] وكان أقربَهم منه . فلمّا آنتهى إليه قال : إنّا قد جئناك فى أمر فما هو ؟ قال : جئتم فى قَسِيّ ، وقَسِيٌّ عبد إيَاد ، أَبَقَ ليلةَ الوَاد[2] ، فى وَجٍّ[3] ذاتِ الأنداد ، فوَالَى سَعْدًا لِيُفَاد[4] ، ثم لَوَى بغير مَعَاد . (يعنى سَعْدَ بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر) . قال : ثم توجّه إلى سَطِيح الذِّئبيّ (حَىٌّ من غَسّان ، ويقال : إنهم حَىٌّ من قُضَاعة نُزولٌ فى غَسّان) ، فقال : إنّا جئناك فى أمر فما هو ؟ قال : جئتم فى قَسِيٍّ ، وقَسِيٌّ من وَلَد ثَمُودَ القديم ، ولدته أُمُّه بصَحْراء بَرِيم[5] ، فآلتقطه إيَادٌ وهو عديم ، فآستعبده وهو مُلِيم[6] . فرجع الظَّرِب وهو لا يدرى ما يصنع فى أمره ، وقد وكّد عليه فى الحِلْف والتزويج ؛ وكانوا على كُفْرهم يُوفُون بالقول . فلهذا يقول من قال : إنّ ثَقِيفًا من ثَمُودَ ؛ لأن إيادًا من ثَمود .

قال : وقد قيل : إنّ حربًا كانت بين إيَاد و بين قَيْس ، وكان رئيسُهم عامرَ آبن الظَّرِب ، فظَفِرتْ بهم قيس ، فنفتهم إلى ثمود وأنكروا أن يكونوا من نِزَار .

قال : وقال عامر بن الظَّرِب فى ذلك :

قالتْ إيَادٌ قد رأينا نَسَبَا * فى آبْنَىْ نِزَارٍ ورأينا حَلَبَا
سيرِى إيَادُ قد رأينا عَجَبَا * لا أصلُكم منّا فسامِى الطَّلَبَا
* دارَ ثَمُودٍ إذْ رأيتِ السَّبَبَا *

---

(١) كذا فى ى ، ط ، وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم ١ ص ١١٩١ — ١١٩٤) . وفى سائر الأصول : « مصعب » وهو تحريف . (٢) فى جميع الأصول : « الوادى » والوادى يكون فى الوقف بالياء و بدونها ؛ وقد حذفناها هنا للسجع ؛ لأن السجع وقف . على أنه قد يكتفى فى « الوادى » بالكسرة عن الياء . (راجع الحاشية رقم ٧ ص ٢١٥ من هذا الجزء) . (٣) وجّ : اسم واد بالطائف .
(٤) ليفاد : ليطلق . وأصله ليفادى من المفاداة ، حذف منه الحرف الأخير لالتزام السجع .
(٥) كذا فى م ، ح . وبريم : موضع بنجد وواد بالحجاز قرب مكة . وفى سائر الأصول : « تريم » بالتاء المثناة من فوق . وتريم : إحدى مدينتى حضرموت والمدينة الأخرى شبام .
(٦) ألام الرجل : فعل ما يلام عليه .

قال : وقد رُوِى عن الأعمش أنّ علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال على المنبر بالكوفة وذكر ثقيفًا :[1] لقد هممتُ أن أضَعَ على ثَقِيف الجِزْيَةَ ؛ لأنّ ثقيفا كان عبدًا لصالح نبىّ الله عليه السلام، وإنّه سرّحه إلى عاملٍ له على الصدقة، فبعَث العاملُ معه بها، فهرَب وآستوطن الحَرَمَ، وإنّ أوْلَى الناس بصالح محمد صلّى الله عليهما وسلّم ، وإنّى أُشْهِدُكم أنّى قد رددتهم إلى الرِّقّ .

قال : وبلَغنا أنّ آبن عبّاس قال، وذُكِر عنده ثَقِيف، فقال : هو قَسِىّ بن مُنَبِّه ، وكان عبدًا لآمرأةِ صالح نبىّ الله صلّى الله عليه وسلّم، وهى الهَيْجُمانة بنت سَعْد ، فوَهَبَتْه لصالح، وإنّه سرّحه إلى عاملٍ له على الصَّدَقة ؛ ثم ذكر باقىَ خبره مثلَ ما قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه . وقال فيه : إنّه مرّ برجل معه غنمٌ ومعه آبن له صغير ماتت أُمّه فهو يرضع من شاةٍ ليست فى الغنم لَبُونٌ غيرُها ، فأخذ الشاة؛ فناشده اللهَ ، وأعطاه عَشْرًا فأبَى ، فأعطاه جميعَ الغنم فأبى . فلمّا رأى ذلك تَنَحَّى ، ثم نَثَل[2] كِنانَتَه فرماه ففَلَق قلبَه؛ فقيل له : قتلتَ رسولَ رسولِ الله صالح . فأتى صالحاً فقصّ عليه قصّته؛ فقال : أبعده الله ! فقد كنتُ أنتظر هذا منه؛ فرُجِم قبرُه،[3] فإلى اليوم والليلة يُرْجَم ، وهو أبو رِغَال .

قال : وبلغنا عن عبد الله بن عبّاس أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين آنصرف من الطائف مرّ بقبر أبى رِغَال فقال : "هذا قبر أبى رِغَال وهو أبو ثقيف كان فى الحَرَم فمنعه الله عزّ وجلّ ، فلمّا خرج منه رماه الله وفيه عمودٌ من ذهب" ؛ فآبتدره المسلمون فأخرجوه .

---

(١) فى حـ : « قام » . (٢) نثل الكنانة : استخرج ما فيها من النبل .

(٣) كذا فى م . وفى سائر النسخ : « فرجم قبره إلى اليوم والليلة وهو أبو رغال » .

قال: وروى عمرو بن عُبيد عن الحسن أنه سُئل عن جُرْهُم: هل بقي منهم أحد؟ قال: ما أدرى، غير أنه لم يبق من ثمود إلا ثقيف وقيس عَيْلان، وبنو لجَأ في طيّئ، والطُّفاوة في بني أَعْصُر.

قال عمرو بن عُبيد وقال الحسن: ذُكرت القبائل عند النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقال: "قبائل تنتمى إلى العرب وليسوا من العرب حِمْير من تُبَّع وجُرْهُم من عاد وثقيف من ثمود".

قال: وروى عن قَتَادة أن رجلين جاءا الى عِمْران بن حُصَين، فقال لهما: ممن أنتما؟ قالا: من ثقيف. فقال لهما: أتزعمان أن ثقيفًا من إياد؟ قالا نعم. قال: فإن إيادًا من ثمود، فشقّ ذلك عليهما. فقال لهما: أساءكما قولى؟ قالا: نعم والله. قال: فإن الله أنجى من ثمود صالحًا والذين آمنوا معه، فأنتم إن شاء الله من ذُرّيّة مَن آمن، وإن كان أبو رِغَال قد أتى ما بلغكما. قالا له: فما اسم أبي رِغَال، فإن الناس قد اختلفوا علينا في اسمه؟ قال: قَسِيّ بن مُنَبِّه.

قال: وروى الزُّهْرِيّ أن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُحِبّ ثقيفًا، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُبْغِض الأنصار".

قال: وبلغنا عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "بنو هاشم والأنصار حِلْفان وبنو أُمَيّة وثَقِيف حِلْفان".

قال: وفي ثقيف يقول حسّان بن ثابت رضى الله تعالى عنه:

إذا الثَّقَفيّ فاخركم فقولوا ... هَلُمَّ نَعُدّ شأن أبي رِغَال

أبوكم أخبثُ الآباء قِدْمًا[1] * وأنتم مُشْبِهوه على مِثالِ
عَبِيدُ الفِزْرِ أورثهم بَنِيهِ[2] * ووَلَّى عنهمُ أُخرى الليالى

أم طريح ونسبها

وأُمُّ طُرَيْحٍ بنت عبد الله بن سِبَاع بن عبد العُزَّى بن نَضْلة بن غُبْشانَ[3] من خُزَاعةَ، وهم حُلفاء بنى زُهْرةَ بن كِلَاب بن مُرَّةَ بن كَعْب بن لُؤَىّ. وسِبَاع بن عبد العُزَّى هو الذى قتله حَمْزةُ بن عبد المطلب يوم أُحُد. ولمّا بَرَز إليه سِبَاع قال له حمزة: هَلُمَّ إلىّ يا ابنَ مُقَطِّعة البُظُور — وكانت أُمّه تَفْعَل ذلك وتَقْبَلُ[4] نساءَ قريش بمكة — فَحَمِىَ وَحْشِىٌّ[5] لقوله وغَضِب لِسِبَاع، فرَمَى حمزةَ بحربته فقتله — رحمة الله عليه — وقد كُتب ذلك فى خبر غَزَاة أُحُد فى بعض هذا الكتاب.

كنيته

ويُكْنَى طُرَيْحٌ أبا الصَّلْت، كُنِى بذلك لابنٍ كان له اسمه صَلْتٌ. وله يقول:

---

(١) ورد هذا الشطر فى ديوان حسان (ص ٣٦ طبع ليدن): * وأولاد الخبيث على مثال *

(٢) كذا فى ديوان حسان. وفى جميع الأصول: «أورثه». وورد البيت فى ديوان حسان ضمن بيتين هما:

عبيد الفزر أورثهم بنيه * وآلى لا يبيعهم بمال
وما لكرامة حبسوا ولكن * أراد هوانهم أخرى الليالى

والفزر: أبو قبيلة من تميم، وهو سعد بن زيد مناة بن تميم. (٣) كذا فى ء، ط، م، وهو الموافق لما فى السيرة (ص ٦١١ طبع أوربا). وفى سائر الأصول: «غبشان بن خزاعة» وهو تحريف، لأن غبشان هو ابن سليم بن مَلَكان بن أفصى بن خزاعة، كما فى السيرة. (٤) تقبل نساء قريش (كتفرح): تتلق أولادهن عند الولادة، وهى القابلة. (٥) يدل ما فى صحيح البخارى على أن قتل وحشىّ لحمزة إنما كان بتحريض مولاه جبير بن مطعم؛ وذلك أن حمزة — رضى الله تعالى عنه — كان قتل ببدر طعيمة بن عدىّ بن الخيار عم جبير. فقال جبير لوحشىّ: إن قتلت حمزة بعمى فأنت حرّ. فلما بارز حمزة سباعا وقتله كان وحشى متربصا له تحت صخرة، فلما دنا منه رماه بحربته فأرداه. (والخبر مذكور فى صحيح البخارى بتفصيل، فانظر فى كتاب المغازى — باب قتل حمزة رضى الله عنه).

يا صَلْتُ إنّ أباك رَهْنُ مَنِيّةٍ * مكتوبةٍ لا بُدّ أن يلقاها
سَلَفَتْ سَوالِفُها[1] بأنْفُسِ مَنْ مَضَى * وكذاك يَتْبَعُ باقيًا أُخْراها
والدّهرُ يُوشِك أن يُفرِّقَ رَيْبُه[2] * بالموت أو رِحَلٍ تَشِتُّ[3] نَواها
لا بُدَّ بينكما[4] فتُسْمِعَ دَعْوةً * أو تَستجيبَ لدعوةٍ تُدْعاها

طرح ابنه الصلت الى أخواله بعد موت أمه

٥ وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال أخبرني أبو الحسن الكاتب: أنّ أمّ الصَّلْت بن طُرَيح ماتت وهو صغير، فطَرَحه طريح إلى أخواله بعد موت أُمّه. وفيه يقول:

بات الخيالُ من الصُّلَيْت مُؤرِّقي * يَقْرِي[5] السُّراةَ مع الرَّبابِ المُلْثِقِ[6]
ما راعني إلّا بياضُ وُجَيْهِهِ * تحتَ الدُّجُنّةِ[7] كالسِّراج المُشْرِق

نشأ في دولة بني أمية وأدرك دولة بني العباس وكان مداحا للوليد بن يزيد وغضب عليه ثم رضي عنه

١٠ ونشأ طُرَيح في دولة بني أُمَيّة، وٱستفرغ شعرَه في الوليد بن يزيد، وأدرك دولة بني العباس، ومات في أيام المهديّ[8]؛ وكان الوليد له مُكرِما مُقدِّما؛ لانقطاعه إليه وخؤولته في ثَقيف[9].

فأخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أحمد بن حَمّاد[10] بن الجَميل عن العُتْبيّ عن سَهْم بن عبد الحميد قال أخبرني ١٥ طُرَيح بن إسماعيل الثَّقَفيّ قال:

(١) في ء، ط: «سوابقها». (٢) في م: «يفرق بينهم». (٣) كذا في ء، ط، م. وفي سائر النسخ: «تشب» بالباء الموحدة، وهو تصحيف. (٤) كذا في الأصول!
(٥) كذا في م. وفي سائر النسخ: «يقرى» بالقاف. (٦) الملثق: المبلّ؛ يقال: لثق الطائر اذا ابتلّ ريشه، وألثقه غيره اذا بلّه. (٧) الدجنة: الظلام. (٨) في ء، ط، م: «في أيام الهادي». (٩) في ب، س: «من». (١٠) في ط: «أحمد بن
٢٠ محمد بن الجميل». وفي ء: «أحمد بن محمد الجميل» وفي م: «أحمد بن حماد بن عبد الحميد».

خُصِصْتُ بالوليد بن يزيد حتى صِرْتُ أخلو معه . فقلت له ذاتَ يومٍ وأنا معه فى مَشْرُبَةٍ (١) : يا أمير المؤمنين، خالُك يُحِبُّ أن تعلمَ شيئا من خُلُقه. قال : وما هو ؟ قلتُ : لم أشرَبْ شرابًا قطُّ ممزوجًا إلّا من لبن أو عسل . قال : قد عرفتُ ذاك ولم يُباعِدْك من قلبي. قال: ودخلتُ يومًا إليه وعنده الأُمَويّون ، فقال لى : إلىّ يا خالى . وأقعدنى إلى جانبه ، ثم أُتِىَ بشراب فشرب . ثم ناولنى القدحَ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين قد أعلمتك رأيى فى الشراب . قال : ليس لذلك أعطيتك، إنّما دفعته إليك لتُناوله الغلام. وغضب . فرفع القوم أيديَهم كأنّ صاعقةً (٢) نزلت على الخِوان ؛ فذهبتُ أقوم ، فقال : اقعُدْ . فلمّا خلا البيت افترى علىّ . ثم قال : يا عاضَّ كذا وكذا ! أردتَ أن تفضحنى ، ولولا أنّك خالى لضربتك ألفَ سَوْط ! ثم نهى الحاجب عن إدخالى، وقطع عنّى أرزاقى . فمكثتُ ما شاء الله. ثم دخلتُ عليه يومًا متنكرا ، فلم يشعُرْ إلّا وأنا بين يديه وأنا أقول :

يا بْنَ الخلائف مالى بعد تقربةٍ ... إليك أُقْصَى وفى حاليك لى عَجَبُ

مالى أُذاذ (٣) وأُقْصَى (٤) حين أقصدُكم ... كما تُوَقَّى من ذى العُرّة (٥) الجَرِبُ

كأنّنى لم يكن بينى وبينكمُ ... إلٌّ (٦) ولا خُلّةٌ تُرْعَى ولا نَسَبُ

لو كان بالوُدّ يُدْنَى منك أزلفنى ... بقُربك الوُدّ والإشفاقُ والحَدَبُ

وكنتُ دون رجالٍ قد جعلتهم ... دونى إذا ما رأَوْنى مقبلًا (٧) قطبوا

---

(١) المشربة (بضم الراء وفتحها) : الغرفة . وفى ء، ط : « ونحن فى مشرقة » والمشرقة (مثلثة الراء) : موضع القعود فى الشمس بالشتاء . (٢) فى ء، ط ، م : « كأن صاعقة وقعت عليهم » . (٣) أذاد : أمنع وأدفع . (٤) كذا فى م . وفى ء، ط : « وأزوى » . وفى سائر النسخ : « وأنهى » . (٥) العرة : الجرب . (٦) إلّ : عهد . وخلة :

إنْ يَسْمَعُوا الخيرَ يُخْفُوهُ وإنْ سَمِعوا * شَرًّا أذاعُوا وإن لم يسمَعوا كَذَبُوا
رأَوْا صُدودَكَ عنّى فى اللقاءِ فقد * تحدَّثوا أنَّ حبلى منكَ مُنْقضِبُ
فذو الشَّماتةِ مسرورٌ بِهَيْضَتِنا * وذو النَّصيحةِ والإشفاقِ مكتئبُ

٧٨
٤

قال : فتبسّم وأمرنى بالجلوس فجلست . ورجع إلىّ وقال : إيّاك أن تُعاوِد . وتمام
٥ هذه القصيدة :

أين الذِّمامةُ والحقُّ الذى نزلتْ * بحفظه و بتعظيمٍ له الكُتُبُ
وحَوْكِىَ الشِّعْرَ أُصْفِيه وأَنْظِمُه * نظمَ القلائدِ فيها الدُّرُّ والذهبُ
وإنَّ سُخْطَكَ شىءٌ لم أُنَاجِ به * نفسى ولم يكُ مما كنتُ أكتسِبُ
لكن أتاكَ بقَوْلٍ كاذبٍ أَثِمٍ * قومٌ بَغَوْنى فنالوا فىَّ ما طلبوا
١٠ وما عَهِدْتُك فيما زَلَّ تَقْطَعُ ذا * قُرْبَى ولا تدفَعُ الحقَّ الذى يجب
ولا تَوَجَّعُ من حقٍّ تَحَمَّلُهُ * ولا تَتَبَّعُ بالتكدير ما تَهَبُ
فقد تقرّبتُ جهدًا من رِضاك بما * كانت تُنَالُ به من مثلك القُرَبُ
فغيرُ دَفْعِكَ حقِّى وارْتفاضك لى * وَطَيِّكَ الكَشْحَ عنّى كنتُ أحتسِبُ
أَشْمَتَّ بِىَ أقوامًا صُدورُهُمُ * علىَّ فيك إلى الأذقانِ تلتهبُ
١٥ قد كنتُ أحسب أنّى قد لجأتُ إلى * حِرْزٍ وألّا يَضُرّونى و إنْ أَلَبُوا[(1)]
إنّ التى صُنْتُها عن مَعْشَرٍ طَلَبوا * منّى إلىّ الذى لم يُنْجِحِ الطَّلَبُ
أخلصتُها لك إخلاصَ امرئٍ علِم الأقوامُ أنْ ليس إلّا فيك يَرْتَغِبُ
أصبحتَ تدفَعها منّى[(2)] وأعطِفُها عليكَ وَهْىَ لمن يُحْبَى بها رَغَبُ
فإنْ وصلتَ فأهلُ العُرْفِ أنت وإنْ تَدْفَعْ يَدَىَّ فلى بُقْيَا ومُنْقَلَبُ

٢٠ (1) ألبوا : تجمعوا . (2) فى حـ ، م : « عنى » .

إنّى كريمٌ كِرامٍ عشتُ فى أدبٍ * نَفَى العيوبَ ومُلْكُ الشِّيمةِ الأدبُ(1)

قد يعلَمون بأنّ العُسْرَ منقطعٌ * يومًا وأنّ الغِنَى لا بدّ منقلبُ

فالهمُّ حبسٌ فى الحقّ مرتهَنٌ(2) * مثلَ الغنائمِ تُحْوَى ثم تنتهَبُ

وما على جارِهِمْ ألّا يكونَ له * إذا تَكنّفه أبياتُهم نَشَبُ

لا يفرَحون إذا ما الدّهرُ طاوعَهم * يومًا بيُسْرٍ ولا يَشْكُون إنْ نُكِبُوا ٥

فارقتُ قومى فلم أعتَضْ بهم عِوَضًا * والدّهرُ يُحْدِثُ أحداثًا لها نُوَبُ

رواية المدائنى فى ذلك

وأمّا المدائنىّ فقال: كان الوليد بن يزيد يُكرِم طُرَيحًا، وكانت له منه منزلةٌ قريبةٌ ومكانةٌ، وكان يُدْنِى مجلسه، وجعله أوّلَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ، ولم يكن يَصْدُر إلّا عن رأيه . فاستفرغ مديحَه كلَّه وعامّة شعره فيه؛ فحسده ناسٌ من أهل بيت الوليد . وقَدِم حمّاد الراوية على التَّفِئة(3) الشأم، فشكَوْا ذلك إليه وقالوا: والله لقد ذهب طُرَيح بالأمير(4)، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار . فقال حمّاد: ابغُونى مَنْ يُنْشِد ١٠ الأمير بيتين من شعر، فأُسْقِط منزلتَه . فطلبوا إلى الخَصِىّ الذى كان يقوم على رأس الوليد، وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن يُنْشِدَهما الأمير فى خَلْوة، فإذا سأله مِنْ قولِ مَنْ ذا؟ قال: مِن قولِ طُرَيح؛ فأجابهم الخَصِىّ إلى ذلك، وعلّموه البيتين . فلمّا كان ذاتَ يوم دخل طُرَيح على الوليد وفتح البابُ وأُذِن ١٥ للناس فجلسوا طويلًا ثم نهضوا، وبَقِى طُرَيح مع الوليد وهو ولىّ عهد، ثم دعا بغدائه فتغدّيا جميعا . ثم إنّ طُرَيحا خرج وركب إلى منزله، وترك الوليدَ فى مجلسه ليس معه أحدٌ، فاستلقى على فراشه . واغتنم الخَصِىّ خَلْوتَه فاندفع يُنْشِد:

(1) ملك الشيمة: قوامها ومعظمها . (2) حبس (بضمتين): محبوس . (3) التفئة: الحين والزمان . (4) كذا فى ء ، م ، ط ، وهو الصواب؛ إذ كان الوليد فى ذلك الوقت ولىّ عهد ٢٠

سيرِى رِكابى إلى مَنْ تَسْعَدِين به • فقد أقمتِ بدار الهُون ما صَلَحَا
سِيرِى إلى سَيِّدٍ سَمْحٍ خلائقُه • ضخمِ الدَّسِيعةِ[1] قَرْمٍ يحمِل المِدَحَا

فأصغى الوليدُ إلى الحِصيّ بسَمْعه وأعاد الخَصِيّ غيرَ مرّة ؛ ثم قال الوليد : وَيْحَك يا غـلام ! مِنْ قول مَنْ هذا ؟ قال : من قول طُرَيح . فغضب الوليد حتى آمتلأ غيظا ، ثم قال : وَالَهْفَا على أُمٍّ لم تَلِدْنى ! قد جعلتُه أوّل داخلٍ وآخرَ خارجٍ ، ثم يزعُم أنّ هشامًا يحمل المِدَحَ ولا أحمِلها ! ثم قال : علىّ بالحاجب ، فأتاه . فقال : لا أعلم ما أَذِنتُ لطُرَيح ولا رأيتُــه على وجه الأرض ؛ فإن حاوَلك فآخْطَفْه بالسيف . فلمّا كان العَشِىُّ وصُلِّيتِ العصرُ ، جاء طُرَيح للساعة التى كان يُؤْذَنُ له فيها ، فدنا من الباب ليدخل . فقال له الحاجبُ : وراءَك ! فقال : مالَك ! هل دخل على ولىّ العهد أحدٌ بعدى ؟ قال : لا ! ولكن ساعة ولَّيْتَ مِن عنده دعانى فأمرنى ألّا آذَنَ لك ، و إنْ حاوَلتنى فى ذلك خَطِفْتُك بالسيف . فقال : لك عشرةُ آلاف [درهم][2] وأْذَنْ لى فى الدخول عليــه . فقال له الحاجب : والله لو أعطيتَنى خَراجَ العِراق ما أذِنتُ لك فى ذلك ، وليس لك من خير فى الدخول عليه فآرجِعْ . قال : وَيْحَكَ ! هل تعلم مَنْ دَهَانى عنده ؟ قال الحاجب : لا والله ! لقد دخلتُ عليه وما عنده أحدٌ ، ولكنّ الله يُحدِث ما يشاء فى اللّيل والنهار . قال : فرجع طُرَيح وأقام بباب الوليد سنةً لا يخلُص إليه ولا يقدِر على الدخول عليــه . وأراد الرجوع إلى بلده وقومه فقال : والله إنّ هذا لعجزٌ بى أن أرجعَ من غير أن ألقَى ولىَّ العهــد فأعلَمَ مَنْ دهانى عنده . ورأى أُناسا كانوا له أعداءً قد فرِحوا بما كان مِن أمره ، فكانوا يدخلون على الوليد

(١) الدسيعة : العطية الجزيلة ، والجفنة الواسعة ، والمائدة الكريمة .
(٢) زيادة فى ى .

ويحدّثونه ويصْـدُرُ عن رأيهم . فلم يَزَلْ يَلْطُف بالحاجب[1] ويُمَنِّيـه؛ حتى قال له الحاجب : أمّا إذْ أطلتَ المُقامَ فإنّى أكره أن تنصرف على حالك هذه، ولكنّ الأمير إذا كان يومُ كذا وكذا دخل الحَمّامَ ، ثم أَمَر بسريره فأُبْرِز ، وليس عليه يومئذ حِجَابٌ ؛ فإذا كان ذلك اليومُ أعلمتُك فتكون قـد دخلتَ عليـه وظَفِرتَ بحاجتك وأكونُ أنا على حالِ عُذْرٍ . فلمّا كان ذلك اليومُ، دخل الحَمّام وأَمَر بسريره فأُبْرِز وجلَس عليـه، وأُذِن للناس فدخلوا عليـه ، والوليـدُ ينظر إلى مَنْ أقبـل . وبعث الحاجبُ إلى طُرَيح، فأقبلَ وقد تَتَامَّ الناسُ . فلما نظر الوليد إليـه من بعيدٍ صرَف عنه وجهَه، وآستحيا أن يردّه من بين الناس؛ فدنا فسلّم فلم يَرُدّ عليه السلامَ . فقال طُريح يستعطفه ويتضرّع إليه :

نام الخَلِيُّ من الهُمومِ وبات لى ＊ ليـلٌ أُكَابِدُه وهمٌّ مُضْلِـعُ

وسَـهِرتُ لا أَسْرِى ولا فى لَذّةٍ ＊ أَرَقِى وأَغْفَـل ماَلقِيتُ الهُجّعُ

أَبغِى وجوهَ مَخارِجى من تُهْمةٍ ＊ أَزَمَتْ علىّ وسُـدَّ منهـا المَطْلَعُ

جزعًا لِمَعْتَبة الوَليدِ ولم أَكُنْ ＊ من قبلِ ذاك من الحوادث أَجْزَعُ

يا بنَ الخلائفِ إنّ سُخْطَك لآمرئٍ ＊ أمسيتَ عِصْمتَـه بلاءٌ مُفْظِعُ

فلأنزِعنّ عن الذى لم تَهْوَه ＊ إنْ كان لى ورأيتُ ذلك مَنْزَعُ

فآعْطِف فِـداك أبى علىّ تَوَسُّعًا ＊ وفضيـلةً فضـلُ الفضيـلةِ تَتْبَعُ

فلقـد كفاكَ وزادَ ما قد نالنى ＊ إن كنتَ لى ببـلاءِ ضُرٍّ تَقْنَعُ

سِمَـةٌ لذاك علىّ جِسْمٌ شاحبٌ ＊ بادٍ تَحَسُّرُه ولونٌ أَسْـفَعُ[2]

(١) فى ط ، ء : « يلطف لحاجب » . وفى أساس البلاغة : « وأنا ألطف بفلان إذا أريته مودّة ورفقا فى المعاملة » . وفى اللسان : « يقال : لطف به وله بالفتح يلطف لطفا اذا رفق به ... » .

(٢) أسفع : شاحب متغير من مقاساة المشاق .

إنْ كنتَ فى ذنبٍ عتبتَ فإنّنى * عمّا كَرِهتَ لنازِعٌ متضرّعُ
ويئستُ منك فكلُّ عُسْرٍ باسطٌ * كفاً إلىّ وكلُّ يُسْرٍ أقطعُ(١)
من بعد أخْذى من حبالك بالّذى * قد كنتُ أحسَبُ أنّه لا يُقطَعُ
فأرِبْ(٢) صنيعَك بى فإنّ بأعينٍ * للكاشحين(٣) وسَمْعِهم ما تصنعُ
أدفعتَنى حتى انقطعتُ وسُدّدتْ * عنى الوجوهُ ولم يكن لى مَدْفَعُ
ورُجيتُ وٱتّقيتُ بداىَ وقيل قد * أمسى بِضُرٍّ إذا أحبّ وينفعُ
ودخلتُ فى حَرَم الذِّمام وحاطنى * خَفَرٌ(٤) أخذتُ به وعهدٌ مُولَعُ
أفهادمٌ ما قد بنيتَ وخافضٌ * شرفى وأنت لغير ذلك أوسعُ
أفلا خَشِيتَ شَماتَ قومٍ فُتُّهم * سَبْقاً وأنفسُهم عليك تَقطَّعُ(٥)
وفَضَلتَ فى الحَسَب الأشمِّ عليهم * وصنعتَ فى الأفواهِ مالم يصنعوا
فكأنّ آنُفَهم بكلّ صنيعةٍ * أسديتَها وجميلِ فعلٍ تُجدَعُ
وَدُّوا لوَ انّهمُ ينال أكفَّهم * شَلَلٌ وأنّك عن صَنيعك تَنزِعُ
أو تَسْتَلِيمُ(٦) فيجعلونك أُسوةً * وأبى المَلامَ لك النّدى والموضعُ

قال : فقرّبه وأدناه ، وضحك إليه ، وعاد له إلى ما كان عليه .

عاتبه المنصور فى شعر مدح به الوليد فأحسن الاعتذار

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىّ قال حدّثنا عبد الله بن شَبيب قال حدّثنا محمد ابن عبد الله بن حمزة بن عُتْبة اللّهَبىّ عن أبيه :

أنّ طُرَيحاً دخل على أبى جعفر المنصور وهو فى الشّعراء ؛ فقال له : لا حيّاك الله ولا بيّاك ! أمَا اتّقيتَ الله — ويلك ! — حيث تقول للوليد بن يزيد :

(١) أقطع : مقطوع اليد . (٢) أرِبْ صنيعك : زده . (٣) كذا فى م . وفى سائر النسخ : «وسمعها» . (٤) فى م : «ما لا يصنع» . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «وجميل فعال» . (٦) تستليم : تفعل ما تستحق عليه اللوم ؛ فكأنك تطلب إلى الناس أن يلوموك .

لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك والـ * ـموج عليه كالهضْب يعتلِج

لساخ وارتدّ أو لكان له[1] * فى سائر الأرض عنك مُنعرَجُ

فقال له طُرَيح : قد علِم الله عزّ وجلّ أنى قلتُ ذاك ويدى ممدودة إليه عزّ وجلّ، وإياه تبارك وتعالى عَنيتُ . فقال المنصور : يا ربيع ، أمَا ترى هذا التخلّص !

دخل على الوليد فمدحه فطرب وأجازه

نسخت من كتاب أحمد بن الحارث مما أجاز لى أبو أحمد الجريرى[2] روايته عنه : حدّثنا المدائنى[3] :

أن الوليد جلس يوماً فى مجلس له عامّ ، ودخل إليه أهلُ بيته ومَواليه والشعراء وأصحابُ الحوائج فقضاها ، وكان أشرفَ يومٍ رُئِى له ؛ فقام بعضُ الشعراء فأنشد ، ثم وثب طُرَيح ، وهو عن يسار الوليد ، وكان أهلُ بيته عن يمينه ، وأخوالُه عن شماله وهو فيهم ، فأنشده :

صــــوت

أنت ابنُ مُسلَنطِح[3] البِطَاح ولم * تُطرَقْ[4] عليك الحُنِىُّ والوُلُجُ

طوبى لفرعِك[5] من هنا وهنا * طوبى لأعراقك التى تَشِجُ[6]

لو قلتَ للسيل دَعْ طريقك والـ * ـموج عليه كالهضْب يعتلِج[7]

لساخ وارتدّ أو لكانَ له * فى سائر الأرض عنك مُنعرَجُ

(١) فى هامش ط كتبت هذه العبارة : « الصحيح : لارتد أو ساخ أو لكان له » . وهى أيضا رواية اللسان (مادة ولج) . (٢) كذا فى حـ ، وهو الموافق لما فى الأنساب للسمعانى (ص ١٢٩) . وفى سائر الأصول : « الحريرى » بالحاء المهملة . (٣) سيشرح أبو الفرج بعد قليل هذا الشعر . (٤) فى كتاب الشعر والشعراء واللسان (مادتى ولج وسلطح) : « تعطف » وقال فى اللسان (مادة طرق) : « وأطرق جناح الطائر : لبس الريش الأعلى الريش الأسفل ، وأطرق عليه الليل ركب بعضه بعضا . وقوله : * ولم تطرق عليك الحنىّ والولج * أى لم يوضع بعضه على بعض فتراكب » . وتفسير صاحب اللسان هذا هو الذى يتفق مع معنى كلمات البيت . ومنه يعلم ما فى تفسير أبى الفرج لهذه الكلمة من بعد . (٥) فى ء ، ط : « طيبا لفرعك ... طيبا لأعراقك » . (٦) تشج : تشتبك وتلتف . (٧) يعتلج : يلتطم .

ولاؤه، وكان مغنيا وشاعرا

فطرب الوليد بن يزيد حتى رُئى الارتياح فيه. وأمر له بخمسين ألف درهم، وقال: ما أرى أحدًا منكم يجيئنى اليوم بمثل ما قال خالى، فلا يُنشدنى أحدٌ بعده شيئا؛ وأمر لسائر الشعراء بصلات وانصرفوا، واحتبس طُرَيحًا عنده، وأمر ابنَ عائشة فغنّى فى هذا الشعر.

نسبة هـــذا الصوت

أنت ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطاحِ ولم　　تُطْرَقْ عليك الحُــنِىُّ والوُلُجُ

الأبيات الأربعة. عروضه من المُنْسرِح. غنّاه ابن عائشة، ولحنه رَمَــلٌ مطلق فى مجرى الوسطى عن إسحاق.

طلب إليه المهدى أن يغنيه صوتا له فغناه غيره واعتذر عنــه

المسلنطح من البطاح: ما اتّسع واستوى سطحُه منها. وتُطرَق عليك: تُطبَق عليك وتغطّيك وتضيّق مكانك؛ يقال: طرقتِ الحادثةُ بكذا وكذا إذا أتت بأمر ضيّق مُعْضِل. والوشيج: أصول النبت؛ يقال: أعراقك واشجةٌ فى الكرم، أى نابتة فيه. قال الشاعر[1]:

وهل يُنْبِتُ الخَطِّىَّ إلّا وَشِيجُه　　وتُنْبَت إلّا فى مَغارسها النَّخْلُ[2]

يعنى أنّه كريم الأبوين من قريش وثقيف. وقد ردّد طُرَيح هذا المعنى فى الوليد، فقال فى كلمة له:

وآعتامَ[3] كَهْلَكَ من ثقيف كُفْأَه[4]　　فتنازعاك فأنت جَوْهَرُ جوهرِ

فنمتْ فروعُ القَرْيَتَيْن قُصَيُّها[5]　　وقسيُّها بك فى الأشمّ الأكبرِ

(١) هو زهير بن أبى سلمى.　(٢) فى ء، ط، م: «وتغرس إلا فى منابتها النخل».

(٣) اعتام: اختار.　(٤) كذا فى ء، ط، م. وفى سائر النسخ: «أهلك» تحريف.

(٥) قصى: أبو عدة بطون من قريش. وقسىّ (بفتح فكسر وتشديد آخره): هو ثقيف، وقد تقدّم فى أول ترجمة طريح.

والحِنْيُ : ما انخفض من الأرض ، والواحدةُ حَنْأ[1] ، والجمع حُنِيّ مثل عَصًا وعُصِيّ . والوُلُجُ : كلّ متّسع فى الوادى ، الواحدةُ وَلَجَةٌ[2] . ويقال : الوَلَجات بين الجبال مثل الرِّحاب . أى لم تكن بين الحُنِيّ ولا الوُلُج فيخفَى مكانُك . أى لستَ فى موضع خفيّ من الحسب . وقال أبو عُبيدة : سمِع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلًا يقول لآخر يفخر عليه : أنا ابن مُسْلَنطِح البِطَاح ، وابن كذا وكذا ؛ فقال له عمر : إنْ كان لك عقلٌ فلك أصلٌ ، وإن كان لك خُلُق فلك شرفٌ ، وإن كان لك تقوى فلك كَرَمٌ ، وإلّا فذاك الحمار خيرٌ منك . أحبُّكم إلينا قبل أن نراكم أحسنُكم سَمْتًا ، فإذا تكلّمتم فأبْيَنُكم منطقًا ، فإذا اختبرناكم فأحسنُكم فعلًا .

وقوله : « لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك » ، يقول : أنت مَلِكُ هذا الأبطح والمُطاع فيه ، فكلُّ مَنْ تأمره يُطيعك فيه ، حتى لو أمرتَ السّيل بالانصراف عنه لفعل لنفوذ أمرك . وإنما ضرب هذا مثلًا وجعله مبالغةً ؛ لأنّه لا شيءَ أشدّ تعذّرا من هذا وشبهه ، فإذا صرفه كان على كل شيء سواه أقدر . وقوله : « لساخ » أى لغاص فى الأرض . « وارتدّ » أى عَدَل عن طريقه ، وإن لم يجدْ إلى ذلك سبيلا كان له منعرجٌ عنك إلى سائر الأرض .

غضب الوليد على ابن عائشة لما غناه فى شعره طرب ورضى عنه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه[3] قال إسحاق وحدّثنى به الواقدىّ عن أبى الزّناد عن إبراهيم بن عطيّة :

(١) لم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا (كاللسان والقاموس وشرحه والصحاح) ما يؤيد التفسير الذى ذكره أبو الفرج لمعنى هذه الكلمة ولا لمفردها . وعبارة اللسان (فى مادة حنا) : « ... والحنو : كل شىء فيه اعوجاج أو شبه الاعوجاج كعظم الحجاج واللحى والضلع والقفّ والحقف ومنعرج الوادى ، والجمع أحناء وحُنِىّ وحِنِىّ ... » . (٢) فى اللسان (مادة ولج) : « ... ابن الأعرابى : ولَاج الوادى : معاطفه ، واحدتها وَلَجَة ، والجمع الوُلُج » . ومنه يعلم أن الوُلُج جمع الجمع لولجة .

(٣) كذا فى ى ، ط ، م . وفى سائر النسخ : « عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيه قال إسحاق الخ » . ولم نثبت هذه الزيادة لأنا لم نجد فى كتب التراجم أن إسحاق بن إبراهيم الموصلى روى عن محمد بن السائب الكلبى .

أنّ الوليد بن يزيد لمّا وَلِي الخلافةَ بعث إلى المغنّين بالمدينة ومكّة فأشخصهم إليه، وأمَرهم أن يتفرّقوا ولا يدخلوا نهارًا لئلا يُعْرَفوا، وكان إذ ذاك يتستّر فى أمره ولا يُظهره. فسبقهم ٱبنُ عائشة فدخل نهارًا وشُهِر أمْرُه، فحبسه الوليد وأمر به فقُيِّد، وأذِن للمغنّين وفيهم مَعْبَدٌ، فدخلوا عليه دَخَلات. ثم إنّه جمعهم ليلةً فغنّوا له حتى طَرِب وطابت نفسه. فلمّا رأى ذلك منه مَعْبَدٌ قال لهم: أخوكم ٱبن عائشة فيما قد علمتم، فاطلبُوا فيه. ثم قال: يا أمير المؤمنين، كيف ترى مجلسنا هذا؟ قال: حسنًا لذيذا. قال: فكيف لو رأيتَ ٱبنَ عائشة وسمعتَ ما عنده! قال: فعليّ به. فطلع ٱبنُ عائشة يرسُف فى قَيْده. فلمّا نظر إليه الوليد، اندفع ٱبن عائشة فغنّاه فى شعر طُرَيح، والصنعةُ فيه له:

أنت ٱبنُ مُسْلَنْطِح البِطَاح ولم * تُطْرَقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ

فصاح الوليد[1]: اكسِرُوا قَيْدَه وفُكّوا عنه؛ فلم يَزَل عنده أثيرًا مكرما.

غنى مسلمة بن محمد ابن هشام من شعره فذكر قومه

أخبرنى الحسن بن علىّ[2] قال حدّثنا ٱبن أبى سعد عن الحِزَامىّ عن عثمان ٱبن حَفْص عن إبراهيم بن عبد السّلام بن أبى الحارث الذى يقول له عُمَر بن أبى ربيعة:

يا أبا الحارث قلبى طائرٌ * فأْتَمِرْ[3] أمرَ رَشيدٍ مُؤْتَمَنْ

قال: والله إنّى لقاعدٌ مع مَسْلَمَةَ بن محمد بن هِشَام إذ مرّ به ٱبن جُوَان بن عُمَر ابن أبى ربيعة، وكان يغنّى؛ فقال له: اجْلِسْ يٱبنَ أخى غنّنا. فجلس فغنّى:

أنت ٱبن مُسْلَنْطِح البِطَاح ولم * تُطْرَقْ عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ

(١) كذا فى ى، م، ط. وفى سائر النسخ: «فصاح به الوليد». (٢) كذا فى ط، م، ى. وفى سائر النسخ: «الحسين بن يحيى». والمعروف أن الحسن بن علىّ يروى عن عبد الله ابن أبى سعد (انظر ص ٦٨ ج ٢ من هذا الكتاب). (٣) كذا فى ط، م، ى وفيما تقدم فى الجزء الأوّل (ص ١١٤ من هذه الطبعة). وفى سائر الأصول هنا: «فاستمع».

فقال له : يابنَ أخى، ما أنت وهذا حين تَغَنَّاه، ولا حَظَّ لك فيه ! هذا قاله طُرَيح فينا :   * إذِ النَّاسُ ناسٌ والزَّمانُ زمانُ *

ومما فى المائة الصوت المختارة من الأغانى من أشعار طُرَيح بن إسماعيل التى مدح بها الوليد بن يزيد :

صـــوت

من المائة المختارة

وَيْحِى غدًا إن غَدَا علىَّ بما * أحْذَرُ من لَوْعة الفِــراق غَدُ

وكيف صَبْرِى وقد تجاوبَ بالـ * فُرْقَةِ مِنْها الغُراب والصُّرَدُ (١)

الشعر لطُرَيح بن إسماعيل. والغناء لابن مِشْعَب الطائىّ، ولحنه المختار من الرَّمَل بالوســطى .

(١) الصرد (بضم ففتح) : طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير، جمعه صِرْدان، ويكنى بأبى كثير، ويسمى الأخطب لخضرة ظهره، والأخيل لاختلاف لونه . وهو مما يتشاءم به من الطير؛ قال الشاعر :   * فما طائرى يوما عليك بأخيلا *

ذكر ابن مِشْعَب[1] وأخباره

ابن مشعب وأصله

هو رجلٌ من أهل الطائف مولًى لثَقِيف ، وقيل : إنّه من أنفُسهم ، وانتقل إلى مكة فكان بها . وإيّاه يعني العَرْجيّ بقوله :

بِفِنَاءِ بيتِكَ وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ * فى سَامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
فتلازَمَا عنـد الفِـراق صبابةً * أَخْذَ الغَرِيمِ بفضل ثوب المُعْسِرِ ٥

كان عامة الغناء الذى ينسب إلى أهل مكة له

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

ابن مِشْعَب مُغَنٍّ من أهل الطائف ، وكان من أحسن الناس غِناءً ، وكان فى زمن ابن سُرَيج والأَعْرَج ، وعامّةُ الغناء الذى يُنْسَب إلى أهل مكة له ، وقد تفرّق غناؤه ، فنُسِب بعضه إلى ابن سُرَيج ، و بعضُه إلى الهُذَليِّين ، و بعضه الى ابن مُحْرِز .

٨٣ / ٤

قال : ومِنْ غنائه الذى يُنْسَب الى ابن مُحْرِز : ١٠

* يادارَ عاتِكَةَ التى بالأَزْهَرِ *

ومنه أيضا :

أقفـرَ ممن يَحُـلّه السَّـنَدُ[2] * فالمُنْحَنَى[3] فالعَقِيقُ فالجُمُدُ[4]

اشتهى مريض أن يغنى فى شعر العرجى الذى ورد فيه اسمه

أخبرني الحسين قال قال حمّاد وحدّثنى أبى قال :

مَرِض رجلٌ من أهل المدينة بالشأم ، فعاده جيرانُه وقالوا له : ماتشتهى ؟ ١٥ قال : أشتهى إنسانًا يَضَع فمه على أُذُنى و يُغَنِّينى فى بَيْتَي العَرْجيّ :

(١) نلاحظ أن صاحب الأغانى أقحم ترجمة ابن مشعب هذا فى وسط ترجمة طريح . ولا يحدّث عنه إلا قليلا ، ثم عاد الى حديثه عن طريح . (٢) فى معجم ما استعجم للبكرى : سند : ماء بتهامة معروف . وقال أبو بكر : سند (بفتحتين) : ماء معروف لبنى سعد . (٣) المنحنى : موضع قرب مكة ، كما فى شرح القاموس . (٤) الجمد (بضمتين) : جبل لبنى نصر بنجد ، كما فى معجم ياقوت . ٢٠

بِفناءِ بيتِك وآبنُ مِشْعَبَ حاضرٌ * فى سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
فتلازَمَا عند الفِرَاقِ صبابةً * أَخْذَ الغريمِ بفضل ثوبِ المُعْسِرِ

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأغانى

يا دارَ عاتكةَ التى بالأَزْهَرِ * أو فوقَه بقَفَا الكَثِيبِ الأحمرِ
بفناء بيتك وآبنُ مِشْعَبَ حاضرٌ * فى سامرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ ٥
فتلازمَا عند الفراق صبابةً * أَخْذَ الغريمِ بفضلِ ثوب المُعْسِرِ

الشعر للعرجىّ . والغناء لآبن مُحْرِزٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر، وذكر إسحاق أنّه لآبن مِشْعَب . وذكر حَبَش أنّ فيه لآبن المكىّ هَزَجًا خفيفًا بالبنصر .

وأمّا الصوت الآخر الذى أوّله :

* أَقفرَ ممن يَحُلُّه السَّنَدُ * ١٠

فإنّه الصوت الذى ذكرناه الذى فيه اللحن المختار ، وهو أوّلُ قصيدة طُرَيح التى منها :

وَيْحِى غدًا إنْ غدَا علىّ بما * أكره من لَوْعةِ الفِرَاقِ غدُ

وليس يُغَنَّى فيه فى زماننا هذا . وهذه القصيدة طويلة يمدح فيها طُرَيح الوليد بن يزيد ، يقول فيها :

لم يَبْقَ فيها من المَعَارِف بعـ * ـد الحَىّ إلّا الرَّمَادُ والوَتِدُ ١٥
وعَرْصةٌ نَكَّرتْ مَعالِمَها الـ * ـرِّيحُ بها مَسْجِدٌ ومُنْتَضَدُ[1]

أنشد المنصور قصيدة طريح الدالية لمدحها

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى محمد بن خَلَف القارئ قال أخبرنا هارون بن محمد، وأخبرنا به وكيع — وأظنه هو الذى كَنَى عنه يحيى بن علىّ ، فقال :

(١) منتضد : مجتمع ومقام ؛ يقال : انتضد القوم بمكان كذا إذا أقاموا به .

محمد بن خَلَف القارئ — [قال][1] حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني عليّ بن عبد الله اللّهبيّ قال حدّثنا أبي عن أبيه قال :

أُنْشِدَ المنصورُ هذه القصيدةَ، فقال للربيع : أسمعت أحدًا من الشعراء ذكر في باقي مَعالم الحيِّ المسجدَ غيرَ طُرَيح ! . وهذه القصيدة من جيّد قصائد طُرَيح . يقول فيها :

لم أنسَ سلمى ولا لياليَنا * بالحَزْن إذ عيشُنا بها رَغَدُ[2]

إذ نحن في مَيْعة الشّباب وإذْ * أيّامُنا تلك غَضّةٌ جُدُدُ

في عيشةٍ كالفِرِنْد عازبةِ الشّـ[3] * ـغوة خضراءَ غُصْنُها خَضَدُ[4]

نُحْسَدُ فيها على النّعيم وما * يُولَعُ إلّا بالنّعمة الحَسَدُ

أيّامَ سَلْمَى غَرِيرةٌ أُنُفٌ[5] * كأنّها خُوطُ بانةٍ رُودُ[6]

ويحي غدًا إنْ غدا عليّ بما * أكره من لوعة الفراق غَدُ

قد كنتُ أبكي من الفراق وحيّـ * ـانا جميعٌ ودارُنا صَدَدُ[7]

فكيف صبري وقد تجاوبَ بالـ * ـفُرقة منها الغرابُ والصُّرَدُ

دَعْ عنك سَلْمى لغير مَقْلِيَةٍ * وعُدَّ مَدْحًا بيوتُه شُرُدُ

للأفضل الأفضل الخليفة عبـ * ـد الله من دون شأوِه صُعُدُ

في وجهه النّورُ يُستبانُ كما * لاح سِرَاجُ النّهار إذ يَقِدُ

---

(١) زيادة عن ح ، م . (٢) عيش رغد (بفتح الغين وكسرها) : مخصب رفيه غزير، ومثلهما رغد (بسكون الغين) ورغيد وراغد وأرغد . (٣) عازبة الشقوة : بعيدتها . (٤) خضد (بالتحريك) : رخص . (٥) غريرة : بلهاء لصغر سنها وقلة تجاربها . وأنف : عذراء . (٦) الخوط : الغصن . والرؤد : الغصن أرطب ما يكون وأرخصه ؛ وذلك حين يكون في السنة التي نبت فيها . تشبه به الجارية الحسنة الشباب من النعمة . (٧) يقال : دار فلان صدد دار فلان وبصددها أي قبالتها .

يمضى على خير ما يقول ولا * يُخلف ميعادَه إذا يَعِد
من مَعْشر لا يَتِمّ مَنْ خذلوا * عِزًّا ولا يُسْتَذَلّ مَنْ رَفَدُوا
بِيضٌ عظامُ الحلوم حَدُّهُمُ * ماضٍ حُسامٌ وخيرهم عَتَدُ(١)
أنت إمامُ الهدى الذى أصلح الله * به الناسَ بعد ما فَسَدُوا
لمّا أتى الناسَ أنّ مُلْكَهُمُ * إليكَ قد صار أمرُه سَجَدوا
وآستبشروا بالرضا تَبَاشُرَهم * بالخُلْد لو قيل إنّكم خُلُدُ
وعَجَّ بالحمد أهلُ أرضك حـ * ـتى كاد يَهْتَزُّ فرحةً أُحُدُ
وآستقبل الناسُ عيشةً أُنُفًا * إنْ تبق فيها لهم فقد سَعِدوا
رُزِقتَ من ودّهم وطاعتهم * مالم يَجِده لِوالدٍ وَلَدُ
أثلجهمْ منك أنّهم علموا * أنك فيها وَلِيتَ مُجتهِدُ
وأنّ ما قد صنعتَ من حَسَنٍ * مِصْداقُ ما كنتَ مَرّةً تَعِدُ
ألّفتَ أهواءهمْ فأصبحتِ الأ * ضْغانُ سِلْمًا وماتتِ الحِقَدُ
كنتُ أرى أنّ ما وجدتُ من الـ * ـفَرْحة لم يلقَ مثلَه أَحَدُ
حتّى رأيت العبادَ كلَّهمُ * قد وجدوا من هواك ما أَجِدُ

صوت

قد طلب الناسُ ما بلغتَ فما * نالوا ولا قاربوا وقد جَهَدوا
يرفعك اللهُ بالتَّكرّم والـ * ـتقوى فتعلو وأنت مُقْتَصِدُ
حَسْبُ آمرئٍ من غِنًى تقرّبُه * منك وإن لم يكن له سَبَدُ(٢)
فانت أمْنٌ لمن يخاف ولله * ـمخذولِ أودى نصيرُه عَضُدُ

(١) عتد : حاضر معد . (٢) كذا فى حـ ، م . والسبد : الشعر، ويكنى به عن المال . ويقال : ماله سبد ولا لبد أى ماله شىء . وفى سائر الأصول : « سند » .

— غنّى فى هذه الأبيات الأربعة إبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر —

كلّ آمرئٍ ذى يدٍ تُعَدّ عليـ * ـه منــك معــلومة يَدٌ و يدُ[(١)]

فهم ملوكٌ مالم يَرَوْكَ فإنْ * دَاناهُمُ منـكَ مَنزِلٌ خَمَـدوا

تعروهم رِعْـدةٌ لديكَ كما * قَفْقَفَ تحت الدُّجُنّـة الصَّرِدُ[(٢)]

لا خوفَ ظُلْمٍ ولا قِلَى خُلُقٍ * إلّا جلالًا كَساكَهُ الصَّمَدُ

وأنت غَمْرُ النّدى إذا هَبَط الـ * ـزُّوّارُ أرضا تَحُلُّها حَمِـدُوا

فهم رِفاقٌ فرُفْقةٌ صَـدَرتْ * عنـكَ بغُنْمٍ ورُفْقـةٌ تَرِدُ

إنْ حالَ دهرٌ بهم فإنّك لا * تَنْفَكُّ عن حالِك الّتى عَهِدوا[(٣)]

قد صـدق اللهُ مادحيك فما * فى قـولهم فِرْيةٌ ولا فَنَـدُ

٨٥ / ٤

ذكاء جعفر بن يحيى وعلمه بالأشعار والألحان

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال حدّثنى الحسين بن يحيى قال :

سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ يحلف بالله الذى لا إلهَ إلّا هو إنه ما رأى أذكى من جعفر بن يحيى قطُّ، ولا أفطنَ، ولاأعلمَ بكلّ شىء، ولا أفصحَ لسانًا، ولا أبلغَ فى مكاتبة . قال : ولقد كنّا يومًا عند الرشيد ، فغنّى أبى لحنًا فى شعر طُرَيح بن إسماعيل، وهو :

قد طلب الناسُ ما بلغتَ فما * نالوا ولا قاربوا وقد جَهَدُوا

فآستحسن الرشيدُ اللحنَ والشعرَ وآستعاده ووصل أبى عليه . وكان اللحن فى طريقة[(٤)] خفيف الثقيل الأوّل . فقـال جعفر بن يحيى : قد والله يا سيّدى أحسنَ، ولكنّ اللحنَ مأخوذٌ من لحن الدَّلال الذى غنّاه فى شعر أبى زُبَيد :

---

(١) فى حـ : « ذى ندى » . (٢) قفقف : ارتعد من البرد . والصرد : المقرور .

(٣) فى حـ : « لم » . (٤) كذا فى ء ، ط ، م . وفى سائر النسخ : « وكان اللحن الذى فى طريقة خفيف الثقيل الخ » .

مَنْ بَرَّ العِيسَ لابنِ أروَى على ظَهـ ... ـرِ المَرَوْرَى[1] حُداتُهُنَّ عِجالُ

وأمّا الشعر فنقله طُرَيح من قول زُهَير :

سَعَى بعدَهم قومٌ لكى يُدرِكوهُمُ ... فلم يَبلُغوا[2] ولم يُلاموا ولم يألوا[3]

قال إسحاق : فعجبتُ والله من عِلْمه بالألحان والأشعار ، وإذا اللحن يُشبه لحن الدَّلال ، قال : وكذلك الشعر ، فاغتممت أنّى لم أكن فهمتُ اللحن ، وكان ذلك أشدّ علىّ من ذهاب أمر الشعر علىّ ، وأنا والله مع ذلك أُغَنِّى الصوتين وأحفظ الشعرين . قال الحسين : ولحنُ الدَّلال فى شعر أبى زُبَيْد هذا من خَفيف الثقيل أيضا .

صادف طريح أبا ورقاء فى سفر ثان فذكر له قصته مع أعرابى عاشق

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى إجازةً قال حدّثنى أبو الحسن البَلاذُرىّ أحمد ابن يحيى وأبو أيّوب المَدينىّ ، قال البَلاذُرىّ وحدّثنى الخُرمازىّ ، وقال أبو أيّوب[3] وحدّثونا عن الخُرمازىّ قال حدّثنى أبو القَعقاع سَهل[4] بن عبد الحميد عن أبى ورْقاء الخثعمىّ قال :

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . والمرورى على وزن فعلعل : جمع مَرُوراة وهى الفلاة البعيدة المستوية . (معجم ما استعجم ص ٥٢٠) . وفى حـ والشعر والشعراء (ص ١٦٧) : « المروى » . والمرّوى (بضم أوله وفتح ثانيه بعده واو مشددة مفتوحة) : موضع . (معجم ما استعجم ص ٥٢٦) .

(٢) فى ديوان زهير (طبعة دار الكتب ص ١١٤) : « فلم يفعلوا » . وفى س : « فلم يفعلوا ولم يليموا » . أى لم يأتوا ما يلامون عليه ، أو لم يلاموا ، حين لم يبلغوا منزلة هؤلاء القوم لأنها أعلى من أن تبلغ ؛ فهم معذورون فى التقصير عنها والتوقف دونها ، وهم مع ذلك لم يألوا أى لم يقصروا فى السعى بجميل الفعل .

(٣) كذا فى ء ، ط ، م . وفى سائر الأصول : « وقال أبو أيوب وحدّثنى الخرمازى ... الخ» .

(٤) فى ء ، ط : « سهيل بن عبد الحميد » .

خرجتُ من الكوفة أُريد بغداد، فلمّا صِرْتُ الى أوّل خانٍ نزلتُه، بَسط غلماننا وهيّئوا غَدَاءهم، ولم يجئ أحدٌ بعدُ، إذ رمانا الباب برجلٍ فارِهِ البِرْذَوْن[1] حَسَنِ الهيئة، فصِحْتُ بالغلمان، فأخذوا دابّته فدفعها إليهم، ودعوتُ بالغَـداء، فبسط يده غير محتشم، وجعلتُ لا أُكرمه بشيء إلا قَبِلَه . ثم جاء غلمانُه بعد ساعة فى ثَقَلٍ[2] سَرِيّ وهيئة حسنة . فتناسَبْنا[3] فإذا الرجلُ طُرَيْحُ بن إسماعيـل الثّقفيّ. فلمّا آرتحلنا آرتحلنا فى قافلةٍ عَنَّاء لا يُدْرَكُ طَرَفاها. قال : فقال لى : ما حاجتُنا إلى زِحَام الناس وليستْ بنـا إليهم وَحْشَةٌ ولا علينا خوف ! نتقـدّمهم بيوم فيخلو لـنا الطريق ونُصادف الخانات فارغةً ونُودِعُ أنفسنا إلى أن يُوافُوا. قلتُ : ذاك إليك . قال : فأصبحنا الغَدَ فنزلنا الخانَ فتغدّينا و إلى جانبنا نهرٌ ظَليل، فقال : هل لك أن نستنقع[4] فيـه؟ فقلتُ له : شأنَك. فلمّا سَرَا[5] ثيابَه إذا[6] ما بين عُصْعُصه إلى عُنقه ذاهبٌ، وفى جنبيه أمثالُ الجِرْذان. فوقع فى نفسى منه شيء[7]. فنظر إلىّ ففَطِن وتبسّم. ثم قال: قد رأيتُ ذُعْرَك ممـا رأيتَ، وحديثُ هذا إذا سِرْنا العَشِيّة إن شاء الله تعالى أُحدّثك به . قال: فلمّا ركبنا قلت: الحديثَ! قال: نعم! قَدِمتُ من عند الوليد بن يزيد بالدّنيا، وكَتب إلى يوسف بن عُمر مع فَرّاش فملأ يدَىْ أصحابى[8]. فخرجتُ أُبادر الطائف. فلمّا آمتدّ لى الطريقُ وليس يصحَبنى فيه خَلْقٌ، عَنّ لى[9] أعرابىٌّ على بعيرله، فحدّثنى، فإذا هو حسنُ الحديث، وروى لى الشِّعْرَ فإذا هو راوية، وأنشدنى لنفسه فإذا هو

(١) البِرذون الفاره : النشيط السريع السير . (٢) الثقل : متاع المسافر وحشمه . (٣) تناسبنا : ذكر كل ما نسبه . (٤) كذا فى ى ، ط . وفى سائر النسخ : « تستنقع » بالتاء فى أوّله . (٥) سرا ثيابه سروا : ألقاها عنـه مثل سرى سريا وأسرى ، والواو أعلى (أنظر اللسان مادة سرا) . (٦) فى ى ، ط ، م : « كرده » . والكرد (بالفتح) : العنق ، وقيل أصله . (٧) فى ى : ط ، م : « شر » . (٨) كذا فى ح . وفى سائر النسخ : « أصحابه » . (٩) عنّ لى : عرض لى .

شاعر. فقلت له : من أين أقبلتَ؟ قال: لا أدرى. قلت : فأين تُريد؟ فذكر قصّةً يُخبِر فيها أنه عاشق لمُرَيّة قد أفسدتْ عليه عقلَه، وستَرها عنه أهلُها[1] وجفاه أهلُه[2]، فإنمـا يستريح إلى الطريق يتحـدر مع مُنْحَدِريه ويُصْعِد مع مُصْعِديه. قلت: فأين هي؟ قال: غدًا ننزل بإزائها. فلما نزلنا أرانى ظَرِبًا[3] على يسار الطريق، فقـال لى : اترى ذلك الظَّرِبَ؟ قلت : أراه. قال : فإنها فى مَسْقطه. قال : فأدركتنى أريحيّةُ الشباب، فقلتُ : أنا والله آتيها برسالتك. قال: فخرجت وأتيت الظَّرِبَ، وإذا بيتٌ حَرِيدٌ[4]، وإذا فيه امرأةٌ جميلةٌ ظريفةٌ، فذكرتُه لها، فزفَرتْ زفرةً كادت أضلاعُها تَسَّاقَطُ. ثم قالت: أَوَحَىٌّ هو؟ قلت : نعم، تركتُه فى رَحْلِى وراء هـذا الظَّرِب، ونحن بائتون ومُصْبِحون. فقالت : يا أَبِى أرَى لك وجهًا يدلُّ على خير، فهل لك فى الأَجْر؟ فقلت : فقيرٌ والله إليه. قالت : فالبَسْ ثيـابى وكُنْ مكانى ودَعْنِى حتّى آتيه، وذلك مُغَيْرِبانَ الشمس. قلت: أفعلُ[5]. قالت: إنّك إذا أظلمتَ أتاك زوجى فى هَجْمةٍ[6] من إبله، فإذا بركتْ أتاك وقال: يا فاجرة يا هَنْتاه[7]، فيُوسِعُكَ شتمًا فأَوْسِعْه صمتًا، ثم يقول : اقْمَعِى[8] سِقاءَك، فضَعِ القِمَعَ فى هذا السِّقاء حتّى يَحْقُنَ[9] فيه، وإيّاك

(١) فى حـ : « وحدَ عليها أهلها ». وحدَ عليه : غضب عليه . (٢) فى ء، ط : «وخلعه»؛ يقال : خلع فلان ابنه إذا تبرأ منه. وكان فى الجاهلية إذا قال قائل: هذا ابنى قد خلعته، لا يؤخذ بعد بجريرته. (٣) كذا فى ب، س. والظرب : الرابية الصغيرة. وفى سائر الأصول: «ظربيا» بالتصغير. (٤) كذا فى ء، ط. والحريد : المعتزل المتنحى. وفى حديث صعصعة « فرفع لى بيت حريد » أى منتبذ متنح عن الناس. وفى م : «بيت جريد» بالجيم المعجمة. وفى سائر النسخ : «جديد» وكلاهما تحريف. (٥) كذا فى ء، ط. وفى سائر الأصول : « فقلت أفعل». (٦) الهجمة من الإبل : أولها أربعون إلى مازادت، أو ما بين السبعين إلى المائة، فإذا بلغت المائة فهى هنيدة. (٧) يا هنتاه : أى يا هذه، وقيل : يا بلهاء. وتفتح النون وتسكن، وتضم الهاء الأخيرة وتسكن. (انظر اللسان مادة هنو). (٨) قمع الإناء : وضع القمع فى فمه ليصب فيه الدهن وغيره. (٩) حقن اللبن (من باب نصر) : جمعه.

وهذا الآخَر فإنّه واهي الأسفل . قال : فجاء ففعلتُ ما أمرتني به ، ثم قال: اقْمَعي سِقاءَك ، خيَّبني الله[1] ، فتركتُ الصحيحَ وقمعتُ الواهيَ ، فما شعَر إلّا باللبن بين رجليه ، فعَمَدَ إلى رِشاءٍ[2] من قِدٍّ مَرْبوع ، فثناه باثنين فصار على ثمانِ قُوًى ، ثم جعل لا يتّقي منّي رأسًا ولا رِجْلًا ولا جَنْبًا ، فخَشِيتُ أن يبدوَ له وجهي ، فتكون الأُخرى ، فألزمتُ وجهي الأرض ، فعمِل بظَهْري ما ترى .

(١) خيبه الله : لم يوفقه للرشاد . (٢) الرشاء : الحبل . والقد : السير المقدود من الجلد . ومربوع : ذو أربع قوى .

ذكر أخبار أبى سعيد مولى فائد ونسبه

ولاؤه، وكان مغنيا وشاعرا

أبو سَعيد مولى فائد . وفائدٌ مولى عَمْرو بن عثمان بن عفّان رضى الله تعالى عنه. وذكر آبن خُرْدَاذْبَه[1] أنّ آسم أبى سعيد إبراهيم. وهو يُعْرَف فى الشعراء بآبن أبى سِنّة مولَى بنى أميّة، وفى المغنّين بأبى سعيد مولى فائد. وكان شاعرًا مُجيدا ومُغَنّيا، وناسكًا بعد ذلك، فاضلًا مقبولَ الشهادة بالمدينة مُعَدَّلا. وعُمِّر إلى خلافة الرشيد، ولقيه إبراهيم ابن المَهْدىّ و إسحاقُ الموصلىّ وذووهما. وله قصائدُ جيّاد فى مَرَاثِى بنى أُميّة الذين قتلهم عبدُ الله وداوُد آبنــا علىّ بن عبد الله بن العبّاس، يُذْكَر هاهنا فى موضعه منها ما تسوق[2] الأحاديثُ ذِكْرَه .

ب إليه المهدى يغنيه صوتا له ه غيره واعتذر عنـــه

أخبرنى علىّ بن عبد العزيز عن عُبَيْـد[3] الله بن عبد الله عن إسحاق، وأخبرنى الحسين بن يحيى عن آبن أبى الأَزْهَر عن حمّـاد عن أبيه، وأخبرنا به يحيى بن علىّ عن أخيه أحمـد بن علىّ عن عافيةَ بن شَبِيب عن أبى جعفر الأَسَدىّ عن إسحاق، قال يحيى خاصّةً فى خبره :

قال إسحـاق : حَجَجْتُ مع الرشيـد، فلمّا قَرُبتُ من مكّة استأذنته فى التقدّم فأذِنَ لى، فدخلتُ مكّة، فسألتُ عن أبى سعيد مولى فائد، فقيل لى: هو فى المسجد الحَرَام . فأتيتُ المسجد فسألتُ عنــه، فدُلِلْتُ عليه، فإذا هو قائمٌ يصلّى، فجئتُ فجلستُ قريبًا منه. فلمّا فرَغ قال لى : يا فتى، ألكَ حاجةٌ؟ قلتُ : نعم، تُغنّينى: «لقد طفتُ سبعًا». هــذه رواية يحيى بن علىّ . وأمّا البـاقون فإنّهم ذكروا عن إسحاق أنّ المَهْدىّ قال [هــذا][4] لأبى سعيد وأَمَره أن يُغَنّىَ له :

لقد طُفْتُ سبعًا قلتُ لمّـا قَضَيْتُها ⁂ ألَا ليتَ هــذا لا علَىّ ولا لِيَـا

(١) فى م : «بابن أبى شبة». (٢) كذا فى ح، م. وفى سائر الأصول: «يسوق» بالياء المثناة من تحت. (٣) فى م: «عبيد الله بن عباس». (٤) التكملة عن ء، ط.

ورفَق به وأدنى مجلسَه ، وقد كان نَسَك ، فقال : أَوَ أُغَنِّيك يا أمير المؤمنين أحسنَ منه ؟ قال : أنتَ وذاك . فغنّى[1] :

إنّ هذا الطويلَ من آلِ حَفْصٍ * نَشَرَ المَجْدَ بعد ما كان ماتَا
وبَنَاهُ على أَسَاسٍ وَثيقٍ * وعِمَادٍ قد أُثْبِتَتْ إثْبَاتَا
مثلَ ما قد بنى له أوّلُوه * وكذا يُشْبِهُ البُنَاةُ[2] البُنَاتَا

— الشعر والغناء لأبى سعيد مولى فائد — فأحسن . فقال له المهدىّ : أحسنتَ يا أبا سعيد! فغنّى «لقد طفتُ سبعاً» . قال : أَوَ أُغَنِّيك أحسنَ منه ؟ قال : أنت وذاك . فغنّاه :

قَدِم الطويلُ فأشرقتْ وآستبشرتْ * أرضُ الحجازِ وبانَ فى الأشجارِ
إنّ الطويلَ مِنَ آلِ حَفْصٍ فاعلموا * سادَ الحضورَ وساد فى الأسفارِ

فأحسنَ فيه . فقال : غَنِّى «لقد طفتُ سبعا» . قال : أَوَ أُغَنِّيك أحسنَ منه؟ قال : فَغَنِّى . فغنّاه :

أيُّها السائلُ الذى يَخْبِطُ الأر * ضَ دعِ الناسَ أجمعين ورَاكا
وأْتِ هذا الطويلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ * إنْ تخوّفتَ عَيْلةً[3] أو هلاكا

فأحسن فيه . فقال له : غَنِّى « لقد طفت سبعا » ، فقد أحسنت فيما غنّيت ، ولكنّا نُحبّ أن تُغَنِّىَ ما دعوناك إليه . فقال : لا سبيلَ إلى ذلك يا أمير المؤمنين ؛ لأنّى رأيت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فى مَنامى وفى يده شىءٌ لا أدرى ما هو ،

(١) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : «فقال» . (٢) فى ى ، ط ، م هنا وفيما يأتى :
* وكذا يشبه النبات النباتا *
(٣) فى م : «غيلة» . وفى ى ، ط : «عولة» .

وقد رفعه ليضربَنى به وهو يقول: يا أبا سعيد، لقد طفتُ سبعًا، لقد طفتُ سبعًا سبعًا طُفتُ ! ماصنعت بأُمّتى فى هذا الصوت ! فقلت له : بأبى أنت وأمى اغفر لى، فوالّذى بعثك بالحقّ واصطفاك بالنبوّة لا غنّيتُ هـذا الصوت أبدًا ؛ فردّ يده ثم قال : عفا الله عنك إذًا ! ثم انتبهتُ . وما كنتُ لأُعطِى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم شيئًا فى منامى فأرجعَ عنـه فى يَقَظَتِى . فبكى المهـدىُّ وقال : أحسنتَ يا أبا سعيدٍ أحسن الله إليك ! لا تَعُدْ فى غنائه ، وحَبَاه وكساه وأَمَر بردّه إلى الحجاز . فقال له أبو سعيد : ولكن اسمَعْه يا أميرَ المؤمنين من مَنّةَ جاريةِ البرامكة . وأظُنّ حكاية مَنْ حكى ذلك عن المهدىّ غلطًا ؛ لأن مَنَّـةَ جاريةَ البرامكة لم تكن فى أيّام المهدىّ ، وإنمـا نشأتْ وعُرِفتْ فى أيّام الرشيد .

وقـد حدّثنى أحمد بن جعفر جَحْظَةُ قال حدّثنى هِبَةُ الله بن إبراهيم بنِ المهدىّ عن أبيـه أنّه هو الذى لَقِىَ أبا سَعيدٍ مولَى فائد وجاراه هـذه القِصّة . وذكر ذلك أيضـا حَمّاد بنُ إسحاق عن إبراهيم بن المهـدىّ . وقد يجـوز أن يكون إبراهيم بن المهدىّ وإسحاق سألاه عن هذا الصوت فأجابهما فيه بمثل ما أجاب المهدىّ . وأمّا خبرُ إبراهيم بن المهدىّ خاصّةً فله معَانٍ غيرُ هذه ، والصوت الذى سأله عنه غيرُ هذا ؛ وسيُذْكَر بعد انقضاء هذه الأخبار لئلّا تنقطع .

أراده إبراهيم ابن المهدى على الذهاب إلى بغداد فأبى

وأخبرنى إسماعيل[1] بن يونس الشّيعىّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّةَ :

أنّ إبراهيمَ بنَ المهدىّ لَقِىَ أبا سَعيد مولَى فائد ؛ وذكر الخبرَ بمثل الذى قبله ، وزاد فيه : فقال له : اشْخَصْ معى إلى بغداد، فلم يفعل . فقال : ما كنت لآخذَكَ بمـا لا تُحِبّ ، ولو كان غيرُكَ لأكرهتُـه على ما أُحِبُّ ، ولكن دُلّنى على مَنْ ينوب

(١) فى ب ، س : «إسحاق» ، وهو تحريف .

عنك. فدلّه على آبن جامع، وقال له : عليك بغلام من بنى سَهْم قد أخذ عنّى وعن نُظَرائى وتخرّج، وهو كما تُحِبّ . فأخذه إبراهيم معــه فأقدمه بغدادَ؛ فهو الذى كان سببَ وروده إيّاها .

نسبة ما فى هــذه الأخبـار من الأغانى

صـــوت

من المـائة المختـارة

لقد طُفْتُ سبعًا قلتُ لمـّا قَضَيْتُها * أَلَا ليت هــذا لا علىّ ولا ليَـا

يُسَائلنى صَحْبِى فمـا أَعقِــلُ الذى * يقولون من ذِكْرِ لليــلَى اعترانيـا

عروضه من الطويل . ذكر يحيى بن علىّ أنّ الشعر والغناء لأبى سـعيد مولى فائد، وذكر غيره أنّ الشعر للجنون . ولحنُه خفيف رَمَلٍ بالبنصر وهو المختار. وذكر حبشٌ أنّ فيه لإبراهيم خفيفَ رَمَلٍ آخر . والذى ذكر يحيى بن علىّ من أنّ الشــعر لأبى سعيد مولى فائد هو الصحيح .

أخبرنى عمّى عن الكُرانىّ عن عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَمىّ أنّه أنشــده لأبى سعيد مولى فائد . قال عمّى : وأنشدنى هذا الشعر أيضا أحمد بن أبى طاهر عن أبى دِعامةَ لأبى سعيد . وبعد هذين البيتين اللّذين مَضَيا هذه الأبياتُ :

إذا جئتَ بابَ الشِّعْبِ شِعْبِ آبن عامرٍ[1] * فأقْرِئْ غزالَ الشِّعْبِ مِــنِّى سَلاميَا

وقُلْ لغــزالِ الشِّعْبِ هل أنتَ نازلٌ * بشِعْبِك أم هل يُصْبِـحُ[2] القلبَ ثاويا

لقــد زادنى الحُجّاجُ شوقًا إليكُمُ * وقــد كنتُ قبل اليومِ لِلْحَجِّ قاليـا

وما نظرتْ عيــنى إلى وجــه قادمٍ * من الحَجِّ إلّا بَلَّ دَمْـعِى رِدائيـا

(١) شعب بنى عامر : ماء أوله الأُبُلّة ، كما فى معجم ياقوت .

(٢) لعل الأوجه : « أم هل تصبح » بالخطاب .

فى البيت الأوّل من هذه الأبيات ، وهو :

* إذا جئت باب الشعب شعب ابن عامر

[لحن] لابن جامع خفيف رَمَلٍ عن الهشامىّ .

ومنها :

صـــوت

إنّ هذا الطويلَ من آل حفصٍ * نَشَر المجدَ بعد ما كان ماتا
وبناه على أساسٍ وَثيقٍ * وعِمادٍ قد أُثبِتَتْ إثباتا
مثلَ ما قد بَنَى له أوّلوه * وكذا يُشبِه البُناةَ البَناتا

عروضه من الخفيف . الشعر والغناء لأبى سعيد مولى فائد . ولحنه رَمَلٌ مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها :

صـــوت

قَدِم الطويلُ فأشرقتْ لقدومه * أرضُ الحجاز وبان فى الأشجار
إنّ الطويلَ من آل حفصٍ فاعلموا * ساد الحَضورَ وساد فى الأسفار

الشعر والغناء لأبى سعيد .

ومنها :

صـــوت

أيّها الطالب الذى يَخبِطُ الأرْ * ضَ دَعِ الناسَ أجمعين وراكا
وأْتِ هذا الطويلَ من آل حفصٍ * إن تخوّفتَ عَيْلةً أو هلاكا

عروضُه من الخفيف . الشعر لأبى سَعِيد مولى فائد، وقيل : إنّه للدّارِمىّ . والغناء لأبى سعيد خفيفُ ثقيلٍ . وفيه للدّارِمىّ ثانى ثقيل .

الطويلُ من آل حفص الذى عناه الشعراءُ فى هـذه الأشعار ، هو عبـد الله ابن عبد الحميـد بن حَفْص، وقيل : ابنُ أبى حفص بن المُغِيرة المَخزومىّ ،وكان ٥ مُمَـدَّحا .

مدحه لعبد الله بن عبد الحميد المخزومى

فأخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى إجازةً عن أبى أيّوب المَدِينىّ قال حدّثنا عَبد الرحمن آبن أخى الأصمعىّ عن عمّه :

أنّ عبد الله بن عبد الحميد المخزومىّ، كان يعطى الشعراءَ فيُجْزِل، وكان مُوسِرًا، وكان سبب يَساره ما صار إليه من أمّ سَلَمَةَ المخزوميّة آمرأة أبى العبّاس السفّاح ؛ ١٠ فإنّه تزوّجها بعده ، فصار إليه منهـا مالٌ عظيم. فكان يتسمّح به ويتفتّى[1] ويتسع فى العطايا . وكانت أمّ سلمة مائلةً إليه، فأعطته ما لا يُدْرَى ما هو، ثم إنّها اتّهمته بجاريةٍ لهـا فاحتجبتْ عنه، فلم تَعُدْ إليه حتّى مات . وكان جميل الوجه طويلا . وفيه يقول أبو سعيد مولى فائد :

إنّ هذا الطويلَ من آل حفص * نشرَ المجـدَ بعـد ما كان ماتا

١٥ وفيه يقول الدّارِمىّ :

أيُّهـا السائل الذى يَخْبِـط الأر * ض دَع النـاسَ أجمعين وراكا

وأْتِ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ * إنْ تخوّفتَ عَيْـلةً أو هلاكا

وفيه يقول الدّارمىّ أيضـا :

صـــوت

٢٠ إنّ الطـويلَ إذا حَلَلْتَ به * يومًا كفاكَ مؤونة الثّقَـلِ

(١) يتفتى : يتسخى .

— ويروى : * ابن الطويل إذا حللت به * —

وحللتَ فى دَعَةٍ وفى كَنَفٍ * رَحْبِ الفِناء ومنزلٍ سَهلِ

غنّاه ٱبنُ عبّاد الكاتب، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن ٱبن المكىّ .

غنى إبراهيم بن المهدى فى المسجد

فأمّا خبرُ إبراهيمَ بنِ المهدىّ مع أبى سَعيد مولى فائد الذى قلنا إنّه يُذْكَر هاهنا، فأخبرنى به الحسن بن علىّ قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنى القَطِرانىّ المغنّى قال حدّثنى ٱبن جَبْر قال :

سمعتُ إبراهيمَ بن المهدىّ يقول : كنت بمكّةَ فى المسجد الحرام، فإذا شيخٌ قد طلَع وقد قَلَب إحدى نعليه على الأُخرى وقام يصلّى؛ فسألتُ عنه فقيل لى : هذا أبو سعيد مولى فائد. فقلتُ لبعض الغِلْمان : احْصِبْه فحَصَبه؛ فأقبل عليه وقال : ما يظنّ أحدُكم إذا دخل المسجدَ إلّا أنّه له . فقلت للغلام : قُلْ له : يقول لك مولاى : اُغْنِنى؛ فقال ذلك له . فقال له أبو سعيد : مَنْ مولاك حفظه الله ؟ قال : مولاى إبراهيم بن المهدىّ ، فمن أنت ؟ قال : أنا أبو سعيد مولى فائد؛ وقام فجلس بين يدىّ ، وقال : لا والله — بأبى أنت وأمّى — ما عرفتُك ! فقلت : لا عليك ! أخْبِرْنى عن هذا الصوت :

أفاضَ المدامعَ قَتْلَى كُدًى[1] * وقَتْلَى بكُثْوَةَ[2] لم تُرْمَسِ

(١) كذا فى أكثر الأصول . وكُدى (بالضم والقصر) : موضع بأسفل مكة عند ذى طوى بقرب شعب الشافعيين ، وكَدى (منقوصة كفتى) : ثنية بالطائف . وفى حـ كداء (كسماء) : اسم لعرفات أو جبل بأعلى مكة . والشاعر يريد موضعا بعينه من هذه المواضع كانت به وقعة وقتل، وكل منها يحتمله وزن الشعر .

(٢) كثوة (بالضم) : موضع .

قال : هو لي . قلت : وربِّ هذه البَنِيَّة لا تَبرحُ حتى تُغَنِّيَه . قال : وربِّ هذه البنيّة لا تبرح حتى تسمعه . قال : ثم قَلَب إحدى نعليه وأخذ بعَقِب الأخرى ، وجعل يقرَع بحرفها على الأخرى و يُغَنِّيه حتى أتى عليه ، فأخذته منه . قال آبن جبر : وأخذتُه أنا من إبراهيم بن المهديّ .

90
4

ردّ محمد بن عمران القاضي شهادته ثم قبلها وصار يذهب اليه لسماعها

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدَلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني دنية المَدَنيّ[1] صاحب العبّاسة بنت المهديّ ، وكان آدبَ مَنْ قَدِم علينا من أهل الحجاز :

أنّ أبا سَعيد مولى فائد حضر مجلسَ محمد بن عِمْران التَّيْميّ قاضي المدينة لأبي جعفر ، وكان مقدِّما لأبي سعيد . فقال له آبنُ عمران التيميّ : يا أبا سعيد أنت القائل :

لقد طفتُ سبعًا قلتُ لمّا قضيتُها * ألا ليت هذا لا عَلَيَّ ولا لِيَا

فقال : إي لَعَمْرُ أبيك . و إني لأُدْمِجه إدماجًا من لؤلؤ . فردّ محمد بن عمران شهادته في ذلك المجلس . وقام أبو سعيد من مجلسه مُغْضَبًا وحلف ألّا يشهَد عنده أبدا . فأنكر أهل المدينة على آبن عِمْران ردّه شهادته ، وقالوا : عرَّضتَ حقوقَنا للتَّوَى[2] وأموالَنا للتلف ، لأنا كنّا نُشْهِد هذا الرجلَ لعلمنا بما كنتَ عليه والقضاةُ قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله . فندم آبنُ عِمْران بعد ذلك على ردّ شهادته ، ووجّه إليه يسأله[3] حضور مجلسه والشهادةَ عنده ليقضيَ بشهادته ، فامتنع ، وذكر أنه لا يقدر على

---

(١) كذا في ب ، س . وفي حـ : « دينة المدني » بتقديم الياء المثناة على النون . وقد ورد في ء ، ط هكذا . « دنيه المدني » بدون نقط . (٢) كذا في ب ، حـ ، س . والتوى (بوزان الحصى ، وقد يمدّ — كما في المصباح) . الهلاك . وفي سائر الأصول : « الثوى » بالثاء المثلثة ، وهو تصحيف .

(٣) كذا في ء ، ط . وفي سائر النسخ : « يسأله حضور الشهادة في مجلسه ليقضي بشهادته الخ » .

حضور مجلسه ليمين لزمته إن حضره حَنِثَ . قال : فكان ابنُ عمران بعد ذلك ، إذا ادّعى أحدٌ عنده شهادةَ أبي سعيد ، صار إليه إلى منزله أو مكانه من المسجد حتى يسمعَ منه ويسأله عما يشهد به فيخبره . وكان محمد بن عمران كثير اللحم ، عظيم البطن ، كبيرَ العجيزة ، صغير القدمين ، دقيق الساقين ، يشتدّ عليه المشى ، فكان كثيرا ما يقول : لقد أتعبنى هذا الصوت « لقد طفتُ سبعًا » وأضرَّ بى ضررًا طويلا شديدا ، وأنا رجل ثقال ، بتردّدى إلى أبى سعيد لأسمعَ شهادته .

ردّ المطلب بن حنطب شهادته فقال له شعرا فقبلها

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانى قال حدّثنا النَّضر بن عمرو عن الهيثم بن عدىّ قال :

كان المطّلب بن عبدالله بن حَنطَب قاضيًا على مكة ، فشهد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة ، فقال له المطّلب : [وَيْحك !][1] ألستَ الذى يقول :

لقد طفتُ سبعًا قلتُ لمّا قضيتُها * ألاَ ليت هــذا لا علىَّ ولا ليا

لا قَبِلتُ لك شهادةً أبدا . فقال له أبو سعيد : أنا والله الذى أقول :

كأنّ وُجوهَ الحَنطَبِيِّين[2] فى الدُّجى * قناديلُ تَسقيها السَّلِيطَ[3] الهياكلُ

فقال الحنطبىّ : إنّك ما علمتُك إلاّ دَبّابًا حول البيت فى الظُّلَم ، مُدْمِنًا للطّواف به فى الليل والنهار ، وقَبِل شهادته .

(١) زيادة عن م .

(٢) الحنطبيون : بطن من مخزوم ، ينسبون الى حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم القرشى الصحابى .

(٣) السليط : الزيت وكل دهن عصر من حب .

نسبة الصوت المذكور قبل هذا، الذى فى حديث إبراهيم بن المهدىّ وخبره

صوت

أفاضَ المدامعَ قتلَى كُدًى * وقتلَى بكُثْوَة لم تُرْمَسِ
وقتلَى بِوَجٍّ(1) وباللّابَتَيـ * ـن(2) من يَثْرِبٍ خيرُ ما أَنْفُسِ
وبالزّابِيَيْنِ(3) نفوسٌ ثَوَتْ * وأُخرَى بنهر أبى فُطْرُسِ(4)
أولئك قومى أناختْ بهم * نوائبُ من زَمَنٍ مُتْعِسِ
إذا رَكِبوا زيّنوا المَوْكِبَيْن * وإن جَلَسوا الزَّيْنُ فى المجلس
هُمُ أضرعونى لِرَيب الزمانِ * وهُمْ أَلْصَقُوا الرُّغْمَ(5) بالمَعْطِسِ

عروضه من المتقارب. الشعر للعَبْلىّ، واسمه عبد الله بن عُمَر(6)، ويُكْنَى أباعَدِىّ، وله أخبار تُذْكَر مفردةً فى موضعها إن شاء الله. والغناء لأبى سَعيد مولى فائد، ولحنُه من الثقيل الثانى بالسبّابة فى مجرى البِنْصر. وقصيدةُ العَبَلىّ أوّلُها :

(1) وج : اسم واد بالطائف. (2) اللابتان : تثنية لابة وهى الحرّة، وهما حرّتان تكتنفان المدينة. وفى الحديث : أن النبى صلى الله عليه وسلم حرّم ما بين لابتيها ؛ يعنى المدينة. والحرّة : أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار. (3) الزابيان : تثنية زاب، وربما قيل فيه : «زابى» (بياء فى آخره) فيثنى على «زابيين». وهو اسم لروافد كثيرة. ولعل الشاعر يريد الزاب الأعلى الذى بين الموصل وإربل. وفيه كانت وقعة بين مروان الحمار بن محمد وبنى العباس ؛ أو الزاب الأسفل وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة. وعليه كان مقتل عبيد الله بن زياد وهو من بنى أمية. (انظر معجم ياقوت).

(4) كذا فى حـ ، م . ونهر أبى فطرس : نهر قرب الرملة من أرض فلسطين على اثنى عشر ميلا من الرملة، ومخرجه من أعين فى الجبل المتصل بنابلس، ويصب فى البحر الملح بين يدى مدينتى أرسوف ويافا ؛ وبه كانت الوقعة التى بين عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس وبين بنى أمية، فقتلهم فى سنة ١٣٢ هـ. وفى سائر الأصول : «نهر أبى بطرس» بالباء الموحدة، وهو تحريف.

(5) الرغم (مثلث الراء) : التراب. والمعطس (كمجلس ومقعد) : الأنف.

(6) فى ء ، ط ، م : «عمرو». وهو تحريف.

تقـول أمامـةُ لمّا رأتْ * نُشُوزى عن المَضْجَع الأنْفَس

أنشد عبد الله بن عمر العبلي عبد الله ابن حسن شعره في رثاء قومه فبكى

نسخت من كتاب الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار، وأخبرني الأخفش عن المُبرِّد عن المُغيرة بن محمد المُهلَّبيّ عن الزُّبير عن سليمانَ بن عيّاش[1] السَّعْديّ قال:

جاء عبد الله بن عُمَر العَبْليّ[2] إلى سُوَيْقة وهو طريدُ بني العبّاس، وذلك بعَقِب[3] أيّام بني أميّة وٱبتداء خروج مُلْكهم إلى بني العبّاس، فقصَد عبدَ الله وحسناً ٱبنَي الحسن بن حَسَنٍ بسُوَيْقة، فٱستنشده عبدُ الله بن حسنٍ شيئا من شعره فأنشده، فقال له: أُريد أن تُنشِدَني شيئا مما رثيت به قومك[4]، فأنشده قولَه:

تقـول أمامـةُ لمّا رأتْ * نُشُوزى عن المَضْجَع الأنْفَس
وقِـلّةَ نَوْمى على مضجعي * لدى هَجْعـة الأعْيُن النُّعَّس
أبى ما عَرَاك؟ فقلتُ الهُموم * عَرَوْنَ[5] أباك فـلا تَبْلِسى[6]
عَرَوْنَ أباكِ فحَبَّسْنَه * من الذُّلّ فى شـرّ ما محْبِس
لفَقْـد الأحِبَّـة إذ نالهـا * سِهامٌ من الحَدَث المُبْئِس[7]
رمتْهـا المَنُـونُ بلا نُـكَّلٍ * ولا طائشـاتٍ ولا نُكَّس
بأسْهُمها المُتْلِفـات النفوس * متى ما تُصِبْ مُهْجـةً تَخْلِس
فصَرَّعَتْهُمْ فى نَواحى البـلادِ * مُلَـقًّى بأرض ولم يُرْمَس[8]

(١) كذا في س، م. وفي سائر الأصول: «عباس». (٢) سويقة: موضع قرب المدينة يسكنه آل عليّ بن أبي طالب. (٣) كذا في ى، ط. وفي سائر النسخ: «بعقب آخر أيام بني أمية الخ». (٤) في ى، ط، م: «بني أمية». (٥) في ى، ط، م: «عرين» وعراه يعريه ويعروه (من بابي ضرب ونصر): غشيه. (٦) لا تبلسي: لا تحزني. (٧) في ح: «الحدث المونس». (٨) في م: «ترمس» وصوابه: «يرمس» بالياء. والرمس والرس: الدفن. وفي الحادي عشر (ص ٢٩٨ من هذه الطبعة): فصرعاهم في نواحي البلا * د تلق بأرض ولم ترمس

تَــقِيٌّ[1] أصـيـبَ وأثــوابُه * من العَيْبِ والعارِ لم تَدْنَس
وآخرُ قـد دُسَّ فى حُفْــرةٍ * وآخرُ قــد طـار لم يُحْسَس
إذا عنّ ذِكرُهُمُ لم يَـنَمْ * أبـوك وأوْحَشَ فى المجْلِس
فــذاك الذى غالَــنى[2] فاعلمى * ولا تســألى بأمرئٍ مُتْعَس
أذلُّوا قَنَــاتِى لمن رامَهــا * وقد ألْصَقُوا الرَّغمَ بالمَعْطِس

قال : فرأيتُ عبد الله بن حسنٍ و إنّ دموعه لتجرى على خَدّه .

غنى الرشيدَ وكان مغضبا فسكن غضبه

وقد أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمـد بن الحارث الخرّاز[3] عن المدائنىّ عن إبراهيم بن رباح قال :

عُمِّر أبو سـعيد بن أبى سِنّة مولى بنى أُمَيّة وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان إلى أيّام الرشيد ؛ فلمّا حجّ أحضَره فقال : أنْشِدْنى قصيدتَك :

* تقـول أمامــةُ لمّـا رأتْ *

فاندفع فغنّاه قبل أن يُنْشِده الشعرَ لحْنَه فى أبياتٍ منها، أوّلُها :

* أفاضَ المدامعَ قَتْــلَى كُدَى *

وكان الرشـيدُ مُغْضَبا فسكَن غَضَبُه وطَرِب ، فقال : أنْشِدْنى القصيدة . فقال : يا أمير المؤمنين، كان القومُ موَالِىّ وأنعموا علىّ، فرثيتُهم[4] ولم أَهْجُ أحدًا؛ فتركه .

---

(١) فى م : « نقى » . (٢) فى ح : « عالنى » . (٣) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٧ من الجزء الثالث من هذا الكتاب . (٤) يلاحظ هنا أن أبا الفرج قد نسب قصيدة :

* تقول أمامــة لمـا رأت *

لأبى سعيد بن أبى ســنة ، مع أنه فى الخـبر الذى تقدّمه نسبها لعبد الله بن عمر العبلىّ ، وسينسبها إليه بعد أسطر ، كما نسبها إليه أيضا فى ترجمته الخاصة به فى (ج ١١ ص ٢٩٣ — ٣٠٩ من هذه الطبعة) .

كان ابن الأعرابى ينشد شعر العبلى فصحفه فرده أبو هفان

٩٢
٤

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا الخَزَنْبَل قال :

كنا عنـد ابن الأعرابى وحضر معنا أبو هِفّان[1]، فأنشدنا ابنُ الأعرابى عمن أنشده قال : قال ابنُ أبى سبة العَبَلى[2] :

أفاضَ المدامعَ قَتْـلَى كذا ... وقَتْـلَى بكبوة لم تُرْمَس

فغمز أبو هِفّان رجلاً وقال له : قُل له : مامعنى "كذا" ؟ قال : يريد كثرتهم. فلما قُمْنا قال لى أبو هِفّان : أسمعتَ إلى هذا المُعْجَب الرَّقيع ! صحَّفَ اسمَ الرجل، هو ابن أبى سنّة، فقال : ابن أبى سبَّة ؛ وصحَّف فى بيت واحدٍ موضعين. فقال : «قَتْلَى كذا» وهو كُدًى، و «قتلى بكبوة» وهو بكَثْوة. وأغاظ علىّ من هذا أنه يفسّر تصحيفَه بوجهٍ وَقاح. وهذا الشعر الذى غنّاه أبو سعيد يقوله أبو عَدِىّ عبدالله بن عُمَر العَبَلىّ فيمن قَتَله عبدُ الله بن علىّ بنهر أبى فُطْرُس وأبو العبّاس السفّاح أميرُ المؤمنين بعدهم من بنى أُميَّة. وخبرُهم والوقائع التى كانت بينهم مشهورةٌ يطول ذكْرُها جداً. ونذكر هاهنا مايُستَحْسَنُ منها.

(١) أبو هفان : كنية عبد الله بن أحمد المهزمى، كما فى معجم ياقوت فى كلامه على «كثوة».

(٢) كذا فى جميع الأصول. ويلاحظ أن «العبلى» ليس نسبة لأبى سنة، وإنما هو نسبة لأبى عدى عبد الله بن عمر صاحب هذا الشعر، كما سيذكره المؤلف فى هذا الخبر بعد قليل.

[ذكر[1] من قَتَل أبو العبّاس السفّاح من بنى أُمَيّة]

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنى مُسَبّح بن حاتم العُكْلىّ[2] قال حدّثنى الجَهْم ابن السَّبّاق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن علىّ، قال :

مقتل مروان بن محمد وظفر عبد الصمد بن على برأسه

لمّا آستمرّتِ الهزيمةُ بمَرْوان، أقام عبدُ الله بن علىّ بالرَّقّة، وأنفذ أخاه عبدَ الصمد فى طلبه فصار إلى دِمَشْق، وأتبعه جيشًا عليهم أبو إسماعيل عامرٌ الطويل من قُوّاد خُرَاسانَ، فلحقــه وقد جاز مصرَ فى قرية تُدْعَى بُوصِير[3]، فقتله، وذلك يومَ الأحد لثلاثٍ بَقِين من ذى الحِجّة، ووجّه برأسه إلى عبد الله بن علىّ، فأنفذه عبدُ الله بن علىّ إلى أبى العباس. فلمّا وُضع بين يديه خرّ لله ساجدا، ثم رفع رأسَه وقال: الحمد لله الذى أظهرنى عليك وأظفرنى بك ولم يُبْقِ ثأرى قِبَلَك وقِبَلَ رَهْطِك أعداءِ الدّين؛ ثم تمثّل قولَ ذى الإصْبَع العَدْوانىّ :

لو[4] يشرَبون دَمِى لم يُرْوِ شارِبَهم * ولا دِماؤهمُ للغَيْــظِ تُرْوِينى

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنى محمد بن يزيد قال :

أتى عبد الله بن على آبن مسلمة بن عبد الملك فأبى وقاتل حتى قتل

نظر عبــدُ الله بن علىّ إلى فتًى عليه أُبّهةُ الشَّرَف وهو يُقاتل مُسْتَنْتِلًا[5]، فناداه : يا فتى، لك الأمانُ ولو كنتَ مَرْوانَ بن محمد. فقال : إلّا أَكُنْه فلستُ بدونه. قال : فلك الأمانُ مَنْ كنتَ. فأطرقَ ثم قال :

(١) زيادة عن ب، س. (٢) فى م : «مسبح بن حاتم العتكى».

(٣) هى بوصير قوريدس من أعمال الفيوم التى قتل بها مروان المذكور، كما فى تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل (ص ١٠٧ طبع أوربا) ومعجم البلدان لياقوت فى كلامه على «بوصير». وفى كتاب ولاة مصر وقضاتها للكندى (ص ٩٦ طبع بيروت) أنه «قتل ببوصير من كورة الأشمونين يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة». وكورة الأشمونين من كور الصعيد الأدنى غربى النيل، كما فى معجم ياقوت. وفى النجوم الزاهرة (ج ١ ص ٣١٧ طبع دار الكتب المصرية) أنه قتل ببوصير بالجيزة. (٤) ورد هذا البيت فى الأمالى (ج ١ ص ٢٥٦ طبع دار الكتب المصرية) فى قصيدة ذى الإصبع العدوانىّ هكذا :

لو تشربون دمى لم يرو شاربكم * ولا دماؤكم جمعا ترويني

(٥) كذا فى س. والمستنتل : الخارج من الصف المتقدم على أصحابه. وفى سائر الأصول : «مستقتلا».

أَذَلَّ الحياةِ وكُرْهَ المَماتِ * وكُلّاً أرى لك شَرًّا وَبيلا

— ويروى : * وكُلّاً أراه طعاما وَبيلا * —

فإنْ لم يكن غيرُ إحداهما * فسَيْرًا إلى الموت سَيْرًا جَميلا

ثم قاتل حتى قُتِل . قال : فإذا هو آبنُ مَسْلَمَةَ[1] بن عبد الملك بن مَرْوان .

اجتمع عند السفاح جماعة من بنى أمية فأنشده سديف شعرا يغريه بهم فقتلهم وكتب الى عماله بقتلهم

٥

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن سَعْد الكُرَانىّ قال حدّثنى النَّضْر بن عمرو عن المُعَيْطىّ . وأخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيع قال قال أبو السائب سَلْم بن جُنَادَةَ السُّوائىّ[2] سمعتُ أبا نُعَيم الفضلَ بن دُكَيْن يقول :

دخل سُدَيْف — وهو مولًى لآل أبى لَهَب — على أبى العبّاس بالحِيرة . هكذا قال وَكِيع . وقال الكُرَانىّ فى خبره واللفظُ له : كان أبو العبّاس جالسًا فى مجلسه على سريره وبنو هاشم دونَه على الكَرَاسىّ ، وبنو أُميّة على الوسائد قد ثُنِيتْ لهم ، وكانوا فى أيّام دَوْلتهم يجلسون هم والخلفاءُ منهم على السرير ، ويجلس بنو هاشم على الكَرَاسىّ ، فدخل الحاجبُ فقال : يا أمير المؤمنين ، بالباب رجل حجازىّ أسود راكبٌ على نَجِيبٍ متلثّمٌ يستأذن ولا يُخْبِر بآسمه ، ويحلف ألّا يَحْسِرَ اللِّثام عن وجهه حتّى يراك . قال : هذا مولاى سُدَيْف ، يدخل . فدخل . فلمّا نظر إلى أبى العبّاس وبنو أُميّة حولَه ، حَدَر اللِّثام عن وجهه وأنشأ يقول[3] :

٩٣ / ٤

١٠

١٥

(١) فى النجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٥٨ طبع دار الكتب المصرية) بعد ذكر هذين البيتين : «فإذا هو ابن عبد الملك ، وقيل : آبن لمسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم» . (٢) السوائىّ (بالضم والتخفيف والمد) : نسبة إلى سُوَاءة بن عامر بن صعصعة . (٣) اتفق الكامل للمبرد (ص ٧٠٧ طبع أوربا) والعقد الفريد (ج ٢ ص ٣٥٦ طبع مصر) على أن قائل هذا الشعر هو شبل بن عبد الله مولى بنى هاشم . ويؤكد هذا الشعر نفسه ، إذ يقول فيه ، على رواية :

نِعْمَ شبلُ الهراش مولاك شبل * لو نجا من حبائل الإفلاس

وآتفقا أيضا على أن شعر سديف هو :

لا يغرّنْك ما تَرى من أُناس * إن تحت الضلوع داء دويا

فضع السيف وآرفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

وآختلفا فيمن أنشد بين يديه هذا الشعر ؛ ففى العقد الفريد أنه أبو العباس السفاح ، وفى الكامل أنه عبد الله بن علىّ .

٢٠

٢٥

أصبح المُلْكُ ثابتَ الآساسِ * بالبَهاليـل[1] من بنى العبّاسِ
بالصدورِ المُقَدَّمينَ قديمًا * والرءوس القَماقِمِ الرُّؤّاسِ[2]
يا أميرَ المُطَهَّرِينَ مِنَ الذَّمِّ * ويارأسَ منتهى كلِّ راسِ
أنت مَهْدِىُّ هاشمٍ وهُدَاها * كم أُناسٍ رَجَوْكَ بعد إياسِ[3]
لا تُقِيلَنَّ عبدَ شمسٍ عِثارًا * واقْطَعَنْ كلَّ رَقْلةٍ[4] وغِراسِ
أنزلُوها بحيث أنزلَها اللهُ * بدار الهوَانِ والإتعاسِ
خَوْفُهم أظهرَ التَّوَدُّدَ منهم * وبهم منكمُ كحَزِّ المَوَاسِى
أقْصِهم أيُّها الخليفةُ واحْسِمْ * عنك بالسيف شأفةَ الأرْجاسِ
واذْكُرَنْ[5] مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وزَيْدٍ[6] * وقتيلٍ[7] بجانبِ المِهْرَاسِ[8]
والإمامِ الذى بحَرّانَ أمسى[9] * رَهْنَ قبرٍ فى غُرْبةٍ وتَناسِى
فلقد ساءنى وساء سَوائى * قُرْبُهم من نَمارِقٍ وكَراسِى
نِعْمَ كَلْبُ[10] الهِرَاشِ مولاكَ لولا * أوْدٌ[11] من حبائل الإفلاسِ

(١) البهاليل: جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكل خير، أو هو الحيىّ الكريم. (٢) الرؤاس: الولاة والحكام. (٣) فى ى، ط: * كم أناس رجوك بعد أناس *

(٤) الرقلة: النخلة الطويلة التى تفوت اليد. (٥) فى الكامل: «واذكرا».

(٦) هو زيد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب، قتل فى أيام هشام بن عبد الملك.

(٧) كذا فى ى، ط، م. وفى سائر النسخ: «وقتيلا». ويعنى به حمزة بن عبد المطلب، قتله يوم أحد وحشىّ غلام جبير بن مطعم. (٨) المهراس فيما ذكر المبرد: ماء بأحد؛ وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم عطش يوم أحد فجاءه علىّ فى درقة بماء من المهراس، فعافه وغسل به الدم عن وجهه. قال المبرد فى الكامل: وإنما نسب شبل قتل حمزة إلى بنى أمية لأن أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد. (٩) الإمام الذى بحران: هو إبراهيم الإمام رأس الدعوة العباسية، وقد قتله مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية صبرا. (١٠) فى الكامل والعقد الفريد:

نعم شبل الهراش مولاك شبل * لو نجا من حبائل الإفلاس

(١١) الأود هنا: الكد والتعب والجهد.

فتغيّر لونُ أبى العبّاس وأخذه زَمَعٌ[1] ورِعْدة ؛ فالتفت بعضُ وَلَد سليمانَ بن عبد الملك إلى رجلٍ منهم، وكان إلى جَنْبه، فقال : قَتَلَنا والله العبدُ. ثم أقبل أبو العبّاس عليهم فقال : يا بَنى الفَوَاعل ، أرَى قَتْلاكم من أهلى قد سَلَفُوا وأنتم أحياءٌ تتلذّذون فى الدنيا ! خُذُوهم ! فأخذتْهم الخُرَاسانية بالكافر كوبات[2]، فأُهْمِدُوا، إلّا ما كان من عبد العزيز بن عُمَر بن عبد العزيز فإنّه ٱستجار بدَاوُد بن علىّ وقال له : إنّ أبى لم يكن كآبائهم وقد علمتَ صنيعتَه إليكم ؛ فأجارَه وٱستوهبه من السفّاح، وقال له : قد علمتَ يا أمير المؤمنين صنيع أبيه إلينا. فوهَبه له وقال له : لا تُرِنى وجهَه، وليكن بحيث تأمَنُه ؛ وكتب إلى عُمّاله فى النواحى بقَتْل بنى أُمَيّة .

سبب قتل السفاح لبنى أمية وتشفيه فيهم

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنى أحمد بن سعيد الدِّمَشْقىّ قال حدّثنا الزُّبير ابن بَكّار عن عمّه :

أنّ سببَ قَتْل بنى أُمَية : أنّ السفاح أُنْشِدَ قصيدةً مُدِح بها، فأقبل على بعضهم فقال : أين هذا ممّا مُدِحتم به ! فقال : هيهاتَ! لايقول والله أحدٌ فيكم مثل قول ابن قَيْس الرُّقَيّات فينا :

ما نَقَمُوا من بنى أُمَيّة إلّا أنّهم يَحْلُمون إنْ غَضِبوا
وأنّهم مَعْدِنُ المُلوك ولا * تَصْلُحُ إلّا عليهمُ العَرَبُ

فقال له : يا ماصَّ كذا من أُمّه ! أوَ إنّ الخلافةَ لَفِى نَفْسك بعدُ ! خُذُوهم ! فأُخذُوا فقُتِلوا .

بسط السفاح على قتلاهم بساطا تغدى عليه وهم يضطربون تحته

أخبرنى عمّى عن الكُرَانىّ عن النَّضْر بن عمرو عن المُعَيْطىّ :

---

(١) الزمع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان .

(٢) فى حـ : « بالكفر كوبات » . ولعله اسم أعجمى لآلات يضرب بها كالعمد وغيرها .

أن أبا العباس دعا بالغَدَاء حين قُتِلوا ، وأَمَر ببِسَاط فبُسِط عليهم ، وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته . فلمّا فرغ من الأكل قال : ما أعلمُنى أكلتُ أَكلةً قطّ أهنأَ ولا أطيَب لنفسى منها . فلمّا فرغ قال: جُرّوا بأرْجُلِهم ، فأُلقُوا فى الطريق يَلعَنُهم الناسُ أمواتاً كما لعنوهم أحياء . قال : فرأيتُ الكلابَ تجرّ بأرجُلِهم وعليهم سَرَاويلاتُ الوَشْى حتى أَنتَنوا ، ثم حُفِرتْ لهم بئرٌ فأُلْقُوا فيها .

أنشد ابن هرمة داود بن على شعرا فأوغر صدره على بعض أمويين فى مجلسه

أخبرنى عُمَر بن عبد الله بن جَمِيل العَتَكىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى محمد بن مَعْن الغِفَارىّ عن أبيه قال:

لمّا أقبل داودُ بن علىّ من مكةَ أقبل معه بنو حسنٍ جميعًا وحسينُ بن علىّ بن حسين وعلىُّ بن عُمَر[1] بن علىّ بن حسين وجعفرُ بن محمد والأَرْقَطُ محمد بن عبد الله وحسينُ بن زَيْد ومحمّدُ بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبدُ الله بن عَنْبسةَ بن سعيد ابن العاصى وعُرْوةُ وسعيدُ ابنا خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان ، فعُمِل لداوُدَ مجلسٌ بالرُّوَيْثَة[2] ، فجلس عليه هو والهاشميّون ، وجلس الأُمَوِيّون تحتهم ؛ فأنشده إبراهيم بن هَرْمَةَ قصيدةً يقول فيها .

فلا عَفَا اللهُ عن مَرْوانَ مَظلِمةً * ولا أُميّةَ بئس المجلسُ النّادى[3]

كانوا كعادٍ فأمسى اللهُ أهلكهم * بمثلِ ما أهلكَ الغاوين من عادِ

فلن يُكذِّبَنى من هاشمٍ أحدٌ * فيما أقول ولو أكثرتُ تَعْدادى

(١) كذا فى ط ، م ، وهو الموافق لما فى الطبرى (قسم ٣ ص ١٩١ طبع أوربا) . وفى : «على ابن عمرو بن على بن حسين » . وفى سائر الأصول : « على بن محمد بن على بن حسين » ، وهما تحريف .

(٢) الرويثة : موضع على ليلة من المدينة . (٣) فى ب ، س ، م : «البادى» بالباء الموحدة .

قال : فنبذ داود نحو ابن عنبسة ضحكة كالكشرة . فلما قام قال عبد الله [ابن حسن] (١) لأخيه حسن : أما رأيت ضحكته إلى ابن عنبسة! الحمد لله الذى صرفها عن أخى (٢) (يعنى العثمانىّ) . قال : فما هو إلا أن قدم (٣) المدينة حتى قتل ابن عنبسة .

استحلف عبد الله ابن حسن داود ابن على ألا يقتل أخويه محمداً والقاسم

قال محمد بن معن حدثنى محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : ٥

استحلف أخى عبد الله بن حسن داود بن علىّ، وقد حجّ معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة، بطلاق امرأته مليكة بنت داود بن حسن ألا يقتل أخويه محمداً والقاسم ابنى عبد الله . قال : فكنت أختلف إليه آمناً وهو يقتل بنى أميّة، وكان يكره أن يرانى أهل خراسان ولا يستطيع إلىّ سبيلاً ليمينه . فاستدنانى يوماً فدنوت منه ، فقال : ما أكثر الغفلة وأقلّ الحزمة! فأخبرت بها عبد الله بن حسن؛ فقال : يابن ١٠ أمّ، تغيّب عن الرجل ؛ فتغيّبت عنه حتى مات .

أنشد سديف السفاح شعرا وعنده رجال من بنى أمية فأمر بقتلهم

أخبرنى الحسن بن علىّ ومحمد بن يحيى قالا حدثنا الحارث بن أبى أسامة قال حدثنى إسماعيل بن إبراهيم عن الهيثم بن بشر مولى محمد بن علىّ قال :

أنشد سديف أبا العباس ، وعنده رجال من بنى أميّة ، قوله :

يابن عمّ النبىّ أنت ضياء * استبنا بك اليقين الجليّا ١٥

فلما بلغ قوله :

جرّد السيف وارفع العفو حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويّا

لا يغرّنك ما ترى من رجال * إنّ تحت الضلوع داءً دويّا

بطن البغض فى القديم فأضحى * ثاويًا فى قلوبهم مطويّا

٢٠ (١) زيادة عن حـ . (٢) هو أخوه لأمه ، كما ذكر ذلك فى كتب التاريخ .
(٣) فى ب ، سـ : « فما هو إلا أنه ما قدم المدينة الخ » .

وهى طويلة، قال : يا سُدَيف، خُلق الإنسان من عَجَل، ثم قال :[1]

٩٥ / ٤

أحيا الضغائنَ آباءٌ لنا سَلَفُوا ... فلن تَبِيدَ وللآباءِ أبناءُ

ثم أَمَر بمن عنده منهم فقُتِلوا .

حضر سليمان بن على جماعة من بنى أمية فأمر بقتلهم

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنى علىّ بن محمد بن سليمانَ النَّوْفَلىّ عن أبيه عن عمومته :

أنهم حضروا سليمانَ بن علىّ بالبَصْرة ، وقد حضره جماعةٌ من بنى أُمَيّةَ عليهم الثِّياب المَوْشِيّة المرتفعة، فكأنّى أنظر إلى أحدهم وقد اسودّ شيبٌ فى عارضَيْه من الغَالِية[2] ، فأَمَر بهم فقُتِلوا وجُرُّوا بأرْجُلِهم، فأُلْقُوا على الطريق ، وإنّ عليهم لَسَراوِيلاتِ الوَشْى والكِلابُ تجرّ بأرجلِهم .

وفد عمرو بن معاوية على سليمان بن على يسأله الأمان فأجابه اليه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّةَ قال حدّثنى محمد بن عبد الله بن عمرو قال أخبرنى طَارِقُ بن المُبَارَك[3] عن أبيه قال :

جاءنى رسولُ عمرو بن معاوية بن عمرو بن عُتْبَةَ، فقال لى : يقول لك عمرو : قد جاءتْ هذه الدولةُ وأنا حديث السنّ كثيرُ العِيال منتشِرُ المال، فما أكون فى قبيلة إلا شُهِرَ أَمْرِى وعُرِفتُ ، وقد اعتزمتُ على أن أَفْدِىَ حُرَمِى بنفسى، وأنا صائرٌ إلى باب الأمير سليمانَ بن علىّ، فصِرْ إلىّ . فوافيتُه فإذا عليه طَيْلَسَانٌ مُطْبَقٌ أبيضُ وسَرَاوِيلُ وَشْيٍ مسدول، فقلتُ : يا سبحانَ الله! ما تصنَع الحداثةُ بأهلها ! أبهذا اللباس تلقَى هؤلاء القومَ لِمَا تُريد لقاءَهم فيه ! فقال : لا والله، ولكنّه ليس عندى ثوبٌ إلا أَشْهَر مما ترى[4] . فأعطيتُه طَيْلَسانى وأخذتُ طيلسانَه ولَوَيْتُ سَرَاويلَه إلى

(١) فى الأصول : «فقال» . (٢) الغالية : ضرب من الطيب . (٣) فى حـ، م : «محمد بن عبد الله بن عمرو» . (٤) كذا فى ء، ط، م . وفى سائر النسخ : «إلا أشهر من هذه» .

رُكْبتيه ؛ فدخل ثم خرج مسرورا . فقلت له : حَدِّثْنى ما جرى بينك وبين الأمير .
قال : دخلتُ عليه ولم تَتراءَ قطُّ ، فقلتُ : أصلح الله الأمير! لفظتْنى البلادُ إليك ،
ودلَّنى فضلُك عليك ؛ فإمّا قتلتنى غانمًا ، وإمّا رَدَدْتَنى سالمًا . فقال : ومَنْ أنت ؟
ما أعرِفك ؛ فانتسبتُ له . فقال : مرحبًا بك ، اُقْعُدْ فتكلَّمْ آمنًا غانمًا ؛ ثم أقبل
علىّ فقال : ما حاجتك يا بن أخى ؟ فقلت : إنّ الحُرَمَ اللواتى أنت أقربُ الناس ٥
إليهنّ معنا وأولَى الناس بهنّ بعدَنا ، قد خِفْنَ لخوفنا ، ومَنْ خاف خِيفَ عليه . فوالله
ما أجابنى إلّا بدموعه على خَدَّيْه . ثم قال : يا بن أخى ، يَحْقِن اللهُ دَمَك ، ويحفظك
فى حُرَمك ، ويُوَفِّر عليك مالَك . ووالله لو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلتُ ، فكُنْ
مُتَوارِيًا كظاهر ، وآمنًا كخائف ، ولتأْتِنى رِقاعُك . قال : فكنتُ والله أكتب إليه
كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمّه . قال : فلمّا فرَغ من الحديث رددتُ عليه ١٠
طيلسانَه ؛ فقال : مَهْلًا (١) ، فإنّ ثيابنا إذا فارقتْنا لن ترجع إلينا .

شعر لسديف وتحريض السفاح على بنى أمية

أخبرنى [أحمد بن عبد الله قال حدّثنا] (٢) أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر
ابن شَبَّة قال :

قال سُدَيْف لأبى العبّاس يَحُضّه على بنى أُميّة ويذكر مَنْ قَتَل مروانُ وبنو أُميّة
من قومه : ١٥

كيف بالعفو عنهمُ وقَدِيمًا * قتلوكم وهتّكوا الحُرُماتِ
أين زيدٌ وأين يحيى بنُ زيد * يالها من مُصيبةٍ وتِراتِ
والإمامُ الذى أُصيبَ بحَرّا * نَ إمامُ الهُدَى ورأسُ الثِّقاتِ
قتلوا آلَ أحمدٍ لاعفا الذّنْـ * ـبَ لمروانَ غافرُ السَّيِّئاتِ (٣)

(١) كذا فى ى، ط، م . وفى سائر النسخ : «مه» . (٢) زيادة عن س، م . ٢٠
(٣) فى حـ :
قتلوا آل أحمد لاعفا الا * ـه لمروان سافر السيئات

شعر لرجل من شيعة بنى العباس فى التحريض على بنى أمية

٩٦
٤

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال :

أنشدنى محمد بن يزيد لرجل من شيعة بنى العبّاس يُحرّضهم على بنى أميّة

إيّاكم أن تلينوا[1] لاعتذارهم * فليس ذلك إلّا الخوف والطمع
لو أنّهم أمنوا أبدوا عداوتهم * لكنّهم قُمِعوا بالذلّ فانقمعوا
أليس فى ألف شهر قد مضت لهم * سقوكم جُرَعًا من بعدها جُرَعُ
حتّى إذا ما انقضت أيّام مُدّتهم * متّوا إليكم بالأرحام التى قطعوا
هيهات لا بدّ أن يُسقَوا بكأسهم * ريًّا وأن يحصُدوا الزرع الذى زرعوا
إنّا وإخواننا الأنصار شيعتكم * إذا تفرّقت الأهواء والشِّيَعُ
إيّاكم أن يقول الناس إنّهم * قد مُلِّكوا ثم ما ضرّوا ولا نفعوا

رواية أخرى فى تحريض سديف السفاح

وذكر ابن المعتزّ : أنّ جعفر بن إبراهيم حدّثه عن إسحاق بن منصور عن أبى الخَصيب فى قصّة سُدَيف بمثل ما ذكره الكُرانىّ عن النضر بن عمرو عن المُعَيطىّ، إلّا أنّه قال فيها :

فلمّا أنشده ذلك التفت إليه أبو الغَمْر سليمانُ بن هشام فقال : يا ماصّ بَظْر أمّه ! أتَجْبَهُنا بهذا ونحن سَرَواتُ الناس ! فغضب أبو العبّاس ؛ وكان سليمانَ بن هشام صديقَه قديمًا وحديثًا يقضى حوائجَه فى أيّامهم ويَبَرّه ؛ فلم يلتفتْ إلى ذلك، وصاح بالخُراسانيّة : خُذُوهم ؛ فقُتِلوا جميعا إلّا سليمانَ بن هشام . فأقبل عليه السفّاح فقال : يا أبا الغَمْر، ما أرى لك فى الحياة بعد هؤلاء خيرًا . قال : لا والله . فقال : اقتلوه، وكان إلى جَنْبه، فقُتِل ؛ وصُلِبوا فى بُسْتانه . حتى تأذّى جلساؤه بروائحهم، فكلّموه فى ذلك، فقال : والله لَهَذا ألذّ عندى من شمّ المِسْك والعَنْبر، غيظًا عليهم وحَنَقًا .

(١) فى حـ . «تَنِيبوا» . وفى م :
* إيّاكم أن يلينوا الأعتذاركم *

نسبة ما فى هذه الأخبار من الغناء

صــــوت

أصبح الدِّينُ[1] ثابتَ الآساسِ * بالبَهَـا لِيـلِ من بنى العبَّاسِ
بالصُّــدُورِ المُقَدَّمين قديمًـا * والرُّءوس القَـمَاقِمِ الرُّؤَّاسِ

عروضه من الخفيف ، الشـعر لسُـدَيْف . والغناء لعَطَرَّد رَمَلٌ بالبنصر عن حَبَش . قال : وفيه لحَكَمٍ الوادِى ثانى ثقيلٌ . وفيه ثقيلٌ أوّل مجهول .

ومما قاله أبو سعيد مولى فائد فى قَتْلَى بنى أُمَيَّةَ وغَنَّى فيه :

صــــوت

بكيتُ وما ذا يَرُدّ البُكَاءْ * وقَـلَّ الْبكاءُ لقَتْـلَى كَدَاءْ[2]
أُصيبوا معًـا فتولَّوا معًا * كذلك كانوا معًـا فى رَخَاءْ
بكتْ لهُم الأرضُ من بعدهم * وناحتْ عليهـم نجومُ السماءْ
وكانوا الضياءَ فلمّا آنقضى الـ * ـزَّمانُ بقومى تولَّى الضـيـاءْ

عروضه من المتقارب . الشعر والغناء لأبى سعيدٍ مولى فائد . ولحنُه من الثقيل الأوّل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة و إسحاق وغيرهما .

ومما قاله فيهم وغَنَّى فيه على أنّه قد نُسِب إلى غيره :

صــــوت

أَثَّر الدهر فى رجالى فقَـلُّوا * بعـد جَمْعٍ فراحَ عَظْمِى مَهِيضَا
ما تذكَّرتُهــم فتَمْلِك عَيْـنِى * فَيْضَ غَرْبٍ وحُقَّ لى أن تَفِيضا

(١) فى م : « أصبح الملك » ، وهى الرواية التى وردت فيا مرّ .
(٢) وردت القافية فى هذا الشعر ، فى معجم ياقوت فى الكلام على كداء ، بالقصر .

الشعر والغناء لأبى سَعيد خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكىّ والهشامىّ . و روى الشِّيعىّ عن عمر بن شبّة عن إسحاق أنّ الشعر لسُدَيف والغناءَ للغَريض. ولعلّه وَهَمٌ .

ومنها :

صـــوت

أولئك قَوْمى بعد عِزٍّ ومَنْعةٍ * تَفَانَوْا فإلّا تَذْرِفِ العينُ أَكْمَدِ
كأنّهمُ لا ناسَ للموت غيرُهم * و إن كان فيهم مُنْصِفًا غيرَ مُعْتَدِى

الشعر والغناء لأبى سَعيد . وفيه لحنٌ لمُتَيَّم .

ركب المأمون الى جبل الثلج فغناه علويه بشعر ندب فيه بنى أمية فسبه ثم كلم فيه فرضى

أخبرنى عبد الله بن الرَّبيع قال حدّثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنى عمّى طَيّاب بن إبراهيم قال :

رَكِب المأمون بدِمَشْق يتصيّد حتّى بلغ جبل الثَّلْج ، فوقف فى بعض الطريق على بِرْكة عظيمة فى جوانبها أربعُ سَرَوَاتٍ[1] لم يُرَ أحسنُ منها ولا أعْظم ، فنزل المأمونُ وجعل ينظر إلى آثار بنى أُمَيّةَ و يَعْجَب منها و يذكُرهم ، ثم دعا بطَبَقٍ عليه بَزْمَاوَرْد[2] ورِطْلِ نبيذ ، فقام عَلُّويَه فغنّى :

أولئك قَوْمى بعد عِزٍّ ومَنْعةٍ * تَفَانَوْا فإلّا تَذْرِفِ العينُ أَكْمَدِ

(١) السرو : شجر حسن الهيئة قويم الساق ، واحده سروة . (٢) البزماورد : طعام يسمى لقمة القاضى ، ونخذ الست ، ولقمة الخليفة ، وهو مصنوع من اللحم المقلى بالزبد والبيض . وفى شفاء الغليل : "زماورد" والعامة تقول : «بزماورد» : كلمة فارسية استعملتها العرب للرقاق الملفوف باللحم .

قال : فغضب المأمون وأمر برفع الطبق ، وقال : يابنَ الزانية ! ألم يكن لك وقتٌ تبكى فيه على قومك إلّا هذا الوقتَ ! قال : نعم أبكى عليهم ! مولاكم زِرْيَاب[1] يركب معهم فى مائة غلام ، وأنا مولاهم معكم أموت جوعًا ! فقام المأمون فركب وانصرف الناس ، وغضب على عَلُّويه عشرين يومًا ؛ فكلّمه فيه عبّاس أخو بَحْر ، فرضى عنه ، ووصله بعشرين ألف درهم .

صـــوت

من المائة المختارة

مَهاةٌ لَوَ انّ الذَّرَّ تَمْشِى ضِعَافُه * على مَتْنِها بَضَّتْ مَدارِجُه دَمَا[2]
فقُلْنَ لها قُومِى فدَيْنَاكِ فَارْكَبِى * فأوْمَتْ بلَا لَا غيرَ أنْ تَتَكَلَّمَا[3]

عروضه من الطويل . بَضَّتْ : سالتْ . يقول : لو مَشَى الذرُّ على جِلْدها لجرى منه الدّم من رِقّته . وروى الأصمعىُّ :

مُنَعَّمَةٌ لو يُصْبِحُ الذَّرُّ ساريًا * على مَتْنِها بَضَّتْ مَدارِجُه دَمَا

الشعر لحُمَيْد بن ثَوْر الهِلالىّ . والغناء فى اللحن المختار لفُلَيْح بن أبى العَوْراء، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى . وذكر عمرو بن بانةَ أنّ لحن فُلَيْح من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى، وأنّ الثقيل الأوّل للهُذَلىّ .

(١) زرياب : هو على بن نافع المغنى مولى المهدى ومعلم إبراهيم الموصلى ، صار الى الشأم ثم صار الى المغرب الى بنى أمية ، فقدم الأندلس على عبد الرحمن الأوسط سنة ١٣٦ هـ فركب بنفسه لتلقيه ، كما حكاه ابن خلدون . وزرياب لقب غلب عليه ببلده ، لسواد لونه مع فصاحة لسانه ، شبه بطائر أسود غرّاد . وكان شاعرا مطبوعا وأستاذا فى الموسيق . (انظر شرح القاموس مادة زرب ، وتاريخ بغداد لابن طيفورج ٦ ص ٢٨٤ طبع أوربا) . (٢) رواية عيون الأخبار (ج ٤ ص ١٤٣ طبع دار الكتب المصرية) :
* على جلدها نضّت مدارجه دما * ونضّت بالنون أيضا : سالت .

(٣) رواية عيون الأخبار : * فأومت بلالا غير ما أن تكلما *

ومما يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة :

صـــوت

إذا شئتُ غنَّتْني بأجزاع بِيشَةٍ[1] * أوِ النَّخلِ من تَثْليثَ[2] أو مِنْ يَلَمْلَما[3]

مُطَوَّقةٌ طَوْقًا وليس بِحِلْيَةٍ * ولا ضَرْبِ صَوّاغٍ بكَفَّيْهِ دِرْهَما

تُبَكِّي[4] على فَرْخٍ لها ثم تَغْتَدي * مُوَلَّهةً تَبغي له الدَّهرَ مَطْعَما

تُؤمِّل منه مُؤْنِسًا لانفرادها * وتَبْكي عليه إنْ زَقَا أو تَرَنَّما

غنّاه محمد الرَّفّ[5] خفيفَ رملٍ بالوسطى .

٩٨ / ٤

---

(١) كذا في ح ، م . وفي سائر الأصول : «بأجراع» بالراء المهملة . وقد تقدم تفسيرها في الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٨ من هذا الجزء . و بيشة : اسم قرية غنّاء في واد كثير الأهل من بلاد اليمن . (٢) تثليث (بكسر اللام و ياء ساكنة وثاء أخرى مثلثة) : موضع بالحجاز قرب مكة . (٣) كذا بالأصول . و يلملم و يقال فيه : ألملم و يرمرم : ميقات أهل اليمن ، وهو جبل على مرحلتين من مكة ، وفيه مسجد معاذ بن جبل . وورد هذا البيت في معجم البلدان لياقوت (ج ١ ص ٤٨٧) هكذا :

إن شئت غنتني بأجزاع بيشة * و بالرِّزن من تثليث أو من يبمبا

وقال : يبمبم بفتحتين بوزن غشمشم : موضع أو جبل . ولم تجتمع الباء والميم في كلمة اجتماعهما في هذه الكلمة . ورواه بعضهم يبمبم . وفي معجم ما استعجم (ص ٨٥٠) :

«إذا شئت... ... * ... ... ينبعا»

و ينبعا (بفتح أوّله وثانيه بعده نون وباء أخرى) : واد شجير قبل تثليث .

وقد ورد هذا البيت في الكامل للبرد (ص ٣٠٥ طبع أوربا) كما هنا ، وأشير في هامشه الى عدة روايات في هذا الاسم تقرب في الرسم من هذه الروايات التي ذكرناها . (٤) رواية الكامل للبرد :

مطوّقة خطباء تسجع كلما * دنا الصيف وانجال الربيع فأنجما

محلاّة طوق لم يكن من تميمة * ولا ضرب صوّاغ بكفيه درهما

وأنجم : أقلع مثل انجال . (٥) في ح : «محمد الزف» بالزاي المعجمة . (انظر ما كتبناه عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٦ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة) .

ذكر حُمَيد بن ثور ونسبه وأخباره

نسبه وطبقته فى الشعراء

هو حُمَيد بن ثَوْر بن عبد الله بن عامر بن أبى ربيعة بن نَهِيك بن هِلال بن عامر بن صَعْصَعة بن مُعاوية بن بَكْر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزَار . وهو من شعراء الإسلام . وقرنه ابن سلّام بِنَهْشَل ابن حَرِّىّ وأَوْس بن مَغْرَاء[1] . وقد أدرك حُمَيد بن ثور عُمَر بن الخطّاب رضى الله عنه ، وقال الشعر فى أيّامه . وقد أدرك الجاهليّة أيضا .

هو مخضرم أدرك عمر بن الخطاب

نهى عمر الشعراء عن التشبيب فقال شعرا

أخبرنا وَكِيع قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد وعبد الله بن شَبِيب قالا حدّثنا إبراهيم بن المُنْذِر الحِزَامىّ قال حدّثنى محمد بن فَضَالة النحوىّ قال :

تقدّم عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الشعراء ألّا يُشَبِّب أحدٌ بامرأة إلّا جَلَده . فقال حميد بن ثور[2] :

أَبَى اللهُ إلّا أنّ سَرْحَةَ[3] مالكٍ * على كُلِّ أفنانِ العِضَاهِ[4] تَرُوقُ[5]

فقد ذهبتْ عَرْضًا ومافوق طُولها * من السَّرْحِ إلّا عَشَّةٌ وسَحُوقُ

— العَشّة : القليلة الأغصان والورق . والسَّحوق : الطويلة المفرطة —

(١) عدّه ابن سلام فى الطبقة الثالثة من الشعراء الإسلاميين . أما حميد بن ثور ونهشل بن حَرِّىّ فقد عدّهما فى الطبقة الرابعة من الشعراء الإسلاميين . (راجع طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى ص ١٢٩ ، ١٣٠ طبع أوروبا) . (٢) فى م : « فقال حميد بن ثور وكانت له صحبة فذكر شعرا فيه » .
(٣) السرحة : الشجرة الطويلة ، ويكنى الشعراء بها عن المرأة . (٤) العضاهة بالكسر : أعظم الشجر أو كل ذات شوك أو ما عظم منها وطال ، كالعضَه كعنب والعِضَهة كعنبة ، والجمع : عضاه وعضون وعضوات . (٥) أى تزيد عليها بحسنها وبهائها ؛ من قولهم : راق فلان على فلان اذا زاد عليه فضلا .

فلا الظِّلُّ[1] مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تستَطِيعُه[2] * ولا الفَيْءَ من بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوقُ

فهَل أنا إنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بِسَرْحةٍ * مِنَ السَّرْحِ موجودٌ[3] علَيَّ طريقُ

وهي قصيدة طويلة أوّلها :

نأتْ أُمُّ عَمْرٍ فالفُؤادُ مَشُوقُ * يَحِنُّ إليها والِهًا ويَتُوقُ

صوت

وفيها مما يُغَنَّى فيه :

سَقَى السَّرْحَةَ المِحْلالَ[4] والأَبْرَقَ[5] الذي * به السَّرْحُ غيثٌ دائمٌ وبُرُوقُ

وهل أنا إنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بِسَرْحةٍ * مِنَ السَّرْحِ موجودٌ علَيَّ طريقُ

غنّاه إسحاق ، ولحنُه ثاني ثقيلٍ [بالوسطى][6] .

وفد على بعض خلفاء بني أمية بشعر فوصله

أخبرنا الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَير عن عَمِّه قال :

وَفَدَ حُمَيْد بن ثَوْر على بعض خُلَفاء بني أُمَيَّة ، فقال له : ما جاء بك؟ فقال :

أتاكَ بِيَ اللهُ الذي فوقَ مَنْ تَرَى * وخيرٌ ومعروفٌ عليك دليلُ

---

(١) الظل : ما كان أوّل النهار الى الزوال . والفيء : ما كان بعد الزوال الى الليل . فالظل غربيّ تنسخه الشمس ، والفيء شرقيّ ينسخ الشمس . والبرد : من معانيه الظل والفيء . يقال : البردان والأبردان للظل والفيء ، وأيضا للغداة والعشيّ . وظاهر الكلام يقتضى أن يكون المراد من «البرد» في الموضعين هنا : الظل والفيء ، على أن تكون «من» بيانية . (٢) في معجم البلدان لياقوت في الكلام على سرحة : « تستظله » . (٣) في الاقتضاب للبطليوسى (ص ٤٥٩) : « مأخوذ عليّ » . وفي كنايات الجرجاني (ص ٧) : « مسدود عليّ » . وكل مستقيم المعنى .

(٤) المحلال : التي يكثر الناس الحلول بها . قال بن سيده : وعندى أنها تحل الناس كثيرا ؛ لأن مفعالا إنما هي في معنى فاعل لا في معنى مفعول . (٥) الأبرق : أرض غليظة واسعة مختلطة بحجارة ورمل . والمراد به هنا موضع بعينه . (٦) زيادة عن س ، م .

وَمَطْوِيَّةُ الأَقْرَابِ[1] أمّا نهارُها * فَنَصٌّ[2] وأمّا ليلُها فذَمِيلُ

ويَطْوِى علىَّ اللَّيْلَ حِضْنَيْهِ إنّنى * لذاك إذا هاب الرجالُ فَعُولُ

فوصله وصرفه شاكرا .

---

(١) الأقراب : جمع قرب (بالضم وبضمتين) وهو الخاصرة، وقيل : القرب من لدن الشاكلة الى مراقّ البطن . وفى التهذيب : فرس لاحق الأقراب، يجمعونه وإنما له قربان لسعته ؛ كما يقال : شاة ضخمة الخواصر، وإنما لها خاصرتان . (انظر اللسان مادة قرب) . (٢) كذا فى أكثر الأصول . والنص : أقصى السير . والذميل : السير اللين . وفى ى، ط : « فَسَبْتٌ » . والسبت : ضرب من سير للإبل .

أخبار فُلَيْح بن أبي العَوْراء

هو مولى بني مخزوم وأحد مغني الدولة العباسية

فُلَيْحٌ رجل من أهل مكة، مولًى لبني مخزوم، ولم يقع إلينا اسمُ أبيه . وهو أحد مغنِّي الدولة العبّاسيّة، له محلٌّ كبير من صناعته، وموضعٌ جليل . وكان إسحاق إذا عدّ مَنْ سَمِع من المُحْسنين ذكره فيهم وبدأ به . وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائةَ الصوتِ للرشيد .

مدح إسحاق الموصلي غناءه

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَةُ قال حدّثني ٱبن المكّيّ عن أبيه عن إسحاق قال: ما سمعتُ أحسنَ غناءً من فُلَيْح بن أبي العَوْراء وٱبنِ جامع. فقلتُ له: فأبو إسحاق؟ (يعني أباه)، فقال: كان هذان لا يُحْسنان غيرَ الغناء، وكان أبو إسحاق فيه مثلَهما، ويزيد عليهما فنونًا من الأدب والرواية لا يُداخلانه فيها .

٩٩ / ٤

كان يحكي الأوائل فيصيب ويحسن

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المُهَلَّبيّ[1] قال: قال لي إسحاق: أحسنُ مَنْ سمعتُ غناءً عَطَرَّد وفُلَيْح .

وكان[2] فليح أحد الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيّامه، وهو أحدُ مَنْ كان يَحكي الأوائلَ فيُصيب ويُحسن .

أمره الرشيد بتعليم ابن صدقة صوتا له

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني محمد بن محمد العَنْبَسيّ قال حدّثني محمد بن الوَليد الزُّبَيريّ قال:

---

(١) كذا في ء، ط، م . وفي سائر النسخ: «محمد بن يزيد المهلبي» وهو خطأ .

(٢) في س، م، حـ، زيادة قبل هذا الخبر هي: «وقال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: كان فليح أحد الموصوفين... الخ» .

سمعتُ كَثيرَ بن المُحَوَّل يقول : كان مُغَنِّيان بالمدينة يقال لأحدهما فُلَيح بن أبى العَوْراء، والآخر سُلَيمان بن سُلَيم ؛ فخرج إليهما رسولُ الرشيد يقول لفُلَيح غِناؤك من حَلْق أبى صَدَقَةَ[1] أحسنُ منه من حَلْقك ، فعلّمه إياه — قال : وكان يغنّى صوتا يُجيده ، وهو :

* خيرُ ما تَشْرَبُها[2] بالبُكَرْ *

— قال : فقال فُلَيح للرسول : قُلْ له : حَسْبُكَ . قال : فسمعنا ضَحِكَه من وراء السِّتارة .

كانت ترفع الستارة بينه وبين المهدى دون سائر المغنين

أخبرنى رِضْوان بن أحمد الصَّيْدَلانى قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثنى أبو إسحاق إبراهيم بن المهدى قال حدّثنا الفَضْلُ بن الربيع :

أنّ المهدى كان يسمع المغنِّين جميعا ، ويحضُرون مجلسَه ، فيُغنُّونه من وراء السِّتارة لا يرون له وجهًا إلّا فُلَيْح بن أبى العَوْراء ؛ فإنّ عبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيْرى كان رَوَّيه شعرَه ويغنّى فيه فى مدائحه للمهدى ؛ فدسَّ فى أضعافها بيتين يسأله فيهما أن ينادمه ، وسأل فليحًا أن يغنّيهما فى أضعاف أغانيه ، وهما :

صوت[3]

يا أمينَ الإلٰه فى الشَّرق والغَرْ * بِ على الخَلْقِ وابنَ عَمِّ الرَّسُولِ

مجلسًا بالعَشِىِّ عندك فى المَيْـ * ـدانِ أبغِى والإذْنَ لى فى الوُصُولِ

(١) هو أبو صدقة مسكين بن صدقة أحد مغنى عصر الرشيد . ذكر له أبو الفرج ترجمة فى (ج ٢١ طبع أوربا) . (٢) فى ء ، ط ، م : « ما تشربها » . (٣) هذه الكلمة ساقطة فى ء ، ط ، م . ومما يرجح سقوطها أن أبا الفرج لم يذكر طريقة الغناء فى هذا الشعر

فغنّاه فُلَيح إيّاهما . فقال المهدي : يا فضلُ ، أَجِبْ عبدَ الله إلى ما سأل ، وأَحْضِرْه مجالسي إذا حَضَره أهلي ومَوَالىّ وجلستُ لهم ، وزِدْه على ذلك أن ترفع بيني وبين راويتِه فُلَيح السِّتارة ؛ فكان فُلَيح أوّلَ مُغنٍّ عاين وجهَه في مجلسهم .

دعاه محمد بن سليمان ابن علي أوّل دخوله بغداد ووصله

أخبرني رِضْوان قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال حدّثني بعد قُدومي فُسْطاطَ مِصْرَ زيادُ بن أبي الخَطَّاب كاتبُ مَسْرُورٍ خادمِ الرشيد، قال: سمعتُ محبوبَ ابن الهَفْتيّ يحدّث أبي، قال :

دعاني محمد بن سليمان بن عليّ ، فقال لي : قد قَدِم فُلَيحٌ من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رَغْبان (١) ، فصِرْ إليه ، فأَعْلِمْه أنّه إن جاءني قبلَ أن يدخلَ إلى الرشيد ، خلعتُ عليه خِلْعةً سَرِيّةً من ثيابي ووهبتُ له خمسةَ آلاف درهم . فمضيتُ إليه فخبّرته بذلك ، فأجابني إليه إجابةَ مسرورٍ به نشيطٍ له . وخرج معي ، فعدَل إلى حَمّامٍ كان بقُرْبه ، فدعا القَيِّمَ فأعطاه درهمين وسأله أن يجيئه بشيء يأكله ونبيذٍ يشربه ، فجاءه برأسٍ كأنه رأسُ عِجْلٍ ونبيذٍ دُوشابيّ (٢) غليظ مسحوريّ (٣) رديء . فقلت

---

(١) في حـ : «ابن زعبان» بالزاي قبل الغين . وفي سائر الأصول : «ابن عتاب» وكلاهما محرّف عن « ابن رغبان » . ويقع مسجد ابن رغبان هذا في غربي بغداد وكان مزبلة . قال بعض الدهاقين : مرّ بي رجل وأنا واقف عند المزبلة التي صارت مسجد ابن رغبان قبل أن تبنى بغداد ، فوقف عليها وقال : ليأتين على الناس زمان من طرح في هذا الموضع شيئا فأحسنُ أحواله أن يحمل ذلك في ثوبه ؛ فضحكت تعجبا . فما مرت إلا أيام حتى رأيت مصداق ما قال . (أنظر معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٥٢٤ طبع أوربا) . (٢) الدوشابي : نسبة الى الدوشاب وهو نبيذ التمر معرّب ؛ قال ابن المعتز :

لا تخلط الدوشاب في قدح * بصفاء ماء طيب البرد

وقال ابن الرومي :

علّي أحمدَ من الدوشاب * شربة بعّضت قناع الشباب

(٣) مسحوري : فاسد .

له : لا تفعل، وجَهَدْتُ به ألّا يأكل ولا يشرب إلّا عند محمد بن سليمان، فلم يلتفتْ إلىّ. وأكل ذلك الرأسَ وشرب من ذلك النبيذ الغليظ حتّى طابت نفسه. وغنّى وغنّى القيّم معه مَليًّا، ثم خاطب القيّمَ بما أغضبه، وتَلاحَيا وتَواثَبا، فأخذ القيّم شيئا فضربه به على رأسه فشجّه حتّى جرى دمُه. فلمّا رأى الدمَ على وجهه ٱضطرب وجَزِع وقام يغسل جُرْحه. ودعا بصوفة مُحْرَقة وزيت، وعَصَبه وتعمّم وقام معى. فلمّا دخلنا دارَ محمد بن سليمان، ورأى الفرشَ والآلةَ وحضر الطعامُ فرأى سروه[1] وطيبَه، وحضر النبيذُ وآلته، ومدّت الستائرُ وغنّى الجوارى، أقبل علىّ وقال : يامجنون! سألتك بالله أيّما أحقّ بالعَرْبدة وأَوْلَى: مجلسُ القيّم أم مجلس الأمير؟ فقلت: وكأنه لا بُدّ من عربدة! قال : لا! والله مالى منها بُدٌّ، فأخرجتُها من رأسى هناك. فقلت : أمّا على هذ الشرط فالذى فعلتَ أجودُ. فسألنى محمد عما كنّا فيه فأخبرته؛ فَضَحِك ضحكا كثيرا، وقال : هذا الحديث والله أظرفُ وأطيب من كلّ غناء؛ وخلَع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم.

اتفق مع حكم الوادى على إسقاط ابن جامع عند يحيى بن خالد

قال هارون بن محمد وحدّثنى حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى أبو إسحاق القَرْمِطىّ قال حدّثنا مُدرِكُ بن يَزيد قال :

قال لى فُلَيح بن أبى العوراء : بعث يحيى بن خالد إلىّ وإلى حَكَم الوادىّ وإلى ابن جامع، فأتيناه. فقلت لحكم: إنْ قعد ٱبنُ جامع معنا فعاونّى عليه لنكسره. فلمّا صرْنا إلى الغناء غنّى حكَمٌ، فصِحْتُ وقلت: هكذا والله يكون الغناء! ثم غنّيت، ففعل لى حكَمٌ مثلَ ذلك. وغنّى ٱبنُ جامع فما كنّا معه فى شىء. فلمّا كان

(١) كذا فى ط ، ء. وفى سائر الأصول : «ورأى سرووه به وطيبه» : وهو تحريف. والسرو : الشرف والسخاء. ولعل المراد بسرو الطعام جودته وكثرته.

العَشِيّ أرسل إلى جاريته دنانير : إنّ أصحابك عندنا ، فهل لك أن تخرُجي إلينا ؟ فخرجتْ وخرج معها وصائف ، فأقبل عليها يقول لها من حيث يَظُنّ أنّا لا نسمع : ليس في القوم أنْزَهُ نفسًا من فُلَيح . ثم أشار إلى غلام له : أنِ ائْتِ كلَّ إنسان بألفَيْ درهم ، فجاء بها ، فدفع إلى ابن جامع ألفَيْ درهم فأخذها فطرحها في كُمّه ، وفعل بحكم الوادِيّ مثل ذلك فطرحها في كُمّه ، ودفع إليّ ألفين . فقلت لدنانير : قد بلغ منّي النبيذُ ، فاحبِسيها لي عندك حتى تَبْعَثي بها إليّ ؛ فأخذتِ الدراهم منّي وبعثتْ بها إليّ من الغد ، وقد زادت عليها ؛ وأرسلت إليّ : قد بعثتُ إليك بوديعتك وبشيء أحببتُ أن تفرّقه على أُخَواتي (تعني جَوَارِيّ) .

طلبه الفضل بن الربيع بحيء به مريضا فغنى ورجع ثم مات في علته

قال هارون بن محمد وحدّثني حمّاد قال حدّثني أبي قال :

كنّا عند الفضل بن الربيع ، فقال : هل لك في فُلَيح بن أبي العوراء ؟ قلت نعم . فأرسل إليه ، فجاء الرسولُ فقال : هو عليل ؛ فعاد إليه فقال الرسول : لا بدّ من أن تجيء ؛ فجاء به محمولًا في مِحَفّة ؛ فحدّثنا ساعةً ثم غنّى . فكان فيما غنّى :

تقول عِرْسِي إذ نبا المَضْجَعُ ... ما بالُك الليلةَ لا تَهْجَعُ

فاستحسنّاه منه واستعدْناه منه مرارا ؛ ثم انصرف ومات في علّته تلك ؛ وكان آخر العهد به ذلك المجلس .

روى قصة فتى عاشق غناه هو وعشيقته ونعتت إليه مهرها ليخطبها إلى أبيها

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّيّ قال حدّثني أبي عن فُلَيح بن أبي العوراء قال :

كان بالمدينة فتًى يعشَق ابنةَ عمّ له ، فوعدتْه أن تزوره . وشكا إليّ أنّها تأتيه ولا شيء عنده ، فأعطيته دينارًا للنفقة . فلمّا زارته قالت له : مَنْ يُلَهّينا ؟ قال : صديق لي ، ووصفني لها ، ودعاني فأتيته ؛ فكان أوّل ما غنّيته :

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها * ولم تَرْفَعْ لِوالدها شَنَارَا[1]

فقامت إلى ثوبها فلبسته لتنصرف ، فعَلِق بها وجَهد بها كلَّ الجَهْد فى أن تَقيم ، فلم تُقِمْ وآنصرفتْ . فأقبل علىّ يلومنى فى أن غَنَّيتها ذلك الصوت . فقلت : والله ماهو شىءٌ آعتمدتُ به مَساءتَك ، ولكنه شىء آتّفق . قال : فلم نبرح حتى عاد رسولُها بعدها ومعه صُرّة فيها ألفُ دينار ودفَعها إلى الفتى وقال له : تقول لك ابنةُ عمِّك : هذا مَهْرى آدْفَعْه إلى أبى ، وآخطُبْنى ؛ ففعل فتزوّجها .

نسبة هذا الصوت

صوت

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها * ولم ترفَعْ لوالدها شَنَارَا
كأنّ مَجامِعَ الأرداف منها * نَقًا[2] درجتْ عليه الريحُ هارا
يعافُ وِصالَ ذاتِ البَذْلِ قلبى * وأتّبِعُ المُمَنَّعَةَ النَّوَارا[3]

الشعر لسُلَيك بن السُّلَكة السَّعْدىّ . والغناء لآبن سُرَيج رملٌ بالسبّابة فى مجرى الوسطى . وفيه لآبن الهِرْبِذ لحنٌ من رواية بَذْل ، أوّلُه :

* يعاف وِصالَ ذاتِ البذل قلبى *

وبعده .

غَذَاها قارِصٌ[4] يغدو عليها * ومَحْضٌ حين تنتظر العِشَارَا

(١) الخفرة : الشديدة الحياء . والشنار : العيب والعار . (٢) النقا (مقصور) : الكثيب من الرمل . وهار : سقط وتهدّم . (٣) النوار : المرأة النفور من الريبة والجمع نُور . (٤) القارص : لبن يحذى اللسان أو حامض يحلب عليه حليب كثير حتى تذهب الحموضة . والمحض : اللبن الخالص . والعشار : جمع عُشَراء ، وهى الناقة مضى لحملها عشرة أشهر قال الأزهرى : والعرب يسمونها عشارا بعد ما تضع ما فى بطونها ، للزوم الاسم بعد الوضع ، كما يسمونها لقاحا .

ورد دمشق على ابراهيم بن المهدى فأخذ عنه جواريه غناءه وانتشرت أغانيه بها

أخبرني رِضْوان بن أحمد قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال :

كتب إليّ جعفرَ بن يحيى وأنا عاملٌ للرشيد على جُنْد دِمَشْق : قد قَدِم علينا فُلَيح بن أبي العَوْراء، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كلَّ غناء سمعناه قبله . وأنا محتالٌ لك في تخليصه إليك، لتستمتع به كما استمتعنا . فلم ألبَثْ أنْ ورد عليّ فُلَيح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثةِ آلافِ دينار . فورد عليّ رجلٌ أذكَرني لقاؤه الناسَ، وأخبرني أنه قد ناهز المائة، فأقام عندى ثلاثَ سنين، فأخذ عنه جَوَارِيّ كلَّ ما كان معه [من الغناء][1] ، وانتشرت أغانيه بدِمَشْق . قال يوسف : ثم قَدِم علينا شابٌّ من المغنّين مع عليّ بن زيد بن الفَرَج الحَرّانيّ ، عند مَقْدَم عَنْبَسةَ بن إسحاق فُسْطاطَ مصر، يقال له مُونِق ؛ فغنّاني من غناء فُلَيْح :

غنى مونق ألحان فليح بفسطاط مصر عند مقدم عنبسة ابن إسحاق

[صــــوت][2]

يا قُرّةَ العينِ ٱقْبَلِي عُذْرِى * ضاق بهجرانكم صــدرى

لو هَلَك الهجرُ ٱستراح الهوى * ما لَقِيَ الوصلُ من الهجر

— ولحنه خفيفُ رمل — فلم أرَ بين ما غنّاه وبين ما سمعته في دار أبي إسحاق فرقًا ؛ فسألته من أين أخذه؟ فقال : أخذتُه بدمشق؛ فعلمتُ أنّه ممّا أخذه أهلُ دمشق عن فُلَيح .

(١) زيادة عن ى ، ط ، م .
(٢) زيادة عن ى، ط .

صــــوت

من المـائة المختـارة

أفاطِمَ إنّ النأْىَ يسلِى ذوى الهوَى * ونأْيُك عنّى زاد قلبى بكم وَجْدَا
أرى حَرَجًا ما نلتُ من وُدّ غيرِكم * ونافلةً ما نلتُ من ودّكم رُشْدَا
وما نلتقِى من بعدِ نأْىٍ وفُرْقةٍ * وشَحْطِ نَوًى إلّا وجدتُ له بَرْدا
على كَبِدٍ قد كاد يُبْدِى بها الهوى * نُدوبًا وبعضُ القوم يحسَبُنى جَلْدا

عروضــه من الطويل . النأى : البُعْد، ومثله الشَّحْط . والحَرَج : الضِّيق؛ قال الله تعالى : ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾. والنُّدوب : آثار الجراح، واحدها نَدَبٌ.

الشعر لإبراهيم بن هَرْمة . والغناء فى اللحن المختار، على ما ذكره إسحاق، ليونس الكاتب، وهو من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . وذكر يحيى بن علىّ بن يحيى عن أبيه مثل ذلك . وذكر حبش بن موسى أنّ الغناء لمرزوق الصرّاف أو ليحيى بنِ وَاصِـل . وفى هـذه الأبيات للهُذَلىّ لحنٌ من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى على مذهبِ إسحاق من روايةِ عمرو بنِ بانة، ومن الناس من ينسُب اللحنين جميعا إليه .

ذكر ابن هَرْمة وأخباره ونسبه

نسبه — هو إبراهيم بن عليّ بن سَلَمَة بن هَرْمة بن هُذَيل ، هكذا ذكر يعقوب بن السِّكِّيت . وأخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه مُصْعَب ، وذكر ذلك العبّاس بن هِشَام الكلبيّ عن أبيه هِشام بن محمد بن السائب ، قالوا جميعا :

هو إبراهيم بن عليّ بن سَلَمَة بن عامر بن هَرْمَة بن الهُذَيْل بن رَبيع بن عامر بن صُبَيح بن كِنَانَة بن عَدِيّ بن قَيْس بن الحارث بن فِهْر — وفِهْرٌ أصلُ قريش ، فمن لم يكن من ولده لم يُعَدّ من قريش ، وقد قيل ذلك في النَّضْر بن كنانة — وفهر ابنُ مالك بن النَّضْر بن كِنَانَة بن خُزَيمَة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مُضَر . قال مَنْ ذكرْنا من النسّابين : قَيْس بن الحارث هو الخُلُجُ ، وكانوا في عَدْوانَ ثم انتقلوا الى بني نَصْر بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازن . فلما استُخْلف عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أتَوْه لِيَفْرِض لهم ، فأنكر نَسَبَهم . فلما استُخْلف عثمان أتَوْه فأثبتَهم في بني الحارث ابن فِهْر وجعل لهم معهم ديوانا . وسُمُّوا الخُلُجَ لأنّهم اختلجوا ممن كانوا معه من عَدْوان ومن بني نصر بن معاوية . وأهل المدينة يقولون : إنّما سُمُّوا الخُلُجَ لأنهم نزلوا بالمدينة على خُلُج (وواحدُها خليج) فسُمُّوا بذلك . ولهم بالمدينة عدد . قال مُصْعَب : كان لإبراهيم بن هَرْمَةَ عمٌّ يقال له هَرْمة الأعور ، فأرادت الخُلُجُ نَفْيَه منهم ؛ فقال : أمسيتُ ألأمَ العرب دَعِيّ أدعياء . ثم قال يهجوهم :

رأيتُ بني فِهْرٍ سِبَاطًا[1] أكُفُّهُمْ * فما بالُ أَنْبُوني أكُفُّكُمُ قُفْدا[2]

(١) سباط : جمع سبط : وصف من السبوطة وهي الاعتدال والسهولة والطول . ويكنى بسبوطة اليدين عن الكرم ؛ يقال : رجل سَبْط اليدين إذا كان سخيا سمحا كريما ، كما يقال : رجل جعد اليدين إذا كان بخيلا .   (٢) كذا في ط ، وهو الذي يقتضيه سياق الكلام . وفي ب ، سـ : «أكفهم» . وجملة أنبوني — وهو أمر من أنبأ خففت همزته فحذفت — معترضة بين المضاف والمضاف اليه . والقَفَد : مَيَلٌ في الكف . يريد أنهم بخلاء .

ولم تُدْرِكوا ما أدرك القومُ قبلَكم * من المجد إلا دَعْوةً[1] ألحقتْ كَدَّا

على ذى أيادى الدهرِ أفلح جَدُّهم * وخِبْتُمْ فلم يَضْرَعْ لكم جَدُّكم جَدَّا

نفاه بنو الحارث ابن فهر عنهم فعاتبهم فصار منهم لساعته

وقال يحيى بن علىّ حدّثنى أبو أيُّوب المدينىّ عن المدائنىّ عن أبى سَلَمة الغِفارىّ قال :

نَفَى بنو الحارث بن فهرٍ ٱبنَ هَرْمةَ ، فقال :

أحارِثَ بنَ فِهْرٍ كيف تَطَّرِحوننى * وجاء العِدا من غيركم تبتغى نَصْرِى

قال : فصار من وَلَد فِهْرٍ فى ساعته .

كان يقول : أنا ألأم العرب

قال يحيى بن علىّ وحدّثنى أحمد بن يحيى الكاتب قال حدّثنى العبّاس بن هشام الكلبىّ عن أبيه قال :

كان ٱبن هَرْمةَ يقول : أنا ألأمُ العرب ، دَعِىٌّ أدعياء : هَرْمةُ دَعِىٌّ فى الخُلُج ، والخُلُج أدعياء فى قريش .

قصته مع أسلمى ضافه

حدّثنى الحَرَمِىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمّلى قال حدّثنى عبد الله بن أبى عُبَيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر قال :

زرتُ عبدَ الله بن حسن ببادِيَته وزاره ابنُ هَرْمةَ ، فجاءه رجلٌ من أَسْلَمَ ؛ فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن : أصلحك الله ! سَلِ الأَسْلَمِىّ أنْ يأذَنَ لى أن أُخبرك خبرى وخبره . فقال له عبد الله بن حسن : ائذَنْ له ، فأذنَ له الأسلمىّ . فقال له إبراهيم بن هَرْمةَ : إنِّى خرجتُ — أصلحك الله — أبغى ذَوْدًا[2] لى ،

١٠٣/٤

(١) الدعوة (بالفتح وتكسر) : الاسم من ادعى بمعنى زعم .

(٢) الذود : القطيع من الإبل من الثلاث الى التسع ، وقيل : ما بين الثلاث الى الثلاثين ، ولا يكون إلا من الإناث دون الذكور . قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « ليس فيما دون خمس ذود صدقة » .

فأوحشتُ وضفتُ هذا الأسلميّ، فذبح لى شاةً وخبز لى خبزًا وأكرمنى، ثم غدوتُ
من عنده، فأقمت ما شاء الله. ثم خرجتُ أيضا فى بُغاءِ ذَوْدٍ لى، فأوحشتُ فضفتُه
فقَرانى بلبن وتمر، ثم غدوت من عنده فأقمت ما شاء الله. ثم خرجتُ فى بُغاء ذَوْدٍ لى،
فأوحشتُ، فقلت: لو ضفتُ الأسلميّ! فاللبن والتمر خيرٌ من الطَّوَى؛ فضفتُه فجاءنى
٥ بلبن حامض. فقال: قد أجبتُه — أصلحك الله — إلى ما سأل، فسَلْه أنْ يأذن لى أن
أخبرك لمَ فعلتُ. فقال له: ائذنْ له؛ فأذن له. فقال الأسلميّ: ضافنى. فسألته
مَنْ هو؟ فقال: رجلٌ من قريش، فذبحتُ له الشاةَ التى ذكر. ووالله لو كان
غيرُها عندى لذبحتُه له حين ذكر أنّه من قريش. ثم غدا من عندى وغدا علىّ
الحىّ فقالوا: مَنْ كان ضيفَك البارحةَ؟ قلتُ: رجلٌ من قريش؛ فقالوا:
١٠ لا والله ما هو من قريش، ولكنه دَعِىٌّ فيها. ثم ضافنى الثانيةَ على أنه دَعِىٌّ
فى قريش، فجئتُه بلبن وتمر وقلت: دَعِىُّ قريش خير من غيره. ثم غدا من عندى وغدا
علىّ الحىّ فقالوا: مَنْ كان ضيفَك البارحةَ؟ قلت الرجل الذى زعمتم أنه دَعِىٌّ
فى قريش؛ فقالوا: لا والله ما هو بدَعِىٍّ فى قريش، ولكنه دَعِىُّ أدعياءِ قريش.
ثم جاءنى الثالثةَ. فقريتُه لبنًا حامضا، ووالله لو كان عندى شرٌّ منه لقريتُه إياه.
١٥ قال: فانخذل ابنُ هرمةَ، وضحك عبد الله وضحكنا معه.

لقيه ابن ميادة وطلب مهاجاته ثم تبين أنه يمزح

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنى الزُّبير قال حدّثنى نوفل بن ميمون
قال:

لَقِىَ ابنُ مَيّادة ابنَ هَرْمةَ، فقال ابن ميّادة: والله لقد كنتُ أُحبُّ أنْ ألقاك،
لابدّ من أن تهاجى. وقد فعل الناس ذلك قبلنا. فقال ابنُ هرمة: بئس والله مادعوتَ
٢٠ إليه وأحببتَه، وهو يظنّه جادًّا. ثم قال له ابن هَرْمةَ: أمَا والله إنّى لَلّذى أقول:

(١) يقال: أوحش الرجل اذا جاع ونفد زاده.

إنّى لَميمونٌ جوارًا وإنّنى * إذا زَجَر الطّيرَ العِدَا لمَشُومُ
وإنّى لمِلاَنُ[1] العِنانِ مُنَاقِلٌ[2] * إذا ما وَنَى يومًا أَلَفُّ[3] سَئومُ
فوَدَّ رجالٌ أنّ أُمّى تقنّعت * بشيبٍ يُغشّى الرأسَ وهى عقيمُ

فقال آبن ميّادة : وهل عندك جَرَاء[4] ؟ ثَكِلَتْك أُمّك ! أنت أَلأم من ذلك ! ما قلتُ إلّا مازحا

أخبرنا [به][5] وَكيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال قال عبد العزيز بن عِمْران :

اجتمع ابن هَرْمةَ وآبنُ مَيّادةَ عند جُمَيْع بن عُمَر بن الوليد، فقال آبن ميّادة لآبن هرمة : قد كنتُ أُحِبّ أن ألقاك . ثم ذكر نحوه .

أنكر عليه أن تمضغ الناطف مع قدوم وزير لحمله وتلق به الموكب

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنا علىّ بن محمد بن سليمان النَّوْفَلىّ قال حدّثنى أبو سَلَمةَ الغِفَارىّ عن أبيه قال :

وفدتُ على المهدىّ فى جماعة من أهل المدينة ، وكان فيمن وَفَد يوسُفُ بن مَوْهَبٍ[6] وكان فى رجال بنى هاشم من بنى نَوْفَلٍ، وكان معنا آبن هَرْمة ؛ فجلسنا يومًا على دُكّان قد هُيِّئَ لمسجد ولم يُسَقَّف ، فى عسكر المهدىّ ؛ وقد كنّا نلقَى الوزراء وكُبَرَاء

(١) يقال : ملآنُ فلان عنان جواده إذا أعداه وحمله على الحضر الشديد . (٢) كذا فى ى ، ط . والمناقل : السريع نقل قوائمه . وفى سائر الأصول : «مثاقل» بالثاء المثلثة وهو تصحيف .
(٣) الألف : الثقيل البطىء . (٤) كذا فى أكثر النسخ . وفى ى ، ط : «جَرِىٌّ» . والجراء (بالفتح والكسر) والجراية والجرى (بالفتح فيهما) : الفتوة . (٥) زيادة عن ط ، ى .
(٦) فى اللسان والقاموس وشرحه مادة وهب : «وموهب كمقعد اسم . قال سيبويه : جاءوا به على مفعل (بالفتح) لأنه اسم ليس على الفعل ، إذ لو كان على الفعل لكان مفعلا (بكسر العين) . فقد يكون ذلك لمكان العلمية ، لأن الأعلام مما تغير القياس » اهـ .

السلطان، وكانوا قد عرفونا، و إذا حِيالَ الدُّكّان رجلٌ بين يديه ناطِفٌ[1] يبيعه فى يوم شاتٍ شديدِ البَرْد، فأقبل إذ ضرب بفأسه فتطاير جُفُوفًا، فأقبل ٱبن هرمة علينا، فقال ليوسف : يآبنَ عمّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أمَا معك درهمٌ نأكل به من هذا الناطف؟ فقال له : متى عَهِدتَنى أحمِلُ الدّراهم! قال : فقلت له : لكنّى أنا معى، فأعطيتُه درهمًا خفيفا[2]، فآشترى به ناطفًا على طَبَق للنّاطفىّ، فجاء بشىء كثير، فأقبل يتمضّغه وحده ويحدّثنا ويضحك. فما رَاعَنا إلا مَوْكِبُ أحدِ الوزيرين : أبى عُبَيد الله أو يعقوب بنِ دَاوُد . ثم أقبلت المُطَرِّقة[3]، فقلنا : مالك قاتلك الله! يهجُم علينا هذا وأصحابُه، فيرَوْن الناطفَ بين أيدينا فيظنّون أنّا كنّا نأكل معك . قال : فوالله ما أحدٌ أولَى بالسّتر على أصحابه وتَقَلُّد البليّة منك يآبنَ عمّ رسول الله! فضَعْه بين يديك . قال : اُعْزُبْ[4] قَبَحك الله! قال : فأنت يآبنَ أبى ذرّ، فزبرته[5] .

(١) الناطف : نوع من الحلواء . وقال الجوهرى : هو القُبَّيط لأنه ينطف قبل استضرابه أى يقطر قبل خثورته . وجعل النابغة الجعدى الخمر ناطفا فقال :

وبات فريق ينضحون كأنما * سُقُوا ناطفا من أذرعات مفلفلا

وكذلك جعلها ابن هرمة، كما سيأتى قريبا فى ص٣٧٣ (٢) يريد بذلك الدراهم الصغار ذات الوزن الخفيف . قال المقريزى فى كتابه شذور العقود فى ذكر النقود (ص ١٦ طبع أوربا) : «وكان الناس قبل عبد الملك يؤدّون زكاة أموالهم شطرين من الكبار والصغار . فلما اجتمعوا مع عبد الملك على ما عزم عليه عمد الى درهم واف، فوزنه فاذا هو ثمانية دوانيق، والى درهم من الصغار فاذا هو أربعة دوانيق، فجمعها وحمل زيادة الأكبر على نقص الأصغر وجعلهما درهمين متساويين زنة كل منهما ستة دوانيق سواء» اهـ . ثم قال : «صنع عبد الملك فى الدراهم ثلاث فضائل : الأولى أن كل سبعة مثاقيل زنة عشرة دراهم والثانية أنه عدل بين كبارها وصغارها حتى اعتدلت وصار الدرهم ستة دوانيق . والثالثة أنه موافق لما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فريضة الزكاة بغير وكس ولا إشطاط؛ فمضت بذلك السنة واجتمعت عليه الأمة ... الخ» . (٣) لعله يريد بهم الذين يتقدّمون الموكب يفسحون له الطريق . (٤) أى آذهَبْ وٱبعُدْ . (٥) زبره هنا : نهره وأغلظ له فى القول .

قال : فقال : قد علمتَ أنه لا يُبْتَلَى بهذا إلّا دَعِىٌّ أدعياءَ عاضَّ كذا من أمّه . ثم أخذ الطبق فى يده فحمله وتلقّى به الموكبَ . فما مرّ به أحدٌ له نباهةٌ إلّا مازحه ، حتى مضى القومُ جميعا .

مدح عبد الله بن حسن فأكرمه

وقال هارون حدّثنى أبو حُذَافة السَّهْمِىّ قال حدّثنا إسحاق بن نِسْطَاس قال : كان ٱبن هَرْمَة مشتهرًا بالنبيذ، فأتى عبدَ الله بن حسنٍ وهو بالسَّيَالة[1]، فأنشده مديحًا له . فقام عبدُ الله إلى غنم كانت له ، فرمى بساجةٍ[2] عليها فٱفترقتْ فِرْقتين، فقال : ٱختَرْ أيَّهما شئت — قال : فإمّا أن تكون زادت بواحدة أو نقصتْ بواحدة على الأخرى . قال : وكانت ثلاثمائة — وكتب له إلى المدينة بدنانير . فقال له : يا ٱبن هرمة ، ٱنقُلْ عيالَك إلينا يكونوا مع عيالنا . فقال : أفعلُ يا ٱبنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

دعاه صديق وهو يزمع السفر إلى النبيذ فشرب حتى حمل سكران

ثم قَدِم ٱبن هَرْمَةَ المدينةَ وجَهَّز عيالَه لينقلهم إلى عبد الله بن حسن، وٱكترى من رجلٍ من مُزَيْنَةَ . فبينا هو قد شَدّ متاعَه وحَمله والكَرِىُّ[3] ينتظره أن يتحمّل، إذ أتاه صديق له ، فقال : أىْ أبا إسحق، عندى والله نبيذٌ يُسْقِط لحمَ الوجه . فقال : وَيْحَكَ ! أمَا ترانا على مثل هذه الحال ! أعليها يمكن الشراب ! فقال : إنما هى ثلاثة لا تَزِدْ عليهنّ شيئا . فمضى معه وهم وقوف ينظرون[4]؛ فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدرٌ صالح ؛ ثم أُتِىَ به وهو سكران، فطُرِح فى شِقّ المَحْمِل وعادلته[5] ٱمرأته ومضَوْا . فلمّا أسْحَرُوا رفع رأسَه فقال : أين أنا؟ فأقبلتْ عليه ٱمرأتُه تلومه وتعذُله ، وقالت . قد أفسد عليك هذا النبيذُ دينَك ودنياك، فلو تعلّلتَ عنه[6] بهذه الألبان !

لامته امرأته على ذلك فأجابها بشعر

فرفع رأسَه إليها وقال :

(١) السيالة كسحابة : موضع بقرب المدينة على مرحلة . (٢) الساجة : ضرب من الملاحف منسوجة، أو هى واحدة الساج وهو خشب يجلب من الهند . (٣) الكرىّ كغنىّ : المكارى . (٤) فى ء، ح، م : «ينتظرون» ، وهما بمعنى واحد . (٥) عادلته أى كانت معه فى الشق الآخر من المحمل . (٦) كذا فى ء ، ط . وفى سائر النسخ : «عليه» ، وهو تحريف .

لا نبتغي لبنَ البعيرِ وعندنا * ماءُ الزَّبيبِ وناطفُ المِعْصارِ[1]

هو أحد من ختم بهم الشعراء فى رأى الأصمعى

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنا زكريّا بن يحيى بن خَلّاد قال :

كان الأصمعىّ يقول: خُتِم الشعراءُ بابن هَرْمَة، والحَكَم الخُضْرِىّ[2]، وابنِ مَيّادة، وطُفَيلٍ الكِنانىّ، ومَكِينٍ العُذْرِىّ[3].

رهن رداءه فى النبيذ

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنى أبو حُذافة السَّهْمىّ أحمد بن إسماعيل قال :

كان ابنُ هَرْمَة مُدْمِنًا للشراب مُغْرَمًا به، فأتى أبا عمرو بنَ أبى راشد مولى عَدْوان، فأكرمه وسقاه أيامًا ثلاثةً. فدعا ابنُ هَرْمَة بالنبيذ، فقال له غلامٌ لأبى عمرو ابن أبى راشد: قد نَفِد نبيذُنا. فنزع ابنُ هَرْمَة رداءَه عن ظهره فقال للغلام: اذْهَبْ به الى ابن حونك[4] (نبّاذ كان بالمدينة)، فارْهَنْه عنده وأْتِنا بنبيذ. ففعل. وجاء ابن أبى راشد[5]، فجعل يشرب معه من ذلك النبيذ. فقال له: أين رداؤك يا أبا إسحاق؟ فقال: نِصْفٌ فى القَدَح ونصفٌ فى بطنك.

مدح محمد بن عمران الطلحى فاحتجب عنه فمدح محمد بن عبد العزيز فأجازه

قال هارون حدّثنى محمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عَوْف الزُّهْرِىّ قال حدّثنى عمّى عبد العزيز بن إسماعيل قال :

---

(١) فى ط، م، ء: «لا تبتغى» بالتاء الفوقية. ويكون الخطاب، على هذه الرواية لأنثى.
(٢) فى ب، س: «الحضرى» وهو تصحيف. (٣) كذا فى حـ، ء، ط والشعر والشعراء (ص ٤٧٣ طبع أوربا). وفى ب، س: «دكين» بالدال المهملة. وفى م: «ذكين» بالذال المعجمة. (٤) فى حـ: «ابن هويك». وقد ضبط فيها بالقلم بضم الهاء وفتح الواو وسكون الياء. وفى م: «ابن حوقل» بالقاف واللام. (٥) كذا فى أكثر النسخ. وفى س، م: «وجاء الى ابن حوقل بن أبى راشد» بزيادة «الى ابن حوقل» سهوا من الناسخ.

١٠٥ / ٤

مدح ٱبنُ هَرْمة محمدَ بن عِمْرانَ الطَّلْحىّ، و بعث إليه بالمَديح مع ٱبن رُبَيْح[1]، فاحتجب عنه؛ فمدح محمدَ بنَ عبد العزيز، وكان ٱبن هَرْمةَ مريضا، فقال قصيدتَه التى يقول فيها:

إنّى دعوتُك إذْ جُفيتُ وشَفَّنى * مرضٌ تَضَاعفنى[2] شديدُ المُشْتَكَى

وحُبِستُ عن طلب المَعيشة وٱرتقتْ * دونى الحوائجُ فى وُعورِ المُرْتَقَى

فأَجِبْ أخاك فقد أناف بصوته * ياذا الإخاء و ياكريمَ المُرْتَجَى

ولقد حُفيتَ[3] صَبيبَ عُكَّةِ[4] بيتِنا * ذَوْباً[5] ومُزْتَ بصَفْوِه عنك القَذَى

فخُذِ الغَنيمةَ وٱغتنمنى إنّنى * غُنْمٌ لمثلك والمكارمُ تُشْتَرَى

لا تَرمِيَنَّ بحاجتى وقضائها * ضَرْحَ[6] الحجاب كما رَمَى بى مَنْ رَمَى

فركب إلى جعفر بن سُلَيمان نصفَ النَّهار، فقال: ما نَزَعك[7] يا أبا عبد الله فى هذا الوقت؟ قال: حاجةٌ لم أرَ فيها أحدًا أكْفَى منّى. قال: وما هى؟ قال: قد مدحنى ابن هَرْمةَ بهذه الأبيات، فأردتُ من أرزاقى مائةَ دينار. قال: ومَنْ عندى مثلُها

(١) كذا فى ط، ى، م، وسيذكر غير مرة فى جميع الأصول كذلك. وفى حـ: «ابن زنبج» بالزاى والنون والجيم. وفى ب، سـ: «ابن ربيع»، وكلاهما تحريف. وٱبن ربيح هذا هو راوية ابن هرمة. (٢) كذا فى أكثر الأصول. ولم نجد هذه الصيغة فى كتب اللغة تدل على المعنى المراد هنا وهو أضعفى وأسقمنى. وفى م، حـ: «يضاعفنى» بالياء، وضاعفه: جعله ضعفين. فلعل المراد على هذه الرواية: مرض يضاعف شكواى. (٣) حفيت: أُعطيت. وفى م: «خفيت» بالخاء المعجمة وهو تصحيف. وفى ب، ط، ى، سـ: «جفيت» بالجيم وهو تصحيف أيضا. وفى حـ: «خبيت» ولعلها مصحفة عن «حُبيت» وهى «كحفيت» وزنا ومعنى. والذى ظهر لنا فى معنى البيت أنه يريد: لقد منحت خير ما نملك وهو ما فى عكتنا من عسل مصفى؛ يكنى بذلك عن مديحه الحسن.
(٤) العكة: زقيق صغير للسمن والعسل. وفى الحديث: أن رجلا كان يهدى للنبىّ صلى الله عليه وسلم العكة من السمن والعسل. قال ابن الأثير فى النهاية: «وهى وعاء من جلود مستدير، يختص بهما وهو بالسمن أخص». (٥) الذوب: العسل. (٦) كذا فى ى، ط. والضرح: أن يؤخذ شىء فيرمى به فى ناحية. وفى ب، سـ: «ضوح» بالواو. وفى م: «صرح» بالصاد وكلاهما تحريف. (٧) ما نزعك يريد: ما حركك من مكانك وما جاء بك.

قال : ومن الأمير أيضا ! قال : فجاءت المائتا الدينار إلى ابن هَرْمَة، فما أنفق منها إلّا دينارًا واحدا حتّى مات ، وورث الباقى أهلُه .

امتدح أبا جعفر فلما أجازه لم يرض وطلب أن يحتال له فى إباحة الشراب

وقال أحمد بن أبى خَيْثمةَ عن أبى الحسن المَدَائنىّ قال :

امتدح ابنُ هَرْمةَ أبا جعفر فوصَله بعشرة آلاف درهم . فقال : لا تَقَع منّى هذه . قال : وَيْحك ! إنّها كثيرة . قال : إنْ أردتَ أن تُهَنِّئنِي فأبِحْ لى الشرابَ فإنّى مُغْرَمٌ به . فقال : وَيْحك ! هذا حَدٌّ من حُدود الله . قال : احْتَلْ لى يا أمير المؤمنين . قال نعم . فكتب إلى والى المدينة : مَنْ أتاك بابن هَرْمة سكرانَ فاضْرِبْه مائةً واضْرِبِ ابن هرمة ثمانين . قال : فجعل الجِلْوازُ[1] إذا مرّ بابن هرمة سكرانَ ، قال : مَنْ يشترى الثمانين بالمائة !

امتدح الحسن بن زيد فأجازه وعرض بعبد الله بن حسن وأخويه لأنهم وعدوه وأخلفوه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى أبو زيد عمر بن شَبّةَ قال حدّثنا أبو سَلَمةَ الغِفَارىّ قال أخبرنا ابن رُبَيْح رَاوِيةُ ابن هَرْمةَ قال :

أصابتِ ابنَ هَرْمةَ أزمةٌ ، فقال لى فى يومٍ حارٍّ : اذْهَبْ فتكارَ حمارَيْنِ إلى ستّة أميال، ولم يُسَمِّ موضعا . فركِبَ واحدًا وركبتُ واحدًا، ثم سِرْنا حتى صِرْنا الى قصور الحسن بن زيد ببَطْحاء ابنِ أَزْهَر ، فدخلنا مسجدَه . فلمّا مالتِ الشمسُ خرج علينا مُشْتَمِلًا على قَمِيصه[2] ، فقال لمولًى له : أَذِّنْ فأذّن، ولم يكلّمنا كلمةً . ثم قال له : أقِمْ فأقام، فصلّى بنا، ثم أقبل على ابن هَرْمةَ فقال : مرحبًا بك يا أبا إسحاق حاجَتَك ؟ قال : نعم ، بأبى أنت وأمى ، أبياتٌ قلتُها — وقد كان عبدُ الله وحسنٌ و إبراهيم بنو حسن بن حسن وعَدُوه شيئا فأخلفوه — فقال : هاتِها . فقال :

---

(١) الجلواز : الشرطىّ؛ سمى بذلك لسرعته وخفته فى ذهابه ومجيئه بين يدى الأمير . (٢) كذا فى جميع النسخ . وهذا الفعل إنما يتعدى بالباء .

أمّا بنو هاشم حولى فقد قرعوا * نبلَ الضباب التى جمعتُ فى قرن[1]

فما بيثرب منهم من أعاتبه * إلا عوائد أرجوهنّ من حسن

الله أعطاك فضلاً من عطيّته * على هنٍ وهنٍ فيما مضى وهن[2]

قال : حاجتك ! قال : لابن أبى مضرّس علىّ خمسون ومائة دينار. قال : فقال لمولى له : ياهيثم ، اركب هذه البغلة فأتنى بابن أبى مضرّس وذكر حقه[3] . قال : فما صلّيت العصر حتى جاء به . فقال له : مرحبًا بك يابن أبى مضرّس ، أمعك ذكر حقك على ابن هرمة قال نعم . قال : فامحُه ، فمحاه . ثم قال : ياهيثم ، بع ابن أبى مضرّس من تمر الخانقين[4] بمائة وخمسين دينارا وزده على كلّ دينار ربع دينار[5]، وكل ابن هرمة بخمسين ومائة دينار تمرًا ، وكل ابن هرمة بثلاثين دينارا تمرا . قال : فانصرفنا من عنده ، فلقيه محمد بن عبد الله بن حسن بالسيالة ، وقد بلغه الشعر ، فغضب لأبيه وعمومته فقال : أى ماصّ بظر أمه ! أنت القائل :

* على هنٍ وهنٍ فيما مضى وهن *

فقال : لا والله ! ولكنى الذى أقول لك :

لا والذى أنت منه نعمة سلفت * نرجو عواقبها فى آخر الزمن

لقد أبيت بأمر ما عمدت له * ولا تعمّده قولى ولا سننى

(١) الضباب هنا : الأحقاد . يقال : فى قلبه ضب أى غل داخل ، كالضب المعن فى جحره . والظاهر أنه يريد أن يقول : إنهم سلوا أحقادهم وأظهروا عداوتهم وأنا قد كتمتها وأخفيتها .

(٢) هن : كلمة يكنى بها عن اسم الانسان . وقد كررها الشاعر ثلاثا لأنه أراد ثلاثة أشخاص معينين .

(٣) ذكر الحق : الصك الذى يكتب فيه الدين . (٤) فى ط ، ء : « ثمر » بالثاء المثلثة . والخانقان : موضع بالمدينة وهو مجمع مياه أوديتها الثلاثة : بطحان والعقيق وقناة .

(٥) فى ط ، ء ، م : « وزده فى كل دينار » .

فكيف أمشى مع الأقوام معتدلًا * وقد رَمَيتُ برِيءَ العُودِ بالأُبَنِ (١)
ما غيَّرتْ وجهَه أمٌّ مهجّنةٌ * إذا القَتامُ تغشّى أوجُهَ الهُجُنِ (٢)

قال : وأمّ الحسن أمّ ولد .

لما عرض بعبدالله ابن حسن وإخوته قطع عنه ما كان يجريه عليه فما زال به حتى رضى

قال هارون : فحدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبَايَة قال :

٥ لمّا قال ابنُ هَرْمةَ هذا الشعرَ فى حسن بن زيد ، قال عبدُ الله بن حسن : والله ما أراد الفاسقُ غيرى وغيرَ أخَوَىَّ : حسنٍ وإبراهيم . وكان عبدُ الله يُجْرِى على ابن هَرْمة رزقًا فقطعه عنه وغَضِب عليه . فأتاه يعتذر ، فنُحِّى وطُرِدَ؛ فسأل رجالًا أن يكلّموه ، فردّهم ؛ فيئس من رضاه واجتنبه وخافه . فمكث ما شاء الله، ثم مرّ عشيّةً وعبدُ الله على زَرْبِيّة (٣) فى مَمَرّ المنبر، ولم تكن تُبْسَطُ لأحدٍ غيره فى ذلك المكان .

١٠ فلمّا رأى عبدَ الله تضاءل وتَقَنْفَذَ وتصاغر وأسرع المشىَ . فكأنّ عبدَ الله رقّ له ، فأمر به فرُدَّ عليه ، فقال : يا فاسقُ ، ياشاربَ الخمر ، على هَنٍ وهَنٍ ! أتُفَضِّل الحسنَ علىَّ وعلى أخَوَىَّ ! فقال : بأبى أنت وأمّى ! ورَبِّ هذا القبر ما عَنَيتُ إلّا فرعونَ وهامانَ وقارونَ ، أفتغضَب لهم ! فضحك وقال : والله ما أحسَبُك إلّا كاذبا . قال : والله ما كَذَبْتُك . فأمر بأن تُرَدَّ عليه جِرايتُه .

١٥ أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً قال أخبرنى أبو أيّوبَ المَدِينىّ عن مُصْعَب قال : إنّما اعتذر ابنُ هَرْمةَ بهذا إلى محمد بن عبد الله بن حسن .

قصيدة له خالية من الحروف المعجمة

قال يحيى : وأخبرنى أبو أيّوب عن علىّ بن صالح قال :

---

(١) الأُبَن : جمع أُبنة وهى العقدة تكون فى العود تفسده و يعاب بها . وقولهم : ليس فى حسب فلان أُبنة ، أى عيب ، مأخوذ من هذا . (٢) الهجين : من أبوه خير من أمه أو من أبوه عربىّ ٢٠ وأمه غير عربيــة ، و جمعه : هُجُن وهُجَناء وهُجْنان ومهاجين ومهاجنة . (٣) الزربيــة (بفتح فسكون) : البساط والنمرقة ، وقيل : هى كل ما بسط واتكئ عليه ، والجمع زرابىّ .

أنشدنى عامر بن صالح قصيدةً لابن هَرْمة نحوًا من أربعين بيتًا ، ليس فيها حرف يُعْجَم ؛ وذكر هذه الأبياتَ منها . ولم أجد هذه القصيدة فى شعر ابن هرمة ، ولا كنتُ أظنّ أن أحدًا تقدّم رُزَيْنًا العَرُوضىّ إلى هذا الباب . وأوّلها :

أَرَسْمُ سَوْدةَ أمسى دارسَ الطَّلَلِ * مُعَطَّلًا ردّه الأحوالُ كالحُلَلِ

هكذا ذكر يحيى بن علىّ فى خبره أنّ القصيدة نحوٌ من أربعين بيتًا ، ووجدتها فى رواية الأصمعىّ ويعقوب بن السِّكِّيت اثنى عشر بيتا ، فنسختُها هاهنا للحاجة إلى ذلك . وليس فيها حرف يُعْجَم إلّا ما اصطلح عليه الكُتّاب من تصييرهم مكانَ ألف ياءً مثل " أَعْلَى " فإنّها فى اللفظ بالألف وهى تكتب بالياء ، ومثل " رَأَى " ونحو هذا ، وهو فى التحقيق فى اللفظ بالألف ، وإنما اصطلح الكُتّاب على كتابته بالياء كما ذكرناه . والقصيدة :

أَرَسْمُ سَوْدةَ مَحْلٌ دارسُ الطَّلَلِ * مُعَطَّـلٌ ردّه الأحوالُ كالحُلَلِ
لمّا رأى أهلَها سَدَوا مَطالِعَها * رام الصُّدودَ وعاد الوُدُّ كالمُهُلِ[1]
وعاد وُدُّك داءً لا دواءَ له * ولو دعاك طَوالَ الدهرِ للرَّحَلِ
ما وَصْلُ سَوْدةَ إلّا وَصْلُ صارمةٍ * أحلّها[2] الدهرُ دارًا مأْكَلَ الوَعِلِ[3]
وعاد أمواهُها سُدْمًا[4] وطارَ لها * سَهْمٌ دعا أهلَها للصَّرْم والعِلَلِ
صَدُّوا وصدّ وساءَ المرءَ صَدُّهمُ * وحام للوِرْدِ رَدْهًا حَوْمةَ العَلَلِ

حَوْمةُ الماء ، كَثْرته وغَمْرته[5] . والعَلَل : الشُّرب الثانى . والرَّدْه : مُسْتَنْقَع الماء .

(١) كذا فى أكثر الأصول . والمهل : ما ذاب من صفر أو حديد ؛ وبه فسر قوله تعالى : (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) . وحركت هاؤه للضرورة . ولعله يريد أنه لما حيل بينه وبينها عانى من وده لها ما يعانيه متجرّع هذا الشراب . وفى حـ : * رام الصدود وعاد الودّ كالعمل * (٢) فى ء ، ط ، م : * أحلها الودّ دهرا معقل الوعل * وهذا لا يتفق والإهمال المراد فى هذه القصيدة . (٣) الوعل : تيس الجبل . يريد بذلك استعصاءها ومنعتها . (٤) سدما : متغيرة من طول المكث . (٥) هذا التفسير غير واضح . ولعله المرة من الحوم .

وحَشْوُه[1] رِدَاهَا ماؤُها عَسَــلٌ * ما ماءُ رَدْهٍ لَعَمْرُ اللهِ كالعَسَــلِ

دعا الحَمَامُ حَمامًا سَــدَّ مَسْمَعَه * لمّـا دعاه رآه طـائعَ الأمَــلِ[2]

طَمُوحَ سـارحةٍ حَوْمٍ مُلَمَّعَــةٍ[3] * ومُمْرِعُ السِرِّ سهلٌ مَاكِدُ السَّهَلِ

وحاولوا رَدَّ أمرٍ لا مَرَدَّ لــه * والصُرْمُ داءٌ لأهلِ اللَّوْعةِ الوُصُلِ

٥ أحلَّكَ اللهُ أعْلَى كلِّ مَكْرُمةٍ * واللهُ أعطاك أعلى صـالحِ العمَلِ

سهــلٌ مَوارِدُه سَمْــحٌ مَواعِدُه * مُسَــوَّدٌ لكِرَامٍ سـادةٍ حُمُلِ[4]

عاب المسور بن عبد الملك شعره فقال فيه شعرا

قال يحيى بن علىّ وحدّثنى أبو أيّوب المَدِينىّ عن أبى حُذَيفةَ قال :

كان المُسَوَّرُ بن عبد الملك المَخْزُومىّ يَعيب شعرَ ابن هَرْمةَ ، وكان المُسَوَّرُ هذا عالمًـا بالشعر والنَّسَب[5] ؛ فقال ابن هَرْمةَ فيه :

١٠ إيّاكَ لا أُلْزِمَنْ لَحْيَيْكَ من لُجُمِى * نِكْلًا[6] يُنَكِّلُ قَرّاصًـا[7] من اللُّجُمِ

يَدُقُّ لَحْيَيْــكَ أو تنقـادَ مُتَّبِعًـا * مَشْىَ المُقَيَّدِ ذى القِرْدانِ[8] والحَلَمِ

---

(١) حلأهم عن الماء : منعهم عنه . (٢) كذا فى ء ، ط ومختار الأغانى لابن منظور . وفى سائر الأصول : * لمـا دعاه ودهر طامح الأمل * (٣) السارحة : الماشية . والحَوْم : القطيع الضخم . والملمع : الذى فى جسده بقع تخالف سائر لونه . والمرع : المخصب . والسر هنا : بطن الوادى وأكرم موضع فيه . والماكد : الدائم الذى لا ينقطع . (٤) حمل : جمع حمول ، وهو كثير الاحتمال لما ينوبه

١٥ لحلمه وكرمه . (٥) كذا فى ط ، ء . وفى باقى الأصول : «... والنسيب» . (٦) النكل : اللجام . (٧) كذا فى ط ، ء . والقرّاص (بالصاد المهملة) : وصف من القرص وهو معروف . وفى سائر الأصول : «قراضا» بالضاد المعجمة . والقرّاض : القطّاع ، وبه يستقيم المعنى أيضا . (٨) القردان : جمع قرادة وهى دويبة تتعلق بالبعير ونحوه . والحلم (بالتحريك واحده حلمة بالتحريك أيضا) قيل :

٢٠ هو الصغير من القراد وقيل : هو الضخم ، وهو الأشهر . قال الأصمعى : القراد أوّل ما يكون صغيرا : قَمْقامة ثم يصير حَمْنانة ثم يصير قُرادا ثم حلمة .

إنّى إذا ما آمرؤٌ خفّتْ نعامتُهُ(١) * إلىّ وآستحصدتْ منه قُوَى الوَذَمِ(٢)

عقدتُ فى مُلتقَى أوداجِ لَبّتِهِ * طَوقَ الحمامةِ لا يَبْلَى على القِدَمِ

إنّى آمرؤٌ لا أصوغُ الحَلْىَ تعملُهُ * كفّاىَ لكن لِسانى صائغُ الكَلِمِ

إنّ الأديمَ(٣) الذى أمسيتَ تَقرِظُه * جَهْلًا لذو نَغَلٍ بادٍ وذو حَلَمِ

ولا يَئِطّ(٤) بأيدى الخالقينَ ولا * أيدى الخَوالقِ إلّا جيّدُ الأَدَمِ

عتب عبد الله بن مصعب فى تفضيله ابن أذينة عليه

قال يحيى وحدّثنى أبو أيّوب عن مُصْعَب بن عبد الله عن أبيه قال:

لَقِينى آبنُ هَرْمةَ فقال لى: يا بنَ مُصْعَب، أتُفضّل علىّ آبنَ أُذَينةَ! أمَا شكرتَ قولى:

فما لَكَ مُخْتلًّا عليك خَصاصةٌ * كأنّك لم تَنْبُتْ ببعضِ المَنابِتِ

كأنّك لم تَصْحَبْ شُعَيبَ بنَ جعفرٍ * ولا مُصْعَبًا ذا المَكْرُماتِ آبنَ ثابتِ

- يعنى مُصْعَب بن عبد الله - قال: فقلت: يا أبا إسحاق، أقِلْنى وروّنى من شعرك ما شئتَ، فإنّى لم أَرْوِ لك شيئا. فروّانى عبّاسيّاتِه(٥) تلك.

ثناؤه على إبراهيم بن عبد الله وإبراهيم بن طلحة لإكرامهما له وشعره فى الأوّل

قال يحيى: وأخبرنى أبو أيّوب المَدِينىّ عن مُصْعَب بن عبد الله عن مُصْعَب ابن عثمان قال:

---

(١) النعامة هنا: القدم. ويكنى بخفة النعامة عن السرعة؛ يقال: خفّت نعامتهم، أو شالت نعامتهم، إذا أسرعوا. (٢) الوذم (بالتحريك): سيور تقدّ مستطيلة. واستحصد قواها: إحكام فتلها. وقد يكنى بذلك عن الغضب؛ فيقال: استحصد حبل فلان إذا غضب. (٣) الأديم: الجلد. ويقرظه: يدبغه بالقرظ لإصلاحه. والنغل (بالتحريك): الفساد. والحلم (بالتحريك): فساد فى الجلد، سببه أنه يقع فيه دود فيتثقب. (٤) يئط: يصوّت. والخالقون: وصف من قولهم: خلق الجلد اذا قدّره قبل قطعه. (٥) لعله يريد قصائده التى مدح بها بنى العباس.

قال ابن هرمة : ما رأيتُ أحدًا قطّ أسخى ولا أكرم من رجلين : إبراهيم ابن عبد الله بن مُطيع، وإبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله بن معمر. أمّا إبراهيم ابن طلحة فأتيته فقال : أحسنوا ضيافة أبي إسحاق، فأتيت بكلّ شيء من الطعام. فأردت أن أنشده، فقال : ليس هذا وقت الشعر . ثم أخرج الغلام إليّ رُقعة فقال : ائت بها الوكيل. فأتيته بها، فقال : إن شئت أخذتُ لك جميع ما كتب به، وإن شئت أعطيتك القيمة . قلت : وما أمر لي به ؟ فقال : مائتا شاة برِعائها وأربعة أجمال وغلام جمّال ومظلّة وما تحتاج إليه ، وقوتك وقوت عيالك سنة . قلت : فأعطني القيمة ؛ فأعطاني مائتي دينار . وأمّا إبراهيم بن عبد الله فأتيته في منزله بعُشاش[1] على بئر ابن الوليد[2] بن عثمان بن عفّان ، فدخل إلى منزله ثم خرج إليّ برِزْمة من ثياب وصُرّة من دراهم ودنانير وحُليّ . ثم قال : لا والله ما بقّينا في منزلنا ثوبًا إلّا ثوبًا نُواري به امرأة، ولا حَلْيًا ولا دينارا ولا درهما . وقال يمدح إبراهيم :

أرّقتني تلومني أمّ بكر * بعد هَدْءٍ واللّومُ قد يُؤذيني
حذّرتني الزمانَ ثمّت قالت * ليس هذا الزمانُ بالمأمون
قلتُ لما هبّت تُحذّرني الدّهـ * ـرَ دعي اللّومَ عنك واستبقيني
إنّ ذا الجود والمكارم إبرا * هيمَ يَعنيه كلّ ما يعنيني
قد خبرناه في القديم فألفيـ * ـنا مواعيده كعين اليقين
قلتُ ما قلتُ للّذي هو حقٌّ * مستبينٌ لا للّذي يُعطيني

(١) عشاش : (بضم أوله وشين معجمة أيضا في آخره) : موضع بين ديار بني سليم وبين مكة - وبينه وبين مكة نصف مرحلة . (انظر معجم ما استعجم للبكري في اسم «شاش ج ٢ ص ٦٠٥ طبع أوربا) .

(٢) في ي ، ط : « بئر الوليد » . وكان لعثمان بن عفان (رضي الله عنه) ابن يسمى الوليد ، ولا ندري أكانت هذه البئر له أم لأبيه .

نَضَحتْ أرضَنا سماؤك بعد الـ * ـجَدْب منها وبعدَ سُوء الظُّنون

فرعَينـا آثار غَيثٍ هَراقَتْـ * ـهُ يدا مُحْكَمِ القُوَى ميمون

طلب من محمد بن عمران علفا بإغراء محمد الزهرى فأعطاه كل ما ورده

وقال هارون حدّثنا حمّاد عن عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِىّ :

أنّ إبلًا لمحمد بن عِمْران تحمل علفًا مرّتْ بمحمد بن عبد العزيز الزُّهْرِىّ ومعه ابن هَرْمةَ، فقال: يا أبا إسحاق، ألَا تستعلف محمدَ بن عِمْرانَ! وهو يريد أن يُعَرِّضه ٥ لمَنْعه فيهجوه. فأرسل ابن هرمة فى أثر الحَمُولة رسولًا حتّى وقف على ابن عِمْران، فأبلغه رسالتَه؛ فردّ إليه الإبل بما عليها، وقال : إن احتجتَ إلى غيرها زِدناك . فأقبل ابن هَرْمة على محمد بن عبد العزيز فقال له : اغسِلْها عنّى، فإنّه إنْ علِم أنّى استعلفته ولا دابّةَ لى وقعتُ منه فى سَوْءة(١). قال: بماذا؟ قال: تُعْطِينى حمارَك. قال: ١٠ هو لك بسَرْجه ولِجامه . فقال ابن هَرْمة : مَنْ حَفَر حفرةَ سَوْءٍ وقَع فيها .

وفد على السرىّ بن عبد الله باليمامة ومدحه فأكرمه وكان يحب أن يفد عليه

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنا أبو يحيى هارون بن عبد الله الزُّهْرِىّ عن ابن زُرَيْق(٢)، وكان منقطعًا إلى أبى العبّاس بن محمد(٣) وكان من أَرْوَى الناس، قال :

كنتُ مع السَّرِىّ بن عبد الله باليَمامة ، وكان يتشوّق إلى إبراهيم بن علىّ ابن هَرْمةَ ويُحِبُّ أن يَفِدَ عليه، فأقول : ما يمنعك أن تكتب إليه ؟ فيقول : ١٥ أخاف أن يكلّفنى(٤) من المؤونة ما لا أُطيق. فكنت أكتب بذلك إلى ابن هَرْمةَ، فكره أن يَقْدَم عليه إلّا بكتاب منه؛ ثم طُلِب فشخَص إليه، فنزل علىّ ومعه راويتُه ابنُ رُبَيح . فقلتُ له : ما مَنَعك من(٥) القُدوم على الأمير وهو من الحِرْص

(١) فى ط ، ء ، م : « وقعت منه » .
(٢) كذا فى جميع الأصول فيما سيأتى (ص ٣٨٦). وفى أكثر الأصول هنا : « عن أبى زريق » . وفى م ، س : « ابن أبى زريق » . ٢٠
(٣) أبو العباس بن محمد، هو عبد الله السفاح أول خلفاء بنى العباس .
(٤) فى ط ، ء : «فيكره».
(٥) كذا فى ط ، م . وفى سائر الأصول : « ما يمنعك » .

على قدومك على ما كتبتُ به إليك؟ قال : الذى منعه من الكِتاب إلىّ . فدخلتُ على السَّرِىّ فأخبرتُه بقُدومه ، فسُرَّ بذلك وجلَس للناس مجلسًا عامًّا ، ثم أَذِن لابن هَرْمَة فدخل عليه ومعه راويتُه ابن رُبَيْح . وكان ابن هَرْمة قصيرًا دَمِيمًا أُرَيْمِص،(١) وكان ابنُ رُبَيْح طويلًا جسيمًا نقىّ الثياب . فسلَّم على السَّرِىّ ثم قال له : أصلحك اللهُ! إنّى قد قلتُ شعرًا أثنيتُ فيه عليك . فقال : أَنْشِدْ، فقال : هذا يُنشد . فجلس . فأنشده ابن رُبَيْح قصيدتَه التى أوّلُها :

عُوجَا على رَبْعِ ليلَى أُمِّ محمودِ * كيما نُسائلَه من دون عَبُّودِ(٢)

عن أُمِّ محمودَ إذ شَطَّ المَزارُ بها * لعلّ ذلك يَشْفِى داءَ مَعْمودِ(٣)

فعرّجا بعد تغويرٍ وقد وقفتْ * شمسُ النهارِ ولاذ الظِّلُّ بالعُودِ(٤)

شيئًا فما رَجَعتْ أطلالُ منزلةٍ * قَفْرٍ جوابًا لمحزونِ الجوَى مُودِى(٥)

ثم قال فيها يمدح السرىّ :

ذاك السَّرِىُّ الذى لولا تَدَفُّقُه * بالعُرْفِ مُتْنَا حليفُ المجدِ والجودِ(٦)

مَنْ يَعْتَمِدْكَ ابنَ عبدِ الله مجتديًا(٧) * لِسَيْبِ عُرْفك يَعْمِدْ خيرَ معمودِ(٨)

---

(١) أريمص : تصغير أرمص ، وصف من الرَّمَص فى العين وهو كالغَمَص ، وقيل : الرمص : ما سال مما تلفظ به العين ، والغمص : ما جمد ، وقيل العكس . (٢) عبود وصَعْر : جبلان مابين المدينة والسيالة ينظر أحدهما الى الآخر ، و بينهما طريق المدينة . (٣) المعمود : من هدّه العشق . (٤) التغوير : النزول وقت القائلة . وفى ى ، ط ، ء : « تعويق » . والتعويق : الانصراف عن الشيء والانحباس عنه . وفى مختار الأغانى لابن منظور : « تطويل » .

(٥) المودى : الهالك . (٦) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ :

* بالعرف مات حليف المجد والجود *

(٧) فى حـ : « مجتهدا » . (٨) معمود : مقصود .

يابنَ الأَساةِ الشُّفاةِ المُسْتغَاثِ بهمْ * والمُطعِمينَ ذُرَى الكُومِ المَقاحيدِ (١)

والسّابقين إلى الخيرات قومَهمُ * سَبْقَ الجياد إذا ما ابتلّها القُودِ (٢)

أنت ابنُ مُسْلَنْطِحِ البطحاء مَنْبِتُكُمْ * بطحاءُ مكّةَ لا روسُ القراديدِ (٣)

لكمْ سِقَايتُها قِدْمًا وَنَدْوَتُها (٤) * قد حازها والدٌ منكم لمولودِ

لولا رجاؤك لم تَعْسِفْ بنا قُلُصٌ * أجوازَ مَهْمَهةٍ قَفْرٍ الصُّوَى بِيدِ (٥)

لكنْ دعانى وميضٌ لاح معترضًا * من نحو أرضك فى دُهْمٍ مَنَاضيدِ (٦)

وأنشده أيضا قصيدةً مدَحه فيها، أوّلُها :

أفى طَلَلٍ قَفْرٍ تحمَّلَ آهِلُهْ * وقفتَ وماءُ العينِ يَنْهَلُّ هامِلُهْ

تُسائل عن سَلْمَى سَفَاهًا وقد نأتْ * بسلمَى نَوًى شَحْطٌ فكيف تُسائلُهْ

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . والذرى (بضم الدال) : جمع ذروة (بضم الأوّل وكسره) . وذروة كل شىء : أعلاه ؛ وذروة السنام والرأس : أشرفهما . والكوم : الضخام الأسنمة ، الواحد أكوم وكوماء . والمقاحيد : جمع مقحاد وهى الناقة العظيمة السنام . وفى ء ، ط ، م : « ذرى الكوم الفراقيد » والفراقيد : جمع فرقد وهو ولد البقرة ، وقيل : ولد البقرة الوحشية . وظاهر أن الرواية الأولى هى الصحيحة . (٢) القود : جمع أقود ، وهو من الخيل الطويل العنق . (٣) اسلنطح الوادى : اتسع . (انظر ص ٣١٧ من هذا الجزء) . وروس : جمع رأس ، خففت همزته . والقراديد : جمع قردود وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ ، وقيل : جمع قردد ، وزادوا الياء كراهية التضعيف . (٤) السقاية : ما كانت قريش تسقيه الحجاج من النبيذ المنبوذ فى الماء ، وكان يليها العباس بن عبد المطلب فى الجاهلية والإسلام . والندوة : دار الندوة بمكة وهى التى بناها قصىّ . سميت بذلك لاجتماعهم فيها لأنهم كانوا اذا حزبهم أمر ندوا اليها للتشاور . (٥) كذا فى أكثر الأصول . والعسف : السير فى المفازة وقطعها بغير قصد ولا هداية . والصوى : الأعلام من الحجارة تنصب فى الفيافى والمفازات المجهولة يستدل بها على الطريق . وفى حـ :

* أجواب مهمهة قفر الطوى بيد *

والأجواز والأجواب بمعنى ، من جاز المكان وجابه اذا قطعه . والطوى : ما يطوى ، من طوى البلاد أى قطعها ، وطوى المكان جاوزه الى غيره . (٦) دهم : سود . ومناضيد : متراكبة بعضها فوق بعض . يريد سحابا هذا وصفها .

وترجو ولم ينطق وليس بناطق * جوابًا مُحيلٌ[1] قد تحمّل آهلُهْ
ونُؤْىٌ كخطّ النون ما إن تبينُهُ * عفته ذيول[2] من شمالٍ تذايلُهْ[3]

ثم قال فيها يمدح السّرىّ :

فقُلْ للسّرىّ الواصلِ البرّ ذى النّدى * مديحًا إذا ما بُثّ صُدّق قائلُه
جوادٌ على العِلّاتِ يهتزّ للنّدى * كما اهتزّ عضبٌ أخلصتْه صيَاقلُهْ
نَفَى الظّلمَ عن أهل اليمامة عدلُهُ * فعاشُوا وزاحَ[4] الظّلمُ عنهم وباطلُهْ
وناموا بأمنٍ بعد خوفٍ وشدّةٍ * بسيرةِ عدلٍ ما تُخاف غوائلُهُ
وقد عَلِم المعروفُ أنّك خِدْنُهُ * ويعلَم هذا الجوعُ[5] أنّك قاتلُه
بك اللهُ أحيا أرضَ حَجْرٍ[6] وغيرَها * من الأرض حتّى عاش بالبَقْلِ آكلُهْ
وأنت تُرَجَّى للّذى أنت أهلُهُ * وتنفع ذا القُرْبَى لديك وسائلُهْ

وأنشده أيضا ممّا مدحه به قولَه :

* عُوجا نُحَىِّ الطُّلولَ بالكُثُبِ[7] *

يقول فيها يمدحه :

دَعْ عنك سَلْمَى وقُلْ مُحَبَّرةً[8] * لماجِدِ الجَدِّ طيّبِ النّسبِ
مَحْضٍ مُصَفًّى العُروقِ يحمَده * فى العُسْرِ واليُسْرِ كلُّ مُرْتَغِبِ

(١) المحيل : الذى أتت عليه أحوال فغيرته . يقال : أحالت الدار وأحولت . (٢) ذيل الريح : ما انسحب منها على الأرض . وذيل الريح أيضا : ما تتركه فى الرمال على هيئة الرسن ، وما جرّته على الأرض من التراب والقتام . وقيل : أذيال الريح : أواخيرها التى تكسح بها ماخف لها . (٣) تذايله : لعله يريد أنها تجرّ عليه ذيولها وتسفيه . وفى أكثر الأصول : « تذائله » بالهمز . (٤) زاح هنا : ذهب ؛ فهو لازم مثل انزاح . (٥) فى مختار الأغانى : « الجور » بالراء المهملة .
(٦) كذا فى أكثر الأصول . وحجر (بالفتح) مدينة اليمامة وأم قراها . وفى م :
* بك الله أحيا الأرض حجرا وأهلها *
(٧) الكثب (بالتحريك) : موضع بديار بنى طىء . (٨) حبر الشعر والكلام : حسنه وأجاده .

الواهبِ الخيْــلَ فى أعنّتها * والوُصَفاءَ الحِسانَ كالذَّهَبِ
مجــدًا وحمدًا يُفيــدُه كَرَمًا * والحمدُ فى الناس خيرُ مُكْتَسَبِ

قال : فلمّــا فرَغ ٱبن رُبَيْح ، قال السِّرِىُّ لٱبن هَرْمة : مرحبًا بك يا أبا إسحاق ! ما حاجتك؟ قال : جئتك عبدًا مملوكا . قال : [لا !] (١) بل حُرًّا كريما وٱبنَ عمّ ، فما ذاك ؟ قال : ما تركتُ لى مالًا إلّا رهنتُه ، ولا صديقًا إلّا كلّفته — قال أبو يحيى : يقول لى ابن زُرَيْق (٢) : حتّى كان له دَيْنًا وعليــه مالًا — فقال له السِّرىّ : وما دَيْنُك؟ قال : سبعُمائة دينار . قال : قد قضاها اللهُ عزّ وجلّ عنك . قال : فأقام أيّاما ، ثم قال لى : قد ٱشتقتُ . فقلت له : قل شِعرًا تَشَوَّقُ فيه . فقال قصيدتَه التى يقول فيها :

٥

١١٠ / ٤

أَالحمامةُ (٣) فى نخــل ٱبن هَــدّاج * هاجتْ صَبابةَ عانِى القلب مُهْتاجِ
أم المُخَبِّرُ أنّ الغَيْثَ قد وَضَعتْ (٤) * منــه العِشارُ تمــامًا غيرَ إخداجِ
شَقَّتْ (٥) سَوائفُها بالفَرْش (٦) من مَلَلٍ * إلى الأعارِف (٧) من حَزْنٍ وأولاجِ (٨)
حتّى كأنّ وُجوهَ الأرض مُلْبَسةٌ * طرائفًا من سَدَى عَصْبٍ ودِيباجِ

١٠

(١) الزيادة من مختار الأغانى لابن منظور . (٢) كذا ورد هــذا الاسم هنا فى جميع الأصول . (انظر ص ٣٨٢ من هذا الجزء) . (٣) فى مختار الأغانى لابن منظور : « إن الحمامة » . (٤) أخدجت الناقة : ألقت ولدها قبل أوانه لغير تمــام الأيام وإن كان تام الخلق . (٥) كذا فى م . وشقت : انفطرت عن النبات ؛ أو المراد : شق نباتها ؛ فأسند الفعل إلى الأرض على سبيل المجاز ؛ يقال : شق النبات يشق شقوقا ؛ وذلك أول ما تنفطر عنه الأرض . والسوائف : جمــع سائفة وهى أرض بين الرمل والجلــد أو جانب من الرمل ألين ما يكون . وفى سائر الأصول : «شقت شوائقها» . (٦) الفرش : واد بين غميس الحمام وملل ، كما فى معجم البلدان لياقوت ؛ نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مسيره إلى بدر . وملل : موضع بين الحرمين ؛ سمى بذلك لأن المــاشى إليه من المدينة لا يبلغه إلا بجهــد ملل وجهد . وقد نزله أيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مسيره إلى بدر . (٧) الأعارف : جبال باليمامة ، كما فى ياقوت .

١٥

٢٠

(٨) كذا فى م ، والحزن : ما غلظ من الأرض . والأولاج : ما غمض من الأرض ، واحده : وَلَجة . وفى سائر الأصول : « من حزن وأوجاج » .

وهي طويلة مختارة من شعره، يقول فيها يمدح السَّرِيّ :

أمّا السَّرِىُّ فإنّى سوف أمدَحُه * ما المادحُ الذاكرُ الإحسانَ كالهاجى

ذاك الذى هو بعد الله أنقذنى * فلستُ أنساه إنقاذِى وإخراجى

لَيْثٌ بحَجْرٍ إذا ما هاجَه فَزَعٌ * هاجَ إليه بإلجامٍ وإسراجِ

لأَحْبُوَنَّكَ مما أَصْطَفِى مِدَحًا * مُصَاحِباتٍ لعُمَّارٍ وحُجّاجِ

أَسْدَى الصنيعةَ من بِرٍّ ومن لَطَفٍ * إلى قَرُوعٍ لباب المُلْكِ ولّاجِ

كَمْ من يَدٍ لك فى الأقوام قد سَلَفَتْ * عند امرئٍ ذى غِنًى أو عند مُحْتاجِ

فأمر له بسبعمائة دينار فى قضاء دَيْنه ، ومائةِ دينارٍ يتجهّز بها ، ومائةِ دينارٍ يُعَرِّضُ بها أهلَه ، ومائةِ دينارٍ إذا قَدِم على أهله .

قوله : « يُعَرِّضُ بها أهلَه » أى يُهْدِى لهم بها هديّة ، والعُرَاضةُ : الهَدِيّة .
قال الفرزدق يهجو هشامَ بن عبد الملك :

كانت عُرَاضَتَك التى عَرَّضْتَنا * يوم المدينة زَكْمَةٌ وسُعَالا

أخبرنى الحَرَمِىُّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى نَوْفَل بن ميمون قال أخبرنى أبو مالك محمد بن علىّ بن هَرْمةَ قال :

أنكر شعرا له فى بنى فاطمة خوفا من العباسيين

قال ابن هَرْمةَ :

ومهما أُلَامُ[1] على حُبّهم * فإنّى أُحبُّ بنى فاطمه

بنى بنت مَنْ جاء بالمُحْكَما * تِ والدِّين والسُّنّةِ القائمه

(١) لم يجزم الفعل هنا، وهو شاذ .

فلقِيه بعـد ذلك رجلٌ فسأله : مَنْ قائلُها ؟ فقال : مَنْ عضَّ بَظْرَ أُمِّـه . فقال له ابنُه : يا أبت، ألستَ قائلَها ؟ قال بلى . قال : فلِمَ شتمتَ نفسَك ؟ قال : أليس أنْ يَعَضَّ المرءُ بَظْرَ أمّه خيرًا[1] من أن يأخذَه ابن قَحْطَبَة[2] !

خبره مع رجل يتبجر بعرض ابنتيه

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا جعفر بن مُدْرِك الجَعْدىّ قال : جاء ابنُ هَرْمةَ إلى رجل كان بسوق النَّبَط ، معـه زوجةٌ له وابنتان كأنّهما ظَبْيَتان [يقود عليهما][3] ، بمال فدفعه إليه ، فكان يشترى لهم طعامًا وشرابًا . فأقام ابنُ هَرْمةَ مع ابنتيه حتّى خفّ ذلك المـالُ، وجاء قومٌ آخرون معهم مالٌ ؛ فأخبرهم بمكان ابن هَرْمةَ ؛ فاستثقلوه وكرِهوا أن يعلَم بهم ؛ فأمر ابنتيه، فقالتا له : يا أبا إسحاق، أمَا دَرَيْتَ ما النّاسُ فيه ؟ [قال: وما هم فيه ؟ قالتا :][4] زُلْزِلَ بالرَّوْضة، فتغافلهما. ثم جاء أبوهما مُتَفَازِعًا فقـال : أى أبا إسحاق، ألَا تفزَعُ لِمـا الناسُ فيـه ! قال : وما هم فيـه ؟ قال : زُلْزِلَ بالرَّوْضة. قال : قد جاءكم الآنَ إنسانٌ معـه مالٌ، وقد

(١) فى الأصول : « خير » بدون ألف .

(٢) هو حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن جعدان الطائى . ولى مصر من قبـل الخليفة أبى جعفر المنصور بعد عزل محمد بن الأشعث فى أوائل سنة ثلاث وأربعين ومائة . وكان أميرا شجاعا وقائدا مقداما عارفا بأمور الحروب والوقائع ، وتنقل فى الأعمال الجليلة ، معظما عند بنى العباس ، وقد حضر مع أبيه قحطبة كثيرا من الوقائع فى ابتداء دعوة بنى العباس . ومات فى خلافة المهدى سنة تسع وخمسين ومائة (راجع النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٤٩ طبع دار الكتب المصرية) . وفى مختصر كتاب الأغانى المسمى بتجريد الأغانى من ذكر المثالث والمثانى ، لابن واصل الحموى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ ورد بعد ذكر هذا الخبر ما نصه : «قلت و إنما خاف ابن هرمة من نسبة الشعر إليه لأن المنصور كان شديد الطلب لمن يميل إلى العلويين والتتبع لمن يحبهم بخروجهم عليه . وكان خرج عليه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب بالمدينة وأخوه إبراهيم بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائة ، فهزما وقتلا وحمل رأسهما إليه » اهـ . (٣) الزيادة عن مختصر الأغانى لابن واصل الحموى (ص ١٩٢ من النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٧١ أدب) . (٤) الزيادة عن مختار الأغانى لابن منظور (ص ٨٥ طبع مصر) .

نَفَضْتُ[1] ما جئتكم به وثقلتُ[2] عليه ، فأردتَ إدخالَه وإخراجى . أُزَلْزَلُ بروضة من رياض الجنّة ويُتْرَكُ منزلُك وأنت تجمع فيه الرجالَ على ابنتيك! واللّه لا عُدْتُ إليه!

١١١ / ٤

وخرج من عنده .

وروى هذا الخبرَ عن الزُّبير هارونُ بن محمد الزيّات فزاد فيه، قال : ثم خرج من عندهم ، فأتى عبدَ اللّه بن حسن فقال : إنّى قد مدحتُك فاسْتَمِعْ منّى . قال : لا حاجة لى بذلك ، أنا أعطيك ما تُريد ولا أسمع . قال : إذًا أُسقَطَ ويكسُد سوقى[3] . فسمِع منه وأمر له بمائتى[4] دينار، فأخذها وعاد إلى الرجل، وقال : قد جئتك بما تُنفقه كيف شئتَ . ولم يزل مقيمًا عنده حتّى نَفِدتْ .

قصته مع محمد بن عبد العزيز ومحمد بن عمران وغيرهما

قال الزُّبير : وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد اللّه بن عبد العزيز قال حدّثنى عمّى عِمْران بن عبد العزيز بن عُمَر بن عبد الرحمن بن عَوْف قال :

وَافَيْنا الحجّ فى عامٍ من الأعوام الخالية ، فأصبحتُ بالسَّيَالة ، فإذا إبراهيم بن علىّ ابن هَرْمةَ يأتينا، فاستأذن على أخى محمد بن عبد العزيز فأذن له ، فدخل عليه فقال : يا أبا عبد اللّه ، ألَا أُخبِرك ببعض ما تَسْتَظْرِفُ[5]؟ قال: بلى، وربّما فعلتَ يا أبا إسحاق. قال : فإنّه أصبح عندنا هاهنا منذ أيام محمد بن عِمْرانَ وإسماعيل بن عبد اللّه ابن جُبَيْر، وأصبح ابنُ عِمْرانَ يجلين له ظالعينَ[6]، فإذا رسولُه يأتينى أنْ أَجِبْ، فخرجتُ

---

(١) كذا فى م . والذى فى اللسان : « وأنفض القوم : نفد طعامهم وزادهم مثل أرملوا ... وأنفضوا زادهم أنفدوه ... ونفض القوم نفضا : ذهب زادهم ... وقوم نَفَضٌ أى نفضوا زادهم » . وفى سائر الأصول : « تنضب » وهو تحريف . (٢) فى م : « وثقلت عليكم » . (٣) فى مختار الأغانى : « شعرى » . (٤) فى مختار الأغانى : « بمائة » . (٥) فى م : « ألا أخبرك ببعض ما يستطرف » . (٦) الظالع : الذى يغمز فى مشيه .

حتى أتيتُه ، فأخبرنى بطَلْع جمليه ، وقال لى : أردتُ أن أبعث إلى ناضحَين[1] لى بعمْق[2]
لعلى أُوتَى بهما إلى هاهنا لأَمضى عليهما ، و يصير هذان الظالعان إلى مكانهما . ففرِّغ
لنــا دارَك واشترِ لنا عَلَفًا وآستلِنْه بجَهْدك ، فإنّا مُقيمون هاهنا حتى تاتينا[3] جمالُنــا .
فقلتُ : فى الرُّحب والقُرْب ، والدّارُ[4] فارغةٌ ، وزوجتُه طالقٌ إن اشتريتُ عُودَ عَلَف ،
عنــدى حاجتُك منه . فأنزلتُه ودخلتُ إلى السوق ، فــا أبقيت فيه شيئا من رِسْل[5]
ولا جِدَاء ولا طُرْفة ولا غيرِ ذلك إلا آبتعتُ منه فاخرَه ، و بعثتُ به إليه مع دَجَاج
كان عندنا . قال : فبينا أنا أدور فى السوق إذ وقف علىَّ عبدٌ لإسماعيلَ بن عبد الله
يُسَاوِمُنى بحِمْلِ عَلَف لى ، فلم أزَلْ أنا وهو حتّى أخذه منّى بعشرة دراهم ، وذهب به
فطرَحه لظَهْره . وخرجتُ عند الرَّواح أتقاضَى العبدَ ثمَنَ حِمْلى ، فإذا هو لإسماعيل
ابن عبد الله ولم أكن دَرَيْتُ . فلمــا رآنى مولاه حيَّانى ورحَّب بى ، وقال : هل
من حاجةٍ يا أبا إسحاق ؟ فأعلمه العبدُ أنّ العَلَفَ لى . فأجلسنى فتغــدّيت عنده ، ثم
أمرَ لى مكانَ كلِّ درهم منها بدينار ، وكانت معه زوجتُه فاطمةُ بنت عَبّاد ، فبعثتْ
إلىّ بخمسة دنانير . قال : وراحوا ، وخرجتُ بالدنانير ففرّقتها على غُرَمائى ، وقلت :
عند آبن عِمْران عِوَضٌ منها . قال : فأقام عندى ثلاثًا ، وأتاه جمَلاه ، فــا فعَل بى
شيئا . فبينَا هو يترحّل وفى نفسه منّى ما لا أدرى به ، إذ كلّمَ غلامًا له بشىءٍ فلم يفهَم .
فأقبلَ علىّ فقال : ما أَقْدِر على إفهامه مع قُعودك عندى ، قد والله آذيتَنى ومنعتَنى[6]
ما أردتُ . فقمتُ مُغْتمًّا بالذى قال ؛ حتّى إذا كنتُ على باب الدار لَقِيَنى إنســانٌ

(١) الناضح : البعير يستق عليه ، ثم استعمل فى كل بعير وإن لم يحمل الماء . (٢) عمق : ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز ، كما فى معجم ما استعجم البكرى . (٣) كذا فى م . وفى سائر النسخ : « حتى يأتيا » . (٤) فى م : « الدار » بدون واو . (٥) الرسل (بكسر الراء) : اللبن ما كان . والجداء : جمع جدى ، وهو الذكر من أولاد المعز . والطرفة : ما يطرف به الرجل صاحبه ويتحفه به . (٦) فى م : « قد والله آذيتنى ومنعنى مكانك منى مما أردت » .

فسألنى : هل فَعَل إليك شيئا؟[1] فقلتُ : أنا والله بخيرٍ إذْ تَلِفَ[2] مالى ووَيحتُ بدَنى .
قال : وطَلَع علىّ وأنا أقولها ، فشتمنى والله يا أبا عبد الله حتّى ما أبقَى لى ، وزَعَم أنّه
لولا إحرامهُ لضربنى ، وراح وما أعطانى درهما . فقلتُ :

يا مَنْ يُعِينُ على ضَيْفٍ أَلَمَّ بنـا * ليس بِذِى[3] كَرَمٍ يُرْجَى ولا دِينِ
أقام عنـدى ثلاثًا سُنّةً سَلَفَتْ * أُغْضِيتُ منها على الأقذاء والهُونِ[4]
مسافةُ البيت عَشْرٌ غيرُ مُشْـكِلةٍ * وأنت تأتيـه فى شَهْرٍ وعشرينِ
لستَ تُبالى قَوَاتَ الحَجّ إن نَصِبتْ * ذاتُ الكَلَالِ وأسمنتَ ابنَ حِرْقِينِ[5]
تمنّتِ النّاسُ عمّـا فيك من كَرَمٍ * هيهـاتَ ذاك لضيفَانِ المسَاكينِ
أصبحتَ تَخْزُنُ ما تَحْوِى وتجمَعُـه * أبا سُـــلَيمانَ من أشـلاءِ[6] قارونِ
مثـلُ ابنِ عِمْرانَ آباءٌ له سَـلَفُوا * يجزُونَ فِعْلَ ذوى الإحسان بالدُّونِ
ألَا تكـون كإسمـاعيلَ إنّ له * رأيًا أصِـيلًا وفِعْلًا غيرَ ممنـونِ
أو مِثْـلَ زوجتِه فيما أَلَمَّ بهـا * هيهـاتَ مَنْ أمُّها ذاتُ النِّطاقَيْنِ[7]

فلمّا أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز : نحن نُعِينُك يا أبا إسحاق ؛ لقوله :
« يا من يعين » . قال : قد رَفَعك اللهُ عن العَوْن الذى أُريده ، ما أردتُ إلّا رجلًا

(١) كذا فى م . وفى سائر الأصول : « هل فعل إلىّ شيئا » . (٢) فى م : « أنا والله بخير أن تلف ... » وكلتا العبارتين صحيحة . (٣) فى م : « فليس ذا كرم ... ... » .
(٤) فى حـ : « ... ... على الأقذاء فى عينى » . (٥) كذا فى أ كثر الأصول . وفى : حـ : « ابن حرفين » بالفاء . (٦) لعله يريد : من بقايا قارون ؛ أو لعلها محرفة عن « أسلاب » .
(٧) ذات النطاقين : أسماء بنت أبى بكر الصديق ؛ سميت بذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : « أنت ونطاقاك فى الجنة » . وقد دخل هذا الشعر السناد ، وهو أن يخالف الشاعر بين الحركات التى تلى الأرداف فى الروىّ .

مثل عبد الله بن خِنْزِيرةَ وطلحةَ أَطْباء الكَلْبة يُمْسِكونه لى وآخذ خُوطَ سَلَمٍ فأُوجِع به خَوَاصِرَه وجَوَاعِرِه . قال : ولمّا بلغ فى إنشاده إلى قوله :

* مثلُ آبن عمران آباءٌ له سلفوا *

أقبل علىّ فقال : عُذْرًا إلى الله تعالى وإليكم ! إنّى لم أعْنِ من آبائه طلحةَ بن عُبَيد الله . قال : ونزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد ، وكان عندنا ، فلم يكلّمه حتّى ضرب أنفه ، وقال له : فَنَيْتَ من آبائه أبا سُليمان محمدَ بن طَلْحةَ يا دَعِىّ ! قال : فدخلنا بينهما . وجاء رسولُ محمد بن طلحة بن عُبَيْد الله بن عبدْ الرحمن بن أبى بكر الصِّدّيق رضى الله عنه إلى آبن هَرْمةَ يدعوه ، فذهب إليه ، فقال له : ما الذى بلغنى من هِجائك أبا سليمان ! والله لا أرضى حتى تَحْلِفَ ألّا تقولَ له أبدًا إلّا خيرا ، وحتى تلقاه فترضّاه إذا رجع ، وتحتمل كلّ ما أزَلّ إليك وتمدَحه . قال : أفعلُ ، بالحُبّ والكرامة . قال : وإسماعيلُ بن جعفر لا تَعرِضُ له إلّا بخير ؛ قال نعم . قال : فأخذ عليه الأيمانَ فيهما وأعطاه ثلاثين دينارًا ، وأعطاه محمدُ بن عبد العزيز مثلَها . قال : وآندفع آبن هَرْمةَ يمدَح محمد بن عِمْرانَ :

ألم تر أنّ القولَ يَخْلُص صِدْقُه * وتأبَى فما تزكو لباغٍ بَوَاطِلُهْ
ذَمَمْتُ آمرأً لم يَطْبَعِ الذّمُّ عِرْضَه[1] * قليلًا لدى تحصيلِه مَنْ يُشاكِلُهْ
فما بالحجاز من فتًى ذى إمارةٍ * ولا شَرَفٍ إلا آبنُ عِمْرانَ فاضلُهْ
فتًى لا يَطُورُ[2] الذّمُّ ساحةَ بيتِه * وتشقَى به ليلَ التِّمام[3] عَوَاذِلُهْ

(١) أى لم يَسِمْه بما يشينه . ويحتمل أن يكون من طَبِع الشىء : دنس ، وأطبعه : دنّسه .
(٢) لا يطور : لا يقرب . وفى حديث على كرّم الله وجهه : « والله لا أطور به ما سَمَرَ سمير » أى لا أقربه .
(٣) ليل التمام (بالكسر وقد يفتح) : أطول ما يكون من ليالى الشتاء .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَةَ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا أحمد بن عمر الزُّهْرِيّ قال حدّثنا أبو بكر بن عبد الله ابن جعفر المِسْوَرِيّ قال :

مَدح إبراهيم بن هَرْمَةَ محمدَ بن عِمْران الطَّلْحِيّ، فألفاه راويتُه[1] وقد جاءته عِيرٌ له تحمل غَلّةً قد جاءته من الفُرُع[2] أو خَيْبَر. فقال له رجل كان عنده : أعلَمُ والله أنّ أبا ثابت بن عِمْرانَ بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخبره بعِيرك هذه. فقال : إنّما أراد أبو ثابت أن يُعرِّضَني للسانه، قُودُوا إليه القِطَارَ، فقِيدَ إليه .

طلب من عمر بن القاسم تمرا على ألا يعمل منه نبيذا ثم عمل

أخبرنا الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني يحيى بن محمد عن عبد الله بن عمر[3] بن القاسم قال :

جاء أبي تمرٌ من صَدَقة عُمر، فجاءه ابنُ هَرْمَةَ فقال: أمتَع الله بك ! أعْطِني من هذا التمْر. قال : يا أبا إسحاق، لولا أنّي أخاف أن تعمَلَ منه نبيذًا لأعطيتُك. قال : فإذا علمتَ أنّي أعمَلُ منه نبيذًا لا تُعطيني . قال : فخافه فأعطاه . فلقيه بعد ذلك ؛ فقال له : ما في الدُّنيا أجودُ من نبيذٍ يجيء من صَدَقة عمر، فأعجَله .

١١٣
٤

سمع جرير شعره فمدحه

أخبرنا الحَرَميّ قال أخبرنا الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال :

قَدِم جريرٌ المدينةَ، فأتاه ابن هَرْمَةَ وابنُ أُذَيْنَةَ فأنشداه؛ فقال جرير: القُرَشيّ أشعرُهما، والعربيّ أفصحُهما .

(١) كذا في م . وفي سائر الأصول : «روايته» ، وهو تحريف . (٢) الفرع (بالضم): قرية من نواحي الرَّبَذة عن يسار السُّقيا بينها وبين المدينة ثمانية بُرد على طريق مكة . (٣) كذا في م وهو الموافق لما في الطبري (قسم ٣ ص ٢٣٨ طبع أوروبا) . وفي سائر الأصول : « عن عبد العزيز بن القاسم » ، وهو تحريف .

مدح المطلب بن عبد الله فلم لمدحه غلاما حديث السن فأجاب

أخبرنا يحيى بن علىّ إجازةً قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى عبد الله بن محمد :

أنّ ابنَ هَرْمةَ قال يمدح أبا الحكم المُطّلب بن عبد الله :

لمّا رأيتُ الحادثاتِ كَنَفْنَنِى * وأَوْرَثْنَنِى بُؤْسَى ذكرتُ أبا الحَكَمْ

سليلُ مُلوكٍ سبعةٍ قد تتابعوا * همُ المُصْطَفَوْنَ والمُصَفَّوْنَ بالكَرَمْ

فلاموه وقالوا : أتمدَح غلامًا حديثَ السنّ بمثل هذا ! قال نعم ! وكانت له ابنةٌ يُلقّبها "عُيَيْنة" — وقال الزبير : كان يلقّبها "عينة" — فقال :

كانتْ عُيَيْنَةُ فينا وهى عاطلةٌ * بين الجَوارى فحَلّاها أبو الحَكَمِ

فمَنْ لحَانَا على حُسْنِ المَقَالِ له * كانَ المُلِيمَ وكُنّا نحن لم نُلِمِ[1]

شكا حاله لعبد العزيز بن المطلب فأكرمه ثم عاوده فرده فهجاه

قال يحيى وحدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبيرىّ عن نَوْفل بن ميمون قال :

أرسل ابنُ هَرْمةَ إلى عبد العزيز بن المُطّلب بكتاب يشكو فيه بعضَ حاله ؛ فبعث إليه بخمسة عشر دينارًا . فمكث شهرًا ثم بعث يطلب منه شيئا آخرَ بعد ذلك ؛ فقال : إنّا والله ما نقوَى على ما كان يقوى عليه الحَكَمُ بن المطّلب . وكان عبد العزيز قد خطب إلى امرأة من ولد عُمر فردّته ، فخطب إلى امرأة من بنى عامر بن لُؤَىّ فزوّجوه . فقال ابن هرمة :

خطبتَ إلى كَعْبٍ فردّوكَ صاغرًا * فحوّلتَ من كعبٍ إلى جِذْمِ عامرِ[2]

وفى عامرٍ عِزٌّ قديمٌ وإنّما * أجازكَ فيهم هزلُ أهلِ المقابرِ .

(١) لم نلم : لم نأت ما نلام عليه ؛ ومنه المليم (بضم الميم) من ألام الرجل فهو مليم اذا أتى ما يلام عليه . (٢) الجذم (بالكسر) : أصل الشىء .

وقال فيه أيضا :

أبالبُخْلِ تطلُب ما قـدّمتْ * عرانينُ جادتْ بأموالهـا

فهيهات ! خالفتَ فعلَ الكرامِ * خـلاَفَ الجِمـالِ بأبوالهـا

خبره مع امرأة تزوجها

وقال هارون بن محمد حدّثنى مُغيرةُ بن محمد قال حدّثنى أبو محمد السَّهْمِىّ قال حدّثنى أبو كاسب[1] قال :

٥

تزوّج ابن هرمة بامرأة؛ فقالت له : أعطِنى شيئا ؛ فقال : والله ما معى إلّا نَعْلاى ، فدفعهما إليها ، ومضى معها فتورّكها مرارًا . فقالت له . أجْفيْتَنى[2] ؛ فقال لها : الذى أحقّ صاحبَه منّا يَعَضّ بَظْرَ أُمّه .

إغراء قوم بالحكم ابن المطلب بأن يطلب منه شاة كانت عزيزة عليه فأعطاه الحكم كل ما عنده من شاء

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَةَ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى المُسَيَّبِىّ محمد بن إسحاق قال حدّثنى ابراهيم بن سكرة جارُ أبى ضَمْرَةَ قال :

١٠

جلس ابن هَرْمةَ مع قومٍ على شراب ، فذَكَرَ الحَكَمَ بنَ المُطّلب فأطنب فى مدحه . فقالوا له : إنّك لَتُكْثِر ذِكْرَ رجلٍ لو طرقتَه الساعةَ فى شاةٍ يقال لها «غَرّاء» تسأله إيّاها لردّك عنها . فقال : أهو يفعل هذا ؟ قالوا : إى والله . وكانوا قد عرفوا أنّ الحَكَمَ بها مُعْجَبٌ ، وكانت فى داره سبعون شاةً تُحْلَب . فخرج وفى رأسه مافيه ، فدقّ الباب فخرج إليه غلامه . فقال له : أعْلِمْ أبا مَرْوان بمكانى — وكان قد أَمَرَ ألّا يُحْجَبَ إبراهيم بن هَرْمةَ عنه — فأعلمه به ، فخرج إليه مُتَّشحا فقال : أفى مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق ! فقال : نعم جُعِلْتُ فداك ، وُلِد لأخٍ لى مولود فلم تَدِرّ عليه أمّه ، فطلبوا

١٥

١١٤/٤

(١) فى م : «ابن كاسب» .   (٢) أجفيتنى هنا : أجهدتنى .

له شاةٌ حلوبةٌ فلم يجدوها، فذكروا له شاةً عندك يقال لها «غَرّاء»[1]، فسألنى أن أسألكها. فقال: أتجىء فى هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة! والله لا تبقَى فى الدار شاةٌ إلّا انصرفتَ بها، سُقْهنّ معه يا غلام، فساقهنّ. فخرج بهنّ إلى القوم، فقالوا: وَيْحَك! أىَّ شىء صنعتَ! فقصّ عليهم القصة. قال: وكان فيهنّ والله ما ثمنه عشرةُ دنانير وأكثر من عشرة.

لما سمع بقتل الوليد أنشد شعرا فى مدحه

قال هارون وحدّثنى حمّاد بن إسحاق قال ذكر أبى عن أيُّوب بن عَبَايَةَ عن عمر ابن أيُّوب اللّيْثىّ قال:

شَرِب ابنُ هَرْمَةَ عندنا يومًا فسكِر فنام. فلمّا حضرتِ الصلاةُ تحرّكَ أو حرّكتُه. فقال لى وهو يتوضّأ: ما كان حديثكم اليوم؟ قلت يزعُمون أنّ الوليد قُتِل؛ فرفع رأسَه إلىّ وقال:

وكانت أُمورُ الناسِ مُنْبَتّةَ القُوَى * فشدّ الوليــدُ حين قام نِظامَها
خليفةُ حقٍّ لا خليفــةُ باطلٍ * رمَى عن قناة الدِّين حتى أقامها

ثم قال لى: إيّاك أن تذكر من هذا شيئا؛ فإنّى لا أدرى ما يكون.

كان ابن الأعرابى يقول: ختم الشعراء بابن هرمة

أخبرنى علىّ بن سليمان النحوىّ قال حدّثنا أبو العبّاس الأحول عن ابن الأعرابىّ: أنه كان يقول: خُتِم الشعراء بابن هَرْمَةَ.

سكر مرة سكرا شديدا فعتب عليه جيرانه فأجابهم

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى قال أخبرنى أحمد بن يحيى البَلَاذُرىّ:

---

(١) كذا فى حـ. وفى م: «فذكرت لى شاة». وفى سائر الأصول: «فذكرت شاة».

أنّ ابن هَرْمَة كان مُغْرَمًا بالنبيذ، فمرّ على جيرانه وهو شديد السُّكْر[1] حتى دخل منزله. فلمّا كان من الغد دخلوا عليه[2] فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها؛ فقال لهم: أنا في طلب مثلها منذ دهر، أمَا سمعتم قولي:

أسألُ اللهَ سكرةً قبل موتي * وصياحَ الصِّبيان يا سكرانُ

قال: فنفضوا ثيابَهم وخرجوا، وقالوا: ليس يُفْلِح واللهِ هذا أبدًا.

لم يحمل جنازته إلا أربعة نفر وكان ذلك مصداقا لشعره

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: أنشدني عمّي لابن هرمة:

ما أظنّ الزمانَ يا أمَّ عَمْرٍو[3] * تاركًا إن هلكتُ من يبكيني

قال: فكان والله كذلك؛ لقد مات فأخبرني مَنْ رأى جنازته ما يحملها إلّا أربعةُ نفر، حتّى دُفِن بالبقيع.

ولد سنة ٩٠ هـ ومدح المنصور وعمره خمسون سنة وعاش بعد ذلك طويلا

قال يحيى بن عليّ — أُراه عن البَلَاذُرِيّ[4] —: وُلِد ابن هَرْمة سنة تسعين، وأنشد أبا جعفر المنصورَ في سنة أربعين ومائة قصيدتَه التي يقول فيها:

إنّ الغَوانيَ قد أعرضن مَقْلِيَةً * لمّا رمَى هَدَفَ الخمسين ميلادي

قال: ثم عُمِّر بعدها مدّة طويلة.

---

(١) في مختار الأغاني لابن منظور (ج ١ ص ٩٢ طبع مصر): «مُنبَتٌّ سكرا» أي منقطع. وفي ء، ط، م: «فمرّ على جيرانه وهو مثبت سكرا» بالثاء المثلثة وهو تصحيف عن «منبت».
(٢) كذا في مختار الأغاني لابن منظور. وفي جميع الأصول: «إليه». (٣) في حـ: «يا أم سعد». (٤) في م: «رواه عن البلاذري».

ذكر أخبار يونس الكاتب

نسب يونس الكاتب ومنشؤه ومن أخذ عنهم ، وهو أوّل من دوّن الغناء

هو يونس بن سليمان بن كُرْد بن شِهْرِيَار ، من ولد هُرْمُز . وقيل : إنّه مولًى لعمرو بن الزُّبير . ومنشؤه ومنزله بالمدينة . وكان أبوه فقيها [1] ، فأسلمه فى الديوان فكان من كُتّابه . وأخذ الغناء عن مَعْبَد وآبنِ سُرَيْج وآبن مُحْرِز والغَرِيض، وكان أكثر روايته عن معبد ، ولم يكن فى أصحاب معبد أحذق ولا أقوم بما أخذ عنه منه . وله غِناء حسن ، وصنعة كثيرة ، وشعرٌ جيِّد . وكِتَابه فى الأغانى ونسبها إلى مَنْ غَنَّى فيها هو الأصلُ الذى يُعْمَل عليه ويُرْجع إليه . وهو أوّل من دوّن الغناء .

شعر مسعود بن خالد فى مدحه

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيعٌ قال حدّثنا حماد بن إسحاق قال حدّثنى أبى قال أنشدنى مسعود بن خالد المُورِيَانىّ [2] لنفسه فى يونس :

١١٥ / ٤

يا يونسُ الكاتبُ يا يونسُ * طاب لنا اليومَ بك المجلسُ

إنّ المغنّين إذا ما هُمُ * جارَوْكَ أَخْنَى بهمُ المقبِس

تنشُر دِيباجًا وأشباهَه * وهم إذا ما نشروا كَرْبَسوا [3]

خرج مع بعض فتيان المدينة الى دومة فتغنوا واجتمع عليهم النساء فغنى آبن عائشة ففرق جمعهم اليه

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال : ذكر إبراهيم بن قُدَامة الجُمَحىّ قال :

اِجتمع فِتيانٌ من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب و جماعة ممن يُغَنّى، فخرجوا الى وادٍ يقال له دُومة من بطن العقيق، فى أصحاب لهم فتَغَنَّوْا، وآجتمع

---

(١) فى مختصر الأغانى لابن واصل الحموى : «وكان أبوه مقيما بها» . (٢) كذا فى أكثر الأصول، وهو الموافق لما فى تاريخ الطبرى (قسم ثالث ص ٣٧٠ و ٣٧٢ طبع أوربا) . والمورياني (بضم الميم وكسر الراء) : نسبة الى موريان ؛ قرية بخوزستان . وفى م : «المرزبانى» وهو تحريف .

(٣) كربسوا : أتوا بالكرابيس ، وهى الثياب الخشنة من القطن .

إليهم نساء أهل الوادى – قال بعض مَنْ كان معهم : فرأيتُ حولَنا مثلَ مُراح الضأن – وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له ؛ فلمّا رأى جماعة النساء عندهم حسَدهم، فالتفتَ إلى صاحبه فقال : أمَا والله لأُفرِّقَنّ هذه الجماعة ! فأتى قصرًا من قصور العَقيق، فعَلا سطحَه وألقى رداءه وآتّكأ عليه وتغنّى :

صـــوت

هــذا مُقامُ مُطَــرَّدٍ * هُدِمتْ منازلُه ودُورُهْ
رَقَّى(1) عليــه عُــداتُه * ظلمًا فعاقبــه أميرُهْ

– الغناء لآبن عائشة رملٌ بالوسطى . والشعر لعُبَيْد بن حُنَيْن مولى آل زيد بن الخطّاب، وقيل : إنّه لعبد الله بن أبى كَثِير مولى بنى مخزوم – قال : فوالله ما قضَى صوتَه حتّى ما بقِيت آمرأةٌ منهنّ إلّا جلستْ تحت القصر الذى هو عليه وتفرّق حاقة أصحابهم . فقال يونس وأصحابه : هذا عملُ آبنِ عائشة وحسَدُه .

صاحب الشعر الذى تغنى به ابن عائشة وسبب قوله

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى عن أبيه قال :

تزوّج عبدُ الله بن أبى كَثِير مولى بنى مخزوم بالعراق فى ولاية مُصْعَب بن الزُّبير آمرأةً من بنى عَبْد بن بُغَيض(2) بن عامر بن لُؤَىّ، ففرّق مصعبٌ بينهما . فخرج حتّى قَدِم على عبد الله بن الزُّبَير بمكّة فقال :

(1) رقى عليه عداته : تقوّلوا عليه مالم يقل . قال فى القاموس : ورقّى عليه كلاما ترقية : رفع . وفى اللسان ونهاية ابن الأثير : « ... وفى حديث استراق السمع : ولكنهم يرقّون فيه أى يتزيدون ؛ يقال : رقّى فلان علىّ الباطل ؛ اذا تقوّل مالم يكن وزاد فيه » .

(2) كذا فى أكثر الأصول . وبغيض بن عامر كان شريفا ، وهو الذى نقل الخطبة إلى جواره من جوار الزبرقان . وأدرك بغيض الإسلام ووفد الى النبى صلى الله عليه وسلم فسماه حبيبا . وفى م : « من عبد بغيض » . وفى حـ : « من بنى عبد الفيض » .

هــذا مُقامُ مُطــرَدٍ * هُدِمتْ منازلُه ودورُهْ

رقّتْ عليه عُــداتُه * كذِبًا فعاقبه أميرُهْ

فى أنْ شَــرِبتُ بجمّ ما * ء كان حِلًّا لى غَــديرُهْ

فلقد قطعتُ الخَرْقَ[1] بعـ * ـد الخرق مُعْتسِفًا[2] أسيرُهْ

حتّى أتيتُ خليفــةَ الـ * رّحمن ممهــودًا سريرُهْ

حَيّيتُــه بتحيّــــةٍ * فى مجلس حضرتْ[3] صقورُهْ

فكتب عبدُ الله إلى مصعب : أنِ ارْدُدْ عليه امرأتَه ؛ فإنّى لا أُحرّم ما أحلّ الله عزّ وجلّ ؛ فردّها عليه . هذه رواية عُمر بن شبّة .

وأخبرنى الحسن بن علىّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنىّ عن سُحَيْم ابن حَفْص : أنّ المتزوّج بهذه المرأة عُبَيْد بن حُنَيْن مولى آل زيد بن الخطّاب ؛ ١٠ وأنّ المفرِّق بينهما الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة الذى يقال له القُبَاع[4] ؛ وذكر باقىَ الخبر مثل الأوّل .

١١٦ / ٤

ذهب الى الشام فبعث اليه الوليد ابن يزيد ليغنيه ثم وصله

أخبرنى عمّى قال حدّثنى طلحةُ بن عبد الله الطّلحىّ قال حدّثنى أحمد بن الهيثم قال :

خرج يونس الكاتب من المدينة إلى الشأم فى تجارة ؛ فبلغ الوليدَ بن يزيدَ ١٥ مكانُه ؛ فلم يشعر يونس إلّا برسله قد دخلوا عليه الخان ، فقالوا له : أجِبِ الأميرَ — والوليد إذ ذاك أمير — قال : فنهضتُ معهم حتى أدخلونى على الأمير ، لا أدرى

(١) الخرق : القفر . (٢) معتسفا : خابطا الطريق على غير هداية ولا دراية . وفى م : «متقطعا أسيره» . (٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى ب ، س : «حصرت» بالصاد المهملة .

(٤) كان الحارث بن عبد الله أميرا على البصرة ، ولقبه أهلها القباع ؛ وذلك أنه مر بقوم يكيلون بقفيز فقال : إن قفيزكم لقباع . أى كبير واسع . (راجع القاموس ص ٦٠٧ وعيون الأخبار ج ٢ ص ١٧ والأغانى ج ١ ص ١١٠ من هذه الطبعة) .

من هو، إلّا أنّه من أحسن الناس وجهًا وأنبلهم، فسلّمت عليه، فأمرنى بالجلوس، ثم دعا بالشراب والجوارى؛ فكنّا[1] يومنا وليلتنا فى أمر عجيب. وغنّيتــه فأُعجب بغنائى إلى أن غنّيته:

إنْ يَعِشْ مُصْعَبٌ فنحن بخيرٍ * قــد أتانا مِنْ عيشنا ما نُرَجّى

ثم تنبّهتُ فقطعتُ الصوت. فقــال: مالَكَ؟ فأخذتُ أعتــذر من غِنائى بشعرٍ فى مُصْعَب. فضَحِك وقال: إنّ مُصْعَبًا قد مضى وأنقطع أثرُه ولا عداوةَ بينى وبينه، و إنّما أُريد الغناء، فأْمضِ الصوتَ؛ فعُدْتُ فيه فغنّيته. فلم يَزَلْ يَسْتَعيدُنيه حتى أَصبحَ، فشرِب مُصْطَبِحا وهو يستعيدنى هذا الصوت ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثةُ أيّام. ثم قلتُ له: جعلنى الله فداءَ الأمير! أنا رجلٌ تاجرٌ خرجتُ مع تُجّــار وأخاف أن يرتحلوا فيَضيعَ مالى. فقال لى: أنت تغدو غدًا؛ وشرِب باقىَ ليلته، وأمرلى بثلاثة آلاف دينار فحُملتْ إلىّ، وغدوتُ إلى أصحابى. فلمّا خرجتُ من عنده سألتُ عنه، فقيل لى: هذا الأمير الوليــد بن يزيدَ ولىّ عهد أمير المؤمنين هِشام. فلمّا آستُخْلِف بَعَث إلىّ فأتيتُه، فلم أزَلْ معه حتى قُتِل.

صــــوت

من المــائة المختــارة

أصــواته المعروفة بالزيانب

أقصدتْ زينبُ قلبى بعد ما * ذهَب الباطلُ عنّى والغَــزَلْ
وعَلا المَفْـرِقَ شيبٌ شامِلٌ * وَاضِحٌ فى الرأس منّى وآشْتَعَلْ

الشعر لآبن رُهَيْمة المَدَنىّ. والغناء فى اللحن المختــار لعُمَر الوادىّ ثانى ثقيــلٍ بالبنصر فى مجراها عن إسحاق. وفيه ليونسُ الكاتب لحنان: أحدُهما خفيفُ ثقيلٍ

(١) فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٤ ص ٢١٠ طبع دار الكتب المصرية): «فكنتا».

أوّل بالبنصر[1] فى مَجْرى الوسطى عن إسحاق ، والآخَرُ رملٌ بالسبّابة فى مجرى البنصر عنه أيضا . وفيه رَمَلانِ بالوسطى والبنصر : أحدُهما لابن المكّىّ ، والآخَرُ لحَكَم ، وقيل : إنه لإسحاق من رواية الهِشامىّ . ولحنُ يونس فى هــذا الشعر من أصواته المعروفة بالزّيانب ، والشعر فيها كلّها لابن رُهَيْمةَ فى زينب بنت عِكْرِمةَ بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ؛ وهى سبعة : أحدُها قد مضى . والآخَرُ :

صــــوت

أقصدتْ زينبُ قلبى * وسَبَتْ عقــلى ولُبِّى

تركتْنى مُستهامًا * أستغيثُ اللهَ رَبِّى

ليس لى ذنبٌ إليهــا * فتُجازينى بــذَنْبِى

ولهــا عندى ذنوبٌ * فى تنائيهــا وقُــربى

غنّاه يونس رَمَلًا بالبنصر . وفيه لحكَمٍ هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنهــا :

صــــوت

وَجَد الفــؤادُ بزينبــا * وَجْدًا شــديدًا مُتْعِبــا

أصبحتُ من وَجْدى بها * أُدْعَى ســقيًّا مُسْهَبــا[2]

وجعلتُ زينبَ سُــتْرةً * وأتيتُ أمرًا مُعْجِبــا

غنّاه يونس ثقيلًا أوّلَ مطلقا فى مجرى البنصر عن عمرو وإسحاق ، وهو مما يُشَكُّ فيه من غناء يونس . ولعُلَيّةَ بنت المهدىّ فيه ثقيلٌ أوّلُ آخَرُ لا يُشَكُّ فيه أنّه لها ،

(١) فى حـ : « أوّل بالخنصر » .

(٢) أُسْهِب الرجل (مبنيا للمجهول) : ذهب عقله ، أو تغير لونه من حب أو غيره .

كَنَتْ فيه عن رَشَإٍ الخادم — وذكر أحمد بن عُبَيد أنّ فيه من الغناء لحنين هما جميعا من الثقيل الأوّل ليونس — ومن لا يعلم يزعُم أنّ الشِّعر لها .

ومنها :

صــــوت

إنّما زينبُ المُـنَى * وهي الهـمُّ والهَـوَى
ذاتُ دَلٍّ تُضْنِي الصَّحِيـ(١) * ـحَ وتُبْرِى من الجَـوَى
لا يَغُرَّنْك أنْ دعَوْ * تِ فُؤادى فما ٱلتَّوَى(٢)
وٱحْذَرِى هِجْرَةَ الحبيـ * ـبِ إذا مَـلَّ وٱنْزَوَى

غناه يونس رَمَلًا بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

١٠ ومنها :

صــــوت

إنّمـا زينبُ هَمِّى * بأبى تلك وأمّى
بأبى زينبُ لا أُكْـ * ـنِى ولكنّى أُسَمِّى
بأبى زينبُ مِنْ قا * ضٍ قضَى عمْدًا بظُلْمِى
بأبى مَنْ ليس لى فى * قلبِـه قيراطُ رُحْمِ(٣) ١٥

غنّاه يونس رَمَلًا بالبنصر عن عمرو ، وله فيه لحنٌ آخر .

ومنها :

صــــوت

يا زينبُ الحسناءُ يا زينبُ * يا أكرمَ النّاسِ إذا تُنْسَبُ
تَقِيكِ نفسى حادثاتِ الرَّدَى * والأُمُّ تَفْدِيكِ معًا والأبُ ٢٠

(١) فى حـ : « ... تضنى الحليم » . (٢) كذا فى م . وفى حـ : « الى التوى » بالتاء المثناة من فوق . والتوى : الهلاك . وفى سائر الأصول : « الى النوى » بالنون . (٣) الرحم : (بالضم) : مصدر رحم كالرحمة .

هَلْ لكِ فى وُدِّ آمرئٍ صادقٍ * لا يَمْـذُقُ الوُدَّ ولا يَكْذِبُ
لا يبتغى فى وُدِّه مَحْـرَمًا * هيهاتَ منكِ العملُ الأَرْيَبُ[1]

غنّاه يونس ثانى ثقيلٍ بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنهـا :

صـــوت

فليتَ الذى يلحَى على زينبَ المُنَى * تَعَلَّقَـهُ ممـا لَقِيتُ عَشِـيرُ[2]
فَحَسْبِي له بالعُشْرِ ممّـا لَقِيتُـه * وذلك فيما قــد تَراه يسـيرُ

غنّاه يونس ثانى ثقيلٍ بالوسطى فى مجراها عن الهشامى .

هذه سبعة أصوات قد مضتْ وهى المعروفة بالزيانب . ومن الناس من يجعلها ثمـانيةً ، ويزيد فيها لحنَ يونس فى :

* تَصَابَيْتَ أم هاجتْ لك الشوقَ زينب *

وليس هذا منها ؛ وإن كان ليونس لحنُه ، فإنّ شِعْرَه لِحُجَيَّةَ بن المُضَرَّب الكِنْدِىّ ، وقد كُتب فى موضع آخر ؛ وإنّمـا الزيانب فى شعر آبن وُهَيْمةَ . ومنهم من يعُدّها تسعةً ويُضيف إليها :

قُــولاَ لزينبَ لو رأيـ * ـتِ تَشَوُّقى لكِ وآشتراقى[3]

وهــذا اللحن لحَكَم . والشــعر لمحمد بن أبى العبّاس السفّاح فى زينب بنت سليمان آبن علىّ ، وقد كُتِب فى موضع آخر .

انقضت أخبار يونس الكاتب .

(١) المحرم : الحرام . والأريب : ذو الريب . وفى م : «العمل الأعيب» . (٢) العشير : جزء من عشرة أجزاء كالعشر . (٣) الاشتراق : التطلع .

أخبار آبن رُهَيْمَةَ

شبب بزينب بنت عكرمة فأمر هشام بن عبد الملك بضربه فتوارى وظهر فى أيام الوليد بن يزيد وقال شعرا

أخبرنى محمد بن جعفر النحوى قال حدّثنا أحمد بن القاسم قال حدّثنى أبو هِفَّانَ عن إسحاق قال :

كان آبن رُهَيْمَةَ يُشَبِّبُ بزينب بنتِ عِكْرِمةَ بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، ويغنى يونس بشعره، فآفتضحتْ بذلك. فآستعدى عليه أخوها هشامَ بن عبدالملك، فأَمَر بضَرْبه خمسمائة سوط، وأن يُباح دمُه إنْ وُجِد قد عاد لذكرها، وأن يُفْعَلَ ذلك بكلِّ مَنْ غنّى فى شيء من شعره. فهَرب هو ويونُس فلم يُقْـدَرْ عليهما. فلمّا وَلِي الوليدُ بن يزيدَ ظَهَرا. وقال آبن رُهَيْمَةَ :

لئن كنتَ أطردتَنِى[1] ظالمًا * لقد كَشَفَ اللهُ ما أَرْهَبُ
ولو نِلْتَ مِنِّىَ ما تشتهى * لَقَلَّ إذا رَضِيتْ زينبُ
وماشئتَ فاصْنَعْه بى بعد ذا * فَحُبِّى لزينبَ لا يذهبُ

وفى الأصوات المعروفة بالزيانب يقول أَبَانُ بن عبد الحميد اللّاحقىّ :

أُحِبُّ[2] من الغنـاء خَفِيـ * ـفَه إنْ فاتنى الهَزَجُ
وأَشْنَأُ «ضوءَ برقٍ» مثـ[3] * ـلَ ما أَشْنَا «عفا مُزُجٌ»
وأُبْغِضُ «يومَ تنأى» و«الزَّيانِبُ» كلُّها سُمُجُ

(١) أطرده : صيره طريدا. وأطرد السلطان فلانا : أمر بطرده أو بإخراجه من البلد.

(٢) وردت هذه الأبيات فى كتاب الأوراق للصولى (المخطوط منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٥٣٠ أدب) ضمن قصيدة طويلة مثبتة فى ترجمة أبان هذا، ومطلعها :

أأحزنك الألى ردّوا * جمال الحىّ وآدّلجوا

(٣) يريد الشاعر بما وضعناه بين هذه العلامات أصواتا فى الغناء.

وُيُعْجِبُـــنى لإبراهـ * ـيمَ والأوتارُ تَخْتَلِـجُ[(١)]
« أدِيرُ مُدَامــــةً صِرْفًا * كأنَّ صَبِيبَهـا وَدَجٌ[(٢)] »

يعنى أبانُ لحنَ إبراهيم. والشعرُ لأبان أيضا، وهو :

صـــــوت

أدِيرُ[(٣)] مدامـــةً صِرْفًا * كأنّ صَبِيبَهـا وَدَجُ
فظَـلَّ تخـالُه مَلِـكًا * يُصَرِّفُهـا ويَمــتزِجُ

الشعر لأبان، والغناء لإبراهيم ثانى ثقيلٍ بالخنصر فى مجرى الوسطى عن إسحاق.
وفيه لابن جامع ثانى ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر فى مجرى الوسطى عن إسحاق أيضا .
ومما فى غناء يونُس من المائة المختارة المذكورة فى هذا الكتاب :

صـــــوت

من المائة المختارة

ألَا يا لَقَـوْمِى لِلرُّقَادِ المُسَهَّـدِ[(٤)] * ولِلْماء ممنوعًا مِنَ الحائمِ الصَّدِى
ولِلحال بعـد الحال يركَبُها الفتى * ولِلحُبِّ بعـــد السَّلْوةِ المُتَمَرِّدِ[(٥)]

---

(١) كذا فى كتاب الأوراق للصولى . وفى الأصول : «تعتلج» بالعين المهملة . وما أثبتناه أنسب بالمعنى . على أن كلمة «تعتلج» قد وردت فى بيت آخر من هذه القصيدة، وهو :

نعم فبنات همّ الصد * ر فى الأحشاء تعتلج

(٢) الودج : عرق الأخدع الذى يقطعه الذابح فلا يبق معه حياة . والمراد تشبيه لون الخمرة بلون الدم الذى يسيل من الأخدع عند الذبح . (٣) نسب المؤلف هذين البيتين فى (ج ١٢ ص ١١٠ طبع بلاق) لمطيع بن إياس . وهو خطأ . (٤) فى مختصر الأغانى لابن واصل الحموى : «المشرّد» .
(٥) فى م : «المتردّد» .

الشعر لإسماعيل بن يَسَار النَّسائى من قصيدة مدح بها عبدَ الملك بن مَرْوان ؛ وذكر يحيى بن علىّ عن أبيه عن إسحاق: أنَّها[1] للغول بن عبد الله بن صَيْفِىّ الطّائى. والصحيح أنَّها لإسماعيل. وأنا أذكُر خبره مع عبد الملك بن مروان ومدْحه إيّاه بها ليُعْلَمَ صحّةُ ذلك. والغناء ليونس، ولحنه المختار من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلق فى مجرى البنصر. وتمام هذه الأبيات:

وللمَـرْءِ لا عَمَّنْ[2] يُحِبُّ بِمُرْعَوٍ * ولا لِسبيلِ الرُّشْدِ يوماً بمُهتدى
وقد قال أقوامٌ وهم يعـذلونه[3] * لقد طال تعذيبُ الفؤادِ المُصَيَّدِ

---

(١) كذا فى ط، حـ، ء. وفى سائر الأصول: «أنه للغول». والتذكير باعتبار أنه شعر.

(٢) كذا فى م. وفى سائر النسخ: «عما»، وكلاهما صحيح. (٣) فى م: «يعذلونى ...... الفؤاد المعبَّد». وفى حـ: * لقد طاب تعذيب الفؤاد المفند *

أخبار إسماعيل بن يسار ونسبه

كان منقطعا الى آل الزبير ثم اتصل بعبد الملك بن مروان ومدحه والخلفاء من ولده

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خَيْثَمة قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله الزُّبَيْريّ قال :

كان إسماعيل بن يَسَار النَّسائيّ مولَى بني تَيْم بن مُرّة : تيم قريش، وكان منقطعًا إلى آل الزُّبَير . فلمّا أفضتِ الخلافةُ إلى عبد الملك بن مَرْوانَ، وَفَد إليه مع عُرْوة آبن الزُّبير، ومدَحه ومدَح الخلفاءَ من ولده بعده . وعاش عمرًا طويلًا إلى أن أدرك آخرَ سُلْطان بني أميّة، ولم يُدرِكِ الدولةَ العبّاسيّة . وكان طَيِّبًا مليحًا مُندِرًا[1] بطّالًا، مليحَ الشِّعْر، وكان كالمنقطع إلى عُرْوةَ بن الزُّبَير . وإنّما سُمّي إسماعيلُ بن يَسَارٍ النَّسائيَّ[2]، لأنّ أباه كان يصنع طعام العُرْس ويبيعه، فيشتريه منه مَنْ أراد التعريس من المتجمِّلين وممن لم تبلُغ حالُه آصطناعَ ذلك .

سبب تلقيبه بالنسائي

وأخبرني الأسديّ قال حدّثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النَّطّاح قال :
إنّما سُمّي إسماعيلُ بن يسار النَّسائيَّ لأنه كانَ يبيع النَّجْد والفُرُش التي تُتَّخذ للعرائس؛ فقيل له إسماعيل بن يَسَارٍ النَّسائيّ .

وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليلُ بن أَسَد عن آبن عائشة :
أنّ إسماعيلَ بن يسار النَّسائيّ إنّما لُقِّب بذلك لأنّ أباه كان يكون عنده طعامُ العُرُسات[3] مُصْلَحًا أبدًا، فمَنْ طَرَقه وجده عنده مُعَدًّا .

(١) مندرا : يأتي بالنوادر من قول أو فعل . وبطال : كثير الهزل والمزاح؛ يقال : بطل الرجل يبطل بَطالة (من باب فرح) اذا هزل . (٢) النسائيّ : نسبة الى النساء الذي هو من أسماء جموع المرأة . وفي اللسان : أن سيبويه يقول في النسبة الى نساء : نِسْوِيّ ردّا له الى واحده .

(٣) العرسات : جمع عرس وهو طعام الوليمة . وفي ح، م : « العرسان » بالنون في آخره . وفي سائر الأصول : « العرسيات » .

نادرة له مع عروة ابن الزبير أثناء سفرهما للشام

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال حدّثني الزُّبَيْر بن بَكّار قال قال مُصْعَب بن عثمان :

لمّا خرج عُرْوةُ بن الزُّبَير إلى الشأم يُريد الوليدَ بن عبد الملك ، أخرج معه إسماعيلَ بن يسار النَّسائيّ ، وكان منقطعاً إلى آل الزُّبَير ، فعادَلَه [1] . فقال عُرْوةُ ليلةً من اللّيالي لبعض غِلْمانه : أُنْظُرْ كيف ترى المَحْمِل ؟ قال : أراه معتدلاً . قال إسماعيل : الله أكبر ، ما اعتدل الحقُّ والباطلُ قبل الليلة قَطّ ؛ فضحك عُرْوة ، وكان يستخفّ إسماعيلَ ويستطيبه .

تساب هو وآخر يكنى أبا قيس في اسميهما فغلبه

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي عن أيُّوب بن عَبَايَة المخزوميّ :

أنّ إسماعيل بن يسار كان ينزل في موضع يقال له حُدَيْلة [2] وكان له جُلساء يتحدّثون عنده ، ففقَدهم أيّاما ، وسأل عنهم فقيل : هم عند رجل يتحدّثون إليه طيِّب الحديث حُلْوٍ ظريف قدِم عليهم يسمّى محمّدا ويُكنى أبا قيس . فجاء إسماعيل فوقف عليهم ، فسمِع الرجلُ القومَ يقولون : قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار ؛ فأقبل عليه فقال له : أنت إسماعيل ؟ قال نعم . قال : رحِم الله أبويك فإنّهما سمّياك باسم صادقِ الوعد وأنت أكذب الناس . فقال له إسماعيل : ما اسمك ؟ قال : محمد . قال : أبو مَنْ ؟ قال : أبو قيس . قال : لا [3] ! ولكن لا رحم الله أبويك ، فإنّهما سمّياك باسم نبيّ وكنّياك بكُنْيـة قِرْد . فأُفْحِم الرجلُ وضحِك القومُ ، ولم يَعُدْ إلى مجالستهم ، فعادوا إلى مجالسة إسماعيل .

(١) عادله : ركب معه في المحمل مقابلا له . (٢) كذا في ب ، حـ ، ء ، ط . وحديلة محلة بالمدينة بها دار عبد الملك بن مروان . وفي سائر الأصول : « جديلة » بالجيم . وجديلة : مكان في طريق خارج البصرة ؛ وهذا لا يتفق مع سياق الخبر . (٣) في حـ : « قال : ولكن لا رحم ... الخ » بدون « لا » .

استأذن على الغمر ابن يزيد فحجبه ساعة فدخل يبكى لحجبه وادّعى بنيه نفاقا

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز(1) قال حدّثنا المدائنىّ عن نُمَير العُذْرىّ قال :

استأذن إسماعيلُ بن يسار النَّسائىّ على الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك يوما ، فحجَبه ساعةً ثم أذِن له ، فدخل يبكى . فقال له الغَمْر : مالَك يا أبا فائد تبكى؟ قال: وكيف لا أبكى وأنا على مَرْوانِيّتى ومَرْوانيّة أبى أُحْجَبُ عنك! فجعل الغَمْر يعتذر إليه وهو يبكى؛ فما سكتَ حتّى وصله الغمر بجملة لها قَدْر. وخرج من عنده، فلحقه رجلٌ فقال له : أخبِرْنى ويلَك يا إسماعيل ، أىّ مَرْوانيّة كانت لك أو لأبيك ؟ قال : بُغْضُنا إيّاهم ، امرأتُه(2) طالقٌ إن لم يكن يلعن(3) مَرْوانَ وآلَه كلَّ يوم مكان التسبيح ، وإن لم يكن أبوه حضره الموت ، فقيل له : قُلْ لا إلهَ إلّا الله ، فقال : لعَن الله مَرْوانَ ، تَقرُّبا بذلك إلى الله تعالى وإبدالًا له من التوحيد وإقامة له مُقامَه .

شعره الذى يفخر فيه بالعجم على العرب

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أبو أيّوب المدينىّ قال حدّثنى مُصْعَبٌ قال :

قال إسماعيلُ بن يسار النَّسائىّ قصيدتَه التى أوّلها :

ماعلى رسمِ منزلٍ بالجَنَابِ(4) * لو أبانَ الغَداةَ رَجْعَ الجوابِ
غيّرتْه الصَّبا وكلُّ مُلِثٍّ(5) * دائم الوَدْقِ مُكْفَهِرّ السَّحابِ

(1) كذا فى حـ ، وهو الصواب . (راجع الحاشية ٢ ص ٢٧٧ ج ٣ من هذه الطبعة) . وفى سائر الأصول : «أحمد بن إسماعيل الخراز» بزايين . (2) فى ط ، ء : «مرته الطلاق» . ومرة (على وزن سنة) : لغة فى امرأة . (3) كذا فى ط ، م ، ء . وفى سائر الأصول : «ان لم تكن أمه تلعن ... الخ» . (4) الجناب (بالفتح) : الفناء وما قرب من محلة القوم ، وقيل : هو موضع فى أرض كلب فى السماوة بين العراق والشام . والجناب (بالكسر) : موضع بعراض خيبر وسلاح ووادى القرى ، وقيل : هو من منازل بنى مازن . وقال نصر : الجناب : من ديار بنى فزارة بين المدينة وفَيْد . (انظر معجم البلدان لياقوت) . (5) يقال : ألثّ المطر ولث إذا أقام أياما ولم يقلع . والودق : المطر .

دارَ هندٍ وهل زماني بهندٍ * عائدٌ بالهوى وصَفْوِ الجَنابِ
كالذى كان والصفاءُ مصونٌ * لم تَشُبْه بهجرةٍ وٱجتنابِ
ذاك منها إذ أنتَ كالغُصْنِ غَضٌّ * وهى رُؤْدٌ[1] كدُمْيةِ المحرابِ
غادةٌ تَسْتَبِي العقولَ بعَذْبٍ * طَيِّبِ الطعمِ باردِ الأنيابِ
وأثيثٍ[2] من فوق لونٍ نَقِيٍّ * كبياض اللُّجَيْنِ فى الزِّرْيابِ
فأقِلَّ المَلامَ فيها وأَقْصِرْ * لَجَّ قلبي من لوعةٍ وٱكتئابِ[3]
صاحِ أبصرتَ أو سمعتَ براعٍ * رَدَّ فى الضَّرْعِ ما قَرَى فى العِلابِ[4]
[انقضتْ شِرَّتِى وأقصرَ جهلى * واستراحتْ عَوَاذِلى من عِتابى][5]

وقال فيها يفخَر على العرب بالعجم :

رُبَّ خالٍ مُتَوَّجٍ لِى وعَمٍّ * ماجدٍ مُجْتَدَى كريمِ النِّصابِ
إنّما سُمِّىَ الفَوَارسُ بالفُرْ * سِ مُضاهاةَ رِفْعةِ الأنسابِ
فٱتْرُكى الفخرَ يا أُمامَ علينا * وٱتركى الجَوْرَ وٱنْطِقى بالصَّوابِ
وٱسألى إن جَهِلْتِ عنّا وعنكم * كيف كنّا فى سالف الأحقابِ
إذ نُرَبِّى بَنَاتِنا وتَدُسُّو * نَ سَفَاهًا بناتِكم فى التُّرابِ

(١) الرؤد : الشابة الحسنة . والدمية : الصورة . (٢) شعر أثيث : كثير عظيم . والزرياب : الذهب ، وقيل : ماؤه ، معرب زر أى ذهب ، وآب أى ماء (خففت الهمزة فأبدلت ياء) . وفى حـ : « والزرياب » بواو العطف . (٣) فى ى ، ط : « من عولتى واكتئابى » . والعولة والعول : البكاء والصياح . (٤) كذا فى أكثر الأصول . وقرى الماء فى الحوض : جمعه . والعلاب : جمع عُلْبة ، وهى إناء كالقدح الضخم ، تتخذ من جلود الإبل أو الخشب يحلب فيها . وفى ى ، ط وتجريد الأغانى لابن واصل الحموى : « الحلاب » بالحاء المهملة . والحلاب (بالكسر) : الإناء الذى يحلب فيه اللبن . (٥) الزيادة عن تجريد الأغانى لابن واصل الحموى ، وقد ذكره المؤلف بعد قليل .

فقال رجل من آل كَثِير بن الصَّلْت : إنّ حاجتنا إلى بناتنا غير حاجتكم ، فأفحمه . يريد : أنّ العجم يربُّون بناتِهم لِيَنْكِحوهنّ ، والعرب لا تفعل ذلك . وفى هذه الأبيات غناءٌ ، نسبتُه :

صــــوتٌ

صاحِ أبصرتَ أو سمعتَ براعٍ * ردّ فى الضَّرْع ما قَرَى فى العِلَاب ٥

انقضتْ شِرَّتى وأَقْصَرَ جهلى * وآستراحتْ عواذلى من عِتابى

١٢١/٤ الشعر لإسماعيل بن يسار النِّسائىّ . والغناء لمالك خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . وذكر عمرو بن بانة فى نسخته الأولى أنّ فيه للغريض خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر ، وذكر فى نسخته الثانية أنه لابن سُرَيج . وذكر الهِشامىّ أنّ لحن ابن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى ، وأنّ لحن الغَرِيض ثقيلٌ أوّل . ١٠

كان شعوبيا شديد التعصب للعجم

وحدّثنى بهذا الخبر عمِّى قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثَمةَ عن مُصْعَب قال : إسماعيلُ بن يسار يُكْنَى أبا فائد ، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضا ، وهم من سَبْى فارس . وكان إسماعيل شُعُوبيًّا[1] شديدَ التعصُّب للعجم ، وله شعرٌ كثير يفخَر فيه بالأعاجم . قال : فأنشد يومًا فى مجلس فيه أشعبُ قولَه :

إذ نُرَبِّى بناتِنا وتَدُسُّو * نَ سَفَاهًا بناتِكم فى التُّراب ١٥

فقال له أشعبُ : صدقتَ والله يا أبا فائد ، أراد القوم بناتِهم لغير ما أردتموهنّ له . قال : وما ذاك ؟ قال : دَفَن القومُ بناتِهم خوفًا من العار ، وربَّيْتُموهنّ لتنكحوهنّ . قال : فضحِك القومُ حتى آستغربوا[2] ، وخجِل إسماعيل حتّى لو قَدَر أن يَسِيخ فى الأرض لفَعَل .

(١) الشعوبية : فرقة لا تفضل العرب على العجم ولا ترى لهم فضلا على غيرهم ، و يرون التسوية بين الشعوب .
(٢) أى بالغوا فى الضحك .

رماه عبد الصمد في البركة بثيابه بإيعاز من الوليد ابن يزيد ثم ملح الوليد فأكرمه

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال أخبرني أبو سَلَمَة الغِفَاريّ قال أخبرنا أبو عاصم الأَسْلَميّ قال :

بينا ابنُ يَسَارٍ النّسائيّ مع الوليد بن يزيد جالسٌ على بِرْكة، إذ أشار الوليد إلى مولًى له يقال له عبدالصمد، فدفع ابن يسار النسائيّ في البركة بثيابه، فأمر به الوليدُ فأُخرِج . فقال ابن يسار :

قُلْ لِوَالِي العَهْـــدِ[1] إنْ لاقَيْتَه * ووَلِيُّ العهـدِ أولَى بالرَّشَـــدْ

إنّه واللهِ لولا أنتَ لم * يَنْجُ منّى سالمًا عبدُ الصَّمَدْ

إنّه قـــد رام مـــنّى خُطّةً * لم يَرُمْها قبـــلَه مـــنّى أحدْ

فهـــو مما رامَ منّي كالذي * يَقْنِصُ الدُّرَّاجَ[2] من خِيسِ[3] الأسدْ

فبعث إليه الوليدُ بخِلْعة سَنِيّة وصِلَةٍ وترضّاه . وقد رُوِي هذا الخبر لسعيد بن عبد الرحمن بن حَسّان بن ثابت في قصة أُخرى، وذُكِر هذا الشعرُ له فيه .

---

(١) كذا في أكثر النسخ . وفي ط، ء : « قل لولي العهد ... الخ » بدون ألف بعد الواو. وعلى هذه الرواية يكون قد دخله الخزم، وهو زيادة حرف في أوّل الجزء أو حرفين أو حروف من حروف المعاني نحو الواو وبل و إذا . وأكثر ما جاء من الخزم بحروف العطف . فالخزم بالواو كقول امرئ القيس :

وكأن ثبيرا في أفانين ودقه * كبير أُناس في بجاد مزمّل

وقد يأتي الخزم في أوّل المصراع الثاني، كما أنشد ابن الأعرابي :

بل بُرَيْقًا بِتُّ أرقُبُهُ * "بل" لا يُرى إلا إذا اِحْتَلَا

وربما اعترض في حشو النصف الثاني بين حبب ووتد، كقول مطر بن أشيم :

الفخـــر أوّله جهـــل وآخـــره * حقد "إذا" تذكرت الأقوال والكلم

(٢) الدرّاج (بضم الدال وتشديد الراء) : طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر على خلقة القطا إلا أنه ألطف . وجعله الجاحظ من أقسام الحمام؛ لأنه يجمع فراخه تحت جناحيه كما يجمع الحمام . وهو من طير العراق كثير النتاج . وفي المثل : «فلان كطالب الدرّاج من خيس الأسد» . يضرب لمن يطلب ما يتعذر وجوده . (انظر كتاب حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ٤١٧ طبع بلاق) . (٣) خيس الأسد : غابته ومكانه .

استنشد أحد ولد جعفر بن أبى طالب الأحوص قصيدة فلما سمعها أنشده هو قصيدة من شعره فأعجب بها الطالبى

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأتُ على أبى[1] : حدّثنى مصعب بن عبد الله قال سمعتُ إبراهيم بن أبى عبد الله يقول :

رَكِب فلانٌ من ولد جعفر بن أبى طالب رحمه الله بإسماعيلَ بن يسار النَّسائىّ حتَّى أتى به قُبَاءَ، فٱستخرج الأحوصَ فقال له : أَنْشِدْنى قولَك :

ما ضَرَّ جيرانَنَا إذ ٱنتجعوا * لو أنَّهم قبـل بينِهم رَبَعُوا

فأنشده القصيدةَ . فأُعْجِبَ بها، ثم ٱنصرف. فقال له إسماعيل بن يسار : أَمَاجئتَ إلّا لِمـا أرى ؟ قال لا[2] . قال : فٱسمَعْ، فأنشده قصيدتَه التى يقول فيها :

ما ضَرَّ أهلَكِ لو تَطَوَّف عاشقٌ * بفِناء بيتِـك أو أَلَمَّ فسلَّمـا

فقـال : واللهِ لو كنتُ سمعتُ هذه القصيدةَ أو علمتُ أنك قلتَها لَمَـا أتيتُه. وفى أبياتٍ من هذا الشعر غناءٌ نِسْبَتُه :

صـــوت

ياهندُ رُدِّى الوصـلَ أن يتَصَرَّمَا * وصِلِى ٱمرأً كَلِفًا بحبِّك مُغْرَمَا

لو تبذُلين لنا دَلالكِ مَرَّةً * لم نَبْغِ منـك سوى دَلالِك مَحْرَمَا

مَنَع الزيارةَ أنَّ أهلَكِ كلَّهم * أبدَوْا لِزَوْرِك غِلْظَةً وتَجَهُّـمَا

ما ضَرَّ أهلَكِ لو تَطَوَّفَ عاشقٌ * بفِناء بيتِـك أو ألَمَّ فسـلَّمَا

الشعر لإسماعيل بن يَسار النَّسائىّ . والغناء لٱبن مِسْجَح خفيفُ ثقيـلٍ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لإبراهيم المَوْصلىّ رَمَلٌ بالبنصر عن حَبَش.

١٢٢ / ٤

(١) فى م : « ... قرأت على أبى قال حدّثنى ... » .

(٢) كذا فى جميع الأصول. والظاهر أن المقام مقام «بل» . فلعل هذا خطأ من النساخ .

سمع زبان السوّاق شعره فبكى

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيدة قال : أنشد رجلٌ زَبّان[1] السوّاق قولَ إسماعيل بن يَسَار :

ما ضَرَّ أهلَكِ لو تَطَوَّفَ عاشقٌ * بفناءِ بيتِكِ أو ألَمَّ فسَلَّمَا

فبكى زَبّان[1]، ثم قال: لا شيء والله إلّا الضَّجَر وسوء الخلق وضيق الصدر، وجعل يبكي ويمسح عينيه .

شعره الذى تشاجر بسببه أبو المعافى مع زبان السوّاق

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدَلانيّ النحويّ صِهْر المُبَرِّد[2] قال حدّثني طلحةُ بن عبد الله بن إسحاق الطَّلْحيّ[3] قال حدّثني الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين المُهَلَّبيّ قال :

أنشدتُ زَبّان[3] السّواق قولَ إسماعيل بن يَسَارٍ النَّسَائيّ :

صــــوت

إنّ جُمْلًا[4] وإنْ تَبَيَّنْتُ منها * نَكَبًا عن مَوَدّتي وازْوِرَارَا

شَرَّدَتْ[5] بادّكارها النَّومَ عنّي * وأُطِيرَ العَــزاءُ منّي فطارا

ما على أهلها ولم تأتِ سُوءا[6] * أن تُحَيَّا تَحِيَّةً أو تُزارا

يوم أبْدَوْا لِيَ التّجهّمَ فيها * وحَمَوْها بحَاجةٍ وضِرارا

(1) في حـ : «ريان السوّاق» بالراء والياء المثناة من تحت . (2) في إنباه الرواة للقفطي (ص ٥٦ ج ٢ قسم أوّل ، عن النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٩ تاريخ) : «محمد بن جعفر الصيدلاني صهر أبي العباس المبرد على ابنته» . (٣) في ط ، م ، ء : «أبو إسحاق» . ولم نوفق لتحقيق هذا الاسم في المظانّ : أهو كنية لطلحة أم أن إسحاق اسم جدّه . (٤) في حـ : «إن جملا خل تبينت ... ...» . (٥) في ط ، م ، ء : «شَرِقَتْ بادّكارها اليوم عيني» . وشرقت العين : احمرّت ، أو امتلأت بالدمع . (٦) كذا في ط ، ء . وفي سائر الأصول : «ولم نأت» بالنون .

فقال زَبّان : لا شىء وأبيهم إلّا الحَزَز[1] وقلّة المعرفة وضيق العَطَن[2] . فصاح عليه أبو المُعَافَى وقال : فعَلَى مَنْ ذاك ويلك ! أعليك أو على أبيك أو أُمّك؟ فقال له زبّان : إنّما أُتيتَ يا أبا المُعَافَى من نفسك، لو كنتَ تفعل هذا ما اختلفتَ أنت وٱبنُك . فوثب إليه أبو المُعَافَى يرميه بالتّراب ويقول له : وَيْحَك يا سفيه ! تُحسن الدِّيَاثة ! وزبّان يسعى هرباً منه .

الغناء فى هذه الأبيات لٱبن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكىّ وحمّاد، وذكر المشامىّ وحَبَشٌ أنه لٱبن مُحْرِز، وأنّ لحن ٱبن مِسْجَح ثانى ثقيل .

طلبه الوليد بن يزيد من الحجاز فحضر وأنشده فأكرمه

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعىّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق المَوْصِلىّ قال :

غُنِّىَ الوليدُ بن يزيد فى شِعْرٍ لإسماعيل بن يَسَار، وهو :

حتّى إذا الصبحُ بدا ضوءُه * وغارتِ الجوزاءُ والمِرزَمُ[3]

خرجتُ والوَطْءُ خَفِىٌّ كما * ينساب من مَكْمَنِه الأرْقَمُ[4]

فقال : مَنْ يقول هذا ؟ قالوا : رجلٌ من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النَّسائى؛ فكتب فى إشخاصه إليه . فلمّا دخل عليه ٱستنشده القصيدةَ التى هذان البيتان منها؛ فأنشده :

كَلْثَمُ أنتِ الهَمُّ يا كلثمُ * وأنتمُ دائى الذى أكتُمُ

أُكاتِمُ النّاسَ هوًى شَفَّنِى * وبعضُ كِتمانِ الهوى أحزمُ

---

(١) كذا فى ط ، ى . والحزز (بالتحريك) : الشح والبخل . وفى سائر الأصول : « الحزن » بالنون بدل الزاى ، وهو تحريف . (٢) ضيق العطن : كناية عن الحمق وضيق الصدر . (٣) المرزم : من نجوم المطر، وأكثر ما يذكر هذا اللفظ بصيغة المثنى ، فيقال : المرزمان . (٤) الأرقم : أخبث الحيات ، والأنثى « رقشاء » ، بالشين ، ولا يقال : « رقماء » بالميم ؛ لأنه قد جعل اسما منسلخا عن الوصفية .

قد لُمْتِنى ظلمًا بلا ظِنَّةٍ * وأنتِ فيما بيننا ألْوَمُ
أَبْدِئ الذى تُخْفِينه ظاهرًا * أرتدَّ عنه فيك أو أُقْدِمُ
إمّا بيأسٍ منك أو مَطْمَعٍ * يُسْدَى بحسن الودّ أو يُلْحَمُ
لا تَتْرُكِينى هكذا مَيِّتًا * لا أُمْنَحُ الوُدَّ ولا أُصْرَمُ
أَوْفِى بما قُلْتِ ولا تَنْدَمِى * إنَّ الوَفِىَّ القولِ لا يَنْدَمُ
آيةُ[1] ما جئتُ على رِقْبةٍ * بعد الكَرَى والحىُّ قد نَوَّمُوا
أخافتُ المَشْىَ حِذارَ العِدَا[2] * والليلُ داجٍ حالكٌ مظلِمُ
ودون ما حاولتُ إذ زرتُكم[3] * أخوكِ والخالُ معًا والعَمُّ
وليس إلّا اللهَ لى صاحبٌ * إليكُمُ والصارمُ اللَّهْذَمُ[4]
حتّى دخلتُ البيتَ فاستذرفتْ * من شَفَقٍ عيناكِ لى تَسْجُمُ
ثم انجلَى الحزنُ ورَوْعاتُه * وغُيِّبَ الكاشحُ والمُبْرِمُ[5]
فبِتُّ فيما شئتُ من نَعْمةٍ[6] * يَمْنَحُنِيها نحرُها والفَمُ[7]
حتّى إذا الصبحُ بَدَا ضوءُه * وغارتِ[8] الجوزاءُ والمِرْزَمُ
خرجتُ والوطءُ خفِىٌّ كما * ينسابُ من مَكْنَه الأَرْقَمُ

قال : فطرِبَ الوليد حتّى نزل عن فَرْشه وسريره، وأَمَر المغنّين فغنّوه الصوتَ وشَرِب عليه أقداحًا، وأَمَر لإسماعيل بكُسْوةٍ وجائزةٍ سنيّة، وسرّحه إلى المدينة .

(١) فى ب ، حـ : « إيه بما جئت ... الخ » . (٢) فى ى ، ط ، م : « حذار الردى » . (٣) فى حـ : « ودون ما جاوزت » . (٤) اللهذم : القاطع من السيوف والأسنة . (٥) المبرم : الجليس الثقيل . (٦) النعمة بفتح النون : المسرة والفرح والترفه . (٧) فى ى ، ط ، م : « جاد بها لى ثغرها والفم » . (٨) فى ى ، ط : « وغابت » وكلتاهما بمعنى .

نسبة هــذا الصوت

الشعرُ لإسماعيل بن يَسار النِّسائىّ . والغناءُ لابن سُرَيج رَمَلٌ .

سمع شيخ قينة تغنى بشعره فألقى بنفسه فى الفرات إعجابا به

حدّثنا أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق الموصلىّ قال حدّثنا محمد بن كُنَاسة قال :

٥ اِصطحبَ شيخ وشبابٌ فى سفينة من الكوفة؛ فقال بعضُ الشباب للشيخ : إنّ معنا قَيْنةً لنا، ونحن نُجِلُّك ونُحِبُّ أن نسمع(١) غناءها . قال : اللهُ المستعان، فأنا أرقَى على الأطلال(٢) وشأنَكم . فغنّتْ :

حتّى إذا الصبحُ بَدَا ضَوءُه * وغارتِ الجوزاء والمرزمُ
أقبلت والوطء خـفىٌّ كما * ينساب من مكمنه الأرقمُ

١٠ قال : فألقَى الشيخ بنفسه فى الفُرَات، وجعل يَخبِط بيديه ويقول : أنا الأرقم ! أنا الأرقم ! فأدركوه وقد كاد يغرَق ؛ فقالوا : ما صنعت بنفسك ؟ فقال : إنّى واللهِ أعلمُ من معانى الشعر ما لا تعلمون .

مدح عبدالله بن أنس فلم يكرمه فهجاه

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوية قال حدّثنى أبو مُسْلِم المُسْتَمْلِى عن المَدَائنىّ قال :

١٥ مدح إسماعيلُ بن يسار النِّسائىّ رجلا من أهل المدينة يقال له عبدُالله بن أَنَس ، وكان قد اتّصل ببنى مَرْوانَ وأصاب منهم خيرًا، وكان إسماعيل صديقا

(١) فى ى ، ط : « تسمع » بتاء الخطاب . (٢) كذا فى م . والأطلال : جمع طلل . وطلل السفينة : شراعها . وفى حـ : « الظلال » . وفى سائر الأصول : « الأظلال » وكلاهما تحريف .

له ؛ فرحل إلى دِمَشْق إليه ، فأنشـده مديحًا له ومتّ إليـه بالجوار والصداقة ؛ فلم يُعْطِه شيئا . فقال يهجوه :

لَعَمْرُكَ ما إلى حَسَنٍ رَحَلْنـا * ولا زُرْنا حُسَيْنًا يا آبنَ أنسِ

(يعنى الحسنَ والحسين رضى الله تعالى عنهما)

ولا عبـدًا[1] لعبدِهما[2] فنَحْظَى * بحُسْنِ الحَظِّ منهم غيرَ بَخْسِ

ولكن ضَبَّ جَنْـدَلَةٍ[3] أتينـا * مُضِـبًّا[4] فى مَكَامِنِـه يُفَسِّى

فلمّـا أن أتينـاه وقلنـا * بحاجتنـا تلوَّن لَوْنَ وَرْسِ[5]

وأعرضَ غيرَ مُنْبَلِجٍ لِعُـرْفٍ * وظَلَّ مُقَرْطِبًا[6] ضِرْسًا بضِرْسِ[7]

فقلتُ لأهــله أبِه كُزَازٌ[8] * وقلتُ لصاحبي أتُراه يُمْسِى

فكان الغُـنْمُ أن قُمْنا جميعًا * مخـافةَ أن نُزَنَّ[9] بقتل نَفْسِ

---

(١) ورد بعض هذه الأبيات فى كتاب عيون الأخبار (ج ٣ ص ١٥٤ طبع دار الكتب المصرية) منسوبا الى الحارث الكندىّ هكذا :

فلمـا أن أتينـاه وقلنا * بحاجتنا تلوّن لون ورس

وآض بكفه يحتك ضرسا * يُرينـا أنه وَجِعٌ بضرس

فقلت لصـاحبي أبه كزاز * وقلت أُسِـرّه أتُراه يمسى

وقمنـا هاربين معا جميعا * نحاذر أن نزنّ بقتل نفس

(٢) كذا فى ط ، م ، ء . وفى سائر الأصول : « لعبدهم » . (٣) الجندلة : واحدة الجندل وهى الحجارة . (٤) أضب فى المكان : لزمه فلم يفارقه . (٥) الورس : نبات أصفر يكون باليمن يتخذ منه طلاء للوجه ، ونباته مثل نبات السمسم . (٦) المقرطب (بكسر الطاء) : الغضبان . (٧) كذا فى ء ، ط . وفى سائر النسخ : « ضرسا لضرس » . (٨) الكزاز (كغراب ورمّان) : داء يأخذ من شدّة البرد وتعترى منـه رعدة . (٩) نزنّ : نتهم .

رثاؤه لمحمد بن عروة

حدّثنى عمّى[(١)] قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله قال:

وَفَد عُرْوةُ بن الزُّبَير إلى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه إسماعيلَ بن يسار النَّسائىّ، فمات فى تلك الوِفادة محمد بن عُرْوة بن الزُّبير، وكان مُطَّلِعًا على دوابّ الوليد بن عبد الملك، فسقَط من فوق السطح بينها، فجعلتْ تَرْمَحه[(٢)] حتى قطّعته، كان جميلَ الوجه جوادا. فقال إسماعيلُ بن يَسَار يرثيه:

صَلَّى الإلهُ على فتًى فارقتُه * بالشأم فى جَدَثِ الطَّوِىِّ[(٣)] المُلْحَدِ[(٤)]

بوّأتُه بيدىَّ دارَ إقامةٍ * نائى المَحَلَّة عن مَزَار العُوَّدِ

وغبرتُ أُعْوِلُه[(٥)] وقد أسلمتُه * لِصَفَا[(٦)] الأَماعِزِ والصَّفِيح المُسْنَدِ[(٧)]

مُتَخَشِّعًا للدهر ألْبَسُ حُلَّةً * فى النائبات بحَسْرةٍ وتجلُّدِ

أعنى ابنَ عُرْوةَ إنّه قد هدّنى * فَقْدُ ابنِ عُرْوةَ هَدّةً لم تَقْصِدِ

فإذا ذهبتُ إلى العَزاء أَرُومُه * ليَرَى المُكاشِحُ بالعزاء تجلُّدى

منع التعزّىَ أنّنى لفراقِه * لَبِس العَدُوُّ علىّ جِلْدَ الأَرْبَدِ[(٨)]

ونأى الصديقُ فلا صديقَ أَعُدُّه * لدِفاع نائبة الزَّمان المُفْسِدِ

فلئن تركتُكَ يا محمدُ ثاويًا * لَبِمَا تروح مع[(٩)] الكِرامِ وتغتدى

(١) فى م: «حدّثنى الحسن». وهو الحسن بن محمد عم صاحب الأغانى.

(٢) ترمحه: تضربه بأرجلها. (٣) الطوىّ: المراد به هنا القبر المعرّش بالحجارة والآجرّ.

(٤) ألحد القبر: عمل له لحدا. (٥) أعول الرجل: رفع صوته بالبكاء.

(٦) الصفا: جمع صفاة وهى الحجر الصلد الضخم لا ينبت. والأماعز: جمع أمعز، وهو المكان الصلب الكثير الحصى. (٧) الصفيح والصفيحة: واحد الصفائح وهى الحجارة العريضة. والمسند: المتراكب بعضه فوق بعض. (٨) الأربد هنا: الأسد. (٩) كذا فى ى، ط، م. وفى سائر النسخ: «على الكرام».

كان الذى بَزَع العــدوّ بدفعــه * ويردّ نخوةَ ذى المِرَاح الأصْيَد [1]

فمضى لوجهتــه وكــلّ معمّرٍ * يوماً سيُدرِكه حِمَــامُ المــوعد

دخل على عبد الملك ابن مروان بعد قتل ابن الزبير ومدحه فأكرمه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن أبى خَيْثمةَ قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الله عن أبيــه :

٥ أن إسمــاعيل بن يَسَار دخل على عبد الملك بن مَرْوان لمّــا أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزُّبير، فسلَّم ووقف موقف المُنْشِــد واستأذنَ فى الإنشاد. فقال له عبد الملك: الآن يا بنَ يسار! إنّمــا أنت امرؤٌ زُبَيرِيٌّ، فبأىّ لسان تُنْشِــد؟ فقال له : يا أمير المؤمنين، أنا أصغرُ شأناً من ذلك، وقد صفحتَ عن أعظمَ جُرْماً وأكثرَ غَنَاءً لأعدائك منّى، وإنما أنا شاعر مُضْحِك. فتبسّم عبد الملك، وأومأ إليه ١٠ الوليد بأن يُنْشِد. فابتدأ فأنشد قولَه :

أَلَا يا لَقَــوْمى للرُّقَاد المُسَهَّــدِ * وللمــاء ممنوعاً من الحــائم الصَّدِى

وللحــال بعد الحال يركبها الفــتى * وللحُبِّ بعــد السَّلْوة المُتَمَــرِّدِ

وللمرء يُلْحَى فى التصــابى وقبلَه * صبــا بالغوانى كلُّ قَرْمٍ مُمَجَّدِ

وكيف تَنَاسِى القلبِ سَلْمَى وحُبَّها * كجَمْرِ غَضًى بين الشَّراسيفِ مُوقَدِ [2]

١٥ حتى انتهى إلى قوله :

إليكَ إمامَ النّاس من بطن يَثْرِبٍ * ونِعمَ أخــو ذى الحاجة المُتَعَمِّــدِ

رَحَلْنــا لأنّ الجودَ منك خليقــةٌ * وأنّك لم يَذْمُمْ جنــابَك مُجْتَــدِى

ملكتَ فزِدْتَ النّاسَ ما لم يَزِدْهُمُ * إمامٌ من المعــروف غيرَ المُصَرَّدِ [3]

١٢٥ / ٤

(١) المراح : الأشر والنشاط . والأصيد : الذى يرفع رأسه كبرا . ومنه قيل للملك : أصيد ؛ لأنه لا يلتفت ٢٠ يمينا ولا شمالا . (٢) الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التى تشرف على البطن .

(٣) صرّد عطاءه : قلله ، وقيل : أعطاه قليلا قليلا .

وقُمْتَ[1] فلم تنقُض قضاءَ خليفةٍ * ولكن بما ساروا من الفعل تقتدى

ولمّا وَلِيتَ المُلْكَ ضاربتَ دونه * وأسندتَه لا تأتلى خيرَ مُسْنَدِ

جعلتَ هِشاماً والوليدَ ذخيرةً * ولِيَّيْن للعهد الوثيق المؤكَّدِ

قال : فنظر إليهما عبدُ الملك متبسِّما ، والتفت إلى سليمان فقال : أخرجك إسماعيل من هذا الأمر . فقَطَب سليمانُ ونظر إلى إسماعيل نظرَ مُغْضَب . فقال إسماعيل : يا أمير المؤمنين ، إنما وَزْنُ الشعر أخرجه من البيت الأوّل ، وقد قلتُ بعده :

وأمضيتَ عزماً فى سليمانَ راشدًا * ومَنْ يعتصمْ بالله مثلَك يَرْشُدِ

فأمر له بألفى درهم صلةً ، وزاد فى عطائه ، وفرض له ، وقال لولده : أَعْطُوه ؛ فأعطَوْه ثلاثةَ آلافِ درهم .

استنشده هشام بن عبد الملك فافتخر رمى به فى بركة ماء ونفاه الى الحجاز

أخبرنى عمِّى قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثَمةَ قال ذكر ابن النَّطَّاح عن أبى اليَقْظان :

أنّ إسماعيل بن يسار دخل على هِشَام بن عبد الملك فى خِلافته وهو بالرُّصَافة جالسٌ على بِركةٍ له فى قصره ، فاستنشده وهو يرى أنه يُنْشِده مديحاً له ؛ فأنشده قصيدته التى يفتخر فيها بالعجم :

يا رَبْعَ رامةَ[2] بالعَلْياء من رِيمِ[3] * هل تَرْجِعَنّ إذا حَيَّيْتُ تسليمى

---

(١) فى ء ، ط . « وقلت » . (٢) رامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة فى طريق البصرة الى مكة . وبين رامة وبين البصرة اثنتا عشرة مرحلة . وقيل : رامة : هضبة أو جبل ببنى دارم . (٣) رئم (بكسر أوله وهمز ثانيه وسكونه وقيل بالياء غير مهموز) : واد لمزينة قرب المدينة ، وقيل : على ثلاثين ميلا من المدينة ، وقيل : على أربعة برد من المدينة أو ثلاثة . (والبريد فرسخان أو أربعة فراسخ ، والفرسخ : ثلاثة أميال) .

مابالُ حَىٍّ غدتْ بُزْلُ المَطِىِّ بهم * تَخْـدِى لغربتهم سَيْرًا بتقحيم (١)
كأنّنى يوم ساروا شاربٌ سلَبَتْ * فؤادَه قهوةٌ من خَمْرِ دَارُومِ (٢)

حتّى انتهى الى قوله :

إنّى وَجدِّك ماعُودِى بذى خَوَرٍ * عند الحِفَاظ ولا حَوْضِى بمهدوم
أَصْلى كريمٌ ومجدى لا يُقاس به * ولى لسانٌ كحَدِّ السَّيْف مسموم (٣)
أَحْمِى به مجدَ أقوامٍ ذوى حَسَبٍ * من كلّ قَرْمٍ بتاج المُلْك معموم
جَحَاجِحٍ سادةٍ بُلْجٍ مَرَازِبةٍ (٤) * جُرْدٍ عِتَاقٍ مَسَاميحٍ مَطَاعيم
مَنْ مِثْلُ كِسْرَى وسابورَ الجنودِ معًا * والهُرْمُزانِ (٥) لفخرٍ أو لتعظيم
أُسْدُ الكتائبِ يومَ الرَّوْعِ إن زَحَفُوا * وهمْ أذلُّوا ملوكَ التُّرْك والرُّوم
يمشُون فى حَلَقِ المَاذِىِّ سابغةً * مَشْىَ الضَّرَاغمةِ الأُسْدِ اللَّهاميم (٦)
هناك إنْ تسألى تُنْبَىْ بأنّ لنا * جُرْثومةً (٧) قَهَرتْ عِزَّ الجراثيم

قال : فغضب هشامٌ وقال له : ياعاضَّ بَظْرِ أمّه ! أعلىّ تفخَر وإيّاىَ تُنْشِد قصيدةً تمدح بها نفسك وأعلاجَ قومك ! ! غُطُّوه فى الماء ، فغطُّوه فى البركة

---

(١) بزل (ككتب ويسكن) : جمع بزول ، والبزول : الناقة فى تاسع سنيها وليس بعده سن تسمى . وخدى الفرس والبعير : أسرع وزجّ بقوائمه . والتقحيم : طىّ المنازل وعدم النزول بها ؛ يقال : قحّم المنازل اذا طواها ، وقحّمت الإبل راكبها : جعلتهم يطوون المنازل منزلا منزلا من غير أن ينزلوا بها .

(٢) داروم : قلعة بعد غزّة للقاصد الى مصر ، والواقف فيها يرى البحر إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ ، خربها صلاح الدين لما ملك الساحل فى سنة ٥٨٤ هـ تنسب اليها الخمر . (٣) الظاهر أن هذه الكلمة مرفوعة ، وبذلك يكون فى الشعر إقواء . على أنه يمكن أن يكون أصل الكلام : «إلى لسان ...» بدل «ولى لسان ...» . (٤) جحاجح : جمع جحجح ، والجحجح والجحجاح : السيد الكريم . والمرازبة : جمع مرزبان ، وهو رئيس الفرس . (٥) الهرمزان : الكبير من ملوك العجم . (٦) حلق : جمع حلقة وهى هنا الدرع . والماذى : الدروع السهلة الليّنة أو البيضاء . واللهاميم : جمع لهميم وهو السابق الجواد من الخيل والناس . (٧) جرثومة الشىء : أصله .

حتى كادت نفسه تخرُج ، ثم أمر بإخراجه وهو بشَرٍّ ونفـاه من وقتـه ، فأُخرج عن الرُّصَافة منفيًّا إلى الحجاز . قال : وكان مبتلًى بالعصبيّة للعجم والفخر بهم ، فكان لا يزال مضروبا محروما مطرودا .

١٢٦ / ٤

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أحمـد بن أبى خَيْثمةَ قال قال آبن النطّاح وحدّثنى أبو اليَقْظان :

مدح الوليد والغمر ابنى يزيد فأكرماه

أنّ إسماعيل بن يَسَار وَفَد إلى الوليد بن يزيد ، وقـد أسنّ وضعُف ، فتوسّل إليه بأخيه الغَمْر ومَدَحه بقوله :

نأتك سُلَيمى فالهَـوَى مُتَشاجِرُ * وفى نَأْيِها للقلب داءٌ مُخَامِرُ
نأتك وهـام القلب ، نأيًا بذكرها[1] * ولَجّ كما لجّ الخليعُ المُقَامِرُ
بواضحة الأقْرابِ[2] خَفّاقة الحَشَى * بَرَهْرَهَـةٍ[3] لا يَجْتَوِيها[4] المعَاشِرُ

يقول فيها يمدح الغَمْر بن يزيد :

إذا عـدّد النـاسُ المكارمَ والعُلَا * فلا يَفْخَرَنْ يومًا على الغَمْرِ فاخرُ
فـا مرّ من يوم على الدهر واحدٍ[5] * على الغَمْرِ إلّا وهو فى الناس غامرٌ
تراهم خشوعًا حين يبدو[6] مهابةً * كما خَشَعَتْ يومًا لكِسْرَى الأَسَاوِرُ
أَغَرُّ بِطاحيٌّ[7] كأنّ جبينَـه * إذا ما بدا بدرٌ إذا لاح باهرُ

(١) أى نأتك نأيا وهام القلب بذكرها . (٢) الأقراب : جمع قُرْب وهى الخاصرة .
(٣) البرهرهة : المرأة البيضاء الشابة الناعمة . (٤) فى أكثر الأصول : « لا يستويها » . وفى م : « لا يحتويها » وكلاهما تحريف . وما أثبتناه هو تصحيح الشنقيطى فى نسخته ، وهو الذى يستقيم به المعنى . واجتواه : كرهه . (٥) فى م :

فـا مرّ من يوم من الدهر واحد * من الغمر إلا وهو للناس غامر

(٦) كذا فى حـ ، وبه صحح الشنقيطى نسخته . وفى سائر الأصول : « تبدو » . (٧) البطاحىّ : نسبة الى البطاح ، وهى التى كان ينزلها قريش البطاح ، وهم أشرف قريش وأكرمهم . (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٤ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة) .

وَقَى عِرْضَه بالمالِ فالمالُ جُنَّةٌ * له وأهانَ المالَ والعِرْضُ وافرُ
وفى سَيْفِه للجندين عِمارةٌ * وفى سَيْفِه للدِّين عِزٌّ وناصر
نَماه إلى فَرْعَىْ لُؤَىِّ بن غالبٍ * أبوه أبو العاصى وحَرْبٌ وعامر
وخمسةُ آباءٍ له قد تتابعوا * خلائفُ عَدْلٍ مُلْكُهُمْ مُتَواتِر
بَهالِيلُ سَبَّاقون فى كلّ غايةٍ * إذا ٱستبقتْ فى المَكْرُماتِ المَعاشر
همُ خيرُ مَنْ بين الحَجُون إلى الصَّفَا * إلى حيثُ أفضتْ بالبِطاح الحَزَاوِر (١)
وهمْ جمعوا هذا الأنامَ على الهُدَى * وقد فرّقتْ بين الأنامِ البصائر

قال : فأعطاه الغَمْرُ ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم .

أخبرنى عمى قال حدّثنا أحمد بن أبى خَيْثمةَ عن مُصْعَبٍ قال :

لمّا مات محمد بن يسار ، وكانت وفاته قبل أخيه ، دخل إسماعيلُ على هشام ابن عُرْوةَ ، فجلس عنده وحدّثه بمصيبته ووفاة أخيه ، ثم أنشده يرثيه :

عِيلَ العَزاءُ وخانَنى صَبْرِى * لمّا نعَى الناعى أبا بَكْرِ
ورأيتُ رَيْبَ الدَّهْرِ أفردنى * منه وأسْلَمَ للعِدَا ظهرى
من طَيِّبِ الأثواب مُقْتَبِلٍ * حُلْوِ الشمائل ماجدٍ غَمْرِ (٢)
فمضى لِوجْهتِه وأدركه * قَدَرٌ أُتيحَ له من القَدْرِ
وغَبَرْتُ (٣) مالى من تَذَكُّرِه * إلّا الأَسَى وحرارةُ الصدرِ
وجَوًى يُعاوِدُنى (٤) وقَلَّ له * منّى الجوى ومَحاسِنُ الذِّكْرِ

(١) الحزاور : جمع حَزْوَرة ، وهى الرابية الصغيرة ، ومنها الحزورة : سوق مكة وقد دخلت فى المسجد لما زيد فيه . وفى الحديث : وقف النبى صلى الله عليه وسلم بالحزورة فقال : "يا بطحاء مكة ما أطيبك من بلدة وأحبك الىّ ، ولولا أن قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك" . (٢) الغمر : الكريم الواسع الخلق .
(٣) غبر هنا : مكث وبق . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « يعاورنى » بالراء .

لمّا هوتْ أيدى الرِّجالِ به * فى قَعْرِ ذات جَوَانِبٍ غُبْرِ
وعلمتُ أنّى لن أُلاقِيَه * فى الناس حتّى ملتقَى الحَشْرِ
كادتْ لِفُرْقته وما ظلمتْ * نَفْسِى تموت على شَفَا القبر
ولَعَمْرُ مَنْ حُبِس الهَدْىُ له * بالأَخْشَبَيْنِ(١) صَبِيحةَ النَّحْرِ
لو كان نيلُ الخُلْد يُدركه * بَشَرٌ بطِيبِ الخِيمِ والنَّجْرِ(٢)
لغَبَرْتَ لا تخشَى المَنُونَ ولا * أَوْدَى بنفسك حادثُ الدَّهرِ
ولنِعْمَ مأوَى المُرْمِلينَ إذا * قُحِطُوا وأَخلفَ صائبُ القَطْرِ
كم قلتُ آونةً وقد ذَرَفتْ * عينى فماءُ شؤونها يجرى
أنّى وأىُّ فتًى يكون لنا * شَرْوَاكَ(٣) عند تَفَاقُمِ الأَمرِ
لِدفاع خَصْمٍ ذى مُشَاغَبةٍ * ولِعائلٍ تَرِبٍ أخى فَقْرِ
ولقدعلمتُ و إنْ ضمنتُ جَوًى * ممّا أُجِنّ كَوَاهِجِ الجَمْرِ
ما لامرئٍ دون المنيّة مِنْ * نَفَقٍ فيُحْرِزُه ولا سِتْرِ

قال : وكان بحضرة هشام رجلٌ من آل الزُّبَير ، فقال له : أحسنتَ وأسرفتَ فى القول ، فلو قلتَ هذا فى رجلٍ من ساداتِ قريش لكان كثيرا . فزجره هشام وقال : بئس والله ما واجهتَ به جليسَك ؛ فشكره إسماعيل ، وجزاه خيرا . فلمّا انصرف تناولَ هشامٌ الرجلَ الزُّبَيرىّ وقال : ما أردتَ الى رجلٍ شاعرٍ مَلَكَ قولَه فصرَف أحسنَه الى أخيه ! مازدتَ على أن أغريتَه بعِرْضك وأعراضِنا لولا أنّى

(١) الأخشبان : جبلان يضافان تارة الى مكة وتارة الى منى ، أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان . ويقال : بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك . (٢) الخيم : الطبيعة والسجية ، وقيل : الأصل . والنجر : الأصل . (٣) شرواك : مثلك .

تَلافيتُه . وكان محمد بن يَسَار أخو إسماعيل هذا الذى رثاه[(١)] شاعرًا من طبقة أخيه؛ وله أشعار كثيرة . ولم أجِدْ له خبرًا فأذكُرَه، ولكن له أشعار كثيرة يغنَّى فيهـا . منها قوله فى قصيدة طويلة :

صـــوت

غَشِيتُ الدارَ بالسَّـــنَدِ * دُوَيْنَ الشِّعْبِ من أُحُدِ
عَفَتْ بعـــدى وغيَّرها * تَقَـادُمُ سالِفِ الأَبَدِ

الغناء لحَكَمٍ الوادِىّ خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشَامىّ .

ولإسماعيل بن يسار آبنٌ يقال له إبراهيم، شاعرٌ أيضا، وهو القائل :

مضَى الجهلُ عنكَ إلى طِيَّتِهْ * وآبَكَ حِلْمُكَ من غَيْبَتِهْ[(٢)]
وأصبحتَ تَعْجَبُ مما رأيـ * ـتَ من نَقْضِ دَهْرٍ ومن مِرَّتِهْ

وهى طويلة يفتخر فيها بالعجم كَرِهتُ الإطالةَ بذكرها .

انقضت أخباره .

صـــوت[(٣)]

كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كان أكثرَ ناصرًا * وأَيْسَرَ جُرْمًا منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ
رَمَى ضَرْعَ نابٍ فآستمرّ بطعنةٍ * كحاشـيةِ البُرْدِ اليَمَـانِى المُنَمْنَمِ[(٤)]

عروضه من الطويل. الشعر للنابغة الجعدىّ. والغناء للهذلىّ فى اللحن المختار، وطريقته من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق. ونذكر هاهنا

(١) كذا فى م : وفى سائر الأصول : « أخو إسماعيل هذا رثاه شاعرا ... » .
(٢) فى حـ : « من غيه » والغية : الضلال والفساد .
(٣) فى م : « صوت من المائة المختارة » .
(٤) برد منمنم : مرقوم موشى . وفى م فى هذا الموضع : « المسهم » كما فى سائر الأصول فيما يأتى .

سائر ما يغنّى به فى هـذه الأبيات وغيرها من هـذه القصيدة ونَنْسُبه إلى صانعه[1]، ثم نأتى بعده بمـا يتبعه من أخباره . فمنها على الوِلاء سوى لحن الهُذَلىّ :

كُلَيْبٌ لَعَمْرِى كان أكثرَ ناصرًا * وأيسرَ جُرْمًا منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ

رمى ضَرْعَ نابٍ فاستمرّ بطعنـةٍ * كحاشـيةِ البُرْدِ اليمـانى المُسهَّمِ[2]

أيا دارَ سَلْمَى بالحَرُورِيَّة[3] اَسْلَمِى * إلى جانب الصَّمَّانِ[4] فالمُتَثَلَّمِ[5]

أقامتْ به الـبَرْدَيْنِ ثم تَذكّرتْ * منازلَهـا بين الدَّخُولِ فجُرْثُمِ[6]

ومسكنَها بين الغُرُوبِ[7] إلى اللِّوى * إلى شُـعَبٍ تَرعَى بهنّ فعَيْهَمِ[8]

ليـالىَ تَصْـطادُ الرجالَ بفاحمٍ[9] * وأبيضَ كالإغريض لم يَتَثَـلَّمِ

١٢٨ / ٤

فى البيت الأوّل والثـانى لابن سُرَيج ثقيـلٌ أوّلُ آخَرُ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس[10] . وفيهما لمـالك خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وللغَرِيض فى الثالث والرابع والأوّل والثانى ثقيلٌ أوّل بالسبّابة فى مجرى الوسطى . ولإسحاق فى الثالث والأوّل ثقيل أوّل بالوسـطى[11]، ذكر ذلك أبو العُبَيْس والهِشَامىّ . وللغَرِيض فى الرابع ثم الأوّل خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى فى رواية

(١) فى م : « الى صاحبه » . (٢) البرد المسهم : المخطط . (٣) قال ياقوت : الحرورية منسوب فى قول النابغة الجعـدى حيث قال ، ثم ذكر البيتين : أيا دار سـلمى ، والذى بعـده .. وربمـا كان منسوبا الى حروراء ، وهى رملة وعثـة بالدهناء ، أو موضع بظاهر الكوفة نزل به الخوارج الذين خالفوا علىّ بن أبى طالب ، فنسبوا اليـه . (٤) الصمان : بلد لبنى تميم أرضـه صلبة صعبة الموطئ . (٥) المتثلم (رواه أهل المدينـة بفتح اللام وهو الذى ضـبطه به ياقوت ، ورواه غيرهم من أهـل الحجاز بالكسر) : موضع بأوّل أرض الصمان . (٦) جرثم : ماء من مياه بنى أسد تجاه الجواء ، كما قال البكرى فى معجم ما استعجم ، واستشهد بقول النابغـة الجعدى وذكر البيت هكذا :

أقامت به البردين ثم تذكرت * منازلهم بين الجـواء وجرثم

(٧) الغروب : موضع لم يعينه ياقوت وقال : ذكره صاحب البيان . (٨) عيهـم : موضـع على طريق اليمامة الى نجد . (٩) الفاحم : الشعر الأسـود الحسن . والإغريض : الطلع حين ينشق عنه كافوره . يريد بذلك وجهها . (١٠) هذه الكلمة ساقطة فى ب . (١١) فى م : « بالبنصر ، ولابراهيم فى الأوّل والثانى ثقيل أوّل بالوسطى ذكر ذلك أبو العنبس ، ... الخ » .

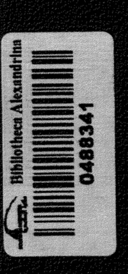
عمرو بن بانة. ولمَعْبَد فيهما وفى الخامس والسادس خفيفُ ثقيلٍ من رواية أحمد بن المكىّ[1] . ولابن سُرَيج فى الخامس والسادس ثقيلٌ أوّل بالبنصر من رواية علىّ[2] بن يحيى المنجّم، وذكر غيره أنّه للغَرِيض . ولإبراهيم فيه ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشامىّ، وذكر حَبَشٌ أنه لمعبد . ولابن مُحْرِز فى الأوّل والثانى والثالث والرابع هَزَج، ذكر ذلك أبو العُبَيْس[3]، وذكر قُمْرِىّ أنّه لأبى عيسى بن المتوكل لايشكّ فيه . وللدَّلَال فى الخامس والسادس ثانى ثقيلٍ عن الهشامىّ، وذكر أبو العُبَيْس أنّه للهُذَلىّ. ولعُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر فى الرابع خفيفُ رَمَلٍ. ولإسحاق فى الثالث والرابع أيضا ماخُورِىّ، ولمَعْبَد خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى فيهما، وقيل: إنّه لحنه الذى ذكرنا متقدّما ، و إنه ليس فى هذا الشعر غيره . وذكر حبشٌ أنّ فى هذه الأبيات التى أوّلها : « كليبٌ لعمرى » خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى ، وللهُذَلىّ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر، وللدَّلَال رَمَلٌ؛ فذلك ثمانيةَ عَشَرَ صوتا . وأخبرنى محمد بن إبراهيم قريص أنّ له فيهما (أعنى الأوّل والثانى) خفيفًا[4] بالوسطى .

(١) كذا فى م . وفى سائر النسخ : « فيها » .
(٢) كذا فى م . وفى سائر النسخ : « على بن أبى يحيى المنجم » . وهو تحريف .
(٣) فى م : «أبو العنبس» أنظر الحاشية رقم ٤ ص ٩٦ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة .
(٤) فى م : « خفيف ثقيل بالوسطى » .

انتهى الجزء الرابع من كتاب الأغانى

ويليه الجزء الخامس

وأوّله ذكر النابغة الجعدىّ ونسبه وأخباره


Bibliotheca Alexandrina
0488341